

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب

قال أبو العباس : قال عليُّ بن أبي طالب رضى الله عنه فى خطبة له : أيُّها الناس ، اتقوا الله الذى إن قُلتُم سمع ، وإن أضمرتم علم ، وبادروا الموت الذى إن هربتم أدرككم ، وإن أقمتُم أخذكم .^(١)

* * *

وحدثنى التوزى فى إسناده ذكره ، آخره عبد الملك بن عمير الليثي ، قال : بينا نحنُ فى المسجد الجامع بالكوفة ، وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة ، يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه إذ أتى أتٍ فقال: هذا الحجاج قد قدم أميراً على العراق ! فإذا به قد دخل المسجد معتملاً بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه ، متقلداً سيفاً متنكباً قوساً يوم المنبر^(٢) ، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر ، فمكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض : قبح الله بنى أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق ! حتى قال عمير بن ضائب البرجمي^(٣) : ألا أحصيه لكم ؟ فقالوا : أمهل حتى ننظر ، فلمّا رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال: ^(٤)

(١) فى خطبة على رضى الله عنه فنون من البلاغة ، منها : النداء فى قوله : (أيُّها الناس) لجذب القلوب والأسماع ، الأمر فى قوله (اتقوا الله) للتخويف ، وكذا الصلة بعده والصلة التى بعد الموت للتعظيم والتخويف كذلك ، وأما قوله : (إن قُلتُم سمع ، وإن أضمرتم علم) وقوله : (إن هربتم أدرككم ، وإن أقمتُم أخذكم) فهو من حسن التقسيم ، والتقسيم يطلق على أمرين : أحدهما : أن يذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل حال ما يليق بها ، والثانى : استيفاء أقسام الشيء بالذكر. الإيضاح للقروينى ص ٥١٠ .

وماورد فى خطبة على رضى الله عنه تصح إضافته لكلا النوعين ، فإنه قد استوفى أقسام الناس فى علم الله تعالى بأحوالهم ثم أضاف لكل نوع ما يناسبه ، فهم إما أن يقولوا فهو سامع لكلامهم ، وإما أن يضمروا فهو عالم بضمائرهم وكذا أحوالهم بالنسبة للموت : إما أن يهربوا منه فهو مدرّكهم، وإما أن يقيموا فهو آخذهم.

(٢) يوم المنبر : أى يقصده ويتوجه إليه

(٣) عمير بن ضائب البرجمي : سيذكر المبرد طرقات من أخباره قريباً بعد شرحه كلام الحجاج فى هذا الموضع .

(٤) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي ، وقد نسبته أبو العباس فيما سيأتى ، وسبق البيت فانظر تخريجه وانظر خطبة الحجاج فى البيان والتبيين ٣٠٧/٢ - ٣١٠ ، وهى فى وفيات الأعيان ٣٣/٢ - ٣٤ منقولة عن الكامل .

أنا ابنُ جلا وطلاع الثَّنايا مَتَى أضعُ العمامةَ تعرفُوني
وقال يأهل الكوفة ، إنى لأرى رعوساً ^(١) قد أينعتُ وحن قطافها . وإنى لصاحبها ،
وكأنى أنظر إلى الدماء بين العمام واللقى ، ثم قال :

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدِّي زيم قد لفَّها الليلُ بسَواقِ حُطَمٍ
ليس براعي إبِلٍ ولا غنم ولا بجزَّارٍ على ظهر وضم ^(٢) ^(٣)

ثم قال :

قد لفَّها الليلُ بعَصَبِي أروع خراجٍ من الدَّوَى

(١) قوله : " إنى لأرى رعوساً قد أينعت وحن قطافها " فيه فنون من البلاغة : فهو خبر الغرض منه التهديد والوعيد ، وهو كناية عن استحقاق هؤلاء القتل في اعتقاده ، وقوله : " أينعت " وحن قطافها " استعارة مكنية ، وهى صورة بليغة شبه فيها الرعوس بشمار قد نضجت وأوشكت أن تسقط ، وذلك ليوحى عن طريق التخيل والصورة بقرب سقوطها وسهولته ، وهذا التخيل يمكن المعنى فى النفوس فيزيدها خوفاً ورهبة .

(٢) انظر اللسان (حطم) و(شدد) ومن نسبت إليه ، وتفسير بعضها ، وفرحة الأديب ١٤٥ ، والسمط ٧٢٩ ، والأغاني ٢٥٥/١٥ ، وديوان الحماسة بشرح المرزوقى ٣٥٤ والتبريزى ١٨٤/١ والحماسة البصرية ١٠٣/١ ، وانظر أيضاً شرح أبيات سيويه ٢/ ٢٨٦ ، وأسماء خيل العرب للغندجاني ١١٨ ، والحماسة الشجرية ١٤٤-١٤٠ والتنبية والإيضاح ٢٩/٢ وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ص ٨٣٠ ، وسر صناعة الإعراب ٥٠٩/٢ ، وشرح المفصل ٣٢/٩ ، واللسان (زيم) ، وتاج العروس (زيم) .

(٣) وهذا الرجز يقوله رشيد فى شريح بن ضبيعة القيسى وأمه هند بنت حسان بن عمرو بن مرثد وكان على ما روى أبو عبيدة غزا اليمن فى جموع من ربيعة فغنم وسبى بعد حرب كانت بينه وبين كندة أسر فيها فرعان بن مهدى بن معد يكرب عم الأشعث بن قيس ، وأخذ على طريق مفازة فضل بهم دليلهم ثم هرب وقد جهدوا من العطش فمات فرعان وخلق كثير منهم وجعل شريح يسوق بأصحابه سوقاً عنيفاً حتى نجوا ووردوا الماء ، فقال فيه رشيد هذا الرجز . وقد رواه أبو عبيدة وزاد فيه قال :

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدِّي زيم لست براعى إبِلٍ ولا غنم
ولا بجزَّارٍ على ظهر وضم نام الحداة وابنُ هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم خدَّج الساقين خفَّاق القدم

قد لفَّها الليل بسواقِ حطم

فلقب شريح يومئذ بالحطم لقول رشيد هذا . وسيأتى شرح ذلك اهـ رغبة الآمل .

وقال:

قد شَمَرْتُ عَنْ سَاقِهَا فَشَدُّوا وَجَدْتُ الْحَرْبُ بِكُمْ فَجَدُّوا
وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرَعُرُدُ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ^{(٢)(٣)}

إني - والله يا أهل العراق - ما يُقَعِّعُ لي بالشنان ، ولا يغمز جانبي كتغماز التين^(٤)، ولقد فررت عن ذكاء ، وفتشت عن تجربة ، وإن أمير المؤمنين نشر كنانته^(٥) بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودًا ، وأصلبها مكسرًا^(٦) ، فرماكم بي ، لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة ، واضطجعتم في مراقد الضلال^(٧).

والله لأحزمنكم حزم السلمة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل ، فإنكم لكأهل قرية ﴿كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ

(١) الأبيات بلا نسبة في البيان و التبيين ٣٠٨/٢، واللسان (عصلب)، و (حشش)، و (دوا) و تاج العروس (عصلب) وفيه: (الدادي) مكان (الدوي)، و (حشش)، و جمهرة اللغة ص ١١٢٦، و المخصص ٩٢/٢، و ديوان الأدب ٣٣/٢، و كتاب الجيم ٣٢٢/٢، و تهذيب اللغة ٣٩٢، ٣٣٥/٣، و البيان و التبيين ٣٠٨/٢، و كتاب العين ٣٣٨/٢، و مقاييس اللغة ٣٧٠/٤، و يروى (قد حسَّها) قال ابن منظور: "و الذي ورد في خطبة الحجاج: قد لفها...أهـ .

(٢) البيتان الأخيران في تاريخ الطبرى ٢٠٩/٢ ، و النقائض ٦٤٢ لحنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي ، و انظر كذلك في جمهرة اللغة ٦٣٣ و شرح شواهد الشافية ص ٣٠٠ له أيضاً ، و بلا نسبة في اللسان (عرد) ، و العقد الفريد (٤/١٢١) ، و تهذيب اللغة ١٩٩/٢ ، و تاج العروس ٣٧٢/٨ (عرد) و يروى (مثل جران الفيل أو أشد) فى بعض ما سبق .

(٣) قوله: (والقوس فيها وترعرد .. إلخ) كناية عن شدة فتكه وإصابته ، فهى قوس ذات وتر شديد ، إذا أصاب به قتل لا محالة . وهذه الأبيات التى أوردها الحجاج كلها من باب إيراد المثل ، وهو فن من فنون البديع . انظر التبيان للطيبى بتحقيقى ، ط المكتبة التجارية بمكة المكرمة ٢٩٠/٢

(٤) التين : قد يكون هو التين المعروف ، أو جمع (تينة) وهى (الدبر) كما فى اللسان والقاموس مادة (تين) .

(٥) قوله (نشر كنانته) استعارة تصريحية، حيث شبه عُذته من الأمراء والجند بالكنانة، كما شبههم بالسهم (٦) قوله: (وجدنى أمرها عودًا ، وأصلبها مكسرا) قوله: أمرها أفعل تفضيل من المارة ، أو من المرة أى القوة . ومكسيرا :على وزن مفعِل مصدر ميمى ، منصوب على التمييز .

وهذا الكلام السابق كناية عن تناهى قوته وبأسه واستحقاقه للإمارة على من سواه .

(٧) قوله : اضطجعتم فى مراقد الضلال : كناية عن تمكثهم فى الغي وثباتهم فيه .

فَإِذَا قَهَّ اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ^(١)، وإني والله لا أقول^(٢) إلا وفيت ، ولا أهم إلا أمضيت ، ولا أخلق إلا فريت .

وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم^(٣) ، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة . وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه ! يا غلام ، اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ، فقرأ :

"بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، إلى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد منهم شيئاً ، فقال الحجاج: اكفُفْ يا غلام ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أسلم عليكم أمير المؤمنين ، فلم تردوا عليه شيئاً ؟ هذا أدب ابن نهيبة أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب أو لتستقيمن ! اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين ، فلما بلغ إلى قوله : " سلام عليكم " لم يبق في المسجد أحد إلا قال: وعلى أمير المؤمنين السلام^(٤) !

ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم، فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبيراً، فقال: أيها الأخير، إني من الضعفاء على ما ترى، ولي ابن هو أقوى على الأسفار مني أفتقبله بدلا مني؟ فقال له الحجاج: نفعل أيها الشيخ. فلما ولي قال له قائل : أتدرى من هذا أيها الأمير؟ قال : لا ، قال : هذا عمير بن ضائب البرجمي الذي يقول أبوه :

هممتُ ولم أفعلْ وكدتُ وليتني تركتُ على عثمان تبكى حلائله^(٥) ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولاً فوطئ بطنه فكسر ضلعين من أضلعه ، فقال : ردوه ! فلما رد قال له الحجاج : أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ! إن في قتلك أيها الشيخ لصلاحاً للمسلمين ، يا حرسى اضربن عنقه^(٦) فجعل

(١) . سورة النحل : ١١٢ .

(٢) في نسخة : ما أقول .

(٣) أعطيات بفتح الهمزة جمع الجمع لعطية ، وجمعها : أعطية اللسان : (عطو) .

(٤) بعده في زيادات بعض النسخ : " زعم أبو العباس أن ابن نهيبة رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج . "

(٥) البيت من الطويل لضائب البرجمي كما في القصة ، وحماسة البحري ص ١١ ، وخزانة الأدب ٣٢٣/٩ ، ٣٢٧ ، والشعر والشعراء ٣٥٨/١ ، واللسان (قير) ، ومعاهد التنصيص ١٨٧/١ . وستأتي بعد صفحات ترجمة لضائب .

(٦) قوله يا حرسى يبدو أن هذا كان تهديداً لم يصل إلى حد التنفيذ والسياق بعده يدل عليه .

الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ، ويأمر وليه أن يلحقه جواده ، ففي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدي: ^(١)

تَجْهَزْ ^(٢) فإما أن تزور ابن ضابى
 هما خطتا خسف نجاؤك منهما
 غميراً وإما أن تزور المهلبا
 رُكُوبك حوليا من الثلج أشهباً
 فأضحى ولو كانت خراسان دونه
 رآها مكان السوق أو هي أقربا
 قوله "أنا ابن جلا" إنما يريد المنكشف الأمر ، ولم يصرف "جلا" لأنه أراد الفعل فحكى
 والفعل إذا كان فاعله مضمرّاً أو مظهرّاً لم يكن إلا حكاية كقولك : تأبط شراً ،
 وكما قال :

كذبتُم وبيت الله لا تأخذونها بنى شاب قرناها تصوّر وتحلب ^(٣)
 وتقول : قرأت ﴿ اقتربت الساعة وأنشأ القمر ﴾ ^(٤) لأنك حكيت ، وكذلك الابتداء
 والخبر تقول : قرأت ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ^(٥) .
 وقال الشاعر : والله ما زيد بنام صاحبه ^(٦)

(١) لعبد الله بن الزبير الأسدي ، بفتح الزاى له ترجمة فى تبصير المنتبه :ص ٦٤٠ شعره :
 ق ٤/٢، ٦، ٤٤-٥٥ ، وسيأتى الشعر مع أبيات آخر
 وهى من الطويل ، والثالث له فى الأغاني ١٤ / ٢٣١ ، وخزانة الأدب ٥٠/٧ ، ٥٢ ، ٥٣ وبعد
 "الأسدي" فى بعض النسخ : "الأسدي أسد خزيمه وليس من أسد قريش " .

(٢) قال المرصفي فى رغبة الأمل ٧٨/٤ : "الرواية تخير " .

(٣) البيت من الطويل ، قال فى اللسان : "قرنان أى صغيرتان ، وقال الأسدي :...." فأنشده (لا
 تنكحونها) وضبط آخره : تصوّر وتحلب ، بالبناء للمجهول (قرن) وبلا نسبة فى أمالى المرتضى
 ٢٧٣/٢ ، والخصائص ٣٦٧/٢ عجزه وشرح التصريح ١١٧/١ ، وشرح المفصل ٢٨/١ ، والكتاب
 ٢٠٧/٣ ، ٣٢٦ ، واللسان أيضاً (نوم) ، وما ينصرف وما لا ينصرف ص ٢٠ ، ١٢٣ ، والمقتضب ٩/٤ ؛
 ٢٢٦ ، والكتاب أيضاً ٢٥٩/١ ، ٦٥٠/٢ ، ٦٥٠/٢ .

(٤) سورة القمر : ١ .

(٥) سورة الفاتحة : ٢ .

(٦) والله ما زيد بنام صاحبه .

ويروى : والله ما ليلى بنام صاحبه ، وهذا بيت من الرجز ، للقناني فى شرح أبيات سيويه
 ٤١٦/٢ ، وبلا نسبة فى أسرار العربية ص ٩٩ ، ١٠٠ ، والإنصاف ١١٢/١ ، وخزانة الأدب ٣٨٨/٩ ،
 ٣٨٩ ، والخصائص ٣٦٦/٢ ، والدرر ٧٦/١ ، ٢٤/٦ ، وشرح الأشموني ٣٧١/٢ ، وشرح عمدة
 الحفاظ ص ٥٤٩ ، وشرح المفصل ٦٢/٣ ، وشرح قطر الندى ص ٢٩ ، واللسان (نوم) ، والمقاصد

وقوله : " أنا ابن جلا " ^(١) لسحيم بن وثيل الرياحي ، وإنما قاله الحجاج متمثلاً .
 وقوله : " وطلاع الثنايا " الثنايا : جمع ثنية ، والثنية : الطريق في الجبل ، والطريق
 في الرمل يقال له : الخل ، وإنما أراد أنه جلد يطلع الثنايا في ارتفاعها وصعوبتها ، كما
 قال دريد بن الصمة يعني أخاه عبد الله :
 كميضُ الإزار خارج نصف ساقه بعيد من السوءاتِ طلاع أنجد ^(٢)
 والنجد : ما ارتفع من الأرض ، وقد مضى تفسير هذا .

النحوية ٣/٤ ، وجمع الهوامع ٦/١ ، ١٢٠/٢ .

ويروى في بعض ما سبق : تالله ...

ولجرير شعر يهجو زهرة القناني منه :

سأسألُ إن لقيتُ بني زياد : متى ضَلَّتْ خُلُومُ بني مَنان [

ديوانه ص ٤٦٥ صادر .

(١) قال في اللسان : " وجلا : اسم رجل ، سُمِّيَ بالفعل الماضي .

قال ابن سيده : وابن جلا الليثي ، سُمِّيَ بذلك لوضوح أمره ، وذكر البيت ... ثم قال : " وكان
 ابن جلا هذا صاحب فتك يطلع في الغارات من ثنية الجبل على أهلها ، وقوله : متى أضع العمامة
 تعرفوني . قال ثعلب : العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم .
 قال عيسى بن عمر : إذا سُمِّيَ الرجل بقتل وضرب ونحوهما فإنه لا يُصرف ، واستدل بهذا البيت ،
 وقال غيره : يحتمل هذا البيت وجهاً آخر ، وهو أنه لم ينونه ، لأنه أراد الحكاية ، كأنه قال : أنا ابن
 الذي يُقال له جلا الأمور وكشفها فلذلك لم يُصرفه .

قال ابن برِّي : وقوله : لم ينونه ، لأنه فعل وفاعل ، وقد استشهد الحجاج بقوله :

(أنا ابن جلا وطلاع الثنايا)

أي أنا الظاهر الذي لا يخفى وكل أحد يعرفني . ويقال للسيد : ابن جلا . وقال سيبويه : جلا
 فعل ماض ، كأنه بمعنى جلا الأمور أي أوضحها وكشفها ؛ قال ابن برِّي : ومثله قول الآخر :

أنا القُلاخ بن جُناب بن جلا أبو خنائر أقود الجملا

وابن أجلي كابن جلا ، واستشهد بيت للعجاج . اللسان : (جلا) .

قلت : فحاصل ما ذكر في سبب منعه من الصرف أنه ممنوع إما للعلمية ووزن الفعل ، أو لإرادة
 الحكاية .

(٢) ويُروى عجزه : (صبور على العزاء ...) ، ويُروى (... على الجلاء ...) ديوان دريد بن الصمة
 ص ٦٦ ، اللسان (سوق) ، والمخصص ٦٧/١٣ ، ٣٧/١٦ ، وتهذيب اللغة ٢٣٤/٩ ، ١٠ / ٤٨٨ ،
 وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٨١٨ ، والأصمعيات ق ١٣/٢٨ ص ١١٠٨ ، والاختيارين
 ق ٢٧/٦٥ ص ٤١٢ وأمالى اليزيدي ٣٨ ، وبلا نسبة في اللسان (جلل)

وقوله: "إني لأرى رعوساً قد أينعت"، يريد أدركت، يقال أينعت الثمرة إيناعاً وينعت ينعا وينعا، ويقرأ (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) ^(١) و(ينعه) كلاهما جائز. ^(٢) قال أبو عبيدة: هذا الشعر يختلف فيه فبعضهم ينسبه إلى الأحوص وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية وهو: [قال أبو الحسن: الصحيح أنه ليزيد] ^(٣):

ولها بالمطرون ^(٤) إذا أكل النمل الذى جمعها
خرفة حتى إذا ارتبعت ^(٥) سكنت من جلق ^(٦) بيعا
فى قباب حول دسكرة ^(٧) حولها الزيتون قد ينعا
[قال أبو الحسن: أول هذه الأبيات:
طال هذا الهم فاكتنعا ^(٨)
وأمر النوم فامتنعا ^(٩)
وبعد هذا ما أنشده أبو العباس].

(١) سورة الأنعام: ٩٩

(٢) وينعه بالفتح قراءة الجمهور، ونسبت القراءة بالضم إلى قتادة والضحاك وابن محيصن وابن أبي إسحاق، انظر البحر ١٩١/٤، وتفسير القرطبي ٥٠/٧.

(٣) فى بعض النسخ "ليزيد يصف جارية".

(٤) كذا فى بعض النسخ وهى الرواية فى المصادر. وفى سائر النسخ: "الماطرين"، و"المطرون" موضع، ذكره فى اللسان (مطر)، ومستشهد بالبيت.

(٥) كذا فى بعض النسخ وفى سائر النسخ: "رفعت" وكلاهما رواية. والخرفة: ما يجتنى من الفواكه.

(٦) حلق: الشام

(٧) الدسكرة: بناء كالكصر حوله بيوت للأعاجم، يكون فيها الشراب والملاهي، اللسان: (دسكرة) وذكر البيت ونسبه للأخطل، وفيه (عند دسكرة) بدل (حول).

(٨) فى اللسان "اكتنع الشيء: حضر، والمكتنع: الحاضر. واكتنع الليل إذا حضر ودنا؛ قال يزيد بن معاوية:
آب هذا الليل واكتنعا وأمر النوم وامتنعا

كذا ذكره فى اللسان (كنع) بهذا اللفظ منسوباً إلى يزيد بن معاوية، بينما نسب البيت السابق للأخطل، والذى صححه أبو الحسن أنها ليزيد

(٩) الأبيات من المديد، اختلفوا فى نسبتها؛ لأبى دهل الجمحي فى ديوانه ق ٣٩/٥، ٤٤، ٤٥، ٨٤-٨٥ وانظر التعليق

ص ١٣٠، ١٣١، والحيوان ١٠/٤، والمستقصى ٥١/١، وللأحوص الأنصارى فى ديوانه ص ٢٢١، وليزيد بن معاوية فى ديوانه ص ٢٢، وشرح التصريح ٧٦/١، والمقاصد النحوية ٤٨/١، وليزيد أو للأحوص فى خزانة الأدب ٣٠٩/٧-٣١٢، وللأخطل فى اللسان (مطر)، والمتع فى التصريف ١٠٨/١. وانظر اللسان (ينع) وتاج العروس (ينع) وتهذيب اللغة ٢٢١/٣، والتاج أيضاً (دسكرة) واللسان (دسكرة).

هذا أو أن الشد فاشتدّ زيم

قال أبو العباس : وقوله :

يعنى فرساً أو ناقة ، والشعر للحُطَم القيسى.

وقوله : قد لفها الليلُ بسواقِ حطم

فهو الذى لا يبقى من السير شيئاً ، ويقال: رجل حطم للذى يأتى على الزاد لشدة أكله ،
ويقال للنار التى لا تبقى : حطمة .

وقوله : " على ظهر وضم " فالوضم : كل ما قطع عليه اللحم ، قال الشاعر :

وفتيان صدق حسان الوجو ه لا يجـدون لشيء ألم

من المغيرة^(١) لا يشهدو ن عند المجازر لحم الوضم^(٢)

وقوله : قد لفها الليل بعصلي

أى شديد . وأروع : أى ذكى . وقوله : " خراج من الدوى " يقول : خراج من كل
غماء شديدة يقال للصحراء : دوية وهى التى لا تكاد تنقضى ، وهى منسوبة إلى الدو:
والدو : صحراء ملساء لاعلم بها ولا أمانة ، قال الخطيب :

وأنى اهتدت والدو بينى وبينها وماخلت سارى الدو بالليل يهتدى^(٣)

والداوية : المتسعة التى تسمع لها دويًا بالليل ، وإنما ذلك الدوى من أخفاف الإبل تنفسح
أصواتها فيها ، وتقول جهلة الأعراب : إنَّ ذلك عزيز الجن .

وقوله : والقوسُ فيها وتر عرد

فهو الشديد ويقال : عرند فى هذا المعنى .

وقوله : " إنى والله ما يقعق لى بالشنان " واحدها شن ، وهو الجلد اليابس ؛ فإذا وقعق به
نفرت الإبل منه ، فضرب ذلك مثلاً لنفسه^(٤) ، وقال النابغة الذبياني :

(١) (من آل المغيرة) يريد جده المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لوى)

(٢) منسوبان إلى عمر بن أبى ربيعة ، انظر ديوانه القسم الثالث ص ٤٩٩ - بحى الدين عبد الحميد وأنشدهما فى
اللسان " للآخر " (وضم) ، قال ابن السيد : هذا الشعر لعمر بن أبى ربيعة ، وهذه القصيدة يتغزل فيها بأمر الحكم ،
وهى امرأة من بنى أمية قدمت مكة قبل أو أن الحج معمرة ، فمر بها عمر ، وهى تطوف على بغلة ، فتحدثت معه ، ولم
يزل يتردد إليها حتى انقضت أيام الحج وأولها :

تأوب لىلى بنصب وهم وعاود ذكرأ لأم الحكم

وقد يروى البيتان لابن الزبعرى . (انظر الملحق من التعليقات المختارة من كتاب القرط على الكامل ط. الرسالة .

(٣) ديوان الخطيب ص ١٤٨ .

(٤) هذا المثل كناية عن أنه لا ينجح ولا يروع ، قال فى اللسان : " وفى المثل : فلان لا يقعق له بالشنان " أى لا ينجح
ولا يروع ، وأصله من تحريك الجلد اليابس للبعير ليفزع . اللسان (ققع) .

كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بْنِ أَقِيْشٍ^(١) يَقَعِّقُ خَلْفَ^(٢) رَجُلِيْهِ بَشْنٍ^(٣)

وقوله : "ولقد فررت عن ذكاء"^(٤) يعنى تمام السن . و"الذكاء" على ضربين : أحدهما تمام السن ، والآخر حدة القلب ، فمما جاء فى تمام السن قول قيس بن زهير : "جرى المذكيات غلاب"^(٥) وقال زهير :

يَفْضُلُهُ إِذَا اجْتَهَدَا^(٦) عَلَيْهِ تَمَامُ السِّنِّ مِنْهُ وَالذِّكَاؤُ^(٧)

وقوله : "فعجم عيدانها" ، يقول : مضغها لينظر أيها أصْلَبُ ، يقال : عجمت العود : إذا مضغته ، وكذلك كل شيء ، قال النابغة :

(١) (أقيش) بن عبيد بن كعب بن عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة . وعكل هو عوف بن عبد مناة حضنته أمة تدعى عكل فلقب به . اهـ . من رغبة الأمل .

(٢) فى بعض النسخ : (بين) .

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ١٣٧ - دار الكتب العلمية ، خزانة الأدب ٦٧/٥ ، ٦٩ شرح أبيات سيبويه ٥٨/٢ ، شرح المفصل ٥٩/٣ ، والكتاب ٣٤٥/٢ ، واللسان (وقش) ، و(قع) و(شئن) ؛ والمقاصد النحوية ٦٧/٤ وبلانسية فى سر صناعة الإعراب ٢٨٤/١ ، وشرح الأشموني ٤٠١/٢ وشرح المفصل ٦١/١ واللسان (حذر) ، (أقش) ، (دنا) ، والمقتضب ١٣٨/٢ .

(٤) يقال : فر الدابة يفرها ، بالضم ، فرا : كشف عن أسنانها لينظر ماسنّها .

اللسان : فرّ ، وذكر قول الحجاج فى : (فرّ) ، و(ذكا) وأما قول المبرد فى الذكاء تمام السن قال . وهذا كناية عن كونه ليس بالغرّ

قال فى اللسان : وتأويل تمام السن : النهاية فى الشباب ، فإذا نقص عن ذلك أوزاد فلا يقال له الذكاء . "اللسان (ذكاء)

(٥) هذا المثل لقيس بن زهير العبسى لحذيفة بن بدر - وقيل لحمل بن بدر - قاله عند الرهان الذى كان بينهما فى داحس والغبراء . انظر أمثال أبي عبيد ٩١ ، ١٠٧ ، وجمهرة الأمثال ٢٩٩/١ ، وجمع الأمثال ١٥٨/١ .

وانظر خير داحس والغبراء فى النقائض ٨٣-١٠٨ ، والفاخر ٢١٩-٢٣٥ والأغاني ١٧/١٨٧ - ٢٠٨ ، وسمط اللآلى ٥٨١-٥٨٣ واستقصاء تخريجه فيه . وذكره فى اللسان فقال " وفى المثل : (جرى المذكيات غلاب) ، أى جرى المسان الفرح من الخيل أن تغالب الجرى "اللسان : (ذكا) .

(٦) (إذا اجتهدا) يريد اجتهد الحمار والأتان فى العدو . وضمير "عليه" عائد على الوعث . والأجود حمل (الذكاء) على حدة الفواد ؛ لتكون له فائدة غير تمام السن . اهـ . من رغبة الأمل ٨٩/٤ .

(٧) ديوان زهير ص ٦٢ وديوانه صنعة الأعلام ص ١٣٢ برواية الأصمعى : إذا اجتهدت والبيت من الوافر ، وفى اللسان أن الذكاء هنا هو تمام السن ، وأنشد البيت بلفظ (إذا اجتهدوا) وقال الأستاذ عبد الله على الكبير : "صوابه اجتهدا والبيت فى وصف حمار وأتانه ، ومعناه : يفضل هذا الحمار على أتانه (إذا اجتهدا سنّه" وذكأوه . والضمير فى "عليه" يعود إلى الوعث فى بيت قبله . "اهـ .

فَظْلٌ يَعْجُمُ أَعْلَى الرُّوقِ مَنْقَبُضًا فِي حَالِكِ اللُّونِ صَدَقَ غَيْرُ ذِي أَوْدٍ^(١)
والمصدر العجمُ ، يقال : عجمته عجمًا ، ويقال لنوى كل شيء : عجم ، مفتوح ، ومن
أسكن فقد أخطأ ، كما قال الأعشى :

وَجَذَعَانَهَا كَلْفِيْطُ الْعَجْمِ^(٢)

وقوله : " طالما أوضعتم في الفتنة " ، الإيضاح : ضرب من السَّير .^(٣)

فَأُضْحِي وَلَوْ كَانَتْ خِرَاسَانُ دُونِهِ

يعنى دون السفر^(٤) . رآها مكان السوق للخوف والطاعة .

* * *

وكان من قصة عمير بن ضابئ أن أباه ضابئ بن الحارث البرجمي وجب عليه حبس عند
عثمان رحمه الله وأدب ، وذلك أنه كان استعار من قوم كلبا فأعاروه إياه ، ثم طلبوه

قال في اللسان : " وأصل الذكاء في اللغة كلها إتمام الشيء فمن ذلك الذكاء في السن والفهم ، وهو تمام السن . قال
وقال الخليل : الذكاء في السن أن يأتي على قروحه سنة ، وذلك استتمام القوة ، ثم ذكر بيت زهير : يفضلهُ إذا
إجتهدا عليه ... تمام اللسان (ذكا)

(١) البيت من البسيط ، وهو للناطقة الذبياني في ديوانه ص- ١٢ ط الكتب العلمية ، ولسان العرب (صدق) ، (عجم) ،
ويعجم : أى يَمْضِغُ ، والروق : القرن ، مَنْقَبُضًا : متألماً . والصدق : ما استوى من الرماح ، لأود : الأعوجاج
(٢) وصدرة ، غزاتك بالخیل أرض العدو . والبيت من المتقارب ، وهو للأعشى في ديوانه ص ٨٧ ، وبلا نسبة في
جمهرة اللغة ص ٤٨٤ ، ٩٣٢ . وفي الديوان مقادك بالخیل .. وفيه " كلفيط العجم " وهو كذا في بعض أصول الكتاب
وفي بعضها (لفيط) بدل (لقيط) .

قال المرصفي (غزاتك) عن ثعلب الغزاة عمل سنة والغزوة الواحدة من الغزو (وجذعانها) جمع جذع " محركا " وهو
من الخيل مآتم له سستان ودخل في الثالثة

(٣) الوضع : أهون سير الدواب والإبل ، وقيل هو ضرب من سير الإبل دون الشد ، وقيل : هو ضرب من سير الإبل
دون الشد ، وقيل هو فوق الخيـب ، ... ، قال الأزهري : ويقال : وضع الرجل إذا عدا يضع وضعا ؛ وأنشد للدريد بن
الصمة في يوم هوازن :

يَالَيْتَنِي فِيهَا جَذَعُ

أُخْبَ فِيهَا وَأَضَعُ

أَقُودُ وَطَفَاءُ الزَّمْعِ

كَأَنَّهُ شَاةُ صَدَعِ

أُخْبَ من الخيـب ، وأضع : أعدو من الوضع . (اللسان: وضع) وفي حديث حذيفة بن أسيد: " شر الناس في الفتنة
الراكب الموضع " أى المسرع فيها (النهاية : وضع)

(٤) سبقَت الأبيات وأولها :

تَجْهَزْ فَإِذَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِئٍ عُمَيْرًا وَإِذَا أَنْ تَزُورَ الْمُهَلْبَا

وقد ورد في زيادات بعض النسخ (أن الهاء في قوله (دونه) عائدة على المهلب المذكور في البيت الأول ، وهذا قد
جوده المرصفي في رغبة الأمل ٩٠/٤ ، وهو خلاف رأى المرید .

منه ، وكان فحاشاً ، فرمى أمهم به ، فقال فى بعض كلامه :

فأمكم لاتركوها وكلبكم

فإن عقوق الوالدات كبير^(١)

فاضطغن على عثمان ما فعل به ، فلما دعى به ليؤدب شد سكيناً فى ساقه ليقتل بها عثمان فعثر عليه فأحسن أدبه^(٢) ، ففى ذلك يقول :

وقائلة إن مات فى السجن ضابئ

لنعم الفتى تخلو به وتواصله

وقائلة لا يبعدن ذلك الفتى

ولا تبعدن أخلاقه وشمائله

وقائلة لا يبعد الله ضائباً

إذا الكبش^(٣) لم يوجد له من يُنازله

وقائله لا يبعد الله ضائباً

إذا الخصم لم يوجد له من يُقاوله

فلا تُبعينى إن هلكت ملامة

فليس بعار قتل من لا أقاتله

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى

تركت على عثمان تبكى حلائله

وما الفتك ما أمرت فيه ولا الذى

تخبر من لا قيت أنك فاعله^(٤)

قال أبو العباس: وشبيه بقوله ما حدثنا به عن أبى شجرة السلمى ، وكان من فتاك العرب فأتى عمر بن الخطاب رحمه الله يستحمله^(٥) فقال له عمر : ومن أنت ؟ قال: أبو شجرة^(٦)

(١) البيت من كلمة له فى النقائض ٢١٩ - ٢٢٠ ، والشعر والشعراء ٣٥٠ ، وطبقات فحول الشعراء ١٧٣ ، وأنساب الأشراف ٤ / ١ / ٦٧ ، والخزانة ٤ / ٨١ ، والخبر فيها قال الموصى فى رغبة الآمل ٩٠ / ٤ .

تجشم نحوى وفد قرحان سربحاً

تظل به الوجناء وهى حسير

فأردفتهم كلباً فراحوا كأنما

حباهم بتاج الهرمزان أمير

وقلدتهم ما لو رميت متالفاً

به وهو مغبر لكاد يطير

فيا راكباً إما عرضت قبلها

أمامة منى والأمور تدور

فأمكم البيت : وهو (قرحان) " بالضم " اسم الكلب (والسريخ) المفازة الواسعة البعيدة الأجزاء (ومتالغ) " بضم الميم " جبل ينجد

(٢) فأحسن أدبه : ضربه وردّه إلى السجن حتى مات فيه . رغبة الآمل ٩١ / ٤

(٣) كبش القوم : رئيسهم وسيدهم . اللسان (كبش) .

(٤) أمرت فيه : شاورت فيه والمعنى أن الفتك هو ما يقع بغتة وليس عن مشاورة وأخبار الأبيات فى

النقائض ٢٢١ ، وطبقات الشعراء ١٧٤ - ١٧٥ ، والخزانة ٤ / ٨٠ ، وبعضها فى أنساب الأشراف

٥٧٦ / ١ / ٤ ، والبيت الثالث فى تهذيب اللغة ٨٥ / ١٣ ، ولسان العرب (أسن) بلفظ

وقائلة لا يبعد الله ضائباً ولا تبعدن آسانه وشمائله

(٥) أى يطلب منه ما يتجهز به للغزو من دابة تحمله وسلاح ونحوه ، والألف والسين والتاء للطلب

السلمى ، فقال له عمر : أى عُدي^(١) نفسه ، ألسن القائل حيث ارتددت :
ورويت ربحى من كتيبة خالد وإنى لأرجو بعدها أن أعمراً^(٢)
وعارضتها شهباء تحظر بالقنا ترى البيض فى حافاتها والسنورا^(٣)
ثم انحنى عليه عمر بالدرة فسعى إلى ناقته فحل عقالها وأقبلها حرة بنى سليم بأحث
السير هربا من الدرة ، وهو يقول^(٤)
قد ضنَّ عنها أبو حفص بنائليه وكل مخطب يومًا له ورق
مازال يضربنى حتى خذيت له وحال من دون بعض الرغبة الشفق
ثم التفت إليها وهى حانية مثل الرّاج إذا مالزّه الغلق
أقبلتها الخل من شوران مجتهدًا إنى لأزرى عليها وهى تنطلق^(٥)

(٦) فى زيادات بعض النسخ : " أبو شجرة هو عمرو بن عبد العزى وأمه الخنساء . وقال الطبرى : اسمه
سليم بن عبد العزى " .

والطبرى لم يسمه فى تاريخه ٢٦٦-٢٦٧ بل قال : أبو شجرة بن عبد العزى ، ولم يسمه ابن الأثير
فى الكامل فى التاريخ ٣٥١/٢-٣٥٢ . وترجم له صاحب الإصابة ٧٤/٢ برقم ٣٤٤١ وسماه
سليم بن عبد العزيز ؟ . وفى كنى الشعراء لابن حبيب (نواذر المخطوطات ٢ / ٢٨٤) اسمه عمرو
ابن عبد العزى . أفاده محقق (س) .

(١) عُدى : تصغير عدو ، والتصغير هنا للتحقير .
(٢) فى زيادات بعض النسخ " ويروى أن أعمّر بكسر الميم ، ومعناه أن أفعل ذلك بكتيبة عمر " .
ولعل هذه الرواية أرجح ، لأنها أنسب لسياق القصة وهو ما رجحه أبو الحسن - رحمه الله - ففى
زيادات بعض النسخ :

قال أبو الحسن : هكذا روى أبو العباس " أن أعمرا " ، والذى عندى " أن أعمراً " عنى به عمر بن
الخطاب رضى الله عنه " .

(٣) البيتان من كلمة له فى تاريخ الطبرى ٢٦٧/٢ مع اختلاف فى الألفاظ والترتيب والكامل فى
التاريخ ٣٥١/٢ .

(٤) الأبيات من كلمة له فى تاريخ الطبرى ٢٦٧/٢ والبيت الأخير من البسيط ، وهو بلا نسبة فى
لسان العرب (خلل) ، وكتاب العين (١٦٩/٥) ، وأساس البلاغة (قبل) ، (روى) ، والمخصص
١٤٢/١٠ . ولفظه : " من شوران مصعدة " .

(٥) قوله : بنائله : أى بعبثاته وفضله ، وقوله : (وحال من دون بعض الرغبة الشفق) أى تحول حاله
من الرغبة فى عطاء عمر وفضله إلى الإشفاق على نفسه ، والخوف من عقابه .

وقوله : (مثل الرّاج إذا مالزّه الغلق) الرّج ، بفتحين : الباب العظيم ، وكذا (الرّاج) بالكسر
ومنه (رّاج الكعبة) ، وقيل : الرّاج : الباب المغلق ، وعليه باب صغير . مختار الصحاح (رّج) ،

ويروى أنه كان يرمى المسلمين يوم الردة فلا يغنى شيئاً ، فجعل يقول :
ها إن رمى عنهم لمعبول فلا صريح اليوم إلا المصقول^(١)
قوله :

وكل محتبط يوماً له ورق

أصل هذا فى الشجرة أن يحتبطها الراعى ، وهو أن يضربها حتى يسقط ورقها ،
فضرب ذلك مثلاً لمن يطلب فضله وقال زهير :^(٢)

وليس مانع ذى قربى ولا رحم^(٣) يوماً ولا معدماً من خابط ورقاً

(٤)

وقوله : " حتى خذيت له " يقول : خضعت له ، وأكثر ما تستعمل العامة

هذه اللفظة بالزيادة ، تقول : استخذيت له ، وزعم الأصمعى أنه شك فيها ، وأنه أحب
أن يستثبت أهى مهموزة أم غير مهموزة ؟ ، قال : فقلت لأعرابى : أتقول : استخذيت أم

ولزه : شده وألصقه ، والغلق بفتحتين : (المغلاق) وهو ما يغلق به الباب .

والخل : موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان ٢ / ٣٨٥) وشوران : بفتح الشين : جبل كبير
مرتفع يحيط بالمدينة ، فى ديار بنى سليم (معجم البلدان ٣ / ٣٧١)

وقوله : (إني لأزرى عليها وهى تنطلق) فيه مقابلة بديعة تصور الحالة النفسية لأبى شجرة السلمى ،
فهو يقر بأن ناقته منطلقة مجتهدة فى السير ، ولكنه لفرط خوفه وجزعه من درة عمر (رضى الله عنه)
فهو يزرى عليها سيرها كما لو كانت مقصرة معيبة .

(١) الرجز بلا نسبة فى تهذيب اللغة ٢ / ٤٠٨ ، وتاج العروس (عبل) ولسان العرب (عبل) .

(٢) البيت من البسيط ، وهو لزهير بن أبى سلمى فى ديوانه ص ٥٣ ، ولسان العرب (خبط) ،
وتهذيب اللغة ٢ / ٢٥١ ، ٧ / ٢٥٠ ، وجمهرة اللغة ص ٢٩١ ، وأساس البلاغة (خبط) ، وتاج العروس
(خبط) ، وبلا نسبة فى لسان العرب (عدم) ، وتاج العروس (عدم) . ورد عجز البيت فى اللسان
(خبط) بلفظ يوماً ولا خابطاً من ماله ورقاً "

(٣) فى بعض النسخ : " ذى قربى وذى نسب " وكلاهما رواية .

(٤) بعده فى زيادات بعض النسخ : " قوله : ولا معدم ، بالخفض ، عطفه على توهم الباء فى مانع ،
ومثله ما أنشده :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا بين غرابها

على توهم الباء فى مصلحين ، ومن فى خابط زائدة " .

استخذأت ، قال : لا أقولهما ، قلت : ولم ؟ قال : لأن العرب لا تستخذى^(١) ، وهذا غير مهموز واشتقاقه من قولهم : أذن خذواء وينمة خذواء : أى مسترخية^(٢) قال الأصمعى : وقلت لأعرابى : أتهمز الفارة ؟ قال : تهمزها الهرة ، وقوله : " إنى لأزرى عليها " ، يقول أستحشها ، يقال : زرى عليه : أى عاب عليه ، وأزرى به أى قصر به^(٣) فيقول : إنها مجتهدة ، وإنى لأزرى عليها : أى أعيب عليها لطلبى النجاء والسرعة ، وقال الأخطل :^(٤)

فظل يفديها وظلّت كأنها عقابٌ دعاها جنح ليل إلى وكر
وقوله : ها إن رمى عنهم لمبول^(٥)

يقول : مخبول * مردود . والصريح : المحض الخالص^(٦) ، يقال ذلك للبن إذا لم يشبّه ماء ، ويقال : عربى صريح ومولى صريح : أى خالص .
 * * *

قال : وحدثنى محمد بن إبراهيم الهاشمي في إسناده ذكره قال : بلغ عمر بن الخطاب - رحمه الله - أن أقواما يفضلونه على أبى بكر الصديق - رحمه الله - فوثب مغضبا حتى صعد المنبر فحمد الله ، وصلى على نبيه ﷺ ، ثم قال : أيها الناس إنى سأخبركم عنى وعن أبى بكر : إنه لما توفى رسول الله ﷺ ارتدت العرب ، ومنعت شاتها وبعيرها فأجمع رأينا كلنا أصحاب محمد ﷺ أن^(٧) قلنا له : يا خليفة رسول الله ، إن رسول الله ﷺ كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة يحده الله بهم ، وقد انقطع ذلك اليوم ،

(١) وهذه الإجابة تدل على فطنة الأعرابى وذكائه حيث أراد أن ينبه الأصمعى - وهو عربى - أن هذا اللفظ لا ينسب للعرب على سبيل الإيجاب وإنما ينسب لهم فى سياق السلب والنفى - وإن ضمن هذا أن اللفظ غير مهموز .

(٢) فى بعض النسخ : " والينمة بقلة من أحرار البقل وذكره " وفى زيادات بعض النسخ : " قال أبو الحسن : الينمة نبت مسترخ على وجه الأرض تأكله الإبل فتكثر عنه ألبانها " .

(٣) فى زيادات بعض النسخ : " قال أبو الحسن : زريت عليه زريا وزراية : إذا عبت عليه أزرى . وأزريت به أزرى إزراء : إذا قصرت به " .

(٤) ديوانه ج ١ / ١٨٥ .

(٥) فسر المؤلف المعبول بقوله : يقول مخبول مودود .

* قال المرصفى : المخبول : ممنوع ، من خبله عن كذا يخبله خبلا أى حبسه ومنعه وليت أبا العباس اكتفى بقوله مردود فى اللغة : عبلته إذا رددته اهـ . من رغبة الأمل ٤ / ٩٥ .

(٦) زاد فى بعض النسخ " والصريح : المغيث " .

(٧) بهامش بعض النسخ : أن مفعولة على تقدير : على أن " .

فالزم بيتك ومسجدك ؛ فإنه لا طاقة لك بقتال العرب ، فقال أبو بكر : أو كلكم رأيه على هذا ؟ فقلنا : نعم ؛ فقال : والله لأن آخر من السماء فتخطفنى الطير أحبُّ إلى من أن يكون هذا رأيي ، ثم صعد المنبر فحمد الله وكبره وصلى على نبيه ﷺ ، ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، أيها الناس إن كثر أعداؤكم ، وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب ^(١) ؟ والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون ، قوله الحق، ووعد الصدق، ﴿لَبِىْ نَقْذِفْ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ^(٢) ، و﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَأْذَنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ^(٣) ، والله أيها الناس لو أفردت من جميعكم لجاهدتهم في الله حق جهاده حتى أبلى بنفسى عذراً أو أقتل قتلاً . والله أيها الناس، لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه، واستعنت عليهم الله وهو خير معين ^(٤) .

قال : ثم نزل فجاهد في الله حق جهاده حتى أذعن العرب بالحق .
قوله : "كم من فئة" فهي الجماعة ، وهي مهموزة ، وتخفيف الهمز في هذا الموضع أن تقلب الهمزة ياءً ، وإن كانت قبلها ضمة وهي مفتوحة قلبتها واواً نحو : جئون ، تقول : جئون ^(٥) .

وقوله : "لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه" على خلاف ما تأوله العامة ، ولقول العامة وجه قد يجوز ، فأما الصحيح فإن المصدق إذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمنها قيل : أخذ عقلاً ، وإذا أخذ الثمن قيل : أخذ نقداً ، قال الشاعر :

(١) اعتمد الصديق (رضي الله عنه) في خطبته على فن المقابلة بدرجة كبيرة ، حيث قابل بين افتراض عبادة الناس لمحمد صلى الله عليه وسلم وبين موته فالألوهية تنافي الموت ، ثم قابل بين عبادة الفاني وعبادة الباقي سبحانه ، ثم قابل بين كثرة أعدائهم وقلة أعدادهم في أسلوب الاستفهام الاستنكاري ، فهو يستنكر أن يكون ذلك سبباً داعياً إلى ترك قتال المرتدين ويؤيد استنكاره ذلك بما ورد في كتاب الله تعالى من أن الغلبة للحق وأهله مهما قلت فتنهم وأعدادهم .

(٢) سورة الأنبياء : ١٨

(٣) سورة البقرة : ٢٤٩

(٤) قصة قتال أبي بكر لأهل الردة ومراجعة عمر إياه أصلها في الصحيحين أخرجها البخاري في "استنابة المرتدين" باب قتل من أبى قبول الفرائض ما نسبوا إلى الردة (٢٨٨/١٢) ، ح ٦٩٢٤ ، ٦٩٢٥ ، ومسلم في الإيمان " ، باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (١٧٠/١) ط . الشعب .

(٥) في زيادات بعض النسخ : "الجونة : الحقة يجعل فيها الحلى" .

أتانا أبو الخطاب يضرب طبله فرد ولم يأخذ عقالا ولا نقدا^(١)

والذى تقوله العامة تأويله : لو منعونى ما يساوى عقالا فضلا عن غيره ، وهذا وجه ، والأول هو الصحيح^(٢) لأنه ليس عليهم عقل يعقل به البعير فيطلبه فيمنعه ، ولكن مجازة فى قول العامة ما ذكرنا . ومن كلام العرب : أتانا بجفنة يقعد عليها ثلاثة ، أى لو قعد

(١) فى زيادات بعض النسخ " كانت الأمراء إذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب الطبول " .

(٢) قال فى النهاية : " وفى حديث أبى بكر " لو منعونى عقالا مما كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه " أراد بالعقال : الحبل الذى يعقل به البعير الذى كان يؤخذ فى الصدقة ؛ لأن على صاحبها التسليم . وإنما يقع القبض بالرباط .
وقيل : أراد ما يساوى عقالا من حقوق الصدقة .

وقيل : إذا أخذ المصدق أعيان الإبل قيل : أخذ عقالا ، وإذا أخذ أثمانها قيل : أخذ نقداً .
وقيل : أراد بالعقال صدقة العام . يقال : أخذ المصدق عقل هذا العام : أى أخذ منهم صدقته .
وبعث فلان على عقل بنى فلان : إذا بعث على صدقاتهم . واختاره أبو عبيد ، وقال هو أشبه عندى بالمعنى .

وقال الخطابى : وإنما يضرب المثل فى مثل هذا بالأقل لا بالأكثر ، وليس بسائر فى لسانهم أن العقال صدقة عام ، وفى أكثر الروايات " لو منعونى عناقاً " وفى أخرى " جدياً " قلت قد جاء قلت : قد جاء فى الحديث ما يدل على القولين .

* فمن الأول حديث عمر " أنه كان يأخذ مع كل فريضة عقالا ورواء ، فإذا جاءت إلى المدينة باعها ثم تصدق بها " .

* وحديث محمد بن مسلمة " أنه كان يعمل على الصدقة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يأمر الرجل إذا جاء بفريضتين أن يأتى بعقاليهما وقرانيهما " .

* ومن الثانى حديث عمر " أنه أحر الصدقة عام الرمادة ، فلما أحيا الناس بعث عامله فقال : اعقل عنهم عقالين فاقسم فيهم عقالا وأتنى بالآخر " يريد صدقة عامين .

* وفى حديث معاوية " أنه استعمل ابن أخيه عمرو بن عتبة بن أبى سفيان على صدقات كلب ، فاعتدى عليهم ، فقال ابن العداء الكلبي :

سعى عقالا فلم يترك لنا سبداً فكيف لو سعى عمرو عقالين
نصب عقالا على الظرف ، أراد مدة عقال .

عليها ثلاثة لصلح .

وكان ارتداد من ارتد من العرب أن قالوا : نقيم الصلاة ولا نؤتي الزكاة ، فمن ذلك قول الخطيئة^(١):

ألا كل أرماح قصار أذلة	فداء لأرماح نصبن ^(٢) على الغمر
فباست بنى عبس وأستاه طيئ ^(٣)	وباست بنى دودان حاشا بنى نصر
أبوا غير ضرب يجثم الهام وقعه	وطعن كأفواه المزقة الحممر ^(٤)
أطعنا رسول الله إذ كان حاضراً ^(٥)	فيا لهفتا ما بال دين أبى بكر
أبورثها بكراً إذا مات بعده	فتلك وبيت الله قاصمة الظهر ^(٦)
فقوموا ولا تعطوا اللثام مقادة الجمر	وقوموا ولو ^(٧) كان القيام على الجمر ^(٨)
فدى لبنى نصر طريفي وتالدى ^(٩)	عشية ذادوا بالرماح أبا بكر ^(١٠)

(١) قال الشيخ المصنفى : " هذا الشعر رواه أبو العباس كلمة واحدة قالها الخطيئة فى وقعة واحدة فحصل فيها اضطراب ... والصواب ما رواه غيره أنه كلمتان أولاهما قالها عشية أبى بكر وهى برواية أبى عمرو :

فدى لبنى ذبيان أُمى وخالتى عشية يحدى بالرماح أبو بكر

بعده : أطعنا رسول الله _ الأبيات . وثانيتها قالها أيام خالد بن الوليد وقد حارب بنى عبس وطيئ وبنى دودان بن أسد حتى أدوا الزكاة ولذلك غيرهم بقوله : فباست بنى عبس إلخ

(٢) فى بعض النسخ : ركزن .

(٣) فى بعض النسخ : وأفناء طيئ

(٤) " المزقة المطلية بالزفت وهو القطران يعنى الإبل وهو أشبه بكلام العرب ومعناه ، وقيل الزقاق " .

وهذا التعليق من قول أبى الحسن الآتى بعد قليل .

(٥) فى بعض النسخ : إذ كان بيننا .

(٦) جاء هذا البيت فى آخر هذه الكلمة بعد قوله فدى لبنى نصر .

(٧) فى بعض النسخ : وإن .

(٨) لم يرد هذا البيت والذى يليه فى بعض نسخ الكامل .

(٩) الطريف : هو الحديث ، والتد : القديم الأصيل .

(١٠) بعده فى زيادات بعض النسخ : " قوله زادوا بالرماح أبا بكر ، كذب ، إنما أخرجوا الإبل -

قوله : " يجثم الهام وقعه " ، إنما هو مثل^(١) ، يقال : جثم الطائر ، كما يقال برك
الجمال ، وربض العير [قال أبو الحسن : المزفة الحمر قيل فيه قولان : أحدهما أن
المزفة المطلية بالزفت - وهو القطران - يعنى الإبل ، وهذا أشبه بكلام العرب
ومعناها ؛ والآخر : الزقاق]



=فقعقعوها بالشنان فنفرت وفرت =.

(١) قوله : (إنما هو مثل) كثيرا ما يعبر المبرد رحمه الله (بالمثل) عما كان فيه تشبيه أو استعارة أو
نحو ذلك ، وقد سبق مثل ذلك كثيرا في كلامه ، والدليل عليه ما بعده ، فهو يقول : " إنما هو مثل ،
يقال : جثم الطائر ، كما يقال برك الجمال ، وربض العير " فهو يدل على أن قوله (يجثم الهام وقعه)
إنما هو من قبيل الاستعارة حيث شبه الهام بالطيور ، واستعار لها صفة من صفاتها وهى (الجنوم) .

وكان قيسُ بنُ عاصم بن سنان بن خالد بن مِنقرٍ ^(١) عاملاً على صدقات بني سعدٍ
فقسم ما كان في يده ^(٢) وقال :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي قُرَيْشًا رِسَالَةً إِذَا مَا أَتَتْهَا مُحْكَمَاتُ الْوَدَائِعِ
حَبَوْتُ بِمَا صَدَّقْتُ فِي الْعَامِ مَنَقَرًا وَأَيَّاسْتُ مِنْهَا كُلَّ أَطْلَسَ طَامِعٍ ^(٣)

قوله : " فأجمع رأينا كلنا أصحاب محمد " ، فإنما خفضَ كُلٌّ على أنه تأكيد
لأسمائهم المضمرة ، والظاهرُ لا يكون بدلاً ^(٤) من المضمَر الذي يَعْنِي به المتكلم نفسه ،

(١) قال المِرْصَفِيُّ : هذا الشعر رواه أبو العباس كلمة واحدة قالها الخطيئة في وقعة واحدة فحصل
فيها إضراب سيتين لك . والصواب ما رواه غيره أنه كلمتان أوليهما قالها عشية أبى بكر وهى
برواية أبى عمرو .

فدى لبنى ذبيان أُمى وخالتى عشية يخذى بالرماح أبو بكر

وبعده . أطعنا رسول الله ... الأبيات . وثانيتها قالها أيام خالد بن الوليد وقد حارب بني عبس
وطيئ وبني دودان بن أسد . حتى أدوا الزكاة ولذلك عيرهم بقوله : فباست بنى عبس إلخ ، ولم
يصبر على الارتداد فى محاربه سوى بنى نصر بن قعين " بالتصغير " ابن الحرث بن ثعلبة بن دودان
ابن أسد وأولها : ألا كل أرماح قصار أذلة . إلى قوله : كأفواه المزفة الحمر . رغبة الآمل ٩٨/٤
(٢) يروى أن الزبرقان بن بدر دس إليه من زين له المنع لما فى يده وقال له : إن النبى صلى الله عليه
وسلم الله عليه وسلم قد توفى فهلُم نجمع هذه الصدقة ونجعلها فى قومنا فإن استقام الأمر لأبى بكر
وأدت العرب إليه الزكاة جمعنا له الثانية فرق قيس الإبل فى قومه وانطلق الزبرقان إلى أبى بكر
بسبعمائة بعير فأداها إليه وقال فى ذلك :

وفيت بأذواد النبى محمد وكنت امرأ لا أفسد الدين بالغدر

ففرق قيس ما ماله بن الزبرقان ، فقال : لو عاهد الزبرقان أمه لغدر بها رغبة الآمل ١٠٠/٤ .

(٣) البيتان من الطويل ، وهما لقيس بن عاصم فى تاريخ الطبرى (٢/٢٦٨، ٢٨٧)، والأغاني
(٧٦/١٤) والبيت الأول فى الأغاني هكذا :

ألا أبلغا عنى قريشاً رسالة إذا ما أتتهم مهديات الودائع

والبيتان فى تاريخ الطبرى هكذا :

ألا أبلغا عنى قريشاً رسالة إذا ما أتتها بينات الودائع

حبوت بها فى الدهر أعراض منقر إذا ما أتتهم بينات الودائع

(٤) فى بعض النسخ : والظاهرة لا تكون بدلاً .

أو يَعْنِي بِهِ الْمُخَاطَبَ ، لا يجوز أن تقول : مررتُ بِي زَيْدٍ ، لأن هذه الياءَ لا يَشْرُكُهَا فيها شريكٌ فيحتاجُ^(١) إلى التبيين ، وكذلك لا يجوز : ضربتُكَ زَيْدًا ؛ لأن المخاطبَ منفردٌ بهذه الكاف ؛ فأما الهاءُ نحو : مررتُ به عبدُ الله فيجوز لأننا نحتاج إلى أن يُعرِّفَنَا مُبَيَّنًا مَنْ صاحبُ الهاءِ ؛ لأنها ليست للذي يخاطبُه فلا ينكرُ نفسه ، وإنما يُحَدِّثُ به عن غائبٍ فَيَحْتَاجُ إلى البيان .

وقوله : " أصحاب محمد " اختصاصٌ ، ينتصب بفعل مضمر ، وهو أعني ، لِيُبَيِّنَ مَنْ هَؤُلَاءِ الجماعةُ ، كما يُنْشَدُ :^(٢)

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ^(٣)

أراد: نحن أصحاب الجمل ، ثم يَبَيِّنَ مَنْ هُمْ ، لأن هذا قد كان يقع على مَنْ دُونِ بَنِي ضَبَّةَ معه ، وعلى من فوقها إلى مُضَرٍّ ونزار ومَعَدٍّ وَمَنْ بعدهم ؛ وكذلك: نحن العربُ أَقْرَى الناسِ لِضَيْفٍ^(٤) ، ونحن الصَّعَالِيكُ لا طاقة بنا على المروءة ، وَيُخْتَارُ في هذا الشعر: ^(٥)

إِنَّا بَنِي مَنَقَرٍ قَوْمٌ ذَوُو حَسَبٍ فِينَا سَرَاةٌ بَنِي سَعْدِ وَنَادِيهَا^(٦)

وقليلُ هذا يدلُّ على جميع هذا الباب .

(١) ضبطت في بعض النسخ بالرفع وبعضها بالنصب وبعضها بكليهما .

(٢) سبق البيت قيل هو للحرث الضبي أو لو سيم بن عمرو الضبي وبعد هذا الشطر

نبارز القرن إذا القرن نزل نبغي ابن عفان بأطراف الأسل

الموت أحلى عندنا من العسل ردوا علينا شيخنا ثم بجل

(٣) البيت من أبيات للأعرج المعنى كما في ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ٢٨٩ ، وبشرح التبريزي

١ / ١٥٤ ، وقال التبريزي : وقيل الصحيح : إنها لعمر بن يثرب ، وقيل لرجل من ضبة اسمه الحارث . انظر العقد الفريد ٤ / ٣٢٧ .

(٤) في بعض النسخ للضيف

(٥) في بعض النسخ : " هو لعمر بن الأهمم المنقري " . وقد سبق البيت

(٦) البيت من البسيط وهو لعمر بن الأهمم ، وهو من كلمة له أوردها ابن الشجري في حماسه

١ / ٨٨ ، والمرصفي في رغبة الآمل ٢ / ٦٨-٦٩ . وهو من شواهد الكتاب ١ / ٣٢٧ ، والدرر ٣ / ١٣ وبلا نسبة في خزنة الأدب ٨ / ٣٠٦ ، وجمع الهوامع ١ / ١٧١ ، وشرح أبيات سيويه ٢ / ٢٠ .

باب

قال أبو العباس : هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين^(١) حكيمة مستحسنة يحتاج إليها للتمثيل ، لأنها أشكل بالدهر^(٢) ، ويُستعار من ألفاظها في المخاطبات والخطب والكتب .

قال عبد الصمد بن المعدل^(٣) :

تُكَلِّفُنِي^(٤) إِذْلالَ نَفْسِي لِعِزِّهَا وهانَ عليها أنْ أهانَ لِتُكْرَمَا^(٥)
تَقُولُ سَلِ الْمَعْرُوفَ يَحْيَى بَنَ أَكْثَمِ فقلتُ سَلِيهِ رَبِّ يَحْيَى بَنِ أَكْثَمَا^(٦)

(١) المولدون هم الذين نشئوا بين العرب ، وتعلموا لغتهم وليسوا منهم ، ولكنهم تكلموا بكلامهم ، وتأدبوا بأدبهم ، جاء في اللسان ٠ ولد) "وجاريه مولدة : تولدين العرب وتنشأ مع أولادهم ويفذونها غذاء الولد ويعلمونا من الأدب مثل ما يعلمون أولادهم ، كذلك المولد من العبيد ، وإن سمي المولد من الكلام مولداً إذا استحدثوه ولم يكن من كلامهم فيما مضى "لسان العرب مادة (ولد) " (٢) قوله لأنها أشكل بالدهر ... فيه إشارة لطيفة إلى أن الأدب من شعر ونثر وخطابة ... إلخ لا بد أن يكون له وظيفة وتأثير في الواقع المعيش والبيئة المحيطة بل إن الأدب بأنواعه جيده ورديثة ما هو إلا أحد إفرازات هذا الواقع وهذه البيئة .

(٣) عبد الصمد بن المعدل - بتشديد الدال المفتوحة - ابن غيلان بن الحكم - من بني أسد بن ربيعة ابن نزار يكنى بأبي القاسم ، شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية ، وكان خبيث اللسان شديد العارضة . اهـ . من رغبة الأمل ١٠٢ / ٤ - ١٠٣

(٤) قال المصنفى : " تكلفني إلخ " يروى أنه كان يغشى مجلس القاضي يحيى بن أكثم وكان يجد أحياناً في الوصول إليه مشقة ومذلة فانقطع عن زيارته فلامته امرأته ؛ فقال هذين البيتين . أ. هـ من رغبة الأمل ١٠٣ / ٤

(٥) البيتان في زهر الآداب ٦٥٤ .

(٦) بعده في زيادات بعض النسخ : " بالثناء المثلثة لا غير ، وكذلك أكثم بن صيفي . ويقال : إن يحيى بن أكثم من ولد أكثم بن صيفي " .

وقال بشارُ بن بُرْدٍ يذكرُ عبِيدَ الله بنَ قَزَعَةَ ، وهو أبو المغيرة أخو الملوِيّ المتكلم ، قال المازنيُّ : لم أرَ أعلمَ من الملوِيّ بالكلام ، وكان من أصحاب إبراهيم النّظام^(١) :

خَلِيلِي مِنْ كَغِبٍ أَعِينَا أَخَاكُمَا عَلَى دَهْرِهِ إِنَّ الْكَرِيمَ مُعِينُ^(٢)
وَلَا تَبْخَلَا بُخْلَ ابْنِ قَزَعَةَ إِنَّهُ مَخَافَةَ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينُ
كَأَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ لَمْ يَلْقَ مَا جَدَا وَلَمْ يَذَرِ أَنَّ الْمَكْرُمَاتِ تَكُونُ
فَقُلْ لِأَبِي يَحْيَى مَتَى تُدْرِكُ الْعُلَى وَفِي كُلِّ مَعْرُوفٍ عَلَيْكَ يَمِينُ
إِذَا جِئْتَهُ فِي حَاجَةٍ سَدَّ بَابَهُ فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَمِينُ

نظيرُ قوله :

وفي كل معروف عليك يمين

قولُ جرير^(٣) :

وَلَا خَيْرَ فِي مَالٍ عَلَيْهِ أَلِيَّةٌ^(٤) وَلَا فِي يَمِينٍ عُقْدَتُ بِالْمَأْثِمِ^(٥)

(١) إبراهيم النّظام : هو إبراهيم بن سيار النّظام كان من شياطين القدرية طالع كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة وله مقالة انفرد بها وتبعه أناس تسمى بالنظامية اهـ . رغبة الأمل ١٠٣/٤ .
(٢) بعضها في الشعر والشعراء ٧٥٩ ، وعيون الأخبار ٨٨/١ - ٨٩ ، وزهر الآداب ١٠١٦ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ٢٦ ، وانظر اللآلئ ٢٢٥ .
(٣) تذييل ديوانه ٩٩٣/٢ عن النقائض ٧٥٣ ، ورواية عجزه .

ولا في يمين غير ذات مخارم

(٤) الألية : اليمين وفي اللسان (ألا) : " (ينقل ١١٧/١)

(٥) البيت من الطويل ، وهو لجرير في ديوانه ص ٩٩٣ ، ولسان العرب (طلع) وتهذيب اللغة ١٧٢/٢ ، وتاج العروس (طلع) ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ١٧٤ / ٢ ، وأساس البلاغة (خرم) . ورواية عجزه :

ولا في يمين غير ذات مخارم

ويروى صدره بلفظ : (ولا خير في مال بغير رزية) كما في الأساس .

وقال إسماعيلُ بن القاسم :

أَطِيعِ اللَّهَ بِجَهَنَّمَ دُونَكَ
عَامِدًا أَوْ دُونَ جَهَنَّمَ دُونَكَ
أَغْطِ مَوْلَاكَ كَمَا تَطْطُ
لَبُّ مَنْ طَاعَةَ عَبْدِكَ

وقال محمود (١):

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ
هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأُطْفِئَتْهُ
إِنَّ الْمَحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ (٢)

وقال أيضًا :

إِنِّي شَكَرْتُ لِظَالِمِي ظُلْمِي
وَرَأَيْتُهُ أَسْدَى إِلَيَّ يَدًا
رَجَعْتَ إِسَاءَتُهُ عَلَيْهِ وَإِخْمُ
وَعَدَتُ ذَا أَجْرٍ وَمَحْمَدَةٍ
فَكَأَنَّمَا الْإِحْسَانُ كَانَ لَهُ
وَأَنَا الْمُسِيءُ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ
مَا زَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمُهُ
حَتَّى بَكَيْتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ (٣)

(١) زاد في بعض النسخ: "الوراق" (هو محمود) بن حسن الوراق من فضلاء الأدباء أكثر شعره في

المواعظ والحكم مات في عهد المعتصم . رغبة الآمل ٤ / ١٠٤ .

(٢) البيتان في زهر الآداب ٩٨ .

البيت الأول فيه مقابلة بديعة بين المعصية وإظهار المحبة ، وهي تظهر التناقض الواضح بين الحالين لأن ادعاء المحبة برهان صدق الطاعة والولاء التام .

أما البيت الثاني فهو من الكلام الجامع ، وشطره الثاني يجري مجرى المثل .

(٣) الأبيات من الكامل ، ولم أجد إلا البيتين الأول والأخير في الأغاني (١٥٢/١٨) ، وفيها (رثيت) بدلاً من (بكيت) ونسبها لمساور الوراق لا لمحمود الوراق .

الأبيات من الكلام الجامع ، قال الطيبي في تعريفه : " هو أن يجلي المتكلم كلامه بشيء من الحكمة والموعظة ، وشكاية الزمان والإخوان " .

التيان ٣٨٤/٢ بتحقيقي ، والطبي قد عرفه بذكر أنواعه ، وإنما يرجع حده إلى استيعاب المعنى مع إيجاز اللفظ .

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ رَجُلٍ مِنْ قَرِيصٍ لِرَجُلٍ قَالَ لَهُ : إِنِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ مِنْ قَرِيصٍ مِنْ آلِ الزُّبَيْرِ أَوْ غَيْرِهِمْ يَشْتُمُونَكَ شَتْمًا رَجِمْتُكَ مِنْهُ ، قَالَ : أَفَسَمِعْتَنِي أَقُولُ إِلَّا خَيْرًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : إِيَّاهُمْ فَأَرْحَمَ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَحِمَهُ اللَّهُ لِرَجُلٍ قَالَ لَهُ : لِأَشْتِمَنَّكَ شَتْمًا يَدْخُلُ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ ، قَالَ : مَعَكَ وَاللَّهِ يَدْخُلُ لَا مَعِيَ !!

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : إِنَّ الرِّجْلَ لِيُظْلِمَنِي فَأَرْحَمُهُ ^(١) .

وَقَالَ رَجُلٌ لِلشَّعْبِيِّ كَلَامًا أَقْدَعَ لَهُ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ الشَّعْبِيُّ : إِنَّ كُنْتَ صَادِقًا فَغَفَّرَ اللَّهُ لِي ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَغَفَّرَ اللَّهُ لَكَ ^(٢) .

وَيُرْوَى أَنَّهُ أَتَى مَسْجِدًا فَصَادَفَ فِيهِ قَوْمًا يَغْتَابُونَهُ فَأَخَذَ بَعْضَادَتِي الْبَابَ ، ثُمَّ قَالَ :

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَاوِرٍ لِعَزَّةٍ مِنْ أَغْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ ^(٣)

وَذَكَرَ ابْنُ غَائِشَةَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ قَالَ : دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ فَرَأَيْتُ رَجُلًا رَاكِبًا عَلَى بَغْلَةٍ لَمْ أَرْ أَحْسَنَ وَجْهًا وَلَا سَمْتًا وَلَا ثَوْبًا وَلَا دَابَّةً مِنْهُ ، فَمَالَ قَلْبِي إِلَيْهِ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي : هَذَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَامْتَلَأَ قَلْبِي لَهُ بُغْضًا ، وَحَسَدْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ ابْنٌ مِثْلُهُ ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَأَنْتَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ؟ فَقَالَ أَنَا ابْنُ أَبِيهِ ، فَقُلْتُ : فَبِكَ وَبِأَبِيكَ أُسَبِّهُمَا ، فَلَمَّا انْقَضَى كَلَامِي قَالَ لِي : أَحْسِبُكَ غَرِيبًا ،

(١) زاد في بعض النسخ : " وروى عن بعض الصالحين أنه قال : لا يكون عليك ظلم من ظلمك فإنما سعى في نفعك وضره "

(٢) كلام الشعبي من التقسيم الذي يرجع حسنه إلى استيفاء أقسام الشيء بالذكر (البيان ٢ / ٤٥٠) فهو كلام جامع يدخل في باب (الجمع مع التقسيم) : (التبيان ٢ / ٤٤٥) .

(٣) البيت من الطويل وهو لكثير عزة في ديوانه ص ١٠٠ ، وكتاب العين ٤ / ٢٦٣ ، ومقاييس اللغة ٢ / ٢١٦ ، والأغاني ٩ / ٣٨ ، وأمالى القالى ٢ / ١٠٩ ، وتزيين الأسواق ١ / ١٢٢ ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٧ / ٣٧٦ . وهو يتمثل بقول كثير عزة وقد تقدمت قصيدته ، بعضا دتى الباب هما الخشبستان المنصوبتان عن يمين الداخل وشماله . اهـ بتصرف من رغبة الأمل ٤ / ١٠٥ .

قلت : أَجَلٌ ، قال : فَمِلْ بِنَا ، فَإِنْ احْتَجَجْتَ إِلَى مَنْزِلِ أَنْزَلْنَاكَ ، أَوْ إِلَى مَالِ آسَيْنَاكَ ، أَوْ إِلَى حَاجَةِ عَاوُنَاكَ ، قَالَ فَانصَرَفْتُ عَنْهُ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ ^(١) أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ .

وقال محمود الوراق :

يَا نَاطِرًا يَرُنُو بَعِينِي رَاقِدٍ وَمُشَاهِدًا لِلْأَمْرِ غَيْرَ مُشَاهِدٍ ^(٢)
مَنِيَتْ نَفْسَكَ ضَلَّةً وَأَبْحَثَهَا طَرُقَ الرَّجَاءِ وَهَنْ غَيْرُ قَوَاصِدٍ
تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي دَرَكَ الْجَنَانِ بِهَا وَقَوَزَ الْعَابِدِ
وَنَسِيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمًا مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ^(٣)

* * *

(١) فى بعض النسخ : فانصرفت عنه ووالله ما على الأرض . وفى بعضها : على وجه الأرض .
(٢) فى البيت أسلوب الطباق بقسميه فى الشطر الأول قوله : يرنو بعينى راقدا وهو طباق خفى وفى الشطر الثانى ومشاهداً للأمر غير مشاهد وهو ما يسمى بطباق السلب ومثله فى القرآن قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوْنِي ﴾ ﴿ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾
(٣) زاد بعده فى بعض النسخ : " قال أبو العباس : أخذ هذا المعنى من خبر عمر بن عبد العزيز حيث قال للقاسم بن محمد بن أبى بكر ومحمد بن كعب القرظي : عظامى ، فقال محمد : استيقن أنك أول خليفة يموت ، وقال القاسم : أبونا آدم أخرج من الجنة إلى الدنيا بذنب واحد " .
هذه الأبيات كسابقتها التى يقول فيها : (تعصى الإله وأنت تظهر حبه) وهو يعتمد فيها كسابقتها على فن المقابلة الذى يظهر المفارقات ، ويميز المعانى المتضادة (وهو أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر ، وبين ضديهما ، ثم إذا شرطت هنا شرطاً شرطت هناك ضده " التبيان ٢ / ٣٩٧ ويبدو أن الفن سمة من السمات الأسلوبية لهذا الشاعر يعتمد عليه لإبراز المفارقة الواضحة فى السلوك الإنسانى تجاه خالقه ، فمن تلك المقابلات جمعه بين النظرة والرقدة ، والمشاهدة والغفلة ، والرجاء مع الجور ، والتمادى فى العصيان مع الطمع فى الجنان ، إلخ .

وقال الحكمي ^(١) للفضل بن الربيع ^(٢):

مَا مِنْ يَدٍ فِي النَّاسِ وَاحِدَةٍ كَيْدِ أَبُو الْعَبَّاسِ مَوْلَاهَا
نَامَ الْكِرَامُ عَلَى مَضَاجِعِهِمْ وَسَرَى إِلَى نَفْسِي فَأَحْيَاهَا
قَدْ كُنْتُ خِفْتُكَ ثُمَّ آمَنِي مِنْ أَنْ أَخَافَكَ خَوْفَكَ اللَّهُ
فَعَفَوْتَ عَنِّي عَفْوَ مُقْتَدِرٍ حَلَّتْ لَهُ نِقَمٌ فَأَلْغَاهَا ^(٣)

وقال عبد الله بن محمد بن أبي عُبَيْنَةَ لذي اليمِينِ : ^(٤)

لَمَّا رَأَيْتُكَ قَاعِدًا مُسْتَقْلًا ^(٥) أَتَقَنْتُ أَنَّكَ لِلْهُمُومِ قَرِينُ
فَارْفُضْ بِهَا وَتَعَرَّ مِنْ أَثْوَابِهَا إِنْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْقَضَاءِ يَقِينُ
مَا لَا يَكُونُ فَلَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ أَبَدًا وَمَا هُوَ كَائِنٌ سَيَكُونُ
يَسْعَى الدُّكْيُ فَلَا يَنَالُ بِسَعْيِهِ حَظًّا وَيَحْظَى عَاجِزٌ وَمَهِينُ
سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي وَقْتِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ مُتَعَبٌ مَحْزُونُ

(١) بعده فى زيادات : " هو أبو نواس الحسن بن هانئ ، وهو منسوب إلى حكم قبيلة من مذحج " .
والأبيات فى ديوانه ص ٤٥٩ .

(٢) الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبى فروة ، واسمه كيسان مولى الإمام عثمان
رضى الله عنه استوزره الرشيد بعد نكبة البرامكة والأمين ابنه بعده اهـ . عن رغبة الأمل ١٠٦ / ٤
(٣) الحكمى هو أبو نواس الحسن بن هانئ ، وهو منسوب إلى حكم قبيلة من مذحج " . والأبيات فى
ديوانه ص ٤٥٩ .

(٤) (بده فى زيادات بعض النسخ : سمي ذا اليمينين لأنه ضرب إنساناً فجعله قسمين .
" التفت ابن الأثير إلى براعة أبى نواس فى التعبير بصيغة اسم الفاعل (مقتدر) بدلا من (قادر)
وذلك فى حديثه عن (قوة اللفظ لقوة المعنى) حيث قال : " ومما ينتظم بهذا السلك
و ذو اليمينين هو طاهر بن الحسن بن رزيق ، ورزيق مولى طلحة الطلحات الخزاعى وكان طاهر من
أكبر أعوان المأمون ، ويحكى عنه فى سبب التسمية بذي اليمينين أنه ضرب إنساناً ييساره فجعله
قسمين اهـ . من رغبة الأمل ١٠٧ / ٤ .

(٥) فى بعض النسخ مستقبلاً .

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ فُرْقَةَ بَيْنِنَا فِيمَا أَرَى شَيْءٌ عَلَيَّ يَهُونُ^(١)
وقال صالحُ بنُ عبد القدوس^(٢) :
إِنْ يَكُنْ مَا بِهِ أَصِibtُ جَلِيلاً فَذَهَابُ الْعَزَاءِ فِيهِ أَجَلُ
كُلُّ آتٍ لَا شَكَّ آتٍ^(٣) وَذُو الْجَهْدِ لِي مُعْنَى وَالْغَمُّ وَالْحُزْنُ فَضْلُ
وأنشدني مُنْشِدٌ من الأبيات المنفردة القائمة بأنفسها^(٤) :
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَغْضِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى إِلَى بَغْضٍ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ
ومنها قولُ ابنِ وهيبٍ^(٥) :
وَإِنِّي لِأَرْجُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنَّمَا^(٦) أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللَّهُ صَانِعُ

وقال آخر :

- (١) الأبيات من الكامل ، ولم أجد إلا ثلاثة أبيات منها فى الأغاني (١٠٤/٢٠) لابن أبى عيينة أو غيره ، مع اختلاف فى ترتيبها عن التى ذكرها المبرد ، وهى على النحو التالى :
- مَالَا يَكُونُ فَلَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ أَبَدًا وَمَاهُو كَائِنٌ فَيَكُونُ
سَيَكُونُ مَاهُو كَائِنٌ فِي وَقْتِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ مَتَعِبٌ مَحْزُونُ
يَسْعَى الْقَوَى فَلَا يَنَالُ بِسَعْيِهِ حِطًّا وَيَحْطَى عَاجِزٌ وَمُهِينُ
- (٢) بعده فى زيادات بعض النسخ : صلبه عبد الملك بن مروان على الزندقة ، أعنى صالحاً .
- قال الشيخ المرفضى : " هذا غلط بين ، وإنما الذى علقه ببغداد بعدما ضربه بالسيف فقدّه نصفين أمير المؤمنين المهدي وكان مولعاً بقتل الزنادقة رحمه الله تعالى " رغبة الآمل ١٠٧/٤ .
- (٣) فى الأبيات حث على التسليم للمشيشة الإلهية والإيمان بالقدر خيره وشره .
- وفى قول الشاعر : ما لا يكون فلا يكون ... وماهو كائن فسيكون . فيه من ألوان البديع . التكرير والمشاكلة أو ما يسمى بالاتحاد : وهو إعادة اللفظ الواحد مرتين فصاعداً ، فإذا كانت الألفاظ متحدة لفظاً ومعنى فهو البناء _ كما فى البيت _ وإن كان فى اللفظ دون المعنى فهو الجناس .
- (٤) بعده فى زيادات بعض النسخ "هشام بن عبد الملك" . والبيت أنشده فى الفاضل ١٢٣ قال : ويروى هشام بن عبد الملك ولم يقل غيره : إذا أنت لم تعص البيت .
- (٥) ترجمة محمد بن وهيب فى الأغاني ٧٤/١٩ .
- (٦) فى بعض النسخ : كأنتى .

وَيَعْرِفُ وَجْهَ الْحَزْمِ حَتَّى كَأَنَّمَا
تُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَوَاقِبُهُ^(١)
وقال أَشْجَعُ السُّلَمِيِّ :

رَأَيْ سَرَى وَعَيُونُ النَّاسِ رَاقِدَةٌ
مَا آخَرَ الْحَزْمَ رَأَيْ قَدَّمَ الْحَذَرَ
وقال آخر :

فَلِلَّهِ مِنِّي جَانِبٌ لَا أَضِيعُهُ
وَلِلَّهِ مِنِّي جَانِبٌ^(٢)
وقال آخر :

فَلَوْ غَابَ نَفْسِي غَيْرُ نَفْسِي لَسُوَّتُهُ
فَكَيْفَ وَنَفْسِي قَدْ أَتَتْ مَا يَعِيبُهَا
وقال آخر :

يَرَى فَلَتَاتِ الرَّأْيِ وَالرَّأْيُ مُقْبِلٌ
كَأَنَّ لَهُ فِي الْيَوْمِ عَيْنًا عَلَى غَدٍ^(٣)
وقال عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمَعْدَلِ :

أُمْنٌ عَلَى الْمُجْتَنِّي
وَمَا أَتْبَعُ الْمَنْ مَن
كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ مَا أَتَى
وَمَا قَدْ مَضَى لَمْ يَكُنْ

(١) في البيت استعارة مكنية بديعة شخصت العواقب وجعلتها أشخاصا تنبئ الحازم بما سيكون ، فيقدم في أمره على ثقة ويقين

(٢) قال ابن السيد : هو للخنس بن شهاب وقبلة في المفضليات ص ٢٠٤

فأدبت عني ما استعرت من الصبا وللمال مني اليوم راع وكاسب .

البيت فيه حسن الجمع والتقسيم حيث بين حظي الدنيا والآخرة وأعاد على كل مايناسبه .

(٣) هذا البيت والبيت السابق (ويعرف وجه الحزم ..) قد أخذ أحدهما من الآخر ، غير أن الأول أرق وأبدع لروعة الاستعارة والتشخيص فيه ، فقد جعل العواقب تخاطبه ، وهذا يصور المعنى في النفس ويقرره بطريق التمثيل والتشخيص بخلاف الاستعارة التصريحية في بيت الآخر (عينا) إذ ليس فيها ذلك التصوير والتمثيل

أَرَى النَّاسَ أَخَذُوا ثَوْبَهُ فَكُونِي ^(١) حَدِيثًا حَسَنًا

وقال أيضاً :

زَعَمْتُ عَادِلِي أَنِّي لِمَا
كَلَّفْتَنِي عِذْرَةَ الْبَاخِلِ ^(٢) إِذْ ^(٣)
لَيْسَ لِي عُذْرٌ وَعِنْدِي بُلْغَةٌ

وقال الحسن بن هانئ الحكيم :

إِلَيْكَ غَدَتُ بِي حَاجَةً لَمْ أَبْحِ بِهَا
فَأَلْقِ ^(٤) عَلَيْهَا سِتْرَ مَعْرُوفِكَ الَّذِي
سَتَرْتُ بِهِ قَدَمًا عَلَيَّ عَوَارِي ^(٥)

وقال ^(٦) أيضاً :

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مُعْتَذِرًا
أَنْتَ امْرُؤٌ جَلَّلْتَنِي نِعْمًا
فَإِلَيْكَ بَعْدَ الْيَوْمِ تَقْدِيمَةٌ ^(٨)
مِنْ ضَعْفٍ شُكْرِيهِ وَمُعْتَرِفًا
أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفًا ^(٧)
لَا قُتْلَكَ بِالتَّصْرِيحِ مُنْكَشَفًا

(١) فى بعض النسخ : فكونوا .

(٢) (عذرة الباخل) " بكسر العين " الاسم من الاعتذار وهو ما يخرج به من الذنب

(٣) فى بعض النسخ : إن .

(٤) فى بعض النسخ : فأرخ ، وكذا فى الديوان .

(٥) ديوانه ص ٤٣٦ .

(٦) ديوانه ص : ٤٣٣ ، والثانى والرابع فى الفاضل ٩٨ .

(٧) فى قوله جللتنى نعماً أوهت .. إلخ استعارة تمثيلية رائعة حيث صور النعم فى صورة الشيء الحسى كأنه جرم ثقيل يوهن القوى ، ويضعف الأبدان ، وكذا صور الشكر فى صورة الشخص أو الجسد الذى ناء بحمل تلك النعم .

(٨) ضبطت فى نسخة : " مقدمة " وكتب فوقها " معاً " . وفى نسخة ومتن نسخة : بعد الله .

لا تُخَدِّثْنِ إِلَيَّ عَارِفَةً
 وقال دِعْبِلُ^(٢) بن علي الخزاعي^(٣):
 أَحْبَبْتُ قَوْمِي وَلَمْ أَغْدِلْ بِحُبِّهِمْ
 دَغْنِي أَصِلْ رَحِمِي إِنْ كُنْتَ قَاطِعَهَا
 فَاحْفَظْ عَشِيرَتَكَ الْأَذْنِينَ إِنْ لَهُمْ
 قَوْمِي بَنُو مَذْحِجٍ وَالْأَزْدُ إِخْوَتُهُمْ
 ثُبْتُ الْحُلُومِ فَإِنْ سُلْتُ حَفَايِظُهُمْ
 لَا تَعْرِضَنَّ بِمَرْحٍ لِأَمْرِيءِ طَبَنِ
 فَرُبَّ قَافِيَةٍ بِالْمَرْحِ جَارِيَةٍ
 إِنِّي إِذَا قُلْتُ بَيْتًا مَاتَ قَائِلُهُ^(٥)
 حَتَّى^(١) أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا

(١): "حسبي"

(٢) ديوانه ص ٤٦-٤٨

(٣) دِعْبِلُ بكسر الدال والباء ، واسمه محمد وكنيته أبو جعفر (ابن علي) بن رزين _ بالتصغير _ ابن سليمان الخزاعي وهو شاعر مطبوع خبيث لم يسلم منه خليفة ولا وزير ولا ذو نباهة أحسن إليه أو لم يحسن إليه .

والبهت : الكذب والافتراء ، والمرة : لغة في المرأة ، وسلت : من السل وهو انتزاع الشيء وإخراجه في رفق ، يقول : أخرجت حقاظهم _ غضبهم _ بانتهاك حرمة أو ظلم جار أو نكث عهد والعنت الفساد والمشقة . أ. هـ عن رغبة الأمل بتصرف ١١٠ / ٤

(٤) في اللسان : المرء : الإنسان .. وقد أنثوا فقالوا : امرأة ، وخففوا التخفيف القياسي فقالوا : (مرة) بترك الهمزة وفتح الراء ، وهذا مطرد وقال ابن الأنباري : الألف في امرأة وامرئ ألف وصل . قال : وللعرب في المرأة ثلاث لغات ، يقال : هي امرأته ، وهي مرأته ، وهي مرتة . "اللسان (مرأ) ٢ في اللسان (طبن) ٢٦٤٠ / ٤ .

(٥) قوله : إني إذا قلت بيتاً مات قائله .. فيه التفات من حال التكلم (قلت) إلى حال الغيبة مات قائله ودلالة هذا الالتفات أن موت القائل ليس خاصاً بالشاعر وحده ، بل هي قضية عامة لكل الشعراء يموت القائل والسامع ويبقى القول والمعنى .

وقال أيضاً:

نَعُونِي وَلَمَّا يَنْعِنِي غَيْرُ شَامِتٍ وَغَيْرُ عَدُوٍّ قَدْ أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ
يَقُولُونَ إِنَّ ذَاكَ الرَّدَى مَاتَ شِعْرُهُ وَهَيْهَاتَ عُمُرُ الشَّعْرِ طَالَتْ طَوَائِلُهُ^(١)
سَأَقْضِي بَيْتَ يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَيَكْثُرُ مِنْ أَهْلِ الرُّوَايَةِ حَامِلُهُ
يَمُوتُ رَدْيُ الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَهْلِهِ وَجَيْدُهُ يَبْقَى وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهُ^(٢)

* * *

وقال إسماعيل بن القاسم^(٣):

يَا مَنْ يَعْيبُ وَعَيْثُهُ مُتَشَعِّبٌ كَمْ فِيكَ مِنْ عَيْبٍ وَأَنْتَ تَعِيبُ
لِلَّهِ دَرَكٌ كَيْفَ أَنْتَ وَغَايَةٌ^(٤) يَدْعُوكَ رَبُّكَ عِنْدَهَا فَتَجِيبُ
وقال أيضاً^(٥):

يَا عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ بَانَ مِنِّْي صَاحِبٌ جَلٌّ فَقَدُهُ يَوْمَ بَنَتَا^(٦)

(١) زاد بها بعض النسخ :

هبوا شعره إن مات مات فأين ما تضمنه الراون والخط حابله
وهو البيت الرابع في الديوان وروايته :

وهب شعره تحمله الراون والخط ناقله

(٢) ديوانه ص ١٢٣-١٢٤

بعده في زيادات بعض النسخ : " البيت الأخير ليس للدعبل ، وإنما هو مضمن "

(٣) ديوانه ص ٢٩

(٤) ضبط في بعض النسخ " وغاية " بالرفع وضبط في بعضها الوجهين .

(٥) ديوانه ص ٧٠ .

(٦) بعده في بعض النسخ : يا علي بن ثابت أين أنت أنت بين القبور حيث دفنتا

وهذا هو البيت الأول في الديوان : وقوله يا علي بن ثابت بان مني صاحب ... إلخ (خاطبه أولاً بقوله يا علي ، ثم التفت عن الخطاب إلى الغيبة بقوله : (بان مني صاحب) فكأنه جد منه آخر مثله متصف بصفة (الصاحب) إظهار لعظم الصفة ومبالغة فيها ، وهو شبيه بأسلوب التحريد . وقد عرفه الطيبي في التبيان (٣٥١ / ٢) بقوله .

قد لَعَمْرِي حَكَيْتَ لِي غُصَصَ الْمَوْتِ وَحَرَكْتَنِي لَهَا وَسَكَنْتَا^(١)

وقال أيضًا :^(٢)

صَاحِبٌ كَانَ^(٣) لِي هَلْكَ
يَا عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ
كُلُّ حَيٍّ مُمْلَكٌ
وَالسَّبِيلُ الَّتِي سَلَكَ^(٤)
غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكَ
سَوْفَ يَفْنَى وَمَا مَلَكَ

وقال أيضًا :^(٥)

طَوْنُكَ خُطُوبٌ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرِ
فَلَوْ نَشَرْتَ قُورَاكَ لِي الْمَنَايَا
بَكَيْتُكَ يَا أَخِي^(٦) بِدَمْعٍ عَيْنِي
كَفَى حَزْنًا بِدَفْنِكَ ثُمَّ إِنِّي
وَكَاثَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ
كَذَاكَ خُطُوبُهُ نَشْرًا وَطِيًّا
شَكَوْتُ إِلَيْكَ مَا صَنَعْتُ إِلَيَّا
فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئًا
نَفَضْتُ تَرَابَ قَبْرِكَ عَنْ يَدَيَّا
وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

وكان إسماعيل بن القاسم لا يكاد يُخَلِّي شِعْرَهُ مِمَّا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَخْبَارِ وَأَثَارِ فَيَنْظِمُ ذَلِكَ الْكَلَامَ الْمَثُورَ وَيَتَنَاوَلُهُ أَقْرَبَ مُتَنَاوَلٍ وَيَسْرِقُهُ أَخْفَى سَرِيقَةٍ .

فَقَوْلُهُ

(١) ديوانه ص ٧٠ .

(٢) ديوانه ص ٥٩٦ .

(٣) بهامش بعض النسخ : " مؤنس كان " وهي رواية .

(٤) بعده بها في زيادات بعض النسخ : " والسبيل التي سلك : ابتداء وخير ، ومن قال غير هذا فقد أخطأ " .

(٥) ديوانه ص ٦٧٥ : ٦٧٩ وانظر الديوان ص ٤٤٢

(٦) بهامش بعض النسخ : يا على .

وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

إنما أخذه من قول الموبذ^(١) لِقَبَاذَ^(٢) الْمَلِكِ حيث مات ، فإنه قال في ذلك الوقت :
كان الْمَلِكُ أَمْسٍ أَنْطَقَ مِنْهُ الْيَوْمَ ، وهو الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أَمْسٍ .

وأخذ قوله :

قَدْ لَعَمْرِي حَكَيْتَ لِي غُصَصَ الْمَوْتِ وَحَرَكَتِي لَهَا وَسَكَنَتَا

من قول نادب الإسكندر ، فإنه لما مات بكى مَنْ بحضرته فقال نَادِبُهُ : حَرَكْنَا
بِسُكُونِهِ .

وقال إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية^(٣) :

يَا عَجَبًا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا	وَحَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَرُوا
وَعَبَّرُوا الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِهَا	فَإِنَّمَا الدُّنْيَا لَهُمْ مَغْبَرٌ ^(٤)
الْخَيْرُ مِمَّا يَخْفَى هُوَ الْـ	مَغْرُوفُ وَالشَّرُّ هُوَ الْمُنْكَرُ
وَالْمَوْعِدُ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ الْـ	حَشَرُ فَذَلِكَ الْمَوْعِدُ الْأَكْبَرُ
لَا فَخْرَ إِلَّا فَخْرُ أَهْلِ التَّقَى	غَدًا إِذَا ضَمَّهُمُ الْمَحْشَرُ
لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ إِنَّ التَّقَى	وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرَ مَا يُذْخَرُ

(١) قال ابن السيد : الموبذ شبيه القاضي ، ومنه قول مسلم بن بشار : لو كان أبو فلانة من العجم
لكان موبذ موبذان يعنى : قاضى القضاة .

(٢) "فأما قباذ بن فيروز بن يزجرد فليس له من أثر جليل ولا عمل جميل يستحق عليه حسن الذكر
ولقد استحل الفروج وهتك الحرم اتباعاً لمزدك الزنديق الذى ظهر فى أيامه حتى لفظته خاصة مملكته
ونعت عليه عامة دولته " . اهـ ن رغبة الآمل ١١٢/٤ .

(٣) الأبيات فى ديوانه ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٤) بعده زيادات فى بعض النسخ : " يعبر بفتح الميم وكسرها لابن السراج ، ويفتح الميم لا غير رواية
عاصم " .

عَجِبْتُ لِلْإِنْسَانِ فِي فَخْرِهِ وَهُوَ غَدَاً فِي قَبْرِهِ يُقْبَرُ
مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ
أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَخْذَرُ
وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِهِ فِي كُلِّ مَا يُقْضَى وَمَا يُقْدَرُ^(١)

أما قوله :

يَا عَجَبًا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا وَحَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَرُوا

فمأخوذ من قولهم : الفكرة مرآة تريك حسنك من قلبحك ، ومن قول لقمان لابنه :
يا بني لا ينبغي لعقل أن يخلى نفسه من أربعة أوقات : فوقت منها يناجى فيه ربه ، ووقت
بحاسب فيه نفسه ، ووقت يكسب فيه لمعاشه ، ووقت يخلى فيه بين نفسه وبين لذتها
ليستعين بذلك على سائر الأوقات .

مأخوذ من قول الحسن : اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها .

وقوله :

الخير مما ليس يخفى هو الـ معروف والشر هو المنكر

مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : " قال رسول الله ﷺ :
يا عبد الله كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم ، وصار
الناس هكذا ، وشبك بين أصابعه ، فقلت : مُرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فقال : " خُذْ مَا
عَرَفْتَ ، وَدَعْ مَا أَنْكَرْتَ ، وَعَلَيْكَ بِخَيْرِ صَفَةٍ نَفْسِكَ ، وَإِيَّاكَ وَعَوَامُّهَا " ^(٢) .

(١) والأبيات في ديوانه ص ١٥١-١٥٢ .

(٢) الحديث " صحيح " بنحوه أخرجه أحمد في "المسند" (٢/٢١٢) ، وأبو داود ، والحاكم ، وصححه
وأقره الذهبي ، وبنحوه أيضاً أخرجه أبو داود ، وابن حبان ، والدولابي ، انظر صحيح أبي داود
(ح ٣٦٤٨ ، ٣٤٩) ، وصحيح ابن ماجه (ح ٣١٩٦) ، وصحيح الجامع (ح ٤٥٩٤) ، وراجع الصحيحة
(ح ٢٠٥ ، ٢٠٦) .

قوله ﷺ: " في حُثَالَةٍ من الناس " ، أما الحُثَالَةُ فهو ما يَنْقَى في الإناء من رَدِيّ الطعام ، وضربه مثلاً . وقوله : " مَرَجَتْ غُھُودُهُمْ " ، يقول : اختطلت وذابت بهم كلّ مذهبٍ ، يقال : مَرَجَ الماءُ : إذا سال فلم يكن له مانع ^(١) ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ ^(٢) .

وقوله :

لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التُّقَى وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرَ مَا يُذْخَرُ
 مأخوذاً مِنْ قَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : ^(٣) " إذا حُشِرَ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ نَادَى مُنَادٍ مِنْ قِبَلِ الْعَرْشِ : لَيَعْلَمَنَّ أَهْلُ الْمَوْقِفِ مِنْ أَهْلِ الْكَرَمِ الْيَوْمَ ؟ لَيَقُمِ الْمُتَّقُونَ ، ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ^(٤) .
 وقوله :

(١) قال الشيخ المرصفي " لم يفرق أبو العباس بين مرج العهد ومرج الماء ؛ والذي فى اللغة أن الأول بابهُ طرب والثانى بابهُ نصر ... " [و] الأنسب بالآية أن يأتى بفعل متجاوز غير لازم . وعبارة غيره ، والمرج يسكون الراء مصدر مرج الدابة يمرجها بالضم أرسلها فى المرعى تسرح حيث شاءت ومنه مرج البحرين يلتقيان " رغبة الأمل ٤/١١٤-١١٥ . وانظر اللسان (مرج) .
 (٢) سورة الرحمن : ١٩ .

(٣) لم نعثر عليه بهذا اللفظ ، وإنما أخرجه الحاكم فى المستدرک (٤٦٣/٢) والبيهقى فى الشعب (ح ٥١٣٨٩، ٥١٣٩٠) (٢٨٩/٠٤ ، ٣٩٠) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : أمرتكم فضيعتم ماعهدت إليكم فيه ورفعتم أنسابكم فاليوم أرفع نسبى وأضيع أنسابكم ، أين المتقون ؟ أين المتقون ؟ إن أكرمكم عند الله أتقاكم " وقال الحاكم : " هذا حديث عال غريب الإسناد والمتن ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبى بقوله : " المخزومى ابن زباله ساقط " .

وقال الشيخ الألبانى فى ضعيف الجامع (١٧٥٤) : " ضعيف جدا " .

(٤) سورة الحجرات : ١٣ .

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُظْفَةٌ وَجِفَةٌ آخِرُهُ يَفْحَرُ
 مأخوذ من قول علي بن أبي طالب عليه السلام : وما ابن آدم والفخر ؟ وإنما أوله نُظْفَةٌ
 وآخِرُهُ جِفَةٌ لا يَرْزُقُ نَفْسَهُ ، ولا يَدْفَعُ حَتْفَهُ .
 وقال ابن أبي عيِّنة :

مَا رَاحَ يَوْمٌ عَلَى حَيٍّ وَلَا ابْتَكَّرَا إِلَّا رَأَى عِبْرَةً فِيهِ إِنْ اغْتَبَرَا
 وَلَا أَتَتْ سَاعَةٌ فِي الدَّهْرِ فَانْصَرَمَتْ حَتَّى تُؤَثَّرَ فِي قَوْمٍ لَهَا أَثَرَا
 إِنَّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ أَنْفَسَهَا عَنْ غَيْرِ أَنْفُسِهَا لَمْ تَكُتُمِ الْخَبَرَا
 فأخذ هذا المعنى حبيب بن أوس الطائي وجمعه في ألفاظ يسيرة فقال :
 عَمْرِي لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ وَإِنَّهُ لَمِنْ الْعَجَائِبِ نَاصِحٌ لَا يُشْفِقُ^(١)
 فزاد بقوله " ناصح لا يشفق " على قول ابن أبي عيِّنة شيئاً طريفاً ، وهكذا يفعل
 الحاذق بالكلام . ولو قال قائل : إن أقرب ما أخذَ منه أبو العتاهية :

لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّقَى وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرَ مَا يُذْخَرُ
 من قول الخليل بن أحمد [قال أبو الحسن : زعم النّسّابون أنهم لا يعرفون منذ
 وقت النبي صلى الله عليه وآله إلى الوقت الذي وُلِدَ فيه أحمدُ أبو الخليل أحداً سُمِّيَ بأحمد غيره] :
 وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الدَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ دُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ^(٢)

(١) ديوان أبي تمام ٣٩٤ / ٤ ، ويروى : " لمن الكبائر " ، وكلاهما رواية .
 (٢) الصحيح أنه للأخطل في ديوانه ١٤٤ / ١ ، والبيت من الكامل ، وانظر جمهرة اللغة ص ٥٨١ ،
 والأغاني ٣٢١ / ٨ ، وكان الخليل كثيراً ما ينشد هذا البيت ، وانظر طبقات النحويين ، ووفيات
 الأعيان ٢٤٨ / ٢ ، وأورد البيت الحافظ الذهبي في " السير " (٤٣٠ / ٧) عند ترجمة الخليل ، قال وكان
 كثيراً ما ينشد ... وذكر البيت . قال المحقق في الحاشية في تخريجه للبيت : البيت للأخطل التغلبي
 غياث بن غوث بن الصلت ، أبو مالك ، المتوفى سنة (٩٠ هـ) ، من قصيدة يمدح بها عكرمة بن
 ربيع الفياض ، ومطلعها :

لكان قد قال قولاً :

وقال العباسُ بنُ الفرَج :

أَمَلِي مِنْ دُونِهِ أَجَلِي فَمَتَى أَفْضِي إِلَى أَمَلِي

* * *

وقال الخليل بن أحمد وكان نظر في النجوم فَأَبْعَدَ ثُمَّ لَمْ يَرْضَها فقال :

أَبْلَغَا عَنِّي الْمُنْجُّمَ أَنِّي كَافِرٌ بِالَّذِي قَضَتْهُ الْكَوَاكِبُ
عَالِمٌ أَنَّ مَا يَكُونُ وَمَا كَا نَ بَحْتَمٍ مِنَ الْمُهَيْمِنِ وَاجِبٌ^(١)

وقال محمد بن يسير^(٢) يعيبُ المتكلمين أنشدنيهِ الرِّياشِيُّ :

يَا سَائِلِي عَنِ مَقَالَةِ الشَّيْعِ وَعَنِ صُنُوفِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ
دَغٌ مَنْ يَقُودُ الْكَلَامَ نَاجِيَةً فَمَا يَقُودُ الْكَلَامَ ذُو وَرَعِ

(١) البيتان من الخفيف ، وهما للخليل بن أحمد في ديوانه ص ٣٣٩ ، ولسان العرب (كون) ، وللإمام الشافعي في ديوانه ص ٤٤ ، وانظر طبقات النحويين ٤٧ . ويروى صدر البيت الأول "بلغا" ، وعجز البيت الثاني : " قضاء من المهيمن "

وهذا المعنى مأخوذ من عدة أحاديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم فيها عن النجيم والسحر منها ماروى عن ابن عمر مرفوعاً : " تعلموا من النجوم ماتهدتون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا ". وعن أبي هريرة قال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النظر في النجوم " رواهما ابن مردويه والخطيب

وروى مسلم عن أبي مالك الأشعري : أن رسول الله قال : أربع في أمتي من الجاهلية .. منها : والاستسقاء بالنجوم أ هـ

(٢) "محمد بن يسير " هذا هو الصواب ووقع في بعض النسخ (بشير) وهو خطأ ، ويسير بالياء التحتية المثناة والسين المهملة . انظر الإكمال ٣٠٣ / ١ وحاشية الشيخ خليل المعلمي عليه ٤٣٨ / ١ . وانظر سمط الآلى ١٠٤ .

كُلُّ أَنَسٍ بَدِيَهُمْ حَسَنٌ
أَكْثَرُ مَا فِيهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ

وَأَنشَدَنِي الرِّيشِي لغيره :

قَدْ نَقَرَ النَّاسُ حَتَّى أَخَذُوا بِدَعَا
حَتَّى اسْتَخَفَّ بِحَقِّ اللَّهِ أَكْثَرُهُمْ

وقال محمد بن يسير :

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمْ اللَّهُ
يَا حَسْرَتًا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَضَى
مَنْ طَالَ فِي الدُّنْيَا بِهِ عُمرُهُ
كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلِسٍ
صَارَ الْيَسِيرِيُّ إِلَى رَبِّهِ

وقال أيضًا :

أَيُّ صَفْوٍ إِلَّا إِلَى تَكْدِيرِ
وَسُرُورٍ وَلَذَّةٍ وَخُبُورِ
عَجَبًا لِي وَمِنْ رِضَايَ بِدُنْيَا
عَالَمٍ لَا أَشْكُ أَنِّي إِلَى اللَّهِ
ثُمَّ أَلْهُو وَلَسْتُ أَذْري إِلَى آيٍ
أَيُّ يَوْمٍ عَلَيَّ أَفْطَحُ مِنْ يَوْمٍ

ثُمَّ يَصِيرُونَ بَعْدُ لِلشَّنْعِ
لَمْ يَكْ فِي قَوْلِهِ بِمَنْقَطِعٍ^(١)

فِي الدِّينِ بِالرَّأْيِ لَمْ تُبْعَثْ بِهَا الرِّسَالُ
وَفِي الَّذِي حُمِّلُوا مِنْ حَقِّهِ شُغْلُ

وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ
يُذَكِّرُنِي الْمَوْتَ وَأَنْسَاهُ
وَعَاشَ فَأَلَمْتُ قُصَارَاهُ
قَدْ كُنْتُ آتِيَهُ وَأَغْشَاهُ
يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَإِنْسَاهُ^(٢)

وَنَعِيمٍ إِلَّا إِلَى تَغْيِيرِ
لَيْسَ رَهْنًا لَنَا بِيَوْمٍ عَسِيرِ
أَنَا فِيهَا عَلَى شَفَا تَغْيِيرِ
إِذَا مِتُّ أَوْ عَذَابِ السَّعِيرِ
هَمَا بَعْدَهُ يَصِيرُ مَصِيرِي
مِنْ بِهِ تُسَبِّرُ النُّعَاةَ سَرِيرِي

(١) الأبيات رواها صاحب الأغاني ٤٣/١٤ . بسنده عن الرياشي .

(٢) الأبيات من السريع ، وهي لأبي جعفر محمد بن يسير البصري ، والبيتان الرابع والخامس في تاج العروس ٤٦٠/١٤ (يسر) ولمحمد بن بشير (الرياشي) في معجم الشعراء ص ٤١٨ . وانظر الأبيات في "الأغاني" ٣٩ / ١٤ . ويروى عجز البيت الرابع بلفظ : آتية وأخشاه .

كُلَّمَا مُرَّبِي عَلَى أَهْلِ نَادٍ كُنْتُ حِينَاهُمْ كَثِيرَ الْمُرُورِ
قِيلَ مَنْ ذَا عَلَى مَرِيرِ النَّايَا قِيلَ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ^(١)

وقال الحكمي أبو نواس:

أَخِي مَا بَالِي قَلْبِكَ لَيْسَ يَنْقَى كَأَنَّكَ لَا تَظُنُّ الْمَوْتَ حَقًّا
أَلَا يَا بْنَ الدِّينِ فَتَوَا وَبَادُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا ذَهَبُوا لِتَبْقَى
وَمَا أَحَدٌ بِزَادِكَ مِنْكَ أَخْطَى وَمَا أَحَدٌ بِزَادِكَ مِنْكَ أَشْقَى
وَلَا لَكَ غَيْرَ تَقْوَى اللَّهِ زَادُ إِذَا جَعَلْتَ إِلَى اللَّهِوَاتِ تَرْقَى^(٢)

ومما يُسْتَحْسَنُ^(٣) من شعره قوله :

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرَةٍ^(٤)

ومثلُ هذا لو تقدَّم لكان في صُدُورِ الأمثال ، وكذلك قوله أيضًا :

فَامْضِ لَا تَمُنْ عَلَيَّ يَدًا مِنْكَ الْمَعْرُوفُ مِنْ كَدَرَةٍ^(٥)

(١) الأبيات ٨٠٧، ٤، ٣، في البيان والتبيين للجاحظ ١٧٩ / ٣ .

(٢) الأبيات لأبي نواس في ديوانه ص ١٩١، ط. دار العرب ، مع تقديم وتأخير في الأبيات ، واختلاف في بعض الألفاظ فصدر البيت الثالث روى في الديوان بلفظ : " بزادك منك أخطأ " والبيت الرابع روى بلفظ . " ومالك غير ما قدمت زاد " .

(٣) (وما يستحسن... الخ) ذلك من أبي العباس حسن جميل وقد اعتبرت هذه القصيدة فوجدتها جامعة بين حسن البداية ورقة الحاضرة في لطف الكناية وملاحة الاستعارة وحسن المثل السائر فأحببت ذكرها لجودتها ولتعلم مواقع الأبيات المذكورة منها :

أيها المنتاب عن غفره لست من ليلي ولا سمره

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المرء من ثمره

قد لبست الدهر لبس فتى أخذ الآداب عن غيره اهـ . رغبة الآمل ١١٨/٤ ، ١١٩

(٤) ديوانه ص ٤٢٧ .

(٥) انظر ديوانه ص ٤٢٨ .

وكان يقال : ذِكْرُ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْمُنْعِمِ إِفْسَادٌ لَهُ ، وَكَيْفَانُهُ مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ كُفْرٌ لَهُ .
وفي هذا الشعر أبيات مختارة ، فمنها :

وَإِذَا مَجَّ الْقَنَا عَلَقَا	وَتَرَأَى الْمَوْتَ فِي صُورَةِ
رَاحٍ فِي ثِيَابِي مُفَاضِيَةٍ	أَسَدٌ يَدْمَى شَبَابَ ظُفْرِهِ
تَتَأَنَّى الطَّيْرُ غَدَوَتَهُ	ثَقْلَةً بِالشُّبُعِ مِنْ جَزَرِهِ
فَاسْأَلُ عَنْ نَوَى تَوَمُّلِهِ	حَسْبُكَ الْعَبَّاسُ مِنْ مَطَرِهِ
لَا تَغْطِي عَنْهُ مَكْرَمَةٌ	بِرُبَا وَادٍ وَلَا خَمَرِهِ
ذُلَّلْتَ تِلْكَ الْفِجَاجُ لَهُ	فَهُوَ مُجْتَازٌ عَلَى بَصَرِهِ ^(١)

وقد عابوا قوله :

كَيْفَ لَا يُذْنِبُكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ^(٢)

وهو لَعَمْرِي كلام مُسْتَهْجَنٌ موضوعٌ في غير موضعه ، لأنَّ حقَّ رسول الله ﷺ أن يُضَافَ إليه ، ولا يُضَافَ إلى غيره ، وَلَوْ اتَّسَعَ مُتَّسِعٌ فَأَجْرَاهُ فِي بَابِ الْحِيلَةِ لَخَرَجَ عَلَى الْإِحْتِيَالِ ، وَلَكِنَّ عَسِيرٌ موضوعٌ في غير موضعه . وبابُ الْإِحْتِيَالِ فيه أن تقول : قد يقول القائل من بني هاشم لغيره مِنْ أَفْنَاءِ قَرِيشٍ : مَنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَحَقُّ هَذَا أَنَّهُ مِنَ الْقَبِيلِ الَّذِي أَنَا مِنْهُ ، فَقَدْ أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَكَذَلِكَ يَقُولُ الْقُرَشِيُّ لِسَائِرِ الْعَرَبِ ، كَمَا قَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ :

وَمَازَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	دَعَائِمُ عِزٍّ لَا تُرَامُ وَمَفْخَرُ
بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ	عَلَيٍّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيْرِ ^(٣)

(١) انظر ديوانه ص ٤٣٠-٤٣١ .

(٢) انظر ديوانه ص ٤٣٠ .

(٣) البيتان من الطويل، وهما لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٢٢٤، والبيت الثاني في أساس البلاغة (بهل).

فقال "منهم" كما قال هذا "من نفره" ، أراد من نفر الذين العباسُ هذا الممدوحُ منهم .
وأما قول حَسَّان :

... مِنْهُمْ جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ
فإن العرب إذا كان العطف بالواو قَدَّمَتْ وأخرتْ ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ ^(١) وقال : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ﴾ ^(٢) وقال :
﴿ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ ^(٣) ولو كان بثم أو بالفاء لم يصلح إلا تقديم المقدم
ثم الذي يليه واحداً فواحداً . وأما قوله في هذا الشعر :

وَكَرِيمُ الْخَالِ مِنْ يَمَنِ وَكَرِيمُ الْعَمِّ مِنْ مُضَرِّهِ ^(٤)
فأضاف مُضَرَّ إليه ، فهو أجودُ كلام لا يَمْتَنِعُ منه مُتَنَبِّعٌ ؛ قال عليُّ بنُ أبي
طالب عليه السلام يوم الجمل للأشتر - وهو مالكُ بنُ الحارثِ أَحَدُ النَّحَعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُلَّةَ بْنِ
جَلْدٍ ^(٥) - وكان على المَيْمَنَةِ : أَحْمِلْ ، فَحَمَلَ فِي أَصْحَابِهِ فَكَشَفَ مَنْ يَازِائِهِ ، ثُمَّ قَالَ
لِهَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَالِكِ أَحَدِ بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ ، وَكَانَ عَلَى الْمَيْسَرَةِ : أَحْمِلْ ، فَحَمَلَ
فِي الْمُضَرِّيَّةِ فَكَشَفَ مَنْ يَازِائِهِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام لِأَصْحَابِهِ : كَيْفَ رَأَيْتُمْ مُضَرِّيَّ وَيَمَنِي !
فأضاف القبيلتين إلى نفسه وقال ^(٦) جرير :
إِنَّ الدِّينَ ابْتَنَوْا مَجْدًا وَمَكْرَمَةً تِلْكَمُ قُرَيْشِي وَالْأَنْصَارُ أَنْصَارِي ^(٧)

* * *

(١) سورة التغابن : ٢

(٢) سورة الرحمن : ٣٢ .

(٣) سورة آل عمران : ٤٣ .

(٤) ديوانه ص ٢٢٤ .

(٥) في بعض النسخ : خالد ، وهو تصحيف . وبهامش نسخة كمال في المتن وهو الصواب . انظر
ما سلف ص ٤٣٦ .

(٦) في نسخة " قال " بلا الواو .

(٧) ديوانه ١ / ٢٣٥

وَمِمَّا يُسْتَحْسَنُ مِنْ أَشْعَارِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ إِسْحَاقَ بْنِ خَلْفٍ الْبَهْرَانِيِّ ، وَنَسَبُهُ فِي بَنِي حَنيفَةَ لِسَبَاءٍ وَقَعَ عَلَيْهِ ، يَقُولُهُ لَعْلَى بْنُ عَيْسَى بْنِ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ الْأَشْعَرِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْقُمِيِّ ^(١) :

وَلِلْكَرْدِ مِنْكَ إِذَا زُرْتَهُمْ	بِكَيْدِكَ يَوْمَ كَيْوَمِ الْجَمَلِ
وَمَازَالَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى لَهُ	مَوَاهِبُ غَيْرِ النَّطَافِ الْمُكَلِّ
لَسَلُّ السُّيُوفِ وَشَقُّ الصُّفُوفِ	لِنَقْضِ الثَّرَاتِ وَضَرْبِ الْقُلَلِ
وَلُبْسُ الْعَجَاجَةِ وَالْخَافِقَاتِ	تُرِيكَ الْمَنَا بِرُؤُوسِ الْأَسَلِ
وَقَدْ كَشَرْتَ عَنْ شَبَابِهَا	عَرُوسُ الْمَيْتَةِ يَنْ شُعَلِ
وَجَاءَتْ تَهَادَى وَأَبْنَاؤُهَا	كَانَ عَلَيْهِمْ شُرُوقُ الطُّفْلِ
خَرُوسٌ نَطُوقٌ إِذَا اسْتُطِيقَتْ	جَهُولٌ تَطِيشُ عَلَى مَنْ جَهْلِ
إِذَا خَطَبْتَ أَخَذَتْ مَهْرَهَا	رُؤُوسًا تَحَادَرُ قَبْلَ النَّفْلِ
أَلَدُ إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْمِعَاتِ	وَحَثَ الْكُزُوسَةِ فِي يَوْمِ طَلِ
وَشَرْبِ الْمَسْدَامِ وَمَنْ يَشْتَهِيهِ	مُعَاطٍ لَهُ بِمِزَاجِ الْقَبْلِ
بَعَثْنَا النَّوَاعِجَ تَحْتَ الرُّحَالِ	تَسَافَهُ أَشْدَاقُهَا فِي الْجَدْلِ
إِذَا مَا حُدِيدِنَ بِمَذْحِ الْأَمِيرِ	سَبَقْنَ لِحَاطِ الْمَجِثِ الْعَجَلِ ^(٢)

قوله : " تريك المنا " ، يريد المنايا ، وهذه كلمة تخيف على ألسنتهم فيحذفونها ، وزعم الأصمعي أنه سمع العرب تقول : دَرَسَ الْمَنَا ، ، يريدون المنازل ^(٣) وجاء في

(١) منسوب إلى قُم وهي بلدة أو قرية من خراسان " انظر معجم البلدان ٣٩٧/٤ ، واللباب ٣/ ٥٥ .
(٢) الأبيات من المتقارب ، وهي لخلف بن إسحاق البهراني ، في ديوانه ٢٣٥/١ والبيت الحادي عشر في لسان العرب (سفه) . بلفظ : " أشداقها في اللجم " .

بعده في زيادات : " من كسر الميم فهو من حث ، ومن ضم الميم جعله من أحث ، يقال : حث وأحث على فعل وأفعل لغتان " .

(٣) قال ليبد :

درس المنا بمتالع فأبان فتقادت بالجيس فالسويان
ديوانه ص ٢٠٦ ، والشاهد فيه قوله : المنا ، أى المنازل ، فحذفت تخفيفاً

التخفيف أعجب من هذا : حدثني أصحابنا عن الأصمعيّ وذكره سيبويه في كتابه ^(١) ولم يذكر قائله ولكن الأصمعيّ قال : كَانَ أَخَوَانِ متجاوران لا يكلم كلُّ واحد منهما صاحبه سائرَ سنته حتى يأتيَ وقت الرَّعْيِ ، فيقول أحدهما لصاحبه : أَلَا تَا ، فيقول الآخر : بلى فاء، يريد ألا تَنْهَضُ ؟ فيقول الآخر: بلى فانْهَضُ، وحكى سيبويه في هذا الباب :
بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَا وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَا ^(٢)

يريد وإن شرًّا فشرّ ، ولا أريد الشرّ إلا أن تُريدَ .

وهذا خلاف ما تستعمله الحكماء ، فإنه يقال : إن اللسان إذا كثرت حركته رَقَّتْ عَذَبَتُهُ .

وحدثني أبو عثمان الجاحظ قال : قال لي محمد بن الجهم : لما كانت أيام الزُّط ^(٣) أذمنتُ الفِكرَ ، وأمسكتُ عن القول ، فأصابني حُبْسَةٌ في لساني .

وقال رجل من الأعراب ^(٤) يذكر آخرَ منهم :

كَأَنَّ فِيهِ لَفْفًا إِذَا نَطَقَ مِنْ طُولِ تَخْيِيسٍ وَهَمٍّ وَأَرْقٍ ^(٥)

(١) الكتاب ٦٢/٢ . وقال الخليل : " وسمعت من العرب من يقول ألا تابلو ، فإنما أرادوا ألا تفعل وبلى فافعل ولكنه قطع كما كان قاطعاً بالألف في أنا ... " .

(٢) من أبيات للقيم بن أوس من بنى أبي ربيعة بن مالك ، أجاب بها امرأته كما في النوادر ١٢٦ . وهما في الكتاب ٦٢/٢ ، وشرح أبيات سيبويه ٣٢١ / ٢ ، وضرائر الشعر لابن عصفور ١٨٥ ، وشرح شواهد شرح الشافية ٢٦٢-٢٧٤ . والبيت في اللسان بلا نسبة (تا) .

(٣) قال المصنفى : (الزط) واحدهم زطى كروم ورومى ، وهم جيل من السند غلبوا على طريق البصرة وعاثوا فيما حولها وأخافوا السبيل ، وذلك في عهد المعتصم بن الرشيد ، فوجه إليهم عجيف ابن عنبسة فأوقع بهم وقتل منهم خلقاً كثيراً . ١. هـ رغبة الآمل ١٢٨ / ٤

(٤) هو أبو الزحف بن عطاء بن الخطفى ابن عم جرير ، كما في البيان والتبيين ٣٨/١ .

(٥) الرجز. بلا نسبة في أساس البلاغة (لفف)

وقال رجلٌ لخالد بن صفوان : إِنَّكَ لَتُكْثِرُ ، فقال أَكْثَرُ لضربين : أحدهما فيما لا تُغْنِي فيه القِلَّةُ ، والآخر لَتَمْرِينِ اللسان ، فإنَّ حَبْسَهُ يُورِثُ العُقْلَةَ .

وكان خالد يقول : لا تكونَ بليغاً حتى تُكَلِّمَ أَمَتَكَ السوداءَ في الليلة الظلماء في الحاجة المِهْمَةُ بما تَتَكَلَّمُ به في نادى قَوْمِكَ ؛ فإنما اللسانُ عُضْوٌ إذا مرَّنته مَرَنٌ ، وإذا أهملته خارَ ، كاليد التي تُحَسِّنُهَا بالممارسة ، والبدن الذي تُقَوِّيه برفع الحجر ، وما أشبهه ، والرجل إذا عُوِّدَتْ المشيَ مَشَتْ .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا تَزَالُونَ أصِحَّاءَ ما نَزَعْتُمْ وَنَزَوْتُمْ .

فنزعتم في القَيْسِيَّ ، ونزوتم على ظهور الخيل .

وقال بعضُ الحكماءُ : لا ينبغي للعاقل أن يُخْلِطَ نفسه من ثلاثٍ في غير إفراط : الأكلُ ، والمشْيُ ، والجماعُ ؛ فأما الأكلُ فإنَّ الإمعاءَ تضيقُ لِتَرْكِه - وكان ابنُ الزبير يُواصلُ فيما ذكروا بين خمسَ عشرةَ من يومٍ وليلة ، ثم يُفْطِرُ على سَمْنٍ وَصَبْرٍ لِيَفْتَقَ أمعاءه - قال أبو العباس : قال الأول: والمشْيُ إنَّ لم تَتَعَهَّذْ أَوْشَكَتَ أن تَطْلُبَه فلا تجده ، والجماعُ كالبئر إن نَزَحَتْ جَمَّتْ ، وإن تَرِكَتْ تَحْيَرُ ماؤها .
وحَقُّ هذا كله القَصْدُ .

وقوله :

كَأَنَّ عَلَيْهِمْ شُرُوقَ الطُّفْلِ^(١)

يريد تَأَلَّقَ الحديدُ كأنه شمسٌ طالعةٌ عليهم ، وإن لم تكن شمسٌ ، وأحسنُ من هذا قولُ سلامة بن جندل :

(١) قال المِرْصَفِيُّ : (وأحسن من هذا إلخ) هذا إنما يحسن لو كان الشاعران تواردا على معنى واحد وليس هنا كذلك فإن إسحق بن خلف إنما شبه كما قال أبو العباس تألَّقَ الحديد وهو الدروع والبيض وسائر السلاح بالشمس حين بزوغها وانتشار ضوئها وسلامة بن جندل إنما شبه ببيض الحديد وحده ببيض النعام في الشكل وهيئة الاستدارة فكلاهما مصيب فيما قصد له من التشبيه أهـ من رغبة الأمل ٤ / ١٢٩ .

كَأَنَّ النِّعَامَ بَاضَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ (١)

فهذا التشبيه المصيب^(٢).

وأما قوله :

أَلَدُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْمَعَاتِ

فقد قال مثله القاسم بن عيسى بن إدريس أبو ذؤلف العجلي :

يَوْمَايَ يَوْمٌ فِي أَوَانِسَ كَالذَّمَى	لَهْوِي وَيَوْمٌ فِي قِتَالِ الدَّيْلَمِ
هَذَا خَلِيفٌ غَلَّابٌ مَكْسُوءٌ	مِنْكَ وَصَافِيَةٌ كَنْزُخِ الْعَنْدَمِ
وَلِذَاكَ خَالِصَةُ الدَّرُوعِ وَضُمُرٌ	يَكْسُونَنَا رَهَجَ الْغُبَارِ الْأَقَمِ
وَلِيَوْمِهِنَّ الْفَضْلُ لَوْلَا لَذَّةٌ	سَبَقَتْ بِطَفْنِ الدَّيْلَمِيِّ الْمَغْلَمِ

وأول هذه القصيدة طريفٌ مُسْتَمَلَحٌ وهو :

طَوَاهُ الْهَوَى فَطَوَى مَنْ عَذَلْ وَخَالَفَ ذَا الصَّبْوَةِ الْمُخْتَبَلْ

وأما قوله :

(١) ديوانه ص ١٦٧، والأصمعيات قصيده ١٥/٤٢ ص ١٣٤، وقد ورد بتمامه فى بعض النسخ وعجزه : "وأعينهم تحت الحديد جواحم"، ولا أدرى من أين أتوا بهذا العجز ، وإنما صوابه: "ينهى القذاذ أو ينهى مخفق". والبيت من الطويل ، وقد ورد على صوابه فى تاج العروس بلا نسبة ٢٥٧/١٨ (بيض).

(٢) قال على بن حمزة فى التنبهات ١٢٩ :

"أساء فى هذا القول ، إنما شبه سلامة بيض الحديد وحده ببيض النعام فأصاب التشبيه ، وهذا البهرانى شبه تألق البيض والدروع ولمعان السيوف والحجف بالشمس ، وذلك مالا يقاومه بريق بيض النعام فضلاً عن أن يربى عليه وتما بيت سلامة الذى أنشده :

ينهى القذاذ أو ينهى مخفق " اهـ .

تَسَافَهُ أَشْدَاقُهَا فِي الْجَدَلِ^(١)

ف "تسافه" من السَّفَه ، وإنما يَصِفُهَا بِالْمَرْح ، وأنها تميل كذا مرة ، وكذا مرة ،
كما قاله رؤية :

يَمْشِي الْعِرْضَنِي فِي الْحَدِيدِ الْمُتَقَنَّ^(٢)

وكما قال الآخر :

إِذَا رَأَى السَّوْطَ مَشَى الْهَيْدَبَى وَيَتَّقِي الْأَرْضَ بِمَنْعِجٍ رِقَاقٍ^(٣)

وكما قال الخطيئة^(٤) :

(١) (وإنما يصفها بالمرح إلخ) كأن أبا العباس سمع قول ذى الرمة يصف سيفا

وأبيض موسى القميص نصبته على خصر مقلاة سفيه جديدها

فظن أن تسافه الأشداق هو تسافه الجدل ولم يعلم أن تسافه الأشداق أن تترامى بلغامها الأبيض بمنة
ويسرة كما قال الجرمي

تسافه أشداقها باللغام فتكسو ذفارها والجنوبا

فأما تسافه الجدل فهو كما قال جميل كذا مرة وكذا مرة يمينا وشمالا. وذلك من اضطراب رؤوس الإبل.
رغبة الأمل ١٣٠/٤ ، ١٣١ .

(٢) ملحق ديوانه ص ١٨٧ ، والرجز لأبي الأخرز الحماني في تاج العروس ٥٣٨/٢٠ (درع) ، ولسان
العرب (درع)

(٣) قال ابن السيد : كذا الرواية ، والقوائم لا توصف بالركة . وكذلك الخوافر والصحيح : دقاق
بالدال ، يريد أنها تدق الحجارة ، وهى جمع داق كما يقال : راع ورعاء . (ملحق القرط) ط .
الرسالة .

(٤) وقال على بن حمزة فى التنبيهات ١٣٠ - ١٣١ : " قد وهم فى هذا التفسير ، وعدل عن المعنى ،
واستشهد بما ليس من البيت فى شيء ، وإنما المعنى أنها تترامى بلغامها بمنة وشامة فتكسو به رؤوسها
وحواركها وتؤذى به ركبائها ومن يليها ، وذلك لجدها فى السير ومرحها فيه ، قال الجرمي :
تسافه أشداقها باللغام فتكسو ذفارها والجنوبا .
.... وقال ذو الرمة :

كأنما ضربت قدّام أعينها عنّا بمستحصد الأوتار محلوج

أراد إخلاص الدم باللغام ، فلذلك شبهه بالعين ، فهذا معنى تسافه الأشداق ، فأما قول ذى الرمة :

وأبيض موسى القميص نصبته على خصر مقلات سفيه جديدها .

فإنما أراد أن جديدها يضطرب لاضطراب رأسها من النشاط ، وأظن أبا العباس ظن هذا ذاك ، وليس
به ، ذاك من تسافه الأشداق وهذا من تسافه الجدل " اهـ .

وإنْ آنَسْتُ حِسًّا مِنَ السُّوْطِ عَارَضْتُ بِي الْفُجُورَ حَتَّى تَسْتَقِيمَ ضَحَى الْغَدِ^(١)
 والجُدُلُ : جمع جَدِيلٍ وهو الزمامُ المجدول ، كما تقول : قَتِيلٌ ومَقْتُولٌ ، وأدنى
 العدد أَجْدَلَةٌ ، كقولك قَضِيبٌ وقَضِيبٌ وأَقْضَبَةٌ ، وكذلك كَثِيبٌ ورَغِيفٌ وجَرِيبٌ
 وفُغْلانٌ كَفُعْلٍ في الكثير ، يقال : قُضْبَانٌ ورُغْفَانٌ وجُرْبَانٌ .

ومثلُ قوله :

تَسَافَهُ أَشْـدَّ أَقْهًا فِي الْجُـدُلِ

قولُ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ الطَّائِيّ :

سَفِيهِ الرُّمُوحِ جَاهِلُهُ إِذَا مَا بَدَأَ فَضْلُ السَّفِيهِ عَلَى الْحَلِيمِ

* * *

ومما يُستحسن من شعر إِسْحَاقَ هذا قوله في الحسن بن سَهْلٍ :

بابُ الأَمِيرِ عِرَاءَ مَا بِهِ أَحَدٌ	إِلَّا امْرُؤٌ وَاضِعٌ كَفًّا عَلَى ذَقَنِ
قَالَتْ وَقَدْ أَمَلْتُ مَا كُنْتُ أَمْلُهُ	هَذَا الأَمِيرُ ابْنُ سَهْلٍ حَاتِمُ اليَمَنِ
كَفَيْتَكَ النَّاسَ لَا تَلْقَى أَخَا طَلَبٍ	بِقِيءِ دَارِكَ يَسْتَعِدِي عَلَى الزَّمَنِ
إِنَّ الرُّجَاءَ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَمْلُهُ	وَضَعْتُهُ وَرَجَاءَ النَّاسِ فِي كَفَنِ
فِي اللَّهِ مِنْهُ وَجَدَوِي كَفَّهُ خَلْفٌ	لَيْسَ السُّدَى وَالنَّدَى فِي رَاحَةِ الْحَسَنِ

وإِسْحَاقُ هذا هو الذي يقول في صفة السَّيْفِ :

أَلْقَى بِجَانِبِ خَصْرِهِ أَمْضَى مِنَ الأَجَلِ الْمُتَاخِ

(١) البيت في ديوانه ص ١٥٥ . ولفظه "آنست وقعا" .

وَكَأَنَّمَا ذَرُّ الْهَبِ ————— ءَ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيحِ^(١)

وإسحاق هذا هو الذي يقول في مدح العريّة :

النَّحْوُ يَنْسُطُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَنِ وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجْلَهَا فَأَجَلُهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ^(٢)

قال أبو العباس : وأحسبُهُ أخذ قوله :

وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ

من حديث حَدَّثَنَا أَبُو عَثْمَانَ الْمَازِنِيُّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : كَانَ يَقَالُ : ثَلَاثَةٌ يُحْكَمُ لَهُمُ بِالنُّبْلِ حَتَّى يُدْرَى مَنْ هُمْ ، وَهُمْ رَجُلٌ رَأَيْتَهُ رَاكِبًا ، أَوْ سَمِعْتَهُ يُعْرِبُ ، أَوْ شَمِمْتَ مِنْهُ طَيِّبًا ، وَثَلَاثَةٌ يُحْكَمُ عَلَيْهِمُ بِالْإِسْتِصْغَارِ حَتَّى يُدْرَى مَنْ هُمْ ، وَهُمْ رَجُلٌ شَمِمْتَ مِنْهُ رَائِحَةٌ نَبِيذٍ فِي مَحْفَلٍ ، أَوْ سَمِعْتَهُ فِي مِصْرٍ عَرَبِيٌّ يَتَكَلَّمُ بِالْفَارَسِيَّةِ ، أَوْ رَجُلٌ رَأَيْتَهُ عَلَى ظَهَرِ طَرِيقٍ يَنَازِعُ فِي الْقَدْرِ .

* * *

قال أبو العباس : أنشدني أحدُ الأمراءِ لشاعرٍ من أهل الرِّيِّ يُكْنَى أبا يزيد شيئاً يقولُهُ لعبدِ الله بن طاهرٍ أحسنَ فيه وأصابَ الفَصَّ ، وَقَصَدَ بِالْمَدْحِ إِلَى مَعْدِنِهِ وَاخْتَارَهُ لِأَهْلِهِ :

اشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا فِي شَادِمِهِرَ وَدَعْ غُمْدَانُ لِلْيَمَنِ
فَأَنْتَ أَوْلَى بِتَاجِ الْمُلْكِ تَلْبَسُهُ مِنْ هُوْدَءَ بَنِ عَلِيٍّ وَابْنِ ذِي يَزَنِ

(١) قال الوقشي : الصحيح أن البيتين لوالبة بن الحباب . (ملحق التعليقات من كتاب القرط) ط . الرسالة .

(٢) البيتان بلا نسبة في الفاضل ٤ ، وفيه : " والمرء تعظمه " .

فأحسنَ الترتيبَ جدًّا ، وإن كانت الملوكُ كُلُّها تلبسُ التَّاجَ في ذلك الدهر ، وإنما ذكر ابنَ ذِي يَزَنَ لقول أبي الصلت الثقفي :

اشربْ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا في رَأْسِ غُمْدَانٍ دَارًا مِنْكَ مِخْلَالًا^(١)

وقال الأعشى في هَوْدَءَ بنِ عليٍّ ، وإن لم يكن هودَءُ مَلِكًا :
مَنْ يَرِ هَوْدَءَ يَسْجُدُ غَيْرَ مُتَّيِّبٍ إِذَا تَعَمَّمَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا

(١) صدر البيت الأول في " اللسان (رق قال ابن منظور : ومنه حديث ابن ذى يزن ثم ذكره ، وقال ابن السيد: قال ابن مرداذبه : كان أحمد بن سعيد بن قادم المعروف بالمالكي أحد القواد مع طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وكان معه بالرى ، وكان معه من السلطان مغنياً كثير الغناء ، فحضر مجلس طاهر فى متنزه بظاهر الرى فى موضع يعرف بشاذمهر ، وقيل حضره بقصره الشاذياخ فغنى هذا المغنى :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً بالشاذياخ ودع غمدان لليمن
فأنت أولى بتاج الملك... البيت

قال فطرب طاهر واستعاده مرات وشرب عليه حتى سكر ، وأعطى لأحمد بن سعيد الجائزة (ملحق كتاب القرط) ط . الرسالة

والبيت من البسيط وهو لأبى الصلت الثقفى فى ديوان ابنه أمية ص ٥٢ ، ومعجم البلدان ٤ / ٢١٠ (غمدان) : وعجزه بلا نسبة فى لسان العرب (غمد) ، وتاج العروس ٢٥ / ٣٥١ (رفق) ، وجمهرة اللغة ص ٣٤٠ . والبيت من كلمة له كما فى السيرة النبوية ١ / ٦٧-٦٨ ، وطبقات فحول الشعراء ٢٦٠ - ٢٦٢ ، والشعر والشعراء ٤٦١ ، وأكثر الرواة ينسب القصيدة التى من ضمنها هذا البيت لأبى الصلت وبعضهم ينسبها لابنه أمية انظر ديوانه ص ٤٥٨ ، وقد أفاض محقق الديوان فى تخريجها والكلام عليها انظر الديوان ص ٥٨٨-٥٩٢ ، وبعضهم ينسبها لزمعة جد أمية وقد روى البيت بلفظ

اشرب هنيئاً فقد شالت نعامتهم وأسبل اليوم فى برديك إسبالا

وقد روى البيت بلفظ .

وهو لأبى الصلت فى ديوان أمية ابنه ص ٥٢ ، ولسان العرب (نعم) ، ولأمية بن أبى الصلت فى

جمهرة اللغة ص ٣٤٠ .

لَهُ أَكَالِيلُ بِالْيَاقُوتِ فَصَّلَهَا صَوَّغَهَا لَا تَرَى عَيْبًا وَلَا طَبْعًا^(١)

قال أبو العباس: وحدثني التوزي ، قال سمعتُ أبا عُبَيْدَةَ يقول عن أبي عمرو قال :
لَمْ يَتَوَجَّعْ مَعْدِي قَطُّ ، إِنَّمَا كَانَتْ التَّيْجَانُ لِلْيَمَنِ فَسَأَلْتَهُ عَنْ هُوَذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْخَنْفِيِّ ، فَقَالَ :
إِنَّمَا كَانَتْ خِرَزَاتٌ تُنْظَمُ لَهُ . قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَقَدْ كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى هُوَذَةَ بْنِ
عَلِيٍّ يَدْعُوهُ ^(٢) كَمَا كَتَبَ إِلَى الْمُلُوكِ ، وَكَانَ يُجِيزُ لَطِيمَةً كِسْرَى فِي الْبَرِّ بِحَبْنَاتِ الْيَمَامَةِ .
وَاللَّطِيمَةُ : الْإِبِلُ تَحْمِلُ الطَّيِّبَ وَالْبَزَّ . وَوَفَدَ هُوَذَةُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى كِسْرَى بِهَذَا السَّبَبِ
فَسَأَلَهُ عَنْ بَنِيهِ فَذَكَرَ مِنْهُمْ عِدَّةً فَقَالَ : أَيُّهُمْ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ فَقَالَ : الصَّغِيرُ حَتَّى يَكْبُرَ ،
وَالْغَائِبُ حَتَّى يَقْدَمَ وَالْمَرِيضُ حَتَّى يَصِحَّ ، فَقَالَ لَهُ كِسْرَى : مَا غِذَاؤُكَ فِي بَلَدِكَ ؟ فَقَالَ :
الْخُبْزُ ، فَقَالَ كِسْرَى لِجُلَسَائِهِ : هَذَا عَقْلُ الْخُبْزِ ؛ يُفَضِّلُهُ عَلَى عَقُولِ أَهْلِ الْبُؤَادِي الَّذِينَ
يَغْتَنُونَ اللَّبَنَ وَالْتَمَرَ .

وقد رُوي عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ : لَقَدْ هَمَمْتُ أَلَا أَقْبَلَ هَدِيَّةً - وَيُرْوَى أَلَا
أَتَهَبُ هِبَةً - إِلَّا مِنْ قُرَشِيٍّ أَوْ أَنْصَارِيٍّ أَوْ ثَقَفِيٍّ ، وَرَوَى بَعْضُهُمْ : أَوْ دَوْسِيٍّ .

(١) البيتان من البسيط وهما للأعشى في ديوانه ص ١٥٧ ، والبيت الأول في لسان العرب (وَأَب) ،
(هُوذ) ، وتاج العروس ٣٢٨/٤ (وَأَب) ، ٥٠٩/٩ (هُوذ) ٤٤١/٢١ (طبع) ، والمخصص ١٠٧/١٣ ،
بلفظ : " من يلق هُوَذَةَ " .

والبيت الثاني ، بلا نسبة في مقاييس اللغة ٤٣٩/٣

(٢) قال الشيخ المصنفى : " يروى أنه ، بعث إليه سليط بن عمرو العامري القرشي بكتاب فيه :
بسم الله الرحمن الرحيم . سلام على من اتبع الهدى واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والخافر
فأسلم لتسلم وأجعل لك ما تحت يديك . فأرسل هُوَذَةَ إِلَيْهِ : إِنْ جَعَلْتَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِكَ لِي أَسْلَمْتُ
وَسَرْتُ إِلَيْكَ وَنَصَرْتُكَ وَإِلَّا قَصَدْتُ حَرْبَكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : لَا وَلَا كِرَامَةَ ، اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِ . فَمَاتَ
بَعْدَ قَلِيلٍ " رغبة الأمل ١٣٦/٤ . وانظر الكامل في التاريخ ٢/٢١٥ ، وعيون الأثر ٢/٢٦٩ .

وذلك أن أعرابياً أهدى إليه هديةً فَمَنَّ بها ، فذكر رسول الله ﷺ أهل الأمصار تفضيلاً على أهل البوادي ^(١).

* * *

وقال عبد الله بن محمد بن أبي عيينة يعاتبُ رجلاً من الأشراف :

أَتَيْتُكَ زَائِراً لِقَضَاءِ حَقٍّ فَحَالَ السَّتْرُ دُونَكَ وَالْحِجَابُ
وَعِنْدَكَ مَغْشَرٌ فِيهِمْ أَخٌ لِي كَأَنَّ إِخَاءَهُ الْآلُ السَّرَابُ
وَلَسْتُ بِسَاقِطٍ فِي قِدرِ قَوْمٍ وَإِنْ كَرُمُوا كَمَا يَقَعُ الذُّبَابُ
وَرَأَيْتِي مَذْهَبٌ عَنْ كُلِّ نَاءٍ بِجَانِبِهِ إِذَا عَزَّ الذَّهَابُ ^(٢)

وقال أيضاً :

كُنَّا مُلُوكًا إِذْ كَانَ أَوْلُنَا لِلْجُودِ وَالْبَاسِ وَالْعُلَى خُلُقُوا
كَانُوا جَبَالًا عِزًّا يُبْلَذُ بِهَا وَرَائِحَاتٍ بِالْوَبْلِ تَنْبَعُقُ
كَانُوا بِهِمْ تُرْسِلُ السَّمَاءُ عَلَى الْـ أَرْضٍ غِيَاثًا وَيُشْرِقُ الْأُفُقُ
لَا يَرْتُقُ الرَّائِقُونَ إِنْ فَتَقُوا فَتَقَا وَلَا يَفْتَقُونَ مَا رَتَقُوا

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٢٩٢) والترمذي في المناقب برقم ٤٢٢٢ من حديث أبي هريرة " أن أعرابياً أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكرة فعوضه منها ست بكرات فتسخطه ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن فلاناً أهدى إلى ناقة فعوضته منها ست بكرات فظلم ساخطاً ، ولقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشى أو أنصاري أو ثقفى أو دوسي ". وبغير هذا السياق أورده البخارى في الأدب المفرد ، وأبو داود : وانظر صحيح الترمذي (ح ٣٠٩١، ٣٠٩٢) ، وصحيح الأدب المفرد (ح ٤٦٤) ، وصحيح أبي دواد (ح ٣٠٢١) ، وصحيح الجامع (ح ٥١٤٦) ، وزاد نسبته إلى النسائي ، وعزاه إلى أحمد والبخارى في الأدب المفرد وأبي داود — وابن حبان والبيهقى في "الشعب" من حديث ابن عباس . وراجع الصحيحة (ح ٢٦٨٤)

(٢) الأبيات من الوافر ، والبيت الثانى بلا نسبة فى تذكرة النحاة ٤٧٦ .

لَيْسُوا كَمِغْزَى مَطِيرَةٍ بَقِيَتْ فَمَا بِهَا مِنْ سَحَابَةٍ لَثِقُ^(١)
وَالضَّغْفُ وَالْجَبْنُ عِنْدَ نَائِبَةٍ تَنْوِيهِمْ وَالْجَذَارُ وَالْفَرْقُ
هَذَا زَمَانٌ بِالنَّاسِ مُنْقَلِبٌ ظَهَرًا لِبَطْنٍ جَدِيدُهُ خَلَقُ^(٢)
الْأَسَدُ فِيهِ عَلَى بَرَائِنِهَا مُسْتَأَخِرَاتُ تَكَادُ تَمَزِقُ

وكان سببُ قوله هذا الشعر أنَّ إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس كان له صديقاً ، وكان عبد الله بن محمد بن أبي عيينة من رؤساء من أخذ البصرة للمأمون في أيام المخلوع^(٣) ، وكان معاضداً لطاهر بن الحسين في حروبه ، وكان إسماعيل بن جعفر جليل القدر مطاعاً في مواليه وأهله ، وكانت الحال بينهما ألطف حال ، فوصله ابنُ أبي عيينة بذي اليمينين فولاهُ البصرة ، وولّى ابنُ أبي عيينة اليمامة والبحرين وغوص البحر ، فلما رجعا إلى البصرة تنكرَ إسماعيلُ لابن أبي عيينة فهاجَ بينهما من التباعد على مثال ما كان بينهما من المقاربة ، ثم عزَلَ ابنُ أبي عيينة فلم يزل يهجو إسماعيل ، وسأل ذا اليمينين عزْلَهُ فدافعاه ، وضنَّ بالرجُل ، فكان يهجو من أهله من يواصل إسماعيل ، وكان أكبرَ أهله قدراً في ذلك الوقت يزيدُ بنُ المنجّاب ، وكان أعورَ قائمَ العين لم يُطْلَعْ على علته إلا بشعر ابن أبي عيينة ، وكان منهم - وكان سيّد أهل البصرة أجمعين - محمدُ بن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب ، ومنهم سعيدُ بن المهلب بن المغيرة بن حرب بن محمد بن المهلب بن أبي صُفرة ، وكان قصيراً ، وكان ابنُ عبادٍ أخوَلَ فذلك حيث يقول ابنُ أبي عيينة في هذا الشعر الذي أمْلَيْنَاهُ :

تَسْتَقْدِمُ النَّعْجَانِ وَالْبَرْقُ فِي زَمَنِ سَرَوْ أَهْلِهِ الْمَلَقُ

(١) بعده في زيادات بعض النسخ : اللثق : البلل

(٢) البيت في الشعر والشعراء ٨٧٥ .

(٣) قال الشيخ المصفى : " هو الأمين بن هارون خلعه أهل مكة والمدينة وكثير من عماله وبايعوا للمأمون وهو بخراسان " . رغبة الآمل ١٣٨/٤ .

غُورٌ وَحَوْلٌ وَثَالِثٌ لَهُمْ كَأَنَّهُ يَنْنَ أَسْطَرٌ لِحَقٍّ ^(١)

ولهم يقول ولانئين ظنَّ أنهما معهم وقد مرُّوا به يريدون إسماعيلَ بنَ جعفرٍ :
أَلَا قُلْ لِرَهْطٍ خَمْسَةٍ أَوْ ثَلَاثَةٍ يُعَدُّونَ مِنْ أَنْبَاءِ آلِ الْمُهَلَّبِ
عَلَى بَابِ إِسْمَاعِيلَ رُوحُوا وَبَكَّرُوا دَجَا جِ الْقُرَى مَبْثُوثَةٌ حَوْلَ ثَغْلَبِ
وَأَثْنُوا عَلَيْهِ بِالْجَمِيلِ فَإِنَّهُ يُسِرُّ لَكُمْ حَبًّا هُوَ الْحُبُّ وَأَقْلِبِ
يَلِينُ لَكُمْ عِنْدَ اللَّقَاءِ مُوَارِبًا وَيَخْلُقُكُمْ مِنْهُ بَنَابٍ وَمِخْلَبِ
وَلَوْلَا الَّذِي تَوْلَوْنَهُ لَتَكَشَفَتْ سَرِيرَتُهُ عَنْ بَغْضَةٍ وَتَعْصَبِ
أَبْعَدَ بَلَائِي عِنْدَهُ إِذْ وَجَدْتُهُ طَرِيحًا كَنَصْلِ الْقِدْحِ لَمَّا يُرْكَبِ
بِهِ صَدًّا قَدْ عَابَهُ فَجَلَوْنَهُ بِكَفِّي حَتَّى ضَوْءُهُ ضَوْءُ كَوْكَبِ
وَرَكْبَتُهُ فِي خُوطٍ نَبِجٍ وَرِشْتُهُ بِقَادِمَتِي نَسْرٍ وَمَتْنٍ مُعْقَبِ
فَمَا إِنْ أَتَانِي مِنْهُ إِلَّا مُبَوًّا إِلَيَّ بِنَصْلِ كَالْحَرِيقِ مُدْرَبِ
فَفَلَلْتُ مِنْهُ حَدَّهُ وَتَرَكْتُهُ كَهَذْبَةِ ثُوبِ الْخَزِّ لَمَّا يُهَدَّبِ
رَضِيْتُمْ بِأَخْلَاقِ الدَّنِيِّ وَعِفْتُمْ خَلَائِقَ مَاضِيكُمْ مِنَ الْعَمِّ وَالْأَبِ

وفي هذا يقول لطاهر بن الحسين :

مَالِي رَأَيْتُكَ تُدْنِي كُلَّ مُتَنَكِّثٍ إِذَا تَنَسَّمَ رِيحَ الْعَذْرِ قَابِلَهَا
إِذَا تَنَسَّمَ رِيحَ الْعَذْرِ قَابِلَهَا وَمَنْ يَجِيءُ عَلَى التَّقْرِيبِ مِنْكَ لَهُ
أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْ قَحْطَانٍ مَنَزَلَةً فَلَا تُضِغْ حَقَّ قَحْطَانٍ فَتُغْضِبَهَا
أَعْطِ الرِّجَالَ عَلَى مِقْدَارِ أَنْفُسِهِمْ وَأَوَّلِ كَلًّا بِمَا أَوْلَى وَمَا صَبْرًا

(١) البيتان في الشعر والشعراء ٨٧٤-٨٧٥ .

وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ لَا تَمَحِقِ النَّيِّرَيْنِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

ويقول له في أخرى :

هُوَ الصَّبْرُ وَالتَّسْلِيمُ لِلَّهِ وَالرِّضَا
إِذَا يَخُنُ أَبْنَا سَالِمِينَ بِأَنْفُسٍ
فَأَنْفُسُنَا خَيْرُ الْغَنِيمَةِ إِنَّهَا
هِيَ الْأَنْفُسُ الْكُبْرَى الَّتِي إِنْ تَقَدَّمتْ
سَيَعْلَمُ إِسْمَاعِيلُ أَنَّ عَدَاوَتِي
إِذَا نَزَلَتْ بِي خُطَّةٌ لَا أَشَاؤُهَا
كِرَامٍ رَجَتْ أَمْرًا فَخَابَ رَجَاؤُهَا
تَرْوِبُ وَفِيهَا مَاؤُهَا وَحَيَاؤُهَا
أَوْ اسْتَأخَرَتْ فَالْقَتْلُ بِالسَّيْفِ دَاؤُهَا
لَهُ رِيْقٌ أَفْعَى لَا يُصَابُ دَوَاؤُهَا^(١)

ولما حُمِلَ إسماعيلُ مُعَيِّدًا ، ومعه ابناه أحدهما في سلسلة معه مَقْرُونٌ ، وكان الذي تولى ذلك أحمدُ بنُ أبي خالدٍ في قِصَّةٍ كانت لإسماعيل أيامَ الْخُضْرَةِ^(٢) ، فقال ابنُ أبي عُيَيْنَةَ في ذلك :

مَرَّ إِسْمَاعِيلُ وَأَبْنَا
جَالِسًا فِي مَخْمَلٍ ضَنْوٍ
يَتَغَنَّى الْقَيْدُ فِي رِجْلِ
بَاكِيًا لَا رَقَاتٍ عَيْنٍ
هُ مَعَا فِي الْأَسْرَاءِ
كَ عَلَى غَيْرِ وَطَاءٍ
لِيْنِهِ أَلْوَانُ الْغَنَاءِ
خَاءُ مِنْ طُولِ الْبُكَاءِ

(١) الأبيات في الشعر والشعراء ٨٧٤.

(٢) قال الشيخ المصنفى : " هي الأيام التي أمر المأمون فيها جنده وقواده وبنى هاشم أن تطرح شعار السواد وأن تلبس الخضره في أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم يوم أن جعل على بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب ولي عهد المسلمين والخليفة من بعده وسماه الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وكتب بذلك إلى الآفاق فغضب بنو العباس . وكان إسماعيل بن جعفر أشد الناس غضبا حتى أظهر خلع المأمون فوجه إليه المأمون قائده عيسى بن يزيد فلما أشرف على البصرة رحل إسماعيل منها إلى الحسن بن سهل فحبسه وكتب إلى المأمون فأمر بحمله إلى مرو فلما قرب منها أمر برده إلى جرحان فحبسه بها فلما أعيته الحيلة وجهه بالبيعة للرضا إلى المأمون فرضى عنه ، وكان ذلك سنة إحدى ومائتين . . رغبة الأمل ١٤١/٤ .

يَا عَقَابَ الدُّجْنِ فِي الْأَمِّ مِنْ وَفِي الْخَوْفِ ابْنَ مَاءٍ

وقد كان تطيّر عليه بمثل ما نزل به ، فمن ذلك قوله :

لَا تَعْدِمِ الْعَزْلَ يَا أَبَا الْحَسَنِ	وَلَا هُزَالاً فِي ذَوْلَةِ السَّمَنِ
وَلَا انْتِقَالاً مِنْ دَارِ غَافِيَةٍ	إِلَى دِيَارِ الْبَلَاءِ وَالْفِتَنِ
وَلَا خُرُوجاً إِلَى الْقِفَارِ مَنْ أَلْ	أَرْضٍ وَتَرَكَ الْأَحْبَابَ وَالْوَطَنَ
كَمْ رَوْحَةٍ فِيكَ لِي مُهَجَّرَةٍ	وَذُلْجَةٍ فِي بَقِيَّةِ الْوَسَنِ
فِي الْحَرِّ وَالْقُرِّ كَمْ تَوَلَّى عَلَى أَلْ	بَصْرَةٍ عَيْنِ الْأَمْصَارِ وَالْمُدُنِ
إِنِّي أَحَاجِيكَ يَا أَبَا حَسَنِ	مَا صُورَةٌ صُوِّرَتْ فَلَمْ تَكُنْ ^(١)
وَمَا بِهِيَّ فِي الْعَيْنِ مَنْظَرُهُ	لَوْ وَزَّئُوهُ بِالزَّفِّ لَمْ يَزِنِ
ظَاهِرُهُ رَائِعٌ وَبَاطِنُهُ	مَلَأَنُ مِنْ سَوَاقٍ وَمِنْ دَرَنِ

وهذا الشعر اعترض له فيه عمرو بن زَعْبِلٍ مولى بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، وكان منقطعاً إلى إسماعيل وولده ، وكان لا يَتَلَعُّ ابن أبي عَينَةَ في الشعر ولا يدانيه ، ومن أمثل شعره وما اعترض له به قوله :

إِنِّي أَحَاجِيكَ مَا حَنِيفٌ عَلَى أَلْ فِطْرَةٍ بَاعَ الرِّبَاحَ بِالْعَيْنِ^(٢)

(١) بهامش نسخة ما نصه: " قوله : يعني المهجو ، وقيل ، يعني العنقاء . وكذلك البيت الثاني قيل : يعني المهجو وقيل : يعني النار . والبيت الثالث قيل : هو المهجو لا غير " اهـ .

(٢) قال محقق (س) بهامش نسخة ما نصه : " ما حنيف على الفطرة يعني إبليس لعنه الله ، وفي البيت الذي يليه الحائك ، ويعنى بالسهم أنساق الحائك واحدها نسق ويقال له أيضاً منسق وقول العامة زق مصحف ، والسيوف سيوف الحائك وهذه التسمية واقعة على مشهور من آلتهم وقوله : وما ابن ماء يعني : الحوت ، وما عقاب يعني السفينة ، وهذه الإشارة كلها في محاجاته إنما هي إشارة إلى ابن أبي عيينة إذ لا ظاهر لإبليس ، وإشارته إلى الحياكة بآلاتها وإلى السفينة بصفاتها وإلى ابن ماء بلغزه إنما يريد أن في أجداد ابن أبي عيينة من يعاب بهذه الصناعات اللئيمة من الحياكة وتصييد الحوت وتخدم السفن " اهـ .

وَمَا شَيْخٌ مِنْ تَحْتِ سِدْرَتِهِ
وَمَا سُيُوفٌ حُمِرَ مُصْقَلَةٌ
وَمَا سِيَهَامٌ صُفِرَ مُجَوَّفَةٌ
وَمَا ابْنُ مَاءٍ إِنْ يُخْرِجُوهُ إِلَى الْـ
وَمَا عَقَابٌ زُرَاءُ تُلْجَمُ مِنْ
لَهَا جَنَاحَانِ يَخْفِزَانِ بِهَا
يَا ذَا الْيَمِينِ اضْرِبْ عِلَاقَتَهُ
مُعَلَّقٌ نَعْلُهُ عَلَى غُصْنِ
قَدْ عُرِّبَتْ مِنْ مَقَابِضِ السِّفَنِ
تُخْشَى خُيُوطُ الْكُتَّانِ وَالْقُطُنِ
أَرْضٍ تَسِيلُ نَفْسُهُ مِنَ الْأُذُنِ
خَلْفَ فَتْهَوَى قَصْدًا عَلَى سَنَنِ
يُطَا إِلَيْهَا بِجِدْوَتِي رَسَنِ
يُذْفَعُ وَمَانِي فِي النَّارِ فِي قَرَنِ

فأجابه إبراهيم السَّوَّاقُ مولى آلِ الْمُهَلَّبِ ، وكان مُقَدِّمًا في الشعر بأبيات لا أحفظ

أكثرها منها :

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ فِي أَبِي حَسَنِ فَانْتَجَرُوا فِي تَطَاوُلِ الزَّمَنِ

وهذا السَّوَّاقُ هو الذي يقول لُبْسَرُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ حَاتِمَ بْنِ قَبِيصَةَ بْنِ

المُهَلَّبِ :

سَمَاؤُكَ تُمِطُّ الدَّهَبَا
وَأَيُّ كَيْبَبَةٍ لَاقَتْهُ
وَحَرْبُكَ تَلْتَظِي لَهَبَا
كَ لَمْ تَسْتَخْسِنِ الْهَرَبَا

ومن شعره السائر :

هَبِينِي يَا مُعَذِّبَتِي أَسَاتُ
فَأَيْنَ الْفَضْلُ مِنْكَ فَدَتِكَ نَفْسِي
وَبِالْهَجْرَانِ قَبْلُكُمْ بَدَاتُ
عَلَيَّ إِذَا أَسَاتِ كَمَا أَسَاتُ^(١)

ولابن أبي عُيَيْنَةَ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ فِي مَعَاتِبَاتِ ذِي الْيَمِينِ وَهَجَاءِ

إِسْمَاعِيلَ وَغَيْرِهِ سَنَذْكُرُهَا بَعْدُ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَمِنْ شَعْرِهِ الْمُسْتَحْسَنِ

(١) قال ابن السيد : أنشد ابن الجراح هذين البيتين لأبي راسب البجلي وهو شاعر من أهل البصرة .

(ملحق تعليقات كتاب القروط) ط . الرسالة .

قوله في عيسى بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، وكان تزوج امرأة منهم يقال لها فاطمة بنت عمر بن حفص هزارمرد ، وهو من ولد قبيصة بن أبي صفرة ،

ولم يلبه المهلب ، وكان يقال لأبي صفرة ظالم بن سراق :

أَفَاطِمَ قَدْ تَزَوَّجْتَ عَيْسَى فَأَيُّنِي	بِذُلٍّ لَدَيْهِ عَاجِلٍ غَيْرِ آجِلٍ
فَإِنَّكَ قَدْ زُوِّجْتَ عَنْ غَيْرِ خِبرَةٍ	فَتَى مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ لَيْسَ بِعَاقِلٍ
فَإِنْ قُلْتَ مِنْ رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ	وَإِنْ كَانَ خُرَّ الْأَصْلِ عَبْدُ الشَّمَائِلِ
فَقَدْ ظَفِرْتَ كَفَاهُ مِنْكَ بِطَائِلٍ	وَمَا ظَفِرْتَ كَفَاكَ مِنْهُ بِطَائِلٍ
وَقَدْ قَالَ فِيهِ جَعْفَرٌ وَمُحَمَّدٌ	أَقَاوِيلَ حَتَّى قَالَهَا كُلُّ قَائِلٍ
وَمَا قُلْتُ مَا قَالَا لِإِنَّكَ أُخْتَا	وَفِي الْبَيْتِ مِنَ الذُّرِّ وَالْكَوَاهِلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَثْبَتَهُ فِي نِصَابِهِ	بَطْنٌ صِرَتْ مِنْهُ فِي مَحَلِّ الْحَلَائِلِ
إِذَا مَا بَنُو الْعَبَّاسِ يَوْمًا تَبَادَرُوا	غُرًّا الْمَجْدَ وَابْتِغَاوُا كِرَامَ الْفَضَائِلِ
رَأَيْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ يَسْمُو بِنَفْسِهِ	إِلَى يَنْعِ يَأْحَاتِهِ وَالْمَبَاقِلِ
يُرْخِمُ بَيْضَ الْعَامِ تَحْتَ دَجَاجِهِ	لِيُخْرِجَ بَيْضًا مِنْ فَرَارِيحِ قَابِلٍ ^(١)

قال أبو العباس : وولّد عيسى من فاطمة هذه لهم شجاعةٌ ونجدةٌ وشدةٌ أبدان؛ وفاطمة التي ذكرتها هي التي كانت^(٢) ينسبُ بها أبو عيينة أخو عبد الله ويكني عنها بـ " دُنْيَا " ، ومن ذلك قوله لها :

دَعَاكَ بِالْقَرَابَةِ وَالْجَوَارِ	دُعَاءَ مُصْرَحٍ بِإِدِي السَّرَارِ
لَأَنِّي عَنْكَ مُشْتَغِلٌ بِنَفْسِي	وَمُخْتَرِقٌ عَلَيْكَ بِغَيْرِ نَارِ
وَأَنْتِ تَوَقِّرِينَ وَلَيْسَ عِنْدِي	عَلَى نَارِ الصَّبَابَةِ مِنْ وَقَارِ
فَأَنْتِ لِأَنَّ مَا بِكَ دُونَ مَا بِي	تُذَارِيَنِ الْعُيُونُ وَلَا أَدَارِي

(١) الأبيات في الأغاني ٢٠/٨٤-٨٥ ، وفيه : " لديه بذل "

(٢) في بعض النسخ : كانت .

وَلَوْ وَاللَّهِ تَشَاتِفِينَ شَوْقِي

جَمَحْتَ إِلَيَّ خَالِعَةَ الْعِذَارِ ^(١)

وقال عبد الله يعاتبُ ذا اليمينين :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْأَمِيرَ رِسَالَةً
كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ ثُمُرُ عَلَى الْفَتَى
وَأُظُنُّ لِي مِنْهَا لَدَيْكَ خَبِيئَةً
مَالِي أَرَى أَمْرِي لَدَيْكَ كَأَنَّهُ
وَأَرَاكَ تُرْجِيهِ وَتَمْضِي غَيْرَهُ
اللَّهُ يَغْلُمُ مَا أَتَيْتُكَ زَائِرًا
لَكِنْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا لَكَ رَاجِيًا
قَدْ كَانَ لِي بِالْمِصْرِ يَوْمَ جَامِعٍ
وَدَهَوْتُ مَنْصُورًا فَسَأَعْلَنَ بَيْعَةً
بَارَتْ مُسَارَعَتِي إِلَيْكَ بِطَاعَتِي
فِي الْأَرْضِ مُنْقَلَسِحَ وَرِزْقٍ وَاسِعٍ

مَحْصُورَةً عِنْدِي عَنِ الْإِنْشَادِ
فَتَهُونُ غَيْرَ شِمَاتَةِ الْحُسَادِ
سَتَكُونُ عِنْدَ الزَّادِ آخِرَ زَادٍ
مِنْ ثِقْلِهِ طَوْدٌ مِنَ الْأَطْوَادِ
فِي سَاعَةِ الْإِصْنَادِ وَالْإِيرَادِ
مِنْ ضَيْقِ ذَاتِ يَدٍ وَضَيْقِ بِلَادٍ
بِكَ رُتْبَةِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
لَكَ مُصْلِحٌ فِيهِ لِكُلِّ فَسَادٍ
فِي جَمْعِ أَهْلِ الْمِصْرِ وَالْأَجْنَادِ
كُلُّ الْبَوَارِ وَأَذَنْتُ بِكَسَادِ
لِي عَنْكَ فِي غُورِي وَفِي إِنْجَادِي

وقال أيضًا يعاتبه :

أَيَا ذَا الْيَمِينِينَ إِنَّ الْعَتَا
وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ تَرْكَ الْعَتَا
إِلَى أَنْ ظَنَنْتُ بِأَنْ قَدْ ظَنَنْتُ
فَأَضْمَرْتُ النَّفْسُ فِي وَهْمِهَا
وَلَا بُدَّ لِلْمَاءِ فِي مِرْجَلٍ
وَمَنْ أَشْرَبَ الْيَأْسَ كَانَ الْغَيَّ

بِ يُغْرِي صُدُورًا وَيَشْفِي صُدُورًا
بِ خَيْرٌ وَأَجْدَرُ أَلَّا يَضْمِرَا
بِأَنِّي لِنَفْسِي أَرْضَى الْحَقِيرَا
مِنْ أَلْهَمٍ هَمًّا يَكْذِبُ الضَّمِيرَا
عَلَى النَّارِ مُوقَدَةً أَنْ يَقُورَا
وَمَنْ أَشْرَبَ الْحِرْصَ كَانَ الْفَقِيرَا

(١) الأبيات في الأغاني ٨٥/٢٠ .

عَلَامَ وَفِيمَ أَرَى طَاعَتِي
أَلَمْ أَكُ بِالْمِصْرِ أَذْغُو الْبَعِيدَ
أَلَمْ أَكُ أَوَّلَ آتِ أَتَاكَ
وَأَلْزَمُ غَرْزَكَ فِي مَاقِطِ الْـ
فَفِيمَ تَقْدَمُ جَفَالَةَ
كَأَنَّكَ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفَتَى الْـ
فَقَدِمَ مَنْ دُونَهُ قَبْلَهُ
أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ سَفَا التُّرَابِ
وَلَسْتُ ضَعِيفَ الْمَدَى وَالْهَوَى
وَلَكِنْ شِهَابٌ فَإِنْ تَرَمَّ بِي
فَهَلْ لَكَ فِي الْإِذْنِ لِي رَاضِيَا
وَكَانَ لَكَ اللَّهُ فِيمَا ابْتِغَيْتَ
وَلَا جَعَلَ اللَّهُ فِي ذَوْلِكَ
فَإِنْ وَرَائِي لِي مَذْهَبَا
بِهِ الضُّبُّ تَحْسِبُهُ بِالْفَلَاةِ
وَمَالًا وَمِصْرًا عَلَى أَهْلِهِ
وَإِنِّي لَمِنْ خَيْرِ سُكَّانِهِ

لَذِيكَ وَنَصْرِي لَكَ الدَّهْرُ بُورَا
إِلَيْكَ وَأَذْغُو الْقَرِيبَ الْعَشِيرَا
بَطَاعَةٍ مَنْ كَانَ خَلْفِي بِشِيرَا
حُرُوبٍ عَلَيْهَا مُقِيمَا صُبُورَا
إِلَيْكَ أَمَامِي وَأَذْغَى أَحِيرَا
حَمِيٍّ إِذَا زَارَ يَوْمًا أَمِيرَا
أَلَسْتَ تَرَاهُ بِسُخْطٍ جَدِيرَا
بِهِ كَانَ أَكْرَمَ مَنْ أَنْ يَزُورَا
أَكُونُ الصَّبَا وَأَكُونُ الدُّبُورَا
مُهِمًّا تَجِدُ كَوَكْبِي مُسْتَتِيرَا
فَإِنِّي أَرَى الْإِذْنَ غَنَمًا كَبِيرَا
لَهُ مِنْ جِهَادٍ وَنَصْرٍ نَصِيرَا
سَبَقَتْ إِلَيْهَا وَرَيْحٌ قُتُورَا
بَعِيدَا مِنَ الْأَرْضِ قَاعَا وَقُورَا
إِذَا خَفَقَ الْآلُ فِيهَا بَعِيرَا
يَدُ اللَّهِ مِنْ جَائِرٍ أَنْ يَجُورَا
وَأَكْثَرِهِمْ بِنْفِيرِي نَفِيرَا^(١)

وقال عبد الله العلي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن
أبي طالب عليه السلام ، وكان دعاه إلى نصرته ^(٢) حين ظهرت الميضة ^(٣) فلم يجبه ، فتوعدّه
علي ، فقال عبد الله :

(١) الأبيات ١-٩، ١١-١٤، ١٧ في الشعر والشعراء ٨٧٣.

(٢) (وكان دعاه إلى نصرته) يريد إلى نصرة أبيه محمد بن جعفر وكان أهل مكة وآل أبي طالب اجتمعوا إليه
عقب موت الأمين يبايعونه وسموه أمير المؤمنين وكان القائم بالدعاء إليه ابنه علي والحسين بن الحسن الأفطس
ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وكانوا أسوأ الناس سيرة فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم من معهم
فحاربهم فانهمز محمد بن جعفر وأصحابه ثم طلب الأمان وقد خلع نفسه وبايع المأمون ثم خرج به عيسى
ابن يزيد وسلمه للحسن بن سهل فبعث به إلى المأمون مع رجاء بن أبي الضحاك .

(٣) قال الشيخ المرفقي : " هم قوم من أعداء الدولة العباسية جعلوا شعارهم بيض الثياب يخالفون به شعار بني
العباس من لباس السواد " رغبة الأمل ١٥٠/٤ .

لَا ظُلْمَةَ لَكَ لَا وَلَا لَكَ نُورُ
إِنِّي بِحَرْبِكَ مَا حَيِّتُ جَدِيرُ
أَطِينُ أَجْنَحَةِ الْبُعُوضِ يَضِيرُ
أَبَوَاهُمُ الْمَهْدِيُّ وَالْمَنْصُورُ
وَعَلَيْهِ قُدْرَ سَعِينَا الْمَشْكُورُ

أَعْلَىٰ إِنَّكَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ
أَكْتَبْتَ تُوعِدُنِي أَنْ اسْتَبْطَأْتَنِي
فَدَعَ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي
وَإِذَا ارْتَحَلْتُ فَإِنَّ نَصْرِي لِلْأَلَى
نَبَتَ عَلَيْهِ لُحُومُنَا وَدِمَاؤُنَا

وقال عبد الله في قتل داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب من قتل بأرض

السند بدم أخيه المغيرة بن يزيد :

بِالسُّنْدِ قَتَلَ مُغِيرَةَ بْنَ يَزِيدَ
جَعَلَتْ لَهُمْ يَوْمًا كَيَوْمَ ثُمُودَ
بِالسُّنْدِ مِنْ عَمْرِ وَ مِنْ دَاوُدَ
مِثْلَ الْقَطَا مُسْتَنَّةً لِوُرُودَ
خَلَقْتَ قُلُوبَهُمْ قُلُوبَ أُسُودَ

أَفْقَى تَمِيمًا سَعْدَهَا وَرَبَابَهَا
صَعَقَتْ عَلَيْهِمْ صَعْقَةً عَتَكِيَّةً
ذَاقَتْ تَمِيمٌ عَرَكَتَيْنِ عَذَابَنَا
قَدْ نَا الْجِيَادَ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَيْهِمْ
يَحْمِلْنَ مِنْ وَلَدِ الْمُهَلَّبِ عُصْبَةً

وفي المغيرة يقول في قصيدة طويلة :

فِرَارَ بُغَاثِ الطَّيْرِ صَادَفَنَ أَجْدَلًا
مِنَ النَّبْلِ وَالنُّشَابِ حَتَّى تَجْدَلًا
أَبُو حَاتِمٍ إِنْ نَابَ دَهْرٌ فَأَغْضَلَا
لَهُ مَخْرَجًا يَوْمًا عَلَيْهِ وَمَذْخَلَا
يَدَ الدَّهْرِ إِلَّا أَنْ يُصَابَ فَيَقْتَلَا
يَرُونَ بِهَا حَتْمًا كِتَابًا مُعْجَلَا
قَتَلْنَا بِهِ مِنْهُمْ وَمَنْ وَأَفْضَلَا
وَيُلْقِي عَلَيْهِمْ كَلْكَالًا ثُمَّ كَلْكَالَا
وَتَقْرِيبُهُمْ هُوجُ الْمَجَانِقِ جَنْدَلَا

إِذَا كَرَّ فِيهِمْ كَرَّةً أَفْرَجُوا لَهُ
وَمَا يَيْلَ إِلَّا مِنْ بَعِيدٍ بِحَاصِبٍ
وَإِنِّي لَمُنْشٍ بِالَّذِي كَانَ أَهْلُهُ
فَتَى كَانَ يَسْتَحْيِي مِنَ الدِّمِّ أَنْ يَرَى
وَكَانَ يَظُنُّ الْمَوْتَ عَارًا عَلَى الْفَتَى
مَيِّةً أَبْنَاءَ الْمُهَلَّبِ إِنَّهُمْ
وَقَدْ أَطْلَقَ اللَّهُ اللِّسَانَ بِقَتْلِ مَنْ
أَنَاخَ بِهِمْ دَاوُدُ يَصْرِفُ نَابَهُ
يُقَتِّلُهُمْ جُوعًا إِذَا مَا تَحَصَّنُوا

وهذا شعرٌ عجيبٌ من شعره ، وفي هذه القصة يقول :

أَبَتُ إِلَّا بُكَاءً وَانْتِخَابَا	وَذِكْرًا لِلْمُعِيرَةِ وَانْتِخَابَا
أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ الْقَتْلَ وَرَدُّ	لَنَا كَالْمَاءِ حِينَ صَفَا وَطَابَا
وَقُلْتُ لَهَا : قِرِّي وَثِقِي بِقَوْلِي	كَأَنَّكَ قَدْ قَرَأْتَ بِهِ كِتَابَا ^(١)
فَقَدْ جَاءَ الْكِتَابُ بِهِ فَقَوْلِي	أَلَا لَا تَعْدِمِ الرَّأْيَ الصَّوَابَا
جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ بَغْدَادَ شُعْنَا	عَوَابِسَ تَحْمِلُ الْأَسَدَ الْغَضَابَا
بِكُلِّ قَتَى أَغَرَّ مُهْلَبِي	تَخَالُ بِضَوْءِ صُورَتِهِ شِهَابَا
وَمِنْ قَحْطَانٍ كُلِّ أَحْيٍ حِفَاطِ	إِذَا يُدْعَى لِنَائِبَةِ أَجَابَا
فَمَا بَلَغْتَ قُرَى كَرَمَانَ حَتَّى	تَخَدَّدَ لَحْمُهَا عَنْهَا فَذَابَا
وَكَانَ لَهُنَّ فِي كَرَمَانَ يَوْمٌ	أَمَرٌ عَلَى الشُّرَاةِ بِهَا الشَّرَابَا
وَأَنَا تَارِكُونَ غَدَاً حَدِيثَا	بِأَرْضِ السُّنْدِ سَعْدًا وَالرَّيَابَا
تُفَاخِرُ بَابِنِ أَخُو زَهَا تَمِيمٌ	لَقَدْ حَانَ الْمُفَاخِرُ لِي وَخَابَا

وفى مثل هذا البيت الأخير يقول أخوه أبو عيينة :

أَعَاذِلْ صَه لَسْتُ مِنْ شِيَمَتِي	وَأَنْ كُنْتُ لِي نَاصِحًا مَشْفِقًا
أَرَاكَ تُفَرِّقُنِي دَائِبًا	وَمَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَفْرَقَا
أَنَا ابْنُ الَّذِي شَادَ لِي مَنْصِبًا	وَكَانَ السُّمَّاكَ إِذَا حَلَقَا
قَرِيعُ الْعِرَاقِ وَبَطْرِيقُهُمْ	وَعِزُّهُمْ الْمُرْتَجَى الْمُتَقَى
فَمَنْ يَسْتَطِيعُ إِذَا مَا ذَهَبَ	سَتْ أَنْطِقُ فِي الْمَجْدِ أَنْ يَنْطَقَا
أَنَا ابْنُ الْمُهْلَبِ مَا فَوْقَ ذَا	لِعَالٍ إِلَى شَرَفٍ مُرْتَقَى
فَدَغْنِي أَغْلِي يُثَابُ الصَّبَا	بِجِدَّتِهَا قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَا

(١) (كانك قد قرأت به كتابا) ذلك حين ما نعى له ثم ورد عليه كتاب موته فذلك قوله : فقد جاء

الكتاب به رغبة الأمل ١٥٢/٤ (تخدد لحمها) تنقص هزالا (الشراة) هم الخوارج كانوا يقولون :

إنا شربنا أنفسنا في طاعة الله " يريدون بعناها بالجنة " حين فارقنا الأئمة الجائرة . الواحد شارٍ

قال أبو الحسن : وهذا شعرٌ حسنٌ أوَّلُه :

أَلَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ أَنْ تَغْشَقَا وَمَا أَنْتَ وَالْعِشْقُ لَوْلَا الشَّقَا
أَمِنْ بَعْدِ شُرْبِكَ كَأْسَ النُّهَى وَشَمَّكَ رَيْحَانُ أَهْلِ التُّقَا
عَشِيقَتَ فَأَصْبَحْتَ فِي الْعَاشِقِيْ مِنْ أَشْهَرِ مَنْ فَرَسَ أَبْلَقَا^(١)

ثم قال :

أَعَاذِلُ صَهَ لَسْتُ مِنْ شِيَمَتِي

ثم قال بعد قوله :

فَدَغْنِيْ أَغْلِيْ يَابَ الصَّبَا

أَكْثِياعِيْ مِنْ هَمَمٍ بَخَسِ الْهَوَى خُذِي يَدِي قَبْلَ أَنْ أَغْرَقَا
أَنَا لَكَ عَبْدٌ فَكُونِي كَمَنْ إِذَا سَرَّةُ عَبْدُهُ أَعْتَقَا^(٢)

قال أبو الحسن : قوله " أنا لك عبد " فَوَصَلَ بِالألف ، فهذا إنما يجوزُ في
الضرورة ، والألفُ تَثَبُّتُ في الوقف لبيان الحركة ، فإذا وَصَلَتْ بانت الحركة ، فلم يُحْتَجْ
إلى الألف ، ومن أثبتَها في الوصل قَاسَهُ على الوقف للضرورة كقوله :

فَإِنْ يَكُ غُثًّا أَوْ سَمِينًا فَإِنِّي سَأَجْعَلُ عَيْنِيهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعَا^(٣)

(١) الأبيات في الأغاني ٨٧/٢٠.

(٢) البيتان في الأغاني ٨٨/٢٠.

(٣) البيت من الطويل ، وهو لمالك بن حريم الهمداني ، وهو من كلمة له في الأصمعيات ص ٦٧ ،
والوحشيات ٢٥٩. وهو من شواهد الكتاب ١٠/١ ، والمقتضب ٣٨/١-٢٦٦ ، وسمط اللآلئ
ص ٧٤٩ ، وشرح أبيات سيويه ٢٤٣/١ ، وبلا نسبة في الإنصاف ٥١٧/٢ ، وشرح شواهد
الإيضاح ص ٢٨٤ ، والمعاني الكبير ص ٤٢٢.

لأنه إذا وَقَفَ وَقَفَ على الهاء وَحَدَّهَا فَأَجْرَى الوصل على الوقف^(١) ، وأنشدوا
قول الأعشى :

فَكَيْفَ أَنَا وَانْتَحَالِي الْقَوَافِ — يَ بَعْدَ الْمَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عَارًا^(٢)

والرواية الجيدة :

فَكَيْفَ يَكُونُ انْتِحَالِي الْقَوَافِ	يَ بَعْدَ الْمَشِيبِ
سَقَى اللَّهُ دُنْيَا عَلَى نَائِيهَا	مِنَ الْقَطْرِ مُنْبَعِقًا رَيِّقًا
أَلَمْ أَخْذَعْ النَّاسَ عَنْ حُبِّهَا	وَقَدْ يَخْدَعُ الْكَيْسُ الْأَحْمَقَا
بَلَى وَسَبَقَتْهُمْ إِنِّي	أَجِبُّ إِلَى الْمَجْدِ أَنْ أَسْبِقَا
وَيَوْمَ الْجِنَازَةِ إِذْ أُرْسِلَتْ	عَلَى رَقَبَةٍ أَنْ جُزِيَ الْخَنْدَقَا

(١) فلم يأت بمدة الهاء في الوصل ، قال الشيخ المرصفي : " هذا ما ارتأى أبو الحسن أن ذلك ضرورة وصنعة لا مذهب ولا لغة . وعن الليث : للعرب في " أنا " لغات أجودها إذا وقفت عليها أثبت الألف وإذا مضيت قلت : أن فعلت _ بفتح النون بلا ألف - ومنهم من يقول : أنا فعلت بإثبات الألف في الوصل ومنهم من يسكن النون فيقول : أن فعلت وهي قليلة ، وقضاعة تمد الألف الأولى وتفتح النون فتقول : أن قلته . فأما تحريك الضمير في " لنفسه " لغير تمام فإنه لغة لا ضرورة كما زعم ... " رغبة الآمل ٤ / ١٥٤ . وانظر اللسان (أنن ، ها) .

(٢) البيت من المتقارب ، وهو للأعشى في ديوانه ص ١٠٣ ، وتخليص الشواهد ص ١٠٣ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٧٠٩ ، وشرح شواهد الإيضاح ص ٢٧٣ ، ولسان العرب (نحل) ، وبلا نسبة في رصف المباني ١٤ ، ٤٠٣ ، وشرح المفصل ٤ / ٤٥ ، والمقرب ٢ / ٣٥ . وروايته في الديوان :

فما أنا أم ما انتحالي القوا في بعد المشيب كفى ذاك عارا

البيت في ضرائر الشعر لابن عصفور ٤٩ ، كما رواه أبو الحسن هنا . ثم زاد ابن منظور في اللسان بلفظ : فكيف أنا وانتحالي القوا ف بعد المشيب كفى ذاك عارا .

ثم زاد : وقيدني الشعر في بيته كما قيد الأسرات الحمرا

ثم قال : أراد انتحالي القوافي فدلّت كسرة الفاء من القوافي على سقوط الياء فحذفها ، كما قال الله عز وجل : " وجفان كالجواب " .

إِلَى السَّالِّ فَاخْتَرْنَا مَجْلِسًا قَرِيبًا وَإِيَّاكَ أَنْ تَخْرُقَا^(١)

هذا مما يَغْلُطُ فيه عامةُ أهلِ البصرة ، يقولون : السَّالُّ^(٢) بالتخفيف ، وإنما هو السَّالُّ يا هذا ، وجمعه سُلَّالٌ ، وهو الغالُّ وجمعه غُلَّالٌ ، وهو الشَّقُّ الخفيُّ في الوادي .
فَكُنَّا كَفُصْنَيْنِ مِنْ بَانَةٍ رَطِيبَيْنِ جِدْثَانِ مَا أَوْرَقَا
فَقَالَتْ لِتَرْبٍ لَهَا اسْتَشِيدِي مِنْ شَعْرِهِ الْحَسَنِ الْمُتَقَى
فَقُلْتُ : أَمِرْتُ بِكِتْمَانِهِ وَخَذَرْتُ إِنْ شَاعَ أَنْ يُسْرِقَا
فَقَالَتْ بَعِثِيكِ ! قُولِي لَهُ تَمْنَعُ لَعَلَّكَ أَنْ تَنْفَقَا^(٣)

قوله " لعلك أن تنفقا " اضطرارٌ ، وحقُّه ، لعل تنفقُ : لأن " لعل " من أخوات إنَّ فأجريتْ مُجرأها ، ومن أتى بأنَّ فلمضارعَتها عسى ، كما قال مُتَمِّمُ بْنُ نُوَيْرَةَ :
لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تَلِمَ مُلْمَمَةٌ عَلَيْكَ مِنَ اللَّائِي يَدْعُوكَ أَجْدَعَا^(٤)

[وهذا كثير] .

قال أبو العباس : وزعم أبو مُعَاذٍ النَّمِيرِيُّ أَنَّهُ كَانَ يَغْتَاذُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ ابْنَ أَبِي عُيَيْنَةَ ، وَيُكْثِرُ الْمَقَامَ عِنْدَهُ ، وَكَانَ رَاوِيَةً لِشِعْرِهِ ، وَأُمُّ ابْنِ أَبِي عُيَيْنَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ يَقَالُ لَهَا :

(١) الأبيات ٤، ٣، ٢ في الأغاني ٨٨/٢٠ .

(٢) قال المِرْصَفِيُّ : (وإنما هو السال) بتشديد اللام (وهو الشق الخفي) كأنه سل ما يكون فيه وغله حتى لا يرى أو السال كالسليل اسم واسع غامض ينبت السلم والينمة والحلمة والسمر والغال واد مطمئن كثير الشجر " . رغبة الأمل ٤/ ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٣) الأبيات في الأغاني ٨٨/٢٠ .

(٤) البيت من الطويل ، وهو لمتمم بن نويرة في ديوانه ص ١١٩ ، وخزانة الأدب ٥/ ٣٤٥-٣٤٦ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٥٦٧، ٦٩٥ ، ولسان العرب (علل) ، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/ ١٩١ ، وشرح المفصل ٨/ ٨٦ ، ومغني اللبيب ١/ ٢٨٨ ، والمقتضب ٣/ ٧٤ .

خَيْرُهُ ، وهي من بني سَلَمَةَ الْخَيْرِ بْنِ قُشَيْرٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ رَيْعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، فَأَبْطَأَتْ عَلَيْهِ أَيَّامًا فَكَتَبَ إِلَيَّ :

تَمَادَى فِي الْجَفَاءِ أَبُو مُعَاذٍ وَرَاوَعَنِي وَلَاذَ بِلَا مَلَاذٍ
وَلَوْ لَا حَقُّ أَخَوَالِي قُشَيْرٍ أَتَتْهُ قَصَائِدُ غَيْرِ اللَّذَائِذِ
كَمَا رَاحَ الْهَلَالِيُّ ابْنُ حَرْبٍ بِهِ سِمَةٌ عَلَى عُنُقٍ وَحَادٍ

يعني مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ بْنِ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ الْهَلَالِيِّ ، وَكَانَ مِنْ أَقْعَدِ النَّاسِ .

وَلِقَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ صَحْبَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ سَارٍ إِلَيْهِ فَأَكْرَمَهُ وَبَسَطَ لَهُ رِدَاءَهُ ، وَقَالَ : مَرْحَبًا بِخَالِي^(١) ! فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَقٌّ جِلْدِي ، وَدَقٌّ عَظْمِي ، وَقَلَّ مَالِي ، وَهُنْتُ عَلَى أَهْلِي ! فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَقَدْ أَبْكَيْتَ بِمَا ذَكَرْتَ مَلَائِكَةَ السَّمَاءِ " .

وَمُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ هَذَا وَلِيَّ شُرْطَةِ الْبَصْرَةِ سَبْعَ مَرَاتٍ ، وَكَانَ عَلَى شُرْطَةِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْأَدَبِ غَزِيرُهُ ، فَأَغْضَبَ ابْنَ أَبِي عُيَيْنَةَ فِي حُكْمِ جَرَى عَلَيْهِ بِمَحْضَرَةِ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى - وَكَانَ عَلَى شُرْطَتِهِ إِذْ ذَلِكَ - فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ :

بِأَخَوَالِي وَأَعْمَامِي أَقَامَتْ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا وَبِهَا تَهَابُ
مَتَى مَا أَذُعُ أَخَوَالِي لِحَرْبٍ وَأَعْمَامِي لِنَائِبَةٍ أَجَابُوا
أَنَا ابْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ فَرَعُ قَوْمِي وَكَعْبٌ وَالِدِي وَأَبِي كِلَابُ
خَلَا ابْنُ عُكَّابَةَ الظَّرِبَانِ سَهْلٍ لَهُ فَسَوْ تُصَادُ بِهِ الضَّبَابُ
وَأَخَرُ مِنْ هِلَالٍ قَدْ تَدَاعَى فَصَارَ كَأَنَّهُ الشَّيْءُ الْخَرَابُ

* * *

(١) قَالَ الْمَرْصُفِيُّ (مَرْحَبًا بِخَالِي) ذَلِكَ مِنْهُ ﷺ عَطَفَ وَحَنَانٍ وَإِنَّمَا هُوَ خَالَ عَمِّهِ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَذَلِكَ أَنَّ أُمَّهُ سَمْرَاءُ ابْنَةُ جَنْدَبٍ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ . رَغْبَةُ الْأَمَلِ ١٥٧/٤

باب

قال أبو العباس : كان ابنُ شُبْرُمَةَ إذا نزلتْ به نازلةٌ قال : سَحَابَةٌ ثُمَّ تَنْقَشِعُ ^(١) .
وكان يقال : أَرْبَعٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ : كَيْتَمَانُ الْمُصِيبَةِ ، وَكَيْتَمَانُ الصَّدَقَةِ ، وَكَيْتَمَانُ
الْفَاقَةِ ، وَكَيْتَمَانُ الْوَجَعِ .

وقال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَوْ كَانَ الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ بِعَيْرَيْنِ مَا بَالَيْتُ أَيُّهُمَا
رَكِبْتُ .

وقال العُتْبِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ يَذْكُرُ ابْنًا لَهُ مَاتَ :

أَضَحَتْ بِخَدَّيْ لِلدُّمُوعِ رُسُومُ أَسْفًا عَلَيْكَ وَفِي الْفُؤَادِ كُلُّوْمُ
وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَصَائِبِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ ^(٢)

قال أبو العباس : وَأَحْسِبُ أَنْ حَبِيبًا الطَّائِيَّ سَمِعَ هَذَا فَاسْتَرْقَهُ فِي بَيْتَيْنِ أَحَدَهُمَا
قَوْلُهُ فِي إِدْرِيسَ بْنِ بَدْرِ الشَّامِيِّ :

دُمُوعٌ أَجَابَتْ دَاعِيَ الْحُزَنِ هُمُوعُ تَوَصَّلْ مِنَّا عَنْ قُلُوبٍ تَقَطُّعُ

(١) قول ابن شبرمة إذا نزلت به نازلة ، قال : في هامش نسخة : ط سحابة صيف عن قريب تنقشع " ما نصه : أول البيت :

فذرهما وإن طال على فإنها سحابة صيف عن قريب تنقشع
وفي بعضها : " تنقشع " .

(٢) البيتان في التعازي والمراثي له ص ١٦٥ .

وفي البيتين ذم للصبر عند فقد المرثي ، وفيهما من ألوان البديع أسلوب التكميل والاحتراز ، وجيء لدفع إيهام خلاف المقصود ولحفظ المعنى من توهم غير المراد . اهـ . وقوله :

والصبر يحمد في المصائب كلها إلا عليك فإنه مذموم

قلت : الصبر يحمد في كل حال وأين هذا من قول المعصوم صلى الله عليه وسلم : (إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع ، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون ولا نقول إلا ما يرضى ربنا) ؟!

وقال الله تعالى : (واصبر وما صبرك إلا بالله)

وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِابْنِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ^(١)
والآخر قوله :

قَالُوا الرَّحِيلَ ! فَمَا شَكَّكَ بِأَنَّهَا نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلًا
الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنْ تَلَدُّدًا فِي الْحُبِّ أُخْرَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا^(٢)
وقال سابق البربري :

وَأِنْ جَاءَ مَا لَا تَسْتَطِيعَانِ دَفْعَهُ فَلَا تَجْزَعَا مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَاصْبِرَا^(٣)
وقال أيضاً :

اصْبِرْ عَلَى الْقَدَرِ الْمَجْلُوبِ وَارْضَ بِهِ وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدَرُ^(٤)

* * *

وكان خالد بن صفوان يدخل على بلال بن أبي بردة يُحَدِّثُهُ فَيَلْحَنُ ، فلما كثر ذلك على بلال قال له : أَتُحَدِّثُنِي أَحَادِيثَ الْخُلَفَاءِ ، وَتَلْحَنُ لَحْنَ السَّقَاءَاتِ ؟ ! قال التَّوَزِيُّ : فكان خالد بن صفوان بعد ذلك يأتي المسجد وَيَتَعَلَّمُ الْإِعْرَابَ . وَكُفَّ بَصْرُهُ فكان إذا مرَّ به مَوْكِبُ بلال يقول : ما هذا ؟ فيقال له الأمير : ! فيقول خالد :

(١) ديوان أبي تمام ٩٢-٩٤ .

(٢) ديوانه (٣/٦٦) ، وروى الشطر الأول من البيت الثاني في بعض النسخ بلفظ " الصبر أحمد غير أن تلددى " .

(٣) قال محقق (س) بهامش في بعض النسخ " للناطقة الجعدى " ، والبيت للجعدى في شعره ق ١٣/٤ ص ٣٥ ، و٣ ص ٦١ ، وروايته :

وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا .

(٤) بعده زيادات في بعض النسخ

فما صفا لامرئ عيش يسر به إلا سيتبع يوماً صفوه كدٍ

سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ^(١)

فَقِيلَ ذَلِكَ لِبِلَالٍ ، فَأَجْلَسَ مَعَهُ مَنْ يَأْتِيهِ بِخَبْرِهِ ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ بِلَالٌ ، فَقَالَ خَالِدٌ كَمَا كَانَ يَقُولُ ، فَقِيلَ ذَلِكَ لِبِلَالٍ ، فَأَقْبَلَ عَلَى خَالِدٍ فَقَالَ : لَا تَقَشَّعُ وَاللَّهِ حَتَّى تُصِيبَكَ مِنْهَا بِشَوْبُوبٍ بَرْدٍ ! فَضْرِبِهِ مَائَتِي سَوْطٍ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ أَمَرَ بِهِ فَدَيْسَ بَطْنُهُ .
قَوْلُهُ : " بِشَوْبُوبٍ " ، مَهْمُوزٌ ، وَهُوَ الدَّفْعَةُ مِنَ الْمَطَرِ بِشِدَّةٍ ، وَجَمْعُهُ شَائِبٌ ؛ قَالَ النَّابِغَةُ يَخَاطِبُ الْقَبِيلَةَ :

وَلَا تُلَاقِي كَمَا لَاقَتْ بَنُو أَسَدٍ فَقَدْ أَصَابَتْهُمْ مِنْهَا بِشَوْبُوبٍ^(٢)
يُرِيدُ مَا نَالَ بَنِي أَسَدٍ مِنْ غَارَةِ النِّعْمَانِ عَلَيْهِمْ ، وَضَرَبَ الشَّوْبُوبَ لِلْغَارَةِ مَثَلًا ، وَالْغَارَةُ تُضْرَبُ لِذَلِكَ مَثَلًا ، كَمَا يَقَالُ : شَنَّ عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ ، أَيْ صَبَّهَا عَلَيْهِمْ . قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ :
كَمْ بَازِلٍ قَدْ وَجَّاتُ لَيْتَهَا بِمُسْتَهْلٍ الشَّوْبُوبِ أَوْ جَمَلٍ^(٣)

(١) البيت لعمران بن حطان، وانظر شعر الخوارج ص ١٥٤، وفي بعض النسخ "عن قريب"، وفي البعض الآخر "سحائب".

وقوله : فكان إذا مر به موكب بلال .

قال ابن السيد: الجاحظ : " مر طارق ، صاحب شرطة خالد بن عبد الله القسري بابتن شيرمة ، وطارق في مركبه ، فقال ابن شيرمة :

أراها وإن كانت تحب فإنها سحابة صيف عن قريب تقشع

اللهم لي ديني ولهم دنياهم، فاستعمل ابن شيرمة بعد ذلك على القضاء، فقال له ابنه: أتذكر قولك يوم مر طارق في مركبه ؟ فقال: يا بني، إنهم يجدون مثل أبيك، ولا يجد أبوك مثلهم . يا بني: إن أباك أكل من حلوائهم، وخط في أهوائهم . وقال غيره: كان ابن شيرمة، وابن أبي ليلى يجلسان على باب عيسى ابن موسى صدرًا من الليل حتى يأذن لهما. قال ابن شيرمة :

إذا نحن أعتما ومالت بنا الكرى أتانا بإحدى الراحتين عياض

أى بالإذن أو الانصراف، وعياض صاحبه. (ملحق التعليقات المختارة من كتاب القرطط). (الرسالة).

(٢) ديوانه ص ٩٢ .

(٣) شعره ص ١٨٤، وفي بعض النسخ: " كم ناقة" وكذا رواية شعره، وفيه أيضًا : " وجاءت منحراها " .

يريد ماوجأها به من حديدة ، يقول : لَمَّا وَجَأْتُهَا دَفَعْتُ بِشُؤْبُوبٍ مِنَ الدَّمِ ،
فَكَأَنَّهُ قَالَ : بِسِنَّانٍ مُسْتَهْلٍ الشُّؤْبُوبِ ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

* * *

وكان خالد بن صفوان أحد مَنْ إِذَا عَرَضَ لَهُ الْقَوْلُ قَالَ : فَيَقَالُ : إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ
عَلِيٍّ سَأَلَهُ عَنْ ابْنَيْهِ جَعْفَرٍ وَمُحَمَّدٍ ، فَقَالَ : كَيْفَ إِخْمَاؤُكَ جَوَارَهُمَا يَا أَبَا صَفْوَانَ ! فَقَالَ :
أَبُو مَالِكٍ جَارٌ لَهَا وَابْنُ بُرْثَنٍ فَيَالِكَ جَارِي ذِلَّةٍ وَصَغَارٍ^(١)
فَأَعْرَضَ عَنْهُ سُلَيْمَانُ ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ مِنْ أَحْلَمِ النَّاسِ وَأَكْرَمِهِمْ ، وَهُوَ فِي الْوَقْتِ
الَّذِي أَعْرَضَ فِيهِ عَنْهُ وَالِي الْبَصْرَةِ وَعَمُّ الْخَلِيفَةِ الْمَنْصُورِ . وَالشَّعْرُ الَّذِي تَمَثَّلَ بِهِ خَالِدٌ لِيَزِيدَ
ابْنَ مُفَرَّغٍ الْحِمِيرِيِّ ، قَالَ :

سَقَى اللَّهُ دَارًا لِي وَأَرْضًا تَرَكْتُهَا إِلَى جَنْبِ دَارِي مَغْقِلِ بْنِ يَسَارٍ
أَبُو مَالِكٍ جَارٌ لَهَا وَابْنُ بُرْثَنٍ فَيَالِكَ جَارِي ذِلَّةٍ وَصَغَارٍ^(٢)
وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ : لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ ، فَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْقَوْلُ نَظَرَ ، فَإِنْ
كَانَ لَهُ أَنْ يَقُولَ قَالَ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ أَمْسَكَ ، وَلِسَانُ الْأَحْمَقِ أَمَامَ قَلْبِهِ ، فَإِذَا
عَرَضَ لَهُ الْقَوْلُ قَالَ ، كَانَ عَلَيْهِ أَوْ لَهْ .

(١) قوله أبو مالك جار لها وابن برثن .

قال الوقشي : إنما أبونا نافع جار لها ، وهو مولى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)
وكان ينزل البصرة ، وله دار مشهورة بها ، وهو المعنى بهذا القول : بخت أبي نافع ، وكان مكثراً
من المال ، وفيه قال ابن مفرغ الحميري هذا الشعر الذي تمثّل به خالد بن صفوان ، فقيل لأبي نافع :
إنه هجاك ، قال : فإذا هجاني به أموت ، أو يموت ابني طلحة ؟ قالوا : لا ، قال : فما أبالي . وابن
برثن مولى لبني ضبيعة ، ذكر هذا كله ابن قتيبة في " المعارف " وقال غيره : عبد الرحمن بن برثن ،
وروى عن أبي هريرة ، وجابر بن عبد الله ، ويقال له : صاحب السقاية ، وروى عنه قتادة

وسليمان التميمي (ملحق التعليقات المختارة من كتاب القرط . ط . الرسالة)

(٢) ديوانه ص ١٤١ عن الكامل ، والمعارف لابن قتيبة ص ٧٧ ، وفيه " أبو نافع " .

وخالدٌ لم يكن يقول الشَّعْرَ . ويُروى أَنَّهُ وَعَدَ الْفَرَزْدَقَ شَيْئاً فَأَخْرَهُ عَنْهُ ، وَكَانَ خَالِدٌ أَحَدَ الْبُخْلَاءِ ، فَمَرَّ بِهِ الْفَرَزْدَقُ فَتَهَدَّدَهُ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ حَتَّى جَازَ الْفَرَزْدَقُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا قَدْ جَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ سَطْحًا ، وَمَلَأَ الْأُخْرَى سَلْحًا ، وَقَالَ : إِنْ عَمَرْتُمْ سَطْحِي ، وَإِلَّا نَضَحْتُكُمْ بِسَلْحِي !

* * *

وقال إِيَّاسُ ^(١) بَنُ مَعَاوِيَةَ الْمُزَنِيُّ أَبُو وَائِلَةَ - وَكَانَ أَحَدَ الْعُقَلَاءِ الدَّهَاءِ الْفُضْلَاءِ - خَالِدٍ : لَا يَنْبَغِي أَنْ نَجْتَمِعَ فِي مَجْلِسٍ ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : وَكَيْفَ يَا أَبَا وَائِلَةَ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّكَ لَا تُحِبُّ أَنْ تَسْكُتَ ، وَأَنَا لَا أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ !

وخاصم إلى إِيَّاسٍ رَجُلٌ رَجُلًا فِي دَيْنٍ وَهُوَ قَاضِي الْبَصْرَةِ ، فَطَلَبَ مِنْهُ الْبَيِّنَةَ ، فَلَمْ يَأْتِهِ بِمَقْنَعٍ ، فَقِيلَ لِلْمُطَالِبِ : اسْتَجِرْ وَكَيْعَ بْنَ أَبِي سُودٍ حَتَّى يَشْهَدَ لَكَ ، فَإِنَّ إِيَّاسًا لَا يَجْتَرِئُ عَلَى رَدِّ شَهَادَتِهِ ، ففعل ، فقال وَكَيْعٌ : وَاللَّهِ لَا أَشْهَدَنَّ لَكَ ، فَإِنْ رَدَّ شَهَادَتِي لِأَعْمَمَنُ السَّيْفِ ! فَلَمَّا طَلَعَ وَكَيْعٌ فِيهِمْ إِيَّاسٌ فَأَقْعَدَهُ إِلَى جَانِبِهِ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ ، فَقَالَ : جِئْتُ شَاهِدًا ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْمُطَرِّفِ ، أَتَشْهَدُ كَمَا يَفْعَلُ الْمَوَالِي وَالْعَجَمُ ؟ أَنْتَ تَجِلُّ عَنْ هَذَا ! فَقَالَ : إِذَنْ وَاللَّهِ لَا أَشْهَدُ ، فَقِيلَ لَوَكَيْعَ بَعْدُ : إِنَّمَا خَدَعَكَ ، فَقَالَ : أَوْلَى لَابِنِ الْلُخْنَاءِ !

وشهد رجلٌ من جلساء الحسن بشهادة عند إِيَّاسَ فَرَّدَهُ ، فَشَكَا الرَّجُلُ ذَلِكَ إِلَى الْحَسَنِ ، فَأَتَاهُ الْحَسَنُ فَقَالَ : يَا أَبَا وَائِلَةَ ، لِمَ رَدَدْتَ شَهَادَةَ فُلَانٍ ؟ فَقَالَ : يَا أَبَا سَعِيدٍ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ ^(٢) وَلَيْسَ فُلَانٌ مِمَّنْ أَرْضَى .

* * *

(١) (إِيَّاسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ) بَنُ قُرَّةَ بْنِ إِيَّاسٍ مِنْ مَضَرَ وَهُمْ يَنْسَبُونَ إِلَى مَزِينَةَ ابْنَةِ كَلْبٍ ، وَهُوَ قَاضِي الْبَصْرَةِ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ٢٨٢

واختَلَفَ نصرانيٌّ إلى أبي دُلَامَةَ^(١) مَوْلَى بني أسدَ يَتَطَبَّبُ لابن له ، فَوَعَدَهُ إنْ بَرَأَ عَلَى يديه أن يُعْطِيَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَبَرَأَ ابْنَهُ ، فَقَالَ للمتَطَبِّب : إنَّ الدِّراهِمَ لَيْسَتْ عِنْدِي ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لأُوصِلَنَّهَا إِلَيْكَ ! إِذْ عَلى جَارِي فلان هذه الدِّراهِمَ فَإِنَّهُ مُوسِرٌ ، وَأَنَا وابني نَشْهَدُ لك فليس دون أخذها شيءٌ ، فصار النصرانيُّ بالجَارِ إلى ابنِ شُبْرُمَةَ ، فسأله البينةَ فطَلَعَ عليه أبو دُلَامَةَ وابْنُهُ ، ففهم القاضي ، فلما جلس بين يديه قال أبو دُلَامَةَ :
إِنَّ النَّاسَ غَطَوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ وَإِنْ بَحْثُونِي كَانَ فِيهِمْ مَبَاحِثُ^(٢)
 فقال ابنُ نبشوا : من ذا الذي يَبْحَثُكَ يا أبا دُلَامَةَ ؟ ثم قال للمدعي : قد عرفتُ شَاهِدِيكَ ! فَخَلَّ عَنْ خَصْمِكَ ، وَرُحَ العَشِيَّةَ إِلَيَّ ، فراح إليه فَغَرِمَهَا من ماله .

* * *

(١) (أبو دُلَامَةَ) اسمه زند بن الجون ، وأكثر الناس يصحف اسمه فيقول زيد بالياء وهو خطأ وإنما هو زيد " بالنون" وقد أدرك آخر دولة بنى أمية ولم تكن له فى أيامهم نباهة ونبغ فى دولة بنى العباس وكان مع فساد دينه وارتكابه ما لا ينبغى جهره خفيف الروح حلو اللسان لطيف النادرة ولم يصل أحد من الشعراء إلى ما وصل إليه عند الخلفاء والأمراء

(٢) البيت من الطويل ، وهو لأبى دُلَامَةَ فى ديوانه ص ٣٨ ، ولسان العرب (نبث) ، وكتاب العين ٢٣١/٨ ، وتاج العروس ٣٦٧/٥ ، (نبث) ، ، وأخبار القضاة ١٣٩/٣ ، والأغانى ٢٨٦/١٠ ، وتاريخ بغداد ٤٩٠/٨ ، وديوان المعانى ٢٤٥/٢ ، وشذرات الذهب ٢٥٠/١ ، والعمدة ص ١٣٣/١ ومختار الأغانى ٧٦/٤ ، ومعاهد التنصيص ٢١٣/٢ ، والوافى بالوفيات ٢١٩/١٤ ووفيات الأعيان ٢/ ٣٢٥ . وفى بعض النسخ : "تغضب دونهم ، وفى البعض الآخر : منهم " وبعده فى زيادات بعض النسخ :

وإن نبشوا بندى نبث بنارهم فسوف ترى ماذا ترد النبائث

وبلا نسبة فى أساس البلاغة (نبث) لكن بلفظ :

وإن حفروا بندى حفرت بنارهم وسوف نرى آثارها والنبائث

وفى بعضها : " وإن نبشوا بئرى ، وفى غيرها : " فتنظر فيما تستثير النبائث " .

وشَهِدَ أَبُو عُبَيْدَةَ عِنْدَ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَنْبَرِيِّ عَلَى شَهَادَةِ وَرَجُلٍ عَدْلٍ فَقَالَ
عَبِيدُ اللَّهِ لِلْمُدَّعِي : أَمَا أَبُو عُبَيْدَةَ فَقَدْ عَرَفْتُهُ ، فَرَدَّنِي شَاهِدًا . وَكَانَ عَبِيدُ اللَّهِ أَحَدَ
الْأَدْبَاءِ الْفُقَهَاءِ الصُّلَحَاءِ .

وَزَعِمَ ابْنُ عَائِشَةَ قَالَ : عَتَبْتُ عَلَيْهِ مَرَّةً فِي شَيْءٍ ، قَالَ : فَلَقِينِي يَدْخُلُ مِنْ بَابِ
الْمَسْجِدِ يَرِيدُ مَجْلِسَ الْحُكْمِ ، وَأَنَا أَخْرُجُ فَقُلْتُ مُعَرِّضًا بِهِ :

طَمِعْتُ بِلَيْلَى أَنْ تَرِيعَ وَإِنَّمَا تَقَطُّعُ أَغْنَاكَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ^(١)
فَأَنْشَدَنِي مُعَارِضًا لِي تَارِكًا لِمَا قَصَدْتُ لَهُ :

وَبَايَعْتُ لَيْلَى فِي خِلَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ شُهُودٌ عَلَى لَيْلَى عُذُولٌ مَقَانِعُ^(٢)

وَكَانَ ابْنُ عَائِشَةَ يَتَحَدَّثُ عَنْهُ حَدِيثًا عَجِيبًا ، ثُمَّ عُرِفَ مَخْرَجُ ذَلِكَ الْحَدِيثِ .
ذَكَرَ ابْنُ عَائِشَةَ ، وَحَدَّثَنِيهِ عَنْهُ جَمَاعَةٌ لَا أُحْصِيهِمْ كَثَرَةً : أَنَّ عَبِيدَ اللَّهِ بْنَ الْحَسَنِ
شَهِدَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ عَلَى أَمْرِ أَحْسِبُهُ دَيْنًا ، فَقَالَ لَهُ : أَتُرَوِي قَوْلَ الْأَسْوَدِ بْنِ
يَعْفَرَ :

(١) البيت من الطويل ، وهو للبيعت في لسان العرب (ريع) ، ولفظ عجزه: "تضرب أعناق".

وبنفس الرواية التي أوردها المصنف أنشده في اللسان (قطع) ، زاد:

وبايعت ليلي في الخلاء ولم يكن شهودي على ليلي عدول مقانع .

تاج العروس ١٣٧/٢١ (ريع) ، ٤٦٠ (طمع) ، ٤٧/٢٢ (قطع) ، ومعجم البلدان ٣٧٩/٤ (القعايق) ،
وفصل المقال ص ٤٠٨ ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤٦٨/٢ ، ومجمل اللغة ٤٤٣/٢ ، وأساس البلاغة
(ريع) ، وجمهرة الأمثال ص ٢٧٧ والمستقصى ٣٠/٢ وهذا البيت والذي يليه للبيعت في أمالي القالي
١٩٦ / ١ .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لكثير في لسان العرب (عدل) بلفظ: (في الخلاء) ، وتاج العروس
(عدل) وليس في ديوانه ، وللبيعت في لسان العرب (قطع) . (قنع) لكن بلفظ: "بالخلاء" ، وبلا
نسبة في جمهرة اللغة ص ٩٤٢ ، وشرح المفصل ١٣/١ ، ٥١/٣ .

نَامَ الْخَلِيُّ وَمَا أَحْسَ رُقَادِي^(١)

فقال له الرجلُ : لا ! فَرَدَّ شهادَتَهُ وقال : لو كان في هذا خيرٌ لَرَوَى شرفٌ

أَهْلِهِ .

فحدثني شيخٌ من الأزدِ حديثاً ظننتُ أنَّ عبيدَ الله إياه قَصَدَ ، قال : تقدَّم رجلٌ إلى سَوَّارِ بن عبد الله - وسَوَّارُ بنُ عَمِّ عبيد الله بن الحسن - يدَّعي داراً ، وامرأةً تدَّفعُهُ وتقول لسَوَّار : إنَّها والله خِطَّةٌ ما وقع فيها كتابٌ قطُّ ، فأتي المدعي بشاهدين يعرفهما سَوَّارُ فَشَهِدَا له بالدار ، وجَعَلَتِ المرأةُ تُنَكِّرُ إنكاراً يَعْضُدُهُ التَّصْدِيقُ ، ثم قالت : سَلْ عن الشُّهُودِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يَتَغَيَّرُونَ ، فَرَدَّ المسأَلَةَ فَحَمِدَ الشَّاهِدَانِ . فلم يَزَلْ يُرِيثُ أُمُورَهُمْ ، ويسألُ الجيرانَ فكلُّ يُصَدِّقُ المرأةَ ، والشَّاهِدَانِ قد ثَبَتَا ، فَشَكَا ذلك إلى عبيد الله ، فقال له عبيدُ الله : أنا أَحْضَرُ مَجْلِسَ الْحُكْمِ مَعَكَ فَأَتِيكَ بِالْجَلِيَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فقال للشَّاهِدَيْنِ : ليس للقاضي أن يَسْأَلَكما كيف شَهِدْتُمَا ولكن أنا أَسْأَلُكما . قال : فقالا : أَرَادَ هذا أن يُحْجَّ فَأَدَارَنَا على حُدُودِ الدار من خارج وقال : هذه داري ، فَإِنْ حَدَّثَ بِي حَدَثٌ فَلَتُبِعْ وَلْتَقَسَمْ على سبيل كذا ، قال : أفعندكما غيرُ هذه الشهادة ؟ قال : لا فقال : اللَّهُ أَكْبَرُ ، وكذا لو أَدَرْتُكما على دارِ سَوَّارٍ وقلت لكما مثلَ هذه المقالة أَكُنْتُمَا تَشْهَدَانِ بِهَا لي ؟ فَفَهِمْنَا أَنَّهُمَا قد اغْتَرَّا ، فكان سَوَّارٌ إِذَا سأل عن عدالة الشَّاهِدِ يُتْبِعُ المسأَلَةَ أن يقول أَفْجَائِزُ الْعَدَالَةِ هو ؟ فَظَنَنْتُ أَنَّ عبيدَ الله رَأَى في الشَّاهِدِ غَفْلَةً فَاخْتَبَرَهُ بهذا وما أَشْبَهَهُ .

وَحَدَّثَنِي بعضُ أَصْحَابِنَا أَنَّ رجلاً من الأعرابِ تقدَّم إلى سَوَّارٍ في أمر فلم يصادفُ عنده ما يُجِيبُ فَاجْتَهَدَ فلم يَظْفَرْ بِحاجته ، قال : فقال الأعرابيُّ وفي يده عَصاً :

(١) البيت من الكامل وهو مطلع كلمة للأسود بن يعفر في الفضليات ص ٢١٦ - ٢٢٠ ، والاختيارين ص ٥٥٨ - ٥٧٠ ، وفي ديوانه ص ٢٥ ، وخزانة الأدب ١ / ٤٠٦ ، وشرح شواهد المغنى ٢ / ٥٥٣ ، ٧٢٦ ، ومغنى اللبيب ١ / ٣١٣ ، وأساس البلاغة (حضر) وقد أتى في بعض النسخ بلفظ : " فما (أحس) وهذا صدره ، وعجزه :

والهم محتضر لدى وسادى

هم أراه قد أصاب فوادی

وبعده : من غير ما سقم ولكن شفنى

رَأَيْتُ رُؤْيَا ثُمَّ عَبَّرْتُهَا وَكُنْتُ لِلْأَحْلَامِ عِبَارَا
بِأَنْبِيٍّ أَخْبِرْتُ فِي لَيْلَتِي كَلْبًا فَكَانَ الْكَلْبُ سَوَّارًا^(١)

ثم انحنى على سوارٍ بالعصا حتى مُنِعَ منه ، قال : فما عاقبه سوارٌ .

قال : وَحَدَّثْتُ أَنَّ أَعْرَابِيَا مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ سَارَ إِلَى سَوَّارٍ فَقَالَ : إِنَّ أَبِي مَاتَ وَتَرَكَنِي وَأَخَا لِي وَخَطُّ خَطِّينِ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ قَالَ : وَهَجِينَا^(٢) ، وَخَطُّ خَطًّا نَاحِيَةً ، فَكَيْفَ نَقْسِمُ الْمَالَ ؟ فَقَالَ أَهْنَا وَارِثٌ غَيْرُكُمْ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : الْمَالُ بَيْنَكُمْ أَثْلَانًا ، فَقَالَ^(٣) : لَا أَحْسِبُكَ فَهَمْتَ عَنِّي ! إِنَّهُ تَرَكَنِي وَأَخِي وَهَجِينَا لَنَا ، فَقَالَ سَوَّارٌ : الْمَالُ بَيْنَكُمْ أَثْلَانًا ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : أَيَأْخُذُ الْمَهْجِينُ كَمَا آخُذُ ، وَكَمَا يَأْخُذُ أَخِي ؟ قَالَ : أَجَلْ ! فغضب الأعْرَابِيُّ ، قَالَ : ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى سَوَّارٍ فَقَالَ : تَعْلَمُ وَاللَّهِ أَنَّكَ قَلِيلُ الْخَالَاتِ بِالذَّهْنِ ، فَقَالَ سَوَّارٌ : إِذَا لَا يَضُرُّنِي ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ شَيْئًا .

* * *

وَكَانَ عَقِيلُ بْنُ عُقْلَةَ مِنَ الْغَيْرَةِ وَالْأَنْفَةِ عَلَى مَا لَيْسَ عَلَيْهِ أَحَدٌ عَلِمْنَاهُ ، فَخُطِبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ابْنَتَهُ عَلَى أَحَدِ بَنِيهِ ، وَكَانَتْ لِعَقِيلٍ إِلَيْهِ حَاجَاتٌ ، فَقَالَ لَهُ : أُمَّا

(١) البيتان من السريع ، والبيت الأول بلا نسبة في تاج العروس ٥١٢/١٢ (عبر) وقوله : رأيت رؤيا ثم عبرتها .

قال ابن السيد : ذكر ابن قتيبة في عيون الأخبار (٦٨/١) . قال : حدثني رجل من بني جرير أن رجلاً منهم خاصم رجلاً إلى سوار بن عبد الله فقضى على الجريري ، فمر سوار ببني جرير ، فقام إليه الجريري فصرعه وخنقه وجعل يقول :

رَأَيْتُ أَحْلَامًا فَعَبَّرْتُهَا وَكُنْتُ لِلْأَحْلَامِ عِبَارَا
رَأَيْتُنِي أَخْنَقُ ضَبًّا عَلَى جَحْرٍ وَكَانَ الضَّبُّ سَوَّارَا

(ملحق التعليقات المختارة من كتاب القرط ط. الرسالة) .

(٢) المهجين : ابن الأمة من الحر وسيأتي قريباً

(٣) في نسخة : " قال : فقال "

إِذْ كُنْتَ فَاعِلًا فَجَنَّبَنِي هُجَنَاءَكَ^(١)، وَخَطَبَ إِلَيْهِ ابْنَتَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَهُوَ خَالَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَوَالِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ أَبْيَضَ شَدِيدَ الْبَيَاضِ ، فَرَدَّهُ عَقِيلٌ وَقَالَ :

رَدَدْتُ صَحِيفَةَ الْقُرَشِيِّ لَأَبْتِ أَغْرَافُهُ إِلَّا أَخْمَرَارَا
وَكَانَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عِمْرَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُيَيْدٍ اللَّهُ قَدْ مَيِّتَ
عَنْهَا ، فَخَطَبَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَدُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ ، وَأَحَدُهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ ، فَكَانَ أَخُوهَا مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ إِذَا دَخَلَ إِلَى
إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِشَامٍ أَوْسَعَ لَهُ وَأَنْشَدَهُ :

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتَى أَخُوَهَا فَقُلْتُ أَتَى الْحَبِيبُ أَخُو الْحَبِيبِ
أَحْبَبَكَ أَنْ نَزَلْتَ جِبَالَ جِسْمِي وَأَنْ نَاسَبْتَ بَشَنَةً مِنْ قَرِيبٍ^(٢)
وهذا الشعر لجميل بن عبد الله بن معمر العذري . فأما جميل بن معمر الجمحي
فَلَا نَسَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْمَرٍ ، أَيْ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ أَبٌ آخَرُ ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ ، وَكَانَ
خَاصًّا بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ويروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : أَتَيْتُ بَابَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ
فَسَمِعْتُهُ يُنَشِّدُ بِالرُّكْبَانِيَّةِ : [قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : أَيْ مِثْلَ إِنْشَادِ الرُّكْبَانِ] .
وَكَيْفَ ثَوَائِي بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ مَا قَضَى وَطَرًا مِنْهَا جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ

(١) قال المِرْصَفِيُّ [وَهَجْنَةُ فِي النَّاسِ وَالْخَيْلِ إِنَّمَا تَكُونُ مِنْ قَبْلِ الْأُمِّ فَإِذَا كَانَ الْأَبُ عَتِيقًا وَالْأُمُّ
لَيْسَتْ كَذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ هَجِينًا . وَالْقَرْفَةُ مِنْ قَبْلِ الْأَبِّ فَإِذَا كَانَتِ الْأُمُّ عَرَبِيَّةً وَالْأَبُ لَيْسَ كَذَلِكَ
كَانَ الْوَلَدُ مَقْرَفًا] اهـ .

(٢) الْبَيْتَانِ مِنَ الْوَافِرِ ، وَهُمَا لَجَمِيلٍ فِي دِيْوَانِهِ ص ١٠٤ (دَارُ بَيْرُوتِ) ، وَالْبَيْتُ الثَّانِي فِي الْأَزْهَرِيَّةِ
ص ٧٣ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (بَشَنٌ) ، لَكِنْ بِلَفْظٍ :

أَحْبَبَكَ أَنْ سَكَنْتَ جِبَالَ جِسْمِي وَأَنْ نَاسَيْتَ بَشَنَةً مِنْ قَرِيبٍ
وَلَكِنْ هُنَا فِي الْبَيْتَيْنِ يُخَاطَبُ جَمِيلُ أَخَا بَشِينَةَ لَا بِشِينَةَ نَفْسَهَا . وَفِي بَعْضِ النُّسخِ : " جِبَالَ سَلْمَى " .

فلما استأذنت عليه قال لي : أَسَمِعْتَ ما قُلْتُ ؟ قُلْتُ نَعَمْ ! قال : إنا إذا خَلَوْنَا قلنا ما يقول الناسُ في بُيُوتِهِمْ ^(١).

وكان جميلُ بنُ معمرٍ الجُمَحِيُّ قتلَ أخا لأبي خِرَاشٍ الهذليَّ يومَ فتح مكة وأتاه من ورائه وهو مُوثَّقٌ فَضَرَبَهُ ، ففي ذلك يقول أبو خِرَاشٍ ^(٢) :

فَأَقْسَمُ لَوْ لَا قَيْتَهُ غَيْرَ مُوثِقٍ لَأَبْكُ بِالْعَرَجِ ^(٣) الضَّبَاغُ النَّوَاهِلُ
لَكَانَ جَمِيلٌ أَسْوَأَ النَّاسِ صِرْعَةً وَلَكِنْ أَقْرَانَ الظُّهُورِ مَقَاتِلُ
فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلُ
وَعَادَ الْفَتَى كَالْكَهْلِ لَيْسَ بِقَائِلٍ سِوَى الْحَقِّ شَيْئًا فَاسْتَرَاخَ الْعَوَازِلُ ^(٤)

(١) قال الشيخ المصنفى : " كذلك روى الزبير بن بكار، قال : جاء عمر بن الخطاب إلى عبد الرحمن ابن عوف فسمعه قبل أن يدخل يتغنى بالنصب : وكيف ثوائي ... البيت ، فلما دخل قال : ما هذا يا أبا محمد ؟ قال : إنا إذا خلونا ... إلخ . وقد نقل ذلك ابن الأثير في "أسد الغابة" قال : وروى هذا الخبير محمد بن يزيد فقلبه " وابن حجر في الإصابة (١/ ٢٥٥) رغبة الأمل ١٧٤/٤ .

(٢) قال الشيخ المصنفى : " كذا حدث أبو العباس وتناقله الناس من بعده . والصواب ما قاله الأصمعي وأبو عمرو : إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا في يوم حنين أسارى وكان فيهم زهير بن العجوة أخو بني عمرو بن الحارث ، فمر به جميل بن معمر الجمحي وهو مربوط في الأسرى وكانت بينهما إحنة في الجاهلية فضرب عنقه فقال أبو خراش يرثيه ... " رغبة الأمل ١٧٥ . وانظر الأغاني ١٢/ ١٠ ، وديوان الهذليين ١٤٨ / ٢ - ١٥٠ .

(٣) الرواية في المصادر : " بالجزع" .

(٤) الأبيات من الطويل ، وهى لأبي خراش الهذلي في ديوان الهذليين ١٤٨/٢ - ١٥٠ . والبيت الثاني في شرح أشعار الهذليين ص ١٢٢٢ ، والرواية فيه :

لظل جميل أسوأ القوم تلة ولكن قرن للمرء شاغل

لسان العرب (ظهر) : " أسوأ الناس تلة " ، وتاج العروس ٤٨٣/١٢ (ظهر) ، وبلا نسبة في لسان العرب (ظهر) تهذيب اللغة ٦/ ٢٤٧ ، وروايته :

فلو كان قرني واحداً لكفيته ولكن

جمهرة اللغة ٧٦٤ ، ٧٩٤ . والبيت الثالث في شرح أشعار الهذليين ص ١٢٢٣ ، ولسان العرب (عهد) وقد أنشد قبله :

فلم أنس أياماً لنا ولياليا بحلية إذ نلقى بها ما نحاول .

والتنبيه والإيضاح ٤٣/٢ . والأبيات في الأغاني ٢١/ ٢١٠ .

قوله : " أسوأ الناس صرعةً " ، أي : الهيئة التي يُصرَعُ عليها ، ويقال : صرَعْتُهُ صرعةً يا فتى ، أي : مرةً واحدةً ، كما تقول : جلست جلسةً وركبت ركةً ، وهو حسنُ الجلسةِ والركبةِ ^(١) : أي : الهيئة التي يجلسُ عليها ويركبُ عليها ، وكذلك القعدةُ والنيمةُ . وقوله : " لآبَكَ " ، أي : لعادك ، وأصلُ هذا من الإياب وهو الرجوعُ ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ ^(٢) ، وقال عبيدُ بنُ الأبرص :
وَكُلُّ ذِي غِيَّةٍ يُوُوبُ ^(٣)

وقوله : " بالعرج " ، فهو ناحية من مكة ، به ولدَ عبدُ الله بنُ عمرَ بنِ عمرو ابنِ عثمان بنِ عفان ، فسُمِّي العرجيُّ ، ويقال : بل كان له مالٌ بذلك الموضع فكان يُقيمُ فيه . والنواهلُ قيل فيه قولان : أحدهما العطاشُ ، وليس بشيء ، والآخر : الذي قد شربَ شرِبَهُ فلم يَرَوْ فاحتاج إلى أن يعلَّ ، كما قال امرؤ القيس :
إِذْهَنَ أَقْسَاطُ كَرَجَلِ الدَّبْيِ أَوْ كَقَطَا كَاظِمَةَ النَّاهِلِ ^(٤)

وقوله : " أحاطت بالرقاب السلاسل " ، يقول : جاء الإسلامُ فمنع من الطلب بالأوتارِ إلا على وجهها .

* * *

(١) يفرق المبرد هنا بين ما جاء على وزن (فعللة) بالفتح فهو اسم المرة ، وما جاء على وزن (فعللة) بالكسر فهو اسم الهيئة .

(٢) سورة الغاشية : ٢٥ .

(٣) البيت من مُخلَع البسيط ، وهو لعبيد بن الأبرص في ديوانه ص ١٦ ، ولسان العرب (أوب) ، وتهذيب اللغة ٦٠٨/١٥ ، ومقاييس اللغة ١٥٣/١ . وعجزه :

وغائب الموت لا يؤوب

* (به ولد) الذي رواه الزبير بن بكار عن عمه أنه لقب بالعرجي لأنه كان يسكن عرج الطائف لا ولد به . وروى عن الأديب المكي سليمان بن عثمان بن يسار أنه كان للعرجي حائط يقال له العرج في وسط بلاد بني نصر ابن معاوية هـ ١٠١ من رغبة الآمل ١٧٧/٤

(٤) البيت من السريع ، وهو لامرئ القيس في ديوانه ص ١٢١ ، ولسان العرب (قسط) ، (كظم) وتهذيب اللغة ٣٨٩/٨ ، وتاج العروس ٣٣/٢٠ (قسط) ، (كظم) . وقوله : " إذهن أقساط .. " أورده شارح القاموس في المستدركات ، وفسره بقوله : " أى قطع " .

وكان يُقال: إنَّ أوَّلَ من أظهرَ الجَوَزَ من القُضاةِ في الحُكْمِ بلالُ بن أبي بُرْدَةَ ،
وكان أميرَ البصرة وقاضيها ، و في ذلك يقول رؤية :

وَأَنْتَ يَا بْنَ الْقَاضِيَيْنِ قَاضِي^(١)

وكان بلالٌ يقول : إنَّ الرَّجُلَيْنِ لِيَتَقَدِّمَانِ إِلَيَّ فَأَجِدُ أَحَدَهُمَا عَلَى قَلْبِي أَخَفُّ
فأُقْضِي لَهُ .

ويروى أن بلالاً وفد على عُمَرَ بن عبدِ العزیزِ بِخُناصِرَةٍ فَسَدِكَ بِسَارِيَةٍ من
المسجد فجعل يصلي إليها ويديمُ الصَّلَاةَ ، فقال عُمَرُ بنُ عبدِ العزیزِ للعلاءِ بنِ المُغيرةِ بن
البُنْدَارِ : إنَّ يَكُنْ سِرُّ هَذَا كَعَلَانِيَتِهِ فَهُوَ رَجُلٌ أَهْلُ الْعِرَاقِ غَيْرُ مُدَافِعٍ ، فقال العلاءُ : أنا
آتِيكَ بِخَبْرِهِ . فَأَتَاهُ وَهُوَ يُصَلِّي بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ ، فقال : اشْفَعْ صَلَاتَكَ فَإِنَّ لِي إِلَيْكَ
حَاجَةً ، ففعل ، فقال له العلاءُ : قد عرفتَ حالي من أمير المؤمنين ، فإن أنا أَشَرْتُ بِكَ
على ولايةِ الْعِرَاقِ فما تَجْعَلُ لِي ؟ قال : لك عُمَالِي سَنَةً ! وكان مَبْلُغُهَا عَشْرِينَ أَلْفَ أَلْفِ
دِرْهَمٍ . قال : فَاكْتُبْ لِي بِذَلِكَ ، قال : فَا رَقَدَ بلالٌ إلى منزله ، فَأَتَى بِدَوَاةٍ وَصَحِيفَةٍ
فَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ . فَأَتَى الْعَلَاءُ عُمَرَ بِالْكِتَابِ فَلَمَّا رَأَاهُ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابن يزيد بن الخطاب - وكان والي الكوفة - أما بعد ، فإن بلالاً غَرَّنا بِاللَّهِ ، فَكِدْنَا نَغْتَرُّ ،
فَسَبَّكُنَاهُ فَوَجَدْنَاهُ خَبِيثًا كَلُّهُ ، وَالسَّلَامُ .

ويروى أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ إِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ كِتَابِي هَذَا فَلَا تَسْتَعِنْ عَلَى عَمَلِكَ بِأَحَدٍ
مِنْ آلِ أَبِي مُوسَى .

(١)الرجز لرؤية فى ديوانه ص٨٢ ، وتاج العروس ٣٢٧/١٨ (دحض) ، ١٩ / ٦٥ (مضض).وبعده

بثابت النعل على الدحاض .

معتمزم على الطريق الماضى

(وَأَنْتَ يَا بْنَ الْقَاضِيَيْنِ) يريد أباه بردة استقصاه الحاجاج بعد أن استقصى شريح بن الحرث عن قضاء
الكوفة فأما جده أبو موسى الأشعرى فكان عاملا بالبصرة يقضى بين الناس فى عهد عمر وقد سلف
وكان أحد الحكمين ا.هـ رغبة الأمل ١٧٨/٤ فى بعض النسخ أورد الشطر الثانى:

معتمزم على الطريق ماضٍ

قال أبو العباس : وكان بلالٌ داهيةً لقنًا أديبًا ، ويقال : إنَّ ذا الرُّمَّةَ لما أنشده :
 سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِي بِلَالًا
 تَنَاخِي عِنْدَ خَيْرِ فَتَى يَمَانٍ إِذَا النُّكْبَاءُ نَاوَحَتِ الشَّمَالَ^(١)
 فلما سمع قوله :

فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِي بِلَالًا

قال : يا غلامُ ، مُرْ لها بَقْتُ ونَوَى !! أراد أن ذا الرُّمَّةَ لا يُحْسِنُ المدح .
 قوله : " سمعت الناس ينتجعون غيثًا " ، والمعنى إذا حُقِّقَ إنما هو سمعت هذه
 اللفظة : أي قائلًا يقول " الناسُ ينتجعون غيثًا " ومثل هذا قوله :

وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ أَحَقُّ الْخَيْلِ بِالرُّكُضِ الْمَعَارِ^(٢)
 فمعناه وجدنا هذه اللفظة مكتوبةً ، فقوله : " أَحَقُّ الْخَيْلِ " ابتداءً ، و " الْمَعَارُ "

(١) البيتان من الوافر ، وهما لذى الرمة فى ديوانه ص ١٥٣٥-١٥٣٦ . والبيت الأول من شواهد
 المقتضب ١٠/٤ ، والخزانة ١٧/٤ ، والإفصاح ٣٣٠ ، وتعليقات الأَخفش على النوادر . وجمهرة
 اللغة ص ٥٠٣ ، وخزانة الأدب ١٦٧/٩ ، ١٦٨ ، وسر صناعة الإعراب ٢٣٢/١ ، وشرح
 التصريح ٢٨٢/٢ ، ولسان العرب (صدح) والشرط الثانى فى اللسان أيضًا (نجم) ، ونوادر أبى زيد
 ص ٣٢ ، وبلا نسبة فى أسرار العربية ص ٣٩٠ ، وخزانة الأدب ٢٦٨/٩ ، ٣٩٣ ، وشرح الأشموني
 ٦٤٤/٣ . والبيت الثانى فى تاج العروس ٣٠٧/٤ (نكب) وروايته : " مناخى "

(٢) البيت من الوافر ، وهو لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ص ٧٨ ، وشرح اختيارات المفضل
 ١٤٣٩/٣ ، وللطرماح فى ملحقات ديوانه ص ٥٧٣ ، ولسان العرب (عير) ، وتاج العروس ١٣/ ١٧٩ (عير)
 ٢٧٤ (عور) ، ٢٨٢ (غور) ، ولبشر أو للطرماح أبيات سيويه ٣٢٣/٢ ، ولابن الطراوة فى بغية
 الوعاة ٣٤١/٢ ، وبلا نسبة فى خزانة الأدب ١٦٨/٩ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٣١ ، وما
 ينصرف وما لا ينصرف ص ١٢٥ ، والمقتضب ١٠/٤ ، ونوادر أبى زيد ص ٣٢ ، والمفضليات ص ٣٤٤
 وشرحها للأنبارى ص ٦٧٦ ، وديوان بشرى ص ٧٨ زاده المحقق فى المصادر ، رواه الضبى لبشر ،
 ولم يروه الطوسى ، ولم يرد فى الاختيارين ، انظر شرح الأنبارى والاختيارين ص ٥٩٣-٦٠٨ . ورواه
 أبو عبيدة للطرماح . والبيت من شواهد الكتاب ٦٥/٢ .

خبره ، وكذلك " الناس " ابتداءً ، و " يتنجعون " خبره ، ومثلُ هذا في الكلام ، قرأتُ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، إنما حَكَيْتَ ما قرأتَ ، وكذلك : قرأتُ على خَاتَمِهِ " الله أكبر " يا فتى ! فهذا لا يجوز سواه .

وقوله :

إذا النكباء نأوحت الشمال

فإنَّ الرياحَ أربعَ ، ونكباواتُها أربعَ ، وهي الرياحُ التي تأتي من بينِ رِيحَيْنِ فتكونُ بينَ الشَّمالِ والصبَا ، أو الشَّمالِ والدُّبُورِ ، أو الجنوبِ والدُّبُورِ ، أو الجنوبِ والصبَا ، فإذا كانتِ النُّكْبَاءُ تُنَاوِحُ الشَّمالَ فهي آيةُ الشَّتَاءِ . ومعنى " تُنَاوِحُ " : تُقَابِلُ ، يقالُ تُنَاوَحُ الشَّجَرُ : إذا قابِلَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وزعم الأصمعيُّ أنَّ النَّائِحَةَ بهذا سُمِّيَتْ ؛ لأنها تُقَابِلُ صاحبَها .

وقال يحيى بن نوفل الحِميرِيُّ ، ويقالُ إنَّه لم يَمْدَحْ أحداً قطُ :

فَلَوْ كُنْتُ مُمْتَدِّحًا لِلنَّوَالِ فَتَى لَأَمْتَدَحْتُ عَلَيْهِ بِلَالًا
وَلَكِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ يُرِيدُ بِمَدْحِ الرَّجَالِ الْكِرَامِ السُّؤَالَ
سَيَكْفِي الْكَرِيمَ إِخَاءُ الْكَرِيمِ وَيَقْنَعُ بِالْوَدِّ مِنْهُ نَوَالًا^(١)

ومن أحسن ما امتدَحَ به ذو الرُّمَّةِ بلالاً قوله :

تَقُولُ عَجُوزٌ مَدْرَجِي مُتْرَوِّخَا عَلَى بَيْتِهَا^(٢) مِنْ عِنْدِ أَهْلِي وَعَادِيَا
أَذُو زَوْجَةٍ بِالْمِصْرِ أَمْ ذُو خُصُومَةٍ أَرَاكَ لَهَا بِالبَصْرَةِ الْعَامِ ثَاوِيَا

(١) الأبيات في أخبار القضاة ٣٢/٢-٣٣ وتهذيب الكمال ٢٧٧/٤

(٢) بهامش بعض النسخ : " بابها " وهي رواية الديوان .

قال المرصفي : (على بيتها من عند أهلي) الرواية . على بابها من عند رحلي وبعده هذا البيت :

وقد عرفت وجهي منع اسم شهر على أننا كنا نطيل التثنية . رغبة الآمل ١٨٣/٤

فَقُلْتُ لَهَا : لَا ! إِنَّ أَهْلِي لَجِرَّةٌ
وَمَا كُنْتُ مُذْ أَبْصَرْتَنِي فِي خُصُومَةٍ
وَلَكِنِّي أَقْبَلْتُ مِنْ جَانِبِي قَسَا
مِنْ آلِ أَبِي مُوسَى تَرَى الْقَوْمَ حَوْلَهُ
مُرْمِينَ مِنْ لَيْثٍ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ
وَمَا الْخُرْقَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلَا الْخَنَى
لَأَكْتَبَةَ الدَّهْنَا جَمِيعًا وَمَالِيَا^(١)
أَرَا جُعَ فِيهَا يَا بَنَّةَ الْخَيْرِ قَاضِيَا
أَزُورُ فَتَى نَجْدًا كَرِيمًا يَمَانِيَا
كَأَنَّهُمُ الْكَرْوَانُ أَبْصَرْنَا بَارِيَا
تَفَادَى الْأَسُودُ الْغُلْبُ مِنْهُ تَفَادِيَا
عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ هَيْئَةٌ هِيَ مَا هِيََا

قوله " مدرجي " يقول : مُرُورِي . فأما قولهم في المثل : " خَيْرٌ مَنْ دَبَّ وَدَرَجَ " فمعناه : مَنْ حَيَّيَ وَمَنْ مَاتَ ، يريدون : مَنْ دَبَّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَمَنْ دَرَجَ عَنْهَا فَذَهَبَ .

وقوله :

أَرَاكَ لَهَا بِالْبَصَرَةِ الْعَامِ ثَاوِيَا

فإنه يقال في هذا المعنى : ثَوَى الرَّجُلُ فَهُوَ ثَاوٍ يَا فَتَى : إِذَا قَامَ ، وَهِيَ أَكْثَرُ ، وَيُقَالُ أَثَوَى فَهُوَ مُثَوٍ يَا فَتَى ، وَهِيَ أَقْلُ مِنْ تَلَكْ ، قَالَ الْأَعَشَى :

أَثَوَى وَقَصَّرَ لَيْلَةً لِيَزُودَا فَمَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا^(٢)

وقوله : " قَسَا " فهو موضع من بلاد بني تميم^(٣) .

وقوله " لَأَكْتَبَةَ الدَّهْنَا " فَأَكْتَبَةُ جَمْعُ كَتَبَ وَهُوَ أَقْلُ الْعَدَدِ ، وَالكَثِيرُ كُتِبَ

(١) وقال الشيخ المصنفى : " فليس قوله " لا " جواباً لسؤالها وإنما هو رد لما توهمته من وقوع أحد الأمرين : ألا تراه لم يكنف بـ " لا " بل قال : إن أهلى لجيرة ، وقال : ما كنت مذ أبصرتنى فى خصومة !؟ فالخطأ إنما هو فى سؤالها " رغبة الآمل ١٨٣ / ٤ .

(٢) البيت من الكامل ، وهو للأعشى فى ديوانه ص ٢٧٧ ، ولسان العرب (خلف) (ثوا)، وجمهرة اللغة ص ٦١٥ ، ومقاييس اللغة ٣٩٣/١ ، ومجمل اللغة ٢١٣/٢ - وديوان الأدب ١٠٩/٤ ، وتهذيب

اللغة ١٦٧/١٥ وتاج العروس ٢٧١/٢٣ ، (خلف) ، (ثوى) ، وبلا نسبة فى المخصص ٢٦٢/١٣

(٣) انظر معجم البلدان ٣٤٤/٤ .

وَكُتْبَانُ " والدَّهْنَا " من بلاد بني تميم ^(١) ، ولم أَسْمَعْ إِلَّا الْقَصْرَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعَرَبِ ،
وَسَمِعْتُ بَعْدَ مَنْ يَرْوِي مَدَّهَا وَلَا أُعْرِفُهُ ، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ ^(٢) :

حَنْتُ إِلَى نَعَمِ الدَّهْنَا فَقُلْتُ لَهَا أُمِّي هَلَالًا عَلَى التَّوْفِيقِ وَالرَّشْدِ

يعني هلالَ بنِ أَحْوَزَ المازنِيِّ ؛ وقال جرير ^(٣) :

بَازٍ يُصْغِصِعُ بِالدَّهْنِ قَطًّا جُونَا

وقوله :

كَأَنَّهُمُ الْكَرَوَانُ أَبْصَرْنَ بَازِيَا

فَالْكَرَوَانُ جَمَاعَةُ كَرَوَانٍ ، وَهُوَ طَائِفٌ مَعْرُوفٌ ، وَلَيْسَ هَذَا الْجَمْعُ لِهَذَا الْاسْمِ
بِكَمَالِهِ وَلَكِنَّهُ عَلَى حَذْفِ الزِّيَادَةِ . فَالتَّقْدِيرُ : كَرَاً وَكَرَوَانُ ، كَمَا تَقُولُ : أَخٌ وَإِخْوَانُ ،
وَوَرَلٌ وَوَرَلَانٌ ، وَبَرْقٌ وَبَرْقَانٌ ، وَالْبَرْقُ أَعْجَمِيٌّ وَلَكِنَّهُ قَدْ أُعْرِبَ وَجُمِعَ كَمَا تُجْمَعُ
الْعَرَبِيَّةُ ، وَاسْتُعْمِلَ الْكَرَوَانُ جَمْعًا عَلَى حَذْفِ الزِّيَادَةِ وَاسْتُعْمِلَ فِي الْوَاحِدِ كَذَلِكَ .
تَقُولُ الْعَرَبُ فِي مِثْلِ مِنْ أَمْثَالِهَا :

أَطْرَقَ كَرَاً أَطْرَقَ كَرَاً إِنَّ النَّعَامَ فِي الْقُرَى

يُرِيدُونَ الْكَرَوَانَ ^(٤) .

وقوله :

مَنْ أَلِ أَبِي مُوسَى تَرَى الْقَوْمَ حَوْلَهُ

(١) انظر معجم البلدان ٤٩٣/٢ وحكى فيها اللغتين .

(٢) ديوانه ق ١٧/٤ ج ١/ ١٧٥ .

(٣) سبق والبيت من البسيط ، وهو لجرير في ديوانه ص ٥٤٢ ، ولسان العرب (صقع) ، (دهن) ،
وفيه " نار تصعصع " ، وهذا عجزه ، وصدره كأن حاديهما لما أضربها

(٤) انظر الكتاب ، فما ذهب إليه المبرد من أن الكروان جمع كروان كسر على حذف زوائده هو
مذهب سيبويه وابن جنى ، وردده بعضهم وقال : الكرا لغة في الكروان ، والكروان جمع كرا ، .

فقال : " تَرَى " ولم يقل : تَرَيْنَ ، وكانت المخاطبة أولاً لامرأة ألا تراه يقول :

وَمَا كُنْتُ مُدَّ أَبْصَرْتَنِي فِي خُصُومَةٍ أُرَاجِعُ فِيهَا يَا بَنَةَ الْخَيْرِ قَاضِيَا

ثم حَوَّلَ المخاطبة إلى رجل ، والعربُ تَفْعَلُ ذلك ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبِيَّةٍ ﴾ ^(١) فكان التقدير - والله أعلم - كان للناس ، ثم حَوَّلَتِ المخاطبة إلى النبي ﷺ ^(٢) ، وقال عَتْرَةُ بْنُ شَدَّادٍ :

شَطِطَ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِيراً عَلَيَّ طِلَابُكَ ابْنَةَ مَخْرَمٍ ^(٣)

وقال جرير :

مَا لِلْمَنَازِلِ لَا يُجِبْنَ حَزِينَا أَصْمَمْنَ أَمْ قَدُمَ الْمَدَى قَبْلَيْنَا؟

وَتَرَى الْعَوَازِلَ يَتَسَدَّرْنَ مَلَأَمَتِي وَإِذَا أَرَدَنْ سِوَى هَوَاكِ عُصِينَا ^(٤)

فقال أولاً لرجل ، ثم قال : " سوى هواك " ، وقال آخر :

فِدَى لَكَ وَالْإِدْيِ وَسِرَاةٍ قَوْمِي وَمَالِي إِنَّهُ مِنْهُ أَتَانِي ^(٥)

(١) سورة يونس : ٢٢.

(٢) كذا قال ! وقال الشيخ المرفعي : " وإنما الخطاب فيها للناس ... ثم صرف ذلك الخطاب إلى الغيبة ... " رغبة الآمل ١٨٧/٤ . وانظر تفسير القرطبي ٣٢٤/٨ - ٣٢٥ .

(٣) البيت من الكامل ، وهو لعنزة في ديوانه ص ١٠٩ ، ولسان العرب قلت : ويسمى ذلك بالالتفات ، وهو فن يديع من فنون العربية ، والنكتة فيه في هذه الآية هي أن المخاطبين ليسوا أهلاً للخطابة ، ولا أهلاً لتلك النعمى ، وهو جريان الفلك بهم بريح طيبة ، فلذلك حول الخطاب عنهم ، ونزل منزلة الغائبين تحقيقاً لهم " (زار) ، (زور) (شطط) وتاج العروس (١١ / ٣٩٦ زار) ، ٤٧٢ (زور) ، ٤١٥ / ١٩ (شطط) ، (ركل) ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤٢ / ٣ ، وفي لفظ : " على طلابها " والكلمة هي معلقته . وسيأتى البيت

(٤) البيتان من الكامل ، وهما لجرير في ديوانه ص ٤٣٨ ط . دار الكتب العلمية وبينهما بيت ثالث ، وفيه : (سوى هواي) .

(٥) قال علي بن حمزة في التنبيهات ١٣١ : " لا معنى لهذا البيت على هذه الرواية [وإنما الرواية] فتى له والدى بالهاء مختلسة الحركة ... " . اهـ وعلق العلامة الميمنى على هذا القول بقوله " هذا بيت غفل فرد وأنا مع كثرة الإمعان لم أقف على هذه الإحالة بعد ولا أرى له مستنداً فيما يدعى " اهـ ، وسيأتى البيت ، والبيت من الوافر وهو بلا نسبة في لسان العرب (فدى) ، وتاج العروس (فدى) ، بلفظ :

فدى لك ولدى وفدتك نفسى ومالى إنه منكم أتانى

على تحويل المخاطبة .

وقوله : " مُرْمِينَ " يريد سُكُوتًا مُطَرِّقِينَ ، يقال : أَرَمَّ إذا أَطَرَقَ ساكتًا .

وقوله : " تَفَادَى أُسُودٌ " معناه يفتدي منه بعضها ببعض . وفي الخبر أن سليمان

ابن عبد الملك أَمَرَ بِدَفْعِ عِيَالِ الْحَجَّاجِ وَلُحْمَتِهِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَتَفَادَى مِنْهُمْ ، تأويله :
فَدَى نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ بغيره .

وقوله :

وَمَا اخْرَقَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلَا اخْنَى عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ هَيْبَةٌ هِيَ مَا هِيََا

إذا رفعت " هيبة " فالمعنى : ولكن أَمْرُهُ هَيْبَةٌ ، كما قال الله عز وجل : ﴿ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ ﴾ ^(١) أي : ذلك بلاغٌ ، ومثله قول الله عز وجل : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ ^(٢) يكون رفعه على ضربين : أحدهما : أَمَرْنَا طَاعَةً وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ، والوجه الآخر : طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ أُمْتَلُ .

ومن نصب " هيبة " أراد المصدر أي : ولكن يُهابُ هَيْبَةً .

وأحسن ما قيل في هذا المعنى :

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ ^(٣)

(١) سورة الأحقاف : ٣٥ .

(٢) سورة محمد : ٢١ .

(٣) البيت من البسيط ، وهو للحزبن الكنانى واسمه (عمرو بن عبد وهيب) وقال ابن أبى الدنيا (اسمه سليمان) مكارم الأخلاق ص ٢٣ ط ابن تيمية من كلمة يمدح بها عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ورواه ابن أبى الدنيا مع آخر له فى مدح عبد العزيز بن مروان فى خبر حكاة ، ويرويان فى كلمة الفرزدق فى مدح زين العابدين وهو غلط ممن رواهما فيها كما قال الأصبهاني ، ويرويان لغيره انظر مكارم الأخلاق ص ٢٣ ، والأغاني ٣١٥/١٥ ، والبيان والتبيين ٣٠٧/١ ، والشعر والشعراء ٦٥ / ١ ، وشرح أبيات مغنى اللبيب ٣١١-٣٣ ، ولسان العرب (حزن) ، والمؤتلف والمختلف ص ٨٩ ، وللفرزدق فى ديوانه ١٧٩ / ٢ ، وأمالى المرتضى ٦٨ / ١ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٦٢٢ ، وشرح شواهد المغنى ٧٣٢ / ٢ ، ومغنى اللبيب ٣٢٠ ، والمقاصد النحوية ٥١٣/٢ ، ٢٧٣ / ٣ ، وبلا نسبة فى أوضح المسالك ١٤٦/٢ ، وشرح الأشموني ١٨٣/١ ، وشرح المفصل ٥٣ / ٢ .

وقال الفرزدق ^(١) يعني يزيد بن المهلب :

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضَعَ الرُّقَابُ نَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ

وفي هذا البيت شيءٌ يَسْتَطْرِفُهُ النَّحْوِيُّونَ ، وهو أَنَّهُمْ لَا يَجْمَعُونَ مَا كَانَ مِنْ فَاعِلٍ نَعْتًا عَلَى فَوَاعِلٍ ؛ لئلا يَلْتَبِسَ بِالْمَوْنِ ؛ لَا يَقُولُونَ ضَارِبٌ وَضَوَّارِبٌ ، وَقَاتِلٌ وَقَوَاتِلٌ ، لَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي جَمْعِ ضَارِبَةٍ ضَوَّارِبٌ ، وَقَاتِلَةٍ قَوَاتِلٌ ، وَلَمْ يَأْتِ ذَلِكَ إِلَّا فِي حَرْفَيْنِ أَحَدُهُمَا فِي جَمْعِ فَوَّارِسٍ ؛ لِأَنَّ هَذَا مِمَّا لَا يُسْتَعْمَلُ فِي النِّسَاءِ فَأُمِنُوا الِاتِّبَاسَ ، وَيَقُولُونَ فِي الْمَثَلِ ^(٢) : " هُوَ هَالِكٌ فِي الْهَوَالِكِ " ، فَأَجْرُوهُ عَلَى أَصْلِهِ لَكثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ لِأَنَّهُ مَثَلٌ ؛ فَلَمَّا احتاج الفرزدقُ لِضَرُورَةِ الشَّعْرِ أَجْرَاهُ عَلَى أَصْلِهِ فَقَالَ : " نَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ " وَلَا يَكُونُ مَثَلٌ هَذَا أَبَدًا إِلَّا فِي ضَرُورَةٍ ^(٣) .

* * *

(١) البيت من الكامل ، وهو للفرزدق في ديوانه ٣٠٤/١ ، والكتاب ٢/٢٠٧ ، والمقتضب ١/١١ ، ٢/٢١٩ والخزانة ١/٩٩ - ١٠٨ ، وجمهرة اللغة ص ٦٠٧ ، وشرح أبيات سيبويه ٢/٣٦٧ ، وشرح التصريح ٢/٣١٣ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٣٩ ، وشرح شواهد الشافية ص ١٤٢ ، وشرح المفصل ٥/٥٦ ، ولسان العرب (نكس) (خضع)

(٢) ذكر البغدادى في الخزانة ١/١٠٠ أحد عشر لفظاً على فواعل جمع فاعل صفة لمذكر وهى : ناكس ونواكس ، وفارس وفوارس ، وهالك وهوالك ، وغائب وغوايب ، وشاهد وشواهد ، وحارس وحوارس ، وحاجب وحواجب من الحجابة ، وخاطئ وخواطئ ، وحاج وحواج ، ودارج ودوارج ، ورافد وروافد .

(٣) قال على بن حمزة في التنبيهات ١٣٢ : "... قد جاء طائح فى الطوائح كذا قالوا هالك فى الهوالك ، قال نهشل بن حرى :

ليك يزيد بائس ذو ضراعة وأشعث ممن طوحته الطوائح

وقد جاء فى غير الضرورة لذى الرمة فى صمة فحل إبل :

طوى البطن عافى الظهر أقصى صريفه عن الشول شذان الفحول العوارم " اهـ .

وقال أبو الوليد اللؤشى فى شرح الكامل : " هذا مخرج على الضرورة وهو أن تريد بالرجال جماعات الرجال فكأنه جماعات نواكس وواحدة جماعة ناكسة فيكون مقيساً جارياً على بابهِ كقائلة وقوائل .. " انظر كلامه فى الخزانة ١/٩٩ - ١٠٠ .

باب

قال جرير ، ونزل بقوم من بني العنبر بن عمرو بن عميم ، فلم يقرؤهُ حتى اشترى منهم القرى ، فانصرف وهو يقول :

يَا مَالِكُ بْنُ طَرِيفٍ إِنَّ بَيْنَكُمْ رَفَدَ الْقَرْيَ مُفْسِدٌ لِلدِّينِ وَالْحَسَبِ
قَالُوا : نَبِيعُكَ يَبْعَا فَقُلْتُ لَهُمْ يَبْعُوا الْمَوَالِيَ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْعَرَبِ
لَوْلَا كِرَامُ طَرِيفٍ مَا غَفَرْتُ لَكُمْ يَبْعِي قِرَايَ وَلَا أَنْسَأْتُكُمْ غَضَبِي
هَلْ أَنْتُمْ غَيْرُ أَوْشَابِ زَعَانِفَةٍ رِيشُ الذَّنَابِي وَلَيْسَ الرَّأْسُ كَالذَّنَبِ^(١)

قوله : " يا مالك بن طريف " فمن نصب فإنما هو على أنه جعل " ابن " تابعا لما قبله ، كالشيء الواحد ، وهو أكثر في الكلام إذا كان اسما علما منسوبا إلى اسم علم جعل " ابن " مع ما قبله بمنزلة الشيء الواحد ، ومثل ذلك :

يَا حَكَمَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ^(٢)

ومن وقف على الاسم الأول ثم جعل الثاني نعتا لم يكن في الأول إلا الرفع ، لأنه

(١) الأبيات في ديوانه ص ٤٦ ط. دار الكتب العلمية بدون البيت الرابع مع تقديم وتأخير واختلاف

في الألفاظ وفيمن سقيت على النحو التالي

ياطعم يابن قريط إن بيعكم رَفَدَ الْقَرْيَ نَاقِصٌ لِلدِّينِ وَالْحَسَبِ
لَوْلَا عِظَامُ طَرِيفٍ مَا غَفَرْتُ لَكُمْ يَوْمِي بِأَوْدٍ وَلَا أَنْسَأْتُكُمْ غَضَبِي
قَالُوا: اشْتَرَوْا جِزْرًا مَنَافَقَلْتُ لَهُمْ يَبْعُوا الْمَوَالِيَ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْعَرَبِ

(٢) البيت من الرجز وهو للكذاب الحرمازي - وهو عبد الله بن الأعور والكذاب لقبه - من أبيات في الشعر والشعراء ٢/ ٦٨٩ ، وهو من شواهد الكتاب ١/ ٣١٣ ، والمقتضب ٤/ ٢٣٢ وانظر شرح أبيات سيويه ١/ ٤٧٢ ، والبيت لرؤية في ملحق ديوانه ص ١٧٢ ، ولسان العرب (سردق) ، وتاج العروس (سردق) ، وفيه : قال الصاغاني الرجز ليس له ، وإنما هو للكذاب الحرمازي ، والكتاب ٢/ ٢٠٣ ، ولرؤية أو للكذاب الحرمازي في شرح التصريح ٢/ ١٦٩ ، والمقاصد النحوية ٤/ ٢١٠ ، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٤/ ٢٢ ، ووصف المباني ص ٣٥٦ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٥٢٦ وشرح الأشموني ٢/ ٤٤٦ وشرح المفصل ٢/ ٥. وبعده :

أنت الجواد ابن الجواد المحمود سرادق المنجد عليك ممدود

مفردٌ نِعَتَ بمضافٍ ، فصار كقولك : يا زيدُ ذا الجُمَةِ .

وقوله " وَلَا أَنْسَأْتُكُمْ غَضَبِي " يقول : لم أُؤَخِّرْهُ عَنْكُمْ ، يقال : نَسَأَ اللهُ فِي أَجَلِكَ ، وَأَنْسَأَ اللهُ أَجَلَكَ ، والنَّسِيءُ من هذا ، ومعناه تأخيرُ شهرٍ عن شهر ، وكانتِ النِّسَاءَةُ من بني مُذَلِّجِ بْنِ كِنَانَةَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾^(١) ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُؤَخِّرُونَ الشُّهُورَ فَيُحَرِّمُونَ غَيْرَ الْحَرَامِ ، وَيُجِلُّونَ غَيْرَ الْحَلَالِ ، لِمَا يُقَدِّرُونَهُ مِنْ حُرُوبِهِمْ وَتَصَرُّفِهِمْ ، فَاسْتَوَتْ الشُّهُورُ لَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ ، وَأَبَانَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ : " إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ " ^(٢) .
وقوله :

هَلْ أَنْتُمْ غَيْرُ أَوْشَابٍ زَعَانِفَةٍ

فالأشابةُ : جماعةٌ تَدْخُلُ فِي قَوْمٍ وَلَيْسَتْ مِنْهُمْ ، وَإِنَّمَا هُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْأَمْرِ الْأَشْبِ
أَيِ الْمَخْتَلَطِ ، وَيَزْعَمُ بَعْضُ الرُّوَاةِ أَنَّ أَصْلَهُ فَارِسِيٌّ أُعْرِبَ ، يُقَالُ بِالْفَارِسِيَّةِ : وَقَعَ الْقَوْمُ فِي
أَشُوبٍ أَيْ : فِي اخْتِلَاطٍ ، ثُمَّ تَصَرَّفَ ، فَقِيلَ : تَأَشَّبَ النَّبْتُ ، فَصُنِعَ مِنْهُ فِعْلٌ ^(٣) .
وَأَمَّا " الزَّعَانِفُ " فَأَصْلُهَا أَجْنَحَةُ السَّمَكِ ، سُمِيَ بِذَلِكَ الْأَدْعِيَاءُ لِأَنَّهُمْ اتَّصَقُوا
بِالصَّمِيمِ ، كَمَا اتَّصَقَتْ تِلْكَ الْأَجْنَحَةُ بِعِظَامِ السَّمَكِ ؛ قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ :

(١) سورة التوبة / ٣٧ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى "الأضاحى" ، باب من قال :الأضحى يوم النحر (١٠/١٠) ،
(ح. ٥٥٥٠) ، ومسلم فى " القسامة" ، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ، (ح ١٦٧٩) .
كلاهما من حديث أبى بكرة .

(٣) قال محقق (س) بعد زيادات ر: "هذا وهم من أبى العباس ليس لأشابة ولا الأشب من
الأوشاب، لأن فاء الفعل من الأشابة همزة ومن أوشاب واو ، ولكنه مثله فى المعنى يحتمل أن يكون
أصله وشابة وأبدلت الواو المضمومة همزة " . وعلق الشيخ المصنفى على قول صاحب الحاشية يحتمل
أن يكون ... إلخ قال : " لا مساغ لهذا الاحتمال مع اتفاق أهل اللغة على أنهما مادتان ليست إحداهما
مقلوبة عن الأخرى " رغبة الآمل / ٤ / ١٩٢ .

.....كَأَنَّمَا قَوَائِمُهُ فِي جَانِبَيْهِ زَعَانِفُ

وتزعم الرواة أَنَّ مِمَّا أَتَتْ مِنْهُ جِلَّةُ الْمَوَالِي هذا البيتُ ، يعني قولَ جرير :

يَبْعُوا الْمَوَالِيَّ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْعَرَبِ

لأنَّه حَطَّهُمْ وَوَضَعَهُمْ، ورأى أَنَّ الإِسَاءَةَ إِلَيْهِمْ غَيْرُ مُحْسوبة عَيْنًا، ومثلُ ذلك قولُ الْمُتَنَجِّعِ لرجل من الأشراف: مَا عَلَّمْتَ وَلَدَكَ؟ قال: الفرائض، قال: ذلك عِلْمُ الْمَوَالِي لا أَبالك أَعَلَّمَهُمُ الرِّجْزَ، فَإِنَّهُ يُهَرِّتُ أَشْدَاقَهُمْ^(١). ومن ذلك قولُ الشَّعْبِيِّ وَمَرَّ بِقَوْمٍ مِنَ الْمَوَالِي يَتَذَكَّرُونَ النُّحُو ، فقال : لئن أَصْلَحْتُمُوهُ إِنِّكُمْ لِأَوَّلُ مَنْ أَفْسَدَهُ ! ومن ذلك قول عنترة :

فَمَا وَجَدُونَا بِالْفُرُوقِ^(٢) أَشَابَةً وَلَا كُشْفًا وَلَا دُعِينَا مَوَالِيَا^(٣)
ومن ذلك قولُ الآخر :

يُسَمُّونَنَا الْأَعْرَابَ^(٤) وَالْعَرَبُ اسْمُنَا وَأَسْمَاؤُهُمْ فِينَا رِقَابُ الْمَزَاوِدِ^(٥)

يريد أَسْمَاؤُهُمْ عِنْدَنَا الْحَمَرَاءُ^(٦)، وقولُ العرب : " ما يَخْفَى ذلك على الأسود والأخمر " يريد العربي والعجمي ، قال المختار لإبراهيم بن الأشتر يومَ خَازَرَ - وهو اليومُ

(١) (يهرت أشداقهم) يوسعها وقد هرت شدقه " بالكسر " فهو أهرت إذا اتسع . يريد أن يحفظ الرجز يسد العارضة ويقيم . رغبة الأمل ١٩٣/٤ .

(٢) (بالفروق) " بفتح الفاء " اسم عقبة دون هجر كانت بها وقعة لبنى عبس بن بغض على بنى سعد ابن زيد بن مناة بن تميم . رغبة الأمل ١٩٣/٤ .

(٣) البيت من الطويل ، وهو لعنترة في شرح ديوانه ص ١٦٠ ط . دار الكتب العلمية .

(٤) (الأعراب) هم من نزلوا البادية وانتجعوا لطلب الكلاء ومساقط الغيث (والعرب) هم من نزلوا المدن والقرى من بلادهم وكلاهما في معناه جمع واحده عربى وأعرابى والعربى أشرف وأكرم من الأعرابى رغبة الأمل ١٩٤/٤ .

(٥) البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة في أساس البلاغة ص ١٧٢ (رقب).

(٦) قال الشيخ المرصفي : " على سبيل الكناية . والعرب تلقب الموالى وسائر العجم من الفرس والروم ومن صاقبهم بالحمراء لغلبة البياض على ألوانهم " رغبة الأمل ١٩٤ / ٤ .

الذي قُتِلَ فيه عبيدُ الله - بنُ زياد - : إنَّ عَامَّةَ جُنْدِكَ هَؤُلَاءِ الْحَمَرَاءُ ، وإنَّ الْحَرْبَ إنَّ ضَرَسْتَهُمْ هَرَبُوا ، فَاحْمِلِ الْعَرَبَ عَلَى مَثُونِ الْخَيْلِ ، وَأَرْجِلِ الْحَمَرَاءَ أَمَامَهُمْ .

ومن ذلك قولُ الأشعثِ بنِ قيسٍ لعلِيَّ بنِ أبي طالبٍ رحمه الله ، وأتاه يَنْحَطِّي رِقَابَ النَّاسِ ، وعلِيٌّ على المَنْبَرِ فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! غَلَبْنَا هَذِهِ الْحَمَرَاءَ عَلَى قُرْبِكَ ، قال : فَرَكَّضَ عَلِيٌّ الْمَنْبَرَ بِرَجْلِهِ ، فقال صَعَصَعَةً بَنُ صُوحَانَ الْعَبْدِيِّ : مالنا ولهذا ؟ - يعني الأشعث - لَيَقُولَنَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ فِي الْعَرَبِ قَوْلًا لَا يَزَالُ يُذَكَّرُ ، فقال عليٌّ : مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ هَذِهِ الضَّيَّاطِرَةِ ؟ يَتَمَرَّغُ أَحَدُهُمْ عَلَى فَرَّاشِهِ تَمَرَّغُ الْحِمَارِ ، وَيُهْجَرُ قَوْمٌ لِلذِّكْرِ ، فَيَأْمُرُونِي أَنْ أَطْرُدَهُمْ ، مَا كُنْتُ لِأَطْرُدَهُمْ فَأَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ، والذي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ لَيَضْرِبُنِيكُمْ عَلَى الدِّينِ عَوْدًا كَمَا ضَرَبْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ بَدْءًا .

قوله : " الضيَّاطرة " واحدهم ضَيْطَرٌّ وَضَيْطَارٌّ ، وهو الأحمر العُضِلُ الفَاجِشُ ، قال خِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ :

وَتُرَكَّبُ خَيْلٌ لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضَّيَّاطِرَةِ الْحُمْرِ^(١)
وَإِنَّمَا قَالَ جَرِيرٌ لِبَنِي الْعَنْبَرِ :

هَلْ أَنْتُمْ غَيْرُ أَوْشَابِ زَعَانِفَةٍ

لأنَّ النَّسَائِينَ يزعمون أنَّ الْعَنْبَرَ بنَ عَمْرِو بنِ تَمِيمٍ إنما هو ابنُ عَمْرِو بنِ بَهْرَاءَ ، وأنَّ أُمَّهُ أُمُّ خَارِجَةَ الْبَجَلِيَّةُ التي يقال لها في المَثَلِ : " أَسْرَعُ مِنْ نِكَاحِ أُمِّ خَارِجَةَ " وكانت قَدْ وَلَدَتْ في الْعَرَبِ في نَيْفٍ وَعَشْرِينَ حَيًّا مِنْ آبَاءٍ مُتَفَرِّقِينَ^(٢) ؛ وكان يقول لها الرجلُ :

(١) البيت من الطويل ، وهو لخدَّاش بن زهير في الأضداد ص ١٥٣ ، وأمالى المرتضى (١/٤٦٦) ،

ولسان العرب ٤/٤٨٩ (ضطر) ، وبلا نسبة في سر صناعة الإعراب (١/٣٢٣) ، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٠٣ بلفظ (ونركب خيلا) .

(٢) قال علي بن حمزة في التنبيهات ١٧٣ : "قال أبو جعفر [بن النحاس] : "الذي حكاه أهل اللغة ، يقال : هم مفترقون في النسب ، وكانوا جماعة فصاروا متفرقين . وقول أبي جعفر هو الأعلى والأصح " .

خِطْبٌ؟ فتقول: نُكْحٌ^(١)، وكذلك قال يونس بن حبيب. فَنَظَرَ بُنُوها إلى عَمْرِو بن تميم قد وَرَدَ بلادهم، فَأَحْسُوا بأنه أراد أُمَّهُم فَبَادَرُوا إِلَيْهِلِمَنْعُوهُ تَزَوُّجَهَا، وَسَبَقَهُمْ لَأَنَّهُ كَانَ رَاكِبًا، فقال لها: إِنَّ فِيكَ لَبَقِيَّةٌ! فقالت: إِنَّ شِئْتَ؛ فَجَاءُوا وَقَدَ بَنَى عَلَيْهَا، ثُمَّ نَقَلَهَا بعدُ إلى بلده. فترجم الرواة أنها جاءت بِالْعَنْبَرِ معها صغيرًا، وَأَوْلَدَهَا عَمْرُو بن تميم أَسِيدَ وَالْهُجَيْمِ وَالْقَلْبِيبَ، فَخَرَجُوا ذاتَ يَوْمٍ يَسْتَقُونَ قَلْلَ عَلَيْهِمُ الْمَاءُ، فَأَنْزَلُوا مَائِحًا مِنْ تَمِيمٍ فَجَعَلَ الْمَائِحُ يَمْلَأُ الدَّلْوَ إِذَا كَانَتْ لِلْهُجَيْمِ وَأَسِيدَ وَالْقَلْبِيبِ، فَإِذَا وَرَدَتْ دَلْوُ الْعَنْبَرِ تَرَكَهَا تَضْطَرِبُ، فقال العنبر^(٢):

قَدْ رَأَيْتِي مِنْ دَلْوِي اضْطَرَبْتُهَا
وَالنَّأْيُ عَنِ بَهْرَاءٍ وَاعْتَرَبْتُهَا
إِلَّا تَجِيئِي مَلَأِي يَجِيئُ قُرَابُهَا
فهذا قولُ النِّسَّابِينَ.

وَيُرَوَّى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمًا لِعَائِشَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ، وَقَدْ كَانَتْ نَذَرَتْ أَنْ تُعْتِقَ قَوْمًا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، فَسَبَّيَ قَوْمٌ مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ سِرَّكَ أَنْ تُعْتِقِي الصِّمِيمَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ فَأَعْتِقِي مِنْ هَؤُلَاءِ"^(٣). فقال النِّسَّابُونَ:

(١) قال محقق (س): بضم النون من نكح وعد كسرهما غلطاً انظر الفاضل ١١٦، إلا أنه يقال: نكح بالكسر والضم لغتان، انظر اللسان (نكح) ولعلمهم آثروا الكسر ليوافق خطباً. وضبط في النسخ جميعاً بكسر النون وضبطته بالضم على ما حكاه الميرد عن يونس أنه بالضم.

(٢) الرجز للعنبر بن تميم في لسان العرب ١/ ٦٦٤ (قرب)، والتنبيه والإيضاح ١/ ١٢٧، وتاج العروس ٤/ ١٥ (قرب)، وبلا نسبة في لسان العرب ١/ ٤٤٣ (ريب) وكتاب الجيم ٣/ ٩٧، والأبيات في طبقات فحول الشعراء ٢٧، والدرة الفاخرة ١/ ٢٢٥.

(٣) قد ورد الحديث بلفظ: "أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ثَلَاثَ سَمِعْتُهُنَّ لِبَنِي تَمِيمٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا أَبْغِضُ بَنِي تَمِيمٍ بَعْدَهُنَّ أَبَدًا، كَانَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نَذْرٌ مَحْرُورٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ فَسَبَّيَ سَبْيٌ مِنْ بَلْعَنْبَرٍ فَلَمَّا جِيءَ بِذَلِكَ السَّبْيِ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ سِرَّكَ أَنْ تَعْتِقِي مَحْرُورًا مِنْ هَؤُلَاءِ فَجَعَلَهُمْ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ...." الحديث وأخرجاه في الصحيحين بنحوه من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة فرواه البخاري في "العتق" (٥/ ٢٠٢)، (ح ٢٥٤٣)، ومسلم (ح ٢٥٢٥).

فَبَهْرَاءُ مِنْ قُضَاعَةَ ، وَقَدْ قِيلَ : قُضَاعَةُ مِنْ بَنِي مَعَدٍّ ، فَقَدْ رَجَعُوا إِلَى إِسْمَاعِيلَ ، وَمِنْ زَعَمَ أَنَّ قُضَاعَةَ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَمِيرٍ - وَهُوَ الْحَقُّ - قَالَ : فَالنَّسَبُ الصَّحِيحُ فِي قَحْطَانَ الرَّجُوعِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ ، وَهُوَ الْحَقُّ وَقَوْلُ الْمُبْرِزِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ . وَإِنَّمَا الْعَرَبُ الْمُتَقَدِّمَةُ مِنْ أَوْلَادِ عَابِرٍ وَرَهْطُهُ عَادُ وَطَسَمٌ وَجَدِيسٌ وَجَرَهُمُ وَالْعَمَالِيقُ . فَأَمَّا قَحْطَانُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ فَهُوَ ابْنُ الْهَمَيْسَعِ بْنِ تَيْمَنَ بْنِ نَبْتِ بْنِ قَيْدَارَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ؛ فَقَدْ رَجَعُوا إِلَى إِسْمَاعِيلَ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِقَوْمٍ مِنْ خُزَاعَةَ ، وَقِيلَ مِنَ الْأَنْصَارِ " ارْمُوا يَا بَنِي إِسْمَاعِيلَ ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا " (١) .

* * *

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ نَوْفَلٍ يَهْجُو الْعُرَيَانَ بْنِ الْهَيْثَمِ بْنِ الْأَسَدِ النَّخَعِيِّ - وَكَانَ الْعُرَيَانُ تَرْوَجَ زَبَادٍ مِنْ وَلَدِ هَانئِ بْنِ قَبِيصَةَ الشَّيْبَانِيِّ ، وَكَانَتْ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَطَلَّقَهَا فَتَرْوَجُهَا الْعُرَيَانَ ، وَكَانَ ابْنُ نَوْفَلٍ لَهُ هَجَاءٌ - فَقَالَ :

أَعْرِيَانُ مَا يَذْرِي أَمْرُؤُ سَيْلَ عَنْكُمُ	أَمِنْ مَذْحِجٍ تُدْعَوْنَ أَمْ مِنْ إِيسَادٍ
فَإِنْ قُلْتُمْ مِنْ مَذْحِجٍ إِنَّ مَذْحِجًا	لَبِيضُ الْوُجُوهِ غَيْرُ جَدٍّ جَعَادٍ
وَأَنْتُمْ صِغَارُ الْهَامِ حُذَلْ كَأَنَّمَا	وَجُوهُكُمْ مَطْلِيَّةٌ بِمَدَادٍ
فَإِنْ قُلْتُمْ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ أَصْلُنَا	وَنَاصِرُنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ جِلَادٍ
فَأَطُولُ بِأَيْرِ مِنْ مَعَدٍّ وَنَزْوَةٍ	نَزَتْ بِإِيَادٍ خَلْفَ دَارِ مُرَادٍ
لَعَمْرُ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ يُنْكَحُونَهُ	زَبَادٍ لَقَدْ مَا قَصَّروا بِزَبَادٍ
أَبْعَدَ الْوَلِيدِ أَنْكَحُوا عَبْدَ مَذْحِجٍ	كَمُنْزِيَةٍ غَيْرًا خِلَافَ جَوَادٍ

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب "الجهاد" باب التحريض على الرمي برقم (٢٨٩٩) "وأحاديث الأنبياء برقم (٣٥٠٧) من حديث سلمة بن الأكوع قال : "مر النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون ، فقال النبي ﷺ : ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً ، ارموا وأما مع بني فلان . قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله ﷺ : مالكم لا ترمون ؟ قالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال النبي ﷺ : ارموا فأنا معكم كلكم " .

وَأُنْكَحَهَا لَا فِي كِفَاءٍ وَلَا غَنَى زِيَادُ أَضَلَّ اللَّهُ سَعْيَ زِيَادٍ
قوله :

أمن مذحج تدعون أم من إياد

فبنو مذحج بنو مالك [بن أدَد] بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وإياد ابن نزار بن معد عدنان . ويقال : إنَّ النخَع وثقيفاً أخوان من إياد . فأما ثقيف فهو قسيُّ بن مُنبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، فهذا قول قوم . فأما آخرون فيزعمون أنَّ ثقيفاً من بقايا ثمود ، ونسبهم غامضٌ على شرفهم في أخلاقهم ، وكثرة مناجيهم في قريش ، وقد قال الحجاج على المنبر : تزعمون أننا من بقايا ثمود ، والله عز وجل يقول : ﴿ وَثُمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴾ ^(١) . وقال الحجاج يوماً لأبي العسوس الطائي : أيُّ أقدم ؟ أنزلوا ثقيف الطائف ، أم نزلوا طيئ الجبلين ؟ فقال أبو العسوس : إنَّ كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزلوا طيئ الجبلين قبلها ، وإنَّ كانت ثقيف من ثمود فهي أقدم ، فقال الحجاج : يا أبا العسوس ، اتقني فإنني سريع الخطفة للأحقق المتهور ^(٢) ! فقال أبو العسوس :

يُودِبُنِي الْحَجَّاجُ تَأْدِيبَ أَهْلِهِ فَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَوْلَادِ يُوسُفَ مَا عَدَا
وَأَنِّي لِأَخْشَى ضَرْبَةَ ثَقِيفَةٍ يَقْدُ بِهَا مِمَّنْ عَصَاهُ الْمُقْلَدَا ^(٣)
عَلَى أَنِّي مِمَّا أَحَاذِرُ آمِنٌ إِذَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ عَا الْمَرْءُ وَاعْتَدَى

(١) سورة النجم : ٥١ . وثمودا بالتونين كذا في بعض النسخ ، وهي قراءة غير حمزة وعاصم في رواية حفص من السبعة ، فقرأ وثمود بغير تنوين وكذا ضبط في بعض النسخ - . انظر السبعة لابن مجاهد ٦١٥ ، وحجة القراءات ٦٨٨ ، والنشر ٢ / ٣٧٩ ، ٢٨٩-٢٩٠ ، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢ / ٢٩٦ ، ١ / ٥٣٣ ، والبحر ٨ / ١٦٩ ، وفات صاحب البحر نسبة القراءة بغير تنوين لحمزة ، وهي قراءة يعقوب من العشرة .

(٢) هو المتهور الذي يقع في الشيء بغير مبالاة ولا روية . رغبة الامل ٤ / ٢٠١ .

(٣) المقلد : موضع القلادة ، يريد العنق .

وقد كان المغيرة بن شعبة ، وهو والي الكوفة ، صار إلى دَيْرِ هِنْدِ بنت النُّعْمَانِ بن المنذر ، وهي فيه عمياء مُزْهَبَةٌ فَاسْتَأْذَنَ عليها ، فقيل لها: أَمِيرُ هذه المَدْرَةِ بالباب ، فقالت : قولوا له : أَمِنْ وَلَدِ جَبَلَةٍ بن الأَيْهَمِ أنت ؟ قال : لا ، قالت : أَفَمِنْ وَلَدِ المُنْذِرِ بن ماء السَّمَاءِ ؟ قال : لا ، قالت : فَمَنْ أنت ؟ قال : المَغِيرَةُ بنُ شعبة الثَّقَفِيُّ ، قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئتُكِ خاطِبًا ، قالت : لو كنتَ جئتني لِجَمَالٍ أو لِمَالٍ لأَطْلَبْتُكِ ، ولكنك أردت أن تَتَشَرَّفَ بي في مَحَافِلِ العرب ، فتقول : نكحتُ ابنةَ النُّعْمَانِ بنِ المنذر ، وإلا فَأَيُّ خَيْرٍ في اجتماعِ أَعْوَرٍ وَعَمِيَاءٍ ؟ فبعثَ إليها: كيف كان أَمْرُكُمْ ؟ فقالت : سأختصرُ لك الجوابَ: أَمْسَيْنَا مَسَاءً ، وليس في الأرض عَرَبِيٌّ إلا وهو يَرْغَبُ إلينا وَيَرْهَبُنَا ثم أَصْبَحْنَا ، وليس في الأرض عَرَبِيٌّ إلا ونحن نَرْغَبُ إليه ونَرْهَبُهُ . قال : فما كان أبوك يقول في ثَقِيفٍ ؟ قالت : اختَصِمَ إليه رجلان منهم ، أحدهما يَنْمِيهَا إلى إِيَادٍ ، والآخر إلى بَكْرِ ابنِ هَوَازِنَ ، ففضى بها للإِيَادِيِّ ، وقال :

إِنَّ ثَقِيفًا لَمْ تَكُنْ هَوَازِنَا وَلَمْ تَنَاسِبْ عَامِرًا وَمَازِنَا

يريد عامر بن صغصعة وَمَازِنَ بن مَنصُورٍ ، فقال المغيرةُ : أما نحن فمن بكرِ بن هَوَازِنَ ، فليقلْ أبوك ما شاء !

وقالت أختُ الأشترِ ، وهو مالكُ بن الحارث النخعي تبيكه ، وهذا الشعرُ رواه أبو اليقظان ، وكان متعصبًا :

أَبْعَدَ الْأَشْتَرِ النُّخَعِيَّ نَرْجُو مَكَاثِرَهُ وَنَقَطْعُ بَطْنِ وَاِدٍ
وَنَصْحَبُ مَذْحِجًا يَخَاءِ صِدْقِ وَإِنْ نُنْسَبُ فَنَحْنُ ذُرَا إِيَادٍ
ثَقِيفٌ عُمْنَا وَأَبُو أَيْنَا وَإِخْوَتُنَا نَزَارُ أُولُو السَّدَادِ

قوله ^(١) : " وأنتم صغار الهام حُدَلٌ " فالأَحْدَلُ : المائلُ العُنُقِ ، يقال : قَوْسٌ حُدْلَاءُ : إذا اعْوَجَّتْ سَيْتُهَا ، قال الراجز :

(١) يريد قول يحيى بن نوفل من كملته الدلية السالفة

لَهَا مَتَاعٌ وَلَهَا فَارِضٌ حَدَلَاءُ كَالزَّقِ^(١) نَحَاهُ الْمَاخِضُ^(٢)

وأما قوله : " زَبَادٍ يَا فَنَى " فله بابٌ نذكره على وجهه باستقصائه بعد فَرَغْنَا من تفسير هذا الشعر .

وقوله : " لَقَدْ مَا قَصَرُوا " " ما " زائدةٌ مثل قوله تعالى : ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ

أَغْرَقُوا ﴾^(٣) ولو قال " لَقَدْ مَا قَصَرُوا " لم يكن جيدًا ، ودخل الوليد في الذم .

وقوله :

كَمُنْزِيَةٍ غَيْرًا خِلَافَ جَوَادٍ

يقول : بعد جواد ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ

(١) في الأصل قال محقق (س) " كالوطب " ، وبهامش بعض النسخ كما في المتن .

(٢) الرجز لأبي محمد الفقعسي في جمهرة اللغة ص ٥٠٥ ، وبلا نسبة في تاج العروس ١٨ / ٤٨١

(فرض) . وبلا نسبة في لسان العرب ٢ / ٢٨٦ (زجج) وتهذيب اللغة ١٠ / ٤٥٤ ، وتاج العروس

١٠ ، ٦ (زجج) والبيسة من أبيات ستة أوردها الصاغانى فى التكملة (زجج) ، وهو فى الإبل

للأصمعى (الكتز اللغوى) ٢٠٤ لرؤية أو لغير .

وقال على بن حمزة فى التنبهات ١٣٣ : " هذه رواية مغيرة للنسيان ... والرواية :

له زجاج ولهاة فارض حدلاء كالوطب نحاه الماخض

وإنما عدل به إلى " لها " [فى الأصل : لهاة] قول أبى محمد :

فى هجمة يغدر منها القابض

وأنسى ما قاله بعد فى صفة الفحل وهو :

يتبعها عديس جرائض " اهـ .

وقد سلف البيت الأول وروايته ثمة " لها زجاج " وهو من أبيات لأبى محمد الفقعسى خرجناها .

وبعد الرجز فى زيادات : " كذا وقعت الرواية " لها " والصواب " له " لأنه يعنى الفحل من الإبل

لأن الشقشقة لا تكون للأنتى ، قاله ش " . (لها متاع) له زجاج وهى أنياب الفحل (ولها فارض)

ضحمة . يريد شقشقة رغبة الآمل ٤ / ٢٠٣ .

(٣) سورة نوح : ٢٥ .

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١) .

وقوله : " لا في كِفَاءٍ " يقال : هو كَفُوكُ وَكَفُوكُ وَكَفَيْكُ وَكِفَاؤُكَ : إذا كان عَدِيلُكَ في شَرَفٍ أو ما أشبهه ، كما قال الفرزدق^(٢) :

..... وَتَنكِحُ فِي أَكْفَائِهَا الْحَبِطَاتُ^(٣)

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾^(٤) ، وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : لَأَمْنَعَنَّ النِّسَاءَ إِلَّا مِنَ الْأَكْفَاءِ . وتحدث أصحابنا عن الأصمعي عن إسحاق بن عيسى ، قال : قُلْتُ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ أو المَهْدِيِّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ أَكْفَاؤُنَا ؟ قال ، أعداؤنا ، يَعْنِي بَنِي أُمَيَّةَ .
و " زِيَادٌ " الذي ذَكَرَ كَانَ أَخَاهَا .

هذا^(٥) تَفْسِيرُ ما كان من المُنْثِ على فَعَالٍ مكسور الآخر .

وهو على أربعة أَضْرُبٍ والأَصْلُ واحدٌ .

إِغْلَمَ أَنَّهُ لَا يُثْنَى شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْبَابِ عَلَى الْكَسْرِ إِلَّا وَهُوَ مُنْثٌ مَعْرُفَةٌ مَعْدُولٌ

(١) سورة التوبة : ٨١ .

(٢) سبق البيت بتمامه وهو في ديوانه (١٠٧/١)

(٣) قال محقق (س) بعده في زيادات نسخة : أول هذا البيت :

بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع

وآل مسمع بيت بكر بن وائل . والحبطات هم الحارث بن عمرو بن عويم . وإنما قال هذا الفرزدق حين بلغه أن رجلاً من الحبطات خطب امرأة من بنى دارم بن مالك ، فأجابه رجل من الحبطات :

أما كان عباد كفيئاً لدارم بلى ولأبيات بها الحجرات

عباد يعني عاشم .. وقد تقدم هذا البيت للفرزدق في مواضع" اهـ قوله في مواضع كذا ولم يتقدم

الاص ٨٩

(٤) سورة الإخلاص : ٤ . وانظر ما سبق من التعليق على هذه القراءة ﴿ كُفُوًا ﴾ ص ٨٨

(٥) في بعض النسخ " باب هذا ... "

وفي نسخة : " هذا باب تفسير ... "

عن جهته ، وهو في المؤنث بمنزلة فَعَلَ نحو عَمَرَوْ قُتِمَ في المذكور .

وفُعِلَ^(١) معدولٌ في حال المعرفة عن فاعل ، وكان فاعلٌ ينصرفُ ، فلما عُدِلَ عنه فُعِلَ لم يَنْصَرِفْ .

وفَعَالِ معدولٌ عن فاعِلَةٍ ، وفاعِلَةٌ لا ينصرفُ في المعرفة فَعُدِلَ إلى البناء ، لأنَّه ليس بَعْدَ ما لا ينصرفُ إلا المبنيُّ ، ويُني على الكسر لأنَّ في فاعِلَةٍ علامة التانيث ، وكان أصلُ هذا أن يكون إذا أردتَ به الأمرَ ساكنًا كالمحزوم من الفعلِ الذي هو في معناه فَكَسَرَتْه لالتقاء الساكنين ، مع ما ذكرنا من علامة التانيث ، والكَسْرُ مما يُؤَنَّثُ به فلم يَحُلْ من العلامة ، تقول للمرأة : أَنْتِ فَعَلْتِ ، فالكَسْرُ علامةُ التانيث ، وكذلك : إِنَّكِ ذَاهِبَةٌ ، وضربتُكِ يا امرأةً .

فيمَّا لا يكون إلا معرفةً مكسورًا ما كان اسمًا للفعل نحو : نَزَالٍ يا فتى ، ومعناه انزِلْ ، وكذلك : تَرَاكِ زَيْدًا أَي : اتركه ؛ فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة وهما مؤنثان معرفتان ، يَدُلُّك على التانيث القياسُ الذي ذكرنا ، قال الشاعر تصديقًا لذلك :
وَلْيَغْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيتَ نَزَالٍ وَلَجَّ فِي الدُّغْرِ^(٢)
فقال : " دعيتُ " لما ذكرته لك من التانيث ، وقال الآخر ، وهو زَيْدُ الْخَيْلِ^(٣) :

(١) انظر باب فعل في المقتضب ٣/٣٢٣ .

(٢) البيت من الكامل ، وهو لزهير بن أبى سلمى فى ديوانه ص ٨٩ ، وإصلاح المنطق ص ٣٣٦ ، والإنصاف ٢/٥٣٥ ، وخزانة الأدب ٦/٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، والدرر ٥/٣٠٠ ، وشرح أبيات سيبويه ٢/٢٣١ ، وشرح التصريح ١/٥٠ ، وشرح شواهد الشافية ص ٢٣٠ ، وشرح المفصل ٤/٢٦ ، والشعر والشعراء ١/١٤٥ ، والكتاب ٣/٢٧١ ، ولسان العرب ١١/٦٥٧ ، ٥٨ (نزل) ، ١٨/١٢ (أسم) ، وما ينصرف وما لا ينصرف ص ٧٥ ، والمقتضب ٣/٣٧٠ ، وجمع الهوامع ٢/١٠٥ ، وبلا نسبة فى خزانة الأدب ٧/٢٤٧ ، ووصف المباني ص ٢٣٢ ، وشرح المفصل ٤/٥٠ ، ٥٢ . بلفظ : " أنت إذ " (٣) البيت من الوافر ، وهو لزيد الخيل فى ديوانه ص ١٣٨ ، والحماسة البصرية ١/٧٧ ، وخزانة الأدب ٦/٣١٧ ، ولسان العرب ١١/٦٥٧ (نزل) ، والمقتضب ٣/٣٧١ . وسلف مع آخر .

وَقَدْ عَلِمْتَ سَلَامَةً أَنْ سَيْفِي كَرِيَةً كُلَّمَا دُعِيْتُ نَزَالِ

وقال الشاعر ^(١):

تَرَكَهَا مِنْ إِبِلٍ تَرَكَهَا أَمَا تَرَى الْمَوْتَ لَدَى أَوْزَاكِهَا

أي: اترُكها ، وقال آخر :

حَذَارٍ مِنْ أَرْقَاحِنَا حَذَارٍ ^(٢)

وقال آخر :

نَظَّارِكِي أَرْكَبُهُ نَظَّارٍ ^(٣)

(١) قال محقق (س) : هو طفيل بن يزيد الحارثي نسبة إلى الحارث بن كعب . ويقال في نسبته : "المعقل" نسبة إلى المعقل بضم الميم وفتح العين المهملة وفتح القاف المشددة ، كذا قيده الأمير في الإكمال ٢٦٥/٧ ، والحافظ ابن حجر في التبصير ٤/ ١٣٠٢ ، وكسر القاف صاحب القاموس (عقل) فقيده كمحدث . وهو عند صاحب اللباب ٢٣٥،٣ المعقل "نسبة إلى المعقل " بفتح الميم وسكون العين وكسر القاف .

واسم المعقل ربعة بن كعب الأرت بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علي بن جلد بن مذحج .

وانظر جمهرة أنساب العرب ٤١٧ وفيه سقط ، والأغاني ١٦/ ٣٢٨ في ترجمة عبد يغوث وفيه تحريف .

والبيت له في شرح أبيات سيبويه ٣٠٧/٢ ، والخزانة ٢/ ٣٥٤ - ٣٥٥ ، واللسان (ترك) . وهو بلا نسبة في الكتاب ٢/ ٣٧ ، وبلا نسبة في الكتاب ١/ ١٢٣ ، والمقتضب ٣/ ٣٦٩ .

(٢) البيت من الرجز ، وهو لرؤبة في ملحق ديوانه ص ١٧٤ ، ونسب إليه في الكتاب ٢/ ٣٧ ، واللسان (حذر) لأبي النجم العجلي ، والتنبيه والإيضاح ٢/ ١٠٥ ، وبلا نسبة في المقتضب ٣/ ٣٧٠ ، وبعده في بعض النسخ :

كالحوت لما غس في الأنهار

انظر اللسان (غس).

(٣) الرجز للعجاج في ديوانه ١١٦/١ وشرح أبيات سيبويه ٣٠٩/٢ ، ولرؤبة في الإنصاف ٢/ ٥٤٠ ، والكتاب ٣/ ٢٧١ ، والمخصص ١٧/ ٦٣ ، وليس في ديوانه ، وبلا نسبة في المقتضب ٣/ ٣٧٠ ، وروايته : "كي أركبها" .

فهذا بابٌ من الأربعة .

ومنها أن يكون صفةً غالبيةً تحلُّ محلَّ الاسم ، نحو قولهم للضَّبِّع : جَعَارِ يا فتى ،
وللمنية : حَلَّاقِ يا فتى ، لأنها حالقةٌ ، والدليلُ على التأنيث بعد ما ذكرنا قوله :

لَحِجَّتْ حَلَّاقٍ بِهِمْ عَلَى أَكْسَائِهِمْ^(١) ضَرَبَ الرِّقَابِ وَلَا يَهُمُّ الْمَغْنَمُ
وتقول في النداء : يا فَسَّاقِ ، ويا حَبَّاثِ ، ويا لِكَاعِ ، تريد : يا فاسقةُ ويا خبيثةُ
ويا لكعاءُ ؛ لأنه في النداء في موضع معرفة ، كما تقول للرجل : يا فُسَّقُ ويا حَبَّاثُ ويا
لُكْعُ . فهذا باب ثانٍ .

ومن ذلك ما عُدِّلَ عن المصدر نحو قوله :

جَمَادٍ لَهَا جَمَادٍ وَلَا تَقُولِي طَوَالَ الدَّهْرِ مَا ذُكِرْتَ حَمَادٍ^(٢)

وقال النابغة الذبياني :

إِنَّا اقْتَسَمْنَا خُطَيْنَا بَيْنَنَا فَحَمَلْتُ بَرَّةً وَاحْتَمَلْتُ فَجَارٍ^(٣)

(١) جمع كوسئ ، وهو مؤخرة الشيء ، ويقال للذي جاء آخره جاء كساة .

(٢) البيت من الوافر ، وهو للمتلهم في ديوانه ص ١٦٧ ، وروايته :

جماد لها جماد ولا تقولي لها أبداً إذا ذكرت حماد

والبيت كما رواه المبرد في خزانة الأدب ٣٣٩/٦ - ٣٤١ ، وشرح أبيات سيبويه ٢٣٢/٢ ، وشرح
المفصل ٥٥/٤ ، والكتاب ٢٧٦/٣ ، ولسان العرب ١٣١/٣ (جمد)، وما ينصرف وما لا ينصرف
ص ٧٤ . قال البغدادي : " وقوله : " ولا تقولي " ببناء المخاطبة ، وهذا هو المشهور ، وهو محرف من
نون التوكيد الخفيفة وهي الصواب فإنه خطاب لمذكر ولم يتقدم ذكر أنثى ... "

(٣) البيت من الكامل ، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٥٥ ، وإصلاح المنطق ص ٣٣٦ ، وخزانة
الأدب ٣٢٧/٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، والدرر ٩٧/١ ، وشرح أبيات سيبويه ٢١٦/٢ وشرح التصريح
١٢٥/١ ، وشرح المفصل ٥٣/٤ ، والكتاب ٢٧٤/٣ ، ولسان العرب ٥٢/٤ (برر) ، ٤٨/٥ (فجر) ،
١٧٤/١١ (حمل) ، والمقاصد النحوية ٤٠٥/١ ، وبلا نسبة في الأشتباه والنظائر ٣٤٩/١ ، وجمهرة
اللغة ص ٤٦٣ ، وخزانة الأدب ٢٨٧/٦ ، والخصائص ١٩٨/٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧١/٣ ، وشرح الأشموني
٦٢/١ ، وشرح عمدة الحافظ ص ١٤١ ، وشرح المفصل ٣٨/١ ، ولسان العرب ٣٧/١٣ (أذن) ،
ومجالس ثعلب ٤٦٤/٢ ، وجمع الهوامع ٢٩/١ ، وتاج العروس (أن).

يريد : قولي لها جُمودًا ، ولا تقولي لها حَمَدًا ، هذا المعنى ، ولكنه هُدِلَ مؤنثًا ، وهذا باب ثالث^(١) .

والباب الرابع : أن تُسمِّي امرأةً ، أو شيئًا مؤنثًا باسمِ تَصَوُّغُهُ على هذا المثال ، نحو : رَقَاشٍ ، وَحَذَامٍ وَقَطَامٍ ، وما أشبهه ، فهذا مؤنث معدولٌ عن راقشة وحاذمة وقاطمة ، إذا سميت به . وأهل الحجاز يُجَرُّونَه على قياسِ ما ذكرتُ ؛ لأنه معدولٌ في الأصل وُسْمِي بِهِ فَنُقِلَ إلى مؤنث كالباب الذي كان قبله فلم يُعَيِّرُوهُ ، فعلى ذلك قالوا^(٢) :

اسْبِقِي رَقَاشٍ إِنَّهَا سَقَايَةٌ

وقال آخر^(٣) :

إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ فَصَدَّقُوهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامٌ^(٤)

وينشدون :

(١) قال محقق س : بعده في زيادات ر : " برة اسم علم لجميع البر ، وفجار لجميع الفجور . لابن جني : تخصيصه برة بفعلت وفجار بافعللت مثل قوله تعالى ﴿ هَلْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ فكسب للخير واكتسب للشر " .

وقد استشهد ابن جني ببيت النابعة في ثلاثة مواضع من الخصائص ١٩٨/٢ ، ٢٦١/٣ ، ٢٦٥-٢٦٦ . وقال في ثالث هذه المواضع : " فعبّر عن البر بالحمل وعن الفجرة بالاحتمال .. وهذا هو ما قلناه في قوله عز اسمه ﴿ هَلْ لَهَا مَا اكْسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ لا فرق بينهما " أهـ وانظر ما قاله في الآية قبل ما نقلته لك من كلامه .

(٢) في المثل . انظر أمثال أبي عبيد ١٣٨ ، وجمهرة الأمثال ٥٦/١ ، ومجمع الأمثال ٣٣/١ ، والمستقصى ١٧٠/١ ، واللسان (رقش) . ويضرب للمحسن ، فيقال : أحسنوا لإحسانه .

(٣) في نسخة : " وقال الشاعر " .

(٤) البيت من الوافر ، وهو للجم بن مصعب في شرح التصريح ٢٢٥/٢ ، وشرح شواهد المغنى ٥٩٦/٢ ، والعقد الفريد ٣٦٣/٣ ، ولسان العرب ٣٠٦/٦ (رقش) ، والمقاصد النحوية ٣٧٠/٤ ، وله أو لوشيم بن طارق في لسان العرب ٩٩١/٢ (نصت) ، وبلا نسبة في أوضح المسالك ١٣١/٤ ، والخصائص ١٧٨/٢ ، وشرح الأشموني ٥٣٧/٢ ، وشرح شذور الذهب ص ١٢٣ ، وشرح ابن عقيل ص ٥٨ وشرح قطر الندى ص ١٤ ، وشرح المفصل ٦٤/٤ ، وما ينصرف وما لا ينصرف ص ٧٥ ، ومغنى اللبيب ٢٢٠/١

وَأَقْفَرَ مِنْ سَلَمَى شَرَاءَ فَيَذْبُلُ^(١)

وأما بنو تميم فإذا أزالوه عن النعتِ فسَمَوْا به صَرَفُوهُ في النكرة ، ولم يَصْرِفُوهُ في المعرفة ، وسيبويه يختار هذا القول ، ولا يَرُدُّ القول الآخر ، فيقول : هذه رَقَاشٌ قد جاءت ، وهذه غَلَابٌ قد جاءت ، وهذه غَلَابٌ أخرى . ولا اختلاف بين العرب في صَرَفِهِ إذا كان نكرةً ، وفي إعرابه في المعرفة ، وصَرَفِهِ في النكرة إذا كان اسماً لمذكر ، نحو رجل تسميه نَزَالٌ أو رَقَاشٌ أو حَلَّاقٌ ، فهو بمنزلة رجل سميت به بنات أو أتان ؛ لأنَّ التأنيث قد ذهب عنه ، فاحتج سيبويه في تصحيح هذا القول بأنك لو سميت شيئاً بالفعل الذي هو مأخوذ منه لأَعْرَبْتَهُ ، نحو : انزِلْ واضْرِبْ ، لو سميت بهما رجلاً لَجَرَى بحرى إصْبَعٌ ، وأحمد وإتيم ، ونحو ذلك ، فهذا يحيط بجميع هذا الباب .

قال أبو العباس ، وقالت امرأة أحسبها من بني عامر بن صعصعة زُوِّجَتْ في طَيِّ :
لَا تَحْمَدَنَّ الدَّهْرَ أَخْتٌ أَخَا لَهَا وَلَا تَرْتَيْنَنَّ الدَّهْرَ بِنْتَ لَوَالِدِ
هُمْ جَعَلُوهَا حَيْثُ لَيْسَتْ بِحُورَةٍ وَهُمْ طَرَحُوهَا فِي الْأَقَاصِي الْأَبَاعِدِ

ويروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : إنما النكاح رِقٌّ فَلْيَنْظُرِ امْرُؤٌ مَنْ يُرِقُّ كَرِيْمَتَهُ . وعلى هذا جاءت اللغة ، فقالوا : كُنَّا فِي إِمْلَاكِ فُلَانٍ ، وَفِي مَلِكِ فُلَانٍ ، وَفِي

(١) قال محقق (س) بعد زيادات ر : " كذا وقع ، والصحيح : فقد أقفرت سلمى شراء ؛ لأن قبله :
تأبد من أطلال حمرة مأسل "

والشعر من الطويل وهو للنمر بن تولب ، في ديوانه ص ٣٦٣ ، ولسان العرب

٤٣١/١٤ (شري) ، وجمهرة أشعار العرب ص ٥٣٥ ، وتاج العروس (شري)

وقال علي بن حمزة في التنبيهات ١٣٣ : " الرواية :

تأبد من أطلال حمرة مأسل . فقد أقفرت منها شراء فيذبل
والبيت للنمر بن تولب . "

مَلَكَةٌ فُلَانٌ ^(١)، وَفِي مِلْكَانِ ^(٢) فُلَانٌ ، وَيَقُولُ الرَّجُلُ : مَلَكْتُ الْمَرْأَةَ وَأَمْلَكْنِيهَا وَلِيَّهَا ، وَمَنْ ذَلِكَ أَنْ يَمِينَ الطَّلَاقَ إِذَا وَقَعَ فِيهَا حِنْثٌ إِنَّمَا يَكُونُ مَحْلُهَا مَحَلُّ الْإِقْرَارِ ^(٣) بِتَرْكِ مَا كَانَ يَمْلِكُهُ كَالْعَتَاقِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "أَوْصِيكُمْ بِالنِّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ" ^(٤) أَيُ أُسِيرَاتٌ ، وَيُقَالُ : عَيْنِي فُلَانٌ فِي بَنِي فُلَانٍ : إِذَا أَقَامَ فِيهِمْ أُسِيرًا ، وَيُقَالُ : فُلَانٌ يَفُكُّ الْعُنَاةَ ، وَأَصْلُ التَّعْنِيَةِ التَّذْلِيلُ ، وَأَصْلُ الْإِسَارِ الْوِثَاقُ ، وَيُقَالُ لِلْقَتَبِ : مَأْسُورٌ إِذَا شُدَّ بِالْقِدِّ ، هَذَا أَصْلُ هَذَا . فَأَمَّا الْمَثَلُ فِي قَوْلِهِمْ : " إِنَّمَا فُلَانٌ غُلٌّ قَمْلٌ " ^(٥) فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ الْأَغْلَالَ مِنَ الْقِدِّ فَكَانَتْ تَقْمَلُ .

وَقَالَ رَجُلٌ يَذْكُرُ امْرَأَةً زُوِّجَتْ مِنْ غَيْرِ كُفَاءٍ :

لَقَدْ فَرِحَ الْوَأَشُونَ أَنْ نَالَ ثَغْلَبٌ شَبِيهَةً ظَنِي مُقْلَتَاهَا وَجِيدُهَا
أَصْرًا بِهَا فَقَدْ الْوَلِيَّ فَأَصْبَحَتْ بِكَفٍّ لَيْمٍ الْوَالِدِينَ يَقْوُدُهَا

وَلَمَّا زَوَّجَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ يَحْيَى بْنَ أَبِي حَفْصَةَ مَوْلَى

عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ابْنَتَهُ عَلَى عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ قَالَ قَائِلٌ يُعِيرُهُ :

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ : فِي مِلْكِ فُلَانٍ وَفِي مِلْكِ فُلَانٍ .

(٢) قَوْلُهُ " مِلْكَانِ " لَمْ أَجِدْهُ إِلَّا اسْمًا لِرَجُلٍ أَوْ لَجَلِيلٍ . انْظُرِ اللِّسَانَ وَالتَّاجَ (مَلِكٌ) ، وَرَغِبَةُ الْأَمَلِ ٢١٢/٤ .

(٣) قَالَ مُحَقِّقُ (س) : بِهَامِشِ الْأَصْلِ مَا نَصَّهُ : " لَا يَتَوَجَّهُ لِلْإِقْرَارِ هَاهُنَا مَعْنَى ، وَأَظْنَهُ مُصَحَّفًا مِنَ الْإِبْرَارِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : وَإِبْرَارُ الْمُقْسَمِ ؛ أَيْ إِنْ الْيَمِينَ لَا تَحُلُّ حُلَّ الْبَرِّ إِلَّا بِهَذَا الْفِعْلِ . مِنْ خَطِّ نَقْلِ مِنْ خَطِّ ابْنِ وَهْبٍ " اهـ وَجَاءَ هَذَا التَّعْلِيقُ بِهَامِشِ هـ مِنْ بَعْضِ النُّسخِ .

(٤) الْحَدِيثُ ((حَسَنٌ بِطَرِيقِهِ)) أَخْرَجَهُ بَنُحُوهُ النَّسَائِيُّ فِي ((الْعَشْرَةِ)) وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ (١٨٥١) وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : ((حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)) . وَمِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (٧٢/٥-٧٣) مِنْ

حَدِيثِ عَمِّ أَبِي حُرَّةِ الرِّقَاشِيِّ . انْظُرِ صَحِيحَ ابْنِ مَاجَهَ (ح) ١٥٠١ ، وَرَاجِعِ الْإِرْوَاءَ (ح) ١٩٩٧ ، (٢٠٣٠) .

(٥) انْظُرِ جُمُوهَرَةُ الْأَمْثَالِ ٨٣/٢ ، وَجُمُوعُ الْأَمْثَالِ ٦٠/٢ ، وَاللِّسَانُ (قَمْلٌ) . وَلَفْظُهُ " غُلٌّ قَمْلٌ " بَلَا " إِنَّمَا فُلَانٌ " .

لَعَمْرِي لَقَدْ جَلَلَتْ نَفْسَكَ خِزْيَةً^(١) وَخَالَفَتْ فِعْلَ الْأَكْثَرِينَ الْأَكَارِمِ

وَلَوْ كَانَ جَدُّكَ اللَّذَانِ تَتَابَعَا بِبَذْرِ لَمَّا رَامَا صَنِيعَ الْأَلَانِمِ

فقال إبراهيم بن النعمان يرُدُّ عليه :

مَا تَرَكْتَ عِشْرُونَ أَلْفًا لِقَائِلِ مَقَالًا فَلَا تَخْفِلْ مَلَامَةً لَأَنِمِ

وَإِنْ أَكْ قَدْ زَوَّجْتُ مَوْلَى فَقَدْ مَضَتْ بِهِ سُنَّةٌ قَبْلِي وَحُبُّ الدَّرَاهِمِ

وَتَزَوَّجَ يَحْيَى بْنُ أَبِي حَفْصَةَ - وَهُوَ جَدُّ مَرْوَانَ الشَّاعِرِ ، وَيَزْعَمُ النَّسَابُونَ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ

يَهُودِيًّا أَسْلَمَ عَلَى يَدَيَّ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، وَكَانَ يَحْيَى مِنْ أَجْوَدِ النَّاسِ ، وَكَانَ ذَا يَسَارٍ -

فَتَزَوَّجَ خَوَلَةَ بِنْتِ مُقَاتِلِ بْنِ طَلَبَةَ^(٢) بْنِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ سَيِّدِ أَهْلِ الْوَبَرِ ابْنِ سَنَانِ ابْنِ خَالِدِ

ابْنِ مَنْقَرٍ ، وَمَهَرَهَا خِرْقًا ، فَنَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْقَلَاخُ بْنُ حَزْنٍ :

لَمْ أَرِ أَنْوَابًا أَجَرُ لِحَزْيَةٍ وَالْأُمُ مَكْسُوءًا وَالْأُمُ كَاسِيًا

فَمِنَ الْخِرْقِ اللَّاحِظِ صُبْنٌ عَلَيْكُمْ بِحَجَرٍ فَكُنَّ الْمُتَقِيَاتِ الْبَوَالِيَا^(٣)

فقال يحيى بن أبي حَفْصَةَ يُجِيبُهُ :

تَجَاوَزْتُ حَزَنًا رَغْبَةً عَنْ بَنَاتِهِ وَأَذْرَكْتُ قَيْسًا ثَانِيًا مِنْ عِنَانِيَا

يُقال ذلك للسَّابِقِ إِذَا تَقَدَّمَ تَقْدُمًا بَيْنًا فَبَلَغَ الْغَايَةَ ، فَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَثْنِيَ عِنَانَهُ فَيَنْظُرَ

إِلَى الْخَيْلِ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :

فَمَنْ يَفْخَرُ بِبُوشَلِ أَبِي وَجَدِّي يَجِيئُ قَبْلَ السُّوَابِقِ وَهُوَ ثَانِي

يُريد ثَانِي عِنَانِهِ ، وَقَالَ الْقَلَاخُ^(٤) فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ :

(١) انظر رغبة الأمل (٢١٣/٤) .

(٢) بعده في زيادات بعض النسخ : " الرواية المشهورة بإسكان اللام ، وتسامح ابن سراج في فتح اللام " .

(٣) البيتان مع آخرين قبلهما في الأغاني ١٠ / ٩٤ . مع اختلاف في بعض الألفاظ .

(٤) الأبيات في الشعر والشعراء ٦٧٣ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ٤٤ .

نُبْتُ خَوْلَةَ قَالَتْ حِينَ أَنْكَحَهَا
 أَنْكَحْتَ عَبْدَيْنِ تَرْجُو فَضْلَ مَالِهِمَا
 اللَّهُ دَرُّ جِيَادٍ أَنْتَ سَائِسُهَا
 وقال جرير^(٢) يُعِيرُهُمْ :

رَأَيْتُ مُقَاتِلَ الطَّلَبَاتِ حَلَّى
 لَقَدْ أَنْكَحْتُمْ عَبْدًا لِعَبْدٍ
 فَلَا تَفْخَرُ بِقَيْسٍ إِنْ قَيْسَا
 وقال آخر في مثل هذه القصة :

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ قَلْبِي مُتَيِّمٌ
 يَدِيبُ عَلَى أَحْشَائِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ
 بِأَحْسَنِ مَنْ صَلَّى وَأَقْبَحِهِمْ بَعْلًا
 دَيْبَ الْقَرْنِيِّ بَاتَ يَقْرُو نَقَاً^(*) سَهْلًا^(٤)

الْقَرْنِيُّ: دُوَيْيَّةٌ عَلَى هَيْئَةِ الْخُنْفُسِ مُنْقَطَةُ الظَّهْرِ، وَرَبَّمَا كَانَ فِي ظَهْرِهَا نَقْطَةٌ حُمْرَاءُ، وَفِي قَوَائِمِهَا طَوْلٌ عَلَى الْخُنْفُسِ، وَهِيَ ضَعِيفَةُ الْمَشْيِ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ يَعْنِي عَطِيَّةُ أَبَا جَرِيرٍ:

(١) جعلتها من براذين الخيل وهى مالىست من نتاج العراب . رغبة الآمل (٢١٥/٤) .

(٢) تذييل ديوانه ١٠٣٥/٢ عن هذا الكتاب "الكامل" .

(٣) انظر رغبة الآمل (٢١٥/٤) .

(*) قال المرصفي فى رغبة الآمل (٢١٥/٤) : [(يقرو) : يتبع ، و(نقا) : هو قطعة من رمل محدودة وهما نقوان ونقيات والجمع أنقاء ونُقَى عَلَى فُعْل]

(٤) البيتان من الطويل وهما بلا نسبة فى الحيوان ٥٢٥/٣، والدر الفاخرة ٢٠٠/١، والحلل لابن السيد ١٩٣، والبيت الأول فى شرح قطر الندى ص ٢٠٢. وهمع الهوامع ٧٠/٢، وقال محقق الحيوان : إن البيت منسوب للأخطل فى " حياة الحيوان " والبيت الثانى للأخطل فى (الدميرى) (رسم القرنى)، (عن محقق كتاب الحيوان ٣٨٦/٦، الهامش، وبلا نسبة فى لسان العرب ٦٧١/١ (قرب)، وتاج العروس ٣١/٤ (قرب)، والحيوان ٣٨٦، وفيهم : " يدب إلى أحشائها " و"بات يعلو".

قَرْنِي يَحُكُّ قَفَا مُقْرِفٍ لَيْسَ مَأْثَرُهُ قَعْدٌ^(١)

وفي هذا الشعر يقول^(٢):

أَلَمْ تَرَ أَنَا بِنِي دَارِمٍ زُرَّارَةٌ مِنَّا أَبُو مَعْبَدٍ
وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ وَأَحْيَا الْوَيْدَ فَلَمْ يُوَدِّ^(٣)
أَلَسْنَا بِأَصْحَابِ يَوْمِ النَّسَارِ* وَأَصْحَابِ الْوَيْدِ الْمُرَبَّدِ^(٤)
أَلَسْنَا الَّذِينَ تَمِيمٌ بِهِمْ تُسَامِي وَتَفْخَرُ فِي الْمَشْهَدِ
وَنَاجِيَةُ الْخَيْرِ وَالْأَفْرَعَانِ وَقَبْرِ بِكَاطِمَةَ الْمَوْدِ**
إِذَا مَا أَتَى قَبْرَهُ عَائِدٌ أَنَاخَ عَلَى الْقَبْرِ بِالْأَسْعَدِ
أَيُّطْلُبُ مَجْدَ بِنِي دَارِمٍ عَطِيَّةٌ كَالْجُعْلِ الْأَسْوَدِ
وَمَجْدُ بِنِي دَارِمٍ دُونَهُ مَكَانُ السَّمَاكَيْنِ وَالْفَرْقَدِ^(٥)
قوله :

لَمْ تَرَ أَنَا بِنِي دَارِمٍ

(١) البيت من المتقارب ، وهو للفرزدق في ديوانه ١/١٧٥ ، وشرح شواهد الإيضاح ص ٣٩٦ ، والكتاب ٢/٤٤ ، وبلا نسبة في المقتضب ٢/١٤٧ ، ولسان العرب ٣/ ٣٦١ (قعد) ، وشواهد الكتاب ١/ ٢٣٨ .

(٢) ديوانه ١/ ١٧٣-١٧٤ . والأبيات من المتقارب وفيها تقديم وتأخير عما في الديوان .

(٣) في نسخة : توأد . والبيت من المتقارب ، وهو للفرزدق في ديوانه ص ١/١٧٣ ، ولسان العرب (وَأَد) ، وكتاب العين ٨/٩٧ ، وجمهرة اللغة ص ٢٣٣ ، وتهذيب اللغة ١٤/٢٤٣ ، وتاج العروس (طوح) ، وأساس البلاغة (واد) ، والإصابة (٣/٢٤٥) ، وروايته : (وجدي) بدلاً من (ومنا) ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٦/٧٨ .

(٤) بعده في زيادات نسخة : النَّسَارِ جَبَلٌ تَأَلَّفَهُ النَّسُورُ كَثِيراً فَلِذَلِكَ سُمِّيَ بِهَذَا الْاسْمَ .

(٥) ضبط في بعض النسخ : " مكان " بفتح النون وضمها وبعد البيت في زيادات تلك النسخة : " الرفع في مكان أقوى ، وهو الوجه الجيد في العربية .

(*) انظر رغبة الأمل (٤/٢١٦) .

(**) انظر رغبة الأمل (٤/٢١٧) .

منصوب على الاختصاص وقد مضى تفسيره .

وَزُرَّارَةُ الَّذِي ذَكَرَ هُوَ زُرَّارَةُ بْنُ عُذْسٍ بْنِ زَيْدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ ، وَكَانَ زُرَّارَةُ يُكْنَى أبا مَعْبِدٍ ، وَكَانَ لَهُ بَنُونَ : مَعْبِدٌ ، وَلَقِيْطٌ ، وَحَاجِبٌ ، وَعَلْقَمَةُ ، وَالْمَأْمُومُ . وَيَزْعَمُ قَوْمٌ أَنَّ الْمَأْمُومَ هُوَ عَلْقَمَةُ ، وَمِنْهُمْ شَيْبَانُ بْنُ زُرَّارَةَ وَابْنُهُ يَزِيدُ بْنُ شَيْبَانَ النَّسَّابَةُ ، وَكَانَ حَاجِبٌ أَذَكَرَ الْقَوْمِ .

وَرَوَوْا أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ ذَكَرَ يَوْمًا بَنِي دَارِمٍ ، فَقَالَ أَحَدُ جُلُوسَائِهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مَحْظُوظُونَ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَتَقُولُ ذَلِكَ ، وَقَدْ مَضَى مِنْهُمْ لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ وَلَمْ يُخَلِّفْ عَقِيْبًا ، وَمَضَى الْقَعْقَاعُ بْنُ مَعْبِدٍ بْنُ زُرَّارَةَ وَلَمْ يُخَلِّفْ عَقِيْبًا ، وَمَضَى مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ بْنُ عَطَّارٍ بْنُ حَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ وَلَمْ يُخَلِّفْ عَقِيْبًا ؟ وَاللَّهِ لَا تَنْسَى الْعَرَبُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ أَبَدًا .

وَكَانَ لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ قُتِلَ يَوْمَ جَبَلَةَ ، وَأُسِيرَ حَاجِبٌ فَفُودِي ، فَزَعَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عُكَاطِيًّا أَعْلَى فِدَاءً مِنْ حَاجِبٍ ^(١) ، وَكَانَ أَسْرَهُ زَهْدَمُ الْعَبْسِيُّ ^(٢) فَلَحِقَهُ ذُو الرُّقِيَّةِ الْقُشَيْرِيُّ - وَبَنُو عَبْسٍ يَوْمَئِذٍ نَازِلَةٌ فِي بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ .

(١) بهامش نسخة ما نصه: "اختلف في مبلغ فداء حاجب بن زرارَةَ ، فزعم قوم أنه كان ألف ناقة ومائه مائة إسر . وأما قيس فترعم أنها أخذت منه ألف عبد وألفى ناقة معها أولادها ، وقد فخر بذلك أصم باهلة فقال :

حتى افتدوا حاجباً منا وقد جعلت سمر القيود بساقى حاجب أثرا
بألف عبدٍ وألفى راتم جعلوا أولادهن لنا من لؤمهم جزرا" اهـ .

(٢) بعده في زيادات : "أخو كردم" .

فَأَخَذَهُ ذُو الرُّقِيَّةِ^(١) بِعِزِّهِ ، وَإِنَّهُ فِي مَحَلِّ قَوْمِهِ ، فَقَالَ حَاجِبٌ : لَمَّا تَنَازَعَنِي الرَّجُلَانِ
 حِيفْتُ أَنْ أَقْتَلَ بَيْنَهُمَا ، فَقُلْتُ : حَكْمَانِي فِي نَفْسِي ، فَقَعَلَا ، فَحَكَمْتُ بِسِلَاحِي وَرِكَابِي
 لَزَهْدِمِ ، وَبِنَفْسِي لَذِي الرُّقِيَّةِ . وَكَانَ حَاجِبٌ يُكْنَى أَبَا عِكْرِشَةَ ، وَكَانَ أَحْلَمَ قَوْمِهِ ، وَفِي
 ذِي الرُّقِيَّةِ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

وَأَلَقَدُ رَأَيْتُ الْقَائِلِينَ وَفَعَلَهُمْ فَلِذِي الرُّقِيَّةِ مَالِكٍ فَضْلُ
 كَفَّاهُ مُتْلِفَةً وَمُخْلِفَةً وَعَظَاؤُهُ مُتَدَفِّقٌ جَزْلُ

فَقَدِي حَاجِبٌ ، وَقُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ لَقِيطٌ ، وَأَسِيرَ عَمْرُو بْنُ عَمْرِو بْنِ عُذْسٍ ،
 فَلِلْمَلِكِ يَقُولُ جَرِيرٌ يُعَيِّرُ الْفَرَزْدَقَ ، لِأَنَّ الْفَرَزْدَقَ مِنْ بَنِي مُجَاشِعِ بْنِ دَارِمٍ ، وَقَدْ مَضَى
 ذَكَرَ هَذَا فِي الْكِتَابِ ، وَجَرِيرٌ فِي قَيْسٍ خَثُولَةٌ ، فَلَمَّا هَجَا الْفَرَزْدَقُ قَيْسًا فِي أَمْرِ قُتَيْبَةَ بْنِ
 مُسْلِمِ الْبَاهِلِيِّ قَالَ^(٢) :

أَتَسَانِي وَأَهْلِي^(٣) بِالْمَدِينَةِ وَقَعَةً لَّالِ تَوَيْمٍ أَفْعَدَتْ كُلَّ قَائِمِ
 كَأَنَّ رُعُوسَ النَّاسِ^(٤) إِذْ سَمِعُوا بِهَا مُشْدَخَةً هَامَاتُهَا بِالْأَمَائِمِ^(٥)
 وَمَا يَبْنُ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وَطَاعَةً وَيَبْنُ تَوَيْمٍ غَيْرُ حَزْزِ الْحَلَاqِمِ*

أَتَغَضَبُ إِنْ أَدْنَا قُتَيْبَةَ حَزَّتَا جِهَارًا وَلَمْ تَغَضَبْ لِقَتْلِ ابْنِ خَازِمِ^(٦)

(١) قَالَ عَلِيُّ بْنُ حَزْزَةَ فِي التَّنْبِيهَاتِ ١٣٤-١٣٧: "... قَدْ غَلَطَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مَنْ وَجَّهَهُ ، قَالَ أَبُو
 عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَنِّ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ [حَبِيبٍ] أَحْكَى ، وَلَا اخْتِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ
 فِي الْمَعْنَى وَإِنْ اخْتَلَفَتْ أَلْفَاظُهُمْ .

(٢) دِيَوَانُهُ ٢ / ٣١٠ - ٣١٣ ، وَالنَّقَائِضُ ٣٤٩ - ٣٧٧ ، وَالْأَبْيَاتُ مِنَ الطَّوِيلِ ، وَفِيهَا تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ
 عَمَّا فِيهِمَا .

(٣) فِي بَعْضِ النُّسخِ : " وَرَحَلِي " وَهِيَ رِوَايَةُ الدِّيَوَانِ وَالنَّقَائِضِ . وَبِهِمَا شَهَادَةٌ كَمَا فِي الْمَتْنِ .

(٤) فِي نُسَخَتَيْنِ : " الْقَوْمِ . وَبِهِمَا شَهَادَةٌ كَمَا فِي الْمَتْنِ .

(٥) فِي بَعْضِ النُّسخِ زِيَادَةٌ : " حَجَارَةٌ تَشْدُخُ بِهَا الرُّعُوسَ ، الْوَاحِدَةُ أُمَّةٌ " .

(*) انْظُرْ رَغْبَةَ الْأَمَلِ (٢٢٠/٤) .

(٦) الْبَيْتُ فِي دِيَوَانِهِ ٣١١/٢ ، وَالْأُزْهِيَّةُ ص ٧٣ ، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ٢٠/٤ ، ٧٨/٩ ، ٨٠ ، ٨١ ،
 وَالدَّرَجُ ٥٨/٤ وَشَرَحَ شَوَاهِدَ الْمَغْنَى ٨٦/١ ، وَالْكِتَابُ ١٦١/٣ ، وَمُرَاتِبُ النُّحَوِيِّينَ ص ٣٦ ، وَبَلَا
 نِسْبَةٍ فِي أُمَالِي ابْنِ الْحَاجِبِ ٢١٨/١ ، وَالْجَنَى الدَّانِي ص ٢٢٤ ، وَجَوَاهِرُ الْأَدَبِ ص ٢٠٤ ، وَمَغْنَى اللَّيْبِ
 ٢٦/١ ، وَهَمْعُ الْهَوَامِعِ ١٩/٢ ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ مَا نَصَّهُ : " لَمْ يَنْشُدْهُ سَبِيؤُهُ إِلَّا بِالْكَسْرِ " أَهـ .

وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا نَقَلْنَا دِمَاعَهُ
تَذَبَذَبُ فِي الْمِخْلَافَةِ تَحْتَ بُطُونِهَا
وَمَا أَنْتَ مِنْ قَيْسٍ فَتَنْبَحِ ذَوْنُهَا
تُخَوِّفُنَا أَيَّامَ قَيْسٍ وَلَمْ نَدْعِ
لَقَدْ شَهِدْتَ قَيْسٌ فَمَا كَانَ نَصْرُهَا
وقال جريرٌ يُحْيِيهِ :

أَبَاهِلَ مَا أَحْبَبْتُ قَتَلَ ابْنِ مُسْلِمٍ
ثم قال يُخَوِّفُ الْفَرَزْدَقُ :

تُحَصِّضُ يَا بَنَ الْقَيْنِ قَيْسًا لِيَجْعَلُوا
كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيْطًا وَحَاجِبًا
وَلَمْ تَشْهَدْ الْجَوْنَيْنِ وَالشَّعْبَ ذَا الصَّفَا
فَيَوْمَ الصَّفَا كُنْتُمْ عِيْدًا لِعَامِرٍ
إِذَا غُدَّتِ الْأَيَّامُ أَخْزَيْنَ دَارِمًا
أما قولُ الْفَرَزْدَقِ :

كَأَنَّ رُءُوسَ النَّاسِ إِذْ سَمِعُوا بِهَا
مُشَدِّحَةً هَامَاتُهَا بِالْأَمَانِمِ

(١) البيت في الكتاب ٤٢٠/١ ، والمقتضب ١٧/٢ .

(٢) البيت في المقتضب ٩٠/٤ . ويريد: بالأباهيم فحذف الباء وهو جمع الإبهام . رغبة الأمل

٢٢٠/٤

(٣) الأبيات من الطويل ، وهي لجرير في ديوانه ص ٤٢٣ ط . دار الكتب العلمية . من قصيدة طويلة يجيب بها الفرزدق ، لكن الأبيات متناثرة في القصيدة وليست على النحو الذي ذكره المبرد .

فإنَّ الشَّجَاجَ مُخْتَلِفَةٌ الْأَحْكَامُ، فَإِذَا كَانَتِ الشَّجَّةُ شَقِيقًا يَذْمَى فِيهَا الدَّامِيَةُ ، وَإِذَا أَخَذَتْ مِنَ اللَّحْمِ شَيْئًا فِيهَا الْبَاضِعَةُ ، وَإِذَا أَمَعَنْتْ فِي اللَّحْمِ فِيهَا الْمُتَلَحِّمَةُ ، فَإِذَا هَشَمَتْ الْعَظْمَ فِيهَا الْهَاشِمَةُ ، وَإِذَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعَظْمِ جُلَيْدَةٌ رَقِيقَةٌ فِيهَا السَّمْحَاقُ - مِنْ أَجْلِ تِلْكَ الْجُلَيْدَةِ يُقَالُ : مَا عَلَى ثَرْبٍ ^(١) الشَّاةِ مِنَ الشَّخْمِ إِلَّا سَمَاحِيْقُ أَيِ طَرَائِقٍ - فَإِذَا خَرَجَتْ مِنْهَا عِظَامٌ صِغَارٌ فِيهَا الْمُنْقَلَةُ - وَإِنَّمَا أُخِذَ ذَلِكَ مِنَ الثَّقَلِ وَهِيَ الْحِجَارَةُ الصَّغَارُ - فَإِذَا أَوْضَحَتْ عَنِ الْعَظْمِ فِيهَا الْمَوْضِحَةُ ، فَإِذَا خَرَقَتْ الْعَظْمَ وَبَلَغَتْ أَمَّ الدِّمَاغِ - وَهِيَ جُلَيْدَةٌ قَدْ أَلْبَسَتْ الدِّمَاغَ - فِيهَا الْآمَةُ ، وَبَعْضُ الْعَرَبِ يُسَمِّيهَا الْمَأْمُومَةَ ، وَاشْتِقَاقُ ذَلِكَ إِفْضَاؤُهَا إِلَى أَمِّ الدِّمَاغِ وَلَا غَايَةَ بَعْدَهَا ، قَالَ الشَّاعِرُ :

يَحْجُجُ مَأْمُومَةً فِي قَعْرِهَا لَجَفَّ فَاسْتُ الطَّيِّبِ قَذَاهَا كَالْمَغَارِيدِ ^(٢)

وَقَالَ ابْنُ غُلْفَاءَ الْمُجَنِّمِيُّ يَرُدُّ عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الصَّقِقِ فِي هِجَائِهِ بَنِي تَمِيمٍ :
فَبِإِنَّكَ مِنْ هِجَاءِ بَنِي تَمِيمٍ كَمْزَادِ الْغَرَامِ إِلَى الْغَرَامِ
هُمْ تَرَكَوكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى رَأَتْ صَقْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامٍ ^(٣)

(١) الثرب : شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء .

(٢) البيت من البسيط، وهو لعذار بن درة الطائي في لسان العرب ٢/٢٢٨، (حجج) ٩/٣١٣ (لجف)، والتنبيه والإيضاح ١/١٩٧، ومجمل اللغة ٢/٣٢، ٤/٢٦٦، وتاج العروس ٥/٤٥٩ (حجج) ، ٢٤/٣٥٣ (لجف) ، وبلا نسبة في لسان العرب ٣/٣٢٥ (غرد) ، ومقاييس اللغة ١/٢٣، ٢/٣٠، ٥/٢٣٥، وجمهرة اللغة ص ٨٦، ٦٣٣، ١٢٣٤، والمخصص ١٣/١٨٢، ١٦/٦٢، وتهذيب اللغة ٣/٣٩٠، وتاج العروس ٨/٤٦٦ (غرد) .

(٣) البيتان من الوافر ، وهما لأوس بن غلفاء في لسان العرب (لفف) ، (لقم) ، ولد حاجة بن عتر في جمهرة اللغة ص ٨٦٦ . والثاني لأوس بن غلفاء في الأصمعيات ص ٢٣٣ ، وبلا نسبة في تاج العروس (خير) .

وَهُمْ ضَرْبُكَ أُمُّ الرَّأْسِ^(١) حَتَّى بَدَتْ أُمُّ الشُّؤُونِ مِنَ الْعِظَامِ
إِذَا يَأْسُونَهَا جَشَّاتٍ إِلَيْهِمْ رَنْبَةُ الْقَوَائِمِ أُمُّ هَامٍ^(٢)

وابنُ خازم هو عبدُ الله بن خازم السُّلمي^(٣)، وهو أحدُ غُرَبَانِ العرب في الإسلام ،
وكان من أشجع الناس ، وقتله بنو تميم بخراسان ، وكان الذي وَلِيَ قَتْلَهُ منهم وكيعُ بنُ
الدُّورِيِّيَّةِ القُرَيْعِيُّ .

وقوله : " فوق الشَّاحِحَاتِ " يعني البِغَالَ . و " الرَّسِيمُ " : ضربٌ من السَّيْرِ ،
وإنما عني هاهنا بَغَالُ البَرِيدِ بقوله :

مُحَدَّقَةُ الْأَذْنَابِ جُلْحُ الْمَقَادِمِ

كما قال امرؤ القيس^(٤):

على كل مَقْصُوصِ الدَّنَابِي مُعَاوِدٍ وَيدُ السَّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرَبْرَا^(٥)
وكانتُ بُرْدُ مُلُوكِ العرب في الجاهلية الخيل .
وأما قول جرير " الجَوْنَيْنِ " فقد مضى ذكرهما .

(١) البيت في شرح اختيارات المفضل ص ١٥٦٩ ، ولسان العرب ١٢ / ٥٤٧ (لقم) ، ولد حاجة بن
عتر في جمهرة اللغة ص ٨٨٦ ، وبلا نسبة في شرح عمدة الحفاظ ص ٥٨٦ ، بروايته :

وهم ضربوك ذات الرأس حتى بدت أم الدماغ من العظام

(٢) انظر رغبة الأمل (٢٢٤/٤) .

(٣) قال محقق (س) في الأصل " عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال
ابن حرام بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان " . كذا وهو تصرف من النساخ أو الرواة ، وهو
خطأ .

والصواب : عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن سماك (سمال)
ابن عوف بن امرؤ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

انظر جمهرة أنساب العرب ٢٦١-٢٦٢ ، ونسب عدنان وقحطان ١٢ ، والتاج (سمل) .

(٤) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس في ديوانه ص ٦٦ ولسان العرب ٣ / ٨٦ (برد) ، وجمهرة
اللغة ص ٢٩٥ .

(٥) انظر رغبة الأمل (٢٢٦/٤) .

و " يوم دير الجماجم " يريدُ الحجاج في وقته بدير الجماجم بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي .

وقوله :

بِالْحَنُو أَصْبَحْتُمْ عَيْدَ اللِّهَازِمِ

فَاللِّهَازِمُ^(١) : بنو قيس بن ثعلبة وبنو ذُهل بن ثعلبة ، وبنو تيمم اللات بن ثعلبة ، وبنو عجل بن لُجيم بن صُعب بن علي بن بكر بن وائل ، وبنو مازن بن صعب^(٢) بن علي ، ثم تَلَهَّزَمَتْ حَنِيفَةُ بنُ لُجيم فصارَتْ معهم .

وأما علقمة بن زُرارة فإنه قَتَلَهُ بنو ضُبَيْعَةَ بن قيس بن ثعلبة فقتل به حاجب أخوه أشيم بن شراحيل القيسي ، فقال حاجب في ذلك :

فَبِإِن تَقْتُلُوا مِنَّا كَرِيمًا فَإِنَّا أَبَانَا بِهِ مَأْوَى الصَّعَالِيكِ أَشِيمًا
قَتَلْنَا بِهِ خَيْرَ الضُّبَيْعَاتِ كُلِّهَا ضُبَيْعَةَ قَيْسٍ لَا ضُبَيْعَةَ أَضْجَمَا

وكان يقال لأشيم : مأوى الصَّعَالِيكِ ، وضُبَيْعَةُ أَضْجَمَ الذي ذكر هو ضُبَيْعَةُ ابن ربيعة بن نزار رَهْطُ الْمُتَلَمَّسِ ، هذا لقبهم .

وأما معبد بن زُرارة فإن قيساً أسرته يوم رَحْرَحَانَ ، فساروا به إلى الحجاز فأتى لقيطاً في بعض الأشهر الحُرْمِ لِيَقْدِيَهُ ، فطلبوا منه ألف بعير ، فقال لقيط : إِنَّ أَبَانَا أَمَرَنَا أَلَا نَزِيدَ عَلَى الْمَائِتَيْنِ فَتَطْمَعُ فِينَا ذُؤْبَانُ الْعَرَبِ ، فقال معبد : يا أخِي ، أَفَدِنِي بِمَالِي فَإِنِّي

(١) في النفاض ٤٧، ٣٠٥، ٧٦٤ واللسان والتاج (لهزم) أن اللهازم بنو قيس وتيمم اللات ابنا ثعلبة ، وعجل بن لجيم ، وعنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وانظر للباب ٣ / ١٣٧ وليس في عنزة نقلاً عن محقق (س) .

(٢) وقال علي بن حمزة في التنبهات ١٣٨ : " إنما هم بنو زمان بن صعب " كذا! والصواب " بنو زمان بن مالك بن صعب " انظر نسب عدنان وقحطان ١٧ ، وجمهرة أنساب العرب ٣٠٩ نقلاً عن محقق (س) .

مَيِّتٌ ، فأبى لقيط ، وأبى معبدٌ أن يأكل أو يشرب ، فكانوا يَشْحُونُ^(١) فاه ويصبون فيه
الطَّعامَ والشرابَ لئلا يَهْلِكَ فيذهب فداؤه ، فلم يزل كذلك حتى مات ، فقال جريرٌ يُعَيِّرُ
الفرزدق وقومَه بذلك :

تَرَكْتُمْ بِوَادِي رَحْرَحَانَ نِسَاءَكُمْ وَيَوْمَ الصِّفَا لَا قَيْتُمْ الشَّعْبَ أَوْعَرَا
سَمِعْتُمْ بَنِي مَجْدٍ دَعَا يَالَعَامِرِ فَكُنْتُمْ نَعَامًا عِنْدَ ذَاكَ مُنْفَرَا
وَأَسْلَمْتَ الْقَلْحَاءُ* (٢) فِي الْغُلِّ مَعْبَدًا وَلَا قَى لَقِيطٌ حَفْهَ فَتَقَطَّرَا^(٣)
قوله :

سمعتم بني مجد دعوا يالعامر

يعني مَجْدَ بِنْتَ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ ، وَلَدَتْ رَبِيعَةَ بْنَ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ^(٣) ، وَوَلَدَهُ
بنو كلابٍ وبنو كَعْبٍ وبنو عامرٍ بنِ رَبِيعَةَ .
و " الْقَلْحَاءُ " لقبٌ ، وَالْقَلْحُ أن تَرَكَبَ الْأَسْنَانَ صَفْرَةً تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ ،
ويقال لها الْحَبْرَةُ ؛ لِشِدَّةِ تَأْثِيرِهَا ، أَنَشَدَنِي الْمَازِنِيُّ :
لَسْتُ بِسَغْدِي عَلَى فِيهِ حُبْرَةٌ لَسْتُ بِعَبْدِي حَقِيبَتُهُ التَّمْرُ
وزعم أبو الحسن الأخفش أنَّ العربَ تقول في هذا المعنى : في أسنانه حِبْرَةٌ ،
وليس ذلك بمعروفٍ ، ولم يأت اسمٌ على فِعْلٍ إِلَّا إِبْلٌ وإِطْلٌ .

(١) يشحونه وشحاه : فتحه .

(*) انظر رغبة الأمل ٢٢٨/٤ ، ٢٢٩ :

(٢) الأبيات من الطويل لجرير في ديوانه ص ١٨٦ ط . دار الكتب العلمية والبيت الثالث على رواية
المبرد مركب من بيتين ، وهما :

وَأَسْلَمْتَ لِابْنِي أَسِيدَةَ حَاجِبًا وَلَا قَى لَقِيطٌ حَفْهَ فَتَقَطَّرَا

وَأَسْلَمْتَ الْقَلْحَاءَ لِلْقَوْمِ مَعْبَدًا يَجَازِبُ مَحْمُوسًا مِنَ الْقَدِّ أَسْمَرَا

(٣) قوله " ولدت ربعة بن عامر بن صعصعة " كذا ! وربعة زوجها . و كلاب وكعب وعامر
وكليب بنو ربعة بن عامر بن صعصعة ، وأمههم مجد بن تيم الأدرم بن غالب بن فهر بن مالك بن
النضر بن كنانة . انظر المحير ١٧٨ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٨٠ ، ٤٨٦ ، ورغبة الأمل ٢٢٩ / ٤ .

وقوله : ولا قَى لَقِيْطٌ حَتْفُهُ فَتَقَطَّرَا

يقال : قَطَرُهُ لِحَنِيْهِ وَقَتْرُهُ ، لغتان ؛ لأنَّ التاء من مَخْرَجِ الطَّاء ، فَإِنْ رَمَى بِهِ عَلَى قَفَاهُ قِيلَ : سَلَقَهُ ، وَسَلَقَاهُ ، وَبَطَحَهُ لَوَجْهِهِ ، فَإِنْ رَمَى بِهِ عَلَى رَأْسِهِ قِيلَ : نَكَّتَهُ .

رَجَعَ التَّفْسِيرُ إِلَى شَعْرِ الْفَرَزْدَقِ الْأَوَّلِ

أَمَّا قَوْلُهُ : وَمَا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ

فإنه يعني جَدَّهُ صَعَصَعَةُ بْنُ نَاجِيَةَ بْنِ عَقَالٍ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَهْدُ الْبَنَاتِ ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا فِي جَمِيعِهَا ، إِنَّمَا كَانَ فِي تَمِيمٍ بْنِ مُرٍّ ، ثُمَّ اسْتَفَاضَ فِي حَبِيرَانِهِمْ ، فَهَذَا قَوْلٌ . وَقَالَ قَوْمٌ آخَرُونَ : بَلْ كَانَ فِي تَمِيمٍ وَقَيْسٍ وَأَسَدٍ وَهَذَلٍ وَبَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : " اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَيْنِي يُوسُفُ " ^(١) وَقَالَ بَعْضُ الرِّوَاةِ : " اشْدُدْ وَطَدَتَكَ " (*) ، وَالْمَعْنَى قَرِيبٌ يَرْجِعُ إِلَى الثَّقَلِ ، فَأَجْدَبُوا سَبْعَ سِنِينَ حَتَّى أَكَلُوا الْوَبَرَ بِالْدَّمِ ، فَكَانُوا يُسَمُّونَهُ الْعِلْهَزَ ، وَلِهَذَا أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَحْرِيمَ الدَّمِ ، وَدَلَّ عَلَى مَا مِنْ أَجَلِهِ قَتْلُوا الْبَنَاتِ فَقَالَ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾ فَهَذَا خَبَرٌ بَيِّنٌ أَنَّهُ لِلْحَاجَةِ ؛ وَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ أَنَّهُمْ إِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَنْفَةً .

وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى أَنَّ تَمِيمًا مَنَعَتْهُ النُّعْمَانُ الْإِتَاوَةَ سَنَةً مِنَ السَّنِينَ وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَسْمِي الْخَرَاجَ الْإِتَاوَةَ ، وَهِيَ الْأَرْيَانُ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ أَخَاهُ الرَّيَّانُ بْنُ الْمُنْذِرِ ، وَكَانَتِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي "الْأَذَانِ" ، بَابُ : يَهْوِي بِالتَّكْبِيرِ حِينَ يَسْجُدُ (٣٣٩/٢) (ح ٨٠٤) ، وَفِي "الْجِهَادِ" (٢٩٣٢) ، وَفِي "أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ" (٣٣٨٦) ، وَفِي ((التَّفْسِيرِ)) (٤٥٦٠ و ٤٥٩٨) وَفِي "الْأَدَبِ" (٦٢٠٠) ، وَالْإِكْرَاهِ (٦٩٤٠) ، وَفِي "الدَّعَوَاتِ" ، وَمُسْلِمٌ فِي "الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ" بَابُ اسْتِحْبَابِ الْقُنُوتِ فِي جَمِيعِ الصَّلَاةِ (ح ٦٧٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ .

(*) قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ : (٢٠٠/٥) :

وَكَانَ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ يَرْوِيهِ ((اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَدَتَكَ عَلَى مُضَرَ)) . وَالْوَطْدُ : الْإِبْطَاتُ وَالْغَمَزُ فِي الْأَرْضِ .

للنعمان خمسُ كُتائبَ : إحداها " الوضائعُ " ، وهم قومٌ من الفُرسِ كان كَسْرَى يَضَعُهُمْ عنده بَعْدَهُ وَمَدَدًا ، فَيُقِيمُونَ سَنَةً عندَ الملكِ من ملوكِ لَحْمٍ ، فإذا كان في رأسِ الحَوْلِ رَدَّهُمْ إلى أَهْلِيهِمْ وبعثَ بِمِثْلِهِمْ . وكتيبةٌ يقال لها : " الشَّهْبَاءُ " ، وهي أَهْلُ بيتِ الملكِ ، وكانوا بيضَ الوجوه يُسَمَّوْنَ الْأَشَاهِبَ . وكتيبةٌ ثالثةٌ يقال لها : " الصَّنَائِعُ " ، وهم صنائعُ الملكِ أَكْثَرُهُمْ من بكرِ بنِ وائلٍ . وكتيبةٌ رابعةٌ يقال لها : " الرَّهَائِنُ " ، وهم قومٌ كان يأخذُهُمْ من كُلِّ قَبِيلَةٍ فيكونون رَهْنًا عنده ثم يُوضَعُ مكانَهُمْ مِثْلُهُمْ . والخامسةُ " دَوَسَرُ " ، وهي كتيبةٌ ثَقِيلَةٌ تَجْمَعُ فُرْسَانًا وَشُجْعَانًا من كلِّ قَبِيلَةٍ ، فَأَغْزَاهُمْ أَخَاهُ ، وَجُلُّهُ مِنْ مَعَهُ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ ، فَاسْتَأَقَ النَّعَمَ وَسَبَى الذَّرَّارِي ، وفي ذلك يقولُ الْمُشَمَّرُجُ الْيَشْكِرِيُّ :

لَمَّا رَأَوْا رَايَةَ النُّعْمَانِ مُقْبِلَةً قَالُوا أَلَا لَيْتَ أَذْنَى دَارِنَا عَدُوٌّ
يَا لَيْتَ أَمْ تَمِيمٌ لَمْ تَكُنْ عَرَفْتَ مُرًّا وَكَانَتْ كَمَنْ أَوْدَى بِهِ الزَّمَنُ
إِنْ تَقْتُلُونَا فَأَعْيَارٌ مَجْدَعَةٌ أَوْ تَنْعِمُوا فَقَدِيمًا مِنْكُمْ الْيَمَنُ^(١)
مِنْهُمْ زُهَيْرٌ وَعَتَابٌ وَمُخْتَصَرٌ وَابْنَا لَقِيْطٍ وَأَوْدَى فِي الْوَعَا قَطَنُ

ويقول النعمانُ في جوابِ هذا :

لِللَّهِ بَكْرٌ غَدَاةَ الرُّوْعِ لَوْ بِهِمْ أَرْمِي ذُرًّا حَضَنَ زَالَتْ بِهِمْ حَضَنُ
إِذَا لَا أَرَى أَحَدًا فِي النَّاسِ أَشْبَهُهُمْ إِلَّا فَوَارِسَ خَامَتِ عَنْهُمْ الْيَمَنُ^(٢)

وهذا خيرٌ طويلٌ ، فوفدت إليه بنو تميم فلما رآها أَحَبَّ الْبُقْيَا فقال :

مَا كَانَ ضَرٌّ تَمِيمًا لَوْ تَعَمَّدَهَا مِنْ فَضْلِنَا مَا عَلَيْهِ قَيْسُ عَيْلَانَ
فَأَنَابَ الْقَوْمُ وَسَأَلُوهُ النَّسَاءَ ، فقال النعمانُ : كُلُّ امْرَأَةٍ اخْتَارَتْ أَبَاهَا رُدَّتْ إِلَيْهِ ،

(١) أعيار جمع عير ، وهو الحمار وحشيًّا كان أو أهليًّا . مجدعة : مقطعة الأذان . رغبة الأمل . ٢٣٣/٤ .

(٢) زالت بهم حضن : يريد زالت بهم أركان حضن ، وهو جبل بأعلى نجد ، خامت : جنت وضعفت . رغبة الأمل ٢٣٣/٤ .

وإن اختارت صاحبها تركت عليه ، فكلهن اختارت أباهن إلا ابنة لقيس بن عاصم^(١) فإنها اختارت صاحبها عمرو بن المشرج ، فنذر قيس ألا تولد له ابنة إلا قتلها ؛ فهذا شيء يعتل به من وأد ، ويقول : فعلمناه أنفة ، وقد أكذب ذلك بما أنزل الله تعالى في القرآن . وقال ابن عباس رحمه الله في تأويل هذه الآية^(٢) : وكانوا لا يورثون ، ولا يتخذون إلا من طاعن بالرمح ومنع الحریم ، يريد الذكران .

وروت الرواة^(٣) أن صغصة بن ناجية لما أتى رسول الله ﷺ فأسلم ، قال : يا رسول الله ، إنني كنت أعمل عملاً في الجاهلية أفينفعني ذلك اليوم ؟ قال : وما عملك ؟ قال : أضللت ناقتين عشاروين فركبت جملاً ومضيت في بُغائهما^(٤) ، فرفع لي بيت حريد فقصدته ، فإذا شيخ جالس بفناء الدار ، فسألته عن الناقتين فقال : ما نارهما ؟ قلت :

(١) قال محقق (س) : بهامش نسخة ما نصه : " قال أبو الفرج : هي ابنة أخته لا ابنته واسمها ريم بنت أحر بن جندل السعدي " اهـ .

قلت أي محقق (س) : وأنا أنقل كلام أبي الفرج لفائدته وبيانه ، قال : " قال أحمد بن الهيثم قال عمي فحدثني عبد الله بن الأهم : أن سبب وأد قيس بناته أن المشرج اليشكري أغار على بني سعد فسبى منهم نساء واستاق أموالاً ، وكان في النساء امرأة خالها قيس بن عاصم ، وهي رميم بنت أحر بن جندل السعدي ، وأما أخت قيس . فرحل قيس إليهم يسألهم أن يهبوها له أو يفدوها ، فوجد عمرو بن المشرج قد اصطفاها لنفسه ، فسأله فيها فقال : قد جعلت أمرها إليها فإن اختارتك فخذها . فخبرت فاختارت عمرو بن المشرج فانصرف قيس فوآد كل بنت ، وجعل ذلك سنة في كل بنت تولد له ، واقتدت به العرب في ذلك . فكان كل سيد يولد له بنت يفدوها خوفاً من الفضيحة " الأغاني ٧١/١٤ .

(٢) يريد آية سورة الإسراء : ٣١ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ ﴾ . وانظر في تفسير ابن كثير ٦٩/٥ ، والبحر المحيط ٣٢/٦ ، تفسير القرطبي ١٠/٢٥٢ .

وقال الشيخ المصنف معطفاً على قول المبرد وقد أكذب ذلك : " ليت شعري ما يصنع أبو العباس لو تليت عليه آية ﴿ وَإِذَا بَشَّرْ أَحَدَهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ۖ ﴾ . والحق أن من العرب من يقد خشية الإملاق ومنهم من يقد أنفة من العار وقد أخبر الله عنهم بآيتين صادقتين " رغبة الأمل ٢٣٤/٤ .

(٣) روى أبو عبيدة في النقائص ٦٩٧-٦٩٨ خير إحياء صغصة الرئيد ولمس فيه خيره مع رسول الله ﷺ .

(٤) أي طلبهما .

ميسمُ بني دارم ، فقال : هما عندي ، وقد أحيا الله بهما قومًا من أهلك من مُضَر ، فجلستُ معه لِتُخْرِجَا إليَّ ، فإذا عجوزٌ قد خَرَجَتْ من كِسْرِ البيت ، فقال لها : ما وَضَعْتَ ؟ فإن كان سَقْبًا شارَكْنَا في أموالنا ، وإن كانت حائلاً وأدناها ، فقالتِ العجوزُ : وَضَعْتُ أنثى ! فقلتُ : أَتَبِيعُهَا ؟ قال : وهل تَبِيعُ الْعَرَبُ أولَآذَهَا ؟ قال : قلتُ : إنما أَشْتَرِي حَيَاتَهَا ، ولا أَشْتَرِي رِقَّهَا ، قال : فبِكَمْ ؟ قلتُ : اخْتَكِم ، قال : بالنَّاقَتَيْنِ والجملِ ، قال قلتُ : ذاك لك ، على أن يُبَلِّغَنِي الجملُ وإيَّاهَا ، قال : ففعلَ ؛ فأمِنْتُ بك يا رسولَ الله وقد صارت لي سُنَّةً في الْعَرَبِ عَلَيَّ أن أَشْتَرِي كُلَّ مَوْعُودَةٍ بِنَاقَتَيْنِ عَشْرَاوَيْنِ وَجَمَلٍ ، فعندي إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا مَوْعُودَةٍ قد أَنْقَذْتُهَا ، فقال رسولُ الله ﷺ : " لا يَنْفَعُكَ ذَلِكَ لِأَنَّكَ لَمْ تَبْتَغِ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَإِنْ تَعْمَلْ فِي إِسْلَامِكَ عَمَلًا صَالِحًا تُثَبِّ عَلَيْهِ " (١) .

وكان ابن عباس يقرأ : ﴿ وَإِذَا الْمَوْعُودَةُ سَأَلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ (٢) وقال أهلُ

(١) أنكر السهيلي في الروض الأنف (٢٥٧/١) ما قاله المبرد ، قال : " وقال المبرد في الكامل عن النبي ﷺ كلامًا لم يصح لفظه ولا معناه ولا يشهد له أصل " وحكى أنَّ صعصعة سأل رسول الله ﷺ : هل لي في ذلك من أجر ؟ فقال في أصح الروايتين : لك أجره إذا منَّ الله عليك بالإسلام ... وهذه الرواية أوردتها الحافظ السيوطي في " الدر المنثور " (٥٢٨/٦) وعزاها إلى الطبراني عن صعصعة ابن ناجية المجاشعي وهو جد الفرزدق . وكذا أشار إليها الحافظ في " الإصابة " (٢٤٥/٣) ، وعزاها إلى ابن أبي عاصم وابن السكن والطبراني من طريق الطفيل بن عمرو عن صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ثم أورد قول الفرزدق في ذلك :

وجدي الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يؤد

ثم قال السهيلي : " والأصول تشهد له بهذه الرواية ، لما ثبت أن الكافر إذا أسلم وحسن إسلامه كتب له كل حسنة كان زلفها " .

وأورد الحديث بطوله الحافظ الهيثمي في المجمع ، (٩٥،٩٤/١) وقال : " رواه الطبراني في الكبير ، والبخاري ، وفيه الطفيل بن عمرو التميمي ، قال البخاري لا يصح حديثه . قال العقيلي : لا يتابع عليه " .

(٢) سورة التكويد : ٨-٩ . " سألت " مبنياً للفاعل و " قتلت " مبنياً للمفعول بسكون اللام وضم التاء وهي قراءة ابن مسعود وعلى وابن عباس وجابر بن زيد وأبي الضحى ومجاهد ، انظر البحر ٤٣٣/٨ .

المعرفة في قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(١) إنما تُسأل تَبَكُّيتاً لمن فعل ذلك بها كما قال الله تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٢).

وقوله: "وُئِدْتُ" إنما هو أُثْقِلْتُ بالتراب، يقال للرجل: اتَّيِدْ، أي: تَبَّتْ وَتَثَقَّلْ، كما يقال: تَوَقَّرْ، قال قَصِيرٌ صاحبُ جَذِيمَةٍ:

مَا لِلْجِمَالِ مِثْلُهَا وَيَدَا أَجْنَدَلَا يَحْمِلْنَ أَمَ حَدِيدَا^(٣)

وقوله: "أضَلْتُ نَاقَتَيْنِ عَشْرَاوَيْنِ"، "أضَلْتُ"^(٤): ضَلَّتا مِنِّي، وَتَحْقِيقُهُ: صَادَفْتُهُمَا ضَالَّتَيْنِ كما قال:

أَوْ وَجَدْتُ شَيْخَ أَضَلَّ نَاقَتَهُ حِينَ تَوَلَّى الْحَجِيجُ فَاَنْدَفَعُوا^(٥)

و "العُشْرَاءُ": الناقة التي قد أتى عليها منذ حملت عشرة أشهر، وإنما حَمَلُ الناقة سنة.

وقوله: "ما نارُهما" يريد: ما وَسْمُهُما، كما قال:

(١) "سُئِلَتْ" و"قُتِلَتْ" مبنيان للمفعول بئاء التانيث، وهي قراءة الجمهور.

(٢) سورة المائدة: ١١٦.

(٣) الرجز للزباء في لسان العرب ٤٤٣/٣ (وَأَد)، ١٩٣/٩ (صُف)، ١٤٨/١٠، (زَهَق) وأدب الكاتب ص ٢٠٠، والأغاني ٢٥٦/١٥، وأوضح المسالك ٨٦/٢، وجمهرة اللغة ص ٧٤٢، ١٢٣٧، وعزازة الأدب ٢٩٥/٧، والدرر ٢٨١/٢، وشرح الأشتوني ١٦٩/١، وشرح التصريح ٢٧١/١، وشرح شواهد المغني ٩١٢/٢، وتاج العروس ٢٤٨/٩ (وَأَد)، ١٧/٢٤ (صُف)، وشرح عمدة الحفاظ ص ١٧٩، ومغني اللبيب ٥٨١/٢، وللزباء أو للخنساء في المقاصد النحوية ٤٤٨/٢، وبلا نسبة في همع الهوامع ١٥٩/١، ومقاييس اللغة ٧٨/٦، وكتاب العين ٧/١١١، وأساس البلاغة (وَأَد).

وبعده في زيادات بعض النسخ: "هذا وهم من أبي العباس - حيث نسبته لصاحب جذيمة - وإنما هو للزباء"

وبعده في بعض الزيادات:

أَمْ صِرْفَانَا بَارِدًا شَدِيدًا

(٤) في بعض النسخ: تَأْوِيلُ أَضَلَّتْ.

(٥) البيت من المنسرح، وهو للملك بن حريم في أمالي القالي ١٢٣/٢، وبلا نسبة في الأزهية ص ١٢٠، والجني الداني ص ٢٣٠، برواية: "يوم توافر الحجيج".

قَدْ سُقِيَتْ آبَا لَهُمْ بِالنَّارِ وَالنَّارُ قَدْ تَشْفِي مِنَ الْأَوَارِ^(١)

أي : عُرِفَ وَسَمُّهُمْ فَلَمْ يُمْنَعُوا .

وقوله : " فإذا بيت حَرِيدٌ " يقول : مُتَّحٌ عن الناس ، وهذا من قولهم : انْحَرَدَ الجملُ : إذا تَنَحَّى عن الإبل فلم يَبْرُكْ معها ، ويقال في غير هذا الموضع : حَرَدَ حَرْدُهُ ، أي قَصَدَ قَصْدَهُ ، قال الراجز :

قَدْ جَاءَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَخْرُدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغْلَةِ^(٢)

وقالوا في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾^(٣) أي على قَصْدٍ كما ذكرنا ، وقالوا: على مَنعٍ ، من قولهم : حَارَدَتِ النَّاقَةُ : إذا مَنَعَتْ لَبَنَهَا ، وحَارَدَتِ السَّيَّةُ : إذا مَنَعَتْ قَطْرَهَا ؛ والبَعِيرُ الْأَخْرَدُ هو الذي يَضْرِبُ بيده ، وأصله الامتناع عن المَشْيِ .
وأما قوله :

وقبر بكاظمة المـورد

إذا ما أتى قبره عائد أناخ على القبر بالأسعد

فإنه يعني قبر أبيه غالب بن صعصعة بن ناجية ، وكان الفرزدق يُحِير من اسْتِجَارَ بقبر أبيه ، وكان أبوه جواداً شريفاً ، ودخل الفرزدق البصرة في إمرة زيادٍ ، فباع إبلاً كثيرةً وجعل يَصُرُّ أثمانها ، فقال له رجلٌ : إِنَّكَ لَتَصُرُّ أثمانها ، ولو كان غالبٌ بنُ صعصعة ما صرَّها ، ففتح الفرزدق تلك الصُّرَرَ ونَثَرَ المالَ ؛ وبلغ الخيرُ زياداً فطلبه ، فهرب الفرزدق ؛ وله في هَرَبِهِ حديثٌ طويلٌ ، واستِجَارَتُهُ بسعيد بن العاصي بالمدينة نذكره بعد هذا إن شاء الله .

(١)الرجز بلا نسبة في لسان العرب ٣٥/٤(أور)،٢٤٣/٥(نور) ، وشرح شواهد المغني ٣١٦،٣٠٩/١ ، ومغني اللبيب ١٠٣/١ ، وتاج العروس ٣٠٥/١٤(نور)،(وري) ، ومقاييس اللغة ٤٠/١ ، ومجمل اللغة ٢١٥/١ ، وتهذيب اللغة ٢٣١/١٥ ، بلفظ : "حتى سقوا آباهم" .
والأوار : العطن . كما في رغبة الأمل (٢٣٨/٤) .

(٢)الرجز لقطرب في خزانة الأدب ٣٥٦/١٠ ، وسمط اللآلي ص ٣١ ، وبلا نسبة في لسان العرب (حرد) ، (غلل) ، (أله) ، وخزانة الأدب ٣٥٦/١٠ ، وجمهرة اللغة ص ١٦٠ ، ٥٠١ ، ٩٦٢ ، وسر صناعة الإعراب ص ٧٢١ ، ومعجم ما استعجم ص ٧٨٥ ، وتهذيب اللغة ٤٢٢/٦ ، ومجمل اللغة ٥٦/٢ ، ومقاييس اللغة ٥١/٢ ، وديوان الأدب ١٥١/٢ ، وتاج العروس (غلل) ، وكتاب العين ١٨١/٣ .

(٣) سورة القلم : ٢٥ .

فَمِمَّنِ اسْتَجَارَ بَقِيرَ غَالِبٍ فَأَجَارَهُ الْفَرَزْدَقُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ،
خَافَتْ لَمَّا هَجَا الْفَرَزْدَقُ بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ أَنْ يُسَمِّيَهَا وَيَسُبَّهَا ، فَعَاذَتْ بِقَبْرِ أَبِيهِ ، فَلَمْ
يَذْكُرْهَا اسْمًا وَلَا نَسَبًا ، وَلَكِنْ قَالَ فِي كَلِمَتِهِ الَّتِي يَهْجُو فِيهَا بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ :

عَجُوزٌ تُصَلِّي الْخُمْسَ عَاذَتْ بِغَالِبٍ فَلَا وَالَّذِي عَاذَتْ بِهِ لَا أَضِيرُهَا^(١)

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْحِجَاجَ لَمَّا وَلَّى تَمِيمَ بْنَ زَيْدِ الْقَيْنِيِّ السَّنْدَ ، دَخَلَ الْبَصْرَةَ فَجَعَلَ يُخْرِجُ
مِنْ أَهْلِهَا مَنْ شَاءَ ، فَجَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى الْفَرَزْدَقِ فَقَالَتْ : إِنِّي اسْتَجَرْتُ بِقَبْرِ أَبِيكَ ، وَأَنْتَ
مِنْهُ بِحَصِيَّاتٍ ، فَقَالَ : مَا شَأْنُكَ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّ تَمِيمَ بْنَ زَيْدٍ خَرَجَ بَابِنِ لِي مَعَهُ وَلَا قُرَّةَ
لِعَيْنِي وَلَا كَاسِبَ لِي غَيْرُهُ ، فَقَالَ لَهَا : وَمَا اسْمُ ابْنِكَ ؟ فَقَالَتْ : حُنَيْسٌ ، فَكَتَبَ إِلَى تَمِيمَ
ابْنِ زَيْدٍ مَعَ بَعْضِ مَنْ شَخَّصَ :

تَمِيمُ بْنُ زَيْدٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي بَظَهْرٍ فَلَا يَغِيَا عَلَيَّ جَوَابُهَا^(٢)
وَهَبْ لِي حُنَيْسًا^(٣) وَاخْتَسِبْ فِيهِ مِنَّةً لِعَبْرَةٍ أَمْ مَا يَسُوءُ شَرَابُهَا
أَتَنْبِي فَعَاذَتْ يَا تَمِيمُ بِغَالِبٍ وَبِالْحُفْرَةِ السَّافِي عَلَيْهَا تَرَابُهَا
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّكَ مَاجِدٌ وَلَيْثٌ إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ شَهَابُهَا

فَلَمَّا وَرَدَ الْكِتَابُ عَلَى تَمِيمَ تَشَكَّكَ فِي الْأِسْمِ فَقَالَ : أَحْيَيْشُ أَمْ حُنَيْسٌ ؟ ثُمَّ
قَالَ : انْظُرُوا مَنْ لَهُ مِثْلُ هَذَا الْأِسْمِ فِي عَسْكَرِنَا ؟ فَأَصِيبَ سِتَّةٌ مَا بَيْنَ حُنَيْشٍ وَحُنَيْسٍ
فَوَجَّهَ بِهِمْ إِلَيْهِمْ .

وَمِنْهُمْ مُكَاتَبٌ لِبَنِي مِنْقَرٍ ظَلَعَ بِمُكَاتَبَتِهِ^(٤) فَأَتَى قَبْرَ غَالِبٍ فَاسْتَجَارَ بِهِ وَأَخَذَ مِنْهُ
حَصِيَّاتٍ فَشَدَّهُنَّ فِي عِمَامَتِهِ ، ثُمَّ أَتَى الْفَرَزْدَقَ فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ وَقَالَ : إِنِّي قَدْ قُلْتُ شَعْرًا
فَقَالَ : هَاتِهِ ، فَقَالَ :

(١) ديوانه ٣٦٧/١ ، والنقائض ٥٢٥ ، وطبقات فحول الشعراء ٣١٤ .

(٢) الأبيات من الطويل في ديوانه (٨٦/١) ، وأوردها ابن منظور في لسان العرب (حوب) دون
البيت الأخير فقدم وأخر ، وفي ألفاظها بعض اختلاف ، وفي مقاييس اللغة (٤٧٢/٣) ، وتاج
العروس (٤٨٦/١٢) .

(٣) في الأصل بغير نقط ، وقد عمد الشاعر إلى ذلك لغرض فني سيفصح عنه المبرد في قصته بعد .

(٤) من ظلع البعير بحمله كمنع عرج وغمز في مشيه لثقله . يريد ضعف عن حمل ما كرتب به .
رغبة الآمل ٢٤٢/٤ .

بَقَرِ ابْنِ لَيْلَى غَالِبٍ غُذْتُ بَعْدَمَا خَشِيتُ الرَّدَى أَوْ أَنْ أُرَدَّ عَلَى قَسْرِ^(١)
 بِقَرِ امْرِئٍ تَقْرِي الْمِثْنَ عِظَامُهُ وَلَمْ يَكْ إِلَّا غَالِبًا مِيتٌ يَقْرِي
 فَقَالَ لِي اسْتَقْدِمَ أَمَامَكَ إِنَّمَا فَكَأَنَّكَ أَنْ تَلْقَى الْفَرَزْدَقَ بِالْمِصْرِ

فقال له الفرزدق : ما اسمك ؟ قال : لهذم ، قال : يا لهذم ، حُكْمُكَ مُسَمَّطًا ،
 قال : ناقةٌ كَوْمَاءُ سِوَاءِ الْحَدَقَةِ ، قال : يا جارية ، اطرحي إلينا حبلًا ، ثم قال : يا لهذم ،
 اخْرِجْ بنا إلى المِرْبَدِ فَأَلْقِهِ فِي عُتْقٍ مَا شِئْتَ ، فَتَخَيَّرَ الْعَبْدُ عَلَى عَيْنِهِ ، ثم رمى بالحبل في
 عنق ناقةٍ وجاء صاحبُها ، فقال له الفرزدق : اغْذُ عَلَيَّ فِي ثَمَنِهَا ؛ فَجَعَلَ لَهُذَمٌ يَقُودُهَا
 وَالْفَرَزْدَقُ يَسُوقُهَا حَتَّى إِذَا نَفَذَ بِهَا مِنَ الْبُيُوتِ إِلَى الصَّحَرَاءِ صَاحَ بِهِ الْفَرَزْدَقُ : يَا لَهُذَمُ ،
 قَبِّحَ اللَّهُ أَحْسَرْنَا !! .

قوله : ولم يك إلا غالبًا ميتٌ يقري

فإنه نَصَبَ غَالِبًا لَأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مُقَدَّمٌ ، وَإِنَّمَا اتَّصَبَ الْاسْتِثْنَاءُ الْمُقَدَّمُ لِمَا أَذْكَرَهُ
 لَكَ . حَقُّ الْاسْتِثْنَاءِ إِذَا كَانَ الْفِعْلُ مَشْغُولًا بِهِ أَنْ يَكُونَ جَارِيًا عَلَيْهِ ، لَا يَكُونُ فِيهِ إِلَّا هَذَا ،
 تَقُولُ : مَا جَاءَنِي إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ ، وَمَا رَأَيْتُ إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ ، وَمَا مَرَرْتُ إِلَّا بَعْدَ اللَّهِ ، فَإِنْ
 كَانَ الْفِعْلُ مَشْغُولًا بغيره فكان موجبًا لم يكن في المستثنى إلا النصبُ ، نحو جَاءَنِي
 إِخْوَتُكَ إِلَّا زَيْدًا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ وَنَصَبُ هَذَا عَلَى
 مَعْنَى الْفِعْلِ وَ "إِلَّا" دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ . فَإِذَا قُلْتَ : "جَاءَنِي الْقَوْمُ" لَمْ يُمْكِنْ أَنْ يَقَعَ عِنْدَ
 السَّمَاعِ أَنْ زَيْدًا أَحَدُهُمْ فَإِذَا قُلْتَ : "إِلَّا زَيْدًا" فَالْمَعْنَى لَا أَعْنِي فِيهِمْ زَيْدًا ، أَوْ اسْتِثْنَى مِمَّنْ
 ذَكَرْتُ زَيْدًا ؛ وَلِسَبَبِيهِ فِيهِ تَمَثُّيلٌ^(٢) ، وَالَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ أَتَيْنُ مِنْهُ ، وَهُوَ مُتَرَجِّمٌ عَمَّا قَالَ
 غَيْرُ نَاقِضٍ لَهُ .

وإن كان الأول منفيًا جاز البدل والنصب ، والبدل أحسن ؛ لأنَّ الفعل الظاهرَ
 أَوَّلِي بَأَنْ يَعْمَلَ مِنَ الْمُخْتَزَلِ الْمَوْجُودِ بِدَلِيلٍ ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ : مَا أَتَانِي أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ وَمَا

(١) يزيد على قهر العبودية . رغبة الآمل ٢٤٢/٤ .

(٢) قال سيبويه في باب ما يكون استثناءً بإلا : "اعلم أن إلا يكون الاسم بعدها على وجهين .
 فأحد الوجهين أن لا تغير الاسم عن الحال التي كان عليها قبل أن تلحق كما أن لا حين قلت لا
 مرحبًا ولا سلام لم تغير الاسم عن حاله قبل أن تلحق فكذلك إلا ولكنها تجيء لمعنى كما تجيء "لا"
 لمعنى . والوجه الآخر أن يكون الاسم بعدها خارجًا مما دخل فيه ما قبله عاملاً فيه ما قبله من الكلام
 كما تعمل عشرون فيما بعدها إذا قلت عشرون درهمًا " الكتاب ١ / ٣٦٠ .

مررت بأحد إلا زيد . والفصل بين المنفي والموجب أن المبدل من الشيء يُفَرِّغُ له الفعل فأنت في المنفي إذا قلت: ما جاءني أحدٌ إلا زيداً إذا حذفْتَ على جهة البدل صار التقديرُ : ما جاءني إلا زيدٌ ، لأنه بدلٌ من أحد ، والموجب لا يكون فيه البدلُ ؛ لأنك إذا قلت : جاءني إخوانك إلا زيداً لم يَجُزْ حذفُ الأول ، لا تقول : جاءني إلا زيدٌ ، وإن شئتَ أن تقول في النفي : ما جاءني أحدٌ إلا زيداً جاز ، ونَصِبُهُ بالاستثناء الذي شرحتُ لك في الواجب ، والقراءة الجيدة : ﴿ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾ ^(١) وقد قُرئ ^(٢) : ﴿ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ ﴾ على ما شرحتُ لك في الواجب والقراءة الأولى ^(٣) .

فإذا قَدِّمْتَ المستثنى بطلَ البدلُ ، لأنه ليس قبله شيءٌ يُدَلُّ منه ، فلم يكن فيه إلا وجهُ الاستثناء ، فتقول : ما جاءني إلا أباك أحدٌ ، وما مررتُ إلا أباك بأحدٍ ، وكذلك تُنشَدُ هذه الأشعار ، قال كعبُ بنُ مالكٍ الأنصاريُّ لرسول الله ﷺ :

النَّاسُ أَلْبَ عَلَيْنَا فِيكَ لَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفُ وَأَطْرَافُ الْقَنَا وَزُرُّ ^(٤)

وقال الكميتُ بنُ زيدٍ :

فمَالِي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيعَةً وَمَالِي إِلَّا مَشْعَبَ الْحَقِّ مَشْعَبُ ^(٥)

(١) سورة النساء : ٦٦ . وقليل بالرفع قراءة الجمهور .

(٢) قرأ قليلاً بالنصب أبيّ وابن أبي اسحاق وعيسى بن عمر وابن عامر ، وكذا هي في مصاحف أهل الشام . انظر السبعة ٢٣٥ ، والنشر ٢ / ٢٥٠ ، والكشف لمكي ١ / ٣٩٢ ، وحجة القراءات ٢٠٦ ، والبحر ٣ / ٢٨٥ . والمقنع ١١٠ . أفاده محقق (س) .

(٣) يريد والقراءة المختارة الجيدة القراءة الأولى بالرفع .

(٤) البيت من البسيط لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٢٠٦ ، وتذكرة النحاة ص ٧٣٥ ، وشرح أبيات سيبويه (١٧٥/٢) ، ولكعب بن مالك في ديوانه ص ٢٠٩ ، وشرح المفصل (٧٩/٢) ، والكتاب (٣٣٦/٢) ، وبلا نسبة في الإنصاف (٢٧٦/١) والمقتضب (٣٩٧/٤) .

و(ألب) "بفتح الهزّة" مصدر ألب القوم يألون "بالكسر" تجمعوا . و(الوزر) الملجأ . رغبة الآمل ٢٤٥/٤ .

(٥) البيت من الطويل في شرح هاشميات الكميت ص ٥٠ ، والإنصاف ص ٢٧٥ ، وتخليص الشواهد ص ٨٢ ، وخزانة الأدب (٣١٩، ٣١٤/٤) ، (١٣٨/٩) ، والدرر (١٦١/٣) ، وشرح شنود الذهب ص ٣٤١ ، وشرح أبيات سيبويه (١٣٥/٢) ، وشرح التصريح (٣٥٥/١) وشرح قطر الندى ص ٢٤٦ ولسان العرب (٥٠٢/١) (شعب) ، واللمع في العربية ص ١٥٢ ، والمقاصد النحوية (١١١/٣) ، وبلا نسبة في أوضح المسالك (٢٦٦/٢) ، وشرح الأشموني (٢٣٠/١) ، وشرح ابن عقيل ص ٣٠٨ ، ومجالس ثعلب ص ٦٢ ، والمقتضب (٣٩٨/٤) .

لا يكون إلا هذا . وليونس قول مرغوب عنه ، فلذلك لم نذكره ^(١) .
 وقوله : " فقال لي استقدم أمامك " مخبر عن الميت بالقول ، فإن العرب وأهل
 الحكمة من العجضم تجعل كل دليل قولاً ، فمن ذلك قول زهير :
 أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ (٢)
 وإنما كلامها عنده أن تبين بما يرى من الآثار فيها ، من قدم أهلها وحدثان
 عهدهم .

ويروى عن بعض الحكماء أنه قال : هَلَّا وَقَفْتَ عَلَى الْمَعَاهِدِ وَالْجَنَانِ فَقُلْتَ :
 أَيُّهَا الْجَنَانُ ، أَيْنَ مَنْ شَقَّ أَنْهَارِكَ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى ثِمَارَكَ ؟ فَإِنَّهَا إِنْ لَمْ تُجِبْكَ
 جَوَارًا أَجَابَتْكَ عَتَبَارًا .

وأهل النظر يقولون في قول الله عز وجل : ﴿ قَالَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ ^(٣) : لم يكن
 كلام ، إنما فعل عز وجل ما أراد فوجد ؛ قال الراجز :
 قَدْ خَنَقَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي سَلَا رُوَيْدًا قَدْ مَلَأْتُ بَطْنِي ^(٤)

ولم يكن كلام ، إنما وجد ذلك فيه . وكذلك قوله :
 فَقَالَ لِي اسْتَقْدِمَ أَمَامَكَ إِنَّمَا فَكَأَنَّكَ أَنْ تَلْقَى الْفَرَزْدَقَ بِالْمِصْرِ
 أي : قد جرب مثل هذا منك في المستنجير بقبره .

وحدثني العباس بن الفرّج الرّياشي في إسناده قد ذهب عني أكثره ، قال : نزل
 النعمان بن المنذر ومعه عدي بن زيد في ظل شجرة مؤنفة ، ليلهُو النعمان هناك ، فقال له

(١) حكى سيبويه قول يونس قال : " وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون : مالي إلا
 أبوك أحد فيجعلون أحداً بدلاً كما قالوا ما مررت بمثله أحد فجعلوه بدلاً " الكتاب ٣٧٢/١ .
 (٢) البيت من الطويل في ديوانه ص ٤٤ ، ولسان العرب (٢٧٠/٢) (درج) ، (٧٩/١٢) (ثلثم) ،
 (١٢٨/١٣) (حمن) ، وتهذيب اللغة (١٢١/٥ ، ٢٧٨) ، وجمهرة اللغة ص ٤٤٧ ، ١٣١٣ ، وتاج
 العروس (٥٥٥/٥) (درج) (ثلثم) (حمن) . وعجزه : بحمالة الدراج فالمثلثم
 (٣) سورة فصلت : ١١ . وانظر تفسيرها في تفسير ابن كثير ١٥٦/٧ ، وتفسير القرطبي
 ٣٤٤-٣٤٣/١٥ .

(٤) أورده ابن منظور بلا نسبة في (قطن) بلفظ :
 امتلأ الحوض وقال قطني سَلَا رُوَيْدًا قَدْ مَلَأْتُ بَطْنِي
 انظر رغبة الأمل ٢٤٦/٤ .

عديُّ بنُ زيد : أيُّها الملكُ أَيْتَ اللَّعْنِ ! أَتَدْرِي ما تقولُ هذه الشجرةُ ؟ قال : وما الذي تقول ؟ ! قال : تقول :

رُبُّ شَرِبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَمْزُجُونَ الْخَمْرَ بِالماءِ الزُّلَالِ
ثُمَّ أَضْحَوْا عَصَفَ الدَّهْرِ بِهِمْ وكذاكَ الدَّهْرُ حالاً بعدَ حالٍ^(١)
قال : فَتَنَغَّصَ النعمان .

وهذا في الأمثال كثيرٌ ، وفي الأشعار السائرة .
وأما قوله : " حُكْمُكَ مُسَمَّطًا " فإِعْرَابُهُ أنه أرادَ : لك حُكْمُكَ مُسَمَّطًا ،
وَاسْتُعْمِلَ هذا فَكثُرَ ، حتى حُذِفَ استخفافاً ، لعلم السامع ما يُريدُ القائلُ^(٢) ، كقولك :
" الهلالُ واللهِ " أي : هذا الهلالُ ، وأغْنَى عن قوله : " هذا " القصدُ والإشارة .
وكان يقالُ لِرُؤْيَا : كيفَ أصبحتَ ؟ فيقول : خَيْرَ عافاك اللهُ . فلم يُضْمَرْ حرفُ
الخفضِ ، ولكنه حَذِفَ لكثرة الاستعمال .
و " المُسَمَّطُ " : المُرْسَلُ غيرُ المردودِ . و " الكَوْماءُ " : العظيمةُ السَّنامِ .

* * *

(١) البيتان من الرمل وهما في ديوان عدي بن زيد ص ٨٣ ، والدرر (٥٥/٢) وبلا نسبة في همع
الهوامع (١١٣/١) .

في بعض النسخ قبله :

من رأنا فليحدث نفسه	أنه موف على قرن زوال
وصروف الدهر لا يلقى لها	ولما تأتي به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا البيت وبعده
والأباريق عليها فدم	وجياد الخيل تردى في الجلال
عمروا الدهر بعيش حسن	قطعوا دهرهم غير عجال
ثم أوضحو	البيت .

وانظر رغبة الآمل ٢٤٧/٤ ، ٢٤٨ .

(٢) وهو من أمثاله . انظر جمهرة الأمثال ٣٧٤/١ ، وجمع الأمثال ٢١٢/١ ، واللسان (سمط)

باب

قال أبو العباس : قال اللَّيْثِيُّ ^(١) : أَعْتَقَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي أبا رَافِعٍ إِلَّا سَهْمًا وَاحِدًا فِيهِ ، مِنْ أَسْهُمٍ لَمْ يُسَمَّ عَدُّهَا لَنَا ، فَاشْتَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ السَّهْمَ فَأَعْتَقَهُ ^(٢) ، وَكَانَ لِأَبِي رَافِعٍ بَنُونَ أَشْرَافٌ ، مِنْهُمْ : عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ ، وَحَدِيثُهُ أَثْبَتُ الْحَدِيثِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَكَانَ كَالْكَاتِبِ لَهُ ، وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ شَرِيفًا ، وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ يُنْسَبُ إِلَى وَلَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا وَلَّى عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ الْأَشْدَقُ الْمَدِينَةَ لَمْ يَعْمَلْ شَيْئًا قَبْلَ إِرسَالِهِ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَوْلَى مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَبْرَزَهُ فَضْرَبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَوْلَى مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَضْرَبَهُ مِائَةَ أُخْرَى ، فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ أَخَاهُ غَيْرَ رَاجِعٍ ، وَأَنْ عَمْرًا قَدْ أَلَحَّ فِي ضَرْبِهِ ، قَامَ إِلَى عَمْرٍو فَقَالَ : اذْكُرِ الْمَلْحَ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ .
وَالْمَلْحُ هَهُنَا اللَّبَنُ ، يَرِيدُ الرِّضَاعَ ، كَمَا قَالَ أَبُو الطَّمْحَانِ الْقَنِينِيُّ :
وَإِنِّي لِأَرْجُو مِلْحَهَا فِي بَطُونِكُمْ وَمَا بَسَطْتُ مِنْ جِلْدٍ أَشْعَثَ أَغْبَرًا ^(٣)
وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ ^(٤) :

- (١) بعده في زيادات : في بعض النسخ " وهو الجاحظ " .
(٢) أورد الحافظ بن حجر قصة أبي رافع هذه في "الإصابة" (٦٦٠/٧) ط. الكتب العلمية ، ثم قال : " ذكر الميرد في " الكامل " واقتضى سياقه أنه أبو رافع القبطي السابق ذكره ، وجرى على ذلك ابن عبد البر وأورد القصة في ترجمة أبي رافع القبطي والد عبيد الله بن أبي رافع كاتب علي وهو غلط بين ، لأن أبا رافع والد عبيد الله كان للعباس بن عبد المطلب فأعتقه . قال أبو عمر : هذه القصة لا تثبت من جهة النقل وفيها اضطراب كثير . وقد ذكر أبو سعيد الأعرابي هذه القصة في "معجمه" من طريق جرير بن حازم عن حماد بن موسى رجل من أهل المدينة : أن عثمان بن البهي ابن أبي رافع حدثه قال ثم ساق القصة ، ثم قال : " هذا يبين أن صاحب هذه القصة غير أبي رافع والد عبيد الله بن أبي رافع إذ ليس في ولده أحد يسمى البهي .
(٣) البيت من الطويل لأبي الطمحنان في لسان العرب (٦٠٥ / ٢) (ملح)، والتنبية والإيضاح (٢٧٢/١)، وأساس البلاغة (ملح)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٥٦٩، والمخصص (٢٦/١) .
(٤) هو نهيكه بن الحارث المازني من مازن فزارة . والبيت من أبيات له أنشدها ابن الأعرابي في نوادره . انظر الخزانة ١٦٤/٤ ، وشرح أبيات مغنى اللبيب ٢٩٦/٤ ، ورغبة الأمل ٥/٥ . ونسبه الفضل بن سلمة في الفاخر ١٠ لشتيم بن خوليد الفزري . ونقل عن الميرد نسبته إلى ابن الزبهرى ، انظر شعره ص ٣٥ ، وشرح شواهد المغنى ١٩٥ .

لَا يُعْبِدُ اللَّهَ رَبُّ الْعِبَاسِ دِوَالْمَلْحُ مَا وَلَدَتْ خَالِدَةً^(١)

وَيُرَوَّى أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَافِعٍ أَتَى الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : أَنَا مَوْلَاكَ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ مَوْلَى لِعَتَمَانَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يَعْذُلُهُ وَيُعِيرُهُ :

جَحَذَتْ بَنِي الْعَبَّاسِ حَقَّ أَبِيهِمْ فَمَا كُنْتُ فِي الدَّغْوَى كَرِيمَ الْعَوَاقِبِ

مَتَى كَانَ أَوْلَادُ الْبَنَاتِ كَوَارِثِ يَحُوزُ وَيُدْعَى وَالِدًا فِي الْمَنَاسِبِ

يُرِيدُ أَنَّ الْعَبَّاسَ أَوْلَى بِوَلَاءِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لِأَنَّ الْعَمَّ مَدْعُوٌّ وَالِدًا^(٢) فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى^(٣) ، وَهُوَ يَحُوزُ الْمِيرَاثَ .

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الثَّقَفِيِّينَ : أُنْشِذْتُ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، فَوَقَعَ عِنْدِي أَنَّهُ مِنْ هَذَا أَخَذَ قَوْلَهُ^(٤) :

أَنَّى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ لِبَنِي الْبَنَاتِ وَرِائِةُ الْأَغْمَامِ

أَلْفَى سِهَامَهُمُ الْكِتَابُ فَمَا لَهُمْ أَنْ يَشْرَعُوا فِيهِ بِغَيْرِ سِهَامٍ^(٥)

وَقَالَ طَاهِرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ لِلطَّلَبِيِّينَ :

لَوْ كَانَ جَدُّكُمْ هُنَاكَ وَجَدْنَا فَتَنَازَعَا فِيهَا لَوَقَّتْ خِصَامِ

كَانَ التَّرَاثُ لِيَجِدْنَا مِنْ ذَوْنِهِ فَخَوَاهُ بِالْقُرْبَى وَبِالْإِسْلَامِ

حَقَّ الْبَنَاتِ فَرِيضَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَالْعَمُّ أَوْلَى مِنْ بَنِي الْأَغْمَامِ

(١) البيت من المتقارب ، وهو لشتيم بن خويلد الفزاري في لسان العرب (١٢/٥٦٢) (لوم) ، وأساس البلاغة ص ٤٣٥ ، (ملح) ، وبلا نسبة في لسان العرب (٢/٦٠٥) (ملح) والمختص (١/٢٦) ، وتهذيب اللغة (٥/١٠٠، ١٠٢) .

(٢) في نسخة : يُدْعَى أَبَا .

(٣) قَالَ الشَّيْخُ الْمَرْصُفِيُّ : " وَفِي حَدِيثِ رَسُولِهِ . أَمَّا الْكِتَابُ فَقِي قَوْلُهُ عَزَّ شَأْنُهُ : ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ [سورة البقرة : ١٣٣] فَجَعَلُوا إِسْمَاعِيلَ أَبَا لِيَعْقُوبَ وَهُوَ عَمُّهُ . وَأَمَّا الْحَاضِرُ فَقَوْلُهُ (ﷺ) يُشِيرُ إِلَى عَمِّهِ الْعَبَّاسِ : هَذَا بَقِيَّةُ آبَائِي ، وَقَوْلُهُ : " رَدُّوا عَلَيَّ أَبِي " رَغْبَةُ الْأَمَلِ ٦/٥ .

(٤) شعره ق ١٠٤/٦٦ ، ١٠٤ .

(٥) أورد البيت الأول منهما الأصفهاني في كتاب الأغاني (٣/٢٢٠) ، (١٠/١١١) والبيتان من بحر الكامل .

وذكر الزُّبَيْرِيُّونَ عن ابن المَاجَشُونِ قال : جاءني رجلٌ من ولد أبي رافع ، فقال :
 إني قد قاولتُ رجلاً من مَوَالِي بعض العرب ، فقلتُ : أنا خيرٌ منك ، فقال : بل أنا خيرٌ
 منك ، فما الذي يَجِبُ لي عليه ؟ فقلتُ : ليس في هذا شيءٌ ، فقال : أنا مَوْلى
 رسول الله ﷺ ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ خيرٌ مِنِّي ؟! قال : قلتُ : قد يَتَصَرَّفُ هذا على غير
 الحَسَبِ ، قال : فلما رآني لا أَقْضِي له بشيءٍ ، قال لي : أنت دافعٌ مَغْرَمًا ؛ لأنَّ ولائي
 عنده ليس في موضعٍ مَرْضِيٍّ ؟ قال : وَصَدَقَ ، في بني تَيْمٍ لَيْتَمٍ مَنْ هو أشرفُ ولَاءٍ مِنِّي .
 * * *

وَحَدَّثْتُ أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ قَاوَلَ عمرو بن عثمان في أَمْرِ ضَيْعَةٍ يَدْعِيهَا كُلُّ واحدٍ
 منهما ، فَلَجَّتْ بهما الخصومةُ ، فقال عمرو : يا أُسَامَةُ ! أَتَأْتَفُ أن تكونَ مولايَ ؟ فقال
 أُسَامَةُ : والله ما يَسُرُّني بولائي من رسول الله ﷺ نَسَبُكَ ! ثُمَّ ارْتَفَعَا إلى مُعَاوِيَةَ ، فَلَجَّ
 بين يديه في الخصومة ، فتقدَّم سَعِيدُ بْنُ العاصي إلى جانب عمرو فجعل يُلْقِنُهُ الحُجَّةَ ،
 فتقدم الحسنُ إلى جانب أُسَامَةَ يُلْقِنُهُ ، فَوَثَبَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ فصار مع عمرو ، وَوَثَبَ
 الحسينُ فصار مع أُسَامَةَ ، فقام عبدُ الرحمن بنُ أُمِّ الحَكَمِ فجلس مع عمرو ، فقام عبد الله
 ابنُ العباسِ فجلس مع أُسَامَةَ ، فقام الوليدُ بنُ عُقْبَةَ فجلس مع عمرو ، فقام عبد الله بنُ
 جعفر فجلس مع أُسَامَةَ ، فقال معاوية : الجَلِيَّةُ عندي ، حَضَرْتُ رسولَ الله ﷺ وقد
 أَقْطَعَ هذه الضَّيْعَةَ أُسَامَةَ ، فانصرف الهاشِمِيُّونَ ، وقد قُضِيَ لهم ، فقال الأمويُّونَ لمعاوية :
 هَلَّا إِذْ كَانَتْ هذه القضيةُ عندَكَ بدأتَ بها قبل التَّحَرُّبِ ، أو أَخَّرْتَهَا عن هذا المجلس ؟
 فَتَكَلَّمْ بكلامٍ يدفعه بعضُ الناس .

* * *

وكان الذي اعتد به الحجاج بن يوسف على سعيد بن جُبَيْرٍ لما أَتَى به إليه بعد
 انقضاء أمر ابن الأشعث ، وكان سعيدٌ عبدًا لرجلٍ من بني أسدٍ بن خزيمة فاشتراه سعيد بن
 العاصي في مائة عبدٍ فأعتقهم جميعًا ، فقال له الحجاج : يا شقي بن كسير ! أما قدمت
 الكوفة وليس يؤمُّ بها إلا عربيٌّ فجعلتك إمامًا ؟ قال : بلى ، قال : أفما وليتك القضاء
 فضج أهل الكوفة وقالوا : لا يصلح القضاء إلا لعربي ، فاستقضيتُ أبا بردة بن أبي موسى
 الأشعري وأمرته ألا يقطع أمرًا دونك ؟ قال : بلى ، قال : أو ما جعلتك في سماري وكلهم
 من رعوس العرب ؟ قال : بلى ، قال : أو ما أعطيتك مائة ألف درهمٍ تُفرقها في أهل

الحاجة ، ثم لم أسألك عن شيء منها ؟ قال : بلى ، قال : فما أخرجك علي ؟ قال :
بيعة كانت لابن الأشعث في عنقي ، فغضب الحجاج ، ثم قال : أفما كانت بيعة أمير
المؤمنين عبد الملك في عنقك قبل ؟ والله لأقتلنك ، يا حرسى ، اضرب عنقه . ونظر
الحجاج فإذا جل من خرج مع عبد الرحمن من الفقهاء وغيرهم من الموالي ، فأحب أن
يزيلهم عن موضع الفصاحة والآداب ، ويخلطهم بأهل القرى والأنباط ، فقال : إنما الموالي
علوج وإنما أتى بهم من القرى ، فقراهم أولى بهم ، فأمر بتسييرهم من الأمصار وإقرار
العرب بها ، وأمر أن ينقش على يد كل إنسان منهم اسم قريته ، وطالت ولايته ، فتوالد
القوم هناك ، فخبثت لغات أولادهم ، وفسدت طبائعهم ، فلما قام سليمان بن عبد الملك
أخرج من كان في سجن الحجاج من المظلومين ، فيقال إنه أخرج في يوم واحد ثمانين ألفاً ،
وردد المنقوشين ، فرجعوا في صورة الأنباط ، ففي ذلك يقول الراجز :

جَارِيَةٌ لَمْ تَسِرْ مَا مَوَّقَ الْإِبِلُ أَخْرَجَهَا الْحَجَّاجُ مِنْ كِنٍ وَظِل
لَوْ كَانَ بَلَدٌ حَاضِرًا وَابْنُ هَمَلٍ مَا نُقِشَتْ كَفَاكَ فِي جِلْدٍ جَلَلٍ

وقال شاعر لأهل الكوفة لما استقضي عليها نوح بن دراج :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ قَامَتْ قِيَامُكُمْ إِذْ صَارَ قَاضِيَكُمْ نَوْحُ بْنُ دَرَّاجٍ
لَوْ كَانَ حَيًّا لَهُ الْحَجَّاجُ مَا سَلِمْتَ كَفَاهُ نَاجِيَةٌ مِنْ نَقْشِ حَجَّاجٍ

ويروى عن حسن المعروف بالتبطي ، صاحب منارة حسن في البطيحة ، قال :
أريت للحجاج فيما يرى النائم ، فقلت : أصلح الله الأمير ، ما صنع الله بك ؟ فقال : يا
نبطي ! أهذا عليك ؟ قال : فرأيتنا لا نفلت من نقشه في الحياة ، ومن شتمه بعد
الوفاة !! .

ويروى عن حسن أنه قص هذه الرواية على محمد بن سيرين ، فقال له ابن
سيرين : لقد رأيت الحجاج بالصحة .

* * *

قل أبو العباس : وحُذِّثُ من ناحية الزبير بن أن الجحاف بن حكيم دخل على
عبد الملك والأخطل عنده ، فلما بصُر به الأخطل قال :

أَلَا أَبْلَغَ الْجَحَافَ هَلْ هُوَ ثَائِرٌ بَقَتْلَى أَصِيْبَتْ مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ^(١)

فقال الجحافُ :

بَلَى سَوْفَ نَبْكِيهِمْ بِكُلِّ مُهَنَّدٍ وَنَبْكِي عُمَيْرًا بِالرِّمَاحِ الْخَوَاطِرِ^(٢)

ثم قال: يا بَنَ النَّصْرَانِيَّةِ! مَا ظَنَنْتُكَ تَجْتَرِي عَلَيَّ بِمِثْلِ هَذَا لَوْ كُنْتُ مَأْسُورًا لَكَ؟
فَحَمُّ الْأَخْطَلِ خَوْفًا ، فقال له عبدُ الملك : أَنَا جَارُكَ مِنْهُ ، فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! هَبْكَ
أَجَرْتَنِي مِنْهُ فِي الْيَقْظَةِ ، فَمَنْ يُجِيرُنِي مِنْهُ فِي النَّوْمِ؟! وَمِنْ هَذَا أَوْ نَحْوِهِ أَخَذَ السُّلَمِيُّ قَوْلَهُ :
[قال أبو الحسن : هُوَ أَشْجَعُ السُّلَمِيِّ يَقُولُهُ لِلرَّشِيدِ] :

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامِ

فَإِذَا تَبَّهَ رُعْتَهُ ، وَإِذَا هَدَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوفُكَ الْأَحْلَامِ^(٣)

* * *

وَكَانَ الْعُدَيْلُ بْنُ الْفَرَخِ الْعِجْلِيُّ هَارِبًا مِنَ الْحَجَّاجِ ، فَجَعَلَ لَا يَحِلُّ بِبِلْدَةٍ إِلَّا رِيعَ
لَأَثَرٍ يَرَاهُ مِنْ آثَارِ الْحَجَّاجِ فَيَهْزُبُ ، حَتَّى أَبْعَدَ فِي ذَلِكَ يَقُولُ الْعُدَيْلُ :

يُخَشُّونَنِي الْحَجَّاجَ حَتَّى كَأَنَّمَا يُحَرِّكُ عَظْمًا فِي الْفَوَادِ مَهِيضُ

وَدُونَ يَدِ الْحَجَّاجِ مِنْ أَنْ تَنَالَنِي بَسَاطًا لِأَيْدِي الْيَعْمَلَاتِ عَرِيضُ^(٤)

فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ أَتَى بِهِ الْحَجَّاجُ ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْعُدَيْلُ^(٥) :

فَلَوْ كُنْتُ فِي سَلَمَى أَجَا وَشِعَابِهَا لَكَانَ لِحَجَّاجٍ عَلَيَّ دَلِيلُ

بَنَى قُبَّةَ الْإِسْلَامِ حَتَّى كَأَنَّمَا أَتَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالِ رَسُولُ

(١) البيت من بحر الطويل وهو في ديوانه ص ١٣٠ وروايته "الأسائل الجحاف" .

(٢) البيت من الطويل ، في الجنى الدانى ص ٤٢١

(٣) البيتان في أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق للصولي ٧٦ .

(٤) البيتان من الطويل في ديوان العديل ص ٣٠١ ، وانظر لسان العرب (٢٥٩/٧) (بسط) ، وأساس

البلاغة (بسط) ، وتاج العروس (١٤٥/١٩) (بسط) ، والأغاني ٢٢/٣٣٣/٣٣٠ والشعر والشعراء

ص ٤٢٠ ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (٢٤٧/١) .

(٥) البيتان من الطويل ، وتاج العروس (١٤٩/١٩) (بسط) .

"أَجَا وَسَلَّمَى": جَبَلًا طَيِّبٌ. و"أَجَا" مهموزٌ - وإنما هو "أَجَا" مقصورٌ، فاعلم^(١)
قال زَيْدُ الْخَيْلِ :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَاٍ وَسَلَّمَى تَخُبُ نَزَائِعًا خَبَبَ الذُّنَابِ

والشاعرُ إذا احتاجَ إلى قلبِ الهمزة قلبَها إن كانتِ الهمزةُ مكسورةً جعلَها ياءً ،
أو ساكنةً جعلَها على حركةٍ ما قبلَها ، وإن كانتِ مفتوحةً وقبلَها فتحةٌ جعلَها ألفاً ، وإن
كانتِ مفتوحةً وقبلَها كسرةً جعلَها ياءً ، وإن كانتِ قبلَها ضمةً جعلَها واوًا ، قال
الفرزدق :

رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ الْبَغَالِ عَشِيَّةً فَارْعَى فَرَازَةَ لَا هَنَّاكَ الْمَرْعَى^(٢)

وقال حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

سَأَلْتُ هُذَيْلَ رَسُولَ اللَّهِ فَاحْشَةً ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَأَلَتْ وَلَمْ تُصِبْ^(٣)

وقال عبدُ الرحمنِ بْنُ حَسَّانَ :

وَكُنْتُ أَذَلُّ مَنْ وَرَدَ بِقَاعٍ يُشَجِّجُ رَأْسَهُ بِالْفَهْرِ وَاجِي^(٤)

(١) قوله "و إنما .. فاعلم" ليس في الأصل . وفي بعض النسخ : وأَجَا مهموزاً إنما هو أَجَا مقصوراً
فاعلم . وفي بعض النسخ وإنما هي أَجَا وسلمى فاعلم .

ورسم أَجَا في هذا الموضع وفي بعض النسخ: بالهمز والصواب أَجَا مقصور غير مهموز كما في
بعض النسخ وكما جاء في شعر العذيل ، وانظر كلام المبرد الآتي .

(٢) البيت من الكامل ، في ديوان الفرزدق (٤٠٨/١) ، وشرح أبيات سيبويه (٢٩٤/٢) ، وشرح
شواهد الشافعية وكتاب العين (٦٨/٢) ، والمقتضب (١٦٧/١) ، ولعبد الرحمن بن حسان في ديوانه
ص ٣١ ، وبلا نسبة في الخصائص (١٥٢/٣) ، وسر صناعة الإعراب (٦٦/٢) ، وشرح شافية ابن
الحاجب (٤٧/٣) ، ولسان العرب (٨٤ /١) (هنا) والمحتسب (١٣٢/٢) ، والمقرب (١٧٩/٢) ،
والممتع في التصريف ص ٤٠٥ .

(٣) البيت من البسيط وهو في ملحق ديوان حسان بن ثابت ص ٣٧٣ ، وشرح المفصل (١١٤/٩) ،
والكتاب (٥٥٤، ٤٦٨/٣) ، والمقتضب (١٦٧/١) ، وبلا نسبة في شرح شافية ابن الحاجب (٤٨/٣) ،
والمحتسب (٩٠/١) ، والممتع في التصريف ص ٤٠٥ .

(٤) البيت من الوافر ، وهو في ديوان عبد الرحمن بن حسان ص ٨١ ، والخصائص (١٥٢/٣) ،
والدرر (١٧٨/٤) وشرح أبيات سيبويه (٣٠٦/٢) ، وشرح شواهد الشافية ص ٣٤١ ، وشرح المفصل
(١١٤/٩) والكتاب (٥٥٥/٣) ولسان العرب (١٩١/١) (وجا) ، والمقتضب (١٦٦/١) ، وبلا
نسبة في سر صناعة الإعراب (٧٣٩/٣) وشرح شافية ابن الحاجب (٤٩/٣) ، والممتع في التصريف
(٣٨١/١) ، والمنصف (٧٦/١) .

أما قول الفرزدق فإنه يقول لما عُزِلَ مَسْلَمَةُ بن عبد الملك عن العراق بعد قتله يزيد بن المهلب لحاجة الخليفة إلى قُربه ، وَلِيَّ عُمَرُ بن هُبَيْرَةَ فقال (١) :

راحَتْ بِمَسْلَمَةَ الْبِغَالُ عَشِيَّةً فَارْعَى فَزَارَةً لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعُ
ولقد عَلِمْتُ إِذَا فَزَارَةً أُمِرْتُ أَنْ سَوْفَ تَطْمَعُ فِي الْإِمَارَةِ أَشْجَعُ
فَأَرَى الْأُمُورَ تَتَكَرَّرُ أَغْلَامُهَا حَتَّى أُمِيَّةٌ عَنْ فَزَارَةٍ تُنَزَّعُ
عُزِلَ ابْنُ عَمْرٍو وَابْنُ بَشْرِ قَبْلَهُ وَأَخُو هَرَاةٍ لِمِثْلِهَا يَتَوَقَّعُ (٢)

ففي جواب هذا يقول الأسيديُّ لما وَلِيَ خَالِدُ بن عبد الله القسريُّ :
بَكَتِ الْمَنَابِرُ مِنْ فَزَارَةٍ شَجَّوْهَا فَالآنَ مِنْ قَسْرٍ تَضِجُ وَتَخْشَعُ
وَمَلُوكُ خَنْدِفٍ أَسْلَمُونَا لِلْعَدَى اللَّهُ دَرُّ مَلُوكِنَا مَا تَصْنَعُ (٣)

وأما قول حسان :

سَأَلْتُ هُذَيْلَ رَسُولَ اللَّهِ فَاحْشَةَ

فليس من لغته " سِلْتُ أَسَالَ " مثلُ : " خَفْتُ أَخَافُ " و " هُمَا يَتَسَاوَلَانِ " ،
هذا من لغة غيره ، وكانت هُذَيْلُ سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجِلَّ لَهَا الزَّنا .
وَيُرَوَى أَنَّ أَسَدِيًّا وَهُذَلِيًّا تَفَاخَرَا ، فَرَضِيًّا بَرَجَلُ ، فقال : إِنِّي مَا أَقْضِي بَيْنَكُمَا إِلَّا
أَنْ تَجْعَلَا لِي عَقْدًا وَبَيْعًا أَلَّا تَضْرِبَا وَلَا تَشْتِمَا ؛ فَإِنِّي لَسْتُ فِي بِلَادِ قَوْمِي ، فَفَعَلَا ، فقال :
يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ ، كَيْفَ تُفَاخِرُ الْعَرَبَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ حَيٌّ أَحَبُّ إِلَى الْجَيْشِ وَلَا
أَبْغَضَ إِلَى الضَّيْفِ وَلَا أَقَلُّ تَحْتَ الرَّايَاتِ مِنْكُمْ ؟ وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَخَا هُذَيْلٍ ! فَكَيْفَ تُكَلِّمُ
النَّاسَ وَفِيكُمْ خِلَالٌ ثَلَاثٌ : كَانَ مِنْكُمْ دَلِيلُ الْحَبَشَةِ عَلَى الْكَعْبَةِ ، وَمِنْكُمْ خَوْلَةٌ ذَاتُ
النَّحْيَيْنِ ، وَسَأَلْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجِلَّ لَكُمْ الزَّنا ؟ وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتُمَا بَيْتِي مُضَرَّ ،
فَعَلَيْكُمَا بِهِذَيْنِ الْحَيَّيْنِ مِنْ تَمِيمٍ وَقَيْسٍ ، قَوْمًا فِي غَيْرِ حَفْظِ اللَّهِ .

وَأَمَّا بَيْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن حَسَّانَ فَإِنَّهُ يَقُولُهُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بن الْحَكَمِ بن أَبِي الْعَاصِي ،
وَكَانَ يُهَاجِرُهُ ، فَقَالَ لَهُ فِي كَلِمَتِهِ :

(١) ديوانه ٤٠٨/١ باختلاف في الرواية . وستأتي .

(٢) سبق تخريجها .

(٣) الأبيات في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٣٨١/١١)

وَأَمَّا قَوْلُكَ الْخُلَفَاءُ مِنَّا فَهُمْ مَنَعُوا وَرِيدَكَ مِنْ وَدَاجِ
 وَلَوْلَاهُمْ لَكُنْتَ كَحُوتِ بَحْرِ وَكُنْتَ أَذَلَّ مِنْ وَتِدِ بَقَاعِ
 هَوَى فِي مُظْلَمِ الْغَمَرَاتِ دَاجِي يُشَجِّجُ رَأْسَهُ بِالْفَهْرِ وَاجِي^(١)

* * *

وكان أحد من هرب من الحجاج سوار بن المضرب ففي ذلك يقول^(٢) :
 أَقَاتِلِي الْحَجَّاجُ إِنْ لَمْ أُرْزَلْهُ دَرَابَ وَأَتْرُكْ عِنْدَ هِنْدٍ فَوَادِيَا
 فَإِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ حَتَّى تَرُدَّنِي إِلَى قَطْرِي مَا إِخَالُكَ رَاضِيَا
 إِذَا جَاوَزْتَ دَرْبَ الْمُجِيرِينَ نَاقِي فَإَسْتِ أَبِي الْحَجَّاجِ لَمَّا ثَنَانِيَا
 أَيْرَجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعِي وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلَاةُ وَرَائِيَا^(٣)
 "ورائي" ههنا في معنى : أمامي ، قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَّ
 مِنْ وَرَائِي ﴾^(٤) وقال جل ثناؤه : ﴿ وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾^(٥)
 ومَن هرب من الحجاج محمد بن عبد الله بن نُمَيْرٍ الثقفي ، وكان يُشَبِّبُ بزينب
 بنت يوسف أخت الحجاج ، وهو القائل فيها^(٦) :

(١) تقدم تخريجه في الجزء الأول

(٢) الأبيات في النوادر ٤٥ ، والحماسة الشجرية ٢٠٨ .

(٣) الأبيات من الطويل ، وانظر الحماسة الشجرية (٢٠٨/١) ، وخزانة الأدب (٥٥/٧) ،
 (٤٧٩/١٠) ، ولسان العرب (٣٩٠/١٥) (ورى) ، وتاج العروس (درى) ، ونوادر أبي زيد ص ٤٥ ،
 والدرر (٥٥/٣) ، ومعجم ما استعجم ص ٥٤٩ ، والمقاصد النحوية (٤٥١/٢) والخصائص (٤٣٣/٢) ،
 وشرح الأشموني (١٦٩/١) ، وشرح المفصل (٨٠ / ١) والمختص (١٩١/٢) .

(٤) سورة مريم : ٥

(٥) سورة الكهف : ٧٩ .

قال علي بن حمزة في التنبيهات ١٣٨-١٣٩ : "الوراء الأمام والخلف صحيح إلا أنه غلط باستشهاده
 بالآية الأولى ، وإنما معنى قوله : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَّ مِنْ وَرَائِي ﴾ أى من بعدى هكذا قال
 المفسرون ولا معنى لأمامى والله أعلم ... " وانظر تفسير غريب القرآن ٢٧٢ وتفسير ابن كثير
 ٢٠٧/٥ ، وتفسير القرطبي ٧٩/١١ .

(٦) شعره - شعراء أمويون ١٢٣/٣ - ١٢٤ ق ٧ ، ١/٣ ، والأغاني ١٩٢/٦ - ١٩٣ .

تَصَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ عَطِرَاتِ
يُخْبِنَنَّ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ الثَّقَى وَيُخْرِجَنَّ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ^(١)
فِي كَلِمَةٍ لَهُ ؛ فَلَمَّا أَتَى بِهِ الْحَجَّاجُ قَالَ^(٢):

هَآكَ يَدَيَّ ضَاقَتْ بِي الْأَرْضُ رَحْبَهَا وَإِنْ كُنْتُ قَدْ طَوَّفْتُ كُلَّ مَكَانٍ
فَلَوْ كُنْتُ بِالْعَنْقَاءِ أَوْ بِأُسُومِيهَا لَخَلْتُكَ إِلَّا تَصُدُّ تَرَانِي^(٣)
ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ أَتُهَا الْأَمِيرُ ، إِنْ قُلْتُ إِلَّا خَيْرًا ، إِنَّمَا قُلْتُ :

يُخْبِنَنَّ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ الثَّقَى وَيُخْرِجَنَّ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ
فَعَفَا عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ :

وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أَعْرَضَتْ وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَلِيزَاتِ^(٤)

مَا كُنْتُمْ ؟ قَالَ : كُنْتُ عَلَى حِمَارٍ هَزِيلٍ ، وَزَمِعِي صَاحِبٌ لِي عَلَى أَتَانٍ مِثْلِهِ .
وَمِنْ هَرَبٍ مِنْهُ مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ الْمَازِنِيُّ ، أَحَدُ بَنِي مَازَنَ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ
تَمِيمٍ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ^(٥):

(١) البيتان من الطويل وهما في الأغاني (٢٠٦/٦) والبيت الثاني في جمهرة اللغة بلا نسبة ص ٣١٠ .
والأول في لسان العرب (٢٢٩/٨) (ضوع) ، (٥٨٨/١٢) (نعم) لعبد الله النميري في الأغاني
(٢٠٩/٦) ، (٢١٤ ، ٢١٣) في تاج العروس (٤٢٩/٢١) (ضوع) ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة
(٣٧٧/٣) ، وبجمل اللغة (٢٩٥/٣) ، وأساس البلاغة ص ٣٠٤ (عطر) ، وإصلاح المنطق ص ٢٠٨ ،
وجمهرة اللغة ص ٢٥٤ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٢٨٩ ، وبجلاس ثعلب ص ٢٥٠ .
(٢) شعره - شعراء أمويون ١٣٤/٣ ق ١٨ وحدهما . وهما في الأغاني ١٩٩/٦ باختلاف في
الرواية . وسيأتيان . ونسبهما صاحب الأغاني ٣٤١/٢٢ للعديل بن الفرخ .

(٣) الأبيات في الأغاني (٣٤٣/٢٢) ولفظها :

هَآنَذَا ضَاقَتْ بِي الْأَرْضُ كُلُّهَا إِلَيْكَ وَقَدْ جَوَلْتَ كُلَّ مَكَانٍ
فَلَوْ كُنْتُ فِي ثَهْلَانٍ أَوْ شَعْبِي أَجَا لَخَلْتُكَ إِلَّا أَنْ تَصُدُّ تَرَانِي

(٤) هو بيت من قصيدة النميري في زينب أخت الحجاج والتي أولها :

أَضُوعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ ، وَالْقَصِيدَةُ فِي الْأَغَانِي (٢٠٣/٦-٢٠٥) .

(٥) شعره - الشعر المنسوب إليه - شعراء أمويون ٥١/١-٥٢ ق ١/١-٤، ٦، ٧، وشك جامع شعره في
نسبتها إليه ؛ لأن مَالِكاً مات قبل أن يتولى الحجاج بأكثر من ١٨ عاماً .

والأبيات ١-٤ للفرزدق في ديوانه ١٦٠/١ ، وديوان الحماسة بشرح المرزوقي ٦٧٦/٢ والتبريزي
٢/١٠٩ ونسب ياقوت الأبيات الستة لبرج بن خنزير التميمي ، انظر معجم البلدان (حفير) ٢٧٧/٢
ونسبها ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٣٥٤ للمالك بن الربيع وانظر رغبة الأمل ٢٥/٥-٢٦ .

إِنْ تُنْصِفُونَا يَالَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ وَإِلَّا فَلَاذُنُوا بِيَعَادِ
فَإِنَّ لَنَا عَنْكُمْ مَزَاحًا وَمَزْحَلًا بَعِيسٍ إِلَى رِيحِ الْفَلَاةِ صَوَادِي
فَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ مَذْهَبٌ وَكُلُّ بِلَادٍ أَوْطَنْتُ كِبْلَادِي
فَمَاذَا تُرَى الْحَجَّاجُ يَبْلُغُ جُهْدُهُ إِذَا نَحْنُ جَاوَزْنَا حَفِيرَ زِيَادِ
فَلَوْلَا بَنُو مَرْوَانَ كَانَ ابْنُ يُوسُفَ كَمَا كَانَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ إِيَادِ
زَمَانٌ هُوَ الْعَبْدُ الْمُقَرَّبُ بِذِلَّةٍ يُرَاوِحُ صَبِيَّانَ الْقُرَى وَيُعَادِي^(١)
قال ذلك لأنَّ الحجاج كان هو وأخوه مُعَلِّمَيْنِ بالطائف ، وكان لَقَبُهُ كَلْبِيًّا ، وفي ذلك يقول القائل :

أَيَنْسَى كَلْبِيَّ زَمَانُ الْهَزَالِ وَتَعْلِمُهُ صَبِيَّةُ الْكَوْنِ
رَغِيفٌ لَهُ فَلَكَةٌ مَا تُرَى وَآخِرُ كَالْقَمَرِ الْأَزْهَرِ^(٢)

يقول : خُبِرُ الْمُعَلِّمِينَ يَأْتِي مُخْتَلِفًا ، لأنه من بيوتِ صبيانٍ مُخْتَلِفِي الْأَحْوَالِ .
وَأُنْشَدَ أَبُو عَثْمَانَ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ الْجَاهِظُ :
أَمَّا رَأَيْتَ بَنِي بَحْرٍ وَقَدْ حَفَلُوا كَأَنَّهُمْ خُبِرُ بَقَالٍ وَكُتَابِ
هَذَا طَوِيلٌ وَهَذَا حَبْلٌ جَجْدٌ^(٣) يَمْشُونَ خَلْفَ عُمَيْرٍ صَاحِبِ الْبَابِ

وفي لَقَبِهِ يَقُولُ آخِرُ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ :
كَلْبِيَّ تَمَكَّنَ فِي أَرْضِكُمْ وَقَدْ كَانَ فِينَا صَغِيرَ الْخَطَرِ

* * *

ولما دخل الحجاج مكة اعتذر إلى أهلها لِقَلَّةِ مَا وَصَلَهُمْ بِهِ ، فقال قائل منهم :
إِذْنِ وَاللَّهِ لَا نَعْذِرُكَ وَأَنْتَ أَمِيرُ الْعِرَاقِينَ وَابْنُ عَظِيمِ الْقَرِيَتَيْنِ . وَذَلِكَ أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ
وَلَدُهُ مِنْ قَبْلِ أُمِّهِ . وَتَأْوِيلُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى

(١) سبق تخريجه .

(٢) معجم البلدان (٤ / ٤٨١) (كوثر) .

(٣) الحنبل : القصير الضخم البطن . والجحد بكسر الحاء وصف من جحد عيشه : ضاق واشتد . عن رغبة الأمل ٢٩/٥ .

رَجُلٍ مِنَ الْقَرَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿١﴾ مجازة في العربية : على رجل من رجلين من القريتين عظيم ،
والقريتان : مكة والطائف ، والرجلان : عروة بن مسعود ، والآخر الوليد بن المغيرة بن
عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ويروى أن أبا بكر الصديق - رحمه الله - مرَّ بغيره ومعه خالدٌ ، فقال : أصبح
جمرة في النار ، فأجابه خالد في ذلك بجواب غير مرضي .

وأما عروة بن مسعود فإن رسول الله ﷺ بعثه إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام ،
فرقى سطحه ، فرماه رجلٌ بسهم فقتله ، فلما وجّه رسول الله ﷺ العباس بن عبد
المطلب - رحمه الله - إلى أهل مكة أبطأ عليه ، فقال : " رُدُّوا عليَّ أبي ، أما لئن فعلتُ
به قريشٌ ما فعلتُ ثقيفٌ بعروة بن مسعودٍ لأضرمَّها عليهم ناراً " (٢) .

يقال : " رَقِيتُ " السطح ، وما كان مثله ، " أرقاه " ، مثلُ " خَشِيتُهُ أَخْشَاهُ " .
كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ﴾ (٣) ، ويقال : " رَقِيتُ اللَّذِيقَ أَرْقِيهِ " .
مثلُ " رَمَيْتُهُ أَرْمِيهِ " . ويقال : " ما رَقَاتْ عَيْنُهُ مِنَ الدَّمْعِ " مهموزٌ " تَرْقَأُ " يا فتى ، مثلُ " قَرَأْتَ تَقْرَأُ " يا فتى .

وكان الحجاج (٤) رأى في منامه أن عَيْنِيهِ قُلِعَتَا فَطَلَّقَ الْهِنْدَيْنِ : هند بنت المهلب ،
وهند بنت أسماء بن خارجة ، فلم يَلْبَثُ أَنْ جَاءَهُ نَعِيُّ أَخِيهِ مِنَ الْيَمَنِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ
فيه ابْنُهُ مُحَمَّدٌ ، فقال : هذا والله تأويلُ رؤيائي ، ثم قال : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ،
مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ .

حَسْبِي بَقَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ وَحَسْبِي رَجَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ (٥)

(١) سورة الزخرف : ٣١ .

(٢) ورد الخبر بلفظ " احفظوني في العباس فإنه بقية آبائي " ولفظ " استوصوا بالعباس خيراً فإنه بقية
آبائي فإنما عم الرجل صنو أبيه " أوردهما الهيثمي في " المجمع " (٢٦٩/٩) ، وقال في الأول :
رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه جماعة لم أعرفهم . وقال في الثاني : " رواه الطبراني وفيه
عبد الله من فراش وهو ضعيف ، وثقه ابن حبان وقال ربما أخطأ وبقية رجاله وثقوا . وانظر
ضعيف الجامع (ح ٢١٣ - ٢١٥) .

(٣) سورة الإسراء : ٩٣ .

(٤) الخبر في التعازي والمراثي ١٩٩ - ٢٠١ .

(٥) البيتان في التعازي والمراثي ٢٠٠ - ٢٠١ باختلاف في الرواية .

إذا كان ربُّ العرش عَنِّي رَاضِيًا فَإِنَّ شِفَاءَ النَّفْسِ فِيمَا هُنَالِكَ^(١)

وقال : مَنْ يَقُولُ شِعْرًا يُسَلِّبُنِي بِهِ ؟ فقال الفرزدق^(٢) :

إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا فَقَدَانُ مِثْلُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ

مَلِكَانِ قَدْ خَلَّتِ الْمَنَابِرُ مِنْهُمَا أَخَذَ الْحِمَامُ عَلَيْهِمَا بِالْمَرْصَدِ

فقال : لو زِدْتَنِي ! فقال الفرزدق^(٣) :

إِنِّي لَبَاكِ عَلَى ابْنِي يُوسُفَ جَزَعًا وَمِثْلُ فَقْدِهِمَا لِلدِّينِ يُبْكِينِي

مَا سَدَّ حَيًّا وَلَا مَيِّتًا مَسَدَهُمَا إِلَّا الْخُلَائِفُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّينَ^(٤)

فقال له : ما صنعتَ شيئًا ، إِنَّمَا زِدْتَ فِي حُزْنِي ، فقال :

لَئِنْ جَزَعَ الْحَجَّاجُ مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تَكُونُ لِمُحْزُونٍ أَجَلٌ وَأَوْجَعًا

مِنَ الْمُصْطَفَى وَالْمُصْطَفَى مِنْ خِيَارِهِمْ خِيَارِهِمْ جَنَاحِيهِ لَمَّا فَارَقَاهُ فَوَدَّعَا

أَخٌ كَانَ أَغْنَى أَيْمَنَ الْأَرْضِ كُلَّهُ وَأَغْنَى ابْنُهُ أَهْلَ الْعِرَاقَيْنِ أَجْمَعَا

جَنَاحَا عُقَابٍ فَارَقَاهُ كِلَاهُمَا وَلَوْ نُزِعَا مِنْ غَيْرِهِ لَتَضَعُضَعَا^(٥)

فقال : الْآنَ .

أَمَّا قَوْلُهُ :

إِلَّا الْخُلَائِفُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّينَ

فخفف هذه النون ، وهي نونُ الجمع ، وإِنَّمَا فعل ذلك لأنه جعل الإعراب فيها لا

فيما قبلها ، وجعل هذا الجمع كسائر الجمع ، نحو " أَفْلَسَ ، وَمَسَاجِدَ ، وَكِلَابَ " فَإِنَّ

إِعْرَابَ هَذَا كِإِعْرَابِ الْوَاحِدِ ، وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْجَمْعَ يَكُونُ عَلَى أَبْنِيَّةٍ شَتَّى ، وَإِنَّمَا

يُلْحَقُ مِنْهُ بِمَنْهَاجِ التَّثْنِيَةِ مَا كَانَ عَلَى حَدِّ التَّثْنِيَةِ لَا يُكْسَرُ الْوَاحِدُ عَنْ بَنَائِهِ ، وَإِلَّا فَلَا ؛ فَإِنَّ

(١) سبق تخريجه .

(٢) ديوانه ١ / ١٦١ ، والتعازي والمراثي ٢٠٣ .

(٣) التعازي والمراثي ٢٠٣ ، وليس في ديوانه

(٤) البيتان في التعازي والمراثي (٢٠٣) .

(٥) ديوانه ١ / ٣٩٧ ، والتعازي والمراثي ٢٠١ ، وفي بعض النسخ : فقال الفرزدق .

الجمع كالواحد لاختلاف معانيه كما تختلف معاني الواحد، والتثنية ليست كذلك ؛ لأنها ضرب واحد ، لا يكون اثنان أكثر من اثنين عددًا كما يكون الجمع أكثر من الجمع .
فيمّا جاء على هذا المذهب قولهم : هذه سنين فاعلم ، وهذه عشرين فاعلم ، قال
العدواني^(١) :

إِنِّي أَبِي أَبِي ذُو مُحَافَظَةٍ وَابْنُ أَبِي أَبِي مِنْ أَيِّينِ
وَأَنْتُمْ مَعْشَرُ زَيْدٍ عَلَى مِائَةٍ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ طُرًّا فَكَيْدُونِي^(٢)
وقال سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلٍ :

وَمَاذَا يَدْرِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ رَأْسَ الْأَرْبَعِينَ
أَخُو خَمْسِينَ مَجْتَمِعٌ أَشَدِّي وَنَجَدَنِي مُدَاوِرَةَ الشُّؤُونِ^(٣)

وفي كتاب الله عز وجل : ﴿ وَلَا طَعَامَ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ ﴾^(٤) .

فإن قال قائل : فإنَّ غِسْلِينَ واحدٌ فإنه كلُّ ما كانَ على بناء الجمع من الواحد
فإعرابه كإعراب الجمع ، ألا ترى أنَّ " عَشْرِينَ " ليس لها واحد من لفظها ، وإعرابها
كإعراب " مُسْلِمِينَ " واحدٌهم مُسْلِمٌ ، وكذلك جميعُ الإعراب وتقول : " هذه فَلَسْطُونَ
يا فتى ، ورأيتُ فَلَسْطِينَ يا فتى " هذا القولُ الأجودُ ، وكذلك " يَبْرِينَ " وفي الرفع
" يَبْرُونَ يا فتى " وكلُّ ما أشبهَ هذا فهو بمنزلة ، تقولُ : " هذه قَسْرُونَ ورأيتُ قَسْرِينَ "
والأجودُ في هذا البيت :

(١) وهو ذو الإصبع . المفضليات ق ١٣/ ١١ / ١٢ ص ١٦٠ - ١٦١ / وشرحها للأنباري ٣٢٣ ،
والأول من شواهد المقتضب ٣ / ٣٣٣ .

(٢) البيتان من البسيط في ديوانه ص ٩٥ ، وانظر لسان العرب (١٩٨/٣) (زيد) ، (٥٧٤/٤) (عشر) ،
(٥/١٤) (أبي) ، والتنبيه والإيضاح (٢٥/٢) ، وتاج العروس (١٥٥/٨) (زيد) ، (٤٦٤/٢٠) (جمع) ،
وأساس البلاغة (زيد) ، وكتاب الجيم (٥٩/٢) ، وسر صناعة الإعراب (٦٢٨/٢) ، وشرح المفصل
(١٣/٥) ، والأول بلا نسبة في مجالس ثعلب (٢١٣/١) ، والمقتضب (٣٣٣/٣) .

والثاني بلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٦٤٣ ، ومقاييس اللغة (٤٠/٣) ، وديوان الأدب (٣٢٣/٣) .

(٣) البيتان من الوافر ، في لسان العرب (٥١٣/٣) (نجذ) ، (٢٩٧/٤) (دور) ، (٢٥٥/١٤) (دري) ،
والتنبيه والإيضاح (٧٢/٢) ، وتاج العروس (٣٣٥/١١) (دور) ، والمخصص (١٧ - ١٠٣) ، وأساس
البلاغة (دور) ، وبلا نسبة في لسان العرب (٩٩/٨) (ربع) ، وجمهرة اللغة ص ٤٥٥ ، وأساس البلاغة
(نجذ) .

(٤) سورة الحاقة : ٣٦ .

وَشَاهِدُنَا الْجُلَّ وَالْيَاسِمُوْنَ وَالْمُسْتَمِعَاتُ بِقَصَابِهَ^(١)

وفي القرآن ما يُصَدِّقُ ذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِرِ لَفِي
عِلِّيْنٍ ۝ وَمَا أَذْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾^(٢) فمن قال: "هذه قِنْسَرُونَ وَيَبْرُونَ" فنَسَبَ إلى
واحدةٍ منهما رجلاً أو شيئاً قال: "هذا رجلٌ قِنْسَرِيٌّ وَيَبْرِيٌّ" بحذف النون والواو،
لجِيءِ حَرْفِي النَّسَبِ، ولو أُثْبِتَهُمَا لكان في الاسم رَفْعَانُ وَنَصْبَانُ وَجَرَّانُ؛ لأنَّ الياءَ
مرفوعة، والواو علامة الرفع؛ ومن قال: "هذه قنسرين كما ترى قال في النسب: "
قِنْسَرِيْنِي" لأنَّ الإعراب في حرف النسب، وانكسرتِ النونُ كما ينكسر كلُّ ما لحقه
النسبُ.

وأما قوله: وَنَجْدَنِي مَدَاوِرَةَ الشُّوْنِ

فمعناه: فَهَمَمَنِي وَعَرَفَنِي كما يقال: حَنَكْتُهُ التَّجَارِبُ. و"الناجذُ" آخرُ
الأضراس، من ذلك قولهم: ضحك حتى بدت نواجذهُ. "والشُّوْنُ" جمعُ "شأنٍ"
مهموزٌ، وهو الأمرُ.

وقال المفسِّرونَ من أهل الفقه وأهل اللغة في قول الله تبارك وتعالى: ﴿غَسِّلِينَ﴾^(٣):
هو غُسَّالَةُ أَهْلِ النَّارِ، وقال النحويُّونَ: هو "فَعْلِيْنٌ" من الغُسَّالَةِ.

وَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ خَرَجَ يَوْمًا فَقَالَ: الْوَلِيدُ بِالشَّامِ، وَالْحِجَاجُ
بِالْعِرَاقِ، وَقُرَّةُ بْنُ شَرِيكَ بِمِصْرَ، وَعُثْمَانُ بْنُ حِيَانَ بِالْحِجَازِ وَمُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ بِالْيَمَنِ؟-
امْتَلَأَتِ الْأَرْضُ وَاللَّهُ جَوْرًا!

وكتب الحجاجُ إلى الوليد بن عبد الملك بعدَ وفاةِ محمد بن يوسف: أَخْبِرْ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ أُصِيبَ لِمُحَمَّدِ بْنِ يُوْسُفَ خَمْسُونَ وَمِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ، فَإِنْ يَكُنْ
أَصَابَهَا مِنْ جِلِّهَا فَرَجِمَهُ اللَّهُ، وَإِنْ تَكُنْ مِنْ خِيَانَةٍ فَلَا رَحِمَهُ اللَّهُ!! فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ:
أما بعدُ، فقد قرأَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابَكَ فِيمَا خَلَفَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ، وَإِنَّمَا أَصَابَ ذَلِكَ
الْمَالُ مِنْ تِجَارَةٍ أَحْلَلْنَاهَا لَهُ، فَتَرَحَّمْ عَلَيْهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ!

(١) البيت من المتقارب وهو للأعشى في ديوانه ص ٢٢٣، ولسان العرب (١/٦٧٥، ٦٧٦) (قصب)،
(١١/١٢١) (جل)، والمخصص (١٣/١٣)، ومقاييس اللغة (٥/٩٥)، وتاج العروس (٤/٤٤)
(قصب)، (جل).

(٢) سورة المطففين: ١٨ - ١٩.

(٣) هذا ما أورده المبرد من الآية كما في بعض النسخ. وفي بقية النسخ. (ليس لهم طعام إلا من
غسلين) والصواب: ﴿وَلَا طَعَامَ إِلَّا مِنْ غَسِّلِينَ﴾ [سورة الحاقة ٣٦].

وَيُرَوَّى أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ قَالَ لِمَعَاوِيَةَ فِي يَوْمِ بُيُوعٍ لَهُ عَلَى عَهْدِهِ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَمْدَحُونَهُ وَيُقَرِّطُونَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! وَاللَّهِ مَا نَذَرِي أَنْخَدَعُ النَّاسَ أَمْ يَخْدَعُونَنَا ؟ ! فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : كُلُّ مَنْ أَرَدَتْ خَدِيعَتُهُ فَتَخَادَعَ لَكَ حَتَّى تَبْلُغَ مِنْهُ حَاجَتَكَ فَقَدْ خَدَعَتْهُ !

وَيُرَوَّى أَنَّ الْحَجَّاجَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ : بَلَّغْنِي أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَطَسَ عَطْسَةً فَشَمَّتَهُ قَوْمٌ فَقَالَ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ ، فَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا !! .

وَزَعَمَ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : خَرَجَ الْوَلِيدُ يَوْمًا عَلَى النَّاسِ ، وَهُوَ مُشَعَّانُ الرَّأْسِ ، فَقَالَ : مَاتَ الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ ، وَقُرَّةُ بْنُ شَرِيكٍ ، وَجَعَلَ يَتَفَجَّعُ عَلَيْهِمَا .

قَوْلُهُ : مُشَعَّانُ الرَّأْسِ " يَعْنِي مُتَنَفِّشَ الشَّعْرِ مُتَفَرِّقَهُ . وَمِثْلُ هَذَا لَا يَكُونُ فِي شَعْرِ ، لِأَنَّ فِي هَذَا التَّقَاءَ سَاكِنَيْنِ ، وَلَا يَقَعُ مِثْلُ هَذَا فِي وَزْنِ الشَّعْرِ ، إِلَّا فِيمَا تَقْدُمُ ذِكْرُهُ فِي الْمُتَقَارِبِ ، وَلَيْسَ ذَا عَلَى ذَلِكَ الْوِزْنِ .

* * *

وَحَدَّثْتُ أَنَّ عَمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَجَّهَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْأَعْلَى وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنْ عَنَسٍ إِلَى أَلْيُونٍ ، فَقَالَ الْعَنَسِيُّ : فَخَلَا بِي عَمْرٌ دُونَهُ ، وَقَالَ لِي : احْفَظْ كُلَّ مَا يَكُونُ مِنْهُ ، فَلَمَّا صِرْنَا إِلَيْهِ صِرْنَا إِلَى رَجُلٍ عَرَبِيٍّ اللَّسَانُ إِنَّمَا نَشَأَ بَمَرْعَشٍ ^(١) ، فَذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ لِيَتَكَلَّمَ ، فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ ، فَحَمِدْتُ اللَّهَ وَصَلَيْتُ عَلَى نَبِيِّهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : إِنِّي وَجَّهْتُ بِالَّذِي وَجَّهَ بِهِ هَذَا ، وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُوكَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ تَقَبَّلَهُ تُصِيبَ رُشْدَكَ ، وَإِنِّي لَأُحْسِبُ أَنَّ الْكِتَابَ قَدْ سَبَقَ عَلَيْكَ بِالشَّقَاءِ ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَإِنْ قَبَلْتُ وَإِلَّا فَارْتَبِ جَوَابَ كِتَابِنَا ، قَالَ : ثُمَّ تَكَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ، وَذَهَبَ فِي الْقَوْلِ ، وَكَانَ مُفَوَّهًا ، فَقَالَ لَهُ : أَلْيُونُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ! مَا تَقُولُ فِي الْمَسِيحِ ؟ فَقَالَ : رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ، فَقَالَ : أَيْكُونُ وَلَدٌ مِنْ غَيْرٍ فَحُلِّ ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فِي هَذَا نَظَرٌ ! فَقَالَ : أَيْ نَظَرٌ فِي هَذَا ؟ إِمَّا نَعَمْ وَإِمَّا لَا ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : آدَمُ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ تَرَابٍ ، فَقَالَ : إِنَّ هَذَا أُخْرِجَ مِنْ رَحِمٍ ، قَالَ : فِي هَذَا نَظَرٌ ! قَالَ لَهُ أَلْيُونُ بِالرُّومِيَّةِ : إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ لَسْتَ عَلَى دِينِي وَلَا عَلَى دِينِ الَّذِي أَرْسَلَكَ - قَالَ : وَأَنَا أَفْهَمُ بِالرُّومِيَّةِ - ثُمَّ قَالَ : أَتَعْظُمُونَ يَوْمًا غَيْرَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ : وَمَا ذَلِكَ الْيَوْمُ أَمِنْ أَعْيَادِكُمْ هُوَ ؟ فَقَالَ : لَا ، قَالَ : فَلَمْ تُعْظَمُونَهُ ؟ قَالَ : عِيدُ لِقَوْمٍ كَانُوا صَالِحِينَ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ إِلَيْكُمْ ،

(١) مَرْعَش : جَزِيرَةٌ بِالشَّامِ . كَذَا فِي بَعْضِ النُّسخِ .

قال : فقال له أَلْيُونُ : قد علمتُ أنكَ لستَ على ديني ولا دين الذي أرسلك ؛ بالرومية فقال له عبدُ الله : أتدري ما يقولُ أهلُ السَّفَه ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون : قال إبليسُ : أُمِرْتُ أَلَّا أَسْجُدَ إِلَّا لِلَّهِ ، ثم قيلَ لي اسْجُدْ لآدم ! قال: فقال له بالرومية : الأمرُ فيكَ أبينُ من ذلك ، قال: ثمَّ كَتَبَ جوابَ كُتُبِنَا . قال: فَرَجَعْنَا إلى عمرَ بها ، قال : فَخَبَرَنَاهُ بما أَرَدْنَا ثم نهضنا ، فَرَدَدْنِي إليه من باب الدار فخلأ بي ، فأخبرته فقال: لَعَنَهُ اللَّهُ ! لقد كانت نفسي تأباه ، ولم أَحْسِبُهُ يَجْتَرِئُ على مثل هذا ، قال: فلما خرجتُ قال لي عبد الله : ما الذي قال لك ؟ قال : قلتُ : قال لي : أَتَطْمَعُ فيه ؟ قلتُ : لا .

ولما وَجَّهَ عبدُ الملكِ الشَّعْبِيَّ إلى صاحبِ الرُّومِ فكلمه قال له صاحبُ الرُّومِ بعد انقضاء ما بينهما : إِمِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ أَنْتَ ؟ قال : قلتُ : لا ، ولكنني رجلٌ من العرب ، قال : فكتب معي رُقْعَةً ، وقال : إذا أَدَّيْتَ جوابَ ما جئتُ له فأدِّ هذه الرُقْعَةَ إلى صاحبك . قال : فلما رَجَعْتُ إلى عبد الملك فأعطيته جوابَ كتابه وخبرته بما دارَ بيننا نَهَضْتُ ، ثم ذَكَرْتُ الرُقْعَةَ ، فرجعتُ فدفعتها إليه ، فلما وَلَّيْتُ دعائي ، فقال لي: أتدري ما في هذه الرُقْعَةِ ؟ قلتُ : لا ، قال : فيها : الْعَجَبُ لِقَوْمٍ فِيهِمْ مِثْلُ هَذَا كَيْفَ وَلَوْ أُمُورُهُمْ غَيْرُهُ ؟ قال : فلما وَلَّيْتُ دعائي ، فقال لي: أَتَتَدْرِي مَا أَرَادَ بِهَذَا ؟ قلتُ: لا، قال: حَسَدَنِي عَلَيْكَ ، فَأَرَادَ أَنْ أَقْتُلَكَ ، قال : فقلتُ : إِنَّمَا كَثُرْتُ عِنْدَهُ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - لَأَنَّهُ لَمْ يَرَكَ ، قال فرجَعَ الكلامَ إلى مَلِكِ الرُّومِ ، فقال : لِلَّهِ أَثْوَةٌ ! ما عَدَا مَا فِي نَفْسِي !

وَحَدَّثْتُ أَنَّ معاويةَ كان إذا أتاه عن بَطْرِيقٍ من بَطَارِقَةِ الرُّومِ كَيْدٌ لِلْإِسْلَامِ احتالَ له ، فَأَهْدَى إليه وِكَاتَبَهُ ، حتى يُغْرِيَ به مَلِكَ الرُّومِ ، فكانت رُسُلُهُ تأتيه فتُخْبِرُهُ بأنَّ هناك بَطْرِيقًا يُؤَدِّي الرُّسُلَ ، وَيَطْعُنُ ^(١) عَلَيْهِمْ ، وَيَسِيءُ عِشْرَتَهُمْ ، فقال معاويةُ : أَيُّ مَا فِي عَمَلِ الْإِسْلَامِ أَحَبُّ إِلَيْهِ ؟ فقيل له : الْخِيفَةُ الْحُمْرُ وَدُھْنُ الْبَانِ ، فَأَلْطَفَهُ بهما ، حتى عَرَفَتْ رُسُلُهُ باعْتِيادِهِ ، ثم كَتَبَ إِلَيْهِ ، كَأَنَّهُ جوابُ كتابِهِ منه ، يُعْلِمُهُ فِيهِ أَنَّهُ وَثِقَ بِمَا وَعَدَهُ بِهِ مِنْ نَصْرِهِ وَخِذْلَانِ مَلِكِ الرُّومِ ، وَأَمَرَ الرُّسُولَ بِأَنْ يَتَعَرَّضَ لِأَنْ يُظْهَرَ عَلَى

(١) يقال (يطعن) بضم العين وفتحها .

الكتاب ، فلما ذَهَبَتْ رُسُلُهُ في أوقاتها ثم رَجَعَتْ إِلَيْهِ قال : ما حَدَّثَ هناك ؟ قالوا :
فَلَانُ البَطْرِيقُ رأيناهُ مقتولاً مصلوباً ، فقال : وأنا أبو عبد الرحمن ^(١)!!

* * *

وَحَدَّثْتُ أَنْ ملك الروم في ذلك الأوان وَجَّهَ إلى معاوية : إِنَّ المُلُوكَ قَبْلَكَ كانتُ
تُرَاسِلُ المُلُوكَ مِنَّا، وَيَجْهَدُ بَعْضُهُمْ في أَنْ يُغَرِّبَ على بعض ، أَفَتَأْذُنُ في ذلك؟ فَأَذِنَ لَهُ ^(٢).
فوجهَ إِلَيْهِ برجلين : أحدهما طويلٌ جَسِيمٌ ، والآخرُ أَيْدٌ . فقال معاوية لَعَمْرُو : أَمَا
الطويلُ فقد أَصَبْنَا كُفَاهُ ، وهو قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، وَأَمَا الآخرُ الأَيْدُ فقد احتَجْنَا إلى
رَأْيِكَ فيه . فقال : ههنا رجلان ، كلاهما إِلَيْكَ بَغِيضٌ : مُحَمَّدُ بْنُ الحَنْفِيَّةِ ، وعبدُ اللَّهِ بْنُ
الزُبَيْرِ . فقال معاوية : مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْنَا على حال . فلما دخلَ الرجلان وَجَّهَ إلى قيسِ
بنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ يُعَلِّمُهُ ؛ فدخلَ قيسٌ ، فلما مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ معاوية نَزَعَ سَرَاويلَهُ فرمى بها
إلى العِلْجِ ، فلبسها فنالتُ ثُنْدُوتَهُ ، فَأَطْرَقَ مغلوباً . فَحَدَّثْتُ أَنَّ قَيْسًا لِيَمَ في ذلك فقيلَ لَهُ :
لِمَ تَبَدَّلْتَ هذا التَّبَدُّلَ مُحْضَرَةً معاويةَ ، هَلَّا وَجَّهْتَ إلى غيرها ؟ فقال :

أَرَدْتُ لِكَيْمَا يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهَا	سَرَاوِيلُ قَيْسٍ وَالْوَفُودُ شُهُودُ
وَأَلَّا يَقُولُوا غَابَ قَيْسٌ وَهَذِهِ	سَرَاوِيلُ عَادِيٍّ نَمْتُهُ ثَمُودُ
وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الْيَمَانِينَ سَيِّدٌ	وَمَا النَّاسُ إِلَّا سَيِّدٌ وَمَسُودُ
وَبَدَأَ جَمِيعَ الْخَلْقِ أَصْلِي وَمَنْصَبِي	وَجَسْمِي بِهِ أَغْلُو الرِّجَالِ مَدِيدُ ^(٣)

وكان قيسٌ سِنَاطًا ^(٤)، فكانت الأنصارُ تقول : لَوَدِدْنَا أَنَا اشْتَرَيْنَا لَهُ لِحْيَةً
بِأَنْصَافِ أَمْوَالِنَا . وسنذكرُ خبره بعد انقضاء الخبر إن شاء الله تعالى . ثم وَجَّهَ إلى محمدِ
ابنِ الحَنْفِيَّةِ ، فدخلَ ، فخبَرَ بما دُعِيَ لَهُ ، فقال : قولوا لَهُ : إِنْ شاءَ فَلْيَجْلِسَ وَلْيُعْطِنِي يَدَهُ

(١) قوله : "وأنا عبد الرحمن " أى على سبيل الافتخار أنه دبر فنجح تدبيره .

(٢) قال أبو عمر بن عبد البر : " لا تصح هذه الحكاية بوجه . انظر رغبة الأمل ٤٠/٥ ، وانظر الخبر
والأبيات فى سير أعلام النبلاء ١١٢/٣

(٣) الأبيات من الطويل ، وهي لقيس بن سعد بن عبادة في خزنة الأدب ٥١٤/٨ ، ولسان العرب
٣٣٤/١١ (سرل) ، ووصف المباني ص ٢١٥ .

(٤) السنات والسنوط : أن يكون فى الذقن شيء من الشعر ، ولا يكون فى العارضين شيء ، فإن لم
يكن فيهما جميعا فهو النط .

حَتَّى أَقِيمَهُ ، أَوْ يُقْعِدَنِي ، وَإِنْ شَاءَ فَلْيَكُنِ الْقَائِمَ وَأَنَا الْقَاعِدُ ! فَاخْتَارَ الرُّومِيُّ الْجُلُوسَ ، فَأَقَامَهُ مُحَمَّدٌ ، وَعَجَزَ هُوَ عَنْ إِقْعَادِهِ ، ثُمَّ اخْتَارَ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ هُوَ الْقَاعِدَ ، فَجَذَبَهُ فَأَقْعَدَهُ ، وَعَجَزَ الرُّومِيُّ عَنْ إِقَامَتِهِ ، فَانْصَرَفَا مَغْلُوبِينَ .

* * *

وَحَدَّثَنِي أَحَدُ الْهَاشِمِيِّينَ أَنَّ مَلِكَ الرُّومِ وَجَّهَ إِلَى مَعَاوِيَةَ بِقَارُورَةٍ ، فَقَالَ : ابْعَثْ إِلَيَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَبَعَثَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : لْتُمْلَأْ لَهُ مَاءً ، فَلَمَّا وَرِدَ بِهَا عَلَى مَلِكِ الرُّومِ قَالَ : لِلَّهِ أَبُوهَ ، مَا أَذْهَاهُ ! فَقِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ : كَيْفَ اخْتَرْتَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ ^(١) .

وَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، وَهُوَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ يُقَدِّمُ فِي مَعْرِفَتِهِ : مَا طَعُمَ الْمَاءَ ؟ فَقَالَ : طَعُمَ الْحَيَاةَ .

* * *

وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَيَذْكُرُ أَهْلُهُ أَنَّهُ قَالَ : عَالَجْتُ لِحَيِّنِي لِتَصِلَ لِي ، إِلَى أَنْ بَلَغْتُ سِتِّينَ سَنَةً ، فَلَمَّا أَكْمَلْتُهَا يَسِسْتُ مِنْهَا .

* * *

وَكَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ شَجَاعًا جَوَادًا سَيِّدًا ، وَجَاءَتْهُ عَجُوزٌ قَدْ كَانَتْ تَأْلَفُهُ ، فَقَالَ لَهَا : كَيْفَ حَالُكَ ؟ فَقَالَتْ : مَا فِي بَيْتِي جُرْدٌ ^(٢) ، فَقَالَ : مَا أَحْسَنَ مَا سَأَلْتَ ! أَمَّا وَاللَّهِ لَأَكْثَرَنَّ جُرْدَانٌ بَيْنَكَ .

وَكَانَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ حَيْثُ تَوَجَّهَ إِلَى حَوْرَانَ قَسَمَ مَالَهُ بَيْنَ وَلَدِهِ ، وَكَانَ لَهُ حَمْلٌ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ ، فَلَمَّا وَلَدَ لَهُ ، قَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - يَعْنِي قَيْسًا - : لَأَنْقُضَنَّ مَا فَعَلَ سَعْدٌ ، فَجَاءَهُ قَيْسٌ ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! نَصِيْبِي لِهَذَا الْمَوْلُودِ ، وَلَا تَنْقُضْ مَا فَعَلَ سَعْدٌ .

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : حَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ مِنْ حَيْثُ أَتَقُّ بِهِ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - مَشَى إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ يَسْأَلَانِهِ فِي أَمْرِ هَذَا الْمَوْلُودِ ، فَقَالَ : نَصِيْبِي لَهُ وَلَا

(١) سورة الأنبياء : ٣٠

(٢) قولها ذلك من الكنايات اللطيفة ، فهو كناية عن عدم الخبز والطعام في بيتها فلذلك لا تألفه الجرذان .

أَغْيَرُ مَا فَعَلَ سَعْدٌ .

وكان معاوية كتب إلى قيس بن سعد ، وهو والي مصر لِعَلِيٍّ بن أبي طالب رحمه الله : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ يَهُودِيٌّ بَنُ يَهُودِيٍّ ، إِنْ غَلَبَ أَحَبُّ الْفَرِيقَيْنِ إِلَيْكَ عَزَلَكَ وَاسْتَبَدَلَ بِكَ ، وَإِنْ غَلَبَ أَبْغَضُهُمَا إِلَيْكَ قَتَلَكَ ، وَمَثَلُ بَكَ ، وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ فَوْقَ سَهْمِهِ ، وَرَمَى غَرَضَهُ ، فَأَكْثَرَ الْحَزَّ ، وَأَخْطَأَ الْمَفْصِلَ ، حَتَّى خَذَلَهُ قَوْمُهُ ، وَأَذْرَكَهُ يَوْمُهُ ، فَمَاتَ غَرِيبًا بِحَوْرَانٍ ، وَالسَّلَامُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ قَيْسٌ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ وَثْنٌ بَنُ وَثْنٍ ، لَمْ يَقْدَمْ إِيْمَانُكَ ، وَلَمْ يَخْذُثْ نِفَاقُكَ ، دَخَلْتَ فِي الدِّينِ كُرْهًا ، وَخَرَجْتَ مِنْهُ طَوْعًا ، وَقَدْ كَانَ أَبِي فَوْقَ سَهْمِهِ ، وَرَمَى غَرَضَهُ ، فَسَعَيْتَ عَلَيْهِ أَنْتَ وَأَبُوكَ وَنَظَرَاؤُكَ ، فَلَمْ تَشْقُوا غُبَارَهُ ، وَلَمْ تُذَرِكُوا شَأْوَهُ ، وَنَحْنُ أَنْصَارُ الدِّينِ الَّذِي خَرَجْتَ مِنْهُ ، وَأَعْدَاءُ الدِّينِ الَّذِي خَرَجْتَ إِلَيْهِ ، وَالسَّلَامُ .

وكان قيس موصوفًا مع جماعة قد بذوا النَّاسَ طَوْلًا وَجَمَالًا ، مِنْهُمْ : الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَوَلَدُهُ ، وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِي ، وَالْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسِ الْكَنْدِيِّ ، وَعَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ الطَّائِي ، ، وَابْنُ جَذَلِ الطَّعَانِ الْكَنْنَانِي ، وَأَبُو زَيْبِدِ الطَّائِي ، وَزَيْدُ الْخَيْلِ ابْنُ مُهَلِّهِلِ الطَّائِي .

وكان أحد هؤلاء يُقْبَلُ الْمَرْأَةُ عَلَى الْهُودَجِ ، وَكَانَ يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ : مُقْبَلُ الظُّعْنِ ، وَكَانَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ مَوْصُوفًا بِالتَّمَامِ .

* * *

باب

قال أبو العباس : قال السُّلَيْكُ بْنُ السُّلَكَةِ - وهي أُمُّهُ ، وكانت سوداء حبشية ، وكان من غِرْبَانِ العرب ، وهو السُّلَيْكُ بْنُ عَمِيرِ السَّعْدِيِّ - :

أَلَا عَتَبْتُ عَلَيَّ فَصَارَ مَتْنِي وَأَعْجَبَهَا ذَوُو اللَّمَمِ الطُّوَالِ
فَبَانِي يَا بَنَةَ الْأَقْوَامِ أُرْبِي عَلَى فِعْلِ الْوَضِيِّ مِنَ الرِّجَالِ
فَلَا تَصِلِي بِصُغْلُوكِ نَوْوَمَ إِذَا أَمْسَى يُعَدُّ مِنَ الْعِيَالِ
وَلَكِنْ كُلُّ صُغْلُوكِ ضَرْوَبِ بَنَصْلِ السَّيْفِ هَامَاتِ الرِّجَالِ
أَشَابَ الرَّاسَ أَنِّي كُلَّ يَوْمَ أَرَى لِي خَالَةً وَسَطَ الرِّحَالِ
يَشُقُّ عَلَيَّ أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمًا وَيَعْجِزُ عَنْ تَخْلُصِهِنَّ مَالِي
قوله :

وأعجبها ذَوُو اللَّمَمِ الطُّوَالِ

يعني : الجُمَمَ ، وإن شئت قلت : الجَمَامَ ، يقالُ : " جُمَّةٌ وَجُمَمٌ " كقولك " ظُلْمَةٌ وَظُلْمٌ " ويقال : " جَمَامٌ " كقولك " جُفْرَةٌ وَجَفَارٌ " و " بُرْمَةٌ وَبِرَامٌ " قال الشاعرُ :
إِذَا تَرَى لِمَتِي أَوْدَى الزَّمَانُ بِهَا وَشَيْبَ الدَّهْرُ أَصْدَاغِي وَأَفْوَادِي

وقوله : عَلَى فِعْلِ الْوَضِيِّ مِنَ الرِّجَالِ

يريد : الجميلَ ، وهو " فَعِيلٌ " مِنْ " وَضُوٌّ يَوْضُوٌّ " يَا فَتَى ، تقديرُهُ : كَرُمَ يَكْرُمُ وهو كريمٌ " وَمَصْدَرُهُ " الْوَضَاءَةُ " وكذلك " قَبَحٌ يَقْبَحُ قَبَاحَةً " و " سَمِعَ يَسْمَعُ سَمَاجَةً " ؛ ويقال : مَا كُنْتُ وَضِيئًا ، ولقد وضوت بعدنا .

وقوله : " فَلَا تَصِلِي بِصُغْلُوكِ " يقول : لَا تَتَّصِلِي بِهِ ، كما قال ابنُ أَحْمَرَ^(١) :

وَلَا تَصِلِي بِمَطْرُوقٍ إِذَا مَا سَرَى فِي الْقَوْمِ أَصْبَحَ مُسْتَكِينًا

إِذَا شَرِبَ الْمُرْضَةَ قَالَ أَوْكِي عَلَى مَا فِي سِقَائِكَ قَدْ رَوَيْنَا^(٢)

(١) هو عمرو بن أحمَر الباهلي . شعره ق ١٩/٥٣ ، ٢٠ ص ١٦١ .

(٢) البيتان من الرافر وهما في ديوانه ص ١٦١ ، ولسان العرب (١٥٥/٧) (رصاص) ، وتاج

العروس (٣٤٧/١٨) (رصاص) ، وبلا نسبة في المخصص (١٠٢/٣) . وانظر لسان العرب (٤٠٦/٢)

(معد) ، (٢١٨/١٠) (طرق) ، وتاج العروس (١٧٩/٩) (معد) ، وأساس البلاغة (رصاص) ، (وكي) ،

وجمهرة اللغة ص ٧٥٢ ، ومقاييس اللغة (٣٧٥/٢) ، (٤٨/٣) ، وبحمل اللغة (٤١/٣) .

ولا تخلى بمطروق

ورواية البيت الأول :

الصعلوك : الذي لا مَالَ لَهُ ، قال الشاعر :

كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَغْرَ يَوْمًا إِذَا اكْتَسَى وَلَمْ يَكْ صُغْلُوكًا إِذَا مَا تَمَوَّلَا

وقوله : " نَزُوم " يَصِفُهُ بِالْبَلَادَةِ وَالْكُسْلِ ، وكانت العربُ تَمْدَحُ بِخِفَةِ الرُّؤُوسِ عن النوم ، وتَذُمُّ النُّومَةَ ؛ كما قال عبدُ الملكِ لمُودِبٍ وَلَدِهِ : عَلِمَهُمُ الْعَوْمُ ، وَخُذَهُمُ بِقِلَّةِ النَّوْمِ ^(١).

وإنما تَوَجَّعَ لِحَالَاتِهِ لِأَنَّهُنَّ كُنَّ إِمَاءً .

* * *

وَيُرَوَّى عَنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، لَمْ يُسَمَّ لَنَا ، قَالَ : كُنْتُ أَجَالِسُ سَعِيدَ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، فَقَالَ لِي يَوْمًا : مَنْ أَحْوَالُكَ ؟ فَقُلْتُ : أُمِّي فَتَاةٌ ، فَكَأَنِّي نَقَصْتُ فِي عَيْنِهِ ، فَأَمْهَلْتُ حَتَّى دَخَلَ إِلَيْهِ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قُلْتُ : يَا عَمَّ ، مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَتَجْهَلُ مِثْلَ هَذَا مِنْ قَوْمِكَ ؟! هَذَا سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ ! قُلْتُ : فَمَنْ أُمُّهُ ؟ قَالَ : فَتَاةٌ قَالَ : ثُمَّ أَتَاهُ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَجَلَسَ عِنْدَهُ ثُمَّ نَهَضَ ، فَقُلْتُ : يَا عَمَّ ، مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : أَتَجْهَلُ مِنْ أَهْلِكَ مِثْلَهُ ؟ مَا أَعْجَبَ هَذَا ! هَذَا الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ ! قُلْتُ : فَمَنْ أُمُّهُ ؟ قَالَ : فَتَاةٌ ، فَأَمْهَلْتُ شَيْئًا حَتَّى جَاءَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ نَهَضَ ، فَقُلْتُ : يَا عَمَّ ، مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا الَّذِي لَا يَسْعُ مُسْلِمًا أَنْ يَجْهَلَهُ ، هَذَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ! قُلْتُ : فَمَنْ أُمُّهُ ؟ قَالَ : فَتَاةٌ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا عَمَّ ، رَأَيْتُنِي نَقَصْتُ فِي عَيْنِكَ لَمَّا عَلِمْتَ أَنَّي لَأُمُّ وَلَدٍ ! أَفَمَالِي فِي هَؤُلَاءِ أَسْوَةٌ ؟! قَالَ : فَجَلَلْتُ فِي عَيْنِهِ جَدًّا .

وكانت أم علي بن الحسين " سُلَافَةً " من ولد يَزْدَجَرَدَ معروفة النسب ، وكانت من خَيْرَاتِ ^(٢) النِّسَاءِ .

وَيُرَوَّى أَنَّهُ قِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّكَ مِنْ أَبَرِّ النَّاسِ ، وَلَسْتَ تَأْكُلُ مَعَ أُمَّكَ فِي صَحْفَةٍ ؟ فَقَالَ : أَكْرَهُ أَنْ تَسْبِقَ يَدَيَّ إِلَى مَا قَدْ سَبَقَتْ إِلَيْهِ عَيْنُهَا فَأَكُونَ قَدْ عَقَّقْتُهَا .

(١) سبق قول عبد الملك

(٢) الخيرات بكسر الخاء وفتح مابعدھا جمع خيرة ، يقال : فلانة الخيرة والخيرة والخوري والخيرة .

اللسان : خير

وكان يقال له : ابْنُ الْخَيْرَتَيْنِ^(١) لقول رسول الله ﷺ : " اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ خَيْرَتَانِ ،
فَخَيْرَتُهُ مِنَ الْعَرَبِ قُرَيْشٌ ، وَمِنَ الْعَجَمِ فَارِسٌ " ^(٢).

وكانت سلافة عمة أم يزيد الناقص أو أختها

وقال رجلٌ من وَلَدِ الْحَكَمِ بن أبي العاصي - يقال له عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ الْحُرِّ ، وكان شاعراً
مُتَقَدِّماً ، وكانَ لَأُمِّ وَلَدٍ ، وهو من ولد مَرْوَانَ بن الْحَكَمِ : -

فإِنَّ تَكْ أُمِّي مِنْ نِسَاءِ أَفَاءَهَا جِيَادُ الْقَنَاءِ وَالْمُرْهَفَاتِ الصَّفَائِحِ
فَتَبَا لِفَضْلِ الْحُرِّ إِنْ لَمْ أَنْلِ بِهِ كَرَائِمَ أَوْلَادِ النِّسَاءِ الصَّرَائِحِ^(٣)
وإنما أَخَذَ هذا من قول عنترَة^(٤) :

وَأَنَا امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَنَسٍ مَنَصِبَا شَطْرِي وَأَخْمِي سَائِرِي بِالْمَنْصَلِ^(٥)

وَأُنَشِدُ لِبَلَالِ بن جرير ، وبلغه أن مَوْسَى بن جرير كان إذا ذكره نسبه إلى أُمِّهِ ،
لأنه ابنُ أُمِّ وَلَدٍ ، فيقول : قال ابنُ أُمِّ حَكِيمٍ ، فقال بلالٌ :

يَا رَبَّ خَالٍ لِي أَغْرَأْبَلَجَا مِنْ آلِ كِسْرَى يَغْتَدِي مُتَوَجِّجَا
ليس كَخَالٍ لَكَ يُدْعَى عَشْنَجَا^(٦)

وَالْعَشْنَجُ : الْمُتَقَبِّضُ الْوَجْهَ السَّيِّئُ الْمُنْظَرُ .

وكان سببُ أُمِّ بَلَالٍ عند جرير أن جريراً في أوَّل دخوله العراقَ دَخَلَ على

(١) بعده في بعض النسخ : "بتحريك الباء أفصح ."

(٢) وعلق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله عليه في الكامل ٤٦٣ بتحقيقه قال : " ليس على هذا الكلام
طلاوة الأحاديث النبوية ، ولا نعرف هذا في شيء من الحديث الصحيح . وقد ذكر الفتنى في
تذكرة الموضوعات حديث " خير الناس العرب ، وخير العرب قریش وخير قریش بنو هاشم وخير
العجم فارس " ... إلخ وقال : " فيه عنيسة : متروك متهم " وعنيسة هذا هو ابن مهران البصرى الحداد ،
روى عن الزهرى ، قال أبو حاتم : منكر الحديث " اهـ ."

(٣) البيتان لابن الحر في ذيل الأمالي والنوادر ٢١٧ ، وحكى العلامة الميمنى في ذيل السمط ١٠٣
- ١٠٤ قول المرد " وقال رجل من ولد الحكم .. إلخ " وقال عقبه : " كذا قال . والمعروف هو عبيد
ابن الحر الجعفى ، شجاع شغب بابن زياد والمختار ومصعب ، وقتل في عهد عبد الملك فى خير ،
وله خير مع الحسين حين خرج إلى الكوفة " .

(٤) ديوانه ق ٦/٩ ص ٢٤٨ .

(٥) البيت من الكامل وهو له فى ديوانه (ص ٢٤٨) ، ولسان العرب (٤/٤٩٢) (ضمير) ، وتاج
العروس (١٢/٤٠٣) (ضمير) ، (نصل) ، وبلا نسبة فى مقاييس اللغة (٥/٤٣٣)

(٦) الرجز له فى لسان العرب (٢/٣٣١) (عنشج) ، بلا نسبة فى تهذيب اللغة (٩/٤٣٤) .

الحَكَمُ بنُ أَيُّوبَ بنِ أَبِي عَقِيلِ الثَّقَفِيُّ ، وهو ابنُ عَمِّ الحجاج وعاملُهُ على البصرة ، وفي ذلك يقول جريرٌ :

أَقْبَلْنَ مِنْ نَهْلَانِ أَوْ وَادِي خَيْمٍ عَلَى قِلَاصٍ مِثْلِ خَيْطَانِ السَّلَمِ
إِذَا قَطَعْنَ عِلْمًا بَدَا عِلْمٌ حَتَّى أَنْخَنَاهَا إِلَى بَابِ الْحَكَمِ
خَلِيفَةُ الْحَجَّاجِ غَيْرِ الْمُتَّهَمِ فِي ضَيْضِي الْمَجْدِ وَبُحْبُوحِ الْكَرَمِ^(١)

فكتبَ الحكمُ بعدَ أَنْ فَاطَنَهُ^(٢) إلى الحجاج ، وذلك في أوَّلِ سَبَبِهِ : أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيَّ أعرابيٌّ باقعةٌ^(٣) لم أرَ مِثْلَهُ . فكتبَ إليه أَنْ يَحْمِلَهُ معه ، فلما دخل إليه قال له : بَلَّغْنِي أَنَّكَ ذُو بَدِيهَةٍ ، فَقُلْ في هذه الجارية - لجاريةٍ قائمةٍ على رَأْسِهِ - فقال جريرٌ : مَالِي أَنْ أَقُولَ فيها حَتَّى أَتَأَمَّلَهَا ، ومَالِي أَنْ أَتَأَمَّلَ جاريةَ الأميرِ فقال : بَلَى ، فتَأَمَّلَهَا واسأَلَهَا ، فقال لها : مَا اسْمُكِ يَا جارية ؟ فَأَمْسَكَتْ ، فقالت لها الحجاجُ : خَبِّرِيهِ بِالْخَنَاءِ فقالت : أُمَامَةُ فقال جريرٌ :

وَدَّعْ أُمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ إِنَّ الْوَدَاعَ لِمَنْ تُحِبُّ قَلِيلُ
مِثْلُ الْكَيْبِ تَمَايَلَتْ أَغْطَافُهُ فَالرَّيْحُ تَجْبُرُ مَتْنَهُ وَتَهِيلُ
هَذِي الْقُلُوبُ صَوَادِيَا تَيْمَتِهَا وَأَرَى الشِّفَاءَ وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ^(٤)

فقال له الحجاجُ : قد جَعَلَ اللهُ لَكَ السَّبِيلَ إِلَيْهَا ، خُذْهَا فَهِيَ لَكَ ، فَضَرَبَ يَدَهُ إِلَى يَدِهَا ، فَتَمَنَّعَتْ عَلَيْهِ فقال :

إِنْ كَانَ طِبُّكُمْ الدَّلَالُ فَإِنَّهُ حَسَنَ دَلَالِكَ يَا أُمَامَ جَمِيلُ^(٥)

(١) الرجز في ديوانه ص ٥١٢ ، وخزانة الأدب (١٦٣/٥) ، ولسان العرب (١٩٤/١٢) (خيم) ، ومعجم ما استعجم ص ١٠١ ، وتاج العروس (٢٧٦/١٩) (خوط) ، (خيم) ، وبجمل اللغة (٢٢٦/٢) ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (٢٢٩/٢) . ستأتي الأبيات وسيأتي الثالث منفرداً .

(٢) فاطنه : أى راجعه في الحديث .

(٣) الباقعة : الطائر الحذر ، يريد أنه داهية .

(٤) في ديوانه ص ٣٥٤ باختلاف في الرواية .

(٥) في الموضوع السابق من ديوانه .

فاسْتَضْجِكَ الْحَاجُّ ، وَأَمَرَ بِتَجْهِيزِهَا مَعَهُ إِلَى الْيَمَامَةِ ، وَخَبِرَتْ أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ
وَكَانَ إِخْوَتُهَا أَحْرَارًا فَاتَّبَعُوهُ ، فَأَعْطَوْهُ بِهَا حَتَّى بَلَغُوا عِشْرِينَ أَلْفًا ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَفِي ذَلِكَ
يَقُولُ ^(١) :

إِذَا عَرَضُوا عِشْرِينَ أَلْفًا تَعَرَّضْتَ لَأُمِّ حَكِيمٍ حَاجَةٌ هِيَ مَا هِيََا
لَقَدْ زِدْتَ أَهْلَ الرَّيِّ عِنْدِي مَوَدَّةً وَحَبِيتَ أَضْعَافًا إِلَى الْمَوَالِيَا ^(٢)

فَأَوْلَدَهَا حَكِيمًا وَبِلَالًا وَحَزْرَةَ ، بَنِي جَرِيرٍ ، هَؤُلَاءِ مَنْ أَذْكَرُ مِنْ وَلَدِهَا .
وَيَقَالُ : إِنَّ الْحِمَّانِيَّ ^(٣) قَاوَلَ بِلَالًا ذَاتَ يَوْمٍ ، فِيمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الشَّرِّ فَقَالَ :
يَا بَنُ أُمِّ حَكِيمٍ ! فَقَالَ لَهُ بِلَالٌ : مَا تَذْكَرُ مِنْ ابْنَةِ دِهْقَانٍ ، وَأَخِيذَةَ رِمَاحٍ ، وَعَطِيَّةَ مَلِكٍ ؟
لَيْسَتْ كَأُمِّكَ الَّتِي بِالْمُرُوتِ ^(٤) ، تَغْدُو عَلَى أَثَرِ ضَانِئِهَا ، كَأَنَّمَا عَقِبَاهَا حَافِرًا حِمَارًا ! فَقَالَ
لَهُ الْحِمَّانِيُّ : أَنَا أَعْلَمُ بِأُمِّكَ ، إِنَّمَا عَتَبَ عَلَيْهَا الْحَاجُّ فِي أَمْرِ ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ ، فَحَلَفَ أَنْ
يَذْفَعَهَا إِلَى أَلَمِ الْعَرَبِ ، فَلَمَّا رَأَى أَبَاكَ لَمْ يَشْكُكَ فِيهِ !!
قَالَ : وَأُنْشِدْتُ لِرَجُلٍ مِنْ رُجَّازِ بَنِي سَعْدِ :

أَنَا ابْنُ سَعْدٍ وَتَوَسَّطْتُ الْعَجَمَ فَأَنَا فِيمَا شِئْتَ مِنْ خَالٍ وَعَمٍّ
وَقَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَيْسَ قَوْمٌ أَكْبَسَ مِنْ أَوْلَادِ السَّرَّارِيِّ ، لِأَنَّهُمْ
يَجْمَعُونَ عِزَّ الْعَرَبِ وَدَهَاءَ الْعَجَمِ .

وَكُتِبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - لَمَّا كُتِبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ : " وَأَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ مِنْ أَوْلَادِ الطَّلَقَاءِ ، وَلَا
أَوْلَادِ اللَّعْنَاءِ ، وَلَا أَعْرَقْتُ فِي الْإِمَاءِ ، وَلَا حَضَنْتَنِي أُمَّهَاتُ الْأَوْلَادِ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ هَاشِمًا
وَلَدَ عَلِيًّا مَرَّتَيْنِ ، وَأَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ وَلَدَ الْحَسَنَ مَرَّتَيْنِ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَدَنِي مَرَّتَيْنِ
مِنْ قِبَلِ جَدِّي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ " . يَعْنِي أَنَّ أُمَّ عَلِيٍّ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَأُمُّ الْحَسَنِ
فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَأَنَّ أُمَّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ

(١) ديوانه ق ١٥٩ وحدهما ج ٥٦٥/٢ . وفي الرواية اختلاف .

(٢) البيتان في ديوان جرير ص ٤٥٦ وروايتهما :

إِذَا عَرَضُوا أَلْفَيْنِ مِنْهَا تَعَرَّضْتَ لَأُمِّ حَكِيمٍ حَاجَةٌ فِي مَوَادِيَا
لَقَدْ زِدْتَ أَهْلَ الرَّيِّ عِنْدِي مَلَاةً وَحَبِيتَ أَضْعَافًا إِلَى الْمَوَالِيَا

(٣) اسمه أبو نخيلة . عن رغبة الأمل ٥٤/٥

(٤) وإد بالعالية كانت به وقعة بين تميم وقشير ، وقيل إنهم انظر معجم البلدان ١١١/٥ ، ورغبة
الآمل ٥٤/٥

الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم . فكتب إليه المنصور : " أمّا ما ذكرت من ولادة هاشم علياً مرتين ، وولادة عبد المطلب الحسن مرتين ، فخير الأولين والآخرين رسول الله ﷺ لم يُلِدْهُ هاشم إلا مرة واحدة ، ولا عبد المطلب إلا مرة واحدة ، وله السبق إلى كل خير ، ولقد علمت أنه بُعث رسول الله ﷺ وعمومته أربعة ، فأمن به اثنان ، أحدهما أبي ، وكفر به اثنان أحدهما أبوك ، وأمّا ما ذكرت أنه لم تُغرق فيك الإمامة فقد فخرت على بني هاشم طراً ، أولهم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، ثم علي بن الحسين الذي لم يولد فيكم بعد وفاة رسول الله ﷺ مولود مثله " .
وهذه رسالة للمنصور طريفة مستحسنة جداً ، سنمليها في موضعها من هذا الكتاب ، إن شاء الله .

* * *

وأنشدني الرياشي:

إِنَّ أَوْلَادَ السُّرَّارِ كَثُرُوا يَا رَبَّ فِينَا
رَبِّ أَذْخَلْنِي بِلَادًا لَا أَرَى فِيهَا هَجِينًا^(١)

و " الهجين " عند العرب : الذي أبوه شريف وأمّه ضيعة ، والأصل في ذلك أن تكون أمة ، وإنما قيل : " هجين " من أجل البياض ، وكأنهم قصدوا قصد الروم والصقالبة ومن أشبههم ، والدليل على أن الهجين الأبيض أن العرب تقول : ما يخفى ذلك على الأسود والأحمر ، أي العربي والعجمي ، ويسمون الموالي وسائر العجم : " الحمراء " وقد ذكرنا ذلك ، ولذلك قال زيد الخيل :

وَأَيُّقِنَ أَنَّنَا صُهَبُ السَّبَالِ

أي كهؤلاء العدو من العجم . وقال ابن الرقيّات^(٢) :

أَنْ تَرِنِّي تَغَيَّرَ اللَّوْنُ مِنِّي وَعَلَا الشَّيْبُ مَفْرَقِي وَقَدَّالِي
فَظِلَالُ السُّيُوفِ شَيَيْنَ رَأْسِي وَطَعَانِي فِي الْحَرْبِ صُهَبَ السَّبَالِ^(٣)

فقيل " هجين " من ههنا .

(١) الفاضل ١٠٦ ، وانظر شرح أبيات مغني اللبيب ٢ / ٢٢١ .

(٢) ديوانه ق ٤٦ / ٨ ، ٩ ص ١١٣ .

(٣) البيتين من الخفيف في ديوانه ص ١١٣ ، ولسان العرب (١/٥٣٢) (صهب) ، وتاج العروس

(٣/٢٢٠) (صهب) ، وبلا نسبة في لسان العرب (١١/٣٢٢) (سبل) ، وتهذيب اللغة (١٢/٤٣٨)

والمختصص (١٣/١٣٢) ، وأساس البلاغة (صهب) ، وتاج العروس (سبل) .

وإذا كانت الأم كريمةً والأب حسيّساً قيلَ له : " المذرعُ " ، قال الفرزدق (١) :

إذا باهليّ تحتَه حنْظليّةٌ له وَلَدٌ منها فَذاك المذرعُ (٢)

وقال الآخرُ : (٣)

إنَّ المذرعَ لا تُغني خُؤولَتُه كالبغلِ يَعْجزُ عن شَوطِ المَحاضيرِ (٤)

وإنما سُمِّيَ " مُذرعاً " للرقمتين (٥) في ذراعِ البغلِ ، وإنما صارتا فيه من ناحية الحمارِ ؛ قال هذبةُ :

وَرِثْتُ رَقَاشَ اللُّؤمِ عن آبائِها كسَوَارِثِ الحُمَراتِ رَقَمَ الأذرعِ

وقال عبدُ الله بنُ العباسِ في كلام يُحيبُ به ابنُ الزُّبير : واللهُ إنَّه لَمُصْلُوبُ قُرَيْشٍ ، ومتى كان عَوَامُ بنُ عَوَامٍ يَطْمَعُ في صَفِيَّةَ بنتِ عبدِ المطلبِ ؟ إنما أَنْتَ كما قيلَ للبغلِ : مَنْ أبوكَ يا بَغْلُ ؟ فقال : خالي الفرسُ !؟ .

(١) ديوانه ٤١٦/١ .

(٢) البيت من الطويل وهو في ديوانه (٤١٦/١) ، والدرر (١٠٣/٣) ، وشرح التصريح (٤٠/٢) ، وشرح شواهد المغنى ص ٢٧٠ ، والمقاصد النحوية (١٤٤/٣) ، وبلا نسبة في أوضح المسالك (١٢٧/٣) ، والجنى الدانى ص ٣٦٨ ، وشرح الأشموني (٣١٦/٢) ، ولسان العرب (٩٣/٨) (ذرع) ، ومغنى اللبيب ص ٩٧ ، وهمع الهوامع (٢٠٧/١) .

(٣) وهو عرهم بن قيس العدوى الأسدى كما في كتاب البغال - رسائل الجاحظ ٣٥٨/٢

(٤) البيت من البسيط ، وهو لابن قيس العدوى (عرهم) في لسان العرب (٩٣/٨) (ذرع) ، ولعرهم ابن قيس الأسدى في ك البغال ص ١١٥ .

(٥) الرقمتان: واحدتهما (رقمة) ، وهما أثران يباطن الزراعين لابينتان الشعر . رغبة الآمل ٥ / ٥٨ .

باب

قال أبو العباس : قال أعرابي :

كُلُّ أَمْرِي ذِي لِحْيَةٍ عَثُولِيَّةٍ يَقُومُ عَلَيْهَا ظَنٌّ أَنَّهُ لَهُ فَضْلًا
وَمَا الْفَضْلُ فِي طُولِ السَّبَالِ وَعَرْضِهَا إِذَا اللَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لِصَاحِبِهَا عَقْلًا

" عَثُولِيَّة " يقول: كثيرة ، والمُسْتَعْمَلُ يقال: رجلٌ " عَثُولٌ " إذا كانَ كثيرَ الشَّعر ، وأصلُ ذلك في الرأس واللحية ، وبناءه الأعرابيُّ بناءً " جَذُولٍ " كأنه " عَثُولٌ " ثم نَسَبَ إليه . و " السَّبَلَةُ " مُقَدَّمُ اللِّحْيَةِ ، يقال لِمَا أُسْبِلَ من الشَّارين " سَبَلَتَانِ " وتقول العربُ : أَخَذَ فُلَانٌ شَفْرَةً فَلَتَمَ بِهَا سَبَلَةَ بَعِيرِهِ ، أَي نَحَرَهُ ، وَاللَّتْمُ : الشَّقُّ ، فهذا ما أُسْبِلَ من جِرَانِهِ ^(١).

وقال بعض المحدثين :

وَمَا حُسْنُ الرَّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ إِذَا مَا أَخْطَأَ الْحُسْنَ الْيَبَانَ
كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْيَا أَنْ تَرَاهُ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ لِسَانٌ

وقال آخر :

إِنِّي عَلَى مَا تَزْدَرِي مِنْ دِمَامَتِي إِذَا قِيسَ ذَرْعِي بِالرَّجَالِ طَوِيلُ

ونظر يزيد بن مزيد الشيباني إلى رجل ذي لحية عظيمة ، وقد تَلَفَّقَتْ على صدره ، فإذا هو خَاضِبٌ ، فقال : إِنَّكَ مِنْ لِحْيَتِكَ فِي مَوْوَنَةٍ ! فقال: أجل ولذلك أقول :

لَهَا دِرْهَمٌ لِلدُّهْنِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ وَآخِرُ لِلْجِنَاءِ يَتَدِرَّانِ

(١) قال المِرْصَفِيُّ : " يريد ما ذكر من سبلة البعير ، وأسبل استرخى ، والجِرَانُ جلدة تضطرب على باطن العنق من ثغرة النحر إلى منتهى العنق في الرأس أو هو مقدم العنق أو باطنه " . رغبة الآمل

وَلَوْلَا نَوَالٌ مِنْ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ لَصَوَّتَ فِي حَافَاتِهَا الْجَلَمَانِ^(١)
 وقال إسحاق بن خلفٍ يصف رجلاً بالقصر وطول اللحية :
 مَا سَرَّنِي أَنِّي فِي طُولِ دَاوُدَ وَأَنِّي عَلِمْتُ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ
 مَا شِئْتُ دَاوُدَ فَاسْتُضِحِّكْتُ مِنْ عَجَبٍ كَأَنِّي وَالِدٌ يَمْشِي بِمَوْلُودِ
 مَا طُولُ دَاوُدَ إِلَّا طُولُ لِحْيَتِهِ يَظَلُّ فِيهَا غَيْرَ مَوْجُودِ
 تُكْنِيهِ خُصْلَةٌ مِنْهَا إِذَا نَفَخَتْ رِيحُ الشِّتَاءِ وَجَفَّ الْمَاءُ فِي الْعُودِ
 كَأَلَنْبَجَانِيٍّ مَصْنُوعٍ عَوَارِضُهَا سَوْدَاءُ فِي لَيْنِ خَدِّ الْعَادَةِ الرُّودِ^(٢)
 أَجْزَى وَأَعْنَى مِنَ الْخَزْرِ الصَّقِيقِ وَمِنْ بِيضِ الْقَطَائِفِ^(٣) يَوْمَ الْقُرِّ وَالسُّودِ
 إِنَّ هَبَّتِ الرِّيحُ أَذَتْهُ إِلَى عَدَنَ إِنْ كَانَ مَالَفٌ مِنْهَا غَيْرَ مَعْقُودِ^(٤)
 * * *

وفي الحديث^(٥) : " من سعادة المرء خِفةُ عارضِيهِ " . وليس هذا بناقض لما جاء في
 إغفاء اللَّحَى وإخفاءِ الشَّوَارِبِ ، فقد رُوِيَ أَنَّهُمْ قَالُوا : لَا بَاسَ بِأَخْذِ الْعَارِضِينَ وَالتَّبْطِئِينَ .

(١) البيتان من الطويل وهما بلا نسبة في لسان العرب (١٢-٤٩٠) (قلم) ، (١٠٢/١٢) (جلم)
 وروايتهما:

لَهَا دَرَاهِمُ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ وَآخِرُ الْحِنَاءِ يَتَدَرَّانِ
 وَلَوْلَا آيَادُ مَنْ يَزِيدُ تَابَعَتْ لَصَبَحَ فِي حَافَاتِهَا الْقَلَمَانِ

(٢) الأنبجاني : كساء من الصوف له حمل ولاعلم فيه ينسب إلى منيح على غير قياس .

والفادة المرأة اللينة . الرود : الحسمة الثياب . عن رغبة الأمل ٦١/٥

(٣) القطائف : جمع قطيفة وهي كساء مربع غليظ له حمل ووبر . رغبة الأمل ٦٢/٥ .

(٤) الأبيات من البسيط ، وانظر تاج العروس (٢٢٧/٦) (بيج)

(٥) انظر الفائق ٤٢٢/٢ ، والنهاية ٢١٢/٣ ، ورغبة الأمل ٦٢/٥ .

وقال الشيخ المرصفي: "كأن أبا العباس فهم من خفة عارضيه أن يخفهما صاحبهما ، وليس كما فهم ،
 وإنما معناه خفة عارضيه خلقة لا بفعل فاعل " . وقال الخطابي : وخفتهما كناية عن كثرة الذكر لله
 تعالى وحركتهما به . وقال ابن الأثير : وقيل أراد بخفة العارضين خفة اللحية ، وما أراه مناسباً . وأورده
 العلامة الشوكاني في " الفوائد المجموعة " (٥٨٢/٢) ، بلفظ : " من سعادة المرء خفة لحيته " وقال :
 " رواه الخطيب عن ابن عباس مرفوعاً ، ورواه ابن عدى عن أبي هريرة مرفوعاً . وزاد : إن لرأس العقل
 التحجب إلى الناس . وفي إسناد الأول المغيرة بن سويد ، وهو مجهول ، وسكين بن أبي سراج وهو
 يروى الموضوعات ، ويوسف بن الغرق وهو كذاب .

وأما الإغفاء فهو التَّكْثِيرُ ، وهو من الأضدادِ ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّىٰ عَفَوْا ﴾ أي : حتى كثَّروا ، ويقال : عَفَا وَبَرُّ الناقَةِ : إذا كَثُرَ ، قال الشاعرُ :
وَلَكِنَّا نَعْضُ السَّيْفَ مِنْهَا بِأَسْوَقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كُومٍ^(١)

والكُومُ:العِظَامُ الأَسْنِمَةُ ، واحداً منها : كَوْماء ، ويقال : عَفَا الرُّبْعُ : إذا دَرَسَ ، ومن ذلك :
عَلَى آثَارِ مَنْ ذَهَبَ الْعَفَاءُ^(٢)

أي : الدُّرُوسُ

وقال مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ ثَلَاثَةٍ : مِنْ رَجُلٍ قَصَّرَ شَعْرَهُ ثُمَّ عَادَ فَأَطَالَهُ ، وَشَمَّرَ ثَوْبَهُ ثُمَّ عَادَ فَأَسْبَلَهُ ، أَوْ تَمَتَّعَ بِالسَّرَارِيِّ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَهِيرَاتِ !!
واحدةُ الْمَهِيرَاتِ " مَهِيرَةٌ " وهي الْحُرَّةُ الْمَمْهُورَةُ ، و " مَفْعُولٌ " يَخْرُجُ إِلَى " فَعِيلٍ " كَمَقْتُولٍ وَقَتِيلٍ ، وَبَجْرُوحٍ وَجَرِيحٍ ، قال الأعشى :
وَمَنْكُوحَةٍ غَيْرِ مَمْهُورَةٍ وَأُخْرَى يُقَالُ لَهَا فَادِهَا^(٣)

وفى إسناده الثاني : حسين بن المبارك ، قال ابن عدى : حدث بأسانيد ومتون منكورة . قال فى " اللآلئ " : المغيرة ، وذكره ابن حبان فى " الثقات " وقد روى بلفظ : " من سعادة المرء خفة عارضيه " كما فى الطبرانى . اهـ .

قلت : وأورده الحافظ الهيثمى فى " المجمع " (١٦٤/٥) ، وقال : " رواه الطبرانى وفيه يوسف بن الفرق ، قال الأزدي : كذاب " .

(١) البيت من الوافر ، وهو للبيد فى ديوانه ص ١٠٤ ولسان العرب (١١/٤٥٠) (عطل) ، (١٥/٧٦) (عفا) وتهذيب اللغة (٣/٢٢٩) وأساس البلاغة (عضض) ، وتاج العروس (عطل) .

(٢) البيت من الوافر وهو لزهير بن أبى سلمى فى ديوانه ص ٥٨ ، ولسان العرب (١٥/٧٨) (عفا) ، ومقاييس اللغة (٤/٥٩) ، وكتاب العين (٢/٢٥٩) ، وكتاب الجيم (٢/٣٣٧) ، وتهذيب اللغة (٣/١٢٤) ، وتاج العروس (عفا) وبلا نسبة فى المخصص (١٠/٦٣) ، (١١/١٠٣) .
وصدر البيت : تحمل أهلها منها فباتوا

(٣) البيت من المتقارب وهو فى ديوانه ص ١٢٥ ، وجمهرة اللغة ص ١٢٥٨ .

فهذا المعروفُ في كلامِ العربِ : " مَهْرَتُ الْمَرْأَةِ فَهِيَ مَمْهُورَةٌ " ويقالُ - وليس بالكثير - : " أَمْهَرْتُهَا فِي مُمْهَرَةٍ " ؛ أَنشدني المازنيُّ :

أَخِذْنِ اغْتِصَابًا خِطْبَةً عَجْرَقِيَّةً وَأَمْهَرْنِ أَرْمَاحًا مِنَ الْخَطِّ ذُبْلًا^(١)

* * *

وأهل الحجاز يَرَوْنَ النِّكَاحَ الْعَقْدَ دُونَ الْفِعْلِ ، وَلَا يُنْكِرُونَهُ فِي الْفِعْلِ ، وَيَحْتَجُّونَ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا ﴾ فهذا الْأَشْيَعُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، قَالَ الْأَعَشَى :

وَأَمْتَعْتُ نَفْسِي مِنَ الْغَايَا تِ إِذَا نَكَحَا وَإِنَّمَا أَزَنُ^(٢)
وَمِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ رُغْبَوِيَّةٍ هَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَنِ^(٣)

ويكونُ النِّكَاحُ الْجِمَاعُ ، وَهُوَ الْأَصْلُ كِنَايَةً ، قَالَ الرَّاجِزُ :

إِذَا زَنَيْتَ فَأَجِدْ نِكَاحًا وَأَعْمِلِ الْغَدُوَّ وَالرَّوَاخَا

وَالْكِنَايَةُ تَقَعُ عَنْ هَذَا الْبَابِ كَثِيرًا ، وَالْأَصْلُ مَا ذَكَرْنَا لَكَ ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

" أَنَا مِنْ نِكَاحٍ لَا مِنْ سِفَاحٍ "^(٤) وَمِنْ خُطْبِ الْمُسْلِمِينَ : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَلَّ النِّكَاحَ وَحَرَّمَ السِّفَاحَ " .

(١) البيت من الطويل وهو للقحيف العقيلي في تاج العروس (٢٥٢/١٩) (خطط) ، وبلا نسبة في لسان العرب (١٨٤/٥) (مهر) ، وتهذيب اللغة (٢٩٨/٦) ، وأساس البلاغة (مهر) ، وتاج العروس (١٥٩/١٤) (مهر) ، والمخصص (٢٥/٤) ، وتوادر أبي زيد ص ٢٠٨ .

(٢) قوله : (أزن) أراد (أزني) فحذف الياء وخفف النون .

(٣) البيتان من المتقارب ، في ديوانه ص ٦٧ ، ولسان العرب (٣٥٩/١٤) (زنا) ، وجمهرة اللغة ص ١٣١ وتاج العروس (زنا) .

(٤) أورده بنحوه الحافظ البيهقي في " الدلائل " ، (١٧٤/١) ، ضمن حديث طويل أوله : " أنا محمد بن عبد الله إلى قوله : " وخرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح " الحديث ، وقال الحافظ ابن كثير في " البداية والنهاية " (٢٥٥/٥) : " حديث غريب جداً من حديث مالك ، تفرد به القدامى وهو ضعيف " . وأورده السيوطي في " الجامع الصغير " وذكره الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (١٤١٧) ، وقال : " ضعيف جداً " .

والكناية تُقَع عن الجماع ، قال الله عز وجل : ﴿ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ ^(١) فهذه كناية عن الجماع .

وقال أكثر الفقهاء في قوله تبارك وتعالى : ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ ^(٢) قالوا : كناية عن الجماع ، وليس الأمر عندنا كذلك ، وما أصفئ مذهب أهل المدينة ، قد فرغ من النكاح تصریحاً ، وإنما الملامسة أن يلمسها ^(٣) الرجل بيده أو بإذنائه جسدي من جسدي ، فذلك ينقض الوضوء في قول أهل المدينة ، لأنه قال تبارك وتعالى بعد ذكر الجنب : ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ ^(٤) كناية بإجماع عن قضاء الحاجة ^(٥) ، لأن كل من أكل الطعام في الدنيا أنجى ، يقال : نجا وأنجى : إذا قام لحاجة الإنسان .

(١) البقرة : ١٨٧

(٢) النساء : ٤٣ - المائدة : ٦ قال الشيخ أحمد شاكر فيما علقه على الكامل ٤٧٣ بتحقيقه : "ليس هذا القول بالراجح عندنا ، ولا هو مما تؤيده الدلائل الصحاح بل أدلة السنة تدل على أن الملامسة أو اللمس في الآية - على اختلاف القراءتين - إنما يكتفى بها هنا عن الجماع ، من أجل أنه قد صح الحديث بأن النبي ﷺ قبل بعض أزواجه ثم صلى ولم يتوضأ ، وهو حديث لاشك في ثبوته ، وهو قرينة لإرادة المعنى المجازي لا الحقيقي وقد فصلنا القول في ذلك في شرحنا على سنن الترمذی ١٣٩/١ - ١٤٢ " اهـ ...

وانظر تفسير ابن كثير ٢٧٥/٢ - ٢٧٩ ، وتفسير القرطبي ٢٢٣/٥ - ٢٢٨ .

(٣) (لمسه) من باب ضرب ونصر بكسر الميم وضمها . مختار الصحاح (لمس)

(٤) المائدة : ٧٥

(٥) علق الشيخ أحمد شاكر على هذا الموضع من الكامل بتحقيقه ٤٧٤ بقوله : " دعوى الإجماع هنا غير جيدة ، فإن كثيراً من المفسرين لا يرون إلا المعنى هنا ، وهو الراجح عندهم ، قال الطبري في التفسير ٢٠٣/٦ : "إنهما كانا أهل حاجة إلى ما يغذوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم ، فإن من كان كذلك فغير كان إلهاً ، لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه دليل واضح على عجزه ، والعاجز لا يكون إلا مربوباً لارياً " . فأنت ترى أنه لم يفسره غير المعنى الحقيقي ولم يذكر الكناية أصلاً وذكرها غيره ، وليست الكناية هنا واضحة ، لأنه وإن وجدت العلاقة بين المعنيين إلا أن القرينة التي تمنع إرادة المعنى الحقيقي وتوجب النقل إلى المجازي غير موجودة أصلاً ، فلا تقبل ، ثم إن المعنى الحقيقي معنى عال ديق ، كما أوضحه الطبري ، فلا مسوغ للعدول عنه " اهـ .

وانظر تفسير ابن كثير ١٥٠/٣ ، وتفسير القرطبي ٢٥٠/٦ .

وكذلك : ﴿ وَقَالُوا لِمَ أَجْلُوهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ ^(١) : كناية عن الفروج .
ومثله : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾ ^(٢) فإنما الغائط كالوادي، وقال عمرو بن
مَعْدِي كَرَبَ :

وَكَمْ مِنْ غَائِطٍ مِنْ دُونِ سَلَمَى قَلِيلِ الْإِنْسِ لَيْسَ بِهِ كِتِيعٌ ^(٣)

* * *

يقال : " وَهَمَ " الرجلُ " يَوْهَمُ " : إذا شَكَّ ، وهو الأجودُ ، ويجوزُ : " يَيْهَمُ ،
ويَيْهَمُ ، ويَاهَمُ " لِعَلِّ ، وكذلك ما كان مثله ، نحو : وَجَلَّ يَوْجَلُّ ، وَوَجَلَّ يَوْحَلُّ ،
وَوَجَعَّ يَوْجَعُّ ، ويجوز في " وَهَمَ " أن تقول : " يَهَمُ " فَإِنَّ الْمُعْتَلَّ مِنْ هَذَا يَجِيءُ عَلَى مِثَالِ :
حَسِبَ يَحْسِبُ ، مثل : وَلِيَّ الْأَمِيرِ يَلِي ، وَوَرِمَ الْجُرْحُ يَرِمُ ، فهذا جميع ما في هذا الباب .

* * *

وقال رجلٌ أَحْسِبُهُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ :

وَكُنْ أُخْرِيَّاتِ الْخَيْلِ عَلَّكَ تُجْرَحُ لَا تَسْأَلَنَّ الْخَيْلَ يَا سَعْدُ مَالَهَا
لَهَا عَائِدُ يَنْفِي الْحَصَا حِينَ يَنْفَحُ لَعَلَّكَ تَحْمِي عَنْ صِحَابٍ بَطْنَةٍ
لِعَاقِبَةٍ إِنَّ الْعِصَاةَ تَرْوَحُ ^(٤) وَأَكْرِمُ كَرِيماً إِنَّ أَتَاكَ لِحَاجَةٌ

قوله :

لَا تَسْأَلَنَّ الْخَيْلَ يَا سَعْدُ مَالَهَا

(١) فصلت : ٢١

(٢) النساء : ٤٣ ، المائدة : ٦ .

(٣) البيت من الوافر وهو في ديوانه ص ١٤٦ ، ولسان العرب (٣٠٦/٨) (كعج) ، وتاج العروس

(٣٢٥/٢١) (صرع) ، (١٠٨/٢٢) (كعج) ، كتاب الجيم (١٧١/٢) .

(٤) الأبيات من الطويل ، وانظر أساس البلاغة ص ١٨٣ (روح) .

يقول : لا تَتَخَلَّفُ عن القتال وتَسْأَلُ عن أخبار القوم ، ولكن كُنْ فيهم كما قال
مُهْلَهُ :

ليس مثلي يُخَبِّرُ القَوْمَ عَنْ آ
بَائِهِمْ قُتِلُوا وَيَنْسَى القِتَالَا
لم أَرِمُ حَوْمَةَ الكَتِيبَةِ حَتَّى
حُدِي الوَرْدُ مِنْ دِمَاءِ نِعَالَا^(١)

يقول : كنتُ في حَوْمَةِ القِتَالِ وصَلَّيتُ الحربَ أكثرَ مما صَلَّيْتُهَا غَيْرِي .

* * *

ويُرَوَّى عن رجلٍ من بني أسدٍ بن عبد العزى - يقال له : فلانُ بنُ السائبِ - أنه
زَوَّجَ ابنته عَمْرُو بن عثمانَ بن عَفَّانَ ، فلَمَّا نُصِّتْ عليه طَلَّقَهَا على المِنْصَةِ^(٢) فجاء أبوها
إلى عبد الله بن الزبير ، فقال : إِنَّ عَمْرُو بنَ عثمانَ طَلَّقَ ابْنَتِي على المِنْصَةِ ، وقد ظَنَّ الناسُ
أَنَّ ذَلِكَ لِعَاهَةِ، وَأَنْتَ عَمُّهَا ، فَقُمْ فادْخُلْ إِلَيْهَا ، فقال عبدُ الله : أَوْ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ؟
جِئْتُونِي بِالْمُصْعَبِ ، فَحَطَبَ عبدُ الله فزَوَّجَهَا من المِصْعَبِ ، وأَقْسَمَ عليه لِيَدْخُلَنَّ بِهَا فِي
لَيْلَتِهِ ، فلا تُعْرِفُ امرأةٌ نُصِّتَ عَلَى رَجُلَيْنِ فِي لَيْلَةٍ غَيْرُهَا ، فأَوْلَدَهَا المِصْعَبُ عِيسَى
وعُكَّاشَةَ ، فلَمَّا كَانَ يَوْمُ مَسْكَنَ^(٣) وَهَرَبَ أَكْثَرُ الناسِ عن المِصْعَبِ دَخَلَ إلى سَكِينَةَ بِنْتِ
الحسين بن عليٍّ بن أبي طالبٍ ، وكانت له شديدة المَحَبَّةِ ، وكانت تُخْفِي ذلك ، فَلَبِسَ
غِلَالَةً وَتَوَشَّحَ عَلَيْهَا ، وانتَضَى السَّيْفَ ؛ فلَمَّا رَأَتْ ذلكَ عَلِمَتْ أَنَّهُ عَزَمَ ألاَّ يَرْجِعَ ،

(١) البيتان في الأغاني (٥٥/٥) وفي رواية البيت الثاني (عرصة) بدلا من (حومة) ، (انتحل) بدلا من
(حذى).

(٢) المنصة سرير العروس ترفع عليه لترى من بين النساء ، وكل شئ رفعت وأظهرته فقد نصصته .
رغبة الآمل ٦٨/٥ .

(٣) يفتح الميم وسكون السين وكسر الكاف ، وكذا قيده ياقوت والبكري ، انظر معجم البلدان
١٢٧/٥ ، ومعجم ما استعجم ١٢٢٧ ، وقد سلف تحديده .

فصاحتُ مِنْ ورائِهِ : وَاحْرَبَاهُ ؟ فَالْتَفَتَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : أَوْ هَذَا لِي فِي قَلْبِكَ ؟ فَقَالَتْ : إِي
 وَاللَّهِ ، وَأَكْثَرُ مِنْ هَذَا ، فَقَالَ : أَمَّا لَوْ عَلِمْتُ لَكَانَ لِي وَلَكَ شَأْنٌ ، ثُمَّ خَرَجَ ، فَقَالَ لِابْنِهِ
 عِيسَى : يَا بُنَيَّ أَنْجُ إِلَى نَجَاتِكَ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ لَا حَاجَةَ بِهِمْ إِلَى غَيْرِي ، وَسَتُفْلِتُ بِحِيلَةٍ أَوْ
 بُقْيَا ، فَقَالَ : يَا أَبَتَاهُ ، لَا أَحَدٌ وَاللَّهِ عَنْكَ أَبَدًا ، فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ لَمَّا
 زِلْتُ أَتَعَرَّفُ الْكَرَمَ فِي إِسْرَارِكَ وَأَنْتَ تُقَلِّبُ فِي مَهْدِكَ ، فَقَتِلَ بَيْنَ يَدَيِ أَبِيهِ ، فَفِي ذَلِكَ
 يَقُولُ شَاعِرُ أَهْلِ الشَّامِ مِنَ الْيَمَانِيَةِ :

نَحْنُ قَتَلْنَا مُضْعَبًا وَعِيسَى وَابْنَ الزُّبَيْرِ الْبَطْلَ الرَّئِيسَا
 عَمْدًا أَذَقْنَا مُضَرَ الثُّبَيْسَا

وَقَالَ رَجُلٌ يُعَاتِبُ رَجُلًا :

فَلَوْ كَانَ شَهْمَ النَّفْسِ أَوْ ذَا حَفِظَةٍ رَأَى مَا رَأَى فِي الْمَوْتِ عِيسَى بْنُ مُضْعَبٍ

وَقَالَ بِلَالُ بْنُ جَرِيرٍ يَمْدَحُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ :

مَدَّ الزُّبَيْرُ عَلَيْكَ إِذْ بَنَيْتَ الْعَلَا كَفَيْهِ حَتَّى نَأْتَا الْعِثُوقَا
 وَلَوْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ فَأَخَّرَ مَنْ تَرَى فَاتَ الْبَرِّيَّةَ عِزَّةً وَسُمُوقَا
 قَرَّمْ إِذَا مَا كَانَ يَوْمُ نُفُورَةٍ جَمَعَ الزُّبَيْرَ عَلَيْكَ وَالصَّدِيقَا
 لَوْ شِئْتُ مَا فَاتُوكَ إِذْ جَارَيْتَهُمْ وَلَكُنْتُ بِالسَّبْقِ الْمُبْرِّ حَقِيقَا
 لَكِنْ أَتَيْتُ مُصَلِّيًا بَرًّا بِهِمْ وَلَقَدْ تَرَى وَنَسَرَى لَدَيْكَ طَرِيقَا

* * *

عاد الحديثُ إِلَى تَفْسِيرِ الْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ :

قوله :

لَعَلَّكَ تَخْمِي عَنْ صِحَابٍ بِطَغْنَةٍ^(١)

(١) سبق نخريجها

يقال : " حَمَيْتُ النّاحِيَةَ أَحْمِيهَا حَمِيًّا وَحِمَايَةً " ، كما قال الفرزدق :

وَإِذَا النُّفُوسُ جَشَّانَ طَأْمَنَ جَأَشَهَا ثِقَةً لَهَا بِحِمَايَةِ الْأَذْبَارِ^(١)

(٢)

ومعنى ذلك : مَنَعْتُ وَدَفَعْتُ . ويقال : " أَحْمَيْتُ الْأَرْضَ " أي : جعلْتُهَا حِمِيًّا

لَا تُقَرَّبُ ، و " أَحْمَيْتُ الْحَدِيدَ أَحْمِيهِ إِخْمَاءً " و " حَمَيْتُ أَنْفِي مَحْمِيَّةً " يا فتى : إِذَا أَنْتَ أَبَيْتَ الضَّيِّمَ .

و " صَحَابٌ " جمعُ " صاحبٍ " وقد يقالُ : هو جمعُ " صَحْبٍ " كما تقول :

" تَاجِرٌ وَتَجَرٌّ " و " رَاكِبٌ وَرَكْبٌ " ونحو ذلك ، ثم تَجْمَعُ " صَحْبًا " على " صَحَابٍ " ، كقولك : " كَلْبٌ وَكِلَابٌ " و " فَرَخٌ وَفِرَاحٌ " فهذا مذهبُ حَسَنَ ، ومن قال : هو جمعُ " صاحبٍ " فنظيره " قَائِمٌ وَقِيَامٌ " و " تَاجِرٌ وَتِجَارٌ " .

وقوله : " لَهَا عَانِدٌ يَنْفِي الْحَصَا " يعني الدَّم ، يقال " عَنَدَ الْعِرْقُ " : إِذَا خَرَجَ الدَّمُّ

مِنْهُ بِجِلْدَةٍ ، و " يَنْفِي الْحَصَا " يعني الدَّم بِشِدَّةٍ جَرِيهِ ، كما قال :

مُسَخَّسِحَةٌ تَنْفِي الْحَصَا عَنْ طَرِيقِهَا ^(٣)

يعني طعنةً ، وقال آخرُ في صفة طعنةٍ :

وَمُسْتَنَّةٌ كَأَسْتِنَانِ الْخَرُوفِ فِي قَدْ قَطَعَ الْخَبْلَ بِالْمِرْوَدِ^(٤)

والخروفُ هاهنا : إِنَّمَا هُوَ الْفُلُّ الصَّغِيرُ .

(١) سبق تخريجه

(٢) سبق تخريجه

(٣) سبق تخريجه

(٤) البيت من المتقارب ، وهو لرجل من بنى الحارث بن كعب فى لسان العرب

(٦/٩) (خرف) ، وتهذيب اللغة (٣٥٠/٧) ، وتاج العروس (١٢٠/٢٣) (خرف) ، وبلا نسبة فى رصف

المباني ص ١٤٥ وسر صناعة الإعراب (١٣٤/١) ، وشرح المفصل (٢٣/٨) ، ولسان العرب (٩٥/٢)

والمحتسب (٨٨/٢) .

وقوله :

وَأكْرِمْ كَرِيمًا إِن أتاكَ لِحَاجَةٌ لِعَاقِبَةِ إِنِّ الْعِضَاءَ تَرْوَحُ^(١)

يقول : الشجر يُصِيبُهُ النَّدى فِي آخِرِ الصَّيْفِ فَيَنْشَأُ لَهُ وَرَقٌ ، فيقول : لعلك تحتاج إلى هذا الكريم وقد قَدَرَ .
ومثله :

وَلَا تُهَيِّنِ الْكَرِيمَ عَلَيْكَ أَنَّ تَرَكَعَ يَوْمًا وَالذَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ^(٢)

أراد " لَا تُهَيِّنَنَّ : بالنون الخفيفة، فحذفها لالتقاء الساكنين، وهذا الحكم فيها .
ومثل ذلك في المعنى قولُ عبيد بن عَبَّاد بن حبيب بن المهلب :
إِذَا خَلَّةٌ نَابَتْ صَدِيقَكَ فَاغْتَنِمِ مَرَمَّتَهَا فَالذَّهْرُ بِالنَّاسِ قُلُوبُ^(٣)
وَبَادِرْ بِمَعْرُوفٍ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا زَوَالَ اقْتِدَارٍ أَوْ غِنَى عَنْكَ يُعْقِبُ^(٤)
ومثل هذا كثير .

(١) تقدمت الأبيات برقم ٢٥١

(٢) البيت من المنسرح ، وهو للأضبط بن قريع في الأغاني (٦٨/١٨) ، والحماسة الشجرية (٤٧٤/١) وخزانة الأدب (٤٥٢/ ٤٥٠/١١) ، والدرر (١٦٤ / ٢) ، (١٨٣ / ٥) ، وشرح التصريح (٢٠٨/٢) ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١١٥١ ، وشرح شواهد الشافية ص ١٦٠ ، وشرح شواهد المغنى ص ٤٥٣ ، والشعر والشعراء (٣٩٠/١) ، والمعاني الكبير ص ٤٩٥ ، والمقاصد النحوية (٣٣٤/٤) ، وتاج العروس (١٢٢/٢١) (ركع) ، وبلا نسبة في الإنصاف (٢٢١/١) ، وأوضح المسالك (١١١/٤) ، وجواهر الأدب ص ١٤٦، ٥٧ ، ورصف المباني ص ٤٣٧٣، ٢٤٩ ، ٣٧ ، وشرح الأشموني (٥٠٤/٢) ، وشرح شافية ابن الحاجب (٣٢/٢) ، وشرح ابن عقيل ص ٥٥٠ ، وشرح المفصل (٤٣ / ٩) ، (٤٤) ، ولسان العرب (١٨٤/٦) (قنس) ، (١٣٣/٨) (ركع) ، (٤٣٨/١٣) (هون) ، واللمع ص ٢٧٨ ، ومغنى اللبيب (١٥٥/١) ، والمقرب (١٨/٢) ، وهمع الهوامع (١٣٤/١) (٧٩/٢) ، وتاج العروس (هون) .

ورواية البيت ولا تهين الفقير عليك أن

(٣) قلب : صيغة مبالغة على وزن فعل تدل على كثرة قلب الدهر وكثرة صروفه .

(٤) ورواية البيت ولا تهين الفقير عليك أن

وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين - رحمهم الله - : إني لأسأرغُ إلى حاجة عدوي خوفاً من أن أردّه فيستغنيَ عني .

وقال رجلٌ من العرب: ما ردّدتُ رجلاً عن حاجة فولّى عني إلا رأيتُ الغنى في قفاه .

وقال عبدُ الله بنُ العباس بن عبدِ المطلب : ما رأيتُ أحداً أسعفتهُ في حاجةٍ إلا أضاء ما بيني وبينه ، ولا رأيتُ رجلاً ردّدتُه عن حاجةٍ إلا أظلم ما بيني وبينه .
وقال عمرُ بنُ الخطاب - رحمه الله - : مَنْ يَتَسَّ من شيءٍ استغنى عنه .
وقال عبدُ الله بن همام السلولي :

فَأَخْلِفْ وَأَتْلِفْ إِنَّمَا الْمَالُ عَارَةٌ فَكُنْهُ مَعَ الدَّهْرِ الَّذِي هُوَ آكِلَةٌ
فَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ وَأَيْسَرُ هَالِكٍ عَلَى الْحَيِّ مِنْ لَا يَبْلُغُ الْحَيَّ نَائِلَةٌ^(١)
" عارة " أي : مُعارٌ ، ووزنه " فَعَلَةٌ " .

* * *

وقال أحدُ المُحدّثين - وليس من هذا الباب ولكنّا ذكرناه في الإعرارة :
أَعَارَكَ مَالُهُ لِيَقُومَ فِيهِ بَطَاعَتِهِ وَتَعْرِفَ فَضْلَ حَقِّهِ
فَلَمْ تَشْكُرْهُ نِعْمَتَهُ وَلَكِنْ قَوِيَتْ عَلَى مَعَاصِيهِ بَرَزِقِهِ
تُجَاهِرُهُ بِهَا عَوْدًا وَبَدَاءً وَتَسْتَخْفِي بِهَا مِنْ شَرِّ خَلْقِهِ^(٢)
وقال جرير :

وإني لأستحيي أخى أن أرى له على من الحقّ الذي لا يرى ليا^(٣)

(١) البيتان من الطويل وهما لابن مقبل في ديوانه ص ٢٤٣ ، ولسان العرب (٦١٩/٤) (عور)
(٨٨/٩) (خلف) ، وتاج العروس (١٦٣/١٣) (عور) ، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١٢٥١ ،
وأساس البلاغة (تلف) ، ومجمل اللغة (٤٢١/٣) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة في لسان العرب (٢١٨/١٤)

هذا بيتٌ يحمله قومٌ على خلافٍ معناه ، وإنما تأويله : إني لأستحيي أخي أن يكون له عليّ فضلٌ ولا يكون لي عليه فضلٌ وميَّني إليه مكافأةً ، فأستحيي أن أرى له عليّ حقًّا لمَّا فعلَ إليّ ، ولا أفعلَ إليه ما يكون لي به عليه حقٌّ ، وهذا من مذاهب الكِرَام ، وممَّا تأخذُ به أنفسُها .

فأمَّا قولُ عائِدِ الكَلْبِ الزُّبَيْرِيّ لعَبْدِ اللهِ بنِ حَسَنَ بنِ حَسَنَ :
لَهُ حَقٌّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ وَمَهُمَا قَالَ فَالْحَسَنُ الْجَمِيلُ
وقد كان الرسولُ يرى حقوقًا عليه لغيره وهو الرسولُ^(١)

فإنَّه ذَكَرَهُ بِقَلَّةِ الإِنصَافِ ، فقال : يرى له حقًّا على الناس ، ولا يرى لهم عليه حقًّا ، من أجلِ نَسَبِهِ بالرسولِ ﷺ ، ويُنَّ ذلك بقوله :
وقد كان الرسولُ يرى حقوقًا عليه لغيره وهو الرسولُ

فالذي يَفْتَحِرُ به عبدُ اللهِ يرى للناسِ عليه حقًّا ، فالمُفْتَحِرُ به أَجْدَرُ .

وقد قيل لعليّ بن الحسين ، وكان بيِّنَ الفضل - رحمه الله - : ما بالك إذا سافرتَ كَتَمْتَ نَسَبَكَ أَهْلَ الرُّفْقَةِ ؟ فقال : أَكْرَهُ أَنْ أَخَذَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لَا أُعْطِي مِثْلَهُ .
وإنما يعزِّي هذا البابُ - مِنَ الظُّلْمِ وَقَلَّةِ الإِنصَافِ لِلنَّاسِ وَالبُعْدِ مِنَ الرُّقَّةِ عَلَيْهِم -
الْجَهْلَةُ مِنَ أَهْلِ هَذَا النَّسَبِ ، وَاللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ فَإِذَا كَانَ هُوَ - ﷺ - يَخَافُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ فَكَيْفَ يَأْمُنُهَا غَيْرُهُ ؟ !

* * *

(١) البیتان له فی الأغانی ٢٤١/٢٤ ، وسمط الآلى ٥٧٠

وأما قول جرير لهشام بن عبد الملك فهو المدح الصحيح على خلاف هذا المعنى ،

قال :

وَأَنْتَ إِذَا نَظَرْتُ إِلَى هِشَامٍ عَرَفْتَ نِجَارَ مُتَجَبٍّ^(١) كَرِيمٍ
وَلِيَّ الْحَقِّ حِينَ يَوْمٌ حَجًّا صُفُوفًا بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحَاطِمِ
يَرَى لِلْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ حَقًّا كِفْعَلِ الْوَالِدِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ
إِذَا بَغِضَ السُّنَيْنَ تَعَرَّفْتَنَا كَفَى الْأَيْتَامَ فَقَدْ أَبِي الْيَتِيمِ^(٢)

وفي هذا الشعر :

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ إِذَا اغْوَجَ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمٍ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ جَمَعْتَ دِينًا وَحَلَمًا فَاضِلًا لَذَوِي الْحُلُومِ
لَكَ الْمُتَخَيَّرَانِ أَبَا وَخَالًا فَأَكْرَمَ بِالْحُورِ وَلَةِ وَالْعُمُومِ
فَيَا بَنَ الْمُطْعَمِينَ إِذَا شَتَوْنَا وَيَا بَنَ الذَّائِدِينَ عَنِ الْحَرِيمِ
سَمَا بِكَ خَالِدٌ وَبَنُو هِشَامٍ إِلَى الْعَلْيَاءِ فِي الْحَسَبِ الْجَسِيمِ
وَتَنَزَّلُ مِنْ أُمَيَّةَ حَيْثُ تَلْقَى شُرُوءُ الرَّأْسِ مُجْتَمَعِ الصِّيمِ
تَوَاصَتْ مِنْ تَكْرُمِهَا قُرَيْشٌ بِرَدِّ الْخَيْلِ دَامِيَةِ الْكُلُومِ
فَمَا الْأُمُّ الَّتِي وَلَدَتْ قَرِيشًا بِمُقْرِفَةِ النَّجَارِ^(٣) وَلَا عَقِيمِ
وَمَا فَحَلَّ بِأَنْجَبَ مِنْ أَيْكُكُمْ وَلَا خَالَ بِأَكْرَمَ مِنْ تَمِيمِ
سَمَا أَوْلَادُ بَرَّةَ بِنْتِ مُرٍّ إِلَى الْعَلْيَاءِ فِي الْحَسَبِ الْعَظِيمِ
لَكَ الْغُرُّ السَّوَابِقُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَدْ عُرِفَ الْأَغْرُ مِنَ الْبَهِيمِ^(٤)

(١) في بعض النسخ : (منخب) بالخاء المعجمة الفوقية .

(٢) الأبيات من الوافر في ديوانه ص ٣٨٢ وفي روايته بعض الاختلاف

(٣) النجار هو الأصل والإقراء المقصود به مدانة مايشين النسب . رغبة الأمل (٧٩/٥) .

(٤) الأبيات من الوافر في ديوانه ص ٣٨٢ وفي روايته بعض الاختلاف

قوله " حين يَوْمٌ حَجًّا " فيكون " الحجُّ " جمع " حاجٌ " كما يقال " تاجرٌ وتَجَرٌ ،
وراكبٌ ورَكَبٌ " قال العجاج :

بِوَاسِطِ أَكْثَرَمَ دَارٍ دَارَا وَاللّٰهُ سَمَّى نَصْرَكَ الْأَنْصَارَا^(١)

فأخرجَه على " ناصرٍ ونَصْرٍ " . قال : ويجوز أن يكون " حَجٌّ " : أصحاب حَجٍّ ،
كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾^(٢) يريد : أهلها .

وقوله : كفعلِ الوالدِ الرَّؤُفِ الرَّحِيمِ

يقال " رَؤُفٌ " على " فَعْلٍ " مثل " يَقْظُ وَحَذِرٌ " و " رَؤُوفٌ " على وزن "
ضُرُوبٍ " . وقال الأنصاري :

نُطِيعُ نَبِينَا وَنُطِيعُ رَبَّنَا هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رَؤُوفَا^(٣)

وقد قرئ : ﴿ وَاللّٰهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ و " رَؤُوفٌ " أكثر ، وإنما هو من الرَّأْفَةِ ،
وهي أشدُّ الرَّحْمَةِ ، ويقالُ " رَأْفَةٌ " وقرئ : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللّٰهِ ﴾
على وزن الصَّرَامَةِ والسَّفَاهَةِ .

وقوله : إذا بعضُ السَّنِينِ تَعَرَّقْنَا

يُفَسِّرُ على وجهين : أحدهما : أن يكونَ ذهبَ إلى أنَّ بعضَ السَّنِينِ يُؤْنَثُ لأنه
سنةٌ وسنُون ، كما قال الأعشى :

(١) ديوانه ق ٦٥/٣٤ ، ج ٦٧ ، ١٠٧/٢ وسيأتيان .

(٢) سورة يوسف : ٨٢

وبهامش نسخة مانصه : قبله : إذقدر المقدر الأقدار

ونصب " أكرم دار " على الحال ، والعامل فيه مقدر " .

(٣) البيت من الوافر ، وهو لكعب بن مالك في ديوانه ص ٢٣٦ ، ولسان العرب (١١٢/٩) (رأف)

وتاج العروس (٣٢٢/٢٣) (رأف) ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (٤٧١/٢) .

وَتَشْرِقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذَعَتْهُ كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِّ^(١)

لأنَّ صدرَ القناة قنّاةً ، ومن كلام العرب : ذَهَبَتْ بَعْضُ أَصَابِعِهِ ؛ لأنَّ بَعْضَ الأصابعِ إصْبَعٌ ، فهذا قولٌ .

والأجودُ : أن يكونَ الخبرُ في المعنى عن المضاف إليه ، فأقْحَمَ المضافَ توكيداً ؛ لأنه غيرُ خَارِجٍ من المعنى ، وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ إنما المعنى: فَظَلُّوا لَهَا خَاضِعِينَ ، والخضوعُ بَيْنٌ في الأعناقِ ، فأخْبَرَ عنهم ، فأقْحَمَ الأعناقَ توكيداً ، وكان أبو زيدٍ الأنصاريُّ يقولُ : أَعْنَاقُهُمْ : جماعاتُهُمْ ، تقولُ : أتاني عُقٌّ من النَّاسِ ، والأوَّلُ قولُ عامَّةِ النحويين .

وقال جرير :

لَمَّا أَتَى خَبْرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعْتَ سُورَ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالِ الْخُشْعِ^(٢)

وقال أيضاً :

رَأَتْ مَرَّ السَّنِينِ أَخَذَنْ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ مِنَ الْهِلَالِ^(٣)

(١) البيت من الطويل وهو للأعشى في ديوانه ص ١٧٣ ، والأزهية ص ٢٣٨ ، والأشباه والنظائر (٢٥٥/٥) ، وخزانة الأدب (١٠٦/٥) ، والدرر (١٩/٥) وشرح أبيات سيبويه (٥٤/١) ، والكتاب (٥٢/١) ، ولسان العرب (٤٤٦/٤) (صدر) ، (١٧٨/١٠) (شرق) ، والمقاصد النحوية (٣٧٨/٣) ، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر (١٠٥/٢) ، والخصائص (٤١٧/٢) ، ومغنى اللبيب (٥١٣/٢) ، والمقاصد (١٩٧/٤) ، (١٩٩) ، وجمع الموامع (٤٩ / ٢) .

(٢) البيت من الكامل ، وهو لجرير في ديوانه ص ٩١٣ ، والأشباه والنظائر (١٠٥/٢) ، (٢٢٥، ٢٢٠) ، وجمهرة اللغة ص ٧٢٣ وخزانة الأدب (٢١٨/٤) ، وشرح أبيات سيبويه (٥٧/١) ، ولسان العرب (١٣٧/٢) (حرث) ، (٣٨٥ / ٤) (سود) (٦/١٠) (أفق) ، وجرير أو للفرزدق في سمط اللآلئ ص ٩٢٢، ٣٧٩ ، وليس في ديوان الفرزدق ، وبلا نسبة في الخصائص (٤١٨/٢) ، ورصف المباني ص ١٦٩ ، والصاحي في فقه اللغة ص ٢٦٧ ، والمقتضب (١٩٧ / ٤) .

(٣) البيت من الوافر ، وهو لجرير في ديوانه ص ٥٤٦ ، والبرر (١٣٥/١) ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة (١٥٣/١) ، والمختص (١٠٣/١٧) ، ولسان العرب (٧٣/٨) (خضع) ، والمقتضب (٢٠٠/٤) .

وقال ذو الرُّمَّة :
مَشِينٌ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسْفَهُتْ

أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيحِ النَّوَاسِمِ^(١)
ومثلُ هذا كثيرٌ .

وعلى مثلِ هذا القول الثاني تقول : " يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِي " لأنك أردت " يا تَيْمَ عَدِي " وأَقَحَمْتَ الآخرَ توكيداً ، وكذلك " لا أَبَالِكَ " لأنَّ الألف لا تُثْبِتُ في " الأب " في النصب إلَّا في الإضافة ، أو بدلاً من التنوين ، فإنما أراد " لا أَبَاكَ " ثم أَقَحَمَ اللَّامَ توكيداً للإضافة ، وأنشدني المازني :

وقد ماتَ شَمَّاخٌ وماتَ مُزَرَّدٌ وأيُّ كَرِيمٍ لا أَبَاكَ يُخَلِّدُ^(٢)
وقال آخر :

أَبِالْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْي مُلَاقٍ لَا أَبَاكَ تُخَوِّفِينِي؟^(٣)

(١) البيت من الطويل ، وهو لذى الرمة فى ديوانه ص ٧٥٤ ، وخزانة الأدب (٢٢٥/٤) ، وشرح أبيات سيبويه (٥٨/١) ، والكتاب (٦٥،٥٢/١) ، والمحتسب (٢٣٧/١) والمقاصد النحوية (٣٦٧/٣) ، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر (٢٣٩/٥) ، والخصائص (٤١٧/٢) ، وشرح الأشموني (٣١٠/٢) ، وشرح ابن عقيل ص ٣٨٠ ، وشرح عمدة الحفاظ ص ٨٣٨ ، ولسان العرب (٢٨٨/٣) (عرر) ، ط (٤٤٦/٤) (صدر) ، (٥٣٦/١١) (قبل) ، (٤٩٩/١٣) (سفه) ، والمقتضب (١٩٧/٤)

(٢) البيت من الطويل وهو لمسكين الدارمي فى ديوانه ص ٣١ ، والكتاب (٢٧٩/٢) ، وبلا نسبة فى جواهر الأدب ص ٢٤٢ ، وشرح المفصل (١٥٠/٢) ، كتاب اللامات ص ١٠٣ ، ولسان العرب (١٢/١٤) (أبى) ، والمقتضب (٣٧٥/٤)

(٣) البيت من الوافر ، وهو لأبى حية النميرى فى ديوانه ص ١٧٧ ، وخزانة الأدب (١٠٧،١٠٥،١٠٠/٤) ، والدرر (٢١٩/٢) وشرح شواهد الإيضاح ص ٣١١ ، ولسان العرب (٢١٠/١١) (جعل) ، (١٢/١٤) (أبى) ، (١٦٣/١٥) (فلا) ، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر (١٣٢/٣) ، والخصائص (٣٤٥/١) ، وشرح التصريح (٢٦/٢) ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ص ٥٠١ ، وشرح شنور الذهب ص ٤٢٤ وشرح المفصل (١٠٥/٢) ، واللامات ص ١٠٣ ، والمقتضب (٣٧٥/٤) ، والمقرب (١٩٧/١) ، والمقتضب (٣٣٧/٢) ، وجمع الهوامع (٣٣٧/١) .

وقوله : " على صراطٍ " فالصراطُ : المنهاجُ الواضحُ ، وكذلك قالت العلماء في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

وقوله : " سَمَا بِكَ خَالِدٌ " يريدُ : خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ابْنِ مَخْزُومٍ بْنِ يَقْظَةَ بْنِ مَرَّةٍ بْنِ كَعْبٍ ، لأنَّ أُمَّ هِشَامٍ بِنْتُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ ، وكان هِشَامُ بْنُ الْمَغِيرَةِ أَجَلَ قُرَشِيٍّ حِلْمًا وَجُودًا ، وكانت قريشُ تُورِّخُ بمرته ، كما كانت تُورِّخُ بعام الفيلِ وبمُلكِ فلانٍ ، قال الشاعر :

زَمَانَ تَنَاعَى النَّاسُ مَوْتَ هِشَامِ

ومن أجله يقول القائلُ :

فَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقَشَّعِرًا كَأَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامٌ^(١)

يقول : هُوَ وَإِنْ كَانَ مَاتَ فَهُوَ مَدْفُونٌ فِي الْأَرْضِ ، فقد كانَ يَجِبُ مِنْ أَجْلِهِ أَلَّا

يَنَالَهَا جَذَبٌ . وقال الآخر :

ذَرِينِي أَصْطَبِحْ يَا سَلَمَ إِنِّي رَأَيْتُ الْمَوْتَ نَقَبَ عَنْ هِشَامٍ^(٢)
قوله : " نَقَبَ " أي طَوَّفَ حَتَّى أَصَابَ هِشَامًا ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَتَقَبَّلُوا

فِي الْبِلَادِ ﴾ أي طَوَّفُوا ، ومثله قولُ امرئ القيس :

وَقَدْ نَقَبْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ^(٣)

(١) البيت من الوافر ، وهو للحارث بن خالد في ديوانه ص ٩٣ ، والاشتقاق ص ١٠١ ، ١٤٧ ، وبلا نسبة في الجني الداني ص ٥٧١ ، وجواهر الأدب ص ٩٣ ، والدرر (١٦٣/٢) ، وشرح التصريح (٢١٢/١) ، وشرح شواهد المغني (٥١٥/٢) ، ولسان العرب (٤٦١/١٢) (قتم) ، ومغنى اللبيب (١٩٢/١) ، وجمع الهوامع (١٣٣/١) .

(٢) البيت من الوافر ، وهو لأبي بكر بن الأسود الليثي في لسان العرب (٧٣/١٢) (تهم) ، وتاج العروس (تهم) وفي روايته (يا بكر) بدلا من (يا سلم) .

(٣) البيت من الوافر ، وهو له في ديوانه ص ٤٣ ، ولسان العرب (٧٦٩/١) (نقب) ، وجهرة الأمثال (٤٨٤/١) ، والعقد الفريد (١٢٦/٣) ، والفاخر ص ٢٦٠ ، وكتاب الأمثال ص ٢٤٩ ، وكتاب الأمثال لمجهول ص ٦٥ ، والمستقصى (١٠٠/٢) ، وجمع الأمثال (٢٩٥/١) ، وتهذيب اللغة (١٩٧/٩) ، وتاج العروس (٣٠٠/٤) (نقب) .

وفي روايته (السلامة) بدلا من (الغنيمة) .

فأما التأريخُ الذي يُورِّخُ به اليومَ فأوَّلُ مَنْ فعله في الإسلام عمرُ بنُ الخطَّابِ رحمه الله . حيثُ دَوَّنَ الدَّوَاوِينَ ، فقيل له : لو أرَّختَ - يا أميرَ المؤمنين - لكنتَ تَعْرِفُ الأمورَ في أوقَاتِها . فقال : وما التَّأريخُ ؟ فأعْلِمَ ما كانتِ العِجْمُ تفعلهُ ، فقال : أرَّحُوا ، فقالوا : مُذْ أيَّ سَنَةٍ ؟ فَاجْتَمَعُوا على سَنَةِ الهِجْرَةِ ؛ لأنَّه الوقتُ الذي حَكَمَ فيه رسولُ الله ﷺ على غيرِ تَقِيَّةٍ ، ثم قالوا : في أيِّ شهرٍ ؟ فقالوا : نَسْتَقْبِلُ بالناسِ أمورَهُم في شهرِ المُحَرَّمِ إذا انقَضَى حَجُّهُمُ ، وكانت هِجْرَةُ رسولِ الله ﷺ في شهرِ ربيعِ الآخرِ ، فَقَدَّمَ التَّأريخُ على الهِجْرَةِ هذه الأشْهُرَ ^(١) ، وجاءَ في تَصْحيحِ هذا الوقتِ - أعني المُحَرَّمِ - ما رُوِيَ لنا عن ابنِ عباسٍ رحمه الله ، فإنه قال في قولِ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ قال : أَقْسَمَ بِفَجْرِ السَّنَةِ ، وهو المُحَرَّمُ ^(٢) .

وقوله : فما الأمُّ التي وَلَدَتْ قريشاً

(١) قال الحافظُ في "الفتح" (٣١٥ / ٧) ط الريان : "أخرج أبو نعيم الفضل بن دكين في تاريخه ، ومن طريقه الحاكم ، من طريق الشعبي أن أبا موسى كتب إلى عمر : إنه يأتيئامنك كتب ليس لها تاريخ . فجمع عمر الناس ، فقال بعضهم : أرخ بالمبعث ، وبعضهم : أرخ بالهجرة فقال عمر : الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها ، وذلك سنة ١٧ ، فلما اتفقوا قال بعضهم : ابدعوا برمضان ، فقال عمر : بل بالمحرم فإنه منصرف الناس من حجهم ، فاتفقوا عليه "ثم نقل آثاراً" أخر وقال : " فاستفدنا من مجموع هذه الآثار أن الذي . أشار بالمحرم عمر وعثمان وعلى " أفدته من تعليق الشيخ أحمد شاكر على الكامل ٤٨٨ بتحقيقه .

(٢) الرواية المشهورة عنه أن الفجر هو الصبح وهو قول على رضي الله عنه ومجاهد ، والسدى . وفي رواية عن ابن عباس أن الفجر النهار كله . وما رواه الميرد عنه هو رواية عنه أيضاً ، انظر تفسير القرطبي (٧١٢٨ / ١٠)

ورواية ابن عباس هذه التي أوردتها المصنف ذكرها الحافظ السيوطي في " الدر المنثور " وعزاها إلى سعيد بن منصور والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر ، والرواية الصحيحة عنه التي اقتصر عليها الطبري وابن كثير أن الفجر هو فجر النهار ، وانظر الدر المنثور ٥٧٧/٦ ، ٥٧٨ .

يعني برة بنت مر كانت أم النضر بن كنانة ، وهو أبو قریش ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي ، وتيمم بن مر حاله .

وكان يقال : من عرف حق أخيه دام له إخواؤه ، ومن تكبر على الناس ورجا أن يكون له صديق فقد غر نفسه .

وقيل : ليس للجوج تدبير ، ولا لسيء الخلق عيش ، ولا لمتكبر صديق .

وقيل : من بسط بالخير لسانه أنبسطت في القلوب محبته ، والمينة تفسد الصنيعة .

ويروى أن شاعراً أتى أبا البختري وهب بن وهب ، وكان من أجود الناس ، وكان إذا سمع مدح المادح ضحك وسرى السرور في جوانحه ، وأعطى وزاد ، فأتاه هذا الشاعر فأنشده :

لِكُلِّ أَخِي فَضْلٌ نَصِيبٌ مِنَ الْعَلَا وَرَأْسُ الْعَلَا طُرّاً عَقِيدُ النَّدى وَهَبُ
وما ضرَّ وهباً قولٌ مَنْ غَمِطَ الْعَلَا كما لَا يَضُرُّ الْبَذْرُ يَنْبَحُهُ الْكَلْبُ

فثنى له الوسادة ، وهش له ورقده ، وحمله وأضافه ، فلما أن أراد الرجل الرحلة لم يخدمه أحد من غلمان أبي البختري ، ولا عقد له ولا حلّ معه ! فأنكر ذلك مع جميل ما فعل به وأنه قد تجاوز به أمله ، فعاتب بعضهم ، فقال له الغلام : إنا إنما نعين النازل على الإقامة ، ولا نعين الراحل على الفراق ؛ فبلغ هذا الكلام جليلاً من القرشيين ، فقال : والله لفعل هؤلاء العبيد على هذا القصْد أحسن من رفد سيدهم !

* * *

باب

قال أبو العباس : قال عبدُ الملك بن مروان يوماً لجلسائه - وكان يَحْتَنِبُ غيرَ الأدبَاءِ - : " أيُّ المَنَادِيلِ أفضلُ ؟ فقال قائلٌ منهم : مناديلُ مِصْرَ ، كأنَّها غِرْقِيُّ البَيْضِ ، وقال آخرُ : مناديلُ اليمنِ ، كأنَّها أنوارُ الرِّبيعِ ، فقال عبدُ الملك : ما صَنَعْتُمَا شيئاً ، أفضلُ المناديلِ ما قال أخو تميم - يعني عَبْدَةَ بن الطَّيِّبِ :

لَمَّا نَزَلْنَا نَصَبْنَا ظِلَّ أَخِيَّةٍ وَفَارَ لِلْقَوْمِ بِاللَّحْمِ الْمَرَاجِيلُ
وَرَدَّ وَأَشْقَرُ مَا يُؤْنِيهِ طَابِخُهُ مَا غَيْرَ الْغَلِيِّ مِنْهُ فَهُوَ مَا أُكُولُ
تُمَّتْ قُمْنَا إِلَى جُرْدٍ مُسَوِّمَةٍ أَغْرَافُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلُ^(١)
قوله " غرقىءُ البيض " يعني القشرة الرقيقة التي تَرَكَبُ البيضةَ دونَ قشرِها الأعلى ، وقشرِها الأعلى يقال له : " القَبِضُ " .

وقوله : " المَرَاجِيلُ " إنما حُدِّه " المَرَاجِلُ " ولكن لما كانت الكسرة لازمةً أشَبَعَهَا للضرورة ، كما قال :

نفى الدراهم تنقاد الصياريف^(٢)

وقد مرَّ تفسيراً هذا :

وقوله : وَرَدَّ وَأَشْقَرُ مَا يُؤْنِيهِ طَابِخُهُ

يقولُ : ما تَغَيَّرَ من اللحم قبل نُضْجِهِ .

وقوله " ما يُؤْنِيهِ طَابِخُهُ " يقول : ما يُؤَخِّرُهُ ؛ لأنه لو أَنَاهُ لَأَنْضَجَهُ ، لأن معنى " أَنَاهُ " بَلَغَ به إناءه أي إدراكه ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاطِرِينَ إِنَاءَهُ ﴾ وتقول " أَنَّى يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ " ، " وَأَنَّ يَتَّبِعُوا مِثْلَهُ " . وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ ﴾ أي : قد بَلَغَ إِنَاءَهُ .

(١) الأبيات من البسيط ، له في ديوانه ص ٧٣ ، وبلا نسبة في الإنصاف (٢٩/١) ، (١٠٦) .

(٢) البيت للفرزدق بتمامه وقد تقدم

وقوله : ما غَيْرَ الْغَلِيِّ مِنْهُ فَهُوَ مَا كَوَّلُ

يقول : نحنُ أصحابُ صَيِّدٍ ، وهذا من فعلهم .

وقوله : " مُسَوِّمَةٌ " تكونُ على ضَرِيئَيْنِ : أحدهما : أن تكونَ مُعَلِّمَةٌ ، والثاني :

أن تكونَ قد أُسِيِمَتْ في المَرَعَى ، وهي هاهنا مُعَلِّمَةٌ ، وقد مَضَى هذا التفسير .

وإنما أَخَذَ ما في هذه الأبيات من بيتِ امرئِ القيسِ ، فإنه جَمَعَ ما في هذه

الأبيات في بيتٍ واحدٍ ، مع فضلِ التقدُّمِ :

نَمْشُ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنَا إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءِ مُضْهَبٍ^(١)

وهو الذي لم يُدْرِكْ ، و " نَمْشُ " نَمْسَحُ ، ويقال للمُنْدِيلِ " المَشْوشُ " وكانت

العربُ تَأَلَّفُ الطَّيِّبَ ، وَتَطْرَحُ ذلك في حالتين : في الحرب والصَّيْدِ ، قال النابغةُ :

سَهْكِينَ مِنْ صَدَأِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ تَحْتَ السَّنَوْرِ جِنَّةُ الْبَقَارِ^(٢)

وقال آخر :

وَأَسْيَافُكُمْ مِنْكُمْ مَحَلُّ أَكْفَكُمْ عَلَى أَنَّهَا رِيحُ الدِّمَاءِ تَضُوعُ^(٣)

معنى " تَضُوعُ " : تَفُوحُ .

* * *

(١) البيت من الطويل ، وهو له في ديوانه ص ٥١ ، ولسان العرب (٥٥٢/١) (ضهب) ، (١٨٩/٢) (مثن) ، (٣٤٧/٦) (مشش) ، مقاييس اللغة (٣/ ٣٧٤٩) ، والتنبية والإيضاح (٢/ ٣٢٥) ، وكتاب العين (٢٢٥/٦) ، (٢١٧/٨) ، وجمهرة اللغة ص ١٤٠ ، ٣٥٦ ، وتاج العروس (٢٥٧/٣) (ضهب) ، (٣٥٥/٥) ، (مثن) (٣٨٤ / ١٧) (مشمس) ، (١٤٠/٢٣) (عرف) ، وبلا نسبة في جمل اللغة (٢٩٢/٣) .

(٢) البيت من الكامل وهو في ديوانه ص ٥٦ ، ولسان العرب (٤٤٥/١٠) (سهك) ، وتهذيب اللغة (٨/٦) (٨/١٢) ، وجمهرة اللغة ص ١١٨٩ ، ١٣٣٢ ، ومقاييس اللغة (١٨/١) ، (١١٠/٣) ، وكتاب العين (٣٧٣/٣) ، وجمل اللغة (٢٨٣ / ١) ، وأساس البلاغة (سنر) ، وتاج العروس (سهك) وبلا نسبة في لسان العرب (٣٨١/٤) (سنر) ، والمخصص (٢٠٧/١١) ، وتاج العروس (٩٤/١٢) (سنر) .

(٣) البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة في جمل اللغة (٢٩٤/٣)

وروي عن ابنة هاني بن قبيصة أنه لما قُتِلَ عنها لقيط بن زُرارة بن عُدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة فتزوجها رجل من أهلها ، فكان لا يزال يراها تذكر لقيطاً ، فقال لها ذات مرة : ما استحسنت من لقيط ؟ فقالت : كلُّ أموره كانت حسنة ، ولكنني أحدثك : أنه خرج مرة إلى الصيد وقد انتشى ، فرجع وبقميصه نضح من دم صيده ، والمسلك يضوع من أعطافه ، ورائحة الشراب من فيه ، فضمتني ضمة ، وشممتي شمة ، فليتني كنت ميتة ! قال : ففعل زوجها مثل ذلك ، ثم ضمتها إليه ، وقال : أين أنا من لقيط ؟ فقالت : ماء ولا كصداء^(١) - مثل " حمراء " ووزنها " فعلاء " وموضع اللام همزة ؛ وهي بئر مقدمة واسمها ما ذكرنا عن الأصمعي وأبي عبيدة ، وكذلك سمعنا العرب تقول ، ومن ثقل فقد أخطأ ، ومثل ذلك : رجل ولا كمالك - يعنون مالك بن نويرة ومرعى ولا كالسعدان .

* * *

وحدثني علي بن عبد الله عن ابن عائشة قال : كان ذو الإصبع العدواني رجلاً غيوراً ، وكانت له بنات أربع ، وكان لا يزوجهنَّ غيره ، فاستمع عليهنَّ يوماً ، وقد حلون يتحدثن ، فقالت قائلة منهن : لتقل كل واحدة منكن ما في نفسها ، ولنصدق جميعاً ، قال : فقالت كبراهن :

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى حديث الشباب طيب النشر والذكر
لصوق بأكباد النساء كأنه خليفة جان لا يقيم على هجر

فقلن لها : أنت تريدين غنياً شاباً . قال : وقالت الثانية :

ألا ليت يغطي الجمال بدية^(٢) له جفنة تشقى بها النيب والجزر

(١) سبق المثل وتخريجه .

(٢) في بعض النسخ : بدية

أَلَا لَيْتَهُ يُعْطَى الْجَمَالَ بَدِيئَةً^(١) لَهُ جَفَنَةٌ تَشْقَى بِهَا النَّيْبُ وَالْجُزُرُ
لَهُ حَكَمَاتُ الدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كِبَرَةٍ تَشِينُ فَلَا فَانَ وَلَا ضَرَعَ غُمُرُ

فَقُلْنَ لَهَا : أَنْتِ تُرِيدِينَ سَيِّدًا ! فَقَالَتِ الثَّالِثَةُ :

أَلَا هَلْ تَرَاهَا مَرَّةً وَحَلِيلُهَا أَشْمُ كَنْصَلِ السَّيْفِ عَيْنِ الْمَهْنَدِ
عَلِيمًا بِأَذْوَاءِ النِّسَاءِ وَرَهْطُهُ إِذَا مَا انْتَمَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَمَخِيدِي

فَقُلْنَ لَهَا : أَنْتِ تُرِيدِينَ ابْنَ عَمٍّ لَكَ ، فَقَدْ عَرَفْتِهِ ! وَقُلْنَ لِلصَّغْرَى : مَا تَقُولِينَ ؟
فَقَالَتْ : لَا أَقُولُ شَيْئًا ، فَقُلْنَ : لَا نَدْعُكَ وَذَلِكَ ، إِنَّكَ اظْلَعْتَ عَلَى أَسْرَارِنَا وَتَكْتُمِينَ
سِرَّكِ ! فَقَالَتْ : زَوْجٌ مِنْ عُودٍ ، خَيْرٌ مِنْ قُعودٍ !!

قال : فُحْطِئِينَ فَرُوجَهُنَّ جُمَعَ ، ثُمَّ أَمْهَلَهُنَّ حَوْلًا ، ثُمَّ زَارَ الْكُبْرَى ، فَقَالَ لَهَا :
كَيْفَ رَأَيْتِ زَوْجَكَ ؟ قَالَتْ : خَيْرُ زَوْجٍ ، يُكْرِمُ أَهْلَهُ ، وَيَنْسَى فَضْلَهُ ، قَالَ لَهَا : فَمَا
مَالُكُمْ ؟ قَالَتْ : الْإِبِلُ ، قَالَ : وَمَاهِي ؟ قَالَتْ : نَأْكُلُ لُحْمَانَهَا مُزْعًا ، وَنَشْرَبُ أَلْبَانَهَا
جُرْعًا ، وَتَحْمِلُنَا وَضَعْفَتَنَا مَعًا ، فَقَالَ لَهَا : زَوْجٌ كَرِيمٌ ، وَمَالٌ عَمِيمٌ ، ثُمَّ زَارَ الثَّانِيَةَ ،
فَلَقَالَ لَهَا : كَيْفَ رَأَيْتِ زَوْجَكَ ؟ قَالَتْ : يُكْرِمُ الْحَلِيلَةَ ، وَيُقَرِّبُ الرِّسِيلَةَ ، قَالَ : فَمَا
مَالُكُمْ ؟ قَالَتْ : الْبَقَرُ ، قَالَ : وَمَاهِي ؟ قَالَتْ : تَأَلَّفُ الْفَنَاءَ ، وَتَمْلَأُ الْإِنَاءَ ، وَتُودِّكُ
السَّقَاءَ ، وَنِسَاءٌ مَعَ نِسَاءٍ ، قَالَ لَهَا : رَضِيَتْ وَحَظِيَتْ . ثُمَّ زَارَ الثَّالِثَةَ ، فَقَالَ لَهَا : كَيْفَ
رَأَيْتِ زَوْجَكَ ؟ فَقَالَتْ : لَا سَمَحَ بَذِيرٌ وَلَا بَخِيلٌ حَكِيرٌ ، قَالَ : فَمَا مَالُكُمْ ؟ قَالَتْ :
الْمِعْزَى ، قَالَ : وَمَاهِي ؟ قَالَتْ : لَوْ كُنَّا نُؤَلِّدُهَا فُطْمًا ، وَنَسْلَخُهَا أَدْمًا ، لَمْ نَبْغِ بِهَا
نَعْمًا ، فَقَالَ لَهَا : جِذَوْ مُغْنِيَّةً . ثُمَّ زَارَ الرَّابِعَةَ ، فَقَالَ لَهَا : كَيْفَ رَأَيْتِ زَوْجَكَ ؟ فَقَالَتْ :
شَرُّ زَوْجٍ ، يُكْرِمُ نَفْسَهُ ، وَيُهِينُ عِرْسَهُ ، قَالَ لَهَا : فَمَا مَالُكُمْ ؟ قَالَتْ : شَرُّ مَالٍ : الضَّأْنُ
! قَالَ لَهَا : وَمَا هُنَّ ؟ قَالَتْ : جُوفٌ لَا يَشْبَعْنَ ، وَهَيْمٌ لَا يَنْقَعْنَ ، وَصُمَّ لَا يَسْمَعْنَ ، وَأَمْرٌ
مُغْوِيَتُهُنَّ يَتَبَعْنَ ، فَقَالَ : " أَشَبَّهُ أَمْرُؤُ بَعْضُ بَزِهِ " فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا .

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ : بَدِيئَةٌ

قال علي بن عبد الله : قلت لابن عائشة : ما قولها : " وأمر مغويتهم يتبعن " ؟
فقال : أما تراهن يمررن فتسقط الواحدة منهن في ماءٍ أو وحلٍ أو ما أشبه ذلك فيتبعنها
إليه ! .

قول الثانية : له جفنة تشقى بها النيب والجزر

فالنيب : جمع نابٍ ، وهي المسنة ، وإنما قيل لها " ناب " لطول نابها ؛ قال
أوس بن حجر :

تُسَبَّهُ نَابًا وَهِيَ فِي السِّنِّ بَكْرَةٌ^(١)

وتقدير " نيب " من الفعل " فَعَلَ " ، ولكن ما كان من ذوات الياء كُسِرَ له
موضع الفاء من الفعل لِتَصِحَّ الياء ؛ لأن الياء إذا سَكَتَتْ وانضَمَّ ما قبلها كانت واوًا في
الأصل ، نحو : " مؤقِن ومُوسِر " ، وإن فارقتْها الضمة عادتْ إلى أصلها ، نحو : "
مَيَاسِير " ، ومثل ذلك : " أبيضٌ وبِيضٌ " ، وإنما " بِيضٌ " " فَعَلَ " كـ " أَحْمَرٌ وَحُمْرٌ "
و " أَصْفَرٌ وَصُفْرٌ " ، ولكن كُسِرَتِ النونُ لتصحَّ الياء ، ولو كانت واوًا في الأصل لم تُغَيَّرْ ،
نحو " أَسْوَدَ وَسُودٌ " . وقوله " نابٌ " تقديرها " فَعَلَ " متحركة العين ، ولا تنقلبُ الياءُ
ولا الواوُ ألفًا إلَّا وهما في موضع حركةٍ وما قبلهما مفتوحٌ ، نحو : " بَاعَ وَقَالَ وَرَمَى
وَعَزَا " ؛ لأن التقدير " فَعَلَ " ، ولو كان على " فَعَلَ " لَصَحَّتْ الياءُ والواوُ ، كما تقول
: يَبِيعُ وَقَوْلٌ ، و " فَعَلَ " قد يجمعونه على " فَعَلَ " كقولهم : أَسَدٌ وَأُسْدٌ ، وَثْنٌ وَوُثْنٌ .
وقولها : " تشقى بها النيب والجزر " فإنما عَطَفَتْ أحدهما على الآخر ؛ لأنَّ من
الإبل ما يكونُ حَزُورًا لِلنَّحْرِ لا غَيْرُ .

وأما قولها : " وَلَا ضَرَعَ غُمْرٌ " فالضَّرَعُ : الضعيفُ ، والغُمْرُ : الذي لم يُجَرَّبْ
الأمور^(٢) .

(١) البيت في شرح الأنباري على المفصليات ص ٤٧٩ .

وعجزة :

كميت عليها كبرة فهي شارفٌ

(٢) " صبي غُمْرٌ وَغُمْرٌ وَغُمْرٌ وَمُعَمَّرٌ : لم يجربْ الأمور " اللسان : غمر .

وَيُزَوَّى : أَنَّ الْحِجَاجَ لَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ ظَفَرُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَقَتْلُهُ عَبْدَ رَبِّهِ الصَّغِيرَ وَهَرَبُ قَطْرِي عَنْهُ تَمَثَّلَ فَقَالَ : اللَّهُ دَرُّ الْمُهَلَّبِ ، وَاللَّهُ لَكَأَنَّهُ مَا وَصَفَ لَقِيَطُ الْإِيَادِي حَيْثُ يَقُولُ :

وَقَلَدُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دَرُّكُمْ رَحَبَ الذَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلَعًا
لَا مُتَرَفًا إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعَدَهُ وَلَا إِذَا عَصَّ مَكْرُوءَ بِهِ خَشَعَا
مَا زَالَ يَخْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ يَكُونُ مُتَبَعًا طَوْرًا وَمُتَبَعَا
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْزِ مَرِيرَتِهِ مُرَّ الْعَزِيمَةِ لَا رَأْيًا وَلَا ضَرَعًا^(١)

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! وَاللَّهُ لَكَأَنِّي أَسْمَعُ هَذَا التَّمَثِيلَ مِنْ قَطْرِي فِي الْمُهَلَّبِ ، فَسَرَّ الْحِجَاجُ بِذَلِكَ سُرُورًا تَبَيَّنَ فِي وَجْهِهِ .

وقولها : كَنْصَلِ السَّيْفِ عَيْنَ الْمُهَنْدِ

فالمهْنَدُ : المنسوبُ إِلَى الْهِنْدِ .

وقولها : " مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَمَحْنِدِي " فالحَنْدُ : الْأَصْلُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَفِي السَّرِّ مِنْ قَحْطَانِ أَوْلَادُ حُرَّةٍ عِظَامُ اللَّهَِا^(٢) يَبِضُّ كِرَامُ الْمَحَاتِدِ

وقوله : " مَالٌ عَمِيمٌ " يَقُولُ : جَامِعٌ ، أَخَذَهُ مِنْ " عَمَّ يَعُمُّ " .

وقوله : " جَذْوٌ مُغْنِيَّةٌ " فَالْجَذْوُ : جَمْعُ " جَذْوَةٍ " وَهِيَ الْقِطْعَةُ ، وَأَصْلُ ذَلِكَ فِي

الْخَشَبِ مَا كَانَ مِنْهُ فِيهِ نَارٌ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾^(٣) وَتَجْمَعُ أَيْضًا " جَذَا " ، قَالَ ابْنُ مُقْبِلٍ :

(١) دِيَوَانُهُ ص ٤٧-٤٩ ، وَرَغَبَةُ الْآمَلِ ٩٩/٥-١٠٦

(٢) اللَّهُهَا " بِالضَّمِّ " الْعَطَايَا الْجَزِيلَةُ وَاحِدَتُهَا لَهْوَةٌ " بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ " وَهِيَ فِي الْأَصْلِ مَا تَلْقِيهِ مِنَ الْحُبُوبِ فِي فَمِ الرَّحَى لَتَطْحَنَهُ وَقَدْ أَهْبَتَ لَهُ لَهْوَةٌ إِذَا أُعْطِيَتْ - رَغَبَةُ الْآمَلِ ١٠٧/٥ .

(٣) سُورَةُ الْقَصَصِ : ٢٩ . وَضَبَطَتْ " جَذْوَةٌ " بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ وَالضَّمِّ . وَبَكَسَرَ الْجِيمَ قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِعٌ وَالْكَسَائِيُّ .

وَيَفْتَحُهَا قَرَأَ عَاصِمٌ . وَيُضَمُّهَا قَرَأَ حَمْزَةً ، مِنَ السَّبْعَةِ . انْظُرِ السَّبْعَةَ لِابْنِ مَجَاهِدٍ ٤٩٣ ، وَالْكَشَفُ لِمَكِّي ١٧٣/٢ .

بَاتَتْ حَوَاطِبُ سَلَمَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا جَزَلَ الْجَدَا غَيْرَ خَوَارٍ وَلَا دَعِيرٍ^(١)

"الخَوَارُ" : الضعيفُ ، و "الدَّعِيرُ" : الكثير الثَّقْبِ ، يقال : عَوْدٌ دَعِيرٌ .

وقولها : " جُوفٌ لَا يَشْبَعْنَ " تقولُ " عِظَامُ الْأَجْوَابِ . و " هَيْمٌ لَا يَنْقَعَنَّ " الهَيْمُ

" الْعِطَاشُ ، يكون الواحدُ من هَيْمٍ " أَهْيَمَ " ، ويقالُ في هذا المعنى " هَيْمَانُ " . وقال

بعضُ المفسرينَ في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴾^(٢) قال : هي الإِبِلُ

الْعِطَاشُ^(٣) ، قال ذو الرُّمَّة :

فَرَاخَتِ الْحُقْبُ لَمْ تَقْصَعْ صَرَائِرَهَا وَقَدْ نَشَخَنَ فَلَارِيٍّ وَلَا هَيْمٍ

ويقال : " قَصَعَ صَارَتْهُ " : إِذَا رَوِيَ ، وَالصَّارَةُ : شِدَّةُ الْعَطَشِ . " وَالنُّشُوحُ " أَنْ

تَشْرَبَ دُونَ الرَّيِّ ، يقال : نَشَخَ يَنْشَخُ ، وَمِثْلُهُ : " تَغَمَّرَ " : إِذَا لَمْ يَرَوْ ، وَيُقَالُ لِلْقَدَحِ

الصَّغِيرِ : الْغَمَرُ مِنْ هَذَا . وقال بعضُ المفسرينَ : الْهَيْمُ : رِمَالٌ بَعِينَهَا ، وَاحْدَتُهَا " هَيْمَاءٌ "

يَافَتَى .

وقولُها : " لَا يَنْقَعَنَّ " : أَي لَا يَرَوَيْنَ ، يقال : مَا نَقَعَتْ مَاشِيَةُ بَنِي فَلَانٍ بِرِي :

إِذَا لَمْ تَبْلُغْ مِنَ الْمَاءِ حَقَّهَا ، وَيُقَالُ لِلْمَاءِ " النَّقْعُ " وَيُقَالُ " النَّقْعُ " فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ

لِلْغُبَارِ ، يقال : أَثَارُوا النَّقْعَ بَيْنَهُمْ ، و " النَّقْعُ " اسْمُ مَوْضِعٍ بَعِينَةٍ ، قال الشاعر :

لَقَدْ حَبِيتَ نَعْمَ إِلَيْنَا بَوَاجِهُهَا مَسَاكِينَ مَا يَبْنِي الْوَتَائِرِ وَالنَّقْعِ^(٤)

(١) البيت من البسيط ، وهو لابن مقبل في ديوانه ص ٩١ ، ولسان العرب ٢٨٦/٤ (دعر) ،

١٣٩/١٤ (جذا) ، وتهذيب اللغة ٢/٢٠٣ ، ١١/١٦٧ ومقاييس اللغة ٢/٢٨٣ ، والمخصص ١١/٢٣

١٥/١٥٦ ، وتاج العروس ١١/٢٩٤ (دعر) ، (جزل) ، (جذو) وأساس البلاغة (جذو) ، والكامل

ص ٦٨٣ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١/١٠٠ .

(٢) سورة الواقعة : ٥٥

(٣) قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وعكرمة وغيرهم . انظر تفسير ابن كثير

١٦/٨ ، وتفسير القرطبي ١٧/٢١٤ - ٢١٥ ، وتفسير غريب القرآن ٤٥٠

(٤) البيت من الطويل ، وهو لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ١٨٢ وجمهرة اللغة ص ٣٩٦ ، وتاج

العروس ١٤/٣٤٤ (وتر) ، وللعرجي في ملحقات ديوانه ص ١٨٦ ، ومعجم ما استعجم ص ١٣٢٢ ،

وبلا نسبة في لسان العرب ٥/٢٧٧ (وتر) .

و " النَّقْعُ " الصُّرَاخُ ، قال لبيدٌ :

فَمَتَى يَنْقَعُ صُورَاخُ صَادِقٍ يُحْلِبُوهُ ذَاتَ جَرَسٍ وَرَجَلٍ^(١)

وقولها : "وَصُمٌّ لَا يَسْمَعَنَّ" طَرِيفٌ من كلام العرب ، وذلك أنه يقال لكلُّ صحيح البَصَرِ وَلَا يُعْمِلُ بَصَرَهُ : أعمى ، وإنما يُراد به أنه قد حَلَّ مَحَلَّ مَنْ لَا يُنْصِرُ النَّتَةَ ، إذ لم يُعْمِلْ بَصَرَهُ ، وكذلك يقال للسميع الذي لَا يَقْبَلُ : أَصَمٌّ ، قال الله جل ذكره : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾^(٢) كما قال جل ثناؤه : ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٣) وكذلك : ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾^(٤) وقوله عز وجل : ﴿كَمَثَلِ الْإِنْسَانِ﴾^(٥) .

وتقول العرب : أبلد ما يُرعى الضَّأْنُ ، ويقال : أَحْمَقُ مِنْ رَاعِي ضَأْنٍ ثَمَانِينَ^(٦) .
وتحدَّثَ عمرو بن بحر قال : كان يقال : لَا يَنْبَغِي لعاقِلٍ أن يُشاورَ واحدًا من خمسة : القَطَّانُ ، والغَزَالُ ، والمُعَلَّمُ ، وراعي ضأنٍ ، ولا الرجلُ الكثيرُ المحادثةَ للنساء .
وقيل في مثل هذا : لَا تَدْعُ أُمَّ صَبِيكَ تَضْرِبُهُ ، فَإِنَّهُ أَعْقَلَ مِنْهَا ، وإن كان طفلاً .
وقال الأخنَفُ بن قيس : إِنِّي لأُجالِسُ الأحمقَ السَّاعَةَ فَأَتَّبِينُ ذلك في عَقْلِي .

(١) البيت من الرمل ، وهو للبيد في ديوانه ص ١٩١ ، ولسان العرب ٣٦٢/٨ (نقع) ، وتهذيب اللغة ٢٦٣/١ ، وجمهرة اللغة ص ٩٤٣ وديوان الأدب ٢/٢١٥ ، وكتاب العين ١٧٣/١ وتاج العروس ٢٧١/٢٢ ، ٢٨١ (نقع) ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤٧٣/٥ .

(٢) سورة البقرة : ١٨ ، ١٧

(٣) سورة محمد : ٢٤

(٤) سورة النمل : ٨٠

(٥) سورة البقرة : ١٧١

(٦) انظر المثل " أحمق من راعي ضأن ثمانين " في أمثال أبي عبيدة ٣٦ ، وجمهرة الأمثال ٣٩١/١ ، ومجمع الأمثال ٢٢٤/١ ، والمستقصى ٨٩/١ ، والحیوان ٤٨٨/٥ ، والبيان والتبيين ٢٤٨/١ ، واللسان (ثمن)

وقال جل ثناؤه في صفة النساء: ﴿أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(١).

* * *

وَحَدَّثْتُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ أَتَى الْمَدِينَةَ فَأَقَامَ بِهَا، فَقَالَ ذَلِكَ يَقُولُ :
يَا خَلِيلِي قَدْ مَلِلْتُ ثَوَائِي بِالْمُصَلَّى وَقَدْ شَنِتُّ الْبَقِيْعَا^(٢)

فَلَمَّا أَرَادَ الشُّحُوصَ شَخَّصَ مَعَهُ الْأَحْوَصُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا نَزَلَا وَدَّانَ^(٣) صَارَ إِلَيْهِمَا نَصِيبٌ ، فَمَضَى الْأَحْوَصُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ ، فَرَجَعَ إِلَى صَاحِبِيهِ ، فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ كَثِيرًا بِمَوْضِعٍ كَذَا ، فَقَالَ عُمَرُ : فَأَبْعَثُوا إِلَيْهِ لِيَصِيرَ إِلَيْنَا ، فَقَالَ الْأَحْوَصُ : أَهْوَى يَصِيرُ إِلَيْكَ ؟ هُوَ وَاللَّهِ أَعْظَمُ كِبَرًا مِنْ ذَلِكَ ! قَالَ : فَإِذَنْ نَصِيرُ إِلَيْهِ ، فَصَارُوا إِلَيْهِ ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى جِلْدٍ كَبِشٍ ، فَوَاللَّهِ مَا رَفَعَ مِنْهُمْ أَحَدًا وَلَا الْقُرْشِيَّ ! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقُرْشِيِّ ، فَقَالَ : يَا أَخَا قُرَيْشٍ ، وَاللَّهِ لَقَدْ قُلْتَ فَأَحْسَنْتَ فِي كَثِيرٍ مِنْ شَعْرِكَ ، وَلَكِنْ خَبَّرَنِي عَنْ قَوْلِكَ :

قَالَتْ لَهَا أُخْتُهَا تُعَاتِبُهَا لَتُفْسِدَنَّ الطَّوَافَ فِي عُمَرِ

قَوْمِي تَصَدِّي لَه لِيُبْصِرَنَا ثُمَّ اغْمَزِيهِ يَا أُخْتَ فِي خَفَرِ

قَالَتْ لَهَا قَدْ غَمَزْتُهُ فَأَبَى ثُمَّ اسْبَطَرَتْ تَشْتَدُّ فِي أَثَرِي^(٤)

وَاللَّهِ لَوْ قَدْ قُلْتَ هَذَا فِي هِرَّةٍ أَهْلِكَ مَا عَدَا ! أَرَدْتُ أَنْ تَنْسِيبَ بِهَا فَتَنْسِبَ بِنَفْسِكَ ، أَهْكَذَا يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ ؟ ! إِنَّمَا تَوْصَفُ بِالْخَفَرِ ، وَأَنَّهَا مَطْلُوبَةٌ مُمْتَنِعَةٌ ، هَلَّا قُلْتَ كَمَا قَالَ هَذَا - وَضَرَ بِيَدِهِ عَلَى كَتِفِ الْأَحْوَصِ :

(١) سورة الزخرف : ١٨ . وينشأ بفتح الياء والتخفيف قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو بن عامر وعاصم في رواية أبى بكر . وضبط في نسخة " ينشأ " بضم الياء وفتح النون والتشديد وهى قراءة حمزة والكسائى و حفص عن عاصم .

(٢) البيت لعمر بن أبى ربيعة فى ديوانه ص ٣٩٦

(٣) ودان : قرية جامعة من نواحي الفرع بين مكة والمدينة . معجم البلدان ٣٦٥/٥

(٤) الأبيات فى ديوانه ص ١٤٥

أَدُورُ وَلَوْلَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ بِأَيَّائِكُمْ مَا دُرْتُ حَيْثُ أَدُورُ
وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنْ ذَا الْهَوَى إِذَا لَمْ يُزَرَ لِأُبْدَ أَنْ سَيَزُورُ
لَقَدْ مَنَعْتَ مَعْرُوفَهَا أُمَّ جَعْفَرٍ وَإِنِّي إِلَى مَعْرُوفِهَا لَفَقِيرٌ^(١)

قال : فامتلاً الأحوصُ سرورًا ، ثم أقبلَ عليه فقال : يا أَحوصُ ، خَبِّرْنِي عَنْ
قولك :

فَإِنْ تَصِلِي أَصْلَكَ وَإِنْ تَعُودِي لِهَجْرٍ بَعْدَ وَصْلِكَ لَا أَبَالِي^(٢)

أما والله لو كنتَ من فُحول الشعراء لَبَالَيْتَ ! هَلَّا قُلْتَ كَمَا قَالَ هَذَا - وَضَرَبَ
بِيده على جَنْبِ نَصِيبٍ :

بِرَيْبِ أَلَمٍ قَبْلَ أَنْ يَطْعَنَ الرُّكْبُ وَقُلْ : إِنْ تَمَلَّنَا فَمَا مَلَكِ الْقَلْبُ^(٣)

قال : فانتَفَخَ نَصِيبٌ ، ثم أقبلَ عليه فقال له : ولكنْ أَخْبِرْنِي عَنْ قولك - يَا أَسْوَدُ - :

أَهِيْمُ بَدْعِدِ مَا حَيْثُ فَإِنْ أُمْتُ فَوَاحِزَنَا مَنْ ذَا يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي

كَأَنَّكَ اغْتَمَمْتَ أَلَّا يُفْعَلَ بِهَا بَعْدُكَ - لَا يَكْنِي . فقال بعضهم لبعض : قوموا فقد
اسْتَوَتْ الْقِرْفَةُ ، وَهِيَ لُغْبَةٌ عَلَى خُطُوطٍ ، فَاسْتَوَّاهَا انْقِضَاؤُهَا . [قَالَ أَبُو الْحَسَنِ :
" الطَّبْنُ " هِيَ السُّدْرُ ، فَإِذَا زِيدَ فِي خُطُوطِهِ سَمَّتهُ الْعَرَبُ " الْقِرْفَةَ " وَتُسَمَّى الْعَامَّةُ
" السُّدْرَ "] .

* * *

(١) فِي الْأَغَانِي ٢٤٤/٤ .

وَهُوَ لَعْرُوةُ بْنُ حِزَامٍ (تَوَفَّى نَحْوَ ٣٠ هـ / ٦٥٠م)

(٢) شَعْرُهُ ق ١/١٣٧ ص ١٨٦ .

(٣) سَلَفُ الْبَيْتِ

قال: وَحُدِّثْتُ أَنْ كَثِيرًا دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَعِنْدَهُ الْأَخْطَلُ فَأَنشَدَهُ ،
فَالْتَفَتَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْأَخْطَلِ ، فَقَالَ: كَيْفَ تَرَى ؟ فَقَالَ : حِجَازِيٌّ مُجَوِّعٌ مَقْرُورٌ ،
دَعْنِي أَضْغَمُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ كَثِيرٌ : مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ لَهُ : هَذَا
الْأَخْطَلُ ، فَقَالَ لَهُ كَثِيرٌ : مَهْلًا ! فَهَلَا ضَغَمْتَ الَّذِي يَقُولُ :

لَا تَطْلُبَنَّ خُتُولَةً فِي تَغْلِبِ فَالزَّوْجُ أَكْرَمُ مِنْهُمْ أَخْوَالًا
وَالْتَغْلِبِيُّ إِذَا تَنَخَّضَ لِلْقَرَى حَكَ اسْنَتَهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَ^(١)
فَسَكَتَ الْأَخْطَلُ فَمَا أَجَابَهُ بِحَرْفٍ .

قال أبو العباس : سَمِعْتُ مَنْ يُنْشِدُ هَذَا الشَّعْرَ :

وَالْتَغْلِبِيُّ إِذَا تَبَّحَ لِلْقَرَى

وهو أبلغ .

قال : وَخَبَّرْتُ^(٢) أَنَّ نَصِيبًا نَزَلَ بِامْرَأَةٍ تُكْنَى أُمَّ حَبِيبٍ ، مِنْ أَهْلِ مَلَلٍ ، وَكَانَتْ
تُضَيِّفُ بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَتَقْرِي ، وَلَا يَزَالُ الشَّرِيفُ قَدْ نَزَلَ بِهَا فَأَفْضَلَ عَلَيْهَا الْفَضْلَ الْكَثِيرَ ،
وَلَا يَزَالُ الشَّرِيفُ مَنْ لَمْ يَحُلْ بِهَا يَتَنَاوَلُهَا بِالْبِرِّ ، لِيَعِينَهَا عَلَى مُرُوتِهَا ، فَتَزَلْ بِهَا نُصِيبٌ
وَمَعَهُ رَجُلَانِ مِنْ قَرِيشٍ ، فَلَمَّا أَرَادُوا الرِّحْلَةَ عَنْهَا وَصَلَهَا الْقُرَشِيَّانِ ، وَكَانَ نُصِيبٌ لَا مَالَ
مَعَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فَقَالَ لَهَا : إِنَّ شَيْئًا فَلَيْكَ أَنْ أُوَجِّهَ إِلَيْكَ بِمِثْلِ مَا أُعْطَاكَ أَحَدَهُمَا ،
وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فَيْكَ شَعْرًا ، فَغَزَلْتُ أُمَّ حَبِيبٍ فَقَالَتْ : بَلِ الشَّعْرُ ! فَقَالَ :

أَلَا حَيٍّ قَبْلَ الْيَتِيمِ أُمَّ حَبِيبٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَّا غَدًا بِقَرِيبٍ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَنِّي أَجُوكَ صَادِقًا فَمَا أَحَدٌ عِنْدِي إِذَا بِحَبِيبٍ
تَهَامٍ أَصَابَتْ قَلْبَهُ مَلَلِيَّةٌ غَرِيبُ الْهَوَى وَاهَا لِكُلِّ غَرِيبٍ

(١)

لَا تَطْلُبَنَّ خُتُولَةً فِي تَغْلِبِ فَالزَّوْجُ أَكْرَمُ مِنْهُمْ أَخْوَالًا

البيت من الكامل ، وهو لجرير في ديوانه ص ٦٥ ، ولسان العرب ٤١١/١ (خول) .

(٢) انظر الخبر والأبيات في الأغاني ١/٣٤٦-٣٤٧ ، ومعجم البلدان ١٩٤/٥ .

وَحَدَّثْتُ أَنَّ نُصَيْبًا أَتَى عَبْدَ الْمَلِكِ فَأَنْشَدَهُ، فَاسْتَحْسَنَ عَبْدُ الْمَلِكِ شِعْرَهُ وَسُرَّ بِهِ، فَوَصَّلَهُ، ثُمَّ دَعَا بِالْغَدَاءِ فَطَعِمَ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: يَا نُصَيْبُ: هَلْ لَكَ فِيمَا يُتَنَادَمُ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، تَأْمَلْنِي، قَالَ: قَدْ أَرَاكَ! فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، جَلْدِي أَسْوَدُ، وَخَلْقِي مُشَوَّةٌ، وَوَجْهِي قَبِيحٌ، وَلَسْتُ فِي مَنْصِبٍ، وَإِنَّمَا بَلَغَ بِي مُجَالَسَتُكَ وَمُؤَاكَلَتُكَ عَقْلِي، وَأَنَا أَكْرَهُ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَنْ أُدْخَلَ عَلَيْهِ مَا يَنْقُصُهُ! فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ، فَأَعْفَاهُ. وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِلْحِجَاجِ، فِي وَفْدِهِ وَفَدَهَا عَلَيْهِ - وَقَدْ أَكَلَا - : هَلْ لَكَ فِي الشَّرَابِ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ بِحَرَامٍ مَا أَهْلَلْتُهُ، وَلَكِنِّي أَمْنَعُ أَهْلَ عَمَلِي مِنْهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَخَالَفَ قَوْلَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ﴾^(١) فَأَعْفَاهُ^(٢).

وَقَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَوْمًا لِنُصَيْبٍ: أَمَدَحْتَ فَلَانًا، لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِهِ؟ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، قَالَ: أَوْ حَرَمَكَ؟ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، قَالَ: فَهَلَا هَجَوْتَهُ؟ قَالَ: لَمْ أَفْعَلْ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنِّي كُنْتُ أَحَقُّ بِالْهَجَاءِ مِنْهُ إِذْ رَأَيْتُهُ مُوضِعًا لِمَذْحِي! فَأَعْجَبَ بِهِ مَسْلَمَةُ، فَقَالَ: اسْأَلْنِي، قَالَ: لَا أَفْعَلُ! قَالَ: وَلِمَ؟ فَقَالَ: لِأَنَّ كَفْكَ بِالْعَطِيَّةِ أَجْوَدُ مِنْ لِسَانِي بِالسَّأَلِ!! فَوَهَبَ لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ.

وَحَدَّثْتُ أَنَّ الْكُمَيْتَ بْنَ زَيْدٍ أَنْشَدَ نُصَيْبًا فَاسْتَمَعَ لَهُ، فَكَانَ فِيمَا أَنْشَدَهُ: وَقَدْ رَأَيْنَا بِهَا حُورًا مُنْعَمَةً بِيضًا تَكَامَلُ فِيهَا الدَّلُّ وَالشَّنْبُ^(٣) فَتَنَى نُصَيْبٌ خِنْصَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الْكُمَيْتُ: مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: أَحْصِي خَطَأَكَ! تَبَاعَدْتَ فِي قَوْلِكَ: "تَكَامَلُ فِيهَا الدَّلُّ وَالشَّنْبُ" هَلَّا قُلْتَ كَمَا قَالَ ذُو الرِّمَّةِ: لَمِيَاءُ فِي شَفَتَيْهَا حُوءٌ لَعَسُ وَفِي اللَّثَاثِ وَفِي أُنْيَابِهَا شَنْبُ^(٤)

(١) سورة هود: ٨٨

(٢) لو صحت هذه القصة لكانت كفرًا من الوليد والحجاج، والعياذ بالله، ولسنا نظن بهما ذلك. قاله الشيخ أحمد شاكر فيما علقه على الكامل ص ٥٠٥ بتحقيقه وأغلب الظن لدى أن الشراب الذي دعا إليه عبد الملك الحجاج هو ذلك النبيذ الذي اختلف فيه الفقهاء وكان أهل العراق يرون حله، وبعضهم يحرمه.

(٣) الخبر الأبيات في الأغاني ١/٣٤٨.

(٤) البيت في الأغاني ١/٣٣٣، قال الشيخ المصنف: (لمياء) من اللمي، وهو سمرة الشفتين. و(الحوة) حمرة تضرب إلى سواد قليلًا، و(اللغن) كذلك فهو بدل منها، و(الشنب) برد الفم والأسنان

كَأَنَّ الْغَطَامِطَ مِنْ غَلِيهَا أَرَا جِيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفَارًا^(١)

فقال له نصيبٌ : ما هَجَتِ أَسْلَمُ غِفَارًا قَطُ : فاستَحْيَا الكُمَيْتُ فَسَكَتَ !

قال أبو العباس : والذي عابه نصيبٌ من قوله : " تَكَامَلَ فِيهَا الدَّلُّ وَالشَّنْبُ " قبيحٌ جدًّا ، وذلك أنَّ الكلامَ لم يَجِرْ على نَظْمٍ ، وَلَا وَقَعَ إلى جانب الكلمة ما يُشَاكِلُهَا ، وأوَّلُ ما يحتاجُ إليه القولُ أن يُنْظَمَ على نَسَقٍ ، وأن يُوضَعَ على رسمِ المُشَاكَلَةِ .

وخبَّرتُ أنَّ عُمَرَ بْنَ لَجَأَ قال لابنِ عمِّ له : أنا أشعرُ منك ، قال له : وكيف ؟ قال : لأنِّي أقولُ البيتَ وأخاه ، وأنت تقولُ البيتَ وابنَ عمِّه !

وأنشد عُمَرُو بْنُ بَحْرٍ :

وَشِعْرٌ كَبْعَرِ الْكَبْشِ فَرَّقَ بَيْنَهُ لِسَانُ دَعِيٍّ فِي الْقَرِيضِ دَخِيلِ^(٢)

وبَعْرُ الْكَبْشِ يَقَعُ مُتَفَرِّقًا ؛ فمن ذلك قولُ ابنةِ الحُطَيْثَةِ له ، لما نَزَلَ في بني كُليبِ ابنِ يَرْبُوعٍ : تَرَكْتَ الثَّرْوَةَ وَالْعَدَدَ ، وَنَزَلْتَ في بني كُليبِ بَعْرَ الْكَبْشِ !
يقال " بَعْرٌ وَبَعْرٌ " و " شَعْرٌ وَشَعْرٌ " و " شَمْعٌ وَشَمْعٌ " ويقالُ لِلصَّدْرِ " قَصٌّ وَقَصَصٌ " وكذلك " نَهْرٌ وَنَهْرٌ " .

وزعم الأصمعي أنه سأل أعرابياً ، وهو بالوضع الذي ذكره زهيرٌ فقال :

ثُمَّ اسْتَمَرُّوا وَقَالُوا إِنَّ مَشْرَبَكُمْ مَاءٌ بِشَرْقِيٍّ سَلَمَى فَيَدُ أَوْزَكِكَ^(٣)

قال الأصمعي : فقلتُ لأعرابيٍّ : أتعرفُ رَكَكًا ؟ فقال : لا ، ولكن قد كان

ههنا ماءٌ يُسَمَّى رَكَكًا .

(١) البيت في الأغاني ٣٣٤/١ . (الغطامط) : اضطراب موج البحر ، يصف قدرًا فيه لحم ؛ فشبه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذي يرتفع .

(٢) البيتان والتبين ٦٦/١ لأبي البداء الرياحي

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ١٦٧ ، والعقد الفريد (٣٥٥/٥) ، ولسان العرب

(٣٤١/٣) (فيد) ، (٤٣٤/١٠) (ركك) / وتاج العروس (٥١٥/٨) (فيد) (ركك) ، والمحتمسب

(٨٧/١) ، (٢٧/٢) ، ومعجم البلدان (٦٤/٣) (ركك) ، والمصنف (٢٠/١) ، والمقرب (١٥٦/٢) .

والمتع في التصريف (٦٤٣/٢) .

فهذا ليست فيه لغتان ، ولكن الشاعر إذا احتاج إلى الحركة أَتَبَعَ الحرفَ المتحرَّكَ الذي يليه الساكنُ ما يشاكله ، فَحَرَّكَ الساكنَ بتلك الحركة ؛ قال عبدُ منافِ بن رُبَيع الهذليُّ ^(١):

إِذَا تَجَاوَبَ نَوْحَ قَامَتَا مَعَهُ ضَرْبًا أَلِيمًا بِسَبْتٍ يَلْعَجُ الْجِلْدُ ^(٢)

يريدُ " الجِلْدَ " فهذا مُطَرَّدٌ :

ومن مَذَاهِبِهِمُ الْمُطَرِّدَةُ فِي الشُّعْرِ أَنْ يُلْقُوا عَلَى السَّاكِنِ الَّذِي يَسْكُنُ مَا بَعْدَهُ لِلتَّقْيِيدِ حَرَكََةَ الإِعْرَابِ ، كما قال الراجزُ :

أَنَا ابْنُ مَاوِيَّةَ إِذْ جَدَّ النَّقْرُ ^(٣)

(١) البيت من البسيط، وهو له في جمهرة اللغة ص ٤٨٣، والدرر (٢٣٢/٦)، وشرح أشعار الهذليين (٦٧٢/٢)، ولسان العرب (٣٥٧/٢) (العج) (١٢٤/٣) (جلد)، (١١ / ٤٣٠) (عجل)، ونوادر أبي زيد (ص ٣٠)، وبلا نسبة في الخصائص (٣٣٣/٢)، والمصنف (٣٠٨/٢) (٢) (ضرباً) يريد تضضرباً ضربة

(السبب) بكسر فسكوت ، الجلد المدبوغ

وقد كانت نساء العرب في مناحتهن يلطمن على خدودهن ، الجلود ، (يلعج) يحرق ، لعج الحب عليه : أحرقه (النوح) النساء يجتمعن للنوح ، والجمع أنواع .

(٣) الرجز لعبيد بن ماوية الطائي في لسان العرب (٢٣١/٥) (نقر) وله أو لبعض السعديين أو لفدكي ابن عبد الله في الدرر (٣٠٠/٦) وله أو لفدكي بن أعبد المنقري أو لبعض السعديين في المقاصد النحويه (٥٥٩/٤)، ولبعض السعديين في شرح شواهد الإيضاح ص ٣٥٩، والكتاب (١٧٣/٤)، والتنبيه والإيضاح (٢١٧/٢) وتاج العروس (٢٧٨/١٤) (نقر)، وبلا نسبة في لسان العرب (٨٩/٤) (تجر)، (٦٣/١٠)، (حلق)، وأسرار العربية ص ٤١٤، والإنصاف (٧٣٢/٢)، وأوضح المسالك (٣٤٦/٤)، وشرح التصريح (٣٤١/٢)، ومغنى اللبيب (٤٣٤/٢)، وهمع الهوامع (٢/٢٠٨، ١٠٧)، والمخصص (٨١/١)، (٢٦١/١٢)، وتهذيب اللغة (٢٠٢/٤) .

وبعده في زيادات نسخة النقيز [كذا والصواب النقر] صويت باللسان يسكن به الفرس إذا اضطرب بفارسه ، قال امرؤ القيس [ديوانه ص ٧٥ ، ويقال إن الكلمة لأبي [واد]

أخفضه بالنقر لما علوته ويرفع طرفاً غير جاف غضيض "

يريدُ " النَّقْرُ " يا فتى وهو : النَّقْرُ بالخليل ، فلما أَسْكَنَ الرَّاءُ أَلْقَى حَرَكَتَهَا عَلَى السَّاكِنِ الَّذِي قَبْلَهَا وَشَبَّهَ بِهَذَا قَوْلُهُ :

عَجِبْتُ وَالْدَّهْرُ كَثِيرٌ عَجْبَةٌ مِنْ عَنَزِيٍّ سَبَّيْ لَمْ أَضْرِبُهُ^(١)
أَرَادَ : " لَمْ أَضْرِبُهُ " يا فتى ، فلما أَسْكَنَ الهاءُ أَلْقَى حَرَكَتَهَا عَلَى الْبَاءِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْبَاءِ أَحْسَنَ ، لَخَفَاءِ الْهَاءِ . وَقَالَ أَبُو النَّجْمِ :
أَقُولُ قَرُبَ ذَا وَهَذَا أَزْحَلُهُ^(٢)

يريدُ " أَزْحَلُهُ " يا فتى . وَقَالَ طَرْفَةُ :
حَابِسِي رَبْعٌ وَقَفْتُ بِهِ لَوْ أَطِيعُ النَّفْسَ لَمْ أَرْمُهُ^(٣)
وَلَمْ يَلْزَمَهُ رَدُّ الْيَاءِ لَمَّا تَحَرَّكَتِ الْمِيمُ ، لِأَنَّ تَحَرُّكَهَا لَيْسَ لَهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَإِنَّمَا هِيَ حَرَكَةُ الْهَاءِ .

وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ :
حَدِيثُ بَنِي بَذْرِ إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ كَنَزُوا الدَّبْيَ فِي الْعَرْفَجِ الْمُتْقَارِبِ^(٤)

(١) الرجز لزياد الأعجم في ديوانه ص ٤٥ ، والدرر (٣٠٣/٦) ، وشرح شواهد الإيضاح ص ٣٨٦ ، وشرح شواهد الشافية ص ٢٦١ ، والكتاب (١٨٠/٤) ، ولسان العرب (٥٥٤/١٢) (لم) ، وتاج العروس (لوم) ، وبلا نسبة في سر صناعة الإعراب (٣٨٩/١) ، وشرح الأشموني (٧٥٣/٣) ، وشرح شافية ابن الحاجب (٣٢٢/٢) ، وشرح عمدة الحفاظ ص ٩٧٤ ، وشرح المفصل (٧٠/٩) ، والمختص (١٩٦/١) ، وجمع الهوامع (٢٠٨/٢) .

ورواية البيت : يا عجب والدهر جم عجيبه .

(٢) الرجز لأبي النجم في شرح المفصل (٧٢،٧١/٩) ، والكتاب (١٨٠/٤) ، وتاج العروس (زحل) وروايته : فقرين هذا وهذا أزحله

(٣) ديوانه ق ٦٣/٣ ص ٧٥ . قال المرصفي : (لك أرمه) لم أبرحه ، ولم أفرقه يقال رام المكان يرميه ربما .

(٤) البيت بلا نسبة في البيان التبيين ٣٩/١ (الدبي) صغار الجراد ، ونزوها وثوابها ، (والعرفج) نبت لا يطول . رغبة الآمل ١٢٤/٥ .

فليس كقوله " وشِعْرٍ كَبَعْرِ الْكَبْشِ " ولكنه وصفهم بضئولة الأصوات وسُرعة الكلام وإدخال بعضه في بعض .

والذي يُحَمِّدُ الْجَهَارَةَ وَالْفَخَامَةَ . وَأُنْشِدْتُ لِرَجُلٍ قَالَ يَمْدَحُ الرَّشِيدَ :

جَهِيْرُ الْكَلَامِ جَهِيْرُ الْعُطَاسِ جَهِيْرُ الرُّوَاءِ جَهِيْرُ النَّغَمِ
وَيَخْطُو عَلَى الْأَيْنِ خَطْوَ الظَّلِيمِ وَيَعْلُو الرُّجَالَ بِخَلْقِ عَمَمٍ^(١)

وَيُرَوَّى أَنَّ الرَّشِيدَ كَانَ يَأْتِزِرُ فِي الطَّوَافِ فَيَذْنُبُ إِزَارَهُ وَيُبَاعِدُ بَيْنَ خُطَاهُ ، فَإِذَا رَجَعَ بِيَدِهِ كَادَ يُفْتِنُ مَنْ يَرَاهُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ مُدِحَ بِهَذَا الشَّعْرِ .

وَيُرَوَّى أَنَّ عَائِشَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ نَظَرَتْ إِلَى رَجُلٍ مُتَمَارِتٍ ، فَقَالَتْ : مَا هَذَا ؟
فَقَالُوا : أَحَدُ الْقُرَّاءِ ! فَقَالَتْ : قَدْ كَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَارِئًا ، فَكَانَ إِذَا قَالَ أَسْمَعَ ،
وَإِذَا مَشَى أَسْرَعَ ، وَإِذَا ضَرَبَ أَوْجَعَ !

وَيُرَوَّى أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ مُظْهِرٍ لِلنُّسْكِ مُتَمَارِتٍ ،
فَخَفَّفَهُ بِالذَّرَّةِ ، وَقَالَ : لَا تُمِتْ عَلَيْنَا دِينَنَا ، أَمَاتَكَ اللَّهُ !

وَيُرَوَّى أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ أَتَتْهُ وَفُودٌ مِنَ
الرُّومِ ، وَقَامَ السَّمَاطَانُ^(٢) ، فَأَتَيْتُ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ ، وَعَطَسَ أَحَدُ مَنْ فِي السَّمَاطَيْنِ فَأَخْفَى
عَطَسَتَهُ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ لَمَّا انْقَضَى أَمْرُ الْوَفْدِ : هَلَّا إِذْ كُنْتَ لَتَيْمَ الْعُطَاسِ أُتْبِعْتَ
عَطَسَتَكَ صَبِيحَةً حَتَّى تَخْلَعَ بِهَا قَلْبَ الْعِلْجِ !!

(١) البيتان من المتقارب وهما بلا نسبة في أساس البلاغة (جهر).

بعده في زيادات نسخ : الرجل هو العماني الشاعر . وقوله عمم أي جسيم والأين الإعياء . ويكون الأين الحية وهي الأيم .

والعماني هو محمد بن ذؤيب الفقيمي العماني

(٢) (السماطان) : الصفتان من الرجال

وكان العباسُ بنُ عبد المطلب - رحمه الله - أجهرَ الناسِ صوتًا ؛ ولذلك قال رسولُ الله ﷺ لما انهزم الناسُ يومَ حُنينٍ : " يا عباسُ ! اصْرُخْ بالناسِ " ^(١) .
ويروى أنَّ غارةَ أَتَتْهُمْ يومًا ، فصاح العباسُ : يا صَبَاحَاهُ ! فأسْقَطَتِ الحوامِلُ لشدَّةِ صوته .

وقد طُعِنَ في قول النابغة الجعديّ :

زَجَرَ أَبِي عُروَةَ السَّبَاعِ إِذَا أَشْفَقَ أَنْ يَخْتَلِطْنَ بِالْغَنَمِ ^(٢)

وذلك أنَّ الرواةَ احْتَمَلَتْ هذا البيتَ على أَنَّهُ كان يزجرُ الذئابَ ونحوها ممَّا يُغَيِّرُ على الغنمَ ، فَيَقْتُلُ مَرَارَةَ السَّبْعِ في جَوْفِهِ . فقال مَنْ يَطْعُنُ في هذا : السَّبْعُ أَشَدُّ أَيْدًا من الغنمِ ، فإذا فعل ذلك بالسَّبْعِ هَلَكَتِ الغنمُ قبلَه . فقال مَنْ يَحْتِجُّ له : إِنَّ الغنمَ كانتْ قد أُنِسَتْ بهذا منه ، والصوتُ الرَّائِعُ أُنْسٌ لِمَنْ أُنْسَ به ، كالرَّعْدِ القاصِفِ الذي لَوْلا خَشْيَةُ صَاعِقَتِهِ لم يُفْزَعْ كَبِيرُ فَرْعٍ ، ولو جاء أَقْلُ منه من جوفِ الأرضِ لَدَعَرَ ، ولم يَبْعُدْ أَنْ يَقْتُلَ إِذَا أَتَى مِنْ حَيْثُ لم يُعْتَدُ .

وجملَةُ هذا البيتِ أَنَّهُ وَصَفَ شِدَّةَ صوتِ المذكورِ ، وتأويلُهُ : أَنَّهُ من تكاذيبِ الأعرابِ ! .

* * *

(١) الحديث أصله عند مسلم أخرجه في صحيحه ضمن حديث طويل ، كتاب : "الجهاد والسير" من حديثه هو رضى الله عنه باب : غزوة حنين ، (٤/٤٠٠) ط. الشعب " وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "...أى عباس ناد أصحاب السمره ، فقال عباس "وكان رجلاً صيتاً" ..الحديث .

(٢) البيت من المنسرح ، وهو فى ديوانه ص ١٥٨ ، ولسان العرب (٥١/١٥) (عرا) وتهذيب اللغة (١٦٢/٣) . ورواية البيت (يلتبس) بدلا من (يختلطن)، بعده فى زيادات نسخة : " يروى : زجر أبى عروة السباع ، بخفضه السباع كما قيل قيس الرقيات فصار على هذا يعرف بأبى عروة السباع مثل ذلك " .

وقبله فى زيادات نسخة :

وأزجر الكاشع العدو إذا أغ تابلك عندى زجراً على أضم

وَحَدَّثْتُ أَنَّ الْحَسَنَ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ أَمْرًا هَذَا آخِرُهُ لَجَدِيرٌ
بَأَنْ يُزْهَدَ فِي أَوَّلِهِ ، وَإِنَّ أَمْرًا هَذَا أَوَّلُهُ لَجَدِيرٌ أَنْ يُخَافَ آخِرُهُ .

وقيل لرجل من أشرف العجم في علته التي مات فيها : ما بك ؟ قال : فِكْرٌ
عَجِيبٌ ، وحسرة طويلة ! فقيل : ممّ ذاك ؟ فقال : ما ظنكم بمن يقطع سفراً قفراً بلا زاد ،
وَيَسْكُنُ قَبْرًا مُوحِشًا بلا مُؤنسٍ ، وَيَقْدُمُ عَلَى حَكَمٍ عَادِلٍ بلا حُجَّةٍ ؟
وقال بعض المُحَدِّثِينَ ، وهو محمودُ الرَّاقِ :

بِأَيِّ اعْتِذَارٍ أَمْ بِأَيَّةِ حُجَّةٍ يَقُولُ الَّذِي يَذِرِي مِنَ الْأَمْرِ لَا أَذْرِي
إِذَا كَانَ وَجْهُ الْعُذْرِ لَيْسَ بَيِّنٍ فَإِنَّ اطِّرَاحَ الْعُذْرِ خَيْرٌ مِنَ الْعُذْرِ
وَاعْتَذَرَ رَجُلٌ إِلَى سَلَمِ بْنِ قُتَيْبَةَ مِنْ أَمْرِ بَلَغَهُ عَنْهُ ، فَعَذَرَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا هَذَا ،
لَا يَحْمِلَنَّكَ الْخُرُوجُ مِنْ أَمْرِ تَخَلَّصْتَ مِنْهُ عَلَى الدُّخُولِ فِي أَمْرِ لَعَلَّكَ لَا تَخْلُصُ^(١) مِنْهُ .
وقيل لخالد بن صفوان : أَيُّ إِخْوَانِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ فَقَالَ : الَّذِي يَسُدُّ خَلْلِي ،
وَيَغْفِرُ زَلْلِي ، وَيَقْبَلُ عَلَيَّ .

وافتقد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب صديقاً له من مجلسه ، ثم جاءه ، فقال
له : أَيْنَ كَانَتْ غَيْبَتُكَ ؟ فَقَالَ : خَرَجْتُ إِلَى غُرَضٍ مِنْ أَعْرَاضِ الْمَدِينَةِ مَعَ صَدِيقٍ لِي ، فَقَالَ
له : إِنَّ لَمْ تَجِدْ مِنْ صُحْبَةِ الرُّجَالِ بُدْأً ، فَعَلَيْكَ بِصُحْبَةِ مَنْ إِنْ صَحِبْتَهُ زَانِكٌ ، وَإِنْ خَفَفْتَ
لَهُ صَانِكٌ ، وَإِنْ احْتَجَجْتَ إِلَيْهِ مَانِكٌ^(٢) ، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ خَلَّةً سَدَّهَا ، أَوْ حَسَنَةً عَدَّهَا ،
وَإِنْ وَعَدَكَ لَمْ يُجْرِضْكَ^(٣) ، وَإِنْ كَثُرَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَرْفُضْكَ ، وَإِنْ سَأَلْتَهُ أَعْطَاكَ ، وَإِنْ
أَمْسَكَتَ عَنْهُ ابْتَدَاكَ .

(١) تخلص : بحذف إحدى التاءين تخفيفاً أى تتخلص ، كذا ورد في بعض النسخ .

(٢) أى احتمل مفونتك

(٣) فى بعض النسخ " يجرضك " . ويجرضك بالجيم من الحمض وهو الريق ، يقال أجرضه بريقه إذا
أغصه ، وهو ههنا كناية عن تخييبه إياه .

أما يجرضك بالحاء ففسره الشيخ المصفى أنه من أجرضه إذا أشفى منه على الموت يريد لم يجتهدك
بكثرة خلف الوعد ؟ رغبة الآمل ١٢٨/٥

وامتدح نُصَيْبُ عبد الله بن جعفر ، فأمر له بخيلٍ وإبلٍ وأثاثٍ ودنانيرٍ ودراهم ، فقال له رجلٌ : أمثلُ هذا الأسود يُعْطَى مثل هذا المال ؟ فقال له عبدُ الله بن جعفر : إن كان أسودَ فإنَّ شِعْرَه لأَبْيَضُ ، وإن ثَنَاءَه لَعَرَبِيٌّ ، ولقد استحقَّ بما قال أكثر مما نال ، وهل أعطيناؤه إلا ثياباً تَبْلَى ، ومالاً يَفْنَى ، ومطايا تَنْضَى ، وأعطانا مذحاً يُرْوَى ، وثَنَاءٌ يَبْقَى ؟! ^(١) وقيل لعبد الله بن جعفر : إنك لتبذل الكثير إذا سُئِلْتَ ، وتَصِيَّقُ في القليل إذا تَوَجَّرْتَ ! فقال : إني أَبْذُلُ مالي ، وَأَضُنُّ بعقلي ^(٢) .

وقيل ليزيد بن معاوية : ما الجودُ ؟ فقال : إعطاءُ المال من لا تَعْرِفُ ، فإنه لا يصيرُ إليه حتَّى يَتَخَطَّى مَنْ تَعْرِفُ .

وخبَّرتُ أن رجلاً من الأنصار قال لابن عبد الرحمن بن عَوْفٍ : ما تَرَكَ لك أبوك ؟ قال : ترك لي مالاً كثيراً ، فقال : ألا أَعْلَمُكَ شيئاً هو خيرٌ لك مما تركَ لك أبوك ؟ إنه لا مالَ لعاجزٍ ، ولا ضياعَ على حازمٍ ، والرقيقُ جَمالٌ ، وليس بمالٍ ، فعليك من المالِ بما يَعُولُكَ ولا تَعُولُهُ .

وقال معاوية : الحَفْضُ والدَّعَةُ سَعَةُ المنزلِ وكثرةُ الخِدامِ .

وقيل لخُرَيْمِ المُرِّيِّ - وهو المُنْبِزُ بِخُرَيْمِ النَّاعِمِ ^(٣) - : ما النُّعْمَةُ ؟ فقال : الأمنُ ، فإنه ليس لخائفٍ عيشٌ ، والغنى ، فإنه ليس لفقيرٍ عيشٌ ، والصَّحَّةُ ، فإنه ليس لسَقِيمٍ عيشٌ ، قيل : ثُمَّ ماذا ؟ قال : لا مَزِيدَ بعدَ هذا .

وقال سَلَمُ بْنُ قُتَيْبَةَ : الشُّبَابُ الصَّحَّةُ ، والسُّلْطَانُ الغني ، والمُرُوءَةُ الصَّبْرُ على الرِّجالِ .

(١) في كلام عبد الله بن جعفر من المقابلات ما يكشف عن استقلاله لما أعطى الشاعر

(٢) من المال الزائل مقابل الذكور والثناء الباقي .

عقال : ضمنت أضن بالفتح هذه هي اللغة العالية ، ويجوز الكسر ، انظر اللسان (صنف) ..

(٣) قوله (المنبز بخريم الناعم) يعني أنه لقب يبرز به أى : يعاب به .

وقال المهلب بن أبي صفرة : العجب لمن يشتري المالك بماله ، ولا يشتري الأحرار بمعروفه ! وكان يقول لبنيه : إذا غداً عليكم الرجل وراح مُسَلِّماً فكفى بذلك تقاضياً .

وقال خالد بن عبد الله القسري : محض الجود ما لم تسبقه مسألة ، وما لم يتبعه من ، ولم يزر به قصر ، ووافق موضع الحاجة .
وقال بعض المحدثين - وهو الطائي - :

أَسْأَلُ نَصْرٍ لَا تَسْأَلُهُ فَإِنَّهُ أَحْنُ إِلَى الْإِرْفَادِ مِنْكَ إِلَى الرَّفْدِ (١)

وقال آخر ، وهو أبو العتاهية :

لَا تَسْأَلَنَّ الْمَرْءَ ذَاتَ يَدَيْهِ فَلْيَخْفِرَنَّكَ مَنْ رَغِبْتَ إِلَيْهِ
الْمَرْءُ مَا لَمْ تَرْزُهُ لَكَ مُكْرَمٌ فَإِذَا رَزَاكَ (٢) الْمَرْءُ هُنْتَ عَلَيْهِ
وَكَمَا يَكُونُ لَدَيْكَ مَنْ عَاشَرْتَهُ فَكَذَلِكَ فَارْضَ بِأَنْ تَكُونَ لَدَيْهِ (٣)

* * *

ودخل النخار العذري (٤) على معاوية في عباءة ، فاحتقره معاوية ، فرأى ذلك النخار في وجهه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، ليست العباءة تُكَلِّمُكَ ، إنما يكلمك من فيها ! ثم تكلم فملاً سمعه ، ثم نهض ولم يسأله ، فقال معاوية : ما رأيت رجلاً أحقر أولاً ولا أجلاً آخراً منه !

(١) البيت في ديوانه ٦٦/٢

(٢) الرزء : المصيبة ، ورزأته هنا أى : أخذت ماله ، جعله كالمصائب لعظم الأمر على المأخوذ منه .

(٣) لم أجد الأبيات في ديوانه ، ولا في تكلمته . وانظر المستدرک على تكملة الديوان ص ٧١٠

(٤) النخار بالنون والحاء المعجمة المشددة والراء المهملة فى آخره ، وهو ابن أوس بن أبير ابن عمرو بن عبد الحارث بن عبد مناف بن الحارث بن سعد هذيم من قضاعة . والعذري نسبة إلى عذرة بن سعد هذيم وكان بنو الحارث حلفاء بنى عذرة وهم بطن فيهم . وكان النخار أنسب العرب .

انظر جمهرة أنساب العرب ٤٤٧-٤٤٨ ، والإكمال ٣٣٣/٧ .

ودخل محمد بن كعب القرظي على سليمان بن عبد الملك في ثياب رثة ، فقال له سليمان : ما يحملك على لبس هذه ؟ فقال : أكره أن أقول : الزُّهُدُ ، فأطري نفسي ، أو أقول : الفقر ، فأشكروني .

وحدثني التوزي قال : دخل سالم بن عبد الله بن عمر على هشام بن عبد الملك في ثياب وعليه عمامة تخالفها ، فقال له هشام : كأنَّ العمامة ليست من الثياب ؟! فقال : إنها مُستعارة ! فقال له : كم سنك ؟ قال : ستون سنة ، فقال : ما رأيت ابنَ ستين أبقي كُدْنَةً منك ^(١) ! ما طعامك ؟ قال الخبز والزيت ، قال : أما تأجُمهُما ^(٢) ؟ قال : إذا أَجُمْتُهُما تركتُهُما حتَّى أَشْتَهِيَهُما ، ثمَّ خرج من عنده وقد صُدَّعَ ، فقال : أَتَرَوْنَ الأحوالَ لَقَعْنِي بعينه ؟ مات من تلك العلَّة ^(٣) .

ونظر أعرابيٌّ إلى رجلٍ جيّد الكُدْنَةِ ، فقال: يا هذا : إنني لأرى عليك قطيفةً مُحْكَمَةً من نَسَجِ أَضْرَاسِكَ !

ودخل أبو الأسود الدؤلي ^(٤) على عُبيد الله بن زيادٍ في ثياب رثة ، فكساه ثياباً جياداً ، فخرج وهو يقول :

كَسَاكَ وَلَمْ تَسْتَكْسِبْهُ فَشَكَرْتَهُ أَخْ لَكَ يُعْطِيكَ الْجَزِيلَ وَنَاصِرُ

(١) بعده في زيادات نسخة : ط كدنة : قوة الجسم . قال ابن القفطية في الأفعال كدن الشفة كدونا : أسودت ، وأكدن البعير كثر لحمه وشحمه .

قوله كدونا لم أحده ، والفعل من باب فرح فمصدره مدناً بالتحريك . والكدنه غلط الجسم وكثرة اللحم

(٢) أى تكرههما

(٣) بعده في زيادات نسخة " قال ابن الأعرابي : لقع فلان فلاناً بعينه ، وزلفه وزلقه وأزلقه زشقده لى أجدت فتصبييني بالعين ، ورجل معين : إذا أصيب بالعين ، وشاه وشائه وشقذ وشقذان " .

(٤) بعده في زيادات بعض النسخ : " اسم أبى الأسود الدؤلى ظالم بن عمرو بن سفيان وقيل ابن عمرو بن جندل ابن سفيان ، وأمه من بنى عبد الدار ، بصرى ثقة من أصحاب على من كتابه .

وإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ إِنْ كُنْتَ مَا دِحَا بِمَدْحِكَ مَنْ أَعْطَاكَ وَالْوَجْهَ وَافِرُ^(١)

وحدثني الرياشيُّ قال : دخل ^(٢)أبو الأسود الدؤليُّ على عبيد الله بن زيادٍ وقد أَسَنَّ ، فقال له عبيدُ الله يَهْزَأُ به : يا أبا الأسود ، إنك لجميلٌ ، فلو تَعَلَّقْتَ تَمِيمَةً تَرُدُّ عنك بعض العيونِ ! فقال أبو الأسود :

أَفْنَى الشَّبَابِ الَّذِي أَفْنَيْتُ جَدَّتَهُ كَرُّ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقِ

لَمْ يَتْرُكْ لِي فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْهِ لَذَعَةَ الْحَدَقِ

قوله "فلو تعلقت تميمه" هي : المَعَاذَةُ يُعَلِّقُهَا الرَّجُلُ * ، قال ابنُ قيسِ الرُّقِيَّاتِ :

صَدَرُوا لَيْلَةً أَنْقَضَى الْحَجَّ فِيهِمْ طِفْلَةٌ^(٣) زَانَهَا أَغْرُوسِيمُ

يَتَّقِي أَهْلُهَا الْعُيُونَ عَلَيْهَا فَعَلَى جِيدِهَا الرُّقْسَى وَالتَّمِيمُ^(٤)

وقال أبو ذؤيب :

(١) البيتان من الطويل له في ديوانه ص ١٦٦، ٣٠٩ ، وإنباه الرواة (٥٨/١) ، ودرة الغواص ص ١٥٧ ، وحماسة البحرى ص ١٤٩ ، وسمط اللآلى ص ١٦٦ ، وشرح التصريح (٣١٦/١) ، وبلا نسبة في شرح الأشموني (٢٠٣/١) قال الشيخ المرصفي : " هذا من أبي العباس أشبه بالكذب من الصدق ؛ وذلك أن زياداً وابنه عبيد كانا يكرهان أبا الأسود ويعنانه خاصة لما يعلمانه من هواه في علي وتشيعه له .. هذا وقد روى الأصبهاني في أغانية بسنده عن ابن عباس قال : كان المنذر بن الجارود العبدى صديقاً لأبي الأسود تعجبه مجالسته وحديثه ، وكانت لأبي الأسود ومقطعة من برود يكثر لبسها . فقال له المنذر :

أدمنت لبس هذه المقطعة ! فقال أبو الأسود : ربَّ محلول لا يستطاع فراقه ، فعلم أنه قد احتاج إلى كسوة ، فأهدى له ثياباً فقال أبو الأسود : كساك ولم تستكسه البيتان " رغبة الآمل ١٣٤/٥ وانظر الأغاني ٣٣١/١٢ .

(٢) قال الشيخ المرصفي : " الذى حدث به الأخفش عن أبي عمر الجرمي قال : دخل أبو الأسود على معاوية فقال له : لقد أصبحت جميلاً يا أبا الأسود فلو تعلقت تميمه تنفى عنك فقال أبو الأسود إلخ " رغبة الآمل ١٣٥/٥ . وانظر الأغاني ٣٢٢/١٢ .

* وفي الحديث : "من تعلق تميمه فلا أنتم له" ، و"من تعلق تميمه فقد أشرك" .

(٣) الطفل بالفتح : الرخص الناعم ، والجمع طفال وطفول ، والأنثى طفلة ، ويقال : جارية طفلة إذا كانت رخصة اللسان . (طفل)

(٤) ديوانه - ص ١٩٥ .

وَإِذَا الْمَيِّتَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ^(١)
 وقوله " لَذَعَةُ الْحَدَقِ " من قولك : " لَذَعَتُهُ النَّارُ " : إِذَا لَفَحَتْهُ ، ويقال : " لَذَعُ
 فَلَانٌ فَلَانًا بِأَدَبٍ " : إِذَا أَدَبُهُ أَدَبًا يَسِيرًا ، كَأَنَّهُ كَالْمَقْدَارِ الَّذِي وَصَفْنَا مِنَ النَّارِ .
 وقولُ ابنِ قيسِ الرُّقَيَّاتِ : " زَانَهَا أَغْرُ وَسِيمٌ " فَلَاغْرُ : الْأَبْيَضُ ، يَعْنِي الْوَجْهَ ،
 وَالْوَسِيمُ : الْجَمِيلُ ، وَالْمَصْدَرُ " الْوَسَامَةُ وَالْوَسَامُ " .
 وقال بعضُ الْمُحَدِّثِينَ - ذَكَرْنَاهُ بِقَوْلِ أَبِي الْأَسْوَدِ :-

قَدْ كُنْتُ أَرْمِغُ لِلْبَيْضَاءِ فِي حَلَكٍ قَصَرْتُ أَرْمَاعَ لِلْسُّودَاءِ فِي يَقَقٍ
 مَنْ لَمْ يَشِبْ لَيْسَ مِمْلَقًا حَلِيلَتُهُ وَصَاحِبُ الشَّيْبِ لِلنَّسْوَانِ ذُو مَلَقٍ
 قَدْ كُنْ يَفْرَقَنَّ مِنْهُ^(٢) فِي شَبِيئِهِ فَصَارَ يَفْرَقُ مِمَّنْ كَانَ ذَا فَرَقٍ
 إِنَّ الْخِصَابَ لَتَذَلِيسٌ يُغَشُّ بِهِ كَالْقَوْبِ يُطَوَّى لِتَذَلِيسٍ عَلَى حَرَقٍ^(٣)
 وشيبه بهذا المعنى قول أبي تمام :

طَالَ إِنْكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ غَمَّ مَرْتُ شَيْئًا أَنْكَرْتُ لَوْنِ السَّوَادِ^(٤)
 وحديثُ الزُّبَيْرِيِّ قَالَ : قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : أَلَا تَخْضِبُ بِالْوَسْمَةِ^(٥) ؟ فَقَالَ : وَلِمَ ذَاكَ ؟
 فَقِيلَ : لِتَصْبُوَ لِلْمَرْءِ ، فَقَالَ : أَمَّا نِسَاؤُنَا فَمَا يَبْغِي بِنَا بَدَلًا وَأَمَّا غَيْرُهُنَّ فَمَا نَلْتَمِسُ
 صَبُوتَهُ .

(١) البيت من الكامل له في شرح أشعار المهذلين ص ٨٠ ، وتهذيب اللغة (٣٨٠/١١) ، (٢٦٠، ١٤) ،
 وسقط اللآلئ ص ٨٨٨ ، وآمالى القالى (٢٥٥/٢) ، وكتاب الصنائع ص ٢٨٤ ، وللمهذلين فى لسان
 العرب (٧٠/١٢) (ثم) ، وبلا نسبة فى لسان العرب (٧٥٧/١) (نشب) ، وتاج العروس (٢٦٨/٤)
 (نشب) ، (ثم) ، والعقد الفريد (٢٤/٥) . والمفضليات ق ٩/١٢٦ ص ٤٢٢ وهو من الاستعارات
 الحسنة الذائعة .

(٢) (يفرقن منه) يفزعن ويرتعن من روعة جماله وروقة شبابه ا.هـ . رغبة الأمل (١٣٦/٥) .
 (٣) والأبيات سبعة فى آمالى القالى ١١١/١ لخزاعى ، ونسبها البحرى فى حماسته ٢٦٦ لثعلبة بن
 موسى ، أفدته عن حاشية محقق الأمالى .

(٤) البيت من الخفيف فى ديوانه ص ٧٧ فى قصيدة يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبى دؤاد .
 (٥) قال أبو حنيفة : " قد يخلط الوسمة أيضاً بالحناء فيكن له شاباً ومسوداً ، والوسمة العظم ...
 فيشيب ويطيخ ويهشيب به الحناء وربما اختضب بالوسمة وحدها بعد الحناء ... " النبات ١٧٩-١٨٠ .

وقال العُتْبِيُّ :

وَقَائِلَةٌ تُبَيِّضُ وَالْغَوَانِي نَوَافِرُ عَنْ مُعَالَجَةِ الْقَتِيرِ^(١)
عَلَيْكَ الْخِطَرُ^(٢) أَنْ تَدْنَى إِلَى بَيْضِ تَرَائِبُهُنَّ حُورِ
فَقُلْتُ لَهَا الْمَشِيبُ نَذِيرُ عُمْرِي وَلَسْتُ مُسَوِّدًا وَجْهَ النَّذِيرِ^(٣)
وقال آخر ، وهو أبو خالدٍ يزيدُ بن محمدٍ المهلبِيُّ :

صَبَغْتُ الرَّأْسَ خِتْلًا لِلْغَوَانِي كَمَا غَطَّى عَلَى الرَّيِّبِ الْمُرِيبُ
أَعْلَلُ مَرَّةً وَأَسَاءُ أُخْرَى وَلَا تُحْصَى مِنَ الْكِبَرِ الْعُيُوبُ
أَسَوْفُ تَوْبَتِي خَمْسِينَ حَوْلًا وَظَنِّي أَنْ مِثْلِي لَا يَتُوبُ
يُقَوِّمُ بِالْثَّقَافِ الْعُودُ لَدُنَّا^(٤) وَلَا يَتَقَوِّمُ الْعُودُ الصَّلِيبُ
وقال مالكُ بنُ دينارٍ : جَاهِدُوا أهواءكم كما تُجَاهِدُونَ أعداءكم . وكان يقول :

ما أَشَدَّ فِطَامَ الْكَبِيرِ ! .

وقال آخر :

دَعِيَ لَوْمِي وَمُعْتَبِي أَمَامَا فَإِنِّي لَمْ أَعُوذْ أَنْ أَلَامَا

(١) يروى معالجة ، بكسر اللام ، فمن فتح اللام جعله مصدرًا ، ومن كسر اللام فهي الجماعة التي تعالج ذلك الشيء " . وأراد بالقدير الشيب ، وانظر اللسان (قتر) .

(٢) قال أبو حنيفة : " يشب الحناء بالخطر فيسود . أخبرني بعض الأعراب أنه شبيه بالكتم ، قال : وكثيرًا ما ينبت معه وأخبرني غيره أن نبات الخطر نبات الحبق كأنه هو . وقال البكري : الخطر الوسمة شيء واحد " النبات ١٨٠ . الخطر (بكسر فسكون) واحدته خطرة وهو الوسمة أو نبات آخر يجعل ورقه فى الخضاب .

(٣) بهامش نسخة ما نصه : " قال قتادة فى قوله ﴿ وَجَاءَكُمْ النَّذِير ﴾ [سورة فاطر] قال : الشيب " .

(٤) (ختلا) مصدر ختل الصائد الصيد إذا استترعه بشيء . ثم هل مثلاً لكل شيء ورى بغيره وستر على صاحبه و (الريب) الظنة والتهمة و (الثقاف) سلف أنه خشبة قوية قدر ذراع فى طرفها فرق يدخل فيه ما يراد تقديمه من رمح أو قوس . والعدد أثقفه والجمع ثقف " بضمتين " و (اللدن) اللين من كل شيء والجمع بدان وكدن " بضم فسكون "

وقيل لأعرابي^١ ألا تَغَيَّرُ شَيْبَكَ بِالْخِضَابِ ؟ فقال : بَلَى ، ففعل ذلك مرة ، ثم لم يُعَاوِذْهُ ، فقيل له : لِمَ لم تُعَاوِِذِ الْخِضَابَ ؟ فقال : يَا هَنَاهُ ! لقد شُدَّ لِحْيَايَ فجعلتُ إِخَالِنِي مَيِّتًا !!

وقال بعض المحدثين ، وهو محمودُ الرِّاقِ :

يَا خَاضِبَ الشَّيْبِ الَّذِي فِي كُلِّ ثَالِثَةٍ يُعَوِّدُ
إِنَّ النُّصُولَ^(١) إِذَا بَدَا فَكَأَنَّهُ شَيْبٌ جَدِيدُ
وَلَهُ بِدِيهَةٍ لَوَعَةٍ مَكْرُوهُهَا أَبَدًا عَتِيدُ
فَدَعِ الْمَشَيْبَ لِمَا أَرَا دَفَلَنَ يُعَوِّدُ كَمَا تُرِيدُ
وقال^(٢) أيضًا :

أَلَيْسَ عَجِيبًا بِأَنَّ الْفَتَى يُصَابُ بِبَغْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ^(٣)
فَمَنْ يَبْنِي بَاكِ لَهُ مُوَجِع وَيَنْ مَعَزُ مَغِيدُ^(٤) إِلَيْهِ
وَيَسْلُبُهُ الشَّيْبُ شَرْخَ الشَّبَابِ فَلَيْسَ يُعْزِيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ^(٥)
وقال أيضًا :

يَا خَاضِبَ الشَّيْبَةِ نَحْ فَقْدَهَا فَإِنَّمَا تُذَرِّجُهَا فِي كَفْنِ
أَمَّا تَرَاهَا مُنْذُ عَايَتِهَا تَزِيدُ فِي الرَّأْسِ بِنَقْصِ الْبَدَنِ
وقال أيضًا :

(١) النصول مصدر نصلت اللحية إذا خرجت من الخضاب ، عن رغبة الأمل ١٣٨/٥ .

(٢) فى بعض النسخ : وقال محمود الرواق . والأبيات فى البيان والتبيين ١٩٧/٣ - ١٩٨ ، وأمالى القالى ١٠٨/١ ، وأمالى المرتضى ٦٠٨/١ وذكر أنها تروى لمحمد بن حازم الباهلى . والأول فى شرح أبيات مغنى اللبيب ٣٨٥/٢ .

(٣) ضبطت الأبيات بكسر حرف الروى " الهاء " ، ويجوز قراءتها بكلا الوجهين الإسكان والكسر .

(٤) من الإغذاء وهو الإسراع . رغبة الأمل (١٣٨/٥)

(٥) الأبيات من المتقارب ، لمحمود الرواق فى البيان والتبيين (٣ / ١٩٧) ، وشرح شواهد المغنى (٣٣٨/١) ، وبلا نسبة فى شرح التصريح (٢٠١/١) ، ومغنى اللبيب (١١٠/١) .

اغْتَبِمُ غَفْلَةَ الْمَيِّةِ وَاغْلَمُ أَنَّمَا الشَّيْبُ لِلْمَيِّةِ جِسْرُ
 كَمْ كَبِيرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقْصَى وَصَغِيرِ لَهُ هُنَاكَ قَدْرُ
 [قال أبو الحسن : يقال " جِسْرٌ وَجَسْرٌ " وهو مأخوذٌ من الناقة الكبيرة ، يقال لها " الجِسْرُ "]^(١) .

وقال أعرابي :

قَالَتْ سُلَيْمَى أَنْتَ شَيْخٌ أَنْزَعُ^(٢) فَقُلْتُ مَا ذَاكَ وَإِنِّي أَصْلَعُ
 ثُمَّ حَسَرْتُ عَنْ صَفَاةٍ تَلْمَعُ فَأَقْبَلْتُ قَائِلَةً تَسْتَرْجِعُ^(٣)
 مَا رَأْسُ ذَا إِلَّا جَبِينٌ أَجْمَعُ

وقال آخر ، وهو رؤبة :

قَدْ تَرَكَ الدَّهْرُ صَفَاتِي صَفْصَفًا^(٤) فَصَارَ رَأْسِي جَبْهَةً إِلَى الْقَفَا
 كَأَنَّهُ قَدْ كَانَ رَبْعًا فَعَفَا يُنْمِسِي وَيُضْحِي لِلْمَنَايَا هَدَفًا^(٥)
 وكان نصرُ بنُ حجاج بن عِلَاطٍ السُّلَمِيُّ ثم البَهْزِيُّ جميلاً ، فعثرَ عليه عمر بنُ الخطاب رحمه الله في أمرٍ الله أعلم به ، فحلقَ رأسه ، وكان عمرُ أصْلَعَ ، لم يَبْقَ من شعره إِلَّا حِفَافٌ ، كذلك قال الأصمعيُّ ، فقال نصرُ بنُ حجاج :

لَضَنُّ ابْنِ خَطَّابٍ عَلَيَّ بِجُمَّةٍ إِذَا رُجِلْتُ تَهْتَزُّ هَزُّ السَّلَاسِلِ
 فَصَلَّعَ رَأْسًا لَمْ يُصَلِّغْهُ رُبُّهُ يَرِفُ رَفِيفًا بَعْدَ أَسْوَدَ جَائِلِ^(٦)

(١) وقوله " يقال لها الجسر " قال المرصفي : " هذا غلط صوابه الجسرة ، فأما الجسر فهو الجمل القوي الجريء " رغبة الأمل ١٣٨/٥ .

(٢) من النزاع بالتحريك وهو انحسار مقدم شعر الرأس من جانبي الجبهة . رغبة الأمل ١٣٩/٥ .

(٣) تسترجع أى تقول إنا لله وإنا إليه راجعون . رغبة الأمل ١٣٩/٥ .

(٤) على المثال " بالقاع الصفصف " وهو الأملس لا ثبات له . رغبة الأمل (١٣٩/٥) .

(٥) فى ديوانه ص ١٧٩ .

(٦) جائل أى كثير لين .

لقد حَسَدَ الْفُرْعَانُ^(١) أَصْلَعُ لَمْ يَكُنْ إِذَا مَا مَشَى بِالْفَرْعِ بِالْمُتَخَايِلِ^(٢)
 قوله " بِالْفَرْعِ بِالْمُتَخَايِلِ " ليس أَنَّهُ جَعَلَ " بِالْفَرْعِ " مِنْ صِلَةٍ " الْمُتَخَايِلِ " فيكون
 معناه : بالذي يَخْتَالُ بالفَرْعِ ، فيكون قد قَدَّمَ الصِّلَةَ عَلَى المَوْصُولِ ولكنه جعل قوله "
 بالفَرْعِ " تَبْيِينًا ، فصار بمنزلة " بِكَ " الَّتِي تَقَعُ بَعْدَ " مَرْحَبًا " لِلتَّبْيِينِ . وقد مرَّ تَفْسِيرُ هَذَا
 مُسْتَقْصَى فِي الْكِتَابِ الْمُقْتَضَبِ^(٣).

وقال آخر^(٤):

تُعْطِي نُمَيْرٌ بِالْعَمَائِمِ لُؤْمَهَا	وَكَيْفَ يُغْطِي اللَّؤْمُ طَيُّ الْعَمَائِمِ
فَإِنْ تَضْرِبُونَا بِالسُّيَاطِ فَإِنَّا	ضَرْبِنَاكُمْ بِالْمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ
وَإِنْ تَخْلُقُوا مِنَّا الرُّءُوسَ فَإِنَّا	حَلَقْنَا رُءُوسًا بِاللَّهْأِ وَالْغَلَاصِمِ ^(٥)
وَإِنْ تَمْنَعُوا مِنَّا السُّلَاحَ فَعِنْدَنَا	سِلَاحٌ لَنَا لَا يُشْتَرَى بِالذَّرَاهِمِ
جَلَامِيدُ ^(٦) أَمْثَلَاءُ الْأَكْفُ كَأَنَّهَُا	رُؤُوسُ رِجَالٍ خُلِقَتْ بِالْمَوَاسِمِ ^(٧)

* * *

(٦) جائل أى كثير لين .

(١) الفرعان جمع أفرع وهو الوافى الشعر .

(٢) الأبيات من الطويل ، وانظر تاج العروس (٣٤٨/٢١) (صلى) .

(٣) انظر المقتضب ٢١٧/٣-٢٢٧ ، والكتاب ١٤٨/١-١٤٩-١٥٦-١٥٨ . وانظر ما سلف

ص ٥١-٥٢

(٤) هو نافع بن خليفة الغنوى كما فى ذيل الأمالى ١١٦ . رواها القالى عن ابن أبى الأزهر عن المبرد .

(٥) (حلقنا) يريد أزلنا بالسيف ، .و(اللهم) يفتح اللام ويمد جمع (لهة) عكدة اللسان،و(الغلاصيم)

جمع الغلصمة وهى لحمة بين الرأس والعنق .

(٦) واحدها جلمود وهو شئ تأخذه بيدك يدق به النون ، لسان العرب (حلمد).

(٧) الأبيات من الطويل،وهى بلا نسبة فى خزانة الأدب،من بنى حنيفة فى أساس البلاغة (ملا) والبيت

الأخير لنافع بن خليفة الغنوى فى ذيل الأمالى ص ١١٧،وبلا نسبة فى مقاييس اللغة (١/٥٠٧).

وكان يزيد بن الطثريّة غزلاً ، وكان أخوه ثورٌ ذا مال ، فكان يزيدُ يأتي العطارَ فيقولُ اذهني ذهنةً بناقةً من إبلِ ثورٍ فيفعلُ وكان ذا جُمّةٍ حسنةٍ فإذا كثرَ عليه الدّينُ هربَ فتبدّى ، فإذا ذكرَ حوشيةً - وهي امرأة ، كان يُشبّبُ بها^(١) - قدِمَ فاقطعَ من إبلِ أخيه ما يقضي به دينه ، وفي ذلك يقول^(٢) :

قَضَى غَرَمَائِي حُبُّ أَسْمَاءَ بَعْدَمَا تَخَوَّنِي ظُلْمٌ لَهُمْ وَفُجُورُ
فَذَلِكَ دَأْبِي مَا حَيِّتُ وَمَا مَشَى لَثُورٌ عَلَى ظَهْرِ الْفَلَاةِ بَعِيرُ^(٣)
فاستعدى عليه ثورُ السلطان ، فأمرَ بخلق رأسه ، فقال :

أَقُولُ لَثُورُ وَهُوَ يَخْلُقُ لِمَتِي بَعْقَاءَ مَرْدُودٍ عَلَيْهَا نِصَابُهَا
تَرَفَّقْ بِهَا يَا ثُورُ لَيْسَ ثَوَابُهَا بِهِذَا وَلَكِنْ عِنْدَ رَبِّي ثَوَابُهَا
أَلَا رُبَّمَا يَا ثُورُ فَرَّقَ بَيْنَهَا أَنَامِلُ رَخَصَاتٍ حَدِيثُ خِصَابُهَا
فِيهِلِكَ مِذْرَى الْعَاجِ فِي مُذْلَهْمَةٍ إِذَا لَمْ تُفَرِّجْ مَاتَ غَمًّا صُؤَابُهَا
فَجَاءَ بِهَا ثُورٌ تَرَفُّ كَأَنَّهَا سَلَسِلُ بَرْقٍ لَيْنُهَا وَأَنْسِكَابُهَا
وَرُخْتُ بِرَأْسِ كَالصُّخَيْرَةِ أَشْرَفَتْ عَلَيْهَا عُقَابٌ ثَمَ طَارَتْ عُقَابُهَا
خُذَارِيَّةٌ كَالشَّرِيَّةِ الْفَرْدِ جَادَهَا مِنْ الصَّيْفِ أَنْوَاءَ مَطِيرٍ سَحَابُهَا^(٤)

* * *

(١) ليس في الأصل في زيادات بعض النسخ : " حوشية بنت أبي فديك بن قرة ، ولها مع يزيد حديث طريف " .

(٢) شعره ق ٣١/١، ص ٣٩-٤٠ ، والأغاني ١٦٨/٨ ، والوحشيات ٢٦٨

(٣) البيتان في الأغاني (١٧٧/٨) مع اختلاف في بعض الرواية .

(٤) ذيل الأمالي ٧٥ ، وانظر ذيل السمط ٣٨ .

باب

قال رجلٌ من المتقدمين ، وهو قيسُ بنُ عاصمِ المنقريّ :

أَيَابَنَةُ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةُ مَالِكٍ وَابْنَةُ ذِي الْجَدَّيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ أَكِيلاً فَبَانِي لَسْتُ أَكِلُهُ وَخُدِي
قَصِيّاً كَرِيماً أَوْ قَرِيْباً فَبَانِي أَخَافُ مَذَمَّاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلاً وَمَا مِنْ خِلَالِي ^(١) غَيْرَهَا شِيْمَةُ الْعَبْدِ ^(٢)

" غَيْرَهَا " استثناءً مقدّم ، وقد مضى تفسير هذا .

وقوله " قصيًّا كريمًا " : من طريف المعاني ، وذلك أنه لم يحتجْ إلى أن يشترط في نسبته الكرام ، لأنه قد ضمنَ ذلك ، واشترط في القصي أن يكون كريمًا ، لأنه كره أن يكون مؤاكلُهُ غيرَ كريم .

وهذا ليس من الباب الذي ذكره جريرٌ ، حيث يقولُ :

ضَيْفُكُمْ جَانِعٌ إِنْ لَمْ يَبْتَ غَزْلاً وَجَارُكُمْ يَا بَنِي هِزَّانٍ مَسْرُوقُ
رَأَيْتُ هِزَّانَ فِي أَخْرَاحِ نَسْوِكِهَا رُخْبٌ وَهِزَّانُ فِي أَفْعَالِهَا ضَيْقُ
وَقَالَ آخَرُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ ، وَهِيَ يَحْيَى بْنُ نَوْفَلٍ ، أَنشده دَعْبِلُ :
كُنْتُ ضَيْقًا يَبْرُمْنَا يَا لِعَبْدِ الْـ لَهُ وَالضَّيْفُ حَقُّهُ مَعْلُومُ
فَأَنْبَرَى يَمْدَحُ الصِّيَامَ إِلَى أَنْ صُمِّتُ يَوْمًا مَا كُنْتُ فِيهِ أَصُومُ

(١) في قوله : وما من خلالي .. إلخ احتراز حسن عن اتصافه بشيء من صفات العبد غير ما ذكر.

(٢) الأبيات من الطويل وهي بلا نسبة في البيان والتبيين ٣/ ٣٠٩ - ٣١٠ ، وعيون الأخبار ٣/ ٢٦٣ / وديوان الحماسة بشرح الماززوقي ١٦٦٨ . ونسبت لقيس بن عاصم في الأغاني ١٤ / ٧١ - ٧٢ ، ولحاتم الطائي في ديوان الحماسة بشرح التبريزي ٤ / ١٠٠ - ١٠١ ، وله أو لقيس في الحماسة البصرية ٢ / ٢٣٨ ، ونسبت إلى أبي الجحاس الحارثي وإلى عروة بن الورد . انظر شرح أبيات مغنى اللبيب ٤ / ٣١٣ - ٣١٥ وقد قصى البغدادى الكلام على قائلها وشرحها في حاشية على شرح بانث سعاد ص ١٢٤ - ١٣٢ .

ثُمَّ أَنشَأَ يَسْتَأْمِرُ بَرْدُونِي الْوَزْرَ ذَمْلِحًا كَمَا يُلِحُّ الْغَرِيمُ
[قال الأخفش : يُرْوَى " بَرْدُونِي الرَّرْدَ " وهو الأصغرُ] .

وَلَعَمْرِي إِنَّ ابْنَ عُتْبَةَ إِذْ يَسْأَلُ تَأْمِرُ بَرْدُونَ ضَيْفَهُ لِلْئِيمِ
وقال رجلٌ لابنِ دَعْلَجٍ ، وكان ابنُ دَعْلَجٍ يتولَّى بني تميمٍ ، أنشدنيهِ السجستاني :
إِذَا جِئْتَ الْأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الرَّبِّ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فَلِي غَرِيمٌ مِنَ الْأَغْرَابِ قُبْحٌ مِنْ غَرِيمِ
لَزُومٌ مَا عَلِمْتُ بِيَابِ دَارِي لَزُومَ الْكَهْفِ أَصْحَابُ الرَّقِيمِ
لَهُ مَائَةٌ عَلَيَّ وَنِصْفُ أُخْرَى وَنِصْفُ النَّصْفِ فِي صَكِّ قَدِيمِ
دَرَاهِمُ مَا انْتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ حَبَوْتُ بِهَا شُيُوخَ بَنِي تَمِيمِ^(١)
[زاد أبو الحسن :

أَتُونِي بِالْعَشِيرَةِ يَسْأَلُونِي وَلَمْ أَكُ فِي الْعَشِيرَةِ بِالْمَلِيمِ^(٢)
قال أبو الحسن : لم يعرف أبو العباس هذا البيت الأخير ، وهو صحيح] .
ويُرْوَى أَنَّ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ بْنَ سَنَانَ بْنَ خَالِدِ بْنِ مِنْقَرٍ أَجَارَ خَمَارًا فَشَرِبَ شَرَابَهُ ،
وَأَخَذَ مَتَاعَهُ ، ثُمَّ أَوْتَقَهُ ، فَقَالَ : أَفْدِ نَفْسَكَ ! وقال في ذلك :
وَتَاجِرٍ فَاجِرٍ جَاءَ إِلَهُ بِهِ كَأَنَّ عُثْبُونَهُ أَذْنَابُ أَجْمَالِ
وقال النَّمِرُ بْنُ تَوَلِّبٍ^(٣) :
إِذَا كُنْتَ فِي سَعْدٍ وَأَمْكُ مِنْهُمْ غَرِيْبًا فَلَا يَغْرُرُكَ خَالِكَ مِنْ سَعْدِ
فَإِنَّ ابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ مُصْغَى إِنْأَوْه^(٤) إِذَا لَمْ يُزَاحِمِ خَالَهُ بِأَبِ جَلْدِ^(٥)

(١) الأبيات لأبي لامة في الأغاني (٣٠٩ - ٣١٠) وفي روايته بعض النسخ خلاف .

(٢) الموضع السابق وفي روايته (الليثيم) بدلا من (المليثيم)

(٣) شعره - ص ١٢٥ .

(٤) (مصغى إناؤه) ممال من أصغى الإناء أماله إلى جنبه ليجتمع مافيه . ضرب ذلك مثلا لهضم حقه .
رغبة الأمل (١٤٧ / ٥ - ١٤٨)

(٥) البيتان من الطويل له ان ملحق ديوانه ص ٣٩٧ ، ولسان العرب (٦/ ٦٠١) (ليس) ،
(١٤ / ٤٦١) (صغا) ، والحماسة البصرية (٢ / ٢٨٨) ، والحيوان (٣ / ١٣٧) ، وتاج العروس (صغا) ،

وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سَعْدٍ ، فَتُوفِيَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَسَمَهَا قَيْسٌ بَعْدُ فِي بَنِي مَنَقِرٍ ، وَقَالَ :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي قُرَيْشًا رِسَالَةً إِذَا مَا أَتَتْهَا مُحْكَمَاتُ الْوَدَائِعِ
حَبِوتُ بِمَا صَدَقْتُ فِي الْعَامِ مَنَقَرًا وَإِنِاسَتْ مِنْهَا كُلُّ أَطْلَسٍ طَامِعٍ^(١)

* * *

وَجَاوَرَ عُرْوَةَ بْنُ مُرَّةَ أَخُو أَبِي خِرَاشٍ الْهَذَلِيَّ ثُمَالَةَ مِنَ الْأَزْدِ ، فَجَلَسَ يَوْمًا بِفَيْئَاءِ
بَيْتِهِ آمِنًا لَا يَخَافُ شَيْئًا ، فَاسْتَدْبَرَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِسَهْمٍ ، فَقَصَصَ صَلْبَهُ ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو
خِرَاشٍ :

قَبَحَ^(٢) الْإِلَهِ وَجُوءَ قَوْمٍ رُضِعَ غَدَرُوا بِعُرْوَةَ مِنْ بَنِي بَلَالٍ^(٣)
قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : أُسِيرَ ابْنُ أَبِي خِرَاشٍ ، وَهُوَ خِرَاشُ بْنُ أَبِي خِرَاشٍ ، أَسَرَّتُهُ
ثُمَالَةُ^(٤) ، فَكَانَ فِيهِمْ مُقِيمًا ، فَدَعَا أَسِيرُهُ يَوْمًا رَجُلًا مِنْهُمْ لِلْمُنَادَمَةِ ، فَرَأَى ابْنُ أَبِي خِرَاشٍ

وَجَهْرَةَ الْأُمَثَالِ (٨٦/٢) ، وَالْدُرَّةَ الْفَاخِرَةَ (٣٢٤/١) ، وَالْمُسْتَقْصَى (٢٦٠/١) ، وَجَمَعَ الْأُمَثَالِ
(٦٥/٢) .

وَلِغَسَّانِ بْنِ يَعْلَةَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (٤٠٨/٤) (شَطْر) وَتَاجُ الْعُرُوسِ (١٧٢/١٢) (شَطْر) ، وَالتَّنْبِيهِ
وَالْإِيضَاحَ (١٤١/٢) ، وَلِضَمْرَةِ بْنِ ضَمْرَةَ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ (٤٦٣/١٦) (قَطَن) .
وَبَلَا نِسْبَةٍ فِي الْمَخْصَصِ (١٦١/١٣) ، وَأَسَاسُ الْبَلَاغَةِ ص ٣٥٤ (صَغُو) ، وَتَهْذِيبُ اللَّغَةِ (١٥٩/٨) .
(١) تَقْدِمُ تَخْرِيجُ الْبَيْتَيْنِ .

(٢) قَالَ مُحَقِّقُ (س) كَذَا فِي فَوْسٍ وَدَوَى - وَكَذَلِكَ فِي الْمَوْضِعِ الْأَتَى فِي جَمِيعِ النُّسخِ - وَفِي
سَائِرِ النُّسخِ هَا هُنَا "لَعَنَ" كَمَا فِي التَّنْبِيهَاتِ ١٤١ .

(٣) الْبَيْتُ مِنَ الْكَامِلِ لَهُ فِي زِيَادٍ شَرْحُ أَشْعَارِ الْهَذَلِيِّينَ ص ١٣٤٣ ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (بَلَل) .
وَرَوَايَةُ الْبَيْتِ :

لَعَنَ الْإِلَهَ ، وَلَا أَمَاشِيَّ مَعْشَرًا
(٤) قَالَ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ فِي التَّنْبِيهَاتِ ١٤١-١٤٥ عَقِبَ حِكَايَتِهِ قَوْلَ الْمُسَرِّدِ " وَجَاوَرَ عُرْوَةَ .. ثُمَالَةَ " .
فَذَكَرَ خَيْرًا لَهُ يَرَوِي عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ . وَلَيْسَ يَثْبُتُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَالَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ الرِّوَاةِ أَنَّ بَنِي
رِزَامَ وَبَنِي بَلَالٍ وَهُمَا بَطْنَانِ مِنَ ثُمَالَةَ أَسْرَوْا عُرْوَةَ وَخِرَاشًا فَتَهَيَّأَ بَنُو رِزَامَ قَتْلَهُمَا ، وَأَبَى بَنُو بَلَالٍ إِلَّا =

مُوثِقًا فِي الْقِدِّ ، فَأَمْهَلَ حَتَّى قَامَ الْآسِيرُ لِحَاجَةٍ ، فَقَالَ الْمَدْعُوُّ لَابْنِ أَبِي خِرَاشٍ : مَنْ أَنْتَ ؟
 قَالَ : أَنَا ابْنُ أَبِي خِرَاشٍ ، فَقَالَ : كَيْفَ دَلِيلَاكَ ^(١) ؟ قَالَ : قَطَاةٌ ، قَالَ : فَقُمْ فَاجْلِسْ
 وَرَآئِي ، وَأَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ ، وَرَجَعَ صَاحِبُهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَصَلَّتْ لَهُ السَّيْفُ ، وَقَالَ :
 أَسِيرِي ! فَتَنَّرَ الْمُجِيرُ كَنَانَتَهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لِأَرْمِينِكَ إِنْ رُمْتَهُ ، فَإِنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ ! فَحَلَّى
 عَنْهُ ، فَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَجَارَكَ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُهُ ، فَقَالَ أَبُو خِرَاشٍ -
 وَتَزَعَمَ الرِّوَاةُ أَنَّهَا لَا تَعْرِفُ أَحَدًا مَدَحَ مَنْ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ أَبِي خِرَاشٍ - :

حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا	خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشُّرَّاءِ هَوْنٌ مِنْ بَعْضٍ ^(٢)
فَوَاللَّهِ لَا أُنْسَى قَتِيلًا رُزِئْتُهُ	بِجَانِبِ قُوسَى مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ ^(٣)
بَلَى إِنَّهَا تَغْفُو الْكُلُومَ وَإِنَّمَا	نُوكِلُ بِالْأَذْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي
وَلَمْ أَذِرْ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ	عَلَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَخْضٍ
كَأَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ فِي إِثْرِ طَائِرٍ	خَفِيفِ الْمَشَاشِ ^(٤) عَظْمُهُ غَيْرُ ذِي نَحْضٍ

=قتلها ، حتى كاد يقع بينهم [شر] ، ثم إن القوم شغلوا بقتل عروة ، وألقى رجل ثوبه على خراش
 وقال له انج ، وطلبه القوم فأعجزهم .
 وإنما عدل أبو العباس إلى أضعف الروايات وأثر إيرادها وألزم ثمالة الغدر لعله قد سبقنا إلى التنبيه عليها
 حكاها هو ورواها لنا عنه جماعة منهم أبو محمد بن درستويه وأبو بكر بن أبي الأزهر ، وقد ساقها
 ابن أبي الأزهر في أخبار ظرفاء الجحانين فقال - فساق عنه خبر ما كان بين أبي العباس وأحد الجحانين
 في المخيس ثم قال - فهجاء أبي العباس ثمالة على لسان عبد الصمد ونسب ثمالة بالغدر متفقان في
 المعنى وقد وضحت علة ذلك للجحانين ، والعقلاء بمعرفتها أولى " اهـ .

(١) يسأله عن هدايته إلى الطريق . رغبة الآمل ١٤٩/٥ .

(٢) الأبيات في ديوان الهذليين ١٥٧/٢ - ١٥٩

(٣) قال محقق (س) : " رزيته " على التسهيل . وضبط " قوسى " فى ي بفتح القاف وضمها مع
 إسكان الواو ، واقتصر ياقوت على الفتح وحكاها البكرى بالفتح والضم . انظر معجم البلدان
 ٤/١٣ ، ومعجم ما استعجم ١١٠٢ ، وسمط اللآلى ٦٠١ ، والخزانة ٤٦٠/٢ .

(٤) (المشاش) بضم الميم رءوس العظام اللينة واحدة مشاشة .

يَبَادِرُ جُنْحَ اللَّيْلِ فَهُوَ مُهَابِدٌ يَحُثُّ الْجَنَاحَ بِالتَّبَسُّطِ وَالْقَبْضِ^(١)

قوله : قَبَحَ الْإِلَهَ وَجُوهَ قَوْمٍ رُضِعَ

فهو جماعة " راضع " . وقومٌ يقولون : هو توكيدٌ لِلتَّيْسِ ، كما يقولون : جائعٌ نائعٌ ، وَحَسَنَ بَسَنٌ ، وَعَطَشَانُ نَطَشَانُ ، وَأَجْمَعُ أَكْتَعُ . وقومٌ يقولون : الراضعُ : هو الذي يَرْتَضِعُ مِنَ الضَّرْعِ لَمَّا يَسْمَعُ الضَّيْفُ وَالْجَارُ صَوْتَ الْحَلَبِ فَيَطْلُبُ مِنْهُ ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ مَا أَنْشَدَنَاهُ أَبُو عَثْمَانَ عَمْرُو بْنُ بَجْرٍ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ يَنْسُبُ ابْنَ عَمٍّ لَهُ إِلَى اللَّوْمِ وَالتَّوْحُشِ :

أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ حُلُقُومٌ وَادٍ لَهُ فِي جَوْفِهِ غَارٌ

لَا تَعْرِفُ الرِّيحُ مُمْسَاهُ وَمُصْبَحَهُ وَلَا يُشَبُّ إِذَا أَمْسَى لَهُ نَارٌ

لَا يَخْلُبُ الضَّرْعُ لَوْمًا فِي الْإِنَاءِ وَلَا يُرَى لَهُ فِي نَوَاحِي الصُّخْرِ آثَارٌ

وقوله : " كَيْفَ دَلِيلَاكَ " ، فهي كثرة الدلالة . و " الْفِعْيَلِي " إنما تُسْتَعْمَلُ فِي الْكثَرَةِ ، يُقَالُ " الْقَتَيْتِي " لكثرة النِّمِمة ، و " الْهَجِيرِي " لكثرة الكلمة المترددة على لسان الرَّجُلِ ، يُقَالُ : ذَكَرَكَ هَجِيرَايَ ، أي : هو الذي يَحْجِرِي عَلَى لِسَانِي . وفي الحديث : كَانَ هَجِيرِي أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " ^(٢) ، وَيُقَالُ : كَانَ بَيْنَهُمْ رِمِيًا : لكثرة الرَّمْيِ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا أَشْبَهَ هَذَا ^(٣) .

(١) الأبيات من الطويل له في شرح أشعار الهذليين (١٢٣٠/٣) وانظر آمالي المرتضى (١٩٨/١) ، وخزانة الأدب (٤٠٦/٥ ، ٤١٣ ، ٤١٤) ، وسمط اللآلئ ص ٦٠١ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٧٨٠ ، وشرح شواهد المغني (٤٢١/١) ، والشعر والشعراء (٦٦٨/٢) ، ومعجم ما استعجم ص ١١٠٢ ، وللهمذلي في المحتسب (٢٠٩/٢) ، وبلا نسبة في آمالي ابن الحاجب ص ٤٥٣ ، والخصائص (٧١/١)

(٢) في الفائق ٩٤/٤ أن عمر كان يطوف بالبيت وهو يقول : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ماله هجيرى غيرها . وانظر النهاية ٢٤٦/٥ .

(٣) قال علي بن حمزة في التنبهات ١٤٥ : " ما كل ما حكاه جاء للتكثير ، وقد قالوا فلانة خطب فلان وخطيبها أى التى يخطبها ... وقال عمر بن الخطاب : لو استطعت الأذان مع الخليفة لأذنت قال الشيخ الميمنى : " قد صدق . وقد ذكر منها ابن سيده [فى المخصص] ٤/١٦ نحو ٢٨ كلمة ليس كلها للكثرة .. "

وقوله " بجانب قُوسَى " هو بلد تحلُّهُ ثَمَالَة بالسَّرَاة .

وقوله " بلى إنها تَغْفُو الكُلُومَ " فهي الجِرَاح والآثَارُ الَّتِي تُشَبِّهُهَا قَالَ جَرِيرٌ :

تَلَقَّى السَّلِيطِيُّ^(١) وَالْأَبْطَالُ قَدْ كَلَمُوا وَسَطَ الرِّجَالِ سَلِيمًا غَيْرَ مَكْلُومٍ^(٢)

وينشد " وَسَطَ الرِّحَالِ " و " تَغْفُو " تَدْرُسُ .

وقوله " عَظْمُهُ غَيْرُ ذِي نَخْصٍ " " النَّخْصُ " : اللَّحْمُ ، يُقَالُ : يَأْكُلُ نَخْصًا

وَيَرْوَى مَخْصًا .

وقوله " فَهُوَ مُهَابِذٌ " يَقُولُ : بِجَهْدٍ . وَهَذَا لُفْظٌ فِيهَا سَعْيٌ شَدِيدٌ ، وَفِي جَمَاعَةٍ مِنْ

الْقَبَائِلِ الَّتِي تَحُلُّ بِأَكْتَنَافِ الْحِجَازِ .

ولَقِيَ الزَّبْرِقَانُ بْنُ بَذْرِ وَهُوَ قَاصِدٌ بِصَدَقَاتِ قَوْمِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ

الْحُطَيْيَّةَ فِي طَرِيقِهِ ، فَقَالَ لَهُ الزَّبْرِقَانُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا أَبُو مُلَيْكَةَ ، أَنَا حَسَبٌ

مَوْضُوعٌ ! فَقَالَ لَهُ الزَّبْرِقَانُ : إِنِّي أُرِيدُ هَذَا الْوَجْهَ ، وَمَالِكٌ مَنَزَلٌ فَاْمُضْ إِلَى مَنْزِلِي بِهَذَا

السَّهْمِ ، فَسَلَّ عَنْ الْقَمَرِ بْنِ الْقَمَرِ ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَغُودَ إِلَيْكَ ، فَفَعَلَ ، فَأَنْزَلُوهُ ،

وَأَكْرَمُوهُ ، فَأَقَامَ بَيْنَهُمْ ، فَحَسَدَهُمْ عَلَيْهِ بَنُو عَمَّتِهِمْ مِنْ بَنِي قُرَيْعٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ الزَّبْرِقَانَ مِنْ

بَنِي بَهْدَلَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ، وَخَاسِدُوهُ بَنُو قُرَيْعٍ بْنِ

عَوْفٍ بْنِ كَعْبٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لِعَوْفٍ إِلَّا قُرَيْعٌ وَعُطَارِدٌ وَبَهْدَلَةٌ ، وَكَانَ الَّذِينَ حَسَدُوهُ مِنْهُمْ

بَنُو لَأْيٍ بْنِ شَمَّاسٍ بْنِ أَنْفَرِ النَّاقَةِ بْنِ قُرَيْعٍ ، فَدَسُّوا إِلَى الْحُطَيْيَّةِ : أَنْ تَحُولَ إِلَيْنَا نُعْطِكَ مَائَةَ

نَاقَةٍ ، وَنَشُدُ كُلُّ طَنْبٍ مِنْ أَطْنَابِ بَيْتِكَ بِجُلَّةٍ بِحَوْنَةٍ ، [قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : مَا سَمِعْتُ " بِحَوْنَةٍ

(١) (السليطي) نسبة إلى سليط وهو كعب بن الحرث بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن

زيد مناة بن تميم.

(٢) قال علي بن حمزة في التنبيهات ١٤٥: "إنما الرواية : غير مفلول ، يلي هذا البيت

لم يركبوا الخيل إلا بعد ما هرموا فهم يقال على أكتافها ميل "

وعلق العلامة الميمنى على قول ابن حمزة بقوله : " رواية النقائض رقم ١٧ [ص: ٢٨] ود الصاوى

٤٦٥ [نعمان : ٩٥٤] بطيناً وهو مفلول . والغريب أن تخفى على أبى القاسم فيتركب الإقواء "

"إلا في هذه القصة [، قال : فأنتي لي بذلك !؟ قالوا : إنهم يريدون النجعة فإذا احتملوا فتخلف عنهم ، ثم دسوا إلى امرأة الزبرقان من خبرها أن الزبرقان إنما قدم هذا الشيخ ليتزوج ابنته -! فقدح ذلك في قلبها -! فلما احتمل القوم تخلف الحطيئة ، فاحتمله القرعِيُّونَ ، فبنوا له ووقوا له ، فلما جاء الزبرقان صار إليهم ، فقال : ردوا علي جاري ، فقالوا : ليس لك بجار وقد طرحت ! فلذلك حيث يقول الحطيئة :

وإن التي نكبتها عن معاشر	علي عصاب أن صدت كما صدوا
أتت آل شماس بن لأي وإنما	أتاهم بها الأخلام والحسب العِد
فإن الشقي من تعادي صدورهم	وذو الجد من لأنوا إليه ومن ودوا
يسوسون أحلاما بعيدا أئاتها	وإن غضبوا جاء الحفيظة ^(١) والجد ^(٢)
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم	من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى	وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها	وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وإن قال مولاهم على جل حادث	من الدهر : ردوا فضل أحلامكم ردوا
وتغذلني أفاء سغد عليهم	وما قلت إلا بالذي علمت سعد

قوله " بجلة بخونة " : أي ضحمة ، يقال ذلك للناقة والنخلة إذا استفحلت وطالت .

وقوله " نكبتها " يقول : عدت بها .

وقوله " والحسب العِد " معناه : الجليل الكثير ، وأصل ذلك في الماء ، يقال " بر عِد " إذا كانت ذات مادة من العيون لا تنقطع ، وكل ماء ثابت فهو " عِد " .

وقوله : يسوسون أحلاما بعيدا أئاتها

(١) الحفيظة اسم من الحفاظ وهو الذب عن المحارم والمحافظة عليها

(٢) الجد " بالكسر " الاجتهاد ساعة البأس .

يقول : ثَقَالٌ لَا يُبْلَغُ آخِرُهَا ، وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنَّ " الْأَنَاءَ " مِنَ التَّأْنِي وَالِانْتِظَارِ ،
فيقول : لَا يُبْلَغُ آخِرُهَا فَتُسَفَّهُ .

وقوله : أولئك قومٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبَنَى

وإن شئتَ قلتَ " الْبَنَى " فهما مقصورانِ ، يقال " بَنَى بَنِيَّةً وَبُنْيَةً " فجمعُ " بَنِيَّةٍ " بَنَى " وَجَمْعُ " بَنِيَّةٍ " بَنَى " فَبَنِيَّةٌ وَبَنَى كَكِسْرَةٍ وَكَسْرٍ ، وَبَنِيَّةٌ وَبَنَى كظُلْمَةٍ وَظَلَمٍ ، فَأَمَّا الْمَصْدَرُ مِنْ " بَنَيْتُ " فَمَمْدُودٌ ، يقالُ : " بَنَيْتُهُ بِنَاءً حَسَنًا " وما أَحْسَنَ بِنَاءَكَ " .

وقوله " وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفُوا " " أَوْفَى " أَحْسَنُ اللَّغَتَيْنِ ، " وَفَى " لَغَةٌ ، قال الشاعرُ ،
فجمعَ بينَ اللغتين :

أَمَّا ابْنُ بَيْضٍ ^(١) فَقَدْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ كَمَا وَفَى بِقِلَاصِ النِّجْمِ حَادِيهَا ^(٢)
وفي القرآن : ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ ﴾ ^(٣) وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ ^(٤) وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَالْمُؤُفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ ^(٥)
فهذا كله على " أَوْفَى " وقال رسولُ الله ﷺ فيما رُوِيَ أَنَّهُ ^(٦) قَتَلَ مُسْلِمًا بِمُعَاهَدٍ ، وقال :

(١) " بفتح الباء وكسرها " هو عن أبي زيد رجل تاجر مكثر . كان لقمان بن عاد يجيره على خراج يؤديه إليه كل عام . فلما حضرته الوفاة قال لوالده لا تجاورن لقمان وسر لمالك وأهلك فإذا صرت إلى عقبه كذا فضح حقه عليها . ففعل . فجاء لقمان فأخذه وانصرف (كما وفى الخ) ذلك على ماتزعم العرب أن الدبر ان خطب الثريا وساق لها عشرين نجما .

(٢) البيت من البسيط ، وهو لطيف الغنوى في ديوانه ص ١١٣ ، ولسان العرب (٨٢/٧) (قلص) ،
(٣٩٨/١٥) (وفى) ، وتاج العروس (١٢٥/١٨) (قلص) ، (وفى) .

(٣) سورة آل عمران : ٧٦ .

(٤) سورة النحل : ٩١

(٥) سورة البقرة : ١٧٧ .

(٦) وفى أ : من أنه .

"أنا أُولَى مَنْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ" .^(١)

وقال السَّمَوِيُّ فِي اللُّغَةِ الْأُخْرَى :

وَفَيْتُ بِأَذْرُعِ الْكِندِيِّ إِنِّي إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ^(٢)

وقال الْمُكَعْبَرُ الضَّبِّيُّ : [قال أبو الحسن : حفظني " الْمُكَعْبَرُ " بكسر الباء]

وَفَيْتُ وَقَاءَ لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهُ يَتَغَشَّارَ^(٣) إِذْ تَحْجُو إِلَيَّ الْأَكَابِرُ^(٤)

وقوله :

وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا

يقول ما قال جرير مِثْلَهُ :

وإنني لأستخني أخِي أَنْ أَرَى لَهُ عَلِيٍّ مِنْ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَرَى لِيَا^(٥)

يقول : أَسْتَخِي أَنْ أَرَى نِعْمَتَهُ عَلَيَّ وَلَا يَرَى عَلَى نَفْسِهِ لِي مِثْلُهَا .

(١) " منكر : أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ، وكذا عبد الرزاق ، وأبو داود في " المراسيل " ، والطحاوي ، والدارقطني (ح ٣٢٣٢) والبيهقي (٢١ ، ٢٠ / ٨) ، وقال الحافظ في " الفتح " (٢٧٣ / ١٢) بعد ذكره هذا الخبر : " قال الدارقطني : إبراهيم ضعيف ولم يروه موصولا غيره ، والمشهور عن ابن البيلماني مراسلا . " ثم قال أيضا : " وهو منقطع وراويه غير ثقة ... " قلت : ومما يزيد معارضاً أنه معارض للحديث الصحيح ، وهو قوله (من) : " لا يقتل مسلم بكافر " أخرجه البخاري في " الديات " باب : لا يقتل المسلم بالكافر (٢٧٢ / ١٢) ، (ح ٦٩١٥) من حديث علي رضي الله عنه . وقد استوفى الكلام عليه العلامة الألباني في " الضعيفة " (ح ٤٦٠) . فراجع إن شئت .

(٢) البيت في ديوانه ص ٨٠

(٣) تعشار بكسر التاء موضع بالدنهاء . معجم البلدان ٣٤ / ٢ .

(٤) البيت من الطويل له في لسان العرب (١٣١ / ٥) (كبير) ، وتاج العروس (٥٥ / ١١) (عشر) ،

(١٤ / ١٤) (كبير) ، وتهذيب اللغة (٣١٣ / ١٠) .

(٥) تقدم تخريجه

وقوله : " على جُلٍّ حادثٍ " فهو الجليل من الأمر ، يقال : فلان يُدعى للجلّى ، قال طرفة:

وإن أذع للجلّى أكن من حماتها
وفيهم ^(٢) يقول الخطيئة ^(٣) :

لَقَدْ مَرَيْتُكُمْ لَوْ أَنَّ دَرَّتْكُمْ
لَمَّا بَدَأَ لِي مِنْكُمْ غَيْبُ أَنْفُسِكُمْ
أَزْمَعْتُ يَأْسًا مُبِينًا مِنْ نَوَالِكُمْ
مَا كَانَ ذَنْبٌ بَغِيضٍ لَا أَبَا لَكُمْ
جَارٌ لِقَوْمٍ أَطَالُوا هَوْنَ مَنْزِلِهِ
مَلُّوا قِرَاهُ وَهَرَّتْهُ كِلَابُهُمْ
دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُغْيَتِهَا
مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَغْدَمُ جَوَازِيَهُ
يَوْمًا يَجِيئُ بِهَا مَسْجِي وَإِسَاسِي
وَلَمْ يَكُنْ جِرَاحِي فِيكُمْ آسٍ
وَلَا تَرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالْيَاسِ
فِي بَائِسٍ جَاءَ يَخْذُو آخِرَ النَّاسِ
وَعَادَرُوهُ مُقِيمًا بَيْنَ أَرْمَاسٍ ^(٤)
وَجَرَّخُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسٍ
وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي ^(٥)
لَا يَذْهَبُ الْعَرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ ^(٦)

(١) عجزه : وإن يأتك الأعداد بالجهد أجهد

(٢) يريد في الزبرقان وأهله

(٣) ديوانه ق ١٠٢، ٧١/٣، ٢٠٢، ١٠، ١٣، ١٥، ص ٢٨٣-٢٨٤ سبق البيت و ١٢ ص ٤٧٢.

(٤) الأرماس : جمع رمس وهو القبر أو التراب ، وفسره الميرد فيما يأتي

(٥) قوله فإنك أنت للطاعم الكاس جاء اسم الفاعل وأراد اسم المفعول أى المطعوم المسكوك، وهذا من الهجاء المفزع .

(٦) الأبيات من البسيط ، وهى له فى ديوانه ص ١٠٧-١٠٨ ، وانظر لسان العرب (٦/٢٣٠) (نسب) ، (١٠٢/٦) (رمس) ، والأغاني (٢/١٥٤) ، وحاشية يس (٢/٦٣) ، وحماسة البحرى ص ١٦٦ ، والخصائص (٣/٢٥٨) ، والدرر (٥/٢٥١) ، وشرح شواهد المغنى (٢/٩١٦) ، واحتسب (١/٣٠٧) ، ومغنى اللبيب ص ٥٨٨/٢ ، وجمع الموامع (٢/٩٣) .

قوله : " لقد مَرَيْتُكُمْ " أَصْلُ " الْمَرِي " : الْمَسْحُ ، يقال " مَرَيْتُ الناقة " إذا مسحتَ ضَرْعَهَا لِتُدْرَ ، ويقالُ " مَرِي الفرسُ والناقة " : إذا قام أحدهما على ثلاثٍ ومَسَحَ الأرضَ بيده الأخرى ، قال الشاعر :

إِذَا حُطَّ عَنْهَا الرَّحْلُ أَلْقَتْ بِرَأْسِهَا إِلَى شَذَبِ الْعِيدَانِ أَوْ صَفَنْتَ تَمْرِي^(١)

وهذا من أَحْسَنِ أوصافِها .

وقال بعض المحدثين يَصِفُ بِرَذُونًا بِحَسَنِ الأدب :

وَإِذَا احْتَبَى قَرْبُوسُهُ بِعَيْنَيْهِ^(٢) عَلَكَ اللَّجَامَ إِلَى انْصِرَافِ الزَّائِرِ

ويقال : " مَرَاهُ " مائةٌ سوطٍ ومائةٌ درهم : إذا أَوْصَلَ ذلك إليه ، وَلَ " مَرَاهُ " موضعٌ آخرٌ ، ومعناه ، مَرَاهُ حَقُّهُ : إذا دَفَعَهُ عَنْهُ وَمَنَعَهُ مِنْهُ ، وقد قُرِيَءَ : ﴿ أَفْتَمَرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾^(٣) أي تَدَفَعُونَهُ عَنْهُ ، و " على " ههنا " في موضع " عن " قال العَامِرِيُّ^(٤) : إذا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمَرُا اللَّهُ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا^(٥)

(١) البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة في لسان العرب (٢٧٧/١٥) (مرا) ، وتهذيب اللغة (٢٨٣/١٥) ، وكتاب الجيم (١٢٦/٢) ، وتاج العروس (مري) .

(٢) ولا تسكن راءه في الشعر مقدم وفيه العضادن ومؤخر وفيه الرجلان والاحتباء أن يضم الرجل ركبته الى بطنه بثوب يجمعهما مع ظهره ثم يشده وقد يكون الاحتباء باليدين بضمهما على ركبتيه والعنان " بالكسر " سير اللجام الذي تمسك به الدابة وهما سيران على صفحتي العنق مشدود آخرهما فإذا على القربوس كانت هيئته كهيئة احتبى واسناد الاحتباء اليه مجاز وسعه (ومعناه) كان المناسب أن يقول يقال مراة حقه ومعناه دفعه الخ يريد جحده ومنه قول عرفة الأسدي

(٣) سورة النجم : ١٢ . وأفتمرونه بفتح التاء وسكون الميم مضارع مري هي قراءة حمزة والكسائي من السبعة ويعقوب وخلف من العشرة ، وعزاها صاحب البحر لعلی وعبد الله وابن عباس والحدردی وابن سعدان .

وقرأ الجمهور (أفتمارونه) بضم التاء وألف مضارع ماري . انظر السبعة لابن مجاهد ٦١٤ ، وحجة القراءات ٦٨٥ ، والكشف لمكي ٢/٢٩٤ ، والنشر ٢/٣٧٩ ، والبحر ٨/١٥٩ .

(٤) البيت في النوادر ١٧٦ ، والمقتضب ٢/٣٢٠ ، والخزانة ٤/٢٤٧ ، ومجاز القرآن ٢/٨٤ ، وانظر أدب الكاتب ٥٠٧ وقد خرجناه هناك . وسيأتي البيت

(٥) البيت من الوافر ، وهو للقيحيف العقيلي في أدب الكاتب ص ٥٠٧ والأزهية ص ٢٧٧ ، وخزانة الأدب (١٣٢/١٠) والدرر (١٣٥/٤١) ، وشرح التصريح (١٤/٢) ، وشرح شواهد المغنى

وبنو كعب بن ربيعة بن عامر يقولون : " رضي الله عليك " .

وأما " الإيساس " فإن تدعو الناقة باسمها ، أو تُلين لها الطريق إلى الحلب ، يقول
أو مسح أو ما أشبه ذلك ، فإذا كانت الناقة تدرّ على الدعاء والمَلَقِ قيل : " ناقةٌ بسوس "
وذلك من صفاتها في حُسن الخلق .

وقوله : ولم يكن لجراحي فيكم أس

يقول : مُداو ، و " الآسي " : الطبيب ، قال الفرزدق ^(١) يصف شحّة :

إذا نظر الآسُونُ فيها تقلّبتَ حَمَالِيَهُمْ مِنْ هَوْلِ أَنْيَابِهَا الْعُضَلِ

و " الإساء " الدواء ، ممدودٌ ، قال الخطيب :

هُمُ الْآسُونُ أَمَ الرَّأْسِ لَمَّا تَوَاكَلَهَا الْأَطِيبَةُ وَالْإِسَاءُ ^(٢)

فأما " الآسى " فمقصورٌ ، وهو : الحزنُ ، ومن ذلك قولُ الله جلّ ثناؤه : ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٣) وقال العجاج ^(٤) :

(١/٤١٦) ولسان العرب (٣٣٢/١٤) (رضى) والمقاصد النحوية (٢٨٢/٣) ونوادر أبي زيد
ص ١٧٦ ، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر (١١٨/٢) ، والإنصاف (٦٣٠/٢) ، وأوضح المسالك
(٤١/٣) ، وجمهرة اللغة ص ١٣١٤ ، والجنى الدانى ص ٤٧٧ ، والخصائص (٣١١/٢) ، (٣٨٩) ،
ورصف المباني ص ٣٧٢ ، وشرح الأشموني (٢٩٤/٢) ، وشرح شواهد المغنى (٩٥٤/٢) ، وشرح
ابن عقيل ص ٣٦٥ ، وشرح المفصل (١٢٠/١) ، ولسان العرب (٤٤٤/١٥) (با) ، والمحتسب
(١/٥٢ ، ٣٤٨) ، وشرح المفصل (١٢٠/١) ، ومغنى اللبيب (١٤٣/٢) والمقتضب (٢/٣٢٠)
وهمع الهوامع (٢٨/٢) ، وتاج العروس (عنن) .

(١) ديوانه ٢ / ١٥٤ وفيه " أنيابها الثعل "

(٢) البيت من الوافر ، وهو له في ديوانه ص ٥٦ ، ولسان العرب (٣٤/١٤) (أسا) ، ومقاييس اللغة
(١/١٠٥) ، وتهذيب اللغة (١/١٤٠) .

(٣) سورة المائدة : ٦٨ .

(٤) ديوانه ١ / ١٨٥ .

يا صَاحِ هل تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسًا^(١) ؟ قال : نَعَمْ أَغْرِفُهُ ، وَأُبْلَسَا^(٢)

وَانْحَلَبْتَ عَيْنَاهُ مِنْ فَرْطِ الْأَسَى^(٣)

فإذا قلت " الأسى " قَصَرْتَ أَيْضًا ، وهو جَمْعُ " أَسْوَةٍ " ، يقال " فلانٌ أَسْوَتِي وَقُدْوَتِي " قال الله جل وعزَّ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾^(٤) .
و " الرَّمْسُ " : التُّرابُ ، يقال : رُمِسَ فلانٌ في قبره .

* * *

وأشعارُ الحُطَيْمَةِ في هذا الباب كثيرةٌ ، ولولا أَنَّها معروفةٌ مشهورةٌ لَأَتَيْنَا على آخرِها ، ولكنَّا نَذْكُرُ منها شيئًا مختارًا .

فمن ذلك قوله :

جَزَى الله خَيْرًا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ عَلَى خَيْرٍ مَا يَجْزِي الرِّجَالُ بَغِيضًا
فَلَوْ شَاءَ إِذْ جَنَّبَاهُ ضَنْنٌ فَلَمْ يُلَمِّ وَصَادَفَ مَنْأً فِي الْبِلَادِ عَرِيضًا^(٥)

(١) من أكرس المكان صار فيه كرس " بكسر فسكون " وهو أبوال الابل والغنم وأبعارها يتلبد بعضها على بعض ومنه الكراساة " بضم فتشديد " لتكرس بعضها وانضمامه إلى بعض والإبلاس السكوت هما .

(٢) مكسرًا : متلبدًا من آثار الأربعاء حتى صار طرائق بعضه على بعض . وأبلس : سكت . عن الديوان .

(٣) الرجز له في ديوانه (١ / ١٨٥) ، ولسان العرب (٦ / ٣٠) (بلس) ، (١٩٣) (كرسى) ، والتنبيه والإيضاح (٢ / ٢٦٢) ، وتهذيب اللغة (١٢ / ٤٤٢) ، وتاج العروس (١٥ / ٤٦٤) (بلس) ، (٢٣٢ / ١٦) (عجنس) ، (١٦ / ٤٤٠) (كرسى) ، (٢٤ / ٤٢١) (وكف) ، وجمهرة اللغة ص ٧١٩ ، وأساس البلاغة (بجس) ، وبلا نسبة في لسان العرب (١ / ٣٣١) (حلب) ، مقاييس اللغة (٥ / ١٦٩) ، والمختصص (١ / ١٢٦) ، (٥ / ١٢٣) ، وتاج العروس (٢ / ٣١٠) (حلب) ، وتهذيب اللغة (١٠ / ٥٣)

(٤) سورة الأحزاب : ٢١

(٥) ديوانه ص ١٩٥ .

يقول : كَثُرَتْ مَحَاسِنُهُ حَتَّى كُذِّبَ دَائِمُهُ ، فَاسْتَغْنَى عَنْ أَنْ يُكَيَّرَ ، ثِقَةً بِأَنْ هَاجِبَهُ
غَيْرُ مُصَدِّقٍ ، فَاعْتَبِرْ هَذَا الْكَلَامَ ، فَإِنَّكَ تَجِدُهُ رَأْسًا فِي بَابِهِ .
ومن ذلك قوله :

وَإِنِّي قَدْ عَلِقْتُ بِجَبَلِ قَوْمٍ أَعَانَهُمْ عَلَى الْحَسَبِ الثَّرَاءُ
إِذَا نَزَلَ الشِّتَاءُ بِجَارِ قَوْمٍ تَجَنَّبَ جَارَ بَيْتِهِمُ الشِّتَاءُ
هُمْ الْأَسْوَنُ أَمْ الرَّأْسِ لَمَّا تَوَاكَلَهَا الْأَطِيبَةُ وَالْإِسَاءُ^(١)
ثم قال يخاطب الزبرقان ورهطه^(٢) :

أَلَمْ أَكُ نَائِيًا فَدَعَوْتُمُونِي فَجَاءَ بِي الْمَوَاعِدُ وَالرَّجَاءُ
فَلَمَّا كُنْتُ جَارَكُمْ أَبَيْتُمْ وَشَرَّ مَوَاطِنِ الْحَسَبِ الْإِبَاءُ
وَلَمَّا كُنْتُ جَارَهُمْ حَبَوْنِي وَفِيكُمْ كَانَ لَوْ شِئْتُمْ حِجَاءُ
فَلَمَّا أَنْ مَدَخْتُ الْقَوْمَ قُلْتُمْ هَجَوْتُ ، وَهَلْ يَحِلُّ لِي الْهَجَاءُ
وَلَمْ أَشَيْتُمْ لَكُمْ عِرْضًا وَلَكِنْ حَدَوْتُ بِحَيْثُ يُسْتَمَعُ الْحُدَاءُ
وَيُرَوَى أَنَّ الْحَطِيبَةَ - واسمها جَزُولُ بْنُ أَوْسٍ ، وَيُكْنَى أَبَا مُلَيْكَةَ - مَرَّ بِحَسَّانَ بْنِ
ثَابِتٍ وَحَسَّانُ يُنْشِدُ :

لَنَا الْجَفَنَاتِ الْغُرُ يُلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا^(٣)

(١) الأبيات من الوافر له في ديوانه (ص ٥٦-٥٧) ، وانظر لسان العرب (٦٠٦/١) (غضب) ،
(٤٢٢/١٤) (شتا) ، والمخصص (٢٩/١٦) ، وتهذيب اللغة (٩/٣٢٨) ، (٣٩٦/١١) ، وتاج
العروس (٣٩٢/٣) (غضب) ، (شتا) . وقد تقدم البيت الأخير قبل ذلك بشاهدين .

(٢) الأبيات ٩٨، ١٠٨، ٧٦، ٣، ص ٩٨.

(٣) البيت من الطويل ديوانه ص ١٣١ ، وأسرار العريضة ص ٣٥٦ وخزانة الأدب
(٨/١٠٦، ١٠٧، ١١٠، ١١٦) ، وشرح الأشموني (٣/٦٧١) ، وشرح شواهد الإيضاح ص ٥٢١ ،
وشرح المفصل (٥/١٠) ، والكتاب (٣/٥٧٨) ، ولسان العرب (١٤/١٣٦) (جدا) ، والمحتسب
(١٨٧/١) ، والمقاصد النحوية (٤/٥٢٧) ، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر (١/١٣٥) والخصائص
(٢/٢٠٦) ، والمقتضب (٢/١٨٨) .

فالتفت إليه فقال : كيف ترى ؟ فقال : ما أرى بأسًا ! فقال حسان : انظروا إلى هذا الأعرابي يقول : ما أرى بأسًا !! أبو مَنْ ؟ قال : أبو مُيَكَّةَ ، فقال حسان : ما كنتَ عليَّ أهونَ منكَ حيثُ اكتنيتَ بامرأَةٍ ! ما اسمُكَ ؟ قال : الحطيئةُ ، قال : امضِ بِسَلامٍ .

وكان الحطيئةُ في حبسِ عمر بن الخطاب رحمه الله ، باستِعدادِ الزبرقانِ عليه في هذه القصة ، ولِعُمَرَ يقولُ^(١) :

ماذا تقول لأفراخ^(٢) بذي مرخ
حُمِرِ الحواصيل لا ماء ولا شجرُ
ألقيتَ كاسِبَهُمْ في قَعَرٍ مُظْلِمَةٍ
فاغفرْ عليك سلامُ الله يا عَمْرُ
أنتَ الإمامُ الذي من بعد صاحبه
ألقى إليك مقاليدَ النهى البشرُ
ما آثروك بها إذ قدّموك لها
لكن بك استأثروا إذ كانت الأثر^(٣)

ويُروى عن أبي زيد الأنصاري أنه قال : ويُروى " الإثر " ^(٤) ، والواحدة " أثرٌ " و " إثرٌ " ومعناه : الاستئثارُ .
فَرَقَّ له عمر فأخرجه .

(١) ديوانه ص ٢٠٨

(٢) (لأفراخ) يريد به عياله

(٣) الأبيات من البسيط ، وهي له في ديوانه ص ١٦٤ - ١٦٥ ، والأخير في لسان العرب (٨٤٧/٤) (أثر) ، وتاج العروس (١٧/٣) (أثر) ، وتهذيب اللغة (١٢٢/١٥) .

والأول في الأغاني (١٥٦/٢) ، وأوضح المسالك (٣١٠/٤) ، وخزانة الأدب (٢٩٤/٣) ، والخصائص (٥٩/٣) ، وشرح التصريح (٣٠٢/٢) (طلع) والشعر والشعراء (٣٣٤/١) ولسان العرب (٥٣٢/٢) ، معجم ما استعجم ص ٨٩٢ ، والمقاصد النحوية (٥٢٤/٤) ، وبلا نسبة في أسرار العربية ص ٣٤١ ، وشرح الأشموني (٦٧٤/٣) ، وشرح المفصل (١٦/٥) ، والمقتضب (١٩٦/٢) والثاني في لسان العرب (٥٣٢/٢) (طلع) ، وتاج العروس (٥٨٦/٦) (طلع) .

٣٤٨ انظر هامش الكتاب ص ٧٢٦ رقم (٤)

(٤) انظر النوادر ٨٧ .

وَيُرَوَّى أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ دَعَا بِكَرْسِيٍّ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، وَدَعَا بِالْحُطَيْيَةِ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَدَعَا بِإِسْفَنَى وَشَفْرَةَ ، يُوهِمُهُ أَنَّهُ عَازِمٌ عَلَى قَطْعِ لِسَانِهِ ، حَتَّى ضَجَّ مِنْ ذَلِكَ ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُ الْحُطَيْيَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنِّي وَاللَّهِ قَدْ هَجَوْتُ أَبِي وَأُمِّي وَامْرَأَتِي وَهَجَوْتُ نَفْسِي فَتَبَسَّمَ عَمَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ : فَمَا الَّذِي قُلْتَ ؟ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي وَأُمِّي - وَالْمَخَاطَبَةُ لِلْأُمِّ :

وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي النَّسَاءِ فَسُوِّتَنِي وَأَبَا بَنِيكَ فَسَاءَنِي فِي الْمَجْلِسِ^(١)
وَقُلْتُ لَهَا :

تَنَحَّيْ فَاجْلِسِي مِنِّي بَعِيدًا أَرَاخُ اللَّهَ مِنْكَ الْعَالَمِينَ
أَغْرِبَالًا إِذَا اسْتَوْدِعْتَ سِرًّا وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ^(٢)
وَقُلْتُ لَامْرَأَتِي :

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ ثُمَّ آوِي إِلَى بَيْتٍ قَعِيدَتْهُ لَكَاع^(٣)

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ : " أَلْقَتْ " .

(٢) الْبَيْتَانِ مِنَ الْوَافِرِ لَهُ فِي دِيْوَانِهِ ص ١٢٣

وَالْأَوَّلُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (٤٨٤/١٥) . هُنَا ، وَتَهْذِيبُ اللُّغَةِ (٣٧٦/٥) ، (٤٣٦/٦) ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (هُنَا)

وَرَوَايَتُهُ : هُنَا أَقْعَدِي مِنِّي بَعِيدًا

وَالْبَيْتُ الثَّانِي فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (٣٦٢/١٣) (كُفْن) ، وَتَهْذِيبُ اللُّغَةِ (٤٥٤/٩) ، وَمَقَائِيسُ اللُّغَةِ (١٢٣/٥) ، وَجَمَلُ اللُّغَةِ (١٩٠/٤) ، وَدِيْوَانُ الْأَدَبِ (٦١/٣) ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (غُرْبَل) ، وَبَلَا نِسْبَةٍ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ (كُفْن) .

(٣) الْبَيْتُ مِنَ الْوَافِرِ ، لَهُ فِي مَلْحَقِ دِيْوَانِهِ ص ١٥٦ ، وَجُمْهُرَةُ اللُّغَةِ ص ٦٦٢ ، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ (٤٠٥، ٤٠٤/٢) ، وَالْدُرَرُ (٢٥٤/١) ، وَشَرْحُ التَّصْرِيحِ (١٨٠/٢) ، وَشَرْحُ الْمَقْصَلِ (٥٧/٤) ، وَالْمَقَاصِدُ النُّحْوِيَّةُ (٤٧٣/١) (٢٢٩/٤) ، وَلِأَبِي الْغَرِيبِ النَّصْرِيِّ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (٣٢٣/٨) (٢٢٩/٤) ، وَلِأَبِي الْغَرِيبِ النَّصْرِيِّ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (٣٢٣/٨) (لُكْع) ، وَبَلَا نِسْبَةٍ فِي أَوْضَحِ الْمَسَالِكِ (٤٥/٤) ، وَالْدُرَرُ (٣٩/٣) ، وَشَرْحُ شَذُورِ الذَّهَبِ ص ١٢٠ ، وَشَرْحُ ابْنِ عَقِيلٍ ص ٧٦ ، وَالْمُقْتَضَبُ (٢٣٨/٤) ، وَهَمْعُ الْهَوَامِعِ (١٧٨/٨٢/١) .

وَرَوَايَةُ الْبَيْتِ . أَجُولُ . بَدَلًا مِنْ " أَطُوفُ " .

فقال له عمرُ رحمه الله : فكيف هَجَرْتُ نفسك ؟ فقال : اطلَّعْتُ في بئرٍ فرأيتُ وجهي فاستقْبَحْتُهُ ! فقلتُ :

أَبْتُ شَفَاتِي الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمَا بِسُوءٍ فَمَا أَذْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهًا قَبَحَ اللَّهُ خَلْقَهُ فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهِهِ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ !!^(١)

* * *

ونزل أعرابيٌّ من طَيْءٍ يقالُ له الْمُثَنَّى بنُ معروفٍ بأبي جَبْرِ الْفَزَارِيِّ ، قسمه يوماً يقول : والله لَوَدِدْتُ أَنِّي بَتُّ اللَّيْلَةِ خَالِيًا بَابِنَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ! فقال : أَحَلَّالًا أم حرامًا ؟ فقال : ما أَبَالِي ! فَوُتِبَ عَلَيْهِ فَضْرَبَ رَأْسَهُ بِرِحَالِهِ^(٢) ، ثم انتقلَ فقال :

أَبْلُغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً عَلَى النَّأْيِ أَنِّي قَدْ وَتَرْتُ أَبَا جَبْرِ
كَسَرْتُ عَلَى الْيَافُوخِ^(٣) مِنْهُ رِحَالَةً لِنَصْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا يَذْرِي
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُهُ بَنَى بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِلَا مَهْرٍ

* * *

وَيُرْوَى : أَنَّ الْحِجَاجَ بْنَ يَوْسَفَ جَلَسَ لِقَتْلِ أَصْحَابِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! إِنَّ لِي عَلَيْكَ حَقًّا ، قَالَ : وَمَا حَقُّكَ ؟ قَالَ : سَبَّكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَوْمًا فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : أَنَشُدُ اللَّهَ رَجُلًا سَمِعَ ذَلِكَ إِلَّا شَهِدَ بِهِ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَسْرَاءِ فَقَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ أَهْيَا الْأَمِيرَ ! قَالَ : خَلُّوا عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ لِلشَّاهِدِ : فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُنْكِرَ كَمَا أَنْكَرَ ؟ قَالَ : لِقَدِيمِ بُغْضِي إِيَّاكَ ! قَالَ : وَلِيُخَلَّ عَنْهُ لَصِدْقِهِ .

* * *

(١) ديوانه ص ٢٨٢ .

(٢) الرحالة : سرج من جلد لا خشب فيه .

(٣) (اليافوخ) بهمز وهو ملتقى عظمي مقدم الرأس ومؤخره

وقال عمرُ بنُ الخطاب لرجلٍ - وهو أبو مريمَ السلُوليُّ - : والله لا أُجِيبَكَ حَتَّى تُحِبَّ الأَرْضُ الدَّمَ ! قال : أَفَتَمَنَعُنِي حَقًّا ؟ قال : لا ، قال : فلا بُاسَ ، إِنَّمَا يَأْسَفُ عَلَى الحُبِّ النساءُ ^(١) .

وقال الحجاجُ لرجلٍ من الخوارج : والله إِنِّي لأُبْغِضُكُمْ ، فقال الخارجيُّ : أَدْخِلَ اللهُ أَشَدَّنَا بُغْضًا لصاحبه الجنة !

وَأُتِيَ الحجاجُ بامرأةٍ من الخوارج ، فجعلت لا تَنْظُرُ إليه ، وكان يزيدُ بنُ أبي مُسلمٍ يَرى رأيَ الخوارجِ وَيَكْتُمُ ذَلِكَ ، فَأَقْبَلَ عَلَى المرأةِ فقال : انْظُرِي إِلَى الأميرِ ، فقالت : لا أَنْظُرُ إِلَى مَنْ لا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِ ! فَكَلَّمَهَا الحجاجُ وَهِيَ كَالسَّاهِيَةِ ، فقالَ لها يزيدُ : اسْمِعِي - وَيَلْكَ - من الأمير ! فقالت : بل الويلُ لك أَيُّها الكافرُ الرَّدِّيُّ .

قال أبو العباس : و " الرَّدِّيُّ " عند الخوارج : الذي له عَقْدُهُمْ وَيُظْهِرُ خِلافَهُ رَغْبَةً فِي الدُّنْيَا .

وكان صالح بن عبد الرحمن كاتبَ الحجاج وصاحبَ دَوَاوِينِ العراقِ ، والذي قَلَبَ الدَّوَاوِينَ إِلَى العربية ، ثُمَّ كان على خَرَاجِ العراقِ أَيَّامَ وَلِيِّ يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ العراقِ ، فَأَشْجَى يزيدُ ، وكان يَرى رأيَ الخوارجِ ، فَكَائِدَهُ يزيدُ بنُ أَبِي مُسْلِمٍ مَوْلَى الحجاج ، فَأَشَارَ عَلَى الحجاجِ أَنْ يَأْمُرَهُ بِقَتْلِ جَوَّابِ الضَّبِّيِّ ، وهو رأسٌ من رُءُوسِ الخوارجِ ، وقال

(١) بعده في زيادات بعض النسخ : " وهم أبو العباس رحمه الله في قوله " أبو مريم السلُولي " إنما هو أبو مريم الحتفي ، وكان سبب بغضه إياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب وكان أبو مريم صاحب مسيلمة الكذاب واسم أبي مريم إياس بن صبيح [كذا] ثقة كوفي : واسم أبي مريم السلُولي مالك بن ربيعة من الصحابة . روي عنه ابنه يزيد [كذا] وغيره اهـ . وما استدرك به صاحب الحاشية صحيح . وقد جعلت [كذا] في موضعين منها تنبيهاً على أنهما مصحفان . أما الأول فالصواب " إياس بن ضبيح " بالضاد المعجمة نص عليه الأمير في الإكمال ١٧١/٥ ، والذهبي في المشتبه ٤٠٩ ولم يذكره غيره . وانظر تعليق العلامة المعلمي اليماني على الإكمال .

وأما الثاني فالصواب " روي عنه ابنه يزيد " بضم الباء الموحدة وفتح الراء نص عليه الأمير في الإكمال ٢٢٧/١ .

يزيد : إن فعلَ برئتُ منه الخوارجُ وقتلتهُ ، وإن أمتسك قتلته الحجاجُ ، فقتلته . حُبِرَتْ أَنَّهُ
قال : والله ما قتلتهُ رغبةً في الحياة ، ولكنِّي خِفْتُ أَنْ يَسْبِيَ الحجاجُ بَنَاتِي ، وكان يقولُ
بَعْدُ : إِنِّي حِينَ أَقْتُلُ جَوَابًا لِحَرِيصٍ عَلَى الدُّنْيَا ! فلما عَذَّبَهُ ابنُ هُبَيْرَةَ في خلافةِ يزيدَ بن
عاتكة رُمِيَ بِهِ عَلَى قُمَامَةٍ ، وهو لَمَّا بِهِ ^(١) ، فَسَمِعَ يُحَكَّمُ عَلَيْهَا . وَحَكَّمَ مَالِكُ بْنُ الْمُنْذِرِ
ابن الجارودِ وهو بآخر رمقٍ في سجن هشامِ بن عبد الملك .

ودخلَ يزيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ دَمِيمًا ، فَلَمَّا رَأَاهُ
سُلَيْمَانُ قَالَ : قَبَّحَ اللَّهُ رَجُلًا أَجْرَكَ رَسَنَهُ ، وَأَشْرَكَكَ فِي أَمَانَتِهِ ! فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ عَنِّي مُذْبِرٌ ، وَلَوْ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ عَلَيَّ مُقْبِلٌ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنِّي مَا
اسْتَصْغَرْتُ وَاسْتَعْظَمْتُ مِنِّي مَا اسْتَحَقَرْتُ ، فَقَالَ : أَتُرَى الْحَجَّاجَ اسْتَفَرَّ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ
بَعْدُ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَقُلْ ذَلِكَ فِي الْحَجَّاجِ ، فَإِنَّ الْحَجَّاجَ وَطْأَ لَكُمْ الْمَنَابِرَ ،
وَأَذَلَّ لَكُمْ الْجَبَابِرَ ، وَهُوَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِ أَبِيكَ ، وَعَنْ يَسَارِ أَخِيكَ ، فَحَيْثُ
كَانَا كَانَ !!

* * *

(١) قال محقق س : لما به : اللام الجارة والموصولية والباء الجارة والضمير هذا الصواب ، وضبط في ر :
لما به " كذا قرأها فليشر وذكر أنها لم تضبط في أى من النسخ ، وأن ما فيها جميعاً : " لما به " وارتضى
الشيخ المرفصى " لما به " فشرحها في رغبة الآمل ١٦٩/٥ ؟ وكذا ضبطه من جاء بعده ، والصواب
ما أثبت .

باب

قال أبو العباس وهذا بابٌ من تكاذيب الأعراب .

حدثني أبو عمر الجرميُّ قال : سألتُ أبا عُبَيْدَةَ عن قول الراجز :

أَهْدَمُوا بَيْتَكَ لَا أَبَالَكَ وَأَنَا أَمْشِي الدَّالِّي حَوَالَكَ^(١)

فقلتُ : لِمَنْ هذا الشعرُ ؟ قال : تقولُ العربُ : هذا يقولُه الضُّبُّ لِلْجِسْلِ أَيَّامَ

كَانَتْ الْأَشْيَاءُ تَتَكَلَّمُ !

" الدَّالِّي " مَشْيٌ كَمَشْيِ الذُّبِّ ، يقالُ : هو يَدَّالُ في مِشْيَتِهِ : إذا مَشَى كَمِشْيَةِ

الذُّبِّ ، من ذلك قولُ امرئِ القيسِ^(٢) :

أَقْبُ^(٣) حَيْثُ الرِّكْضِ وَالذَّلَّالِ^(٤)

وَمَنْ قَالَ فِي بَيْتِ ابْنِ عَمَّةِ الضَّبِّيِّ :

تُعَارِضُهُ مُرَبَّيَّةٌ ذَوُولُ^(٥)

فإنَّما أرادَ هذا ، ومن قال " ذَوُولُ " فإنَّما أرادَ السَّرعَةَ ، يقالُ : " مَرَّ يَذَّالُ " :

إذا مَرَّ يُسْرَعُ .

(١) الرجز على لسان ضب في الحيوان (١٢٨/٦) ، والدرر (١١٩/١) ، وبلا نسبة في لسان العرب

(١٤/٢) (بيت) ، (١٨٧/١١) (حول) ، (٢٣٣/١١) (دال) ، وجمهرة اللغة ص ١٣٠٩ ، والدرر

(٢/٢١٦) ، وشرح شواهد الشافية ص ١٢ ، والكتاب (٣٥١/١) ، والمعاني الكبير ص ٦٥٠ ،

وهمع الهوامع (١٤٥/٤١/١) ، والمخصص (٢٢٦/٣ ، ٢٢٣) ، وتاج العروس (دأل) .

(٢) ديوانه ق ٨/٨ ص ٨٦ . والدالان بالدال رواية السكري ، ورواية غيره بالدال المعجمة . انظر

الديوان ص ٣٩٩ . وروايته : " مسح حثيث " .

(٣) (أقب) الفرس الضامر .

(٤) في ديوانه ص ١٦٦ وروايته :

على زيد يزداد عفوا إذا جرى مسح حثيث الركض والذالان

(٥) الأصمعيات ص ٣٧ ، ولاختيارين ص ٣٩٢ . وتخريج الكلمة في الصمعيات .

وقوله " حَوَالِكَا " يقال : هو يطوف : حَوَالَهُ وَحَوَالَهُ وَحَوَالِيَهُ " وَمَنْ قَالَ " حَوَالِيَهُ " بالكسر فقد أخطأ ، وفي القرآن : ﴿ نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ^(١) و " حَوَالِيَهُ " تنية " حَوَالٍ " كما تقول " حَنَانِيهِ " الواحد " حَنَانٌ " قال الشاعر :

فَقَالَتْ حَنَانٌ مَا أَتَى بِكَ هَهْنَا أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفٌ ^(٢)

و " الحنانُ " الرحمة ، قال الله عز وجل : ﴿ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ﴾ ^(٣) قال الشاعر لعمر بن الخطاب رحمه الله :

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا ^(٤)

وقال طرفة ^(٥) :

(١) سورة النمل : ٨

(٢) البيت من الطويل وهو لمنذر بن درهم الكلبي فى خزانة الأدب (٢ / ١١٢) ، وشرح أبيات سيبويه (١ / ٢٣٥) ، وبلا نسبة فى آمالى الزجاجى ص ١٣١ ، وأوضح المسالك (١ / ٢١٧) ، والدرر اللوامع (٣ / ٦٦) ، وشرح الأشموني (١ / ١٠٦) ، وشرح التصريح (١ / ١٧٧) ، وشرح عمدة الحفاظ ص ١٩٠ ، وشرح المفصل (١ / ١١٨) ، والصاحبى فى فقه اللغة ص ٢٥٥ ، والكتاب (١ / ٣٢٠ ، ٣٤٩) ، ولسان العرب (١٣ / ١٢٩) (حنن) ، والمقاصد النحوية (١ / ٥٣٩) ، والمقتضب (٣ / ٢٢٥) ، وجمع الهوامع (١ / ١٨٩)

(٣) سورة مريم : ١٣ .

(٤) البيت من المتقارب ، وهو للحطيمية فى ديوانه ص ٧٢ ، وتخليص الشواهد ص ٢٠٦ ، والدرر (٣ / ٦٤) ، ولسان العرب (١١ / ٥٧٣) (قول) ، (١٣ / ١٣٠) (حنن) ، وتاج العروس (قول) ، (حنن) ، بلا نسبة فى العقد الفريد (٥ / ٤٩٣) ، والمقتضب (٣ / ٢٢٤) ، وجمع الهوامع (١ / ١٨٩) .

(٥) ديوانه ص ١٧٢ .

أَبَا مُنْدَرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضَنَا حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ^(١)

* * *

وحدَّثني غيرُ واحدٍ من أصحابنا ، قال : قيل لرؤبة : ما قولك^(٢) :

لَوْ أَنِّي عُمَرْتُ سِنَّ الْحِسْلِ أَوْ عُمَرْتُ نُوحَ زَمَنِ الْفِطْحَلِ^(٣)

قال : آيَامَ كَانَتْ السَّلَامُ^(٤) رَطَابًا . وبعد هذا البيت .

وَالصَّخْرُ مُبْتَلًى كَمَثَلِ الْوَحْلِ

قوله " سِنَّ الْحِسْلِ " مثلٌ^(٥) تَضْرِبُهُ الْعَرَبُ فِي طَوْلِ الْعُمُرِ .

وَأَنشَدَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ ، أَعْرَابِيٌّ فَصِيحٌ ، لِعُبَيْدِ بْنِ أَيُوبَ الْعَنْبَرِيِّ :

كَأَنِّي وَلَيْلَى لَمْ يَكُنْ حَلًّا أَهْلُنَا بَوَادِ خَصِيبٍ وَالسَّلَامُ رَطَابُ

* * *

(١) البيت من الطويل له في ديوانه ص ٦٦ ، والدرر (٦٧ / ٣) ، والكتاب (٣٤٨ / ١) ، ولسان العرب (١٣٠ / ١٣) (حنن) ، وجمع الهوامع (١٩٠ / ١) وتاج العروس (حنن) ، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١٢٧٣ ، وشرح المفصل (١١٨ / ١) ، والمقتضب (٢٢٤ / ٣) .

(٢) ديوانه ق ص ١٢٨ . والرواية في الأول : فقلت لو عمرت .

(٣) الرجز له في ديوانه ص ١٢٨ ، ولسان العرب (١٨١ / ٥) (معر) (٥٢٧ / ١١) (فطحل) ، وتهذيب اللغة (١٠١ / ٤) ، وجمهرة اللغة ص ٥٦٢ ، والمخصص (٦٤ / ٩) ، (٢٨٧ / ١٢) ، وتاج العروس (فطحل) ، ولرؤبة أو للعجاج في الحيوان (٢٠٢ : ٤) ولسان العرب (١٦٢ / ١١) (حكمل) ، وتاج العروس في حكمل ، وللعجاج في شرح الأشموني (٧٨٩ / ٣) ، وليس في ديوانه ، وبلا نسبة في الحيوان (١١٦ / ٦) ، والمخصص (١٧١ / ١٠) وروايته :

فقلت لو عمرت عمر الحسل وقد أتاه زمن الفطحل

(٤) السلام : أي الحجارة واحدها سليمة بكسر اللام . رغبة الأمل ١٧٣ / ٥ .

(٥) يقولون " لا آتيك سن الحسل " . انظر أمثال أبي عبيد ٣٨١ ، وجمهرة الأمثال ٤٠٩ / ٢ ، وجمع الأمثال ٢٢٦ / ٢ ، والمستقصى ٢٤٤ / ٢ ، واللسان (حسل ، سنن) . وفي زيادات بعض النسخ الكامل وهو في نسخة رغبة الأمل ١٧٣ / ٥ (ذكر ابن جني أن الحسل يعيش ثلثمائة سنة) .

وحدثني سليمان بن عبد الله عن أبي العميث مولى العباس بن محمد ، قال
تَكَادَبَ أَعْرَابِيَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا : خَرَجْتُ مَرَّةً عَلَى فَرَسٍ لِي ، فَإِذَا أَنَا بِظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ ،
فَيَمُمْتُهَا حَتَّى وَصَلْتُ إِلَيْهَا ، فَإِذَا قِطْعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ تَتَبَّهْ ! فَمَا زِلْتُ أُحْمِلُ عَلَيْهَا بِفَرَسِي
حَتَّى أَنْبَهُتُهَا ، فَانْجَابَتْ !! قَالَ : فَقَالَ الْآخَرُ : لَقَدْ رَمَيْتُ ظَبْيًا مَرَّةً بِسَهْمٍ فَعَدَلَ الظَّبْيُ يَمْنَةً ،
فَعَدَلَ السَّهْمُ خَلْفَهُ ، فَتَيَاسَرَ الظَّبْيُ ، فَتَيَاسَرَ السَّهْمُ خَلْفَهُ ! ثُمَّ عَلَا الظَّبْيُ فَعَلَا السَّهْمُ خَلْفَهُ !
ثُمَّ انْخَدَرَ فَانْخَدَرَ حَتَّى أَخَذَهُ !!

وتزعمُ الرواةُ أنَّ عروة بن عتبة بن جعفر بن كلابٍ قال لابنَي الجَوْنِ الكِنْدِيِّينِ
يومِ جبلة : إِنَّ لِي عَلَيْكُمَا حَقًّا وَوَفَادَتِي ، فَدَعُونِي أَنْذِرَ قَوْمِي مِنْ مَوْضِعِي هَذَا ، فَقَالُوا :
شَأْنُكَ ، فَصَرَخَ بِقَوْمِهِ ، فَأَسْمَعَهُمْ عَلَى مَسِيرَةِ لَيْلَةٍ !!

* * *

ويروى عن حمادِ الرَّأوِيَةِ قَالَ : قَالَتْ لَيْلَى بِنْتُ عُرْوَةَ بْنِ زَيْدِ الْخَيْلِ لِأَيِّهَا : أَرَأَيْتَ
قَوْلَ أَبِيكَ :

بِئْسَ عَامِرٌ هَلْ تَعْرِفُونَ إِذَا غَدَا	أَبُو مُكْنِفٍ قَدْ شَدَّ عَقْدَ الدَّوَابِرِ
بِجَيْشٍ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ	تَرَى الْأَكْمَ مِنْهُ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ
وَجَمْعٍ كَمِثْلِ اللَّيْلِ مُرْتَجِسٍ الْوَعَى	كَثِيرٍ تَوَالِيهِ سَرِيعِ الْبَوَادِرِ
أَبَتْ عَادَةً لِلزُّورِ أَنْ يَكْرَهُ الْوَعَى	وَحَاجَةٌ رُمَحِي فِي نَمِيرِ بْنِ عَامِرٍ ^(١)

فَقُلْتُ لِأَبِي : أَحْضَرْتَ هَذِهِ الْوَقْعَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : فَكَمْ كَانَتْ خَيْلُكُمْ ؟
قَالَ : ثَلَاثَةُ أَفْرَاسٍ أَحَدُهَا فَرَسُهُ ، قَالَ : فَذَكَرْتُ هَذَا لِابْنِ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ ، فَحَدَّثَنِي عَنْ
أَبِيهِ قَالَ : حَضَرْتُ يَوْمَ جَبَلَةَ - قَالَ : وَكَانَ قَدْ بَلَغَ مِائَةَ سَنَةٍ ، وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ أَيَّامَ
الْحِجَابِ - قَالَ : فَكَانَتِ الْخَيْلُ فِي الْفَرِيقَيْنِ ، مَعَ مَا كَانَ مَعَ ابْنِي الْجَوْنِ ثَلَاثِينَ فَرَسًا ، قَالَ :

(١) الأبيات من ١-٣ فى الأغاني (٢٥٨/١٧) ، والأربعة فى الحماسة الشجرية (٦٩/١) والأول
والثانى والرابع فى الحماسة الشجرية (٦٩/١)

فحدثت بهذا الحديث الخثعمي، وكان راوية أهل الكوفة، فحدثني أن خثعم قتل رجلًا^(١) من بني سليم بن منصور، فقالت أخته ترثيه:

لَعْمَرِي وَمَا عَمَرِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ لِنِعَمِ الْفَتَى غَادَرْتُمْ آلَ خَثَعَمَا
وَكَانَ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْخَيْلَ بِيَشَّةً^(٢) إِلَى جَنْبِ أَشْرَاجِ^(٣) أَنَاخَ فَأَلْجَمَا
فَأَرْسَلَهَا رَهْوًا رِعَالًا كَانَهَا جَرَادُ زَهْتَهُ رِيحُ فَنَجِدُ فَأَنْتَهَمَا^(٤)

فقبل لها: كم كانت خيل أخيك؟ قالت: اللهم إني لا أعرف إلا فرسه! قوله: "قد شدَّ عقد الدَّوابِرِ" يريد: دوابر الدرع، فإن الفارس إذا حمى فعل ذلك^(٥).

وقوله "تضللَّ البلقُ في حَجَرَاتِهِ" يقول: لكثرت لا يرى فيه الأبلق، والأبلق مشهور المنظر، لاختلاف لونه، من ذلك قوله:

(١) قال محقق (س) بهامش الأصل ما نصه: "هو عباس الرعلی، ورعل قبيلة من سليم. وقائلة الشعر ابنته ربيعة وكان سماها باسم أمه ربيعة بنت عباس بن مرداس السلمي. ذكر ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب المقاتل [في الأصل: المقابل، مصحفاً] والمقاتل اسم كتابين لأبي عبيدة: مقاتل الفرسان، مقاتل الأشراف.

(٢) (بيشة): بالهمزة وتركه مأسدة.

(٣) (أشراج): جمع شرج" بالتسكين. مجارى الماء من الحرار إلى السهولة.

(٤) الأبيات من الطويل، والأخير بلا نسبة في لسان العرب (٣٤٣/١٤) (رها)، (٣٦٢/١٤) (زها).

(٥) قال علي بن حمزة في التنبيهات ١٥١: "هذا لم يقله أحد غيره ولا وجه له، ولو كان الفارس إذا حمى شمر درعه لاكتفى بالتسليك ولما وصفت الدروع بأنها سوابغ. وإنما البيضة تشد بالدرع لئلا تسقط إذا ركض الفارس، وقد قال المنخل الإشكري ففسر في شعره ما قلناه:

وفوارس كأوار حر والنار أحلاس الذكور

شدوا دوابر يبيضهم في كل محكمة القتر

وعلق الشيخ الميمنى على كلام ابن حمزة بقوله: "الذى قاله المبرد لا غبار عليه فإن التشمير معروف وإنما يفعله الشجاع تهورا وتغريراً بنفسه وإقداماً على الهلكة ولو لم تكن الدروع سوابغ لم يتمكن من فعله هذا وببيت المنخل من غير هذا الباب، فاللفظان مختلفان" اهـ. وانظر رغبة الأمل ١٧٥/٥.

فَلَيْسَ وَقَفْتَ لَتَخْطِفَنَّكَ رِمَاحُنَا وَلَيْسَ هَرَبْتَ لِيُغَرِّقَنَّ الْأَبْلَقُ
و " حَجَرَاتُهُ " نَوَاحِيهِ .

وقوله : تَرَى الْأَكْمَمَ مِنْهُ سُجَّدًا لِلْحَوَافِرِ

يقول : لكثرة الجيش يَطْحَنُ الْأَكْمَمَ حَتَّى يُلْصِقَهَا بِالْأَرْضِ .

وقوله " كمثل الليل " يقول : كثرةً ، فيكاد يَسُدُّ سَوَادُهُ الْأَفْقَ ، ولذلك يقال

" كَتَبَتْ خَضْرَاءُ " أي : سوداء ، وكانت كَتَبَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ التي هو فيها والمهاجرون
والأنصارُ يقالُ لها : " الْخَضْرَاءُ " .

و " الْمُرْتَجِسُ " : الذي يُسْمَعُ صَوْتُهُ وَلَا يَتَبَيَّنُ كَلَامُهُ ، يقال : " ارْتَجَسَ الرَّعْدُ " من هذا . و " الْوَعَى " الْأَصْوَاتُ .

و " التَّوَالِي " : اللَّوَا حَقُّ ، يقال : " تَلَاهُ يَتْلُوهُ " اتَّبَعَهُ ، و " تَلَوْتُ الْقُرْآنَ " : أَتَبَعْتُ بَعْضَهُ بَعْضًا ، و " الْمُتَلِيَّةُ " : التي معها وَلَدُهَا .

وقوله " فَأَرْسَلَهَا رَهْوًا " يقول : سَاكِنَةً^(١) ، قال الله جلَّ وعزَّ ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾^(٢) ويقالُ : " عِشَّ رَاهٍ " يا فتى : أي سَاكِنٌ .

و " رِعَالٌ " جمع " رَعِيلٍ " وهو ما تَقَدَّمَ مِنَ الْخَيْلِ ، يقالُ : " جَاءَ فِي الرِّعِيلِ الْأَوَّلِ " قَالَ عَتْرَةٌ^(٣) :

إِذْ لَا أَبَادِرُ فِي الْمَضِيقِ فَوَارِسِي وَلَا أُوَكِّلُ بِالرِّعِيلِ الْأَوَّلِ^(٤)

(١) قال علي بن حمزة : " الرهو من الأضداد وهي ههنا السراع التنبيهات ١٥١ .

(٢) سورة الدخان : ٢٤ .

وقيل رهوًا : طريقًا بيسًا كهيئته ، قال ابن عباس وغيره . انظر تفسير ابن كثير ٢٣٨/٧ ، وتفسير القرطبي ١٣٧/١٦ ، وتفسير غريب القرآن ٤٠٢ .

(٣) ديوانه ق ١٥/٦ ص ٢٥٠ .

(٤) البيت من الكامل ، وهو له في ديوانه ص ٢٥٠ ولسان العرب (٢٨٧/١١) (رعل) ، وتاج العروس (رعل) ، وبلا نسبة في المخصص (٢٠١/٦) .

وروايته الشطر الثاني أو لا أوكل ... " وعلى هذه الرواية فالبيت موقوص (أي دخله الوقص : وهو حذف الثاني المتحرك)

وقوله : " زَهْتُهُ رِيحٌ نَجِدُ فَأَتَهُمَا " يقول : رَفَعْتُهُ وَاسْتَحَفَّتُهُ ، قال ابن أبي ربيعة :
 فلما تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ وَجُوءَ زَهَاها الْحُسْنُ أَنْ تَقْنَعَا ^(١)
 ومعنى " أَتَهُمَ " ^(٢) أَتَى تِهَامَةً .

* * *

وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى ^(٣) عمن حدثه : أَنَّ بَكْرَ بْنَ وائِلٍ أَرَادَتْ الْغَارَةَ
 عَلَى قِبَائِلِ بَنِي تَمِيمٍ ، فَقَالُوا : إِنَّ عِلْمَ بَنِي السَّلِيلِ أَنْذَرَهُمْ ، فَبَعَثُوا فَارَسِينَ عَلَى جَوَادِينَ
 يُرِيغَانِ ^(٤) السَّلِيلِ ، فَبَصُرَا بِهِ فَقَصَدَاهُ ، وَخَرَجَ يَمْحَصُ ^(٥) كَأَنَّهُ ظَبْيٌ ، فَطَارَ دَاهُ سَحَابَةً
 يَوْمَهُمَا ، فَقَالَا : هَذَا النَّهَارُ ، وَلَوْ جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ لَقَدْ فَتَرَ ، فَجَدَّ فِي طَلْبِهِ ، فَإِذَا بِأَثَرِهِ قَدْ
 بَالَ فَرَعًا فِي الْأَرْضِ فَخَدَّهَا ^(٦) ، فَقَالَا : قَاتَلَهُ اللَّهُ ! مَا أَشَدَّ مَتْنِيهِ ! وَلَعَلَّ هَذَا كَانَ مِنْ أَوَّلِ
 اللَّيْلِ فَلَمَّا امْتَدَّ بِهِ اللَّيْلُ فَتَرَ ، فَاتَّبَعَاهُ ، فَإِذَا بِهِ قَدْ عَثَرَ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ فَندَرَ مِنْهَا كَمَا كَانَ تِلْكَ
 وَانْكَسَرَتْ قَوْسُهُ ، فَارْتَزَتْ قِصْدَةً مِنْهَا فِي الْأَرْضِ ، فَنَشِبَتْ ، فَقَالَا : قَاتَلَهُ اللَّهُ ! وَاللَّهِ
 لَا نَتَّبِعُهُ بَعْدَ هَذَا ! فَرَجَعَا عَنْهُ ، فَتَمَّ إِلَى قَوْمِهِ فَأَنْذَرَهُمْ !! فَلَمْ يَصْدُقُوهُ لِيُعْجِدِ الْغَايَةَ ، فَفِي
 ذَلِكَ يَقُولُ :

(١) البيت من الطويل ، وهو لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ١٧٩ ، ولسان العرب . ٣٦١/١٤ -
 (٣٦٢) (زها) ، والمخصص (١٧٦/١٤) وتاج العروس (زها) ، وبلا نسبة في شرح المفصل
 (١٢١/٩) ورواية الشطر الأول : ولما تفاوضنا الحديث وأسفرت إلخ وسيأتي مع بيتين آخرين .
 (٢) أتهم على وزن أفعل وهي تأتي لمعان كثيرة منها الدخول في المكان ، والدخول في الزمان أصبح
 وأمسى وغير ذلك

(٣) الخبر في الأغاني ٣٨١/٢٠ - ٣٨٣ ، وانظر خير المثل "أعدى من السليك" في الدرة الفاخرة
 ٣٠٦/١ ، وجمهرة الأمثال ٦٨/٢ ، وجمع الأمثال ٤٧/٢ ، والمستقصى ٢٣٨/١ . و" معمر بن
 المثنى " ساقط من نسخة .

(٤) أى يطلبان .

(٥) أى يعدو .

(٦) رغا في الأرض : ظهرت لبوله رغبة ، وخلدها شق فيها شقا .

يُكَذِّبُنِي الْعَمْرَانُ عَمْرُو بْنُ جُنْدُبٍ وَعَمْرُو بْنُ كَعْبٍ وَالْمَكْدَبُ أَكْذَبُ
تَكَلَّمْتُكُمَا إِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُهَا كَرَادِيسُ^(١) يَهْدِيهَا إِلَى الْحَيِّ مُوَكَّبُ
كَرَادِيسُ فِيهَا الْخَوْفَزَانُ وَحَوْلَهُ فَوَارِسُ هَمَامٍ مَتَى يَدْعُ يَرْكَبُوا^(٢)
فَصَلَّقَهُ قَوْمٌ فَنَجَّوْا ، وَكَذَّبَهُ قَوْمٌ فَوَرَدَ عَلَيْهِمُ الْجَيْشُ فَانْتَسَحَهُمْ .

وحدثني التوزيُّ قال : : سألتُ أبا عُبَيْدَةَ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ مِنْ أَخْبَارِ الْعَرَبِ
فَقَالَ : إِنَّ الْعَجَمَ تَكْذِبُ فَتَقُولُ : كَانَ رَجُلٌ ثَلَاثُهُ مِنْ نَحَاسٍ وَثَلَاثُهُ مِنْ نَارٍ ، وَثَلَاثُهُ مِنْ نَلْجٍ!
فَتُعَارِضُهَا الْعَرَبُ بِهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مُهَلِّهِلِ بْنِ رَبِيعَةَ .

فَلَوْ نَبَشُ^(٣) الْمُقَابِرُ عَنْ كُلِّبٍ فَيُخْبِرُ بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرٍ^(٤)
يَوْمَ الشُّغْمَيْنِ لَقَرَّ عَيْنَا وَكَيْفَ لِقَاءُ مَنْ تَحْتَ الْقُبُورِ
كَأَنَّا غُدُوَّةٌ وَبَنِي أَبِينَا بِجَنْبِ غَنِيْزَةِ رَحِيٍّ مُدِيرِ
كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بِئْرِ بَعِيدٍ يَنْنُ جَالِيَهَا جَرُورِ
فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعُ مَنْ بِحَجَرٍ صَلِيلِ الْيَبْرِ تَقْرَعُ بِالذُّكُورِ^(٥)

(١) (كراديس) : جمع كردوس كعصفور وهو القطعة العظيمة من الخيل ويقال كردس القائد خيله جعلها كتيبة كتيبة .

(٢) الأبيات في الأغاني (٣٩٦/٢٠) .

(٣) في نسخة : نشر .

(٤) قال ابن السيد فيما كتبه على الكامل : "إنما نصب فيخبر على معنى : لو وقع نبش فإخبار ، لأن لو فيها معنى الشرط فصار بمنزلة قوله : إن تأتني فتحدثني أحسن إليك ، وهو قبيح ، إنما يحسن فيما يخالف فيه الثاني الأول من أجوبة الأشياء الستة المشهورة" عن شرح أبيات مغنى اللبيب ٦٧/٥ .

(٥) الأبيات من الوافر وهي له في ديوانه ص ١٦٩ - ١٧٠ .

والأول والثاني في الأصمعيات ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، والأغاني (٤٩ ، ٣٢/٥) ، وأمالى القالي (١٣١/٢) ، وتذكره النحاة ص ٧٢ ، ١٢٥ ، وسمط اللآلي ص ١١٢ ، وشرح شواهد المغنى (٢/ ٦٥٤) ، ولسان العرب (٣٩٣/١) (ذنب) ، والمقاصد النحوية (٤٦٣/٤) ، وبلا نسبة في الاشتقاق ص ٣٣٨ (الأول فقط) ، والجنى الداني ص ٢٨٩ ، وشرح الأثوني (٣/ ٥٩٧) (الأول فقط) ومغنى اللبيب (١/ ٢٦٧) والثالث في أدب الكاتب ص ٢٥٧ ، وجمهرة اللغة ص ٦٤٢ ، وخزانة الأدب (٣٢٧/٨) ، ولسان العرب (٣١٢/١٤) ، وبلا نسبة في الاشتقاق ص ٣٢١ ، وشرح المفصل (٤/ ١٤٧) .

[قال أبو الحسن : يقال : فلان زيرُ نساءٍ ، وطلبُ نساءٍ ، وتبعُ نساءٍ ، وخِلْمُ نساءٍ : إذا كان صاحبَ نساءٍ ، وذلك أنَّ مهلهلاً كان صاحبَ نساءٍ ، فكان كليبُ يقولُ : إنَّ مهلهلاً زيرُ نساءٍ لا يُدركُ بثأراً ، فلما أذكرُ مهلهلاً بثأراً كليبُ قال : " أيُّ زيرٍ " فرَفَعَ " أيّاً " بالابتداء ، والخيرُ محذوفٌ ، فكانه قال : أيُّ زيرٍ أنا في هذا اليوم !] .

* * *

قال أبو العباس : وحدثني عمرو بن بحر قال : أتيتُ أبا الربيع الغنويَّ ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم ، ومعني رجلٌ من بني هاشمٍ ، فقلتُ : أأبو الربيع ههنا ؟ فخرج إليَّ وهو يقولُ : خرجَ إليك رجلٌ كَرَّمَ ! فلما رأى الهاشميَّ استحيًا من فخرِهِ بحضرته ، فقال : أكرمُ الناسِ رديفاً ، وأشرفهم حليفاً ، فحدثنا ملياً ، ثم نهضَ الهاشميُّ ، فقلتُ لأبي الربيع : يا أبا الربيع ، مَنْ خيرُ الخلقِ ؟ قال : الناسُ والله ، فقلتُ : فمنَ خيرِ الناسِ ؟ قال : العربُ والله ، قلتُ : فمنَ خيرِ العربِ ؟ قال : مُضَرُّ والله ، قلتُ : فمنَ خيرِ مُضَرَ ؟ قال : قيسٌ والله ، قلتُ : فمنَ خيرِ قيسٍ ؟ قال : يَعْصَرُ والله ، قلتُ : فمنَ خيرِ يَعْصَرَ ؟ قال : غنِيٌّ والله ، قلتُ : فمنَ خيرِ غنِيٍّ ؟ قال : المُخَاطِبُ لك والله !! قلتُ : أفأنتَ خيرُ الناسِ خَمْساً ! قال : إي والله !! قلتُ : أيسرُك أن تحتك بنتُ يزيدَ بن المهلبِ ؟ قال : لا والله ! قلتُ : ولك ألفُ دينارٍ ؟ قال : لا والله ! قلتُ : فألفُ دينارٍ ؟ قال : لا والله ! قلتُ : ولك الجنةُ ؟ فأطرقَ ملياً ثم قال : على أن لا تلدَ مِنِّي !! وأنشد :

تَأبَى لِأَعْصَرَ أَغْرَاقَ مُهَذَّبَةٍ مِنْ أَنْ تُنَاسِبَ قَوْمًا غَيْرَ أَكْفَاءِ
فَبِإِنْ يَكُنْ ذَاكَ حَتْمًا لَا مَرَدَّ لَهُ فَادْكُرْ حَذِيفَ فَبِإِنِّي غَيْرُ أَبَاءِ

قوله : أكرمُ الناسِ رديفاً " فإنَّ أبا مرثد الغنويَّ كان رديفَ رسولِ الله ﷺ .

وقوله : وأشرفهم حليفاً " فكانَ أبو مرثدٍ حليفَ حمزةَ بن عبدِ المطلب .

وقوله : " فادْكُرْ حَذِيفَ " أرادَ حَذِيفَةَ بنَ بَدْرِ الفَزَارِيَّ ، وإنما ذكره من بين

الأشراف لأنه أقرُّهم إليه نسباً ، وذلك أنَّ يَعْصَرَ بنَ سعدِ بن قيسٍ ، وهؤلاءِ بنو رَيْثِ بنِ

عَطَفَانَ بن سعدِ بن قيسٍ ، وقد قال عَيْيَنَةُ بنُ حِصْنٍ يَهْجُو وَلَدَ يَعْصُرٍ ، وَهُمْ غَنِيٌّ وَبَاهِلَةٌ
وَالطُّفَاوَةُ :

أَبَاهِلَ مَا أَذْرِي أَمِنْ لُؤْمٍ مَنْصِبِي أَجْبُكُمُ أَمْ بِي جُنُونٌ وَأَوْلَقُ
أَسِيدُ أَخَوَالِي وَيَعْصُرُ إِخْوَتِي فَمَنْ ذَا الَّذِي مِنِّي مَعَ اللُّؤْمِ أَخْمَقُ^(١)
فقال الباهليُّ يُجِيبُهُ :

كَيْفَ تُحِبُّ الدَّهْرَ قَوْمًا هُمْ الْأَوَّلَى نَوَاصِيكُمُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ حَلَقُوا
أَلَسْتُ فَرَارِيًّا عَلَيْكَ غَضَاضَةً وَإِنْ كُنْتَ كِنْدِيًّا فَإِنَّكَ مُلْصَقُ
* * *

وَتَحَدَّثَ الرَّوَاةُ أَنَّ الْحِجَاجَ رَأَى مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ الثَّقَفِيَّ ، وَكَانَ يَنْسِبُ
بِزَيْنَبَ بِنْتِ يَوْسُفَ ، فَارْتَاعَ مِنْ نَظَرِ الْحِجَاجِ إِلَيْهِ فَدَعَا بِهِ ، فَلَمَّا عَرَفَهُ قَالَ مُبْتَدِئًا :

هَآكِ يَدَيِ ضَاقَتْ بِي الْأَرْضُ رَحْبَهَا وَإِنْ كُنْتُ قَدْ طَوَّقْتُ كُلَّ مَكَانٍ
وَلَوْ كُنْتُ بِالْعَنْقَاءِ^(٢) أَوْ بِيَسُومِهَا لِيَخْلُتَكَ إِلَّا أَنْ تَصُدَّ تَرَانِي^(٣)

ثم قال : وَاللَّهِ إِنْ قُلْتُ إِلَّا خَيْرًا ، إِنَّمَا قُلْتُ :

يُخْبِنُنْ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ الثَّقَى وَيَخْرُجُنْ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ^(٤)
قال : أَجَلٌ وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ :

وَلَمَّا رَأَتْ رَكَبَ النَّمِيرِيِّ أَعْرَضَتْ وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِيرَاتِ^(٥)

فِي كَمْ كُنْتُ ؟ قال : وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ إِلَّا عَلَى حِمَارٍ هَزِيلٍ ، وَمَعِيَ رَفِيقٌ لِي عَلَى
أَتَانٍ مِثْلِهِ .

* * *

(١) البيتان من الطويل ، والأول له في لسان العرب (٨/١٠) (ألقي)

(٢) (العنقاء) سلف عن أبي زيد أنها أكمة على جبل مشرف .

(٣) تقدم تخريج البيتين .

(٤) سبق البيت .

ومن ذلك ما يحْكُون في خبر لُقْمَانَ بن عَادٍ ، فَإِنَّهُمْ يَصِفُون أَنَّ جَارِيَةً لَهُ سُئِلَتْ
عَمَّا بَقِيَ مِنْ بَصَرِهِ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَقَدْ ضَعُفَ بَصَرُهُ ، وَلَقَدْ بَقِيَتْ مِنْهُ بَقِيَّةٌ : إِنَّهُ لَيَفْصِلُ
بَيْنَ أَثَرِ الْأُنْثَى وَالذَّكَرِ مِنَ الذَّرِّ إِذَا دَبَّ عَلَى الصَّفَا !! فِي أَشْيَاءٍ تُشَاكِلُ هَذَا مِنَ الْكَذِبِ .

* * *

وَحَدَّثْتُ أَنَّ امْرَأَةً عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ السَّدُوسِيَّ قَالَتْ لَهُ : أَمَا حَلَفْتَ أَنَّكَ لَا
تَكْذِبُ فِي شَعْرٍ ؟ فَقَالَ لَهَا : أَوْ كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قُلْتَ (١) :
فَهُنَاكَ مَجْزَأَةٌ بَنُ ثَوْرٍ رَكَانَ أَشْجَعٍ مِنْ أُسَامَةَ (٢)
أَيْكُونُ رَجُلٌ أَشْجَعُ مِنْ أَسَدٍ ؟ ! فَقَالَ لَهَا : مَا رَأَيْتُ أَسَدًا فَتَحَ مَدِينَةً قَطُّ ،
وَمَجْزَأَةٌ بَنُ ثَوْرٍ قَدْ فَتَحَ مَدِينَةً .

وَمَرَّ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ بِالْفَرَزْدَقِ وَهُوَ يُنْشِدُ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ (٣) :
إِيَّهَا الْمَادِحُ الْعِبَادَ لِيُعْطَى إِنَّ لِلَّهِ مَا بِيَايِدِي الْعِبَادِ
فَاسْأَلِ اللَّهَ مَا طَلَبْتَ إِلَيْهِمْ وَارْجُ فَضْلَ الْمُقْسَمِ الْعَوَادِ
لَا تَقُلْ لِلْجَوَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ وَتُسَمِّ الْبَخِيلَ بِاسْمِ الْجَوَادِ (٤)

* * *

وَأَنْشَدَنِي الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءٍ لِرَجُلٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ :
أَبَا دُلْفٍ يَا أَكْذَبَ النَّاسِ كُلِّهِمْ سِوَايَ فَإِنِّي فِي مَدِيحِكَ أَكْذَبُ
وَأَنْشَدَنِي لِرَجُلٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ : [قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : هُوَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ]
إِنِّي امْتَدَحْتُكَ كَاذِبًا فَأَتَّبَتْنِي لَمَّا امْتَدَحْتُكَ مَا يُثَابُ الْكَاذِبُ

(١) الأغاني ١٢٠/١٨ ، وانظر شعر الخوارج ١٥٩ .

(٢) الأبيات في الأغاني (١٢٤/١٨) .

(٣) الأبيات في الأغاني ١١٩/١٨ ، وانظر شعر الخوارج ١٥٨ .

(٤) البيت في الأغاني (١٢٦/١٨) .

قال الأصمعي : قلت لأعرابي كنت أعرفه بالكذب : أصدقت قط ؟ قال : لولا
أنني أخاف أن أصدق في هذا لقلت : لا !! .

* * *

وتحدثوا من غير وجه أن عمرو بن معدي كرب كان معروفاً بالكذب . وقيل
لخلف الأحمر - وكان شديد التعصب لليمن - : أكان عمرو بن معدي كرب يكذب ؟
قال : نعم ، كان يكذب في المقال ، ويصدق في الفعل !

وذكروا من غير وجه أن أهل الكوفة الأشراف كانوا يظهرون بالكُناسة^(١) على
دوابهم فيحدثون إلى أن تطردهم الشمس ، فوقف عمرو بن معدي كرب وخالد بن
الصقعب النهدي ، فأقبل عمرو يحدثه ، فقال له : أغرنا مرة على بني نهد ، فخرجوا
مُسْتَرْعِفِينَ بخالد بن الصقعب ، فحملت عليه فطعنته فأذريته^(٢) ، ثم ملت عليه
بالصنصامة ، فأخذت رأسه ! فقال له خالد : جلاً أبا ثور ! إن قتيلك هو المحدث .
فقال له عمرو : يا هذا إذا حدثت بحديث فاستمع ، فإنما نتحدث بمثل ما تسمع لئلا يهيب
به هذه المعذبة !!

قوله : " مُسْتَرْعِفِينَ " يقول : مُقَدِّمِينَ له ، يقال : جاء فلان يُرْعِفُ الجيش ويؤم
الجيش : إذا جاء متقدماً لهم ، ويقال في الرعاف : " رَعَفَ يُرْعِفُ " لا يقال غير " رَعَفَ "
ويجوز " يُرْعَفُ " من أجل العين ، وليس بالوجه . وسنذكر هذا الباب بعد انقضاء هذه
الأخبار إن شاء الله تعالى .

وقوله " جلاً أبا ثور " يقول : استثن ، يقال : حلف ولم يتحلل .
وخبرت أن قاصاً كان يُكثِرُ الحديث عن هَرَمَ بن حَيَّانَ فاتفق هَرَمَ معه مرة في
المسجد وهو يقول : حدثنا هَرَمُ بن حَيَّانَ مرة بعد مرة ، بأشياء لا يعرفها هَرَمَ ، فقال له :

(١) اسم محلة بالكوفة . معجم البلدان ٤/٤٨١ .

(٢) أى : صرعه وألقيته عن فرسه . رغبة الآمل ٥/١٨٧ .

يا هذا : أتعرفني ؟ أنا هَرِمُ بْنُ حَيَّانَ ، والله ما حدثتُكَ من هذا بشيء قط ! فقال له القاص : وهذا أيضاً من عجائبك : إنه ليُصَلِّي معنا في مسجدنا خمسة عشر رجلاً اسمُه كَأَنَّ رجلٍ منهم هَرِمُ بْنُ حَيَّانَ ، فكيف تَوَهَّمتُ أنه ليس في الدنيا هَرِمُ بْنُ حَيَّانَ غيرُكَ ؟!

* * *

وكان بالرقّة قاصٌّ يُكنى أبا عَقِيلٍ يُكثِرُ التَّحَدُّثَ عن بني إسرائيل فيُظَنُّ بِهِ الكذبُ ، فقال له يوماً الحجاجُ بن حَنْتَمَةَ : ما كان اسمُ بقرة بني إسرائيل ؟ قال : حَنْتَمَةُ ! فقال له رجلٌ من ولد أبي موسى الأشعري : في أيِّ الكتب وَجَدْتَ هذا ؟ قال : في كتاب عَمْرِو بن العاصي !

وقال القيني : أَنَا أَصْدُقُ فِي صَغِيرٍ مَا يَضُرُّنِي لِيَجُوزَ كَذِبِي فِي كَبِيرٍ مَا يَنْفَعُنِي !

وأنشدني المازنيُّ للأعشى ، وليس ممَّا رَوَتْ الرواةُ متصلاً بقصيدة - (١) :

فَصَدَّقْتُهُمْ وَكَذَّبْتُهُمْ وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ

ويروى أنَّ رجلاً وفدَ على رسول الله ﷺ ، فسأله فكذَّبه ، فقال له رسولُ الله ﷺ : " أَسَأَلْتُكَ فَتَكْذِبُنِي ؟ لَوْلَا سَخَاءُ فَيْكِ وَمِقْكُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَشَرَّدْتُ بِكَ مِنْ وَافِدِ قَوْمٍ " (٢) . معنى " وَمِقْكُ " : أَحَبَّكَ ، يقال : " وَمِقَّتُهُ أَمَقُّهُ " وهو على " فَعِلْتُ أَفْعَلُ " ونظيره من هذا المَعْتَلُ " وَرِمَ يَرِمُ " و " وَلِيَ الْأَمِيرُ يَلِي " ، وكذلك " وَسَعَّ يَسَعُ " كانت

(١) البيت من مجزوء الكامل وهو للأعشى في شواهد الإيضاح ص ٦٠٦ ، ولسان العرب (١/١٩٧) ، (صدق) ، وبلا نسبة في شرح المفصل (٦/ ٤٤) .

ورواية البيت فصدقته وكذبت

والبيت له في مجاز القرآن ٢/ ٢٨٣ ، والحجة ١/ ٢٤٧ ، وجمع البيان المجلد ٣/ ٢٧٠ ، ٥/ ٢٢٣ والمختص ١٤/ ١٢٨ ، وحجة القراءات ٧٤٦ . ولم يرد في رواية ثعلب لشعر الأعشى وهي رواية مطبوعة الديوان ، وورد في رواية يعقوب كما ذكر ابن السيد في القرط ٥٠٤-٥٠٥ وموضعه بعد قوله : [د، ١٤/٥٤ ص ٣٧٣] :

غراء تبهج والكف زينها

(٢) انظر نثر الدر ١/ ١٩٦ ، والنهاية ٥/ ٢٣ .

السَيْنُ مَكْسُورَةٌ وَإِنَّمَا فُتِحَتْ لِلْعَيْنِ ، وَلَوْ كَانَ أَصْلُهَا الْفَتْحَ لَظَهَرَتْ الْوَاوُ ، نَحْوُ " وَجَلَّ " وَجَلَّ " وَ" وَجَلَّ يُوْحَلُّ " . وَالْمَصْدَرُ " مِقَّةٌ " كَقَوْلِكَ : " وَعَدَّ يَعِدُّ عِدَّةً " وَ" وَجَدَّ يَجِدُّ جَدَّةً " .

وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا أُوْحِدْتُ مِنَ الذُّنُوبِ بِمَا ظَهَرَ وَأَنَا أَسْتَسِيرُ بِخِلَالِ أَرْبَعٍ : الزَّنا وَالسَّرْقَ وَشُرْبَ الْخَمْرِ وَالْكَذِبِ ، فَأَيُّهِنَّ أَحَبُّبْتَ تَرَكْتُ لَكَ سِرًّا؟! فَقَالَ دَعِ الْكَذِبَ . فَلَمَّا تَوَلَّى مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَمَّ بِالزَّنا ، فَقَالَ : يَسْأَلُنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِنْ جَحَدْتُ نَقَضْتُ مَا جَعَلْتُ لَهُ ، وَإِنْ أَقَرَرْتُ حَدِّدْتُ ، فَلَمْ يَزِنْ ثُمَّ هَمَّ بِالسَّرْقِ ، ثُمَّ بِشُرْبِ الْخَمْرِ ، فَفَكَّرَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَدْ تَرَكْتُهُنَّ جُمْعًا ^(١) .

وَشَهِدَ أَعْرَابِيٌّ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ بِشَهَادَةٍ ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : كَذَبْتَ ! فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : الْكَاذِبُ وَاللَّهُ مُتَزَمِّلٌ فِي ثِيَابِكَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : هَذَا جِزَاءُ مَنْ عَجَلَ .
وَقَالَ مَعَاوِيَةُ يَوْمًا لِلْأَخْنَفِ - وَحَدَّثَهُ بِحَدِيثِ : أَتُكَذِبُ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ مُذْ عَلِمْتُ أَنَّ الْكَذِبَ يَشِينُ أَهْلَهُ .

وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمًا عَلَى مَعَاوِيَةَ ، فَقَالَ : اسْمَعْ أَبَيَاتًا قُلْتُهَا ، وَكَانَ وَاحِدًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : هَاتِ ، فَأَنشَدَهُ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَغْفِلُ
وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تُضَيِّمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفَرَةِ السَّيْفِ مَزْجَلُ
فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : لَقَدْ شَعُرْتُ بَعْدَنَا يَا أَبَا بَكْرٍ ! ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ مَعَاوِيَةَ أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ الْمُرَزِيُّ ، فَقَالَ لَهُ : أَقُلْتَ بَعْدَنَا شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ فَأَنشَدَهُ ^(٢) :

(١) لم أجِدَ الحديثَ . وقال الشيخ المحدث أحمد محمد شاكر في تعليقه على الكامل ٥٦٦ بتحقيقه : " وهذا الحديث والذي قبله لم أجدهما في شيء من كتب الحديث " .

(٢) البيت من الطويل ، وهو له في ديوانه ص ٣٩ ، وخزانة الأدب (٨ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤) ، وشرح التصريح (٢ / ٥١) ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١١٢٦ ، ولسان العرب (٥ / ١٢٧) (كبير) ، (١١ / ٧٢٢) (وجل) ، والمقاصد النحوية (٣ / ٤٩٣) ، وتاج العروس (وجل) ، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر (٨ / ١٤٠) ، وأوضح المسالك (٣ / ١٦١) ، وجمهرة اللغة ص ٤٩٣ ، وخزانة الأدب (٦ / ٥٠٥) ، وشرح الأشموني (٢ / ٣٢٢) ، وشرح شذور الذهب ص ١٣٣ ، وشرح قطر الندى ص ٢٣ ، وشرح المفصل (٤ / ٨٧) ، (٦ / ٩٨) ، ولسان العرب (٩ / ٢٦١) (عنف) / (١٣ / ٤٣٨) (هون) ، والمقتضب (٣ / ٣٥) (٣ / ٢٤٦) ، وتاج العروس (٢٤ / ١٩٠) (عنف) (هون) .

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لِأَوْجَلُ عَلَى أَيْنَا تَعْدُو الْمَيِّتَةَ أَوَّلُ

حتى صارَ إلى الأبيات^(١) التي أَنَشَدَهَا ابنُ الزبير ، فقال معاويةُ : يا أبا بكر ، أَمَا ذَكَرْتَ أَنفَا أَنَّ هَذَا الشُّعْرَ لَكَ ؟ قال : أنا أَصْلَحْتُ الْمَعَانِي ، وهو أَلْفُ الشُّعْرِ ، وهو بَعْدُ ظَهْرِي^(٢) ؟ فما قَالَ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ لِي !! .

وكان عبدُ الله^(٣) مُسْتَرْضِعًا فِي مُزَيْنَةَ .

وَحُدِّثْتُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ كَتَبَ فِي إِشْخَاصِ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْمَزْنِيِّ وَعَدِيِّ بْنِ أَرْطَاةَ الْفَزَارِيِّ أَمِيرِ الْبَصْرَةِ وَقَاضِيَهَا يَوْمئِذٍ^(٤) فَصَارَ إِلَيْهِ عَدِيٌّ فَقَرَّبَ^(٥) أَنْ يُمَزَّنَهُ^(٦) عِنْدَ الْخَلِيفَةِ ، فَقَالَ يَا أَبَا وَائِلَةَ ، إِنَّ لَنَا حَقًّا وَرَجِيمًا ، فَقَالَ لَهُ إِيَّاسٌ : أَعْلَى الْكَذِبِ تُرِيدُنِي ؟ وَاللَّهِ مَا يَسْرُنِي أَنِّي كَذَبْتُ كَذْبَةً يَغْفِرُهَا اللَّهُ لِي وَلَا يَطْلُعُ عَلَيْهَا إِلَّا هَذَا - وَأَوْمَأَ إِلَى ابْنِهِ - وَلِي مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ .

(١) ديوان معن ق ٩/٢٠، ١٠ ص ٩٤ .

(٢) يريد بعد ما ذكرت لك فهو أخى من الرضاعة .

(٣) فى نسخة : عبد الله بن الزبير .

(٤) قال محقق س: كذا فى أوهد ، وفى سائر النسخ : وفى "وعدى بن أرتاة الفزارى ، وهو إذ ذاك أمير البصرة وقاضياها" . وقوله : "وهو إذ ذاك" زيد بهامش الأصل . فإن كان فى سائر النسخ رواية فالصواب " وهما إذ ذاك " .

وبهامش سى ما نصه: " كذا وقع هنا ، وهى رواية ابن سراج رحمه الله: "وعدى بن أرتاة" ، ورواية عاصم " المزنى إلى عدى بن أرتاة وهو أظهر " اهـ .

ويرى دى غويه أن يكون الكلام : "... وقاضياها يومئذ إياس " وكذا يرى الشيخ المصطفى فإنه قال: "وظنى أن الرواية : وقاضياها يومئذ إياس؟ رغبة الآمل ١٩٢/٥ - ١٩٣ . وذلك لأن عدياً كان أميراً ولم يكن فى القضاة . ولعل ما أثبتته هو الصواب ، ولا سقط فى الرواية .

(٥) يعنى توسل إليه بقربه رغبة فى أن يمزنه عند الخليفة . رغبة الآمل ١٩٢/٥ .

(٦) قال محقق (س) فى الأصل : " والتميزن : المدح " وهى زيادة من النساخ ، ويمزنه يعظمه ، كما فى هامش .

[قال أبو الحسن : " التَّمْزِينُ " المَذْحُ ، ولم أَسْمَعْ هذه اللفظة إلا من أبي العباس ، وهي عندي مشتقة من " المازِن " وهو النَّمْلُ ، وبهذا سُمِّيَتْ " مازِنٌ " كأنه أراد منه أن يُكثَّرَهُ ^(١) .

ويروى أن أخا إياس صار إلى ابن هُبَيْرَةَ فقال : طَرَقَنِي اللصوصُ فحاربَهم فهزَمْتُهُمْ وظَفِرْتُ منهم بهذا المِغْوَلُ فجعله ابن هُبَيْرَةَ تحت مُصْلَاهُ ، ثم بعثَ إلى الصَّيَاقِلَةِ فأحضرَهم ، فقال : أيعرِفُ الرجلُ منكم عمله ؟ قالوا : نعم ، فأخرجَ المِغْوَلُ فقال : أَتُكْمُ عَمِلَ هذا ؟! فقال قائلٌ منهم : أنا عملتُ هذا ، واشترأه مِنِّي هذا أُمسِ .

* * *

(١) قال محقق س في : " يكبره " وبعده : " ويروى يكثره " . وبعد هذا في بعض النسخ تعليق نصه : " قال القتيبي [أدب الكاتب ٧٢] المازن : بيض النمل . قال الشيخ : قوله : " يمزنه عند الخليفة أى يجعله سيد مزينة لأنه كان مزنيا والصواب يمزره ، قال الموصلى :

وإني مع ذا الشيب حلو مزير

ولم يكن فى القضاة ، وإنما كان أميراً على البصرة .. إن مات عمرو كتب عمر إلى عدى : اجمع ناساً من قبلك وشاورهم فى إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة ؟ ، واستقض أحدهما . فولى عدى إياساً " وموضع النقط هو موضع القطع فى الورق ، ولا أدرى ما هو .

وعلق الشيخ المرفعى على ما جاء هنا بقوله : " لا أدرى من هو ذلك الشيخ الذى جهل أن عديا فزارى لا مزنى . [قوله] : والصواب يمزره : يجعله مزيراً والمزير الظريف وليس بالجد أن يصفه بذلك . [وقوله] قال الموصلى : هو إسحاق وهو مولد لا يستشهد بقوله ، على أنه أورد الشطر على غير وجهه وصوابه مع ما قبله وما بعده :

لا يرعونك شيبى فإنى لمع هذا الشيب حلو مزير

قد يفل السيف وهو جراز ويصول الليث وهو عقير

[وقوله] : ولم يكن فى القضاة : انتقاد حسن وما أظن أبا العباس يجهل مثل هذا ، وظنى أن الرواية وقاضيا يومئذ إياس فسقطت إياس من رواية أبي الحسن : " رغبة الآمل ١٩٢/٥ - ١٩٣ . وأما " يمزنه " فصواب محض ففى اللسان (مزن) " ومزن على أصحابه : تفضل وأظهر أكثر مما عنده ، وقيل التميز أن ترى لنفسك فضلاً على غيرك ولست هناك ... قال المبرد : مزنت الرجل تمزيئاً إذا قرظته من ورائه عند خليفة أو وال . ومزنه مزناً : مدحه " .

باب

ما يجوز فيه "يَفْعَلُ" فيما ماضيه "فَعَلَ" مفتوح العين .

اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ عَلَى "فَعَلَ" فهو غير متعدٍّ إلى مفعولٍ ؛ لأنه فِعْلُ الفاعلِ في نفسه ، وتأويلُه الانتقال ، وذلك قولك: "كُرِّمَ" عبدُ الله ، و "وُطِّفَ" عبدُ الله .

وتأويلُ قولي: "الانتقالُ" إنما هو انتقالٌ من حالٍ إلى حالٍ ، تقولُ : ما كان كَرِيماً ولقد "كُرِّمَ" وما كان شَرِيفاً ولقد "شُرِّفَ" ، فهذا تأويلُه . فأما قولهم: "كُذِّتُ أَكَادُ" فإنما "كُذِّتُ" معترضةٌ على "أكاد" .

وما كان من "فَعِلَ" من الصَّحِيحِ فَإِنَّهُ "يَفْعَلُ" نحو "شَرِبَ يَشْرَبُ" و "عَلِمَ" و "فَرِقَ" . ويكون متعدياً وغير متعدٍّ ، تقولُ : "حَذَرْتُ زَيْداً ، و "عَلِمْتُ" عبدَ الله ، ويكون فيه مثلُ "سَمِنْتُ" و "بَخِلْتُ" غير متعدٍّ ، وكلُّهُ على "يَفْعَلُ" نحو "يَسْمَنُ" و "يَبْخُلُ" و "يَعْلَمُ" و "يَطْرَبُ" .

فأما قولهم في الأربعة من الأفعال : "يَحْسِبُ" و "يَيْسُسُ" و "يَنْعِمُ" و "يَيْبَسُ" فهي معترضةٌ على "يَفْعَلُ" تقولُ في جميعها : "يَحْسَبُ" و "يَنْعِمُ" و "يَيْبَسُ" و "يَيْسُسُ" .

وما كان على "فَعَلَ" فَبَابُهُ "يَفْعَلُ" و "يَفْعَلُ" نحو "قَتَلَ يَقْتُلُ" و "ضَرَبَ يَضْرِبُ" و "قَعَدَ يَقْعُدُ" و "جَلَسَ يَجْلِسُ" فقد أنبأتك أنه يكون متعدياً وغير متعدٍّ .

فأما "يَأْبَى" و "يَقْلَى" فلهما عِلَّةٌ تُبَيِّنُ لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

، لا يكونُ "فَعَلَ يَفْعَلُ" ، إلاَّ أَنْ يَكُونَ يَعْزِضُ لَهُ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الْحَلْقِ السَّتَةِ ، في موضعِ العينِ أو موضعِ اللامِ ، فإذا كان ذلك الحرفُ عَيْنًا فَتَحَّ نَفْسُهُ ، وَإِنْ كَانَ لَامًا مَا فَتَحَ الْعَيْنَ .

وحروفُ الْحَلْقِ : الهمزةُ ، والهاءُ ، والعينُ ، والحاءُ ، والغينُ ، والحاءُ .

وذلك قولهم : "قَرَأَ يَقْرَأُ" ، "سَأَلَ يَسْأَلُ" و "جَبَّهَ يَجْبُهُ" و "ذَهَبَ يَذْهَبُ" ،
ويقال : "صَنَعَ يَصْنَعُ" و "ظَعَنَ يَظْعُنُ" و "ضَبَحَ يَضْبَحُ" وكذلك "فَرَعَ يَفْرَعُ"
و "سَلَخَ يَسْلَخُ" .

وقد يجوزُ أَنْ يجيءَ الحرفُ على أصله وفيه أحدُ السَّتَةِ ، يجوزُ " زَارَ يُزِيرُ " و
"فَرَعَ يَفْرَعُ" و " صَبَغَ يَصْبِغُ " إِلَّا أَنَّ الفَتْحَ لَا يَكُونُ فيما ماضيه " فَعَلَ " إِلَّا وَأَحَدُ هذه
الحروف فيه .

وأما " يَأْبَى " فله عِلَّةٌ ، وأما " يَقْلَى " فليس بِثَبَتٍ . وسيبويه يذهبُ في " يَأْبَى "
إلى أَنَّهُ انْفَتَحَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الهمزةَ في موضع فائه ^(١) ، والقولُ عندي على ما شَرَحْتُ لك ،
من أَنه إِذَا فُتِحَ حَدَّثَ فيه حرفٌ من حروف الحلق ، فَإِنَّمَا انْفَتَحَ ؛ لِأَنَّهُ يَصِيرُ إِلَى الألفِ ،
وهي من حروف الحلق ، ولكن لم نَذْكُرْهَا ؛ لِأَنهَا لَا تَكُونُ أَصْلًا ، إِنَّمَا تَكُونُ زَائِدَةً أَوْ
بَدَلًا ، وَلَا تَكُونُ متحركةً ، فَإِنَّمَا هي حرفٌ ساكنٌ ، وَلَا يَعْتَمِدُ اللِّسَانُ بِهِ على موضعٍ ،
فهذا الذي ذكرتُ لك من أَنَّ " يَسْعُ " و " يَطَأُ " حَدُّهُمَا " فَعَلَ يَفْعَلُ " في المعتلِّ ، كـ
"حَسِبَ يَحْسِبُ" من الصَّحِيحِ ، ولكنْ فَتَحْتُهُمَا العينُ والهمزةُ ، كما تقول: " وَلَغَ "
الكلبُ " يَلْغُ " والأصلُ " يَلِغُ " فحرفُ الحلقِ فَتَحَهُ .

* * *

(١) قال سيبويه في الكتاب ٢/٢٥٤ : " وقالوا : أبى يأبى فشبهوه بيقراً . وفي أبى وجه آخر أن يكون فيه مثل حسب يحسب فتحا كما كسرا " .

باب

قال أبو العباس : يُرَوَّى عن علي بن أبي طالب رَحْمَةُ اللَّهِ عليه أنه افْتَقَدَ عبد الله بن العباس رحمه الله في وَقْتِ صَلَاةِ الظُّهْرِ ، فقال لأصحابه : ما بَالُ أَبِي العباسِ لم يَحْضُرْ ؟ فقالوا : وُلِدَ له مولودٌ ، فلما صَلَّى عليّ رحمه الله قال : امضُوا بِنَا إليه فأتاه فَهَنَّاهُ ، فقال : شَكَرْتَ الوَاهِبَ ، وَبُورِكَ لَكَ في المَوْهُوبِ ، ما سَمَّيْتَهُ ؟ قال : أَوْ يَجُوزُ لي أَنْ أُسَمِّيَهُ حتى تُسَمِّيَهُ ! فَأَمَرَ به فَأَخْرَجَ إليه ، فأخذه فَحَنَكَهُ ودَعَا له ، ثم رَدَّهُ إليه ، وقال : خُذْهُ إليك أبا الأُمَلَاكِ ، قد سَمَّيْتَهُ " عليًّا " وَكُنِّيْتُهُ " أبا الحسن " فلما قام معاوية قال لابن عباس : ليس لكم اسمُهُ وَكُنْيَتُهُ ، وقد كُنِّيْتُهُ " أبا محمدٍ " فَجَرَتْ عليه .

وكان عليٌّ سَيِّدًا شَرِيفًا بليغًا ، وكان له خَمْسُمِائَةِ أَصْل زَيْتُونٍ ، يَصْلِي في كُلِّ يومٍ إلى كُلِّ أَصْلٍ رَكَعَتَيْنِ ، فكان يُدْعَى " ذَا الثَّنِيَّاتِ " (١) .

وَضُرِبَ بالسَّيَاطِرِ مرتين ، كَلَتَاهُمَا ضَرْبُهُ الوليدُ بن عبد الملك ، إِحْدَاهُمَا : في تَزْوُجِهِ لُبَابَةَ بنتِ عبد الله بن جعفر ، وكانت عند عبد الملك ، فَعَضُّ تَفَاحَةً ثم رَمَى بها إليها ، وكان أَبْخَرَ ، فَدَعَتْ بِسِكِّينٍ ، فقال : ما تَصْنَعِينَ به ؟ قالتُ : أُمِيطُ عنها الأَذَى ! فطَلَّقَهَا ، فتَزَوَّجَهَا عليُّ بنُ عبد الله ، فَضْرِبَهُ الوليدُ ، وقال : إِنَّمَا تَتَزَوَّجُ بِأُمَّهَاتِ الخُلَفَاءِ لِتَضَعَ منها ؛ لأنَّ مروانَ بن الحكمِ إِنَّمَا تَزَوَّجَ أُمَّ خَالِدِ بن يزيد بن معاوية ليَضَعَ منها ، فقال عليُّ بنُ عبد الله : إِنَّمَا أَرَادَتِ الخُرُوجَ من هذه البَلَدَةِ ، وأنا ابنُ عَمِّهَا ، فتَزَوَّجْتُهَا ؛ لِأَكُونَ لها مَحْرَمًا .

فَأَمَّا ضَرْبُهُ إِيَّاهُ في المَرَّةِ الثَّانِيَةِ فَإِنَّا نرويه من غَيْرِ وَجْهِ ، وَمِنْ أَمِّ ذَلِكَ ما حَدَّثَنِيهِ

(١) الثفنة : هو كل ما ولى الأرض من كل ذى أربع إذا برك أو ربح .

وذو الثفنتان أيضاً لقب زين العابدين على بن الحسين ، وعبد الله بن وهب الراسي . وانظر المصنع لابن الأثير ١١٧ ، واللسان والتاج (ثفن) ، ووفيات الأعيان ٢٧٣/٤ .

أبو عبد الله محمد بن شجاع الثلجي في إسناده متصل^(١)، لست أحفظه، يقول في آخر ذلك الإسناد: رأيت علياً مضروباً بالسوط يُدار به على بعيرٍ ووجهه مما يلي ذنب البعير، وصائحٌ يصيحُ عليه: هذا علي بن عبد الله الكذاب! قال: فأتيتُه فقلتُ: ما هذا الذي نسبوك فيه إلى الكذب؟ قال بلغهم أنني أقول: إنَّ هذا الأمر سيكون في ولدي، والله ليكوننَّ فيهم حتى يملكهم عبيدُهم الصغارُ العيونِ العراضُ الوجوه الذين كأنَّ وجوههم المجان المطارقة^(٢).

ومع هذا الحديث آخرُ في شبيهه بإسناده أنَّ علي بن عبد الله دخل على سليمان بن عبد الملك، ومعه ابنا أبيه: الخليفةان أبو العباس وأبو جعفر - قال أبو العباس: وهذا غلطٌ، لما أذكركُ لك، إنما ينبغي أن يكون دخلَ علي هشام - فأوسع له على سريره، وسأله عن حاجته، فقال: ثلاثون ألف درهم علي دينٍ، فأمر بقضائها، قال له: وتستوصي بابني هذين خيراً، ففعل، فشكره، وقال: وصَلَّتْكَ رَحِمٌ، فلما ولى علي قال الخليفة لأصحابه: إنَّ هذا الشيخ قد اختلَّ وأسنَّ وخلط فصار يقول: إنَّ هذا الأمر سينقلُ إلى ولده، فحسبته فقال: والله ليكوننَّ ذاك، ولْيَمْلِكَنَّ هذان.

* * *

(١) بهامش نسخة ما نصه: "هو محمد بن شجاع الثلجي، كذا صوابه". وقع في بعض النسخ "لبلخي" مصحفاً وكذا أثبتته رابيت، وفي الأصل: محمد بن أبي شجاع؟ وبهامشه ما نصه: "والثلجي كذاب ليس بثقة".

والثلجي بالثاء المثناة والجيم كما في المتن هو الصواب، انظر الإكمال ٤٥٣/١، والمشب ٨٩/١، واللباب ٢٤١/١، وميزان الاعتدال ٥٧٧/٣.

(٢) يشير بقوله هذا إلى قوله (ﷺ): "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة". الحديث. أخرجه البخاري في "الجهاد"، باب: قتال الترك (١٢٢/٦)، ح ٢٩٢٨، ومسلم في "الفتن" (ح ٢٩١٢).

قال أبو العباس : أما قولي : إنَّ الخليفة في ذلك الوقت لم يكن سليمان ؛ فلأنَّ محمد بن علي بن عبد الله كان يُمنَع من التَّزَوُّج في بني الحارث ، للحديث المروِّي^(١) ، فلما قام عمر بن عبد العزيز جاءه محمد ، فقال له ، إنني أردتُ أن أتزوَّج ابنة خالي من بني الحارث بن كعب ، أفتأذن لي ؟ فقال عمر : تزوَّج - رحمك الله - مَنْ أحببت ، فتزوَّجها ، فأولدها أبا العباس أمير المؤمنين ، وعمر بعد سليمان ، فلا ينبغي أن يكونَ تهيُّاً له أن يدخل على خليفة حتى يترعرع ، فلا يتمُّ مثلُ هذا إلا في أيام هشام .

وكان عبدُ الملك يُكرِّم علياً ويقدمه ، فحدثني التوزيُّ قال : قال علي بن عبد الله : سأيرتُ يوماً عبد الملك ، فما جاوزنا إلا يسيراً حتى لقيهُ الحجاجُ قادمًا عليه ، فلما رآه ترَجَّلَ ومَشَى بين يديه ، فَحَثَّ عبدُ الملك ، فأسرَعَ الحجاجُ ، فزادَ عبدُ الملك ، فَهَرَوَلَ الحجاجُ ! فقلتُ لعبد الملك : أبك مَوْجِدَةً على هذا ؟ فقال : لا ، ولكنه رَفَعَ مِنْ نَفْسِهِ ، فأحببتُ أن أَعْضَّ منه .

وحدثني جعفر بن عيسى بن جعفر الهاشمي ، قال : حضر علي بن عبد الملك وقد أهديتُ له من خُرَاسان جاريةً وفَصٍّ وسيفًا ؛ فقال : يا أبا محمد ، إنَّ حاضِرَ الهديةِ شريكٌ فيها ، فاختَرْتُ من الثلاثة واحدًا ، فاختارَ الجارية ، وكانت تُسمَّى سَعْدَى ، وهي من سبي الصُّغْدِ من رَهْطِ عُجَيْفِ بنِ عَنبَسَةَ ، فأولدها سليمان بن علي وصالح بن علي .
وذكر جعفر بن عيسى أنَّه لما أولدها سليمان اجْتَنَبَتْ فراشه ، فمرضَ سليمانُ من جُدْرِي خرج عليه ، فانصرف عليٌّ مِنْ مُصَلَّاهُ فإذا بها على فراشه ، فقال مرحبًا بك يا أمَّ

(١) قال الشيخ المرفعي : " عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية في وصيته محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو بالحيمية لما حضرته الوفاة قال في آخرها : واعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله بن الحارثية " رغبة الآمل ١٩٩/٥ .

وعلق الشيخ المحدث أحمد محمد شاكر على كلام المرفعي بقوله : " هكذا قال ، وهو لا يتفق مع كلام المبرد لأن كلامه يشير إلى حديث شاع عندهم قبل زواج محمد بالحارثية ، وأما كلام أبي هاشم فإنه - كما ذكر هنا - قاله بعد زواجه بها وولادة ابنه عبد الله ، وما أظن هذا الذي نقله الشيخ المرفعي صحيحًا ، ولا الذي أشار إليه المبرد " انظر الكامل بتحقيقه ٥٧٥ .

سليمان ، فوقَ بها ، فأولدها صالحاً ، فاجتنبته بعدُ ، فسألها عن ذلك ، فقالت : خِفْتُ
أن يموتَ سليمانُ فينقطعَ السَّبَبُ بيني وبينَ رسولِ الله ﷺ ، فالآنَ إِذْ وَلَدْتُ صالحاً
فبالحرى إنْ ذهبَ أحدهما أن يَبْقَى الآخرُ ، وليس مثلي وطِئَةَ الرجال .

وزعم جعفر أنه كان فيها رُتَّةٌ . فهي الآنَ معروفةٌ في ولدِ سليمانَ وولَدَ صالح .
وكان عليٌّ يقول : أكره أن أوصيَ إلى محمدٍ - وكان سيِّدَ ولديه - خوفاً من أن
أُشِينَهُ بالوصية ، فأوصى إلى سليمانَ ، فلما دُفِنَ عليٌّ جاءَ محمدٌ إلى سَعْدَى ليلاً فقال :
أُخْرِجِي إِلَيَّ وصيةَ أبي ، فقالت : إن أباك أَجَلٌ من أن تُخْرَجَ وصيته ليلاً ، ولكنها تأتيك
غداً ، فلما أصبحَ غداً عليه بها سليمانُ ، فقال : يا أبي ويا أخي ، هذه وصيةُ أبيك ،
فقال : جزاك الله من ابنٍ وأخٍ خيراً ، ما كنتُ لأُثَرِّبَ على أبي بعدَ موته ، كما لم أُثَرِّبْ
عليه في حياته .

* * *

قال أبو العباس : " التَّمَتُّةُ " : التَّرَدُّدُ في التَّاء ، و " الفَافَةُ " التَّرَدُّدُ في الفاء . و
" العُقْلَةُ " : التَّوَأُّ اللسانِ عندَ إرادةِ الكلام ، و " الحُبْسَةُ " تَعَذُّرُ الكلامِ عندَ إرادته . و " اللَّفْفُ " :
إدخالُ حرفٍ في حرفٍ . و " الرُّتَّةُ " كالرَّيْحِ تَمْنَعُ أوَّلَ الكلامِ ، فإذا جاءَ منه شيءٌ اتَّصَلَ
و " الغَمْغَمَةُ " : أنْ تَسْمَعَ الصَّوْتَ ولا يَتَبَيَّنُ لك تقطيعُ الحروفِ . و " الطَّمْطَمَةُ " : أنْ
يكونَ الكلامُ مُشَبَّهاً لكلامِ العجم . و " اللَّكْنَةُ " : أنْ تَعْتَرِضَ على الكلامِ اللغةُ الأعجميةُ
وَسُفْسَرُ هذا بِحُجَّجِهِ حَرْفاً حَرْفاً ، وما قيل فيه ، إن شاء الله . و " اللُّثْغَةُ " : أنْ يُعْدَلَ
بحرفٍ إلى حرفٍ . و " الغَنَّةُ " : أنْ يُشْرَبَ الحرفُ صوتَ الخَيْشُومِ . و " الحُنَّةُ " : أشدُّ
منها . و " التَّرْخِيمُ " : حَذْفُ الكلامِ .

يُقالُ : رجلٌ " فافاء " يافتي ! تقديره : " فاعال " ونظيره من الكلامِ " سَاباطُ
وختاتام " قال الراجز :

يَا مَيُّ ذَاتَ الْجَوْرَبِ الْمُنْشَقُّ أَخَذَتْ خَاتَمِي بِغَيْرِ حَقٍّ^(١)

[قال أبو الحسن : يقال " خَاتَمٌ " على وزن " دَانَقٍ " و " خَاتِمٌ " على وزن

" ضَارِبٍ " و " خَيْتَامٌ " على وزن " دَيَّانٍ ^(٢) " و " خَاتَامٌ " على وزن " سَابَاطٍ " .

وقال ربيعة الرقيُّ ^(٣) في مدحه يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وذمه يزيد بن

أُسَيْدِ السُّلَمِيِّ :

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى يَزِيدِ سُلَيْمٍ وَالْأَعْرَبِ ابْنِ حَاتِمٍ
فَهَمُّ الْفَتَى الْأَزْدِيِّ إِتْلَافُ مَالِهِ وَهَمُّ الْفَتَى الْقَيْسِيِّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
فَلَا يَخْسِبُ التَّمْتَامُ أَنِّي هَجَوْتُهُ وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ

وقال الراجز :

لَيْسَ بِفَاقَاءٍ وَلَا تَمْتَامٍ وَلَا مُجِثٌ سَقِطِ الْكَلَامِ^(٤)

وقال الشاعرُ :

وَقَدْ تَغْتَرِبُهُ عُقْلَةٌ فِي لِسَانِهِ إِذَا هُزُّ نَصْلِ السَّيْفِ غَيْرَ قَرِيبٍ

وزعم عمرو بنُ بَحْرِ الجاحظُ عن محمد بن الجهم قال : أقبلتُ على الْفِكْرِ في أيام

محاربة الرُّطِّ ، فاعترفتني حُبْسَةٌ في لِسَانِي ^(٥) . وهذا يكونُ ؛ لأنَّ اللسانَ يحتاجُ إلى أن يُمرَّنَ

(١) الراجز بلا نسبة في شرح شافية ابن الحاجب (١٥٢/٢) ، وشرح شواهد الشافية ص ١٤١ ، وشرح المفصل (٥٣/ ٥) ، ولسان العرب (١٦٣/١٢) (ختم) والمقتضب (٢٥٨/٢) ، وتاج العروس (ختم) ، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٤٥) ، وبجمل اللغة (٢/ ٢٣٩) . ورواية الشطر الأول . أغر ذات المنزر المنشق .

(٢) نقل البغدادى في شرح شواهد الشافية ص ١٤١ قول أبى الحسن ، وفيه " ديار " .

(٣) شعره ق ١٩ / ٥٣ ، ٦٠ ص ٦٠ .

الآيات من الطويل وهي له في ديوانه ص ١٢٤ ، ١٢٧ ، ولسان العرب (٤٩/٢) (شتت) . والأول في خزانة الأدب (٢٧٥/٦) ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ / ٢٩٦ ، ٣٠٢ ، وشرح المفصل (٣٧/٤ ، ٦٨) ، وبلا نسبة في شرح شذور الذهب ص ٥١٩ . والثاني في تاج العروس (٥٧٥/٤) (شتت) .

(٤) البيت أنشده الجاحظ في البيان والتبيين ٣٨/١ لأبى الزحف بن عطاء بن الخطفى .

(٥) سبق الخبر

على القول ، حتى يَخِفَّ له ، كما تحتاجُ اليد إلى التمرين على العمل ، والرجُل إلى التمرين على المشي ، وكما يعانيه مُوتِرُ القَوْسِ ورافعُ الحجر ليَصْلَبَ وَيَشْتَدَّ ، قال الراجزُ ^(١) :

كَأَنَّ فِيهِ لَفْفًا إِذَا نَطَقَ مِنْ طُولِ تَخْيِيسٍ وَهَمٍّ وَأَرْقٍ ^(٢)

وقال ابنُ المقفَّع : إِذَا كَثُرَ تَقْلِيْبُ اللِّسَانِ رَقَّتْ جَوَانِبُهُ وَلَأَنْتَ عَذْبَتُهُ . وقال

العتَّابيُّ : إِذَا حُبِسَ اللِّسَانُ عَنِ الاسْتِعْمَالِ اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ مَخَارِجُ الحُرُوفِ .

وأما الرُّتَّةُ فَإِنَّهَا تَكُونُ غَرِيْزَةً ، قال الراجزُ :

يَا أَيُّهَا الْمُخَلِّطُ الْأَرْتُ

ويقالُ : إِنَّهَا تَكْثُرُ فِي الْأَشْرَافِ ، وَلَمْ تُوجَدْ تَخْتَصُّ وَاحِدًا دُونَ وَاحِدٍ .

وأما الغَمْغَمَةُ فَقَدْ تَكُونُ مِنَ الْكَلَامِ وَغَيْرِهِ ؛ لِأَنَّهُ صَوْتُ لَا يُفْهَمُ تَقْطِيعُ حُرُوفِهِ .

* * *

وَحَدَّثَنِي مَنْ لَا أَحْصَى مِنْ أَصْحَابِنَا عَنِ الْأَصْعَمِيِّ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : قَالَ

مَعَاوِيَةُ يَوْمًا : مَنْ أَفْصَحَ النَّاسِ ؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ السَّمَاطِ فَقَالَ : قَوْمٌ تَبَاعَدُوا عَنْ فُرَاتِيَّةِ

الْعِرَاقِ ، وَتَيَامَنُوا عَنْ كَشْكَشَةِ تَمِيمٍ ، وَتَيَاسَرُوا عَنْ كَسْكَسَةِ بَكْرِ ، لَيْسَ فِيهِمْ غَمْغَمَةٌ

قُضَاعَةٌ ، وَلَا طُمْطُمَانِيَّةٌ حِمِيرَ . فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : مَنْ أَوْلَئِكَ ؟ فَقَالَ : قَوْمُكَ ^(٣) يَا أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ جَرَمٍ . قَالَ الْأَصْعَمِيُّ : وَجَرَّمَ مِنْ

فُصْحَاءِ النَّاسِ .

قَوْلُهُ : " تَيَامَنُوا عَنْ كَشْكَشَةِ تَمِيمٍ " فَإِنَّ بَنِي عَمْرٍو بَنِي تَمِيمٍ إِذَا ذَكَرَتْ كَافَ

الْمُؤَنَّثِ فَوَقَفَتْ عَلَيْهَا أَبْدَلَتْ مِنْهَا شَيْئًا ، لِقُرْبِ الشَّيْنِ مِنَ الْكَافِ فِي الْمَخْرَجِ ، وَأَنَّهَا

مَهْمُوسَةٌ مِثْلُهَا ، فَأَرَادُوا الْبَيَانَ فِي الْوَقْفِ ؛ لِأَنَّ فِي الشَّيْنِ تَفْشِيًا ، فَيَقُولُونَ لِلْمَرْأَةِ : جَعَلَ

(١) هو أبو الزحف بن عطاء بن الخطفي . وقد سبق البيتان

(٢) الراجز بلا نسبة في أساس البلاغة (لفف) .

(٣) يريد قريشاً . وانظر النهاية ٣/٣٨٨ ، واللسان (غمم) .

الله البركة في دارش ، وويحك ما لَشْ والتي يُدْرِجُونَهَا يَدْعُونَهَا كَافًا ، والتي يَقِفُونَ عليها يُبْدِلُونَهَا شَيْئًا .

وأما بَكْرٌ فتختلفُ في الكَسْكَسَةِ ، فقومٌ منهم يُبْدِلُونَ من الكاف شيئًا ، كما فعل التَّمِيمِيُّونَ في الشين ، وهم أَقْلَهُم ، وقومٌ يُبَيِّنُونَ حركةَ كَافِ المَوْنِثِ في الوقْفِ بالسّين ، فيزيدونها بعدها ، فيقولون : أعطيتكِسْ .
وأما الغمغمة فما ذكرتُ لك .

وقال الهاربُ لامرأته يوم الخَنْدَمَةِ ، وذلك أنها نظرتُ إليه يُجِدُّ حَرْبَةً في يوم فتح مكة ، فقالت له : ما تَصْنَعُ بهذه ؟ قال : أَعَدَدْتُهَا لِحَمْدِ وَأَصْحَابِهِ ! فقالت : والله إن أَرَأَهُ يقومُ لِحَمْدِ وَأَصْحَابِهِ شيءٍ ، فقال : والله إنِّي لأَرْجُو أن أُحْدِمَكَ بَعْضَهُمْ ! وأنشأ يقولُ ^(١) :
إِنْ تُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَا بِي عَلَيْهِ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّةٌ
وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعِ السَّلَّةِ

" الأَلَّةُ " : الحَرْبَةُ . و " الْغِرَارُ " ههنا : الحَدُّ ، يعني " بذِي غِرَارَيْنِ " السَّيْفُ .

فلَمَّا لَقِيَهُمْ خَالِدٌ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ انْهَزَمَ الرَّجُلُ ، فَلَامَتْهُ امْرَأَتُهُ ، فقال :

إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرِمَةُ
وَلَحِقْتَنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ يَفْلِقْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَةٍ
ضَرْبًا فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةً لَهُمْ نَهْيَتْ حَوْلَنَا وَحَمَحَمَةٍ
لَمْ تَنْطِقِي فِي اللَّوْمِ أَذْنَى كَلِمَةٍ ^(٢)

(١) الهارب هو : أبو عثمان الهذلي ، ويقال له الرعاش ، ويقال إن الرجز المذكور بعد هذا لحماس بن قيس بن مالك الدثلي أخى بنى بكر بن عبد مناة أنشد له أبو (كذا) إسحاق. والخندمة جبل دخل منه النبي ﷺ مكة يوم الفتح، وقيل الخندمة مشى فيه إسراع فأضيف إلخ اليوم لما كثر فيه .

(٢) الرجز لأبى الرعاش الهذلي فى شرح أشعار الهذليين ص ٧٨٧ وللمراعى فى لسان العرب (١٩٢ / ١٢) (خندم) وتاج العروس (خذرما) ، ولرجل خاطب امرأة يوم الفتح فى لسان العرب (١٢ / ٦٢٢) (همم) ، وتاج العروس (همم) ، وبلا نسبة فى تهذيب اللغة (٦٨١ / ٧) ، وجمهرة اللغة (ص ٢٢٤) .

وأما " الطُّمُطُمَانِيَّةُ " ففيها يقولُ عنترَةُ :

تَبْرِي لِه حُولِ النَّعَامِ كَأَنهَا حِزْقُ يَمَانِيَّةٍ لِأَعْجَمَ طِمْطِمٍ^(١)

وكان صُهَيْبُ أَبُو يَحْيَى صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَرْتَضِيحُ لُكْنَةً رُومِيَّةً ، وَيَذْكُرُونَ أَنَّ نَسْبَهُ فِي النَّمِرِ بْنِ قَاسِطٍ صَحِيحٌ .

وقد قال رسول الله ﷺ : " صُهَيْبُ سَابِقُ الرُّومِ ، وَسَلْمَانُ سَابِقُ الْفُرْسِ ، وَبِلَالٌ سَابِقُ الْحَبَشَةِ " (٢) .

وقال عمرُ لصُهَيْبٍ فِي قَوْلِهِ إِنَّهُ مِنَ النَّمِرِ بْنِ قَاسِطٍ : قد سمعت ما قال رسولُ الله ﷺ فيمن انتمى إلى غيرِ نَسَبِهِ^(٣) ؟ فقال صُهَيْبٌ : أنا مِنَ الْقَوْمِ ، وَلَكِنْ وَقَعَ عَلَيَّ سِبَاءٌ .

وكان عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ يَرْتَضِيحُ لُكْنَةً حَبَشِيَّةً ، فَلَمَّا أَنْشَدَ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ :
عُمَيْرَةُ وَدَّعَ إِنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا^(٤)

(١) البيت من الكامل ، وهو له في ديوانه ص ٢٠٠ ، ولسان العرب (٤٧/١٠) (حزق) ، (٣٧١/١٢) (طمم) ، وتهذيب اللغة (٢٠٧/١٣) ، وبجمل اللغة (٥٧/٢) ، وجمهرة اللغة ص ٢١٣ ، ٨٩٤ ، ومقاييس اللغة (٥١٣/٢) ، وتاج العروس (١٢٠/١٨) (قلص) (١٦١/٢٥) (حزق) (طمم) ، وبلا نسبة في المخصص (١٢٢/١٢/٢) ، ولسان العرب (٨١/٧) (قلص) .
ورواية البيت

تأوى له قلص النعام إذا أوت

(٢) الحديث "ضعيف" أورده الهيثمي في "المجمع" بنحوه من حديث أنس (٣٠٥/٩) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، غير عمارة بن زاذان وهو ثقة وفيه خلاف ثم ساق له رواية أخرى من حديث أم هانئ وقال : رواه الطبراني وفيه فايد العطار وهو متروك برقم ، والحديث أورده السيوطي في الجامع الصغير بلفظ : "أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وسلمان سابق الفرس ، وبلال سابق الحبش" وأورده الشيخ الألباني في ضعيف الجامع ، (ح ١٣١٢) ، وقال : "ضعيف" .

(٣) من ذلك قول رسول الله ﷺ : "من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام" رواه البخاري ومسلم ، ومن حديث سعد ، وأبي بكره وانظر صحيح الجامع برقم (٥٩٨٩) (٤) البيت من الطويل ، وهو لسحيم عبد بنى الحساس في الإنصاف (١٦٨/١) ، وخزانة الأدب (٢٦٧/١) ، (١٠٣ ، ١٠٢/٢) ، وسر صناعة الإعراب (١٤١/١) ، وشرح التصريح (٨٨/٢) ، وشواهد المغني (٣٢٥/١) ، والكتاب (٢٦/٢) ، (٢٢٥/٤) ، ولسان العرب (٢٦٦/١٥) (كفن) ومغنى اللبيب (١٠٦/١) ، والمقاصد النحوية (٦٦٥/٣) ، وبلا نسبة في أسرار العربية ص ١٤٤ وأوضح المسالك (٢٥٣/٣) ، وشرح الأشموني (٣٦٤/٢) ، وشرح عمدة الحفاظ ص ٤٢٥ ، وشرح قطر الندى ص ٣٢٣ ، وشرح الفصل (١١٥/٢) ، (١٤٨/٨٤/٧) ، (١٣٨ ، ٩٣ ، ٢٤/٨) ، ولسان العرب (٣٤٤/١٥) (نهى) .

فقال عمر : لو كنت قدّمتَ الإسلامَ على الشَّيب لأجزّتك ، فقال : ما سَعَرْتُ ، يريدُ : ما شَعَرْتُ .

وكان عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ يَرْتَضِخُ لَكَنَةً فَارْسِيَّةً ، وَإِنَّمَا أَتَتْهُ مِنْ قَبْلِ زَوْجِ أُمِّهِ شِيرَوَيْهِ الْأَسْوَارِيِّ .

ويقالُ : إن عليّاً عليه السلام عادَ زِياداً في منزل شِيرَوَيْهِ . فقال عُبَيْدُ اللَّهِ يوماً لرجلٍ كَلَّمَهُ فَظَنَّ بِهِ رَأْيَ الْخَوَارِجِ^(١) : أَهْرُورِيٌّ مِنْذُ الْيَوْمِ ؟ يريدُ : أَحَرُورِيٌّ ، وهذه الهاءُ يَشْتَرِكُ فِي قَلْبِهَا مِنَ الْحَاءِ أَصْنَافٌ مِنَ الْعَجَمِ .

وكان زِيَادُ الْأَعْجَمِ - وهو رجلٌ من عَبْدِ الْقَيْسِ - يَرْتَضِخُ لَكَنَةً أَعْجَمِيَّةً ، يَذْهَبُ فِيهَا إِلَى مَذْهَبِ قَوْمٍ بِأَعْيَانِهِمْ مِنَ الْعَجَمِ .
وَأَنْشَدَ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ فِي مَدْحِهِ إِيَّاهُ :

فَتَى زَادَهُ السُّلْتَانُ فِي الْحَمْدِ رَغْبَةً إِذَا غَيَّرَ السُّلْتَانُ كُلَّ خَلِيلٍ^(٢)

يريد " السلطان " ، وذلك أَنَّ بَيْنَ الطَّاءِ وَالتَّاءِ نَسْبًا ، فَلِذَلِكَ قَلَّبَهَا تَاءً ، لِأَنَّ التَّاءَ مِنْ مَخْرَجِ الطَّاءِ ، فَقَالَ " السُّلْتَانُ " .

وَأَمَّا " الْغَنَّةُ " فَتُسْتَحْسَنُ مِنَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السَّنِّ ؛ لِأَنَّهَا مَا لَمْ تُفْرِطْ تَمِيلُ إِلَى ضَرْبٍ مِنَ النَّعْمَةِ ، قَالَ ابْنُ الرَّقَّاعِ الْعَامِلِيُّ^(٣) يَصِفُ الطَّبِيَّةَ وَوَلَدَهَا :
تُزْجِي أَعْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا^(٤)

(١) قَالَ مُحَقِّقُ (س) : بَعْدَهُ فِي زِيَادَاتٍ مِنْ هَامِشِ نَسْخَةٍ : " الرَّجُلُ الَّذِي كَلَّمَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ وَظَنَّ أَنَّهُ مِنَ الْخَوَارِجِ هَانِيٌّ بِنِ قَبِيصَةَ " .

قَالَ الشَّيْخُ الْمَرْصُفِيُّ : " هَذَا غَلَطٌ فَاحِشٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ هَانِيَّ بْنَ قَبِيصَةَ بْنَ هَانِيٍّ بِنِ مَسْعُودِ الشَّيْبَانِيِّ جَاهِلِيٌّ لَمْ يَدْرِكِ الْإِسْلَامَ ، وَالصُّوَابُ هَانِيٌّ بِنِ عُرْوَةَ الْمَرَادِيِّ الَّذِي نَزَلَ فِي دَارِهِ مُسْلِمٌ بِنِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَسُولُ الْحُسَيْنِ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ ... رَغْبَةُ الْأَمَلِ ٢١١/٥ .

(٢) الْبَيْتُ فِي الْأَغَانِي (٣٨١/١٥) ، وَفِي رِوَايَتِهِ (السلطان) بدلًا مِنْ ٠ (لسلطان) ، وَ(الخير) بدلًا مِنْ (الحمد) وَعَزَى مُحَقِّقُهُ هَذِهِ الرِّوَايَةَ لِلْعَقْدِ الْفَرِيدِ (٤٧٨/٢) .

(٣) مِنْ كَلِمَةٍ لَهُ نَشَرَهَا الْعَلَمَةُ الْمِيعَنِي فِي الطَّرَائِفِ الْأَدَبِيَّةِ ص ٨٧-٩١ . وَسَيَأْتِي الْبَيْتُ .

(٤) الْبَيْتُ مِنَ الْكَامِلِ لَهُ فِي دِيَوَانِهِ ص ٣٥ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (٩٦/٣) (بلد) ، (٣٣٥/٦) (قرش) ، (٣٥٥/١٤) (زجا) ، وَأَسَاسُ الْبَلَاغَةِ ص ١ (أبر) وَطَبَقَاتُ فَحُولِ الشُّعْرَاءِ ص ٧٠٧ ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (٣٢٦/١٧) (قرش) ، (زجا) ، وَطَرَائِفُ الْأَدَبِيَّةِ ص ٨٨ ، وَالْأَغَانِي (٣٥٧/٩) .

باب

قال محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي^(١):

لم^(٢) تر عيني مثل سرب رأته
مَرَزَنَ بَفَخٍ^(٣) ثم رُحْنَ عَشِيَّةً
تَضَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ
وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أَغْرَضَتْ
دَعَتْ نِسْوَةً شَمَّ الْعَرَانِينَ بُدْنًا
فَأَذْنَيْنِ لَمَّا قُمْنَ يَخْجُبْنَ دُونَهَا
أَجَلٌ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَرْشُهُ
يُخْبِتْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى
خَرَجْنَ مِنَ التَّعِيمِ^(٤) مُعْتَجِرَاتِ^(٥)
يَلْبَسِينَ لَلرَّحْمَنِ مَوْتَجِرَاتِ
بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةٍ عَطِرَاتِ^(٦)
وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَلِيزَاتِ
نَوَاعِمٍ لَا شُعْفًا وَلَا غَبِرَاتِ^(٧)
حِجَابًا مِنَ الْقَسِيِّ وَالْحَبِرَاتِ^(٨)
أَوَانِسَ بِالْبَطْحَاءِ مُعْتَمِرَاتِ
وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُخْتَمِرَاتِ^(٩)

قوله: "مثل سرب رأته" هو القطعة من النساء أو من الظباء أو من البقر أو من

الطير ، كما قال^(١٠) :

(١) شعره - شعراء أمويون ١٢٣/٣ - ١٢٦/٣ ق ١٩/٣ ، ١٦، ١٤، ١٦، ١٥، ١٠، ٧، وفي روايتها اختلاف .

(٢) في نسخة : ولم .

(٣) التنعيم موضع بمكة في الحل وهو بين مكة وسرف . معجم البلدان ٤٩/٢ .

(٤) (معتجرات) من اعتجرت المرأة لوث عل رأسها ثوباً من غير إدارة تحت الخنك وهو المعجر كمنبر وجمعه المعاجر .

(٥) "مؤيه قريب من مكة" . وانظر معجم البلدان ٢٣٧/٤ .

(٦) نعمان : هو نعمان الأراك بينه وبين مكة نصف ليلة . معجم البلدان ٢٩٣/٥ . وقد سبق البيت

(٧) بعده في زيادات بعض النسخ : "ويروى : ولا غفرات ، بإلقاء أخت القاف ، من الغفر وهو الشعر الذي ينبت في اللحين ، يقال : غفرت المرأة : إذا نبت لها ذاك الشعر" .

(٨) القسي نسبة إلى "القس" وهو موضع بين العريش والفرما ، يصنع فيه ثياب من كتان مخلوط بحرير . والحيرات جمع حيرة وهي ضرب من يرود اليمن موسى . عن رغبة الأمل ٢١٣/٥ - ٢١٤ .

(٩) الأبيات في الأغاني (٢٠٣/٦ - ٢٠٥) وفي روايتها تقديم وتأخير وبعض اختلاف .

(١٠) هذبة بن خشرم العذري . وقد سبق البيت ونسبه المبرد لمة لعمر بن أبي ربيعة والصواب أنه لهذبة وسيأتي مع

آخر .

لم تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ خَرَجْنِ عَلَيْنَا مِنْ زُقَاقِ ابْنِ وَاقِفٍ^(١)
فهذا يعني نساءً . ويقالُ : مَرَّتْ بِنَا سُرْبَةٌ مِنَ الطَّيْرِ ، في هذا المعنى ، قال ذو
الرُّمَّةُ :

سَوَى مَا أَصَابَ الذُّئْبُ مِنْهُ وَسُرْبَةٌ أَطَافَتْ بِهِ مِنْ أُمَّهَاتِ الْجَوَازِلِ^(٢)
ويقالُ : فلانٌ واسعُ السَّرْبِ ، يعني بذلك الصَّدْرَ ، ويقالُ : خَلَّ لفلانٍ سُرْبُهُ ،
أي . طريقه الذي يَنْسَرِبُ فيه ، ويقالُ للإبل كذلك بالفتح : لأذْعَرَنُ سَرْبَكَ .
ويقالُ " حَذِرَاتُ " و " حَذِرَاتُ " و " يَقْظُ " و " يَقْظُ " قال ابنُ أَحْمَرَ :
هَلْ يُنْسَبُ يَوْمِي إِلَى غَيْرِهِ أَنِّي حَوَالِيَّ وَأَنِّي حَذِرُ^(٣)
وَيُرَوَى : " حَذِرُ " .

وقوله : وكن من أن يلقينه حذيرات^(٤)

فالأصلُ " مِنْ أَنْ يَلْقِيَنِهِ " ولكنَّ الهمزة إذا خُفِّفَتْ وَقَبِلَهَا ساكنٌ ليس من حروفِ
اللين الزوائد فتخفيفها متصلة كانت أو منفصلة أن تُلْقِيَ حركتها على ما قبلها وتُحذِفُها،
فتقولُ " مَنْ ابوكَ ؟ فتفتحُ النون وتُحذفُ الهمزة "ومن اخوانك " و " من ام زيد؟ " فتضم
النون وتُكسِرُها ، على ما ذكرتُ لك ، وتقولُ : ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ فِي السَّمَوَاتِ﴾^(٥)
و " فلانٌ له هَيْةٌ " و " هذه مَرَّةٌ " إذا خُفِّفَتْ الهمزة في " الْخَبَاءُ " و " الْهَيْئَةُ " و " المَرَاةُ "
وعلى هذا قوله تعالى : ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٦) لأنها كانت " اسْأَلُ " فلَمَّا حُرِّكَتِ

- (١) البيت من الطويل ، وهو لهدبة بن الحشرم في ديوانه ص ١١٦ ، ومعجم البلدان (١٤٥/٣) (زقاق ابن واقف) ، وبلا نسبة في لسان العرب (١٤٤/١٠) _ (زقق) ، وتاج العروس (٤٠٩/٢٥) (زقق).
(٢) البيت من الطويل / وهو له في ديوانه ص ١٣٤٦ ، ولسان العرب ص (٤٦٣ / ١) (سرب) ،
(١١٠/١١) ، (٢٩/١٢) (أمم) ، وتهذيب اللغة (٦١٤/١٠) . وتاج العروس (٥١/٣) (سرب) ،
(وديان الأدب (١/ ١٦٢) ، وكتاب العين (٢٤٨/٧) ، وبلا نسبة في جبهة اللغة ص ١١٧٦ .
(٣) البيت من السريع وهو للمرار بن منقذ العدوى في لسان العرب ١٨٦/١١ (حول) ، وبلا نسبة في
المخصص ٢٢/٣ .

(٤) البيت من الطويل وهو للنميرى وهو في الأغاني ٢٠٥/٦ .

(٥) سورة النمل : ٢٥ .

(٦) سورة البقرة : ٢١١ .

السينُ بحركةِ الهمزة سقطتْ ألفُ الوصلِ لتحركِ ما بعدها ، وإنما كانَ التخفيفُ في هذا الموضعِ يحذفُ الهمزة ؛ لأن الهمزة إذا خففتْ قُرِبَتْ من الساكن ، والدليلُ على ذلك أنها لا تُبْتَدَأُ إلا مُحَقَّقَةً ، كما لا يُبْتَدَأُ إلا بِمُتَحَرِّكٍ ، فلما التَقَى الساكنُ وحرفٌ يَجْزِي مَجْزِي الساكنِ حذفتِ المعتلُّ منهما ، كما تحذفُ لالتقاء الساكنين .

وقوله " دَعَتْ نِسْوَةً شَمَّ الْعَرَانِينَ " فـ " الشَّمَاءُ " السابغة الأنفِ والمصدرُ " الشَّمَمُ " وقال أحدُ الشعراءِ يمدحُ قُتَيْبَ بْنَ الْعَبَّاسِ :

نَجَوْتُ مِنْ حَلٍّ وَمِنْ رَحْلَةٍ يَا نَاقَ إِنِّ قَرَيْتَنِي مِنْ قُتَيْبٍ
إِنَّكَ إِن بَلَغْتَنِيهِ غَدَاً عَاشَ لَنَا الْيُسْرُ وَمَاتَ الْعَذَمُ
فِي بَاعِهِ طُولٌ وَفِي وَجْهِهِ نُورٌ وَفِي الْعِرْنَيْنِ مِنْهُ شَمَمٌ
لَمْ يَذَرِ مَا " لَآ " وَ " بَلَى " قَدْ ذَرَى فَعَاثَهَا وَاعْتَاضَ مِنْهَا " نَعَمْ " (١)

[قال أبو الحسن : أنشدني أبي لسليمان بن قَتَّة^(٢) ، وأنشدني " من حلِّي ومن

رحلتي " وزادني :

أَصَمُّ عَنْ ذِكْرِ الْخَنَّا سَمِعُهُ وَمَا عَنِ الْخَيْرِ بِهِ مِنْ صَمَمٍ
" وَالْعِرْنَيْنِ " وَ " الْمَرْسِنُ " وَ " الْأَنْفُ " وَاحِدٌ ، لِمَا يُحِيطُ بِالْجَمِيعِ .

و " الْبُذْنُ " وَاحِدُهَا " بَادِنٌ " كقولك : " شَاهِدٌ وَشَهْدٌ " وَ " ضَامِرٌ وَضُمَرٌ " وَهُوَ الْعَظِيمُ الْبَدَنُ ، يُقَالُ : " بَذَنَ " فَلَانٌ : إِذَا كَثُرَ لَحْمُهُ ، وَ " بَذَنَ " : إِذَا أَسَنَّ ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : " إِنِّي قَدْ بَذَنْتُ ، فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ " (٣) .

(١) الأبيات من بحر السريع وهي لداود بن سلم في كتاب الأغاني ٢٦/٦

(٢) وأنشده أبو الفرج في الأغاني ١٦٩/٩ و ٢٠/٦ لداود بن سلم ، وأنشده القالي في ذيل الأمالي

١٢٩ عن المبرد لداود . وانظر ذيل السمط ٦٠ .

(٣) الحديث " صحيح " أخرجه بنحوه ابن ماجه في " إقامة الصلاة " من حديث أبي موسى وبنحوه أبو داود أيضاً في " الصلاة " من حديث معاوية بن أبي سفيان ، وكذا الدارمي بسند حسن ، وانظر صحيح ابن ماجه (ح ٧٨٧ ، ٧٨٨) ، وصحيح أبي داود (ح ٥٧٨) ، وصحيح الجامع (ح ٢٤٧١) ، وراجع " صحيحه " (ح ٧٢٥) وقد زاد نسبته في " الإرواء " (٢/ ٢٨٩ ، ٢٩٠) إلى أحمد في " المسند " (٩٢/٤) والبيهقي في " الكبرى " (٩٢/٢) .

و " الْأَشْعَثُ " و " الشَّعْنَاءُ " الخاليان من الدهن ، وكان عمرُ بنُ عبد العزيز يتمثلُ :
 مَنْ كَانَ حِينَ تَمَسُّ الشَّمْسُ جَبْهَتَهُ أَوِ الْغُبَارُ يَخَافُ الشَّيْنِ وَالشَّعْنَاءَ
 وَيَأْلَفُ الظِّلَّ كَيْ تَبْقَى بَشَاشَتُهُ فَسَوْفَ يَسْكُنُ يَوْمًا رَاغِمًا جَدَثًا^(١)
 [قال أبو الحسن : وزادني أبي :
 فِي بَطْنٍ مُظْلِمَةٍ غَبْرَاءَ مُقْفِرَةٍ كَيْمَا يُطِيلُ بِهَا فِي بَطْنِهَا اللَّبَنَاءَ
 تَجَهَّزِي بِجَهَازٍ تَبْلُغِينَ بِهِ يَا نَفْسُ وَاقْتَصِدِي لَمْ تُخْلَقِي عَبْنَاءَ

* * *

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، ونظر إلى أم عمر بنت مروان بن الحكم ،
 وكانت صارت إليه متنكرة فرأته وقضت من محادثته وطرا ، ثم انصرفت ، فلما رجعت
 من منى عرفها ، فعلمت ذلك ، فبعثت إليه : لا ترفع بي صوتا ، وأهدت إليه ألف دينار ،
 فاشترى بها عطرا وبرا وأهداه لها ، فأبت أن تقبله ، فقال : إذا والله أنه به فيكون أذيع له !
 فقبلته ، وفي ذلك يقول :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلِقِ رَهْنًا إِذَا ضَمَّهُ مِنَى^(٢)
 وَكَمْ مَالِي عَيْنِهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضُ كَالدُّمَى
 يَجْرُزْنَ أَذْيَالَ المَرُوطِ بِأَسْوَاقِ خَدَالٍ إِذَا وَلَّيْنَ أَغْجَازَهَا رَوَى
 أَوَانِسُ يَسْلُبْنَ الحَلِيمَ فُؤَادَهُ فَيَاطُولُ مَا حُزْنٍ وَيَا حُسْنٍ مُجْتَلَى
 فَلَمْ أَرَ كَالْتَّخْمِيرِ مَنْظَرَ نَاطِرٍ وَلَا كِلْيَالِي الْحَجِّ أَفْتَنَ ذَا هَوَى
 وفيها يقول :

أَيُّهَا الرَّائِحُ الْمَجِيدُ ابْتِكَارًا قَدْ قَضَى مِنْ تِهَامَةِ الْأَوْطَارَا
 لَيْتَ ذَا الْحَجِّ كَانَ حَتَمًا عَلَيْنَا كُلَّ شَهْرٍ يَنْ حِجَّةً وَاعْتِمَارَا

(١) البيتان من البسيط ، وهما لعمر بن عبد العزيز في لسان العرب ٣٢٥/٥ (جهز) ، وتاج العروس

٨٩/١٥ (جهز) .

(٢) الأبيات من الخفيف وهي لعمر بن أبي ربيعة في الأغاني ٧٨ / ٩ .

قوله : وكم من قتيلٍ لا يُبَاءُ به دَمٌ

يقولُ : لا يُقَادُ به قَاتِلُهُ ، وأصلُ هذا أنه يقالُ : " أَبَأْتُ " فلاناً بفلانٍ فـ " بَاءً " به : إذا قَتَلْتَهُ بِهِ ، ولا يكادُ يُستعملُ هذا إلا والثاني كُفَّءٌ للأوَّلِ ، فمن ذلك قولُ مُهَلِّهِلِ بن ربيعة ، حيثُ قَتَلَ بُجَيْرَ بن الحارث بن عبادٍ ، فقيلاً للحارث - ولم يكن دخل في حربهم - : إن ابنك قُتِلَ ، فقال : إنَّ ابني لأَعْظُمُ قتيلٍ بركةً ، إنَّ أصلَحَ الله به يَتْنِ ابْنِي وائِلٍ ، فقيلاً له : إنه لما قُتِلَ قال مُهَلِّهِلٌ : بُوْ بِشِئْسَعِ نَعْلٍ كَلْبِيبٍ ! فعند ذلك أدخل الحارث يده في الحرب ، وقال :

قَرَّبَا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حَرْبُ وائِلٍ عن حِيَالِ
لا بُجَيْرٌ أَغْنَى قَيْلًا وَلَا رَهْ طُ كَلْبِيبٍ تَزَاجَرُوا عَنْ ضَلَالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّهُ هُ وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِي^(١)

وقالت لبلَى الأَخِيلِيَّةُ :

فَإِنْ تَكُنِ الْقَتْلَى بَوَاءً فَإِنَّكُمْ فَتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفٍ بِنِ عَامِرٍ^(٢)

وقال التَّغْلَبِيُّ :

أَلَا تَنْتَهِي عَنَّا مُلُوكُ وَتَقِي مَحَارِمَنَا لَا يُؤِي الدَّمُ بِالْدَمِ^(٣)

ويقالُ : " بَاءً " فلانٌ بذَنْبِهِ ، أي : بَخَعَ به وأَفَرَّ ، قال الفرزدق لمعاوية :

فلو كانَ هذا الحُكْمُ في غَيْرِ مُلْكِكُمْ لَبُؤْتُ بِهِ أَوْ غَصَّ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ

(١) الأبيات من الخفيف للحارث بن عباد في الأغاني ٥ / ٥٣ .

(٢) البيت من الطويل وهو للبللى الأَخِيلِيَّة في ديوانها ص ٧٩ ، ولسان العرب ١ / ٣٧ (بواء) ، ١٥ / ١٤٧ (فتا) ، وجمهرة اللغة ص ٢٢٩ ، وتاج العروس ١ / ١٥٧ (بواء) ، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٤ / ١٨٢ .

(٣) البيت من الطويل ، وهو لجابر بن جنى التغلبي في شرح اختيارات المفضل ص ٩٥١ ، ولسان العرب ١ / ٣٨ (بواء) ، ٦ / ٢٢١ (مكس) ، وبلا نسبة في الكتاب ٣ / ٩٥ .

ويقال " بَاءَ " فلان بالشيء ، من قول أو فعلٍ ، أي : احتمله فصار عليه .
وقال المفسرون في قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾^(١) :
أي يجتمعا عليك فتحملهما .

وأما قوله " وَمِنْ غَلِقٍ رَهْنٍ " فَمَنْ جَرَضَ فهو من قولهم " رَهْنٌ غَلِقٌ " فلما قَدَّمَ
النعت اضطراراً أَبْدَلَ منه المنعوت ، ولو قال : " وَمِنْ غَلِقٍ رَهْنًا " فنصبَ على الحال من
المعرفة وهي الاسم المضمرُّ في " غَلِقٍ " - كان جيِّداً .

وقوله : " إِذَا ضَمَّهُ مَنِي " فَإِنَّمَا سُمِّيَتْ " مَنِي " لِمَا يُمْنَى فيها من الدَّم ، يقال في
المَنِيِّ - وهي النُّطْفَة - : " مَنَى " الرجلُ و " أَمْنَى " . والقراءة " ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونُ﴾^(٢)
و ﴿مَا تَمْنُونُ﴾ . ويقالُ : " مَذَى " الرجلُ و " أَمَذَى " و " وَدَى " و " أَوْدَى "
فقولهم : " وَدَى " يعني البَلَّةُ التي تكونُ في عَقِبِ الْبَوْلِ كالمَذَى ، وأما المَذَى فَيَعْتَرِي من
الشَّهْوَةِ والحركة ، وقال عليُّ بن أبي طالب رحمه الله : كُلُّ فَحْلٍ مَذَاءٌ . ومن كلام
العرب : كُلُّ فَحْلٍ يَمْذِي ، وكلُّ أُنْثَى تَقْذِي . وهو أن يكون منها مثلُ المَذَى . ولـ
مَنَى " موضعٌ آخرُ ، يقالُ : " مَنَى " الله لك خيراً ، أي قَدَّرَ لك خيراً ، ويقال " مَنَى " الله
أن أَلْقَى فلاناً ، أي قَدَّرَ . و " الْمَنِيَّةُ " مِنْ ذَا ؛ يقالُ : لَقِيَ فلانٌ مَنِيَّتَهُ ، أي : ما قَدَّرَ له من
الموت . فأما " الْمَنِيَّةُ " بالهمز ، في : المَدْبَغَةُ ؛ وهي المكان الذي يُدْبَغُ فيه .

وقوله : إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدُّمَى^(٣)

فـ " الجَمْرَةُ " إِنَّمَا سُمِّيَتْ لِاجْتِمَاعِ الْحَصَى فيها ، ومن ثَمَّ قِيلَ^(٤) : لَا تُجَمِّرُوا
المسلمين فَتَفْتِنُوهُمْ وَتَفْتِنُوا نِسَاءَهُمْ ؛ أي : لَا تُجَمِّعُوهُمْ فِي الْمَغَازِي ، و " التَّجْمِيرُ "

(١) سورة المائدة : ٢٩

(٢) سورة الواقعة : ٥٨ . وقرأ الجمهور ما تمنون بضم التاء ، وقرأ ابن عباس وأبو السمال بفتحها .

انظر البحر ٢١١/٨

(٣) هذا عجز بيت من الطويل ، وصدره : ومن مالى عينيه من شىء غيره . وهو لعمر بن أبى ربيعة

فى ديوانه ص ٤٥٩ ، والكتاب ١ / ١٦٥ ، والمقاصد النحوية ٣ / ٥٣١ .

(٤) فى حديث عمر: لا تجمروا الجيش فتفتنهم . النهاية ٢٩٢/١ .

التَّجْمِيعُ . وكذلك قيل ^(١) في " جَمَرَاتِ الْعَرَبِ " - وهم : بنو نُمَيْرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ،
وبنو الحارث بن كعب بن عُلَّة بن جُلْد ، وبنو ضَبَّة بن أَد بن طَابِخَةَ ، وبنو عَبْسِ بْنِ
بَغِيضِ بْنِ رَيْثٍ لِأَنَّهُمْ تَجَمَّعُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَلَمْ يُدْخِلُوا مَعَهُمْ غَيْرَهُمْ . وأبو عبيدة لم يَعُدُّ
فيهم عَبْسًا فِي كِتَابِ " الدِّيَاجِ " وَلَكِنَّهُ قَالَ : فَطَفِئَتْ جَمَرَتَانِ ، وَهُمَا بَنُو ضَبَّةَ ؛ لِأَنَّهَا
صَارَتْ إِلَى الرَّبَابِ فَحَالَفَتْ ، وَبَنُو الْحَارِثِ ؛ لِأَنَّهَا صَارَتْ إِلَى مَذْحِجٍ ، وَبَقِيَتْ بَنُو نُمَيْرٍ
إِلَى السَّاعَةِ ، لِأَنَّهَا لَمْ تُحَالَفْ . وَقَالَ النَّمِيرِيُّ يُجِيبُ جَرِيرًا :

نُمَيْرٌ جَمْرَةُ الْعَرَبِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ فِي الْحَرْبِ تَلْتَهَبُ الْإِهَابَا
وَإِنِّي إِذْ أَسْبُ بِهَا كُلِّيَا فَتَحْتُ عَلَيْهِمُ لِلْخَسْفِ بَابَا ^(٢)
وقال في هذا الشعر :

وَلَوْلَا أَنْ يُقَالَ هَجَا نُمَيْرًا وَلَمْ نَسْمَعْ لَشَاعِرِهَا جَوَابَا
رَغَبْنَا عَنْ هِجَاءِ بَنِي كُلَيْبٍ وَكَيْفَ يُشَاتِمُ النَّاسُ الْكِلَابَا ^(٣)

* * *

وقال عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُنْ لِرُكْبٍ بَفَلَاةٍ هُمْ لَدَيْهَا هُجُوعُ
طَالَمَا عَرَسْتُمْ فَاسْتَقِلُّوا حَانَ مِنْ نَجْمِ الثُّرَيَّا طُلُوعُ
إِنَّ هَمِّي قَدْ نَفَى النَّوْمَ عَنِّي وَحَدِيثُ النَّفْسِ شَيْءٌ وَلُوعُ
قَالَ لِي فِيهَا عَتِيقٌ مَقَالًا فَجَرَتْ مِمَّا يَقُولُ الدُّمُوعُ
قَالَ لِي : وَدَّعْ سُلَيْمَى وَدَعَهَا فَأَجَابَ الْقَلْبُ : لَا أَسْتَطِيعُ
لَا تَلْمَنِي فِي اشْتِيَاقِي إِلَيْهَا وَابْكِ لِي مِمَّا تُجِنُّ الضُّلُوعُ

(١) انظر جمرات العرب في النقااض ٩٤٦ ، والعقد ٣/٣٦٧ ، والعمدة ١٩٧/٢ - ١٩٨ .

(٢) البيتان من الوافر ، وهما للراعي النميري في ديوانه ص ١٨ ، وتاج العروس ١٠/٤٦٠ (حجر).

(٣) البيتان من الوافر ، وهما للراعي النميري في ديوانه ص ١٨ ، وتاج العروس ١٠/٤٦٠ (حجر) .

قوله : حَانَ مِنْ نَجْمِ الثُّرَيَّا طُلُوعُ

كناية ، وإنما يريدُ الثُّرَيَّا بنتَ عليٍّ بن عبد الله بن الحارث بن أُمَيَّة الأصغرَ وهُمُ الْعَبَلَاتُ^(١). وكانت الثريا وأختها عائشةُ أَعْتَقَتَا الْغَرِيضَ الْمُغْنِيَّ ، واسمه عبدُ الملك ، وَيُكْنَى أبا يزيدَ^(٢). ويقولُ إسحاق بن إبراهيم الموصليُّ : إنما سُمِّيَ الْغَرِيضُ بِالطَّلَعِ ، لأنَّ الطَّلَعَ يقالُ له الإغريضُ ، وليس هو عندي كما يقول ، وإنما سُمِّيَ الْغَرِيضُ لِطَرَأَتِهِ ،^(٣) يقال : لَحْمٌ غَرِيضٌ .

وكانت الثُّرَيَّا موصوفةً بالجمال ، وتزوَّجها سهيلُ بن عبد الرحمن بن عوفٍ الزُّهريُّ^(٤) ، فنقلها إلى مصرَ ، فقال عمرُ يضربُ لهما المثلَ بالكوكبين :

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

(١) العبلات هم أُمَيَّة الأصغر وعبد أُمَيَّة ونوفل أبناء عبد الشمس وأمهم عبله بنت عبيد بن جاذل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبها يعرفون . انظر الخزانة ٢٣٨/١ ، ورغبة الأمل ٢٣٣/٥ ، والأغانى ٢١٠-٢١١/١

(٢) قال ابن السيد : " رأيت في كتاب اللهو لابن خرداذبه أن كنيته أبو زيد ، وقال : هو من مولدى البربر يضرب العود ، أخذ الغناء عن ابن سريج ثم حسده فطرده وكان جميلاً " . وقال البغدادى : " وربته الثريا وعلمته النوح بالمراثى على من قتله يزيد بن معاوية يوم الحرة . وقيل إن الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أُمَيَّة الأصغر ، وذكر الزبير بن بكار أنها الثريا بنت عبد الله بن محمد بن عبيد الله ابن الحارث بن أُمَيَّة الأصغر وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبى جراب العبلى الذى قتله داود ابن على . كذا فى الغرر والدرر للشرىف [٣٤٦/١-٣٤٧] عن الخزانة ٢٣٨/١ . وكان فيها " كتب اللهو لابن جرادة وهو تغيير وتحريف

وعقب أبو الفرج على قول الزبير قال : " وهذا غلط من الزبير عندى ، والثريا أن تكون بنت عبد الله بن الحارث أشبه من أن تكون أخت الذى قتله داود بن على ... وهذا القول الذى قتله قول ابن الكلبي وأبى اليقظان ، أخبرنى به فى الحسن بن على عن أحمد بن الحارث عن المدائنى عن أبى اليقظان ، قال : وحدثنى به جماعة من أهل العلم بنسب قريش " الأغانى ٢١١/١ . وانظر أنساب العرب ٧٦ ، ووفيات الأعيان ٤٣٦/٣ .

(٣) انظر الأغانى ٣٥٩/٢

(٤) الذى صوبه أبو الفرج أنه سهيل بن عبد العزيز بن مروان ، ولم يرتضيه البغدادى فرأى أن الصواب أنه سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري كمال قال الميرد وهو قول الزبير بن بكار . انظر الأغانى ٢٣٢/١ ، والخزانة ٢٣٩/١ .

هي شاميةٌ إذا ما استقلَّتْ وسُهِّلَ إذا استقلَّ يمان^(١)

وقوله : قال لي فيها عتيقٌ مقالاً
تَزَعُمُ الرواةُ أنَّ كلَّ شيءٍ ذَكَرَ فيه عتيقاً أو بَكَراً فإنما يعني ابن أبي عتيق .
وكان ابن أبي عتيق من نَسَاكِ قريش وظُرَفائِهِمْ ، بل كان قد بَذَهُمْ ظُرْفاً ، وله
أخبارٌ كثيرةٌ ، سَيَمُرُّ بعضُها في الكتابِ إن شاء الله .

فَمِنْ طَريفِ أخبارِهِ : أَنَّهُ سَمِعَ وهو بالمدينة قولَ ابن أبي ربيعة :
فَمَا نِلْتُ مِنْهَا مَحْرَمًا غَيْرَ أَنَا كِلَانًا مِنَ الثَّوْبِ الْمُطَرَفِ لِأَبْس^(٢)
فقال: ابْنَا يَلْعَبُ ابْنُ أَبِي ربيعة ؟ وأيُّ مُحَرَّمٍ بَقِيَ ! فركبَ بغلته متوجِّهاً إلى مكة ،
فلما دخل أنصاب الحَرَمِ قيل له : أَحْرِمْ ، قال : إِنَّ ذَا الْحَاجَةِ لَا يُحْرِمُ ، فَلَقِيَ ابْنَ أَبِي
ربيعة فقال : أَمَا زَعَمْتَ أَنَّكَ لَمْ تَرَكِبْ حَرَامًا قَطُّ ؟ قال : بَلَى ، قال : فما قولُكَ :

(١) البيتان من الخفيف ، وهما لعمر بن أبي ربيعة ، الأول في ملحق ديوانه ص ٥٠٣ ، والأغاني
١ / ٢١٩ ، وأمالى المرتضى ١ / ٣٤٨ ، وخزانة الأدب ٢ / ٢٨ ، والشعر والشعراء ٢ / ٥٦٢ ،
ولسان العرب (عمر) والمقاصد النحوية ٣ / ٤١٣ .

وللعنمان بن بشير في ديوانه ص ١٤ ، وبلا نسبة في المقتضب ٢ / ٣٢٩ .
والثاني بلا نسبة في تاج العروس (شأم) .

(٢) قال محقق (س) بهامش الأصل ما نصه: " أول هذه القصيدة :

لزينب نجوى صدره والوساوسُ	من لسقيم يكتم الناس ما به
بزينب تدرك بعض ما أنت لأمسُ	أقول لمن تأت يوماً بزينب
فإني من طب الأطباء يائسُ	فإنك إلا يبغى الشفاء متى توب
لزينب حتى يعبلو الرمس رامسُ	فلست بناس ليلة الدار مجلساً
دجنته وغساب من هو حارسُ	خلاء بدت قمرأوه وتمحضت

[البيت]

[فما نلت]

ولو رَغِمَتْ [ملكا شحين] المعاطس "أهـ

نجيين نقضى اللهو فى غير محرم

انظر ديوان عمر ص ٣٩٥-٣٩٦

كِلَانًا مِنَ الثَّوْبِ الْمَطْرَفِ لَابِسُ ؟

قال له إذن أَخْبِرَكَ : خَرَجْتُ بِعِلَّةِ الْمَسْجِدِ فَصَرْنَا إِلَى بَعْضِ الشُّعَابِ ، فَأَخَذْتَنَا السَّمَاءُ ، فَأَمَرْتُ بِمُطَرَفِي فَسَرَتْنَا الْغُلَمَانُ بِهِ ، لئَلَّا يَرَوْا بِهَا بَلَّةً فيَقُولُوا هَلَّا اسْتَرْتِ بِسَقَائِفِ الْمَسْجِدِ ؟ فقال له ابنُ أَبِي عَتِيقٍ : يَا عَاهِرُ ، هَذَا الْبَيْتُ يَحْتَاجُ إِلَى حَاضِنَةٍ !!! .

وَابْنُ أَبِي عَتِيقٍ الَّذِي سَمِعَ قَوْلَ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّا بِأَنِّي ضَيِّقْتُ ذَرْعًا بِهَجْرِهَا وَالْكِتَابِ^(١)

فلبسَ ثِيَابَهُ وَرَكِبَ بَغْلَتَهُ وَأَتَى بَابَ الثَّرِيَّا ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لَنَا زَوَّارًا ، فَقَالَ : أَجَلٌ وَلَكِنْ جِئْتُ بِرِسَالَةٍ : يَقُولُ لَكَ ابْنُ عَمِّكَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ " ضَيِّقْتُ ذَرْعًا بِهَجْرِكَ وَالْكِتَابِ " ، فَلَامَهُ عَمْرُ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : إِنَّمَا رَأَيْتُكَ تَلْتَمِسُ رَسُولًا ، فَخَفَّفْتُ فِي حَاجَتِكَ ، فَإِنَّمَا كَانَ ثَوَابِي أَنْ أَشْكُرَ ! .

وَمِنْ طَرِيفِ أَخْبَارِهِ : أَنَّ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ عَتَبَتْ عَلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَهَجَرَتْهُ ، فَقَالَ مُصْعَبٌ : هَذِهِ عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ لِمَنْ احْتَالَ لِي أَنْ تُكَلِّمَنِي ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : عَدَّلَ الْمَالَ ، ثُمَّ صَارَ إِلَى عَائِشَةَ ، فَجَعَلَ يَسْتَعْتِبُهَا لِمُصْعَبٍ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا عَزَمِي أَنْ أَكَلِّمَهُ أَبَدًا ! فَلَمَّا رَأَى جَدَّهَا قَالَ : يَا بِنْتَ عَمِّي ، إِنَّهُ قَدْ ضَمِنَ لِي إِنْ كَلَّمْتِهِ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَكَلَّمْتِهِ حَتَّى أَخَذَهَا ثُمَّ عَوَّدِي إِلَى مَا عَوَّدَكَ اللَّهُ .

وَمِنْ أَخْبَارِهِ : أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ قَالَ يَوْمًا : إِنِّي مَشْغُوفٌ بِبَغْلَةٍ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : إِنْ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ أَتَقْضِي لِي ثَلَاثِينَ حَاجَةً ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَكَ الْعَشِيَّةَ فَإِنِّي آخِذٌ فِي مَآثِرِ قَرِيشٍ ، ثُمَّ أُمْسِكُ عَنِ الْحَسَنِ ، فَلَمَّنِي عَلَى ذَلِكَ ؛ فَلَمَّا أَخَذَ الْقَوْمَ مَجَالِسَهُمْ أَفَاضَ فِي أَوْلِيَّةِ قَرِيشٍ ، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ : أَلَا تَذْكُرُ أَوْلِيَّةَ أَبِي مُحَمَّدٍ ، وَلَهُ فِي هَذَا مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ ؟ قَالَ : إِنَّمَا كُنَّا فِي ذِكْرِ الْأَشْرَافِ ، وَلَوْ كُنَّا فِي ذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ لَقَدَّمْنَا مَا لِأَبِي مُحَمَّدٍ ! فَلَمَّا خَرَجَ الْحَسَنُ لِيَرْكَبَ تَبَعَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ - وَتَبَسَّمَ - " أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟ " فَقَالَ : ذَكَرْتُ الْبَغْلَةَ ، فَنَزَلَ الْحَسَنُ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ !! .

وَمِنْ طَرِيفِ أَخْبَارِهِ : أَنَّ عَثْمَانَ بْنَ حِيَّانَ الْمُرِّيَّ لَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ وَالْيَا عَلَيْهَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْأَشْرَافُ مِنْ قَرِيشٍ وَالْأَنْصَارِ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّكَ لَا تَعْمَلُ عَمَلًا أَجْدَى وَلَا أَوْلَى مِنْ

(١) الْبَيْتُ مِنَ الْخَفِيفِ ، وَهُوَ لِعَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ فِي الْأَغَانِي ٢٢٣/١ ، وَدِيَوَانِهِ ص ٤٣٠ .

تحريم الغناء والرثاء ، ففعل ، وأجلهم ثلاثاً ، فقدم ابن أبي عتيق في الليلة الثالثة ، فحط رحله بباب سلامة الزرقاء ، وقال لها : بدأت بك قبل أن أصير إلي منزلي ، فقالت : أو ما تدري ما حدث ؟ ! وأخبرته الخبر ، فقال : أقيمي إلى السحر حتى ألقاه ، فقالت : إنا نخاف ألا تغني شيئاً وننكظ - تعني : تنالنا شدة - فقال : إنه لا بأس عليك ، ثم مضى إلى عثمان بن حيان فاستأذن عليه ، وأخبره أن أحذ ما أقدمه حب التسليم عليه ، وقال له : إن من أفضل ما عملت به تحريم الغناء والرثاء ! فقال : إن أهلك أشاروا علي بذلك ، قال : إنك قد وقفت ! ولكني رسول امرأة إليك تقول : قد كانت هذه صناعتني فثبت إلى الله منها ، وأنا أسألك أيها الأمير أن لا تحول بينها وبين مجاورة قبر رسول الله ﷺ ، فقال عثمان : إذا أدعها لك ، فقال : إذن لا يدعها الناس ، ولكن تدعوا بها فتنظر إليها ، فإن كانت ممن تترك تركتها ، قال : فادع بها ، قال : فأمرها ابن أبي عتيق فتعشفت وأخذت سبحة في يدها ، وصارت إليه ، فحدثته عن مآثر آبائه ، ففكه لها ، فقال لها ابن أبي عتيق : اقرئي للأمير ، ففعلت ، فأعجب بذلك فقال لها : فاحدي للأمير فحركه حداؤها ، ثم قال : غیری للأمير ، فجعل يعجب بذلك عثمان ، فقال له ابن أبي عتيق ، فكيف لو سمعتها في صناعتها ؟ فقال : قل لها فلتقل ، فأمرها فتغنت :

سددن خصاص الخيم لما دخلنه بكل لبان واضح وجبين

فنزل عثمان بن حيان عن سريره حتى جلس بين يديها!! ثم قال : لا والله ، ما مثلك يخرج عن المدينة!! فقال له ابن أبي عتيق : يقول الناس أذن لسلامة في المقام ومنع غيرها ! فقال له عثمان : قد أذنت لهم جميعاً !!

وقال ابن نمير الثقفي :

أشأقتك الظعائن يوم بانوا	بذي الزبي الجميل من الأثاث
ظعائن أسليكت نقب المنقى	تحث إذا ونست أي احتشاث
كأن على الظعائن يوم بانوا	نعاجاً ترتعي بقل البراث
يهيجني الحمام إذا تغنى	كما سجع النوائح بالمرائي ^(١)

(١) الأبيات من الوافر ، وهي لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفي في الأغاني (٢٠٧/٦-٢٠٨) مع اختلاف في الألفاظ ، والأول له في جمهرة اللغة ص ٥٤ ، ولسان العرب (رأى) ، ومعجم البلدان ٢٩٨/٥ (نقب) ، وللتحفي في مقاييس اللغة ٨/١ ، وتاج العروس ٣٠٤/٤ (نقب) ، (رأى) ، وبلا نسبة في لسان العرب ٢٩٨/١٤ (رأى) .
ويروى : " بذي الرئي " .

قوله : " الظعائن " واحدها " ظعينة " وإنما قيل لها " ظعينة " وهم يريدون مظعوناً بها ، كقولك : " قتل " في معنى مقتول ، ثم استعمل هذا وكثر ، حتى قيل للمرأة المقيمة " ظعينة " .

وقوله : بذِي الرِّئِيّ الجميل من الأثاث

هي الرواية الصحيحة . وقد قيل : " بذِي الرِّئِيّ الجميل " واستهواهم إليه قولُ الله جلَّ ثناؤه : ﴿ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرَثًا ﴾ ^(١) ف " الأثاث " : متاع البيت ، و " الرِّئِيّ " ما ظهر من الزينة ، وإنما أخذ من قولك : " رأيت " فالرِّئِيّ غيرُ الأثاث ، والرِّئِيّ من الأثاث ، فمن هاهنا غلطوا .

وقوله : " أَسْلَيْكَتْ نَقَبَ الْمُنْقَى " ف " الْمُنْقَى " موضع بعينه ^(٢) ، و " النَّقَبُ " الطريق في الجبل ، و " الحُلُّ " الطريق في الرَّمْلِ ، فإذا اتسع الطريق في الجبل وعلا فهو " ثِيَّةٌ " وقال ابنُ الأَيمِمِ التغلبيُّ :

وَتَرَاهُنَّ شُرَبًا كَالسَّعَالِي ^(٣) يَتَطَلَّغْنَ مِنْ ثُغُورِ النَّقَابِ ^(٤)

وقوله : نِعَاجًا تَرْتَعِي بِقَلِّ الْبِرَاثِ

ف " النعجة " عند العرب البقرة الوحشية ، وحُكُمُ البقرة عندهم حُكُمُ الضَّائِنَةِ ، وحُكُمُ الظبية عندهم حُكُمُ الماعزة ، والعربُ تَكْنِي بالنعجة عن المرأة وبالشاة ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ ^(٥) . وقال الأعشى :

فَرَمِيتُ غَفْلَةً عَيْنَهُ عَنْ شَاتِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطَحَاها

= والثاني محمد بن عبد الله النيمري في تاج العروس ٣٠٤/٤ (نقب) .

(١) سورة مريم ٧٤ و " رثيا " بالهمز قراءة الجمهور .

(٢) هو بين أحد والمدينة . معجم البلدان ٢١٥/٥ .

(٣) شرباً ضوامر الواحد شازب و(السعالى) جمع سعالاة " بكسر السين " أحبث الغيلان . رغبة الآمل ٢٣٩/٥ .

(٤) البيت من الخفيف ، وهو لعمر بن الأيهم التغلبي في أمالي القالى ٤٤/١ ، وسمط اللآلى ص ١٨٤ ، وبلا نسبة في لسان العرب ٧٦٧/١ (نقب) ، والمخصص ٧٦/١٠ ، وتاج العروس ٢٩٩/٤ (نقب) .

(٥) ص : ٢٣ ، وتفسير المرأة هنا بالنعجة مما يستقبح من أبى العباس ، لأنه إنما ورد في الإسرائيليات الباطلة في تفسير هذه الآية . انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للعلامة أبى شهبه (ص ٢٦٤-٢٧٠) .

يريدُ المرأة . وأما " البراث " فهي الأماكن السهلة من الرمل ، واجدها " برث " مفتوح موضع الفاء من الفعل ، وتقديرها تقدير " كلب و كلاب " . " والسجع " في كلام العرب : أن تأتلف أواخر الكلام على نسق ، كما تأتلف القوافي ، وهو في البهائم : موالاة الصوت ، قال ابن الدُمينة :

أَنَّ سَجَعْتَ وَرَقَاءَ فِي رَوْنِقِ الضُّحَى عَلَى فَنَنِ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّنْدِ^(١)

وقال عمر بن أبي ربيعة :

قَالَ لِي صَاحِبِي لِيَعْلَمَ مَا بِي	أَتُحِبُّ الْقَتُولَ أُخْتَ الرَّبَابِ؟
قُلْتُ : وَجَدِي بِهَا كَوَجْدِكَ بِالْمَا	إِذَا مَا مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرَابِ
مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّا بِأَنِّي	ضِيقْتُ ذَرْعًا بِهِجْرِهَا وَالْكِتَابِ
أَزْهَقْتُ أَمْ نَوَقَلٍ إِذْ دَعَتْهَا	مُهْجَتِي مَا لِقَاتِلِي مِنْ مَتَابِ
حِينَ قَالَتْ لَهَا : أَجِيبِي فَقَالَتْ :	مَنْ دَعَانِي ؟ قَالَتْ : أَبُو الْخَطَّابِ
فَاسْتَجَابَتْ عِنْدَ الدُّعَاءِ كَمَا لَبَّ	بَى رَجَالٍ يَرْجُونَ حُسْنَ الثَّوَابِ
أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى	بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
وَهِيَ مَمْكُورَةٌ تَحِيرُ مِنْهَا	فِي أَدِيمِ الْحَدِيدِ مَاءُ الشَّبَابِ
ثُمَّ قَالُوا : تَحِبُّهَا ؟ قُلْتُ : بَهْرًا	عَدَدَ النِّجَمِ وَالْحَصَى وَالْزَّرَابِ
دُمِيَّةً عِنْدَ رَاهِبٍ ذِي اجْتِهَادٍ	صُورُوهَا فِي جَانِبِ الْمَخْرَابِ ^(٢)

قوله : قُلْتُ وَجَدِي بِهَا كَوَجْدِكَ بِالْمَاءِ

معنى صحيح ، وقد اعتوره الشعراء ، وكلهم أجاد فيه .

(١) البيت من الطويل ، وهو لابن الدُمينة في ديوانه ص ٨٥ ، والأغاني ١٧/١٠٩ ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٢/٤٤٤ .

(٢) الأبيات من الخفيف ، وهي له في الأغاني ١/٢٣٧ ، وديوانه ٤٣٠-٤٣١ .

وقوله : إذا مُنِعَتْ بَرْدُ الشَّرَابِ

يريدُ : عند الحاجة ، وبذلك صَحَّ المعنى ، ويُروى عن عليّ بن أبي طالب رحمه الله أنَّ سائلا سأله ، فقال : كيف كان حُبُّكم لرسول الله ﷺ ؟ فقال : " كان والله أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمّهاتنا ومن الماء البارد على الظَّمأ " . وقال آخر ، وأحسبه قيس بن ذريح :

حَلَفْتُ هَا بِالْمَشْعَرَيْنِ وَزَمْزَمٍ وَذُو الْعَرْشِ فَوْقَ الْمُقْسِمِينَ رَقِيبُ

[قال أبو الحسن : ويُروى " والله فوق المُقْسِمِينَ " وهو أحبُّ إليَّ]

لَيْنُ كَانَ بَرْدُ الْمَاءِ حَرَّانَ صَادِيَا إِلَيَّ حَيِيَا إِنَّهَا لَحَيِبٌ^(١)

وقال القطاميُّ :

يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْتُومُهُ بَادِي

فَهْنٌ يَنْبِذُنْ مِنْ قَوْلٍ يُصْنِنُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي^(٢)

والقول فيه كثيرٌ .

وقوله : ضِقْتُ ذَرْعًا بِهِجْرَهَا وَالْكَتَابِ

قوله : " وَالْكَتَابِ " قَسَمٌ .

وقوله :

أَزْهَقْتُ أَمْ نَوَفَلٍ إِذْ دَعَتْهَا مُهَجَّتِي

تأويله : أَبْطَلْتُ وَأَذْهَبْتُ ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ قِيدَمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾^(٣) وللزَّاهِقِ مواضعٌ آخرٌ ، وهو : السَّيْمِينُ الْمُفْرَطُ ، قال زهير^(٤) :

(١) البيت من الطويل ، وهما للمجنون في ديوانه ص ٤٩ ، وسمط اللآلى ص ٤٠٠ ولعروة بن خزام في خزانة الأدب ٣ / ٢١٢ ، ٢١٨ ، والشعر والشعراء ص ٦٢٧ ، وهو لكثير عزة في ديوانه ص ٥٢٢ ، والمقاصد النحوية ٣ / ١٥٦ ، ولقيس بن ذريح في ديوانه ص ٦٢ ، وبلا نسبة في شرح الأشموني ١ / ٢٤٩ وابن عقيل ص ٣٣٠ ، وشرح عمدة الحافظ ص ٤٢٨ .
(٢) البيتان من البسيط ، وهما للقطامي في ديوانه ص ٨١ ، ولسان العرب (صدي) ، وأساس البلاغة (نبذ) .

(٣) سورة الأنبياء : ١٨ .

(٤) البيت من البسيط ، وهو لزهير في ديوانه ص ١٥٣ ، ولسان العرب (زهيم) ، (شنن) ، وتهذيب اللغة ٦ / ١٦٧ ، وجمهرة اللغة ص ٨٢٤ ، ص ٨٢٩ ، وبجمل اللغة ٣ / ٢٩ ، وكتاب العين ٣ / ٣٦٣ ، وتاج العروس (زهيم) ، وبلا نسبة في لسان العرب (زهق) .

الْقَائِدُ الْخَيْلَ مَكُوبًا دَوَابُّهَا مِنْهَا الشُّنُونُ^(١) وَمِنْهَا الزَّاهِقُ الزَّهْمُ^(٢)

وقوله : " مَا لِقَاتِلِي مِنْ مَتَابٍ " يقول : من توبة ، والمصدر إذا كان بزيادة الميم من "فَعَلَ يَفْعُلُ" فهو على "مَفْعَلٍ" قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾^(٣) وأما قوله جلَّ ذكره : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾^(٤) فيكون على ضربين : يكون مصدرًا ، ويكون جمعًا ، فالمصدر قولك : " تَابَ يَتُوبُ تَوْبًا " كقولك " قال يقول قولاً " ، والجمع " تَوْبَةٌ وَتَوْبٌ " مثل " تَمْرَةٌ وَتَمْرٌ " و " حَمْرَةٌ وَحَمْرٌ " .

وقوله : أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى

فـ " الْمَهَاةُ " البقرة في هذا الموضع ، وتُشَبَّهُ بالبقرة من الْوَحْشِ لِحُسْنِ عَيْنِهَا وَلِمِشْيَتِهَا ، والبقرة يقال لها : " الْعَيْنَاءُ " وَالْجِمَاعُ " الْعَيْنُ " وكذلك يقال للمرأة ، وتكون " الْمَهَاةُ " الْبُلُورَةُ في غير هذا الموضع .

وقوله " تَهَادَى " أي : يَهْدِي بَعْضُهَا بَعْضًا فِي مِشْيَتِهَا ، وَمِشْيَةُ الْبَقَرَةِ تُسْتَحْسَنُ ، قال ابن أبي ربيعة^(٥) :

أَبْصَرْتُهَا غُدُوَّةً وَنَسْوَتَهَا يَمْشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ

يَمْشِينَ فِي الرِّيطِ وَالْمُرُوطِ كَمَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا سَوَاكِنُ الْبَقَرِ^(٦)

وقوله : " كَوَاعِبُ " الواحدة " كَاعِبٌ " وهي التي قد كَعَبَ نَدْيَاهَا لِلنُّهُودِ . و " أَتْرَابٌ " أَقْرَانٌ يقال : فلانٌ " تَرَبُّ " فلان .

(١) (الشنون) من الخيل بين السمين والمهزول قال الأصمعي لم أسمع له فعلاً . رغبة الأمل ٢٤٤/٥

(٢) (الزهم) بكسر الهاء " الكثير الشحم . رغبة الأمل ٢٤٤/٥ .

(٣) سور الفرقان : ٧١

(٤) سورة غافر : ٣

(٥) البيتان من المنسرح ، وهما لعمر بن أبي ربيعة في الأغاني ١٨٠/١ ، ١٤٥/١٢ ، وديوانه ص ١٤٤ مع اختلاف في الرواية .

(٦) الربط جمع ربطة وهي الملاءة ليست بذات لفقين ولا تكون إلا بيضاء . و (المروط) جمع المِرْط بكسر فسكون وهو كساء من خز أو صوف أو كتان . عن رغبة الأمل ٢٤٥/٥ .

و " الْمَمْكُورَةُ " الْمُكْتَنَزَةُ .

وقوله : ثم قالوا : تُحِبُّهَا ؟ قلتُ : بَهْرًا ^(١)

قال قومٌ : أراد بقوله : " تُحِبُّهَا " الاستفهام ، كما قال امرؤ القيس :

أَحَارِ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وَمِیْضَةً ^(٢)

فَحَذَفَ أَلْفَ الاستفهام ، وهو يريد : " أَتَرَى " ، وقالوا : أراد " أَتُحِبُّهَا " ،

وهذا القولُ خطأ فاحشٌ ، إنما يجوز حذفُ الألفِ إذا كان في الكلام دليلٌ عليها ، ^(٣) وسنفسرُ هذا ونذكرُ الصوابَ فيه ، إن شاء الله .

قوله : " تُحِبُّهَا " إيجابٌ عليه غيرُ استفهام ، إنما قالوا : أنت تُحِبُّهَا ، أي : قد

علمنا ذلك ، فهذا معنى صحيحٌ لا ضرورة فيه .

(١) البيت من الخفيف ، وهو من كلمة عمر بن أبى ربيعة السابق تخریجها وهو له أيضًا فى أمالى المرتضى ٢/ ٢٨٩ ، والدرر ٣/ ٦٣ ، وجمهرة اللغة ص ٣٣١ ، والخصائص ٢/ ٢٨١ ، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٢٦٧ ، وشرح شواهد المغنى ص ٣٩ ، وشرح المفصل ١/ ١٢١ ، ولسان العرب (بهر) ومغنى اللبيب ص ١٥ ، وبلا نسبة فى أمالى المرتضى ١/ ٣٤٥ ، والكتاب ١/ ٣١١ ، وكتاب اللامات ص ١٢٤ ، وجمع الهوامع ١/ ١٨٨ .

(٢) البيت من الطويل ، وعجزه : كلع الیدين فى حبی مكلل وهو للأسود بن يعفر فى ديوانه ص ٥٧ ، وشرح المفصل ١/ ٤٦ ، ولسان العرب (خلد) ، (حجا) ، و نوادر أبى زيد ص ١٦٠ ، ولامرئ القيس فى ديوانه ص ٢٤ ، ولسان العرب (كلل) ، وبلا نسبة فى الاشتقاق ص ٢٤٤ ، وإصلاح المنطق ص ٤٠٣ ، وأمالى ابن الحاجب ص ٣٢٨ ، وجمهرة اللغة ص ٤٤٢ ، ٦٥٧ ، ١٠٣٧ .
(٣) قال محقق (س) : قال أبو الوليد الوقشى " قوله " : وقالو أراد أنحبها وهذا القول خطأ " بل قوله هذا هو الخطأ ، وما حكوه من حذف الألف دون دليل فى اللفظ عليها إلا بما يعطيه معنى الكلام معروف لهم ، قال حضرمي بن عامر الأسدى يرد على من غيره أنه فرح بموت أخيه وميراثه :

أفرح أن أرزأ الكرام وأن أورث فوصًا شصًا نبلاً " : اهـ
عن شرح أبيات مغنى اللبيب ١/ ٣٤-٣٥ .

وقال ابن السيد فيما كتبه على هامش الكامل : " أكثر ما تحذف ألف الاستفهام إذا كان بعدها " أم " لأن " أم " تدل عليها ، فإذا لم تكن فى الكلام لم يميز عند أكثر النحويين ، وهذا هو الذى أراد أبو العباس المبرد ، وقد جاء فى الشعر دون ذكر " أم " قال الشاعر :

أفرح أن أرزأ الكرام ... البيت " اهـ عن شرح أبيات مغنى اللبيب ١/ ٣٥ .

وأما قول امرئ القيس فإنما جازَ لأنه جعلَ الألفَ التي تكونُ في الاستفهام تنبيهاً للنداء ، واستغنى بها ، ودلّت على أنَّ بعدها ألفاً متوِّبَةً فحذفتْ ضرورةً ؛ لدلالة هذه عليها ، ونظيرُ قول امرئ القيس " أَحَارَ تَرَى بَرَقًا " فاكتمى بالألفِ عن أن يُعيدَها في " تَرَى " قولُ ابنِ هَرَمَةَ:

وَلَا أَرَاهَا تَزَالُ ظَالِمَةً تُظْهِرُ لِي قَرْحَةً وَتَنْكُوهَا^(١)

استغنى بـ " لا " الأولى عن إعادتها^(٢)، كما قال التميميُّ، وهو اللَّعِينُ المُنْقَرِيُّ^(٣).

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًا شَعِيثُ ابْنِ سَهْمٍ أَمْ شَعِيثُ ابْنِ مَنَقَرٍ؟^(٤)

(١) البيت من المنسرح ، وهو لابن هرمة فى ديوانه ص ٥٦ ، وخزانة الأدب ٢٣٧/٩ ، والدرر ٤٧/٢ ، وشرح شواهد المغنى ص ٨٢٠ ، ٨٢٦ وبلا نسبة فى مغنى اللبيب ص ٣٩٣ ، وجمع الهوامع ١١١/١ ، ٢٤٨.

(٢) رد ابن السيد ما قال المبرد ودفع البغدادى ما رد به عليه. انظر شرح أبيات مغنى اللبيب ٢٢٢-٢٢١/٦

(٣) قال محقق (س) نسب البيت فى مطبوعة الكتاب ١٨٥/١ للأسود بن يعفر، وقال السيرافى : "وفى نسخة عتيقة من الكتاب قال أوس بن حجر ، بدل الأسود بن يعفر". قال البغدادى : " ونقل أبو الوليد الوقشى عن البيان للجاحظ فيما كتبه على كامل المبرد أنه قال : ذكروا أن شعيث بن سهم بن محرز بن حزن أغير على إبله فأتى أوس بن حجر يستجده فقال أوس : أو خير من ذلك أحضض لك قيس بن عاصم ، وكان يقال : إن حزن بن الحارث هو حزن بن منقر فقال أوس :

سائل بها مولاك قيس بن عاصم فمولاك مولى السوء إن لم يغير
لعمرك ما أدرى أمن حزن محرز شعيث بن سهم أم الحزن ابن منقر " اهـ .

انظر البيان والتبيين ٤٠/٤-٤١ وفى حكاية كلامه تصرف .

(٤) البيت من الطويل ، وهو للأسود بن يعفر فى ديوانه ص ٣٧ ، وخزانة الأدب ١١/١٢٢ ، وشرح التصريح ١٤٣/٢ ، وشرح شواهد المغنى ص ١٣٨ ، والكتاب ١٧٥/٣ ، والمقاصد النحوية ١٣٨/٤ ولأوس بن حجر فى ديوانه ص ٤٩ ، وخزانة الأدب ١١/١٢٨ ، ولأسود أو للعين المنقرى فى الدرر ٩٨/٦ ، وبلا نسبة فى أوضح المسالك ٣/٣٧٢ ، وشرح الأشموني ٢/٤٢١ ، ولسان العرب (شعث) والمختضب ١/٥٠ ، ومغنى اللبيب ١/٤٢ ، والمقتضب ٣/٢٩٤ ، وجمع الهوامع ٢/١٣٢ . وسياتى البيت ، ولم يسم التميمي ثمة .

يريد "أشعيتُ" ، فدلّت "أم" على ألف الاستفهام ، وقال ابن أبي ربيعة :
لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنْ كُنْتُ ذَارِيَا بِسَنِعِ رَمَيْنَ الْجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِ^(١)
مثلُ ذلك ، وبيتُ الأخطلِ فيه قولان ، وهو :
كَذَبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطِ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرِّبَابِ خِيَالَا^(٢)
أراد : " أَكْذَبْتُكَ عَيْنُكَ " ، كما قلنا فيما قبله ، وليس هذا بالأجود ، ولكنه
أبتدأ مُتَيَقِّنًا ثم شكَّ ، فأدخل "أم" كقولك : "إنها لإبل" ثم تشكك فتقول : أم شاء "يا
قوم" .

وقوله : " قلت بهراً " يكونُ على وجهين : أحدهما : حُبًّا بَهْرَنِي بَهْرًا أي مَلَأَنِي ،
ويقال للقمر ليلة البدر " باهر " أي : يَبْهَرُ النُّجُومَ : أي يَمْلُؤُهَا ، كما قال ذو الرمة^(٣) :
كَمَا يَبْهَرُ الْبَدْرُ النُّجُومَ السَّوَارِيَا
وقال الأعشى^(٤) :

(١) البيت من الطويل ، وهو لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٢٦٦ ، والأزهية ص ١٢٧ ، وخزانة
الأدب ١٢٢/١١ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، والدرر ١٠٠/٦ ، وشرح أبيات سيوييه ١٥١/٢ ، وشرح
شواهد المغنى ٣١ / ١ ، وشرح المفصل ١٥٤/٨ ، والكتاب ١٧٥ / ٣ ، ومغنى اللبيب ١٤ / ١ ،
والمقاصد النحوية ١٤٢/٤ ، وبلا نسبة في جواهر الأدب ص ٣٥ ، والجنى الدانى ص ٣٥ ، ورصف
المباني ص ٤٥ ، وشرح ابن عقيل ص ٤٩٦ ، وشرح عمدة الحافظ ص ٦٢٠ ، والصاحبى فى فقه اللغة
ص ١٨٤ ، والمحاسب ٥٠ / ١ ، والمقتضب ٢٩٤ / ٣ ، وجمع الهوامع ١٣٢ / ٢ .
(٢) البيت من الكامل ، هو للأخطل فى ديوانه ص ٣٨٥ ، والأزهية ص ١٢٩ ، وخزانة الأدب
١٠٩/٦ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٣٣/١٣ ، وشرح أبيات سيوييه ٦٧ / ٢ وشرح التصريح
١٤٤/٢ ، وشرح شواهد المغنى ١٤٣/١ ، والكتاب ١٧٤/٣ ولسان العرب (كذب) ، (غلس) (أسم)
ومغنى اللبيب ٤٥/١ ، وتاج العروس (غلس) ، (أسم) ، والمقتضب (٢٩٥/٣) الأغاني ٧٩/٧ ،
والصاحبى ص ١٢٥ .

(٣) ديوانه ق ٣٦/٤٣ ج ١٣١٥/٢ .

(٤) البيت لأعشى ميمون من رائية له فى الصبح المنير فى شعر أبى بصير ص ١٠٦ .

حَكَمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ أَبْلَجُ مِثْلُ الْقَمَرِ الْبَاهِرِ
والوجه الآخر : أن يكون أراد " بهراً لكم " أي : تباً لكم حيث تلو مؤنسي على
هذا ، كما قال :

تَفَاقَدَ قَوْمِي إِذْ يَبِيعُونَ مُهَجِّي بِجَارِيَةِ بَهْرًا لَهُمْ بَعْدَهَا بَهْرًا^(١)
وقوله : عَدَدَ النِّجَمِ وَالْحَصَى وَالتَّرَابِ

فيه قولان : أحدهما : أنه أراد بالنجم: النجوم ، ووضع الواحد في موضع الجمع ،
لأنه للجنس ، كما تقول : أَهْلَكَ النَّاسَ الدَّرْهَمُ وَالذِّينَارُ ، وقد كَثُرَتِ الشَّاةُ وَالْبَعِيرُ ،
وكما قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ ﴾^(٢) وقال الشاعر :

فَبَاتَ يَعُدُّ النِّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيعَ بَأْيَدِي الْآكِلِينَ جُمُودَهَا^(٣)
يعني النجوم ، ويعني بالمستحيرة إهالة .

والوجه الآخر : أن يكون النجم : ما نجم من الثبت ، وهو ما لم يقم على ساق ،
والشجر ما قام على ساق ، واليقطين ما انتشر على وجه الأرض ، قال الله عزَّ وجلَّ :
﴿ وَ النَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾^(٤) وقال الحارثُ بنُ ظالمٍ للأَسودِ بنِ المُنذِرِ بن ماء
السماء :

(١) البيت من الطويل ، وهو لابن ميادة في ديوانه ص ١٣٥ ، وأساس البلاغة (بهر) ، وإصلاح
المنطق ص ١٣٠ ، والأغاني (٢/٢٣٧) ، وأمالى المرتضى (١/٣٤٦) ، والإنصاف ١/٢٤١ ،
والحماسة البصرية ٢/١١١ ، والكتاب ١/ ٣١١ ، واللامات ص ١٢٣ ، ولسان العرب (فقد) ، (بهر) ،
والمقاصد النحوية ١/٥٢٤ ، وليزيد بن مفرغ في ملحق ديوانه ص ٢٤٣ ، وبلا نسبة في شرح أبيات
سيويه ١/ ٢٦٧ .

(٢) سورة العصر : ٢-٣ .

(٣) البيت من الطويل ، وهو للرأعي النمري في ديوانه ص ٩٢ ، ولسان العرب (نجم) ، وتاج العروس
(نجم) ، والمعاني الكبير ص ٣٧٥ ، والأزمنة والأمكنة ١/١٨٥ ، وبلا نسبة في لسان العرب (نجم) ،
وتهذيب اللغة ١١/ ١٢٧ .

(٤) سورة الرحمن : ٦ .

أَخْصِيَّيْ هَمَارِ بَات يَكْدُمُ نَجْمَةٌ أَتَوَكَّلُ جَارَاتِي وَجَارُكَ سَالِمٌ^(١)

* * *

ومن طريف شعره قوله (٢):

فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأُطْفِئْتُ	مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِالْعِشَاءِ وَأَنْوُرُ
وْغَابَ قُمْمِيرٌ كُنْتُ أَرْجُو عُيُوبَهُ	وَرَوْحَ رُغِيَانٍ وَنَوْمَ سُمُرُ
وَنَفَضْتُ عَنِّي الْعَيْنَ أَقْبَلْتُ مِشْيَةَ الْ-	حُبَابِ وَرُكْنِي خَيْفَةَ الْقَوْمِ أَزُورُ
فَحَيَّيْتُ إِذْ فَاجَأَتْهَا فَتَلَهَّفْتُ	وَكَادَتْ بِمَكْتُومِ التَّحِيَّةِ تَجْهَرُ
وَقَالَتْ - وَعَضَّتْ بِالْبَنَانِ - فَصَخَّيْتُ	وَأَنْتَ امْرُؤٌ مَيَسُورٌ أَمْرُكَ أَغْسَرُ
أَرْيَتَكَ إِذْ هُنَا عَلَيْكَ أَلَمْ تَخَفْ	رَقِيًّا وَحَوْلِي مِنْ عَدُوِّكَ حُضْرُ
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَتَعَجِّلُ حَاجَةً	سَرَتْ بِكَ أَمْ قَدْ نَامَ مَنْ كُنْتَ تَحْذَرُ
فَقُلْتُ لَهَا : بَلْ قَادَنِي الشُّوقُ وَالْهَوَى	إِلَيْكَ وَمَاعَيْنِ مِنَ النَّاسِ تَنْظُرُ

وفي هذا الشعر :

فِيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصِرُ طَوْلَهُ	وَمَا كَانَ لَيْلِي قَبْلَ ذَلِكَ يَقْصُرُ
وِيَالِكَ مِنْ مَلْهَى هُنَاكَ مَجْلِسُ	لَنَا لَمْ يَكْدُرْهُ عَلَيْنَا مَكْدَرُ
يَمِجْ ذِكِّي الْمَسْكَ مِنْهَا مَفْلَجُ	رَقِيقِ الْخَوَاشِي ذُو غُرُوبٍ مُؤْشِرُ
يَرِفْ إِذَا تَفَرَّ عَنْهُ كَأَنَّهُ	حَصَى بِرْدٍ أَوْ أَقْحَوَانٍ مَنْوَرُ
وَتَرْنُو بَعِينِيهَا إِلَى كَمَا رَنَا	إِلَى رَبْرَبٍ وَسَطِ الْخَمِيلَةِ جَوْذَرُ
فَلَمَّا تَقْضَى اللَّيْلُ إِلَّا أَقْلَهُ	وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمُهُ تَتَغَوَّرُ
أَشَارَتْ بِأَنْ الْحَى قَدْ حَانَ مِنْهُمْ	هَيُوبٌ وَلَكِنْ مَوْعِدُ لَكَ عَزُورُ

(١) البيت من الطويل ، له في لسان العرب (نجم) ، (خصا) ، تاج العروس (نجم) ، بلا نسبة في تهذيب اللغة ١٢٩/١١ .

(٢) الأبيات من الطويل ، وهي في ديوانه ص ٩٦ وما بعدها مع اختلاف في الرواية .

فما راعنى إلا مناد برحلة
فلما رأت من قد تشور منهم
فقلت : أباديهم فإما أفوتهم
فقلت : أتحيقأ لما قال كاشح
فإن كان مالا بد منه فغيره
أقص على أختى بدء حديثنا
لعلهما أن تبغيا لك مخرجاً
فقلت لأختيها : أعينا على فتى
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا :
يقوم فيمشى بيننا متكراً
فكان مجنى دون من كنت أتقى
فلما أجزنا ساحة الحى قلن لى:
وقلن : أهد دأبك الدهر سادراً

وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر
وأيقاظهم قالت : أشر كيف تأمر
وإما ينال السيف ثأراً فيثار
علينا ، وتصديقاً لما كان يؤثر!
من الأمر أدنى للخفاء وأسر:
ومالى ممن أن تعلم ما متأخر
وأن ترجى سرباً بما كنت أحصر
أتى زائراً والأمر للأمر يقدر
ألقى عليك اللوم فالخطب أيسر
فلا سرنا يفشو ولا هو يبصر
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
ألم تنق الأعداء والليل مقمر!
أما تستحي أو ترعوى أو تفكراً^(٣)

قوله : " شُبْتُ " يقول : أوقِدْتُ ، يقال : " شَبِيتُ " النارَ والحربَ ، أي :
أوقدْتُهُما .

وقوله : " وَأَنْزُرُ " إِنَّ شَيْتَ هَمَزَتْ ، وَإِنْ شَيْتَ لَمْ تَهْمِزْ ، وَإِنَّمَا الْهَمْزُ لَانْضِمَامِ
الْوَاوِ ، وَقَدْ مَضَى تَفْسِيرُ هَذَا .

وقوله " قُمَيْرٌ " إِنَّمَا صَغَرَهُ لِأَنَّهُ نَاقِصٌ عَنِ التَّمَامِ ، وَهَذَا فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ ، وَكَذَلِكَ
يُصَغَّرُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ ؛ لِأَنَّ النِّقْصَانَ فِيهِمَا وَاحِدٌ ، قَالَ عَمْرٌ :

وَقُمَيْرٌ بَدَأَ ابْنُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ مِنْ لَهُ قَالَتِ الْفَتَاتَانِ قُومَا^(٢)

(٣) الأبيات من الطويل ، وهى فى ديوانه ص ٩٦ وما بعدها .

(٢) البيت من الخفيف ، وهو لعمر بن أبى ربيعة فى ديوانه ص ٢٣٤ ، وجمهرة اللغة ٧٩٢ ، وسر

صناعة الإعراب ٢ / ٦٧٩ ، وبلا نسبة فى الاشتقاق ص ٤٦٩ ، ولسان العرب (آ) .

وقوله: "رُعَيَانٌ" يريدُ جمعَ "الرَّاعي" ومثلهُ "راكِبٌ ورُكْبَانٌ" و "فارسٌ وفُرسَانٌ" .
و "السَّمَرُ" جمعُ "السَّامِرِ" وهم الجماعةُ يتحدثون ليلاً .
و "الحُبَابُ" حَيَّةٌ بعينه .
وقوله : ونَفَضْتُ عَنِّي العَيْنَ " يقول : احتَرَسْتُ منها وأَمِنْتُهَا ، و " النَّفَضَةُ " أَمَامَ العَسْكَرِ : القومُ يتقدَّمون فينْفُضُونَ الطريقَ .
وقوله " أَرُورُ " يعني متحافياً ، يقال " تَزَاوَرُ " فلانٌ : إذا ذهبَ في شِقٍّ .
وقوله : " ذُو غُرُوبٍ " غَرَبُ كُلِّ شَيْءٍ : حَدُّهُ ، وإنما يعني الأَسنانَ .
وقوله : " مُؤَشَّرٌ " يقول له " أَشْرُ " وهو تَشْرِيفُ ^(١) الأَسنانِ في قولِ الناس جميعاً ،
يقال : لأَسنانه " أَشْرُ " ، فهذا الشائعُ الدائعُ ، وأما " الشَّنْبُ " فهو عندهم جميعاً بَرْدٌ في الأَسنان ^(٢) . وحَدَّثَنِي الرِّياشِيُّ عن ابنِ عائِشةَ قال : أخذَ أبي حَبَّةَ رُمَّانٍ بينَ إصْبَعَيْهِ فإذا هي تَرِفُ ^(٣) ، فقال : هذا الشَّنْبُ .
وقوله : وَكَادَتْ تَوَالِي بِنَجْمِهِ تَتَغَوَّرُ
" التَّوَالِي " : التَّوَابِعُ ، و " تَتَغَوَّرُ " تَغَوَّرُ فَتَذْهَبُ ، وهو مأخوذ من " الغَوَرِ " .
وقوله :

أشارت بأنَّ الحَيَّ قد حانَ منهم هبوب

(١) قال الأصمعي : " وفي الأَسنان الأَشْر وهو التَّشْرِيف الذي يكون في الأَسنان أول ما تنبت " وقال ثابتٌ : " في الأَسنان الأَشْر وهو التَّحْزِيز والتَّشْرِيف الذي يكون فيها أول ما تنبت ، وإنما يكون ذلك في أَسنان الأحداث ، يقال : أَسنان مَأشورة ، وقد تَوَشَّرَ المرأةُ الكبيرة تشبهاً بالأحداث " . أنظر خلق الإنسان للأصمعي (الكنز اللغوي ١٩١) والمختصص ١٤٧/١
(٢) هذا قول الأصمعي قال : " وفي الأَسنان الشَّنْب وهو برد الأَسنان وعذوبة مذاقتها " وقال صاحب العين : " الشَّنْب ماء ورقة في الأَسنان " وقال أبو عبيدة : " هو حَدَّةُ الأنْيَاب " وقيل غير ذلك أنظر خلق الإنسان للأصمعي الكنز اللغوي (١٩١) ، والمختصص ١٤٨/١ ، واللسان (شنب) .
(٣) أى تترك .

يقول : انتباه ، يقال : " هَبَّ " من نومه " يَهْبُ " ، وقال عمرو بن كُثُوم^(١) :

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا
وقال الآخر^(٢) :

هَبْتُ تُلُومَ وَلَيْسَتْ سَاعَةَ اللَّاحِي هَلَا انْتِظَرْتُ بِهِذَا التُّومَ إصْبَاحِي
و " عَزَّوَر " موضعٌ بعينه .

وقوله : " وأيقاظهم " جمع " يَقْظُ " .

وقوله : " فقالت : أَتَحْقِيقًا " أي : أتفعلُ هذا تحقيقًا ، ومن كلام العرب : أَكُلُّ هذا بُخْلًا ! وذلك أنه رآه يفعل شيئًا أنكره فقال : أَكُلُّ هذا تفعلُ بخلا .

وقوله : " أَبَادِيهِمْ " يريد : أظهرُ لهم ، غيرُ مهموز ، يقال : " بَدَأَ يَبْدُو " غيرُ مهموز : إذا ظهر ، و " بَدَأْتُ " به ، مَهْمُوزًا : إذا أردتَ به معنى الأول .
وقوله : " بَدَأَ حَدِيثَنَا " ، يريد : أولَ حديثنا .

وقوله : " وَأَنْ تَرَحَّبًا " يريد : أَنْ تَتَّسِعَا ، أي تَتَّسِعَ صدورُهما ، من قولهم : فلانٌ رَحِيبٌ الصَّدْرُ .

وقوله : " أَحْصَرُ " أي أَضْيِقُ به ذَرْعًا ، وقد مضى تفسيره .

وقوله : " مِجْنِي " يريد : تُرْسِي .

وقوله " ثَلَاثُ شُخُوصٍ " فالوجهُ : ثلاثةُ شُخُوصٍ ، ولكنه لما قَصَدَ إلى نساءٍ أَثَّتْ على المعنى ، وَأَبَانَ ما أَرَادَ بقوله : كَاعِيَانِ وَمُعْصِرُ " . ومثله قولُ الشاعِرِ :
فَإِنَّ كِلَابًا هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ قِبَالِهَا الْعَشْرِ^(٣)

(١) البيت من الوافر ، وهو مطلع معلقته . انظر شرح المعلقات السبع ص ٩٤ ، وشرح المعلقات العشر ص ٩٧ ، وديوانه ص ٦٤ ، وخزانة الأدب ١٧٨/٣ ، وشرح شواهد الشافعية ص ٢٥١ ، وشرح شواهد المغني ١١٩/١ ، ولسان العرب (مدر) ، (ندر) ، (صحن) .

وعجزه : ولا تبقى خمور الأندرينا .

(٢) هو أوس بن حجر أو عبيد بن الأبرص . انظر ديوان أوس ص ١٤ ، ديوان عبيد ص ٥٢ وانظر للكلام على نسبته سمط اللآلئ ٤٣٩ ، وطبقات فحول الشعراء ٩٢ .

فقال: "عَشْرُ أَبْطُنٍ" ؛ لِأَنَّ الْبَطْنَ قَبِيلَةٌ ، وَأَبَانٌ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ : "مَنْ قَبَائِلُهَا الْعَشْرُ" ،
 وقال الله جلَّ وعزَّ : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(١) ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى حَسَنَاتٌ .
 وَيُرْوَى أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ لَمَّا أَرَادَ تَوْجِيهَ مُسْلِمٍ بِنِ عُقْبَةَ الْمُرِّيِّ إِلَى الْمَدِينَةِ اعْتَرَضَ
 النَّاسَ ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مَعَهُ تُرْسٌ قَبِيحٌ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَخَا أَهْلِ الشَّامِ ! مِجَنُّ
 ابْنِ أَبِي رِبْعَةَ أَحْسَنُ مِنْ مِجَنِّكَ ! يَرِيدُ قَوْلَ ابْنِ أَبِي رِبْعَةَ :
 فَكَانَ مِجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانَ وَمُعْصِرٍ^(٢)
 وَقَوْلُهُ "أَمَّا تَسْتَحْيِي" يَرِيدُ "تَسْتَحْيِي" وَلَهُ تَفْسِيرٌ يَتَعَدُّ فِي الْعَرَبِيَّةِ قَلِيلًا ،
 وَسَنَذْكُرُهُ بَعْدَ ذَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

* * *

(٣) الْبَيْتُ مِنَ الطَّوِيلِ ، وَهُوَ لِلنَّوَاحِ الْكَلْبِيِّ فِي الدَّرَرِ ١٩٦/٦ ، وَالْمَقَاصِدُ النُّحْوِيَّةُ ٤٨٤/٤ ، وَبِلَانِسِيَّةٍ
 فِي الْأَشْبَاهِ وَالنِّظَائِرِ ١٠٥/٢ ، ٤٩/٥ ، وَأَمَالِي الزَّجَاجِيِّ ص ١١٨ ، وَالْإِنْصَافُ ٧٦٩/٢ ، وَخَزَانَةُ
 الْأَدَبِ ٣٩٥/٧ ، وَالْخَصَائِصُ ٤١٧/٢ ، وَشَرْحُ عَمْدَةِ الْحَافِظِ ص ٥٢٠ ، وَالْكِتَابُ ٥٦٥/٣ ،
 وَشَرْحُ الْأَشْمُونِيِّ ٦٢٠/٣ وَلِسَانُ الْعَرَبِ (كَلْب) ، وَ(بَطْن) ، وَالْمُقْتَضَبُ (١٤٦/٢) ، وَهَمْعُ الْهَوَامِعِ ()
 ١٤٩/٢

(١) سُورَةُ الْأَنْعَامِ : ١٦٠

(٢) الْبَيْتُ مِنَ الطَّوِيلِ ، وَهُوَ لِعَمْرِ بْنِ أَبِي رِبْعَةَ فِي كَلِمَتِهِ السَّالِفَةِ ، وَالْأَشْبَاهِ وَالنِّظَائِرِ ٤٨/٥ ،
 ١٢٩ ، وَالْأَغَانِي ٩٠/١ ، وَأَمَالِي الزَّجَاجِيِّ ص ١١٨ ، وَالْإِنْصَافُ ٧٧٠/٢ ، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ
 (٣٢١، ٣٢٠/٥) ٤ (٣٩٨ ، ٣٩٦ ، ٣٩٤/٧) ، وَالْخَصَائِصُ ٤١٧/٢ ، شَرْحُ أَيْيَاتِ سَيَبَوِيهِ ٢/٢
 ٣٦٦ وَشَرْحُ التَّصْرِيحِ ٢/٢٧١ ، وَشَرْحُ شَوَاهِدِ الْإِيضَاحِ ص ٣١٣ ، وَالْكِتَابُ ٥٦٦/٣ ، وَلِسَانُ
 الْعَرَبِ شَخْصٌ ، وَالْمَقَاصِدُ النُّحْوِيَّةُ ٤٨٢/٤ ، وَبِلَانِسِيَّةٍ فِي الْأَشْبَاهِ وَالنِّظَائِرِ ١٠٤/٢ ، وَأَوْضَحُ
 الْمَسَالِكِ ٢٥١/٤ ، وَشَرْحُ عَمْدَةِ الْحَافِظِ ص ٥١١ ، وَعَيُونُ الْأَخْبَارِ ١٧٤/٢ ، وَالْمُقْتَضَبُ ١٤٦/٢
 ، وَالْمَقْرَبُ ٣٠٧/١ ، وَشَرْحُ الْأَشْمُونِيِّ ٦٢٠/٣ ، وَشَرْحُ التَّصْرِيحِ ٢٧٥/٢ .

باب

قال أبو العباس حَدَّثْتُ أَنَّ عُمَرَ الْوَادِيَّ قَالَ : أَقْبَلْتُ مِنْ مَكَّةَ أُرِيدُ الْمَدِينَةَ ،
فَجَعَلْتُ أَسِيرُ فِي صَمَدٍ مِنَ الْأَرْضِ ، فَسَمِعْتُ غَنَاءً مِنَ الْقَرَارَةِ لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهُ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ
لَأَتَوَصَّلَنَّ إِلَيْهِ وَلَوْ بَذَّاهَبِ نَفْسِي ، فَانْحَدَرْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا عَبْدٌ أَسْوَدُ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَعِدْ عَلَيَّ
مَا سَمِعْتَ فَقَالَ لِي : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ عِنْدِي قِرَى أَقْرَبِكُهُ مَا فَعَلْتُ ، وَلَكِنِّي أَجْعَلُهُ قِرَاكَ ، فَإِنِّي
وَاللَّهِ رَبُّمَا غَنَيْتُ هَذَا الصَّوْتَ وَأَنَا جَائِعٌ فَاشْبَعْ ، وَرَبُّمَا غَنَيْتُهُ وَأَنَا كَسَلَانٌ فَأَنْشِطْ ، وَرَبُّمَا
غَنَيْتُهُ وَأَنَا عَطْشَانٌ فَأَرْوَى ، ثُمَّ انْبَرَى يُغْنِينِي :

وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ سَعْدَى بِأَرْضِهَا أَرَى الْأَرْضَ تَطْوِي لِي وَيَذْنُو بَعِيدُهَا
مِنَ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحْدُوَّةٌ لَوْ تُعِيدُهَا^(١)
قال عمر ، فَحَفِظْتُهُ عَنْهُ ، ثُمَّ تَغَنَيْتُ بِهِ عَلَى الْحَالَاتِ الَّتِي وَصَفَ ، فَإِذَا هُوَ كَمَا
ذَكَرَ .

* * *

وَتَحَدَّثَ الزُّبَيْرِيُّ بْنُ عَنْ خَالِدٍ صَامَةً بِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ضَرْبًا بَعُودَ قَالَ :
فَقَدِمْتُ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ ، وَهُوَ فِي مَجْلَسٍ نَاهِيكَ بِهِ بِمَجْلَسًا ! فَأَلْفَيْتُهُ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَبَيْنَ
يَدَيْهِ مَعْبَدٌ ، وَمَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ وَابْنُ عَائِشَةَ ، وَأَبُو كَامِلٍ غَزِيلُ الدَّمَشْقِيِّ ، فَجَعَلُوا
يَفْنُونَ ، حَتَّى بَلَغَتِ النَّوْبَةَ إِلَى فُغْنِيَّتِهِ :

سَرَى هَمِّي وَهَمُّ الْمَرْءِ يَسْرِي وَغَابَ النَّجْمُ إِلَّا قَيْدَ فِثْرٍ
أَرَأَيْتُ فِي الْمَجَرَّةِ كُلِّ نَجْمٍ تَعْرِضُ أَوْ عَلَى الْمَجَرَّةِ يَجْرِي
لَهُمْ مَا أَزَالُ لَهُ قَرِينَا كَأَنَّ الْقَلْبَ أَبْطَنَ حَرٌّ جَمْرٍ
عَلَى بَكْرٍ أَخِي فَارَقْتُ بَكْرًا وَأَيُّ الْعَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرٍ ؟

(١) البتتان من الطويل ، وهما لكثير عزة في ديوانه ص ٢٠٠ ، وله أو لذى الرمة في تزيين الأسواق
١/ ١٢٥ ، ولذى الرمة في ملحقات ديوانه ص ١٨٦٥ ، وبلا نسبة في تاج العروس (حدث)

فقال لي : أَعِدْ يا صامُ ! ففعلتُ ، فقال لي : مَنْ يَقُولُ هذا الشعرَ ؟ فقلتُ : هذا
يقوله عُرْوَةُ بنُ أُذَيْنَةَ يرثي أخاه بَكْرًا ، فقال لي الوليدُ :

" وَأَيُّ الْعَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرٍ "

هذا العيشُ الذي نحنُ فيه ، والله لقد تَحَجَّرَ واسِعًا على رَغَمِ أَنْفِهِ !!
وَحُدُثْتُ أَنْ سَكِينَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ أَنْشَدَتْ هذا الشعرَ ، فقالت : وَمَنْ بَكْرٌ ؟
فوصَفَ لها ، فقالت أَذَاكَ الْأَسِيدُ الذي كان يَمُرُّ بنا ؟ والله لقد طابَ كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَهُ
حتى الخبزُ والزَّيْتُ !!

وروى أصحابنا ^(١) أَنَّ يَزِيدَ بنَ عَبْدِ الْمَلِكِ - وأُمُّهُ عاتِكَةُ بِنْتُ يَزِيدَ بنِ معاوية ،
وإليها كان يُنسَبُ - قال يومًا : إِنَّ الدُّنْيَا لم تَصِفْ لأَحَدٍ يومًا قطُّ ، فإذا خَلَوْتُ
يومي هذا فاطُورُوا عَنِّي الْأَخْبَارَ ، ودَعُونِي وَلَذَّتِي وما خَلَوْتُ له ، ثم دعا بِحَبَابَةَ ، فقال :
اسْقِينِي وَغَنِّينِي ، فَخَلَوْا فِي أَطْيَبِ عَيْشٍ ، فَتناولَتْ حَبَابَةُ حَبَّةَ رُمَانٍ ، فوضعتها فِي فِيهَا ،
فَغَصَّتْ بِهَا ؛ فماتَتْ ، فَجَزَعَ يَزِيدُ جَزَعًا أَذْهَلَهُ وَمَنَعَ مِنْ دَفْنِهَا ، حتى قال له مشايخُ بني
أُمَيَّةَ : إِنَّ هذا عَيْبٌ لَا يُسْتَقَالُ ، وإنما هذه جيفةٌ ! فَأَذِنَ فِي دَفْنِهَا ، وَتَبَعَ جِنَازَتَهَا ، فلمَّا
وَارَاهَا قال : أُمْسَيْتُ وَاللَّهِ فَيْكِ كَمَا قال كَثِيرٌ :

فَإِنْ تَسَلُّ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدْعُ الْهَوَى فَبِالْيَأْسِ تَسَلُّوْا عَنْكَ لَا بِالتَّجَلُّدِ
وَكُلُّ خَلِيلٍ رَاعَنِي فَهُوَ قَائِلٌ مِنْ أَجْلِكَ هَذَا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ ^(٢)
فَعَدَّ بَيْنَهُمَا خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا .

وقوله " رَاعَنِي " يريد " رَأَنِي " ولكنه قلبَ ؛ فَأَخَرَهُ الْهَمَزَةُ ، ونظيرُ هذا من
الكلامِ قولُهُم " قِيسِي " فِي جَمْعِ " قَوْسٍ " وإنما الْأَصْلُ " قُؤُوسٌ " ولكنه لما أَخَرَهُ الْوَاوَيْنِ
أَبْدَلَ مِنْهُمَا يَاءَيْنِ ، كما يجب فِي الْجَمْعِ ، تقولُ " ذَلُّوْا وَذُلِّيْ " و " عاتٍ وَعَتِي " وإن

(١) الخبر فِي الْأَغَانِي ١٣٩/١٥ - ١٤٠

(٢) الْبَيْتَانِ مِنَ الطَّوِيلِ ، وهما له فِي ديوانه ص ٤٣٥ ، ولسانِ الْعَرَبِ هوم ، (رَأَى) ، وَالْكِتَابِ

(٤٦٧/٣) ، وَالْأَغَانِي (١٤٠/١٥)

شئتَ قلتَ "عِتِيَّ" و "وَدِلِيَّ" من أجل الياءِ ، فإن كن "فُعُولُ" لواحدٍ قلتَ "عُتُوَّ" ويجوز القلبُ ، والوجه في الواحدِ إثباتُ الواوِ ، كما تقولُ "مَغْرُوَّ" و "مَدْعُوَّ" ويجوز "مَغْزِيَّ" و "مَدْعِيَّ" وفي القرآنِ ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ ^(١) وقال : ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ ^(٢) وقال : ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ ^(٣) والأصلُ "مَرْضُوءَةٌ" لأنه من الواوِ ، من "الرضوان" . ومن القلبِ قولهم "طَأْمَنَ" ثم قالوا "اطْمَأَنَّ" فأخروا الهمزةَ وقَدَّمُوا الميمَ ، ومثلُ هذا كثيرٌ جدًا .

وقوله : هذا هامةُ اليومِ أو غَدِ " يقول مَيِّتٌ في يومه أو في غَدِهِ ، يقالُ : إنما فلانٌ "هامةٌ" أي : يصيرُ في قبره ، وأصلُ ذلك شيءٌ كانت العربُ تقولُه ، وقد مضى تفسيره .

وحدثني عبدُ الصمد بنُ المُعَدَّلِ قال : سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الموصليَّ يتحدثُ قال : حججتُ مع أمير المؤمنين الرشيد ، فلما قفلنا فنزلنا المدينةَ آخِيتُ بها رجلا كان له سِنَّ ومعرفةٌ وأدبٌ ، فكان يُمتعِنِي ، فإني ذات ليلةٍ في منزلي إذا أنا بصوته يَسْتَأْذِنُ عليَّ ، فظننتُ أمرًا قد فدَحَهُ ففزعَ فيه إليَّ ؛ فأسرعتُ نحوَ البابِ ، فقلتُ : ما جاء بك ؟ فقال : إذنُ أخبرك ، دعاني صديقُ لي إلى طعامٍ عتيدي ، وشرابٍ قد التقيَ طرْفاهُ ، وشِواءٍ رَشْرَاشٍ ، وحديثٍ مُمتنعٍ ، وغِناءٍ مُطربٍ ، فأجبتُه ، وأقمتُ معه إلى هذا الوقتِ ، فأخذتُ مني حُمِيًّا الكأسِ مأخذها ، ثم غُنِيْتُ بقولِ نَصِيبٍ :

برنبِ المِمْ قبلَ أن يظعنَ الركبُ وقُلْ إن تملينا فما ملكَ القلبُ ^(٤)

(١) سورة الفرقان : ٢١

(٢) سورة مريم : ٦٩ . وعتيا ضبط بضم العين ، وكسرها والكسر قراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم من السبعة وقرأها السبعة بالضم . انظر السبعة لابن مجاهد ٤٠٧ ، وحجة القراءات ٤٣٩ ،

والكشف للمكي ٨٤/٢ ، والنشر ٣١٧/٢ ، والبحر ١٧٥/٦

(٣) الفجر : ٢٨ .

(٤) سبق .

فكدتُ أطيّرُ طَرَبًا ، ثم وجدت في الطربِ نَقْصًا إذ لم يكن معي مَنْ يفهم هذا
كما فهمته ، ففَزَعْتُ إِلَيْكَ لأَصِفَ لك هذه الحال ، ثم أَرْجِعُ إلى صاحبي ، وضَرَبَ بَغْلَتَهُ
مَوْلِيَا عَنِّي فقلتُ : قِفْ أَكَلِمَكَ ، فقال : ما بي إلى الوقوفِ عليك من حاجة .

* * *

وحدثني غير واحدٍ من أصحابنا عن أبي زيدٍ سعيد بن أوسٍ الأنصاري يُسْنِدُهُ (١) ،
قال : كانت وليمةً في أخواننا ، وهم حَيٌّ يقال لهم بَنُو نُبَيْطٍ من الأنصار ، قال : فحَضَرَ
الناسُ ، وجاء حَسَّانُ بن ثابتٍ وقد ذهب بصره ، ومعه ابنه عبدُ الرحمن يَقُودُهُ ، فلما
وُضِعَ الطعامُ وجيءَ بالثريدِ قالَ حَسَّانُ لابنه : يا بُنَيَّ ، أَطْعَامُ يَدٍ أَمْ طَعَامُ يَدَيْنِ ؟ فقال : بل
طعامُ يَدٍ ، فأَكَلَ ثم جيءَ بالشَّوَاءِ ، فَقَالَ أطْعَامُ يَدٍ أَمْ طعامُ يَدَيْنِ ؟ فقال بَلْ طعامُ يدينِ ،
فأمسك ، وفي المجلسِ قَتْنَتَانِ تُغْنِيَانِ بشعر حسانَ :

أَنْظُرْ خَلِيلِي بِبَابِ جِلْقٍ (٢) هَلْ تُؤْنَسُ دُونَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَدٍ؟ (٣)

(١) قال الشيخ المصفي : " كان الصواب أن يذكر من أسند إليه هذا الحديث كما نبه عليه غيره ،
يقول : يسنده إلى أبي زيد خارجة بن زيد بن أبي زهير الخزرجي حتى لا يتوهم من قوله الآتي :
" قال أبو زيد " أنه سعيد بن أوس الأنصاري . وخارجة هذا صحابي قتل يوم أحد وشهد ابنه زيد
يوم بدر . هذا وقد روى هذا الحديث الأصبهاني في أغانيه [١٦٧/١٧-١٧١] يسنده إلى عبد
الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : سمعت خارجة بن زيد يقول : دعينا إلى مأدبة في آل نبيط إلى
آخر الحديث " اهـ . رغبة الأمل ٨/٦ . والخبر ذكره الذهبي في السير (٥٢٠/٢) في ترجمة حسان
ابن ثابت رضي الله عنه وأوله عن خارجة بن زيد قال : كان الغناء يكون في العريسات ، ولا
يحضره شيء من السفة كالיום " وفي سند هذه الرواية ابن أبي الزناد ، لخص حاله الحافظ ابن
حجر في التقریب بقوله : صدوق ، تغير حفظه لما قدم بغداد .

وفي الأغاني (١٧١/١٧) بعد سرد طرق لهذه القصة... فبكي حسان حتى سدر ثم قال : هذا
عمل الفاسق ، أما لقد كرهتم مجالستي ، فقبح الله مجالسكم سائر اليوم ، قام فانصرف .

(٢) (جلق) : يجيم ولام مشددة مكسورتين " هي دمشق نفسها أو قرية من قرأها .

(٣) البيت من المنسرح ، وهو لحسان رضي الله عنه في ديوانه ص ٥٦ ط . ابن خلدون ولسان
العرب (عجب) ، (بلق) ، وتاج العروس (بلق) والسير (٥٢٠/٢) والأغاني ١٧١-١٦٧ .

قال : وحسَّانُ ييكى ، يذكر ما كان فيه من صحَّةِ البصر والشَّباب ، وعبدُ
الرحمن يُوميءُ إليهما أن زيدا ، قال أبو زيد ، فَلأُعجَبَنِي ما أعجَبَهُ من أن تُبَكِّيا أباهُ !
يقول أبو زيد : عَجِبْتُ ما الذي اشْتَهَى من أن تُبَكِّيا أباهُ ؟! وقوله " أعجَبَنِي "
أي : تركني أعجبُ ، ومثله قولُ قيسِ الرُّقَيَاتِ :

أَلَا هَزَيْتُ بِنَا قُرَشِيًّا يَمَّةٌ يَهْتَزُّ مَوَكِبُهَا
رَأَتْ بِي شَيْبَةً فِي الرَّأْ سِ مِنْ مَنِي مَا أُعْجِبُهَا
فَقَالَتْ : أَبْنُ قَيْسٍ ذَا ؟ وَبَعْضُ الشَّيْبِ يُعْجِبُهَا^(١)
أي تتعجبُ منه .

* * *

وحدثني عبدُ الصمدِ بنُ المُعَذَّلِ قال : كان خَلِيلَانُ الأُمَوِيُّ يُتَغَنَّى ، وَيَرَى أَنَّ ذاك
زَائِدٌ فِي الْفُتُوَّةِ ، وكان خَلِيلَانُ شَرِيفًا وَذَا نِعْمَةٍ وَاسِعَةٍ ، فَحَضَرَ يَوْمًا مَنْزِلَ عُقْبَةَ بْنِ سَلَمٍ
الهُنَائِيِّ ، وهو أميرُ البصرة ، وكان عَاتِيًا جَبَارًا ، فَلَمَّا طَعِمَا وَخَلَوْا نَظَرَ خَلِيلَانُ إِلَى عودِ
مَوْضُوعٍ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ عَرَضَ لَهُ بِهِ ، فَأَخَذَهُ فَتَغَنَّى :

بَابِنَةَ الْأَزْدِيِّ قَلْبِي كَثِيبٌ مَسْتَهَامٌ عِنْدَهَا مَا يَأُوبُ
وَلَقَدْ لَامُوا فَقُلْتُ : دَعُونِي إِنْ مِنْ تَلْحُونُ فِيهِ حَيْبٌ
فَجَعَلَ وَجْهَ عُقْبَةَ يَتَغَيَّرُ ، وَخَلِيلَانُ فِي سَهْوٍ عَمَّا فِيهِ عُقْبَةُ ، يَرَى أَنَّهُ مُحْسَنٌ ، ثُمَّ فَطِنَ لِتَغْيِيرِ
وَجْهِهِ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ كَارَهُ لِمَا تَغَنَّى بِهِ ، فَقَطَعَ الصَّوْتَ ، وَجَعَلَ مَكَانَهُ .

أَلَا هَزَيْتُ بِنَا قُرَشِيًّا يَمَّةٌ يَهْتَزُّ مَوَكِبُهَا
فَسَرَى عَنْ عُقْبَةَ ، فَلَمَّا انْقَضَى الصَّوْتُ وَضَعَ خَلِيلَانُ الْعُودَ ، وَوَكَّدَ الْحَلْفَ عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا
يَتَغَنَّى عِنْدَ مَنْ يَجُوزُ أَمْرُهُ عَلَيْهِ أَبَدًا .

(١) الأبيات من مجزوء الوافر ، وهى فى ديوانه ص ١٢١ . والأول فى لسان العرب (هز) ،
والمعانى الكبير ص ١١٧٥ ، والأغاني ٢١/٢٠١ ، والمؤتلف والمختلف ص ١٩٧ ، وبلا نسبة فى لسان
العرب (وكب) ، وجمهرة اللغة ص ١٣٢ ، ٣٧٨ ، والمعانى الكبير ص ٤٨٤ . والثانى فى لسان
العرب (عجب) ، وتاج العروس (عجب) ؛ والأغاني ٢١/٢٠٢ .

وَحَدَّثْتُ أَنَّ رَجُلًا تَغْنَى بِحَضْرَةِ الرَّشِيدِ بِشَعْرِ مُدِحَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ رَيْطَةَ ، وَهُوَ عَلِيُّ
ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيِّ ، وَتَغْنَاهُ الْمَغْنَى عَلَى جَهْلٍ ، وَهُوَ :

قُلْ لِعَلِّيْ أَيْأَفَتَى الْعَرَبِ وَخَيْرَ نَامٍ وَخَيْرَ مُنْتَسِبِ
أَعْلَاكَ جَدَّاكَ يَا عَلِيُّ إِذَا قَصَّرَ جَدُّ فِي ذِرْوَةِ الْحَسَبِ^(١)

فَفَتَّشَ عَنِ الْمَغْنَى فَوَجَدَهُ لَمْ يَذَرِ فِيمَنْ الشَّعْرُ ، فَبَحَثَ عَنْ أَوَّلِ مَنْ تَغْنَى بِهِ ، فَبِإِذَا
هُوَ عَبْدُ الرَّحِيمِ الرَّقَاصُ ، فَأَمَرَ بِهِ فَضْرِبَ أَرْبَعَمِائَةَ سَوْطٍ .

وَحَدَّثْتُ أَنَّ مَعَاوِيَةَ اسْتَمَعَ عَلَى يَزِيدَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَسَمِعَ مِنْ عِنْدِهِ غِنَاءً أَعْجَبَهُ ،
فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لِيَزِيدَ : مَنْ كَانَ مُلْهِيكَ الْبَارِحَةِ ؟ فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : ذَاكَ سَائِبُ خَائِرٍ ، قَالَ :
إِذْنٌ فَأَخْبِرْ لَهُ مِنَ الْعَطَاءِ .

* * *

وَحَدَّثْتُ أَنَّ مَعَاوِيَةَ قَالَ لِعَمْرُو* : امْضِ بِنَا إِلَى هَذَا الَّذِي قَدْ تَشَاغَلَ بِاللَّهُوِ وَسَعَى
فِي هَدْمِ مُرُوءَتِهِ حَتَّى نَنْعَى عَلَيْهِ ، أَيْ : نَعِيبَ عَلَيْهِ فِعْلُهُ ، يَرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، وَعِنْدَهُ سَائِبُ خَائِرٍ ، وَهُوَ يَلْقَى عَلَى جَوَارٍ لِعَبْدِ اللَّهِ ، فَأَمَرَ عَبْدُ
اللَّهِ بِتَنْحِيَةِ الْجَوَارِيِّ لِدُخُولِ مَعَاوِيَةَ ، وَتَبَتَ سَائِبُ خَائِرٍ وَتَنَحَّى عَبْدُ اللَّهِ عَنْ سَرِيرِهِ
لِمَعَاوِيَةَ ، فَرَفَعَ مَعَاوِيَةَ عَمْرًا فَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ : أَعِدْ مَا كُنْتَ فِيهِ ، فَأَمَرَ
بِالْكِرَاسِيِّ فَأُلْقِيَتْ وَأُخْرِجَ الْجَوَارِيُّ ، فَتَغْنَى سَائِبٌ بِقَوْلِ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ :
دِيَارُ الَّتِي كَادَتْ وَغْنُ عَلَى مِنَى تَحُلُّ بِنَا لَوْلَا نَجَاءُ الرُّكَائِبِ^(٢)

(١) البيتان في الأغاني ٢٦٥/٣.

* نسب المبرد كلاما لا يليق في هذا الباب لمعاوية وحسان وعطاء بن أبي رباح وسفيان بن عيينة
وغيرهم من الجلة ممن هو صحابي له شرف الصحبة ، ووجوب إحسان الظن به ، أو تابعي شهد له
بالعلم والفضل، ومثل هذا الذي ذكره لا يجوز التساهل في قبوله بالنسبة للصحابة خاصة فمن بعدهم.

(٢) تحل بنا : تجعلنا نحل . عن رغبة الأمل ١٣/٦

وَمِنْكَ قَدْ أَصَبْتُ لَيْسَتْ بِكُنَّةٍ^(١) وَلَا جَارَةٍ وَلَا حَلِيلَةٍ صَاحِبٍ^(٢)

* * *

ورده الجوارى عليه ، فحرك معاوية يديه وتحرك فى مجلسه ، ثم مد رجله فجعل يضرب بهما وجه السرير ! فقال له عمرو : اتق يا أمير المؤمنين . فإن الذى جئت لتلحاه أحسن منك حالاً وأقل حركة ! فقال له معاوية : اسكت لا أبالك ! فإن كل كريم طروب .

* * *

وَحَدَّثْتُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنْ سَفِيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ قَالَ لَجُلَسَائِهِ يَوْمًا : إِنِّي أَرَى جَارَنَا هَذَا السَّهْمِيَّ قَدْ أَتَرَى وَأَنْفَسَحَتْ لَهُ النَّعْمَةُ ، وَصَارَ ذَا جَاهٍ عِنْدَ الْأُمَرَاءِ ، وَوَاثِدًا إِلَى الْخُلَفَاءِ ، فَمِمَّ ذَاكَ ؟ يَعْنِي يَحْيَى بْنُ جَامِعٍ ، فَقَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ : إِنَّهُ يَصِيرُ إِلَى الْخَلِيفَةِ فَيَتَغَنَّى لَهُ ، فَقَالَ سَفِيَانُ : فَيَقُولُ مَاذَا ؟ فَقَالَ أَحَدُ جُلَسَائِهِ : يَقُولُ :

أَطُوفُ نَهَارِي مَعَ الطَّائِفِينَ وَأَرْفَعُ مِنْ مِثْرَئِي الْمُسَبِّلَ^(٣)

فقال سفيان : ما أحسن والله ما قال ! فقال الرجل :

وَأَسْهَرُ لَيْلِي مَعَ الْعَاكِفِينَ وَأَتْلُو مِنْ الْمُحْكَمِ الْمُنْزَلِ^(٤)

فقال : حسن والله جميل ، قال : إنَّ بعدَ هذا شيئاً ، قال سفيان : وما هو ؟ قال :

عَسَى فَارِجُ الْكَرْبِ عَنْ يُوسُفَ يُسَخِّرُنِي رِبَّةَ الْمُحْمَلِ^(٥)

(١) (الكنة) : بفتح (الكاف) امرأة الابن أو الأخ واحدة الكنائن وهذا الجمع نادر كأنهم توهموا فعيلة فجمعوها على فعائل . رغبة الأمل ١٣/٦ ، واللسان (كنن) .

(٢) البيتان من الطويل فى ديوانه ص ٧٧ ، والأول فى خزنة الأدب ٢٧/٧ ، وشرح شواهد الإيضاح ص ١٤٨ ، ولسان العرب (حل) ، وبلا نسبة فى الأزمنة والأمكنة ١ / ٢٧٨ ، وجواهر الأدب ص ٤٥ .

(٣) البيت من المتقارب وهو لإسماعيل بن جامع فى الأغاني ٦ / ٣٠٨ .

(٤) انظر ما سبق .

(٥) انظر ما سبق .

فَزَوَى سَفِيَانُ وَجْهَهُ ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ أَنْ كُفَّ ، وَقَالَ : حَلَالًا حَلَالًا !!

* * *

وَلَقِيَ ابْنُ أَبَجَرَ^(١) عَطَاءَ بْنَ أَبِي رِبَاحٍ وَهُوَ يَطُوفُ ، فَقَالَ : اسْمَعْ صَوْتًا لِلْفَرِيضِ !
فَقَالَ لَهُ عَطَاءٌ : يَا خَبِيثُ ! أَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ ؟! فَقَالَ ابْنُ أَبَجَرَ : وَرَبُّ هَذِهِ الْبَيْتَةِ لَتَسْمَعَنَّ
خُفْيَةً أَوْ لِأَشِيدَنَّ بِهِ ! فَوَقَفَ لَهُ ، فَتَغَنَّى :

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَخْرُجِي
أَنْيَ أَتِيَحَتْ لِي يَمَانِيَّةٌ اخْدِي بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَذْحِجِ
نَلْبْتُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ لَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَهْجِ
فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ ، وَمَاذَا مِنِّي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَخْرُجِ ؟! ^(٢)

فَقَالَ عَطَاءٌ : الْكَثِيرُ الطَّيِّبُ يَا خَبِيثُ !!

* * *

وَسَمِعَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مُتَغَنِّيًا فِي عَسْكَرِهِ ، فَقَالَ : اظْلُبُوهُ ، فَجَاءُوا بِهِ ،
فَقَالَ : أَعِدُّ مَا تَغْنِيَتْ ، فَتَغَنَّى وَاحْتَفَلَ ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ مُفْرِطَ الْغَيْرَةِ ، فَهَالَ لِأَصْحَابِهِ :
وَاللَّهِ لَكُنَّهَا جَرَجَرَةُ الْفَحْلِ فِي الشَّوْلِ ^(٣) ، وَمَا أَحْسِبُ أَنْتَى تَسْمَعُ هَذَا إِلَّا صَبَبْتُ ، ثُمَّ
أَمَرَ بِهِ فَخُصِيَ ^(٤) !

* * *

(١) الخير باختلاف في الأغاني ٣٩٣/١-٤٠٨ و ٣٦١/٢ و ٣٥٩ و ٣٤٣/٣ .

(٢) الأبيات من السريع ، وهى للعرجي . انظر المصادر السابقة .

(٣) جرجرة الفحل تردد هديره . والشول جمع شائلة وهى من الإبل التى تشول بذنبها للقاح وقد جف لبنها . اللسان (شول) .

(٤) قال على بن حمزة : " ما هكذا الخير ! وقد غير لفظه ومعناه ، وهو خير طويل ، وقد ذكرناه فى باب الغيرة من كتاب المناكحات ... " التنبيهات ١٥٣ . وانظر رغبة الأمل ١٥/٦ ، والخير برواياته فى الأغاني .

وَحَدَّثْتُ أَنَّ الْفَرَزْدَقَ قَدِيمَ الْمَدِينَةِ فَنَزَلَ عَلَى الْأَحْوَصِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ ، فَقَالَ لَهُ الْأَحْوَصُ : أَلَا أَسْمِعُكَ غِنَاءً ؟ فَأَتَاهُ . ثُمَّ غَنَّ فَجَعَلَ يَغْنِيهِ ، فَكَانَ مِمَّا غَنَاهُ :

أَتَنَسَى إِذْ تَوَدَّعْنَا سُلَيْمَى بَفِرْعَ بَشَامَةِ سَيْقَى الْبِشَامِ
وَلَوْ وَجَدَ الْحَمَامُ كَمَا وَجَدْنَا بَسُلْمَانِينَ لَا كِتَابَ الْحَمَامِ^(١)

فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ ، لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ ؟ قَالُوا : لَجَرِيرٍ ، ثُمَّ غَنَاهُ :
أَسْرَى لِحَالِدَةَ الْخِيَالُ وَلَا أَرَى شَيْئًا أَلَدَّ مِنَ الْخِيَالِ الطَّارِقِ
إِنَّ الْبَلِيَّةَ مِنْ تَمَلُّ حَدِيثِهِ فَانْقَعُ فَوَادِكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِقِ^(٢)
فَقَالَ : لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ ؟ فَقِيلَ : لَجَرِيرٍ ، ثُمَّ غَنَاهُ :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بَلْبَكَ غَادَرُوا وَشَلَّأَ بَعِينِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا
غِيضُنْ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقَلْنِ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا ؟^(٣)

فَقَالَ : لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ ؟ فَقِيلَ : لَجَرِيرٍ ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : مَا أَحْوَجُهُ مَعَ عَفَافِهِ إِلَى خَشْوَنَةِ شَعْرِي ، وَأَحْوَجَنِي مَعَ فَسَوْقِي إِلَى رَقَّةِ شَعْرِهِ !!
* * *

وَقَالَ الْأَحْوَصُ يَوْمًا لِمُعَبَّدٍ : امْضُ بِنَا إِلَى عَقِيلَةَ حَتَّى نَتَحَدَّثَ إِلَيْهَا ، وَنَسْمَعُ مِنْ غَنَائِهَا وَغِنَاءِ جَوَارِيهَا . فَمَضَى ، فَأَلْفِيَا عَلَى بَابِهَا مَعَاذًا الْأَنْصَارِي ثُمَّ الزَّرْقِي وَابْنِ صَائِدِ النَّجَارِي . فَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهَا جَمِيعًا ، فَأَذْنَتْ لَهُمْ إِلَّا الْأَحْوَصَ ، فَإِنَّهَا قَالَتْ : نَحْنُ عَلَى الْأَحْوَصِ غَضَابٌ فَانْصَرَفَ الْأَحْوَصُ وَهُوَ يَلُومُ أَصْحَابَهُ عَلَى اسْتِبْدَادِهِمْ ، فَقَالَ :
ضَنْتُ عَقِيلَةَ لَمَّا جِئْتُ بِالزَّادِ وَآثَرْتُ حَاجَةَ الثَّأْوَى عَلَى الْغَادِي
فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَقُولَ لَهُ قَدْ بَاحَ بِالسَّرِّ أَعْدَائِي وَحُسَّادِي

(١) البيتان من الوافر وهما لجرير في الأغماني ٢/٢٠٤ .

(٢) البيتان من الكامل ، وهما لجرير في ديوانه ص ٣٨٩ .

(٣) الأبيات من الكامل وهى لجرير في ديوانه ص ٣٨٦ ، وتاج العروس ١٨/٤٥١ (غِيض) ، وبلا

نسبة في لسان العرب ٧/٢٠١ (غِيض) ، ، تهذيب اللغة ٨/١٥٦ ، وتاج العروس ١٨/٤٧٤ (غِيض) .

قلنا لمنزلها : حيت من طللٍ وللعقيق: ألا حيت من وادى
 إنى جعلت نصيبى من مودتها لمعبد ومُعَاذٍ وابن صيَّاد
 لابن اللعين^(١) الذى يخبى الدخان له وللمغنى رسول الزور قَوَادى
 أما معاذ فإنى لست أذكره كذاك أجداده كانوا لأجدادى^(٢)

قال الزبيرى : وكان معاذ جلدًا ، فخاف الأحوص أن يضربه ، فحلف لمعبد ألا يكلم الأحوص ولا يتغنى بشعره فشق ذلك على الأحوص . فلما طالت هجرته إياه رحل نجيبًا له وجعل طلاء فى مزرع فى حقبة رحله ، وأعد دنانير ، ومضى نحو معبد ، فأناخ ببابه ، ومعبد جالس بفنائه ، فنزل إليه الأحوص فكلمه فلم يكلمه معبد ، فقال : يا أبا عباد ، أتهجرنى ؟! فخرجت إليه امرأته أم كردم ، فقالت : أتهجر أبا محمد ؟ والله لتكلمنه . قال : فاحتلمه الأحوص فأدخله البيت ، وقال : والله لارمتُ هذا البيت حتى أكل الشواء وأشرب الطلاء وأسمع الغناء ، فقال له معبد : قد أخزى الله الأبعد! هذا الشواء أكلته ، والغناء سمعته ، فأنى لك بالطلاء؟ قال : قم إلى ذلك المزرع ففيه الطلاء ومعده دنانير ، فأصلح بها ما تريد من أمرنا ، ففعل فقالت أم كردم لمعبد: أتهجر من إن زارنا أغدر فينا فضلاً ونيلًا ، وإن فارقتنا خلف فينا عقلاً ونبلًا؟- فانصرف الأحوص مع العصر، فمر بين الدارين وهو يميل بين شعبي رحله .

وحدث أن سعد بن مصعب بن الزبير اتهم بامرأة فى ليلة مناحة أو عرس ، وكانت تحته ابنة حمزة بن عبد الله بن الزبير، فقال الأحوص- وكان بالمدينة رجل يقال له: "سعد النار":
 ليس بسعد النار من تذكرونه ولكن سعد النار سعدُ بنُ مصعبٍ
 ألم تر أن القوم ليلة جمعهم بغوه فألفوه لدى شر مركب
 فما يتغى بالشر لادرّ درّه وفى بيته مثل الغزال المربب^(٣)

(١) (ابن اللعين) : يريد به ابن صياد والمغنى هو معبد

(٢) شعره ق ٤١ ص ١١٢ .

(٣) الأبيات من الطويل وهى للأحوص فى الأغانى ٤/ ٢٤٠ .

فأمر سعد بن مصعب بطعام فصنع، وحمل إلى قباب العرب ، وقال للأحوص -وكان له صديقاً-: تعال نمض فنصيب منه ، فلما خلا به أمر به فأوثق ، وأراد ضربه ، فقال له الأحوص : دعنى ، فلا والله لا أهجو زبيراً أبداً ، فحله ، ثم قال : إني والله ما لمتك على مزحك، ولكن أنكرت قولك :

وفى بيته مثل الغزال المربب

وحدثت أن ابن أبي عتيق ذكر له أن المخنثين بالمدينة خُصُوا ، وأنه خُصِيَ الدُّلال فيهم، فقال : إنا لله ، أما والله لئن فعل ذلك به لقد كان يحسن :

لَمَنْ رُبِعٌ بِذَاتِ الْجِيْءِ — شِ أَمْسَى دَارَسَا خَلْقًا^(١)

ثم استقبل ابن أبي عتيق القبلة يصلى ، فلما كبر سلم ، ثم التفت إلى أصحابه، فقال: اللهم إنه كان يحسن خفيفه ، فأما ثقله فلا ، الله أكبر !!

وحدثت أن مدينياً كان يصلى منذ طلعت الشمس إلى أن قارب النهار أن ينتصف، ومن ورائه رجل يتغنى وهما فى مسجد رسول الله ﷺ ؟ فإذا رجل من الشرط قد قبض على الرجل فقال : أترفع عقيرتك بالغناء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! - فأخذه ، فانفتل المدينى من صلاته ، فلم يزل يطلب فيه حتى استنقذه، ثم أقبل عليه فقال: أتدرى لم شغعت فيك ؟ قال : لا، ولكن إخالك رحمتى ، قال : إذن فلا رحمنى الله! - قال : فأحسبك عرفت قرابة بيننا ؟ قال : إذن فقطعها الله قال : فليد تقدمت منى إليك؟ قال : لا والله ، ولا عرفتك قبلها ، قال : فخبرنى ؟ قال : لأنى سمعتك غنيت آنفا فأقمت واوات معبدٍ ، أما والله لو أسأت التادية لكنت أحد الأعوان عليك ! والصوت الذى ينسب إلى واوات معبدٍ شعرُ الأعشى الذى يعاتب فيه يزيد بن مسهر الشيباني ، وهو قوله :

هُوَيْرَةٌ وَدُعْمَا وَإِنْ لَامَ لَائِمٌ غَدَاةٌ غَدٍ أَمْ أَنْتَ لِلْبَيْنِ وَاجِمٌ
لَقَدْ كَانَ فِي حَوْلِ ثَوَاءِ ثَوِيْتِهِ تُقَضَّى لُبَانَاتٍ وَيَسَامُ سَائِمٌ^(٢)

(١) البيت من مجزوء الوافر وهو للأحوص فى الأغانى ٤ / ٢٧٣ .

(٢) البيتان من الطويل ، وهما للأعشى فى ديوانه ص ١٢٧ ، ولسان العرب ١١ / ١٦٤ (حلل) والرد على النحاة ص ١٠٣ ، وشرح أبيات سيويه ٢ / ٣٤٨ ، والكتاب ٤ / ٢٠٥ ، وبلا نسبة فى لسان العرب ١٤ / ٩٤١ (حرا) ، وجمهرة اللغة ص ٤٥٨ .

هريرة ودعها وإن لام لام

قوله :

منصوب بفعل مضمر ، تفسيره " ودعها " كأنه قال : " ودع هريرة " فلما اختزل الفعل أظهر ما يدل عليه ، وكان ذلك أجود من ألا يضمر ، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل ، فأضمر الفعل إذ كان الأمر به أحق ، وكذلك " زيداً اضربه " و " زيداً فأكرمه " وإن لم تضمر ورفعت جاز ، وليس في حسن الأول ، وترفعه على الابتداء وتُصير الأمر في موضع خبره . فأما قول الله جل وعز : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ وكذلك : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ فليس على هذا ، والرفع الوجه ؛ لأن معناه الجزاء ، لقوله : " الزانية " أى : التى تزنى ، فإنما وجب القطع للسرقة والجلد للزنا ، فهذا مجازاة ، ومن ثم جاز : الذى يأتينى فله درهم ، فدخلت الفاء لأنه استحق الدرهم بالإتيان ، فإن لم ترد هذا المعنى قلت : الذى يأتينى له درهم ، لا غير ، لم يستحق شيئاً ، كما تقول : زيد له درهم ، ولا يجوز : زيد فله درهم ، على هذا المعنى ولكن لو قلت : زيد فله درهم ، على معنى : هذا زيد فله درهم ، وهذا زيد فحسن جميل ، جاز ، على أن " زيداً " خبر ، وليس بابتداء ، وللاشارة دخلت الفاء ، وفى القرآن : ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانيةً فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ دخلت الفاء لأن الثواب دخل للإتفاق . وقد قرأت القراء : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا ﴾ ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا ﴾ بالنصب ، على وجه الأمر ، والوجه الرفع ، والنصب حسن فى هاتين الآيتين ، وما لم يكن فيه معنى جزاء فالنصب الوجه .

ويروى أن معبدًا بلغه أن قتيبة بن مسلم فتح خمس مداين ، فقال : لقد غنيت خمسة أصواتٍ هن أشد من فتح المداين التى فتحها قتيبة ، والأصوات :

ودّع هريرة إن الركب مُرْتَحِلٌ وهل تُطِيقُ وداعاً أيها الرَّجُلُ^(١)

ومنها قوله :

هُرَيْرَةٌ ودّعها وإن لام لائمٌ غداة غدٍ أم أنتَ للبينِ واجِمُ^(٢)

(١) البيت من البسيط وهو للأعشى فى الأغانى ١٧٧/٩

(٢) البيت من الطويل وهو للأعشى فى ديوانه ص ١٢٧ ، ولسان العرب ١١/١٦٤ (حلى) ، والرد على النحاة ص ١٠٣ ، وشرح أبيات سيويه ٢/٣٤٨ ، والكتاب ٤/٢٠٥ ، وبلا نسبة فى لسان العرب ١٤١/١٤ (جرأ) ، وجمهرة اللغة ص ٤٥٨ .

ومنها قوله :

رَأَيْتَ عَرَابَةَ الْأَوْسَى يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرْنِ^(١)

ومنه قوله :

وَدَّعْ لِبَابَةِ قَبْلَ أَنْ تَرْحَلَا وَاسْأَلْ فَإِنْ قَلِيلَهُ أَنْ تَسْأَلَا^(٢)

ومنها قوله :

لَعَمْرَى لَنْ شَطَّتْ بِعُثْمَةَ دَارُهَا لَقَدْ كُنْتُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ أَلِيحُ^(٣)

أما قوله : " ودع هريرة إن الركب مرتحل "

وقوله : " هريرة ودعها وإن لام لائم "

فلأعشى ، يعاتب فيهما يزيد بن مسهر الشيباني ، يقول :

أَبْلَغُ يَزِيدَ بَنَى شَيْبَانَ مَأْلَكَةً أَبَا ثُبَيْتٍ أَمَا تَنْفَكُ تَأْتِكُلُ

أَلَسْتُ مَمْتَهِيًا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتْنَا وَلَسْتُ ضَائِرَهَا مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ

كَسَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيْفْلَقَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنُهُ الْوَعِلُ^(٤)

ويقول في الأخرى يعاتبه أيضًا :

يَزِيدُ يَغْضُ الطَّرْفَ دُونِي كَأَنَّمَا زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَى الْحَاجِمِ

فَلَا يَنْبَسِطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى وَلَا تَلْقَنِي إِلَّا وَأَنْفَكَ رَاغِمِ

فَأُقْسِمُ إِنْ جَدَّ التَّقَاطِعَ بَيْنَنَا لَتَضْطَفِقَنَّ يَوْمًا عَلَيْكَ الْمَآثِمُ

وَتُلْفَى حِصَانٌ تَنْصُفُ ابْنَةَ عَمِّهَا كَمَا كَانَ يُلْفَى النَّاصِفَاتُ الْخَوَادِمُ

(١) البيت الوافر وهو للشماخ في ديوانه ص ٣٣٥ ، ولسان العرب ٢٨٤/٨ ، (قطع) ٤٦١/١٣ (يمن) ،

وتهذيب اللغة ٢٢١/٨ ، ٥٢٣/١٥ ، وكتاب العين ١٣٦/١ وتاج العروس ٤٣/٢٢ (قطع) .

(٢) البيت من الكامل وهو لعمر بن أبي ربيعة في الأغاني ٣٠٠/١ .

(٣) البيت من الطويل وهو لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة في الأغاني ١٧٣/٩ .

(٤) الأبيات من البسيط وهي للأعشى في ديوانه ص ١١١ ، وشرح التصريح ٦٦/١ ، وتاج العروس

(وعل) ، والمقاصد النحوية ٥٢٩/٣ ، وبلا نسبة في الأغاني ١٤٩/٩ ، وأوضح المسالك ٢١٨/٣ ، والرد

على النحاة ص ٧٤ وشرح الأشموني ٣٤١/٢ . وشرح شذور الذهب ص ٥٠١ ، وشرح ابن عقيل

ص ٤٢١ .

إذا اتصلت قالت : أَبْكَرَ بْنَ وائِلٍ وَبَكَرُ سَبْتِهَا وَالْأَنْوَفَ رَوَّاعِمٌ^(١)

وأما الشعر الثالث فللشماخ بن ضرار بن مرة بن غطفان ، يقوله لعرابة بن أوس بن قيطى الأنصارى :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو
إِذَا مَا رَايَةً رَفَعْتَ نَجْدِ
إِلَى الْخَيْرَاتِ مَنْقَطَعَ الْقَرِينِ
تَلْقَاهَا عَرَابَةً بِالْيَمِينِ
إِذَا بَغْلَتْنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي
عَرَابَةَ فَاشْرِقِي بَدَمِ الْوَتِينِ^(٢)

والرابع لعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، يقوله فى بعض الروايات :

وَدَّعْ لُبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا
فَعَسَى الَّذِي بَخَلْتُ بِهِ أَنْ يُبْذَلَا
لَسْنَا نُبَالَى حِينَ نَدْرُكُ حَاجَةً
إِنْ بَاتَ أَوْ ظَلَّ الْمَطْيُ مُعَقَّلَا^(٣)

والشعر الخامس لا أعرف قائله .

ولم يتغن معبد فى مدح قط إلا فى ثلاثة أشعار ، منها ما ذكرنا فى عرابة ، ومنها قول عبد الله بن قيس الرقيات فى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب :

تَقَدَّتْ بَى الشُّهْبَاءِ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ
سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا^(٤)

والثالث قول موسى شهوات فى حمزة بن عبد الله بن الزبير :

حَمْزَةُ الْمُبْتَاعِ بِالْمَالِ الثَّنَا
وَيَرَى فِى بَيْعِهِ أَنْ قَدْ غَبَنَ^(٥)

(١) الأبيات من الطويل ، وهو للأعشى فى ديوانه ص ١٢٩ ولسان العرب ٢٤٤/٨ (نقض)
٣٦٤/١٤ (زوى) ، وتهذيب اللغة ٣٤٥/٨ ، ٢٧٦/١٣ ، ١٨١/١٤ ، ومقاييس اللغة ٣٤/٣ ، وكتاب
العين ٥١/٥ ، ٣٩٦/٧ ، وتاج العروس (نقض) ، (زوى) ، وبلا نسبة فى لسان العرب ، (شبع)
وجمهرة اللاغة ص ٢٣٧ .

(٢) الأبيات من الوافر وهى للشماخ بن ضرار بن مرة فى الأغاني ١٩٦/٩ ، ١٩٧ .

(٣) الأبيات من الكامل وهى لعمر بن أبي ربيعة فى الأغاني ١ / ٣٠٠ .

(٤) البيت من الطويل وهو لابن قيس الرقيات فى الأغاني ٨٨/٥ .

(٥) البيت من الرمل وهو لموسى شهوات فى الأغاني ٣ / ٣٤٥ .

كان عبد الله بن قيس الرقيات منقطعاً إلى مصعب بن الزبير ، وكان كثير المدح له ، وكان يقاتل معه ، وفيه يقول :

إِنَّمَا مَصْعَبُ شِهَابٍ مِّنَ اللَّهِ لَهُ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
مُلْكُهُ مَلِكٌ قُوَّةٌ لَيْسَ فِيهِ جُبُوتٌ مِنْهُ وَلَا كِبَرِيَاءُ
يَتَّقَى اللَّهُ فِي الْأُمُورِ وَقْدَ أَفْ لَحَ مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْإِتْقَاءُ^(١)

قال أبو العباس : وله فيه أشعار كثيرة ، فلما قُتل مصعب كان عبد الملك على قتل عبد الله ، فهرب فلحق بعبد الله بن جعفر ، فشفع فيه إلى عبد الملك ، فشفعه في أن ترك دمه ، فقال : ويدخل إليك يا أمير المؤمنين فتسمع منه ، فأبى ، فلم يزل به حتى أجابه ، ففى ذلك يقول لعبد الله بن جعفر :

أَتَيْنَاكَ نَتْنَى بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَيْكَ كَمَا أَتْنَى عَلَى الرَّوْضِ جَارُهَا
تَقَدَّتْ بَى الشُّهْبَاءِ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
تَزُورُ فَتَنَى قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ تَجُودُ لَهُ كَفْ قَلِيلٌ غِرَارُهَا
فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ جَعْفَرٍ لَكَانَ قَلِيلًا فِي دِمَشْقَ قَرَارُهَا^(٢)
والشعر الذى مدح به عبد الملك :

عَادَ لَهُ مِنْ كَثِيرَةِ الطَّرَبِ فَعَيْنُهُ بِالْذُمُوعِ تَنْسَكِبُ^(٣)
وفيها يقول :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنَى أُمَيَّةَ إِلَّا لَا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ مَعْدِنُ الْمُلُوكِ فَلَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ
إِنَّ الْفَنَيْقَ الَّذِي أَبُوهُ أَبُو الْ- عَاصَى عَلَيْهِ الْوَقَارُ وَالْحُجُبُ
خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي رَعِيَّتِهِ جَفَّتْ بِذَاكَ الْأَقْلَامُ وَالْكَتَبُ
يَعْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَى جَبِينٍ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ^(٤)

(١) البيت من الخفيف وهو لابن قيس الرقيات فى الأغاني ٨٧/٥

(٢) الأبيات فى الطويل وهى لابن قيس الرقيات فى الأغاني ٨٨/٥ .

(٣) البيت من المنسرح وهو لابن قيس الرقيات فى الأغاني ٨٧/٥ ، ٩١ .

(٤) البيت من المنسرح وهو لابن قيس الرقيات فى الأغاني ٩٠/٥ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ .

فقال له عبد الملك : أتقول لمصعب :

إِنَّمَا مَصْعَبٌ شِهَابٌ مِّنَ اللَّـهِ تَجَلَّى عَن وَّجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

وتقول لى :

يَعْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مِفْرَقِهِ عَلَى جَبِينٍ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ؟

وأما شعر الشماخ فى عرابة فقد مر فى موضعه بحديثه .

وأما الشعر فى حمزة بن عبد الله بن الزبير فإنه لموسى شهوات ، وكان موسى قال

لمعبد : أقول شعراً وتتغنى به ، فما أعطاك من شىء فهو بيننا ! فقال هذا الشعر :

حَمْزَةُ الْمُبْتَاعِ بِالْمَالِ الثَّانِا وَيُرَى فِى يَبْعِهِ أَنَّ قَدْ غَبِنَ

وَهُوَ إِنْ أُعْطِيَ عَطَاءً كَامِلاً ذَا إِخْءٍ لَمْ يَكْدُرْهُ بِمَنْ

وَإِذَا مَا سَنَةِ مُجْجَفَةٍ بَرَّتِ الْمَالُ كَبَرَى بِالسَّفْنِ

حَسَرَتْ عَنْهُ نَقِيسَا عِرْضَتِهِ طَاهِرَ الْأَثْوَابِ مَا فِيهِ دَرَنُ

فأعطاه مالاً ، فقاسمه موسى .

* * *

باب

قال أبو العباس : قال عُبَيْةُ بْنُ شَمَّاسٍ :

إِنَّ أَوْلَى بِالْحَقِّ فِي كُلِّ حَقٍّ ثُمَّ أُخْرِىَ بِأَنْ يَكُونَ حَقِيقًا
مَنْ أَبَوْهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَا نَ وَمَنْ كَانَ جَدُّهُ الْفَارُوقَا^(١)
رَدُّ أَمْوَالِنَا عَلَيْنَا وَكَانَتْ فِي ذُرَى شَاهِقٍ تَفُوتُ الْأَنْوَقَا

يقولُ هذا الشعرُ في عمرَ بن عبدِ العزيز بن مروانَ ، وأمَّ عمرَ أمَّ عاصمِ بنتِ عاصمِ بنِ عمرَ بن الخطابِ رحمه الله .

و " الأنوق " الرِّحْمَةُ ، ولا يقال " أنوق " إلا للأنثى . ومن أمثال العرب : " هو أعزُّ من بيضِ الأنوق " . وتقول العرب لمن يطلبُ الأمرَ العسيرَ : سألتني بيضُ الأنوق ، وهو لا يكاد يوجد لبعدِ مطلبه وعُسْرِهِ ؛ فإن سألَه مُحالًا قال : سألتني الأبلقَ العقوقَ ،^(٢) وإنما هو الذَّكَرُ من الخيل ، ويقال : فرسٌ عقوقٌ : إذا حَمَلَتْ فامتلاً بطنها ، والأبلقُ العقوقُ نحالٌ .

وقال جرير يمدحُ عمرَ بن عبد العزيز :

مَا عَدَّ قَوْمٌ كَأَجْدَادِ تَعَدُّهُمْ مَرْوَانُ ذُو النُّورِ وَالْفَارُوقُ وَالْحَكَمُ
أَشْبَهَتْ مِنْ عُمَرَ الْفَارُوقِ سِيرَتَهُ فَاقَ الْبَرِيَّةَ وَاتَّمَّتْ بِهِ الْأُمَمُ
تَدْعُو قُرَيْشٌ وَأَنْصَارُ الرَّسُولِ لَهُ أَنْ يُمْتَعُوا بِأَبِي حَفْصٍ وَمَا ظَلَمُوا^(٣)
وفيه يقولُ أيضًا :

يَعُودُ الْحِلْمُ مِنْكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَتَفْرُجُ عَنْهُمْ الْكُرْبَ الشَّدَادَا
وَقَدْ أُمْنَتْ وَخَشَهُمْ بِرَفَقٍ وَيُعِيي النَّاسَ وَخَشُكَ أَنْ يُصَادَا
وَتَدْعُوا اللَّهَ مُجْتَهِدًا لِيَرْضَى وَتَذْكُرُ فِي رَعِيَّتِكَ الْمَعَادَا^(٤)

(١) الأبيات من الخفيف ، وهي لعتبة بن شماس في لسان العرب (فرق) ، وتاج العروس (فرق) .

(٢) انظر المستقصى ٢/٢٢٢ ، واللسان (أنق) .

(٣) الأبيات من البسيط ، وهي لجرير في شرح ديوانه ص ٣٨٤ . ط . دار الكتب بيروت

(٤) الأبيات من الوافر ، وهي لجرير في شرح ديوانه ص ١٠٥ . ط . دار الكتب بيروت .

وقال أيضاً - وكان ابنُ سَعْدٍ الازدي قد تَوَلَّى صَدَقَاتِ الأعرابِ وأعطياتهم ،

فقال جريرٌ يشكوه إلى عمرَ بن عبد العزيز - :

إِنَّ عِيَالِي لَا فَوَاحِيَةً عِنْدَهُمْ وَعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ سُكَّرٌ وَزَيِّبُ
وَقَدْ كَانَ ظَنِّي بِابْنِ سَعْدٍ سَعَادَةً وَمَا الظَّنُّ إِلَّا مُخْطِئٌ وَمُصِيبُ
فَإِنْ تُرْجِعُوا رِزْقِي إِلَيَّ فَإِنَّهُ مَتَاعٌ لَيْالٍ وَالْأَدَاءُ قَرِيبُ
تَحْنِي الْعِظَامُ الرَّاجِفَاتُ مِنَ الْبَلَى وَلَيْسَ لِدَاءِ الرُّكْبَتَيْنِ طَيِّبُ^(١)
وفيه أيضاً يقول لما نَعِيَ :

نَعِيَ النُّعَاةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَاعْتَمَرَ
حُمِلَتْ أَمْرًا جَسِيمًا فَاضْطَلَعَتْ بِهِ وَقُمْتَ فِيهِ بِحَقِّ اللَّهِ يَا عُمَرَا
فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا^(٢)

قوله " يا عمرًا " نُدْبَةٌ ، أراد " يا عُمَرَاهُ " وإنما الألفُ للندبة وحدها ، والهاءُ تزاوُ
في الوقف لَخفاءِ الألفِ ، فإذا وصَلَتْ لم تَزِدْها ، تقولُ : " يا عمرًا ذا الفضلِ " فإذا وقفتَ
قلتُ : " يا عُمَرَاهُ " فحذَفَ الهاءُ في القافية لاستغنائِهِ عنها .

وأما قوله : " نجومُ الليلِ والقمرَا " ففيهِ أَقَاوِيلُ كُلُّهَا جيّدٌ : فمنها : أنْ تَنْصِبَ "
نجومُ الليلِ والقمرَ " بـ " كاسِفةٍ " يقولُ : الشمسُ طالعةٌ ليست بكاسِفةٍ نجومَ الليلِ والقمرَ ،
يقولُ : إنما تكسفُ النجومَ والقمرَ بِإِفْرَاطِ ضِيَائِهَا ، فإذا كانتْ مِنَ الحُزْنِ عَلَيْهِ قد ذَهَبَ
ضِيَاؤُهَا ظهرتِ الكواكبُ . ويقالُ : إِنَّ الْعُبَارَ يَوْمَ حَلِيمَةَ سَدَّ عَيْنَ الشَّمْسِ فَظَهَرَتْ
الكواكبُ الْمُتَبَاعِدَةُ عَنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ ، ويومُ حَلِيمَةَ هو اليومُ الَّذِي سَارَ فِيهِ الْمُنْذِرُ بْنُ

(١) الأبيات من الطويل وهي لجرير في ديوانه ص ٤٠ ، ٤١ . ط . دار الكتب بيروت .

(٢) الأبيات من البسيط ، وهي لجرير في ديوانه ص ٧٣٦ ، والدرر ٤٢/٣ ، وشرح التصريح
١٨١ ، ١٦٤/٢ ، وشرح شواهد المغنى ٧٩٢/٢ ، وشرح عمدة الحفاظ ص ٢٨٩ ، والمقاصد النحوية
٢٢٩/٤ ، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٩/٤ ، وشرح الأشموني ٤٤٢/٢ ، وشرح قطر الندى ص
٢٢٢ ، ومغنى اللبيب ٣٧٢/٢ ، وجمع الهوامع ١٨٠/١ .

المنذرِ بِعَرَبِ الْعِرَاقِ إِلَى الْحَارِثِ الْأَعْرَجِ الْغَسَّانِيِّ ، وَهُوَ الْأَكْبَرُ - وَالْحَارِثُ فِي عَرَبِ الشَّامِ ، وَهُوَ أَشْهُرُ أَيَّامِ الْعَرَبِ ، وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : " مَا يَوْمُ حَلِيمَةَ بِسِيرٌ " ^(١) وَفِيهِ يَقُولُ النَّابِغَةُ ^(٢) :
تُخَيِّرُنْ مِنْ أَرْزَامِ يَوْمِ حَلِيمَةَ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّئْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ
وَأُظُنُّ قَوْلَ الْقَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ : " لِأُرَيْتَكَ الْكَوَاكِبَ ظُهُرًا " إِنَّمَا أَخَذَ مِنْ يَوْمِ
حَلِيمَةَ ، قَالَ طَرَفَةُ ^(٣) :

إِنْ تَنَوَّلْتَهُ ^(٤) فَقَدْ تَمَنَعْتَهُ وَتَرِيهِ النُّجُومَ يَجْرِي بِالظُّهْرِ

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ ^(٥) لِحَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ :

لَعَمْرِي لَقَدْ سَارَ ابْنُ شَيْبَةَ سِيرَةً أَرْتَكَ نُجُومَ اللَّيْلِ مُظْهِرَةً تَجْرِي

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ " نُجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا " أَرَادَ بِهِمَا الظُّرْفَ ، يَقُولُ : تُبْكِي الشَّمْسُ
عَلَيْكَ مَدَّةَ نُجُومِ اللَّيْلِ وَالْقَمَرِ ، كَقَوْلِكَ : تُبْكِي عَلَيْكَ الدَّهْرَ وَالشَّهْرَ ، وَتُبْكِي عَلَيْكَ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ يَا فَتَى .

وَيَكُونُ : تُبْكِي عَلَيْكَ الشَّمْسُ لِلنُّجُومِ ، كَقَوْلِكَ : أَبْكَيْتُ زَيْدًا عَلَى فُلَانٍ .

وَقَالَ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَحَدُ الْمُحَدِّثِينَ شَيْئًا مَلِيحًا ، وَهُوَ أَحْمَدُ أَخُو أَشْجَعِ السُّلَمِيِّ ،
يَقُولُ لِنَصْرِ بْنِ شَبَّثٍ الْعُقَيْلِيِّ ، وَكَانَ أَوْقَعَ بِقَوْمٍ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ . مَوْضِعٌ يُعْرَفُ بِالسَّوَاكِيرِ ،
فَقَالَ :

لِلَّهِ سَيْفٌ فِي يَدَيْ نَصْرِ فِي حَذِّهِ مَاءُ الرَّدَى يَجْرِي

(١) انظر أمثال الضبى ١٦٩ ، وأمثال أبي عبيد ٩٢ ، وجمهرة الأمثال ٢/٢٧٣ ، وجمع الأمثال ٢/٢٧٢ ، والمستقصى ٢/٣٤٠ ، وفصل المقال ١٢٧ . وفي أوس : " ومن أمثالهم في الأمر الفاشي : ما يوم الخ " .

(٢) البيت من الطويل ، وهو للنابغة في ديوانه ص ٣٢ . ط . دار الكتب العلمية . .

(٣) البيت من الرمل ، وهو لطرفة في ديوانه ص ٥٢ ، وتهذيب اللغة ١٠ / ٤٠٣ ، ١٥ / ٣٧١ ،
وجمل اللغة ٨ / ٣٣٢ ، وأساس البلاغة (نول) وقاج العروس (نول) ، وبلا نسبة في لسان العرب
(نول) .

(٤) (تنولة) : يريد تنول عاشقها من لذيذ ثغرها . رغبة الأمل ٦/٤٨ .

(٥) ديوانه ١/٣٠١ .

أَوْقَعَ نَصْرٌ بِالسَّوَاجِرِ مَا لَمْ يُوقِعِ الْجَحَافُ بِالْبِشْرِ
أَبْكَى بَنِي بَكْرِ عَلَى تَغْلِبِ وَتَغْلِبَا أَبْكَى عَلَى بَكْرِ

ويكون " تَبْكَى عليك نجومُ الليل والقَمَرَا " على أن تكونَ الواوُ في معنى " مَعَ " ،
وإذا كَانَتْ كذلك فَكَانَ قَبْلَ الاسمِ فِعْلٌ نَصَبَتْ ؛ لَأَنَّهُ فِي المعنى مَفْعُولٌ وَصَلَ الفِعْلُ إِلَيْهِ
فَنَصَبَهُ ، ونظيرُ ذلك " اسْتَوَى المَاءُ وَالْخَشْبَةُ " يَا فَتَى ؛ لَأَنَّهُ لَمْ يُرَد : اسْتَوَى المَاءُ وَاسْتَوَتْ
لِخَشْبَةُ ، ولو أَرَادَ ذلك لَمْ يَكُنْ إِلَّا الرَفْعُ ، وَلَكِنَّ التَّقْدِيرَ : سَاوَى المَاءُ الْخَشْبَةَ ، وَكَذَلِكَ "
مَا زِلْتُ أَسِيرُ وَالنَّيْلُ " يَا فَتَى ؛ لَأَنَّكَ لَسْتَ تُخْبِرُ عَنِ النَّيْلِ بِسَيْرٍ ، وَإِنَّمَا تَرِيدُ أَنَّ سَيْرَكَ
بِحِذَائِهِ وَمَعَهُ ، فَوَصَلَ الفِعْلُ ، وَهَذَا بَابٌ يَطْوِلُ شَرْحُهُ . فَإِنْ قُلْتَ " عَبْدُ اللَّهِ وَزَيْدٌ
أَخَوَاك " وَأَنْتَ تَرِيدُ بِالْوَاوِ مَعْنَى " مَعَ " لَمْ يَكُنْ إِلَّا الرَفْعُ ؛ لِأَنَّ الاسمَ قَبْلَهَا مُبْتَدَأٌ ، فَهِيَ
عَلَى مَوْضِعِهِ .

وَأَجُودُ التَّفْسِيرِ عِنْدَنَا فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ ^(١)
أَنْ تَكُونَ الْوَاوُ فِي مَعْنَى " مَعَ " لِأَنَّكَ تَقُولُ: " أَجْمَعْتُ رَأْيِي وَأَمْرِي " وَ " جَمَعْتُ الْقَوْمَ "
فَهَذَا هُوَ الْوَجْهَ ، وَقَوْمٌ يَنْصَبُونَهُ عَلَى دُخُولِهِ بِالشَّرْكَاءِ فِي مَعْنَى الْأَوَّلِ ، فَيَجْعَلُونَهُ كَقَوْلِ
الْقَائِلِ :

يَا لَيْتَ زَوْجَكَ ^(٢) قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا ^(٣)

وَالرَّمْحُ لَا يُتَقَلَّدُ ، وَلَكِنْ أَدْخَلَهُ مَعَ مَا يُتَقَلَّدُ ، فَتَقْدِيرُهُ : مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَحَامِلًا رُمْحًا ،
وَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْآيَةِ : فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَأَعِدُّوا شُرَكَاءَكُمْ ، وَالْمَعْنَى يُؤْوِلُ إِلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ .
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

(١) سورة يونس : ٧١ . وانظر تفسير غريب القرآن ١٩٨ ، وتفسير القرطبي ٣٦٢/٨ ، والبحر
١٧٨/٥ .

(٢) يرويه بعضهم " ورأيت بعلك في الوغى .

(٣) البيت من مجزوء الكامل ، وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ١٠٨/٢ ، ٢٣٨ / ٦ ، وأمالى
المترضى ٥٤/١ ، والإنصاف ٦١٣/٢ ، وخزانة الأدب ٢٣١/٢ ، ١٤٢/٣ ، والخصائص ٤٣١/٢ ،
وشرح شواهد الإيضاح ١٨٢ ، وشرح المفصل ٥٠/٢ ، ولسان العرب (رغب) ، (زجج) ، (مسح) ،
(قلد) ، (جدع) ، (هدى) ، والمقتضب ٥١/٢ .

شَرَابُ أَلْبَانٍ وَتَمَرٍ وَأَقِطٌ^(١)

فَأَمَّا مَا جَاءَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى هَذَا خَاصَّةً فَقَوْلُهُ جَلٌّ وَعَزٌّ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ ^(٢) فَأَدْخَلَ " مَنْ " هَاهُنَا ، لِأَنَّ النَّاسَ مَعَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ، فَجَرَتْ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ ، وَلَا تَكُونُ " مَنْ إِلَّا لَمَّا يَعْقِلُ إِذَا أَفْرَدَتْهَا .
* * *

وَقَالَ رَجُلٌ لِعَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَشْكُو إِلَيْهِ عُمَالَهُ :
إِنَّ الَّذِينَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَغْدُلُوا نَبَذُوا كِتَابَكَ وَاسْتُجِلَّ الْمَحْرَمُ
وَأَرَدْتَ أَنْ يَلِيَ الْأَمَانَةَ مِنْهُمْ بَرٌّ ، وَهِيَهَاتِ الْأَبْرُ الْمُسْلِمُ
طَلَسُ الثِّيَابِ عَلَى مَنَابِرِ أَرْضِنَا كُلُّ بِنْقَصٍ نَصِيبًا يَتَكَلَّمُ
أَنْشَدْنِيهِ الرِّيَاشِيُّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ .

وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُ ابْنِ هَمَّامٍ السَّلُولِيِّ :
إِذَا نَصَبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسَنُوا وَلَكِنْ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفِعْلُ
وَذَمُّوا لَنَا الدُّنْيَا وَهُمْ يَرْضَعُونَهَا أَفَاقِيقَ حَتَّى مَا يَدْرُهَا تُغَلُّ^(٣)

وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ هَذَا الشَّعْرِ .

وَالْأَطْلَسُ " : الْأَغْبَرُ ، وَرُبَّمَا اشْتَدَّتْ غُبْرَتُهُ حَتَّى يَخْفَى فِي الْغُبَارِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ " : طَلَسُ الثِّيَابِ " أَنَّهُمْ يُظْهِرُونَ تَقَشُّفًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الذُّنَابِ ، وَهُوَ أَحْسَنُ .

* * *

وَيُرْوَى أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَّى رَجُلًا بَلَدًا ، فَوَفَدَ عَلَيْهِ ، فَجَاءَهُ مُدَّهِنًا حَسَنَ الْحَالِ فِي جِسْمِهِ ، عَلَيْهِ بُرْدَانٌ ، فَقَالَ لَهُ عَمَرُ : أَهَكَذَا وَلِيِّنَاكَ ؟ ثُمَّ عَزَلَهُ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ غُتَيْمَاتٍ يَرَعَاهَا ، ثُمَّ دَعَا بِهِ بَعْدَ مُدَّةٍ فَرَأَاهُ بِأَلْيَا أَشْعَثَ فِي ثَوْبَيْنِ أَطْلَسَيْنِ ، وَذَكَرَ عِنْدَ

(١) الرجز بلا نسبة في الإنصاف ٦١٣/٢ ، ولسان العرب (زجج) (طفل) والمقتضب (٥١/٢) .

(٢) النور : ٤٥ .

(٣) سبق تخريج البيتين .

عمرَ بخيرٍ ، فردّه إلى عمله ، وقال : كُلُوا واشربوا وادّهنوا ، فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِي تُنْهَوْنَ عنه .

ويروى عن الحسن أنه قال : اقْرَبُوا من هذه الأعراد ، فَإِنَّهُمْ إِذَا رَقَوْهَا لَقِنُوا الحُكْمَةَ ، لتكونَ عليهم حُجَّةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وقال رجلٌ لعمر بن عبد العزيز يرثيه ، أنشدنيه الرّياشيُّ :

قد غَيَّبَ الدَّفِنُونَ اللَّحْدَ إِذْ دَفَنُوا بَدِيرِ سَمْعَانَ قُسْطَاسَ الْمَوَازِينِ

مَنْ لَمْ يَكُنْ هَمُّهُ عَيْنًا يُفَجِّرُهَا وَلَا النَخِيلَ وَلَا رَكْضَ الْبَرَازِينِ

أَقُولُ لَمَّا أَتَانِي ثُمَّ مَهْلِكُهُ : لَا يَبْعَدَنَّ قِوَامُ الْمَلِكِ وَالَّذِينَ^(١)

يقالُ : " هذا قِوَامُ الأمرِ ومِلاكُهُ " لا غيرُ ، وتقولُ : " فلانٌ حَسَنُ الْقِوَامِ " مفتوحٌ ، تريدُ بذلك الشُّطَّاطَ ، لا يكونُ إلا ذاك .

و "قِوَامٌ" إذا كان اسماً لم تنقلبْ واؤه ياءً من أجل الكسرة لأنها متحركة ، إلا أن يكونَ جمعاً قد كانت الواو في واحده ساكنة ، فتتقلب في الجمع ؛ لأن حركتها لعلّة تقول " سَوَطٌ و سِيَّاطٌ " و " ثَوْبٌ وَثِيَابٌ " و " حَوْضٌ وَحِيَاضٌ " فإن كانت في الواحد متحركة ثَبَّتَتْ في الجمع ، نحو " طَوِيلٌ وَطُيُولٌ " . وكذلك " فِعَالٌ " إذا كان مصدرًا صَحَّ إذا صَحَّ فعله ، واعتَلَّ إذا اعتَلَّ فعله ، فما كان مصدرًا لـ " فاعَلْتُ " فهو " فِعَالٌ " صحيحٌ ، تقول : " قَارَلْتَهُ قِرَالًا " و " لَأَوَدْتَهُ لِرَاذًا " كقول الله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمُ لِوَإْدًا ﴾^(٢) أي " مُلَاوَذَةً " وإذا كان مصدرٌ " فَعَلْتُ " اعتَلَّ لاعتلالِ الفعلِ ، فقلتُ : " قَمْتُ قِيَامًا " و " نِمْتُ نِيَامًا " و " لُذْتُ لِيَاذًا " و " عَذْتُ عِيَاذًا "

* * *

(١) الأبيات من البسيط ، والأول والثالث في تاريخ الطبرى ١٠١/٤ ولفظهما :

أقول لما نعى الناعسون لى عمرا لا يبعدن قوام العدل والدين
قد غادر القوم باللحد الذى لحدوا بدير سمعان قسطن الموازن

(٢) سورة النور : ٦٣ .

وقال عُؤَيْفُ الْقَوَافِي شعراً يرثي سليمانَ بنَ عبد الملك ، ويذكر عمرَ بنَ

عبد العزيز ، هذا ما اخترنا منه :

لَا حَ سَحَابٌ فَرَأَيْنَا بَرْقَهُ	ثُمَّ تَدَانَى فَسَمِعْنَا صَعْقَهُ
وَرَا حَتِ الرِّيحُ تُزَجِّي بُلْقَهُ	وَدُهِمَهُ ثُمَّ تُزَجِّي وَرْقَهُ
ذَاكَ سَقَى وَذَقَا فَرَوَى وَذَقَهُ	قَبَرَ امْرِئٍ أَغْظَمَ رَبِّي حَقَّهُ
قَبَرَ سُلَيْمَانَ الَّذِي مَنَ عَقَّهُ	وَجَحَدَ الْخَيْرَ الَّذِي قَدَ بَقَّهُ
فِي الْعَالَمِينَ جَلَّهْ وَدِقَّهْ	لَمَّا ابْتَلَى اللَّهَ بِخَيْرِ خَلْقِهِ
وَكَادَتِ النَّفْسُ تُسَاوِي حَلْقَهُ	أَلْقَى إِلَى خَيْرِ قَرِيشٍ وَسَقَّهُ
يَا عَمَرَ الْخَيْرِ الْمَلْقَى وَفَقَّهُ	سُمِّيَتْ بِالْفَارُوقِ فَافْرُقْ فَرَقَهُ
وَارْزُقْ عِيَالَ الْمُسْلِمِينَ رَزَقَهُ	وَاقْصِدْ إِلَى الْخَيْرِ وَلَا تَوَقَّهْ
بَخْرَكَ عَذْبُ الْمَاءِ مَا أَعَقَّهُ	رُبُّكَ ، وَالْمَخْرُومُ مَنْ لَمْ يُسَقَّهُ

يقالُ : " لَاحَ البرقُ " : إذا بَدَأَ ، و " أَلَا حَ " : إذا تَلَأَلَ ، وهذا البيت يُنشدُ :

مَنْ هَاجَهُ اللَّيْلَةُ بَرْقُ الْأَخِ

ويقالُ : " شَرَقَتِ الشَّمْسُ " : إذا بَدَتْ و " أَشْرَقَتْ " : إذا أَضَاءَتْ وَصَفَتْ .

ويقالُ " صَاعِقَةٌ " و " صَاقِعَةٌ " وينو تَمِيمٌ يقولون " صَاقِعَةٌ " . و " الصَّعْقُ "

شِدَّةُ الرَّعْدِ ، ويُعْنَى به في أَكْثَرِ ذَلِكَ : مَا يَغْثَرِي مَنْ يَسْمَعُ صَوْتَ الصَّاعِقَةِ .

وقوله : " تُزَجِّي " يقول : تَسُوِّقُهُ وَتَسْتَحِثُّهُ .

و " الْأَبْلَقُ " من السحاب : ما فيه سَوَادٌ وَبَيَاضٌ ، وفي الخيلِ : كُلُّ لَوْنٍ يَخَالِطُهُ

بَيَاضٌ فَهُوَ " بَلَقٌ " ^(١) .

و " الْأَوْرَقُ " : الذي بين الْخَضْرَاءِ وَالسَّوَادِ ، وهو الْأَلْمُ الْوَانِ الْإِبِلِ ، ويقالُ : إِنَّ

لَحْمَ الْبَعِيرِ الْأَوْرَقِ أَطْيَبُ لَحْمَانِ الْإِبِلِ .

(١) قال الشيخ المرصفي : " هذا مما تفرد به أبو العباس . والمعروف عند أهل اللغة أجمع أن البلق في

الدابة سواد وبياض كالبقرة بالضم ، وقال ابن سيده : البلق والبلقة : ارتفاع التحجيل إلى الفخذين "

رغبة الآمل ٥٦/٦ . وانظر اللسان (بلق) .

و "الْوَدْقُ" : المطرُ ، يقال " وَدَقَتِ السَّمَاءُ يَا فَتَى تَدِقُّ وَدَقًا " ، قال الله جلَّ وعزَّ " ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ ^(١) وقال عامرُ بنُ جُوَيْنٍ الطائيُّ ^(٢) :

فلا مُزْنَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا ولا أَرْضٌ أَبْقَلَ إِنْقَالَهَا

وأصلُ " العَقُّ " : القَطْعُ في هذا الموضع ، ولِلْعَقِّ مواضعُ كثيرةٌ ، يقال : " عَقَّ والديه يَعْقُهُمَا " : إذا قَطَعَهُمَا ، و " عَقَقْتُ عَنْ الصَّبِيِّ " مِنْ هَذَا ^(٣) ، وقالوا : بل هو من " الْعَقِيقَةِ " وهو الشَّعْرُ الذي يُولَدُ به ، يقال : " فلانٌ بَعِيقَتِهِ " إذا كان بشعرِ الصَّبِيِّ لم يَحْلِقْهُ ^(٤) ، ويقال : " سيفٌ كأنَّهُ عَقِيقَةُ بَرْقٍ " أي كأنَّهُ لَمْعَةُ بَرْقٍ ، ويقال " رَأَيْتُ عَقِيقَةَ الْبَرْقِ " يا فَتَى ! أي اللَّمْعَةَ منه في السحابِ ، ويقال : " فلانٌ عَقَّتْ تَمِيمَتُهُ ببلدٍ كذا " أي قُطِعَتْ عنه في ذلك الموضع ، قال الشاعر ^(٥) :

ألم تَعْلَمِي يا دَارَ بَلْجَاءَ ^(٦) أَنْبِي إِذَا أَخَصَّبْتَ أَوْ كَانَ جَدَّبًا جَنَابُهَا
أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مُشْرِفٍ ^(٧) إِلَيَّ وَسَلَمَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا
بِلَادٌ بِهَا عَقُّ الشُّبَابِ تَمِيمَتِي وَأَوَّلُ أَرْضِ مَسِّ جِلْدِي تُرَائِبُهَا
وقوله : " وَجَحَدَ الْخَيْرَ الَّذِي قَدْ بَقَّه "

(١) سورة النور : ٤٣ . وسورة الروم : ٤٨ .

(٢) البيت من شواهد الكتاب ٢٤٠/١ ، والخزانة ٢١/١ ، والمذكر والمؤنث للمبرد ١١٢ ، وشرح أبيات مغنى اللبيب ١٧/٨ وسأتى البيت .

(٣) قال المصنفى : " يريد ذبحت عنه يوم سابع ولادته شاة تسمى أيضًا بالعقيقة ... " رغبة الآمل ٥٧/٦ .

(٤) قال الشيخ المصنفى : " فيكون معناه حلقت شعره يوم السابع فقطعتة فجعلوا الشعر أصلًا والشاة المذبوحة مشتقة منه يريدون أنها سميت باسم غيرها إذ كانت معه أو مسببة عنه وذلك أنه تذبح عند حلق الشعر " رغبة الآمل ٥٧/٦ اهـ .

(٥) الأبيات لرفاع بن قيس الأسدي أو لأبى النضير الأسدي أو لامرأة طائية . انظر تحريجها فى سمط اللآلى ٢٧٢ . وسأتى الأبيات .

(٦) (بلجاء) من البلج " بالتحريك " وهو تباعد ما بين الحاجبين وجنابها بالفتح ما حولها رغبة الآمل ٥٨/٦ .

(٧) و " مشرف " رمل بالدهناء . انظر معجم البلدان ١٣٢/٥ . ورواية البيت : " ما بين منعج " . انظر معجم البلدان ٢١٢/٥ ، وسمط اللآلى .

يقال : " بَقِيَ " فلانٌ في الناس خيراً كثيراً ، و " أَبَقَ " كلاماً كثيراً .

وقوله : أَلْقَى إِلَى خَيْرٍ قَرِيشَ وَسَقَهْ

فهذا مثلٌ ، يريد : قَلَدَهُ أمره ، و " الْوَسَقُ " الْحِمْلُ .

وقوله : " الْمَلَقَى وَفَقَهُ " يقال : " لُقِيَ فلانٌ خيراً " أي جُعِلَ يَلْقَاهُ ، و " الْوَسَقُ "

من الكيل : مقدارُ خمسة أَقْفَزةَ بَقْفِيزِ البصرة ، وهي قَفِيزَانِ ونصفٌ بَقْفِيزِ مَدِينَةِ السَّلَامِ .

وقوله : " ليس في أَقْلٍ من خمسة أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ " ^(١) إنما يبلغُ ذلك خمسة وعشرين قَفِيزاً بَقْفِيزِ البصرة . و " الْوَفَقُ " التوفيقُ .

وقوله : " سُمِّيتَ بالفاروق " فتأويلُ " الفاروق " : الذي يَفَرِّقُ بين الحقِّ والباطلِ ،

وكذلك قال المفسرون في " الْفُرْقَانِ " وقد أبان ذلك بقوله : " فافرقْ فَرَقَهُ " .

وقوله : وَاَرْزُقْ عِيَالَ الْمُسْلِمِينَ رَزَقَهُ

يقال : " رَزَقَهُ يَرْزُقُهُ رَزْقاً " والاسمُ " الرَّزْقُ " .

وقوله : بَحْرُكَ عَذْبُ الْمَاءِ مَا أَعَقَّهُ

مقلوبٌ ، إنما هو " مَا أَعَقَّهُ رَبُّكَ " . يقال : " ماءٌ قُعَاعٌ " و " ماءٌ حُرَاقٌ "

فـ " الْقُعَاعُ " : الشَّدِيدُ الْمُلُوحَةِ ، يقولُ : مَا أَمْلَحَهُ رَبُّكَ ، و " الْحُرَاقُ " : الذي يُحْرِقُ كُلَّ

شيءٍ بِمُلُوحَتِهِ ، والماءُ الْعَذْبُ يُقالُ له : النُّقَاحُ " وما دونُ ذلك شيئاً يُقالُ له :

" الْمُسْوَسُ " أنشد أبو عبيدة ^(٢) :

لَوْ كُنْتُ مَاءً كُنْتُ لَا عَذْبَ الْمَذَاقِ وَلَا مَسْوَسًا

يقالُ : " ماءٌ عَذْبٌ " و " ماءٌ فُرَاتٌ " وهو أَعَذْبُ الْعَذْبِ ، ويقالُ : " ماءٌ مِلْحٌ "

ولا يُقالُ " مَالِحٌ " وَسَمَكٌ مَمْلُوحٌ وَمِلِيحٌ " ولا يُقالُ : " مَالِحٌ " وأشدُّ الماءِ مِلُوحَةً يُقالُ

له : " الْأَجَاجُ " قال الْفَرَزْدَقُ :

وَلَوْ أَسْقَيْتَهُمْ عَسَلًا مُصَفًّى بِمَاءِ النَّيْلِ أَوْ مَاءِ الْفُرَاتِ

لَقَالُوا إِنَّهُ مِلْحٌ أَجَاجٌ أَرَادَ بِهِ لَنَا إِحْدَى الْهَنَاتِ ^(٣)

(١) انظر مجاز القرآن ٤٠/١ وتفسير ابن كثير ١٣٠/١ ، وتفسير القرطبي ٣٨٧/١ .

(٢) في مجاز القرآن ٧٧/٢ ، والبيت لدى الإصبع العدواني . وهو من كلمة له في الأغاني ١٠٢/٣ .

(٣) (الهَنَات) جمع هنت " بسكون النون " والتاء بدل من الواو يدللك على هذا قولهم في الجمع هَنَات وهي الخصلات من الشر . رغبة الأمل ٦٠/٦ .

وقوله : ذَاكَ سَقَى وَدَقَّا فَرَوَى وَدَقَّةُ

فيه قولان : أحدهما : فَرَوَى وَدَقَّةُ ، يريدُ : من وَدَقِهِ ، فلَمَّا حَذَفَ حَرْفَ الْجُرِّ عَمِلَ الْفِعْلُ ، وَالْآخَرُ أَنَّهُ يُقَالُ : " رَوَيْتُ زَيْدًا مَاءً " و " أَرَوَيْتُ " ، و " رَوَيْتُ " أَكْثَرُ مِنْ " أَرَوَيْتُ " ؛ لِأَنَّ " رَوَيْتُ " لَا يَكُونُ إِلَّا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ^(١) . يَقُولُ : " فَرَوَى اللَّهُ وَدَقَّةً " أَي جَعَلَهُ رَوَاءً ، فَأَضْمَرَ لَعَلَّ الْمَخَاطَبِ ، وَنَظِيرَهُ . قَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ ^(٢) . وَلَمْ يَذْكُرِ الشَّمْسَ ، وَكَذَلِكَ : ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ ^(٣) . وَلَمْ يَذْكُرِ الْأَرْضَ . فَقَوْلُهُ : " لَاحَ سَحَابٌ " إِنَّمَا مَعْنَاهُ : أَلَا حَهُ اللَّهُ ، فَالْفَاعِلُ كَالْمَذْكُورِ ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى عَلَيْهِ . وَقَالَ قَوْمٌ : " وَدَقَّةُ " يَرِيدُ وَدَقَّةً وَاحِدَةً ، وَهَذَا رَدِيٌّ فِي الْمَعْنَى ، لَيْسَ بِمُبَالِغٍ .

وقال ابن الموصلي :

لَعَمْرِي لَيْسَ خُلْتُ ^(٤) عَنْ مَنَهْلِ الصَّبَى	لَقَدْ كُنْتُ وَرَّادًا لِمَشْرِيبِ الْعَذْبِ
لِيَالِي أَمْشِي بَيْنَ بُرْدَيَّ لَاهِيَا	أَمِيسُ كُفْصَنِ الْبَانَةِ النَّاعِمِ الرُّطْبِ
سَلَامٌ عَلَى سَيْرِ الْقَلَاصِ مَعَ الرُّكْبِ	وَوَصَلِ الْغَوَانِي وَالْمَدَامَةِ وَالشُّرْبِ
سَلَامٌ أَمْرِي لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةُ	سَيَوَى نَظَرَ الْغَيْنِينَ أَوْ شَهْوَةَ الْقَلْبِ

قوله : و " الشُّرْبُ " يريد جمع " شارب " يقال : " شاربٌ وشُرْبٌ " و " تاجرٌ وتَجَرٌ " و " رَاكِبٌ وَرَكْبٌ " و " زَائِرٌ وَزَوْرٌ " قَالَ الطَّرِمَاحُ :

حَبٌّ بِالزَّوْرِ ^(٥) الَّذِي لَا تُرَى مِنْهُ إِلَّا صَفْحَةٌ عَنْ لِمَامٍ

وهذا بابٌ متصلٌ كثيرٌ . قَالَ الْعَجَّاجُ :

بِوَأَسِطٍ أَكْثَرُمُ دَانَ دَارًا وَاللَّهُ سَمَّى نَصْرَكَ الْأَنْصَارًا ^(٦)

يريد أنصارك ، فَأَخْرَجَهُ عَلَى " نَاصِرٍ وَنَصِيرٍ " .

(١) وذلك لأنَّ فَعَلَ تَفِيدُ التَّكْثِيرَ وَالتَّكْرِيرَ

(٢) سورة ص : ٣٢

(٣) سورة فاطر : ٤٥

(٤) (خلت) : منعت يقال يقال حلأ الإبل والماشية عن الماء تحليماً وتحلته حبسها ومنعها أن تردده . رغبة الأمل ٦١/٦ .

(٥) (الزور) : إنما يريد الطرماح بالزور المصدر مراداً به الزائر لا الجمع وحباً يحب (بفتح الحاء فيهما) بمعنى أحبب به . رغبة الأمل ٦١/٦ .

(٦) سبق البيت وتخريجه

وقوله: "سلامُ امرئٍ" على البدل من قوله: "سلامٌ على سَيْرِ القِلاصِ" وإن شئتَ نصبتَ بفعل مضمر، كَأَنْكَ قُلْتَ: أَسَلِمَ سَلَامَ امرئٍ، لأنك ذكرتَ سلاماً أولاً، ومثلاً ذلك "له صَوْتُ صَوْتِ حمارٍ" لأنك لما قلتَ "له صَوْتُ" دللتَ على أنه يُصَوْتُ، فكأنك قلتَ: يصوْتُ صَوْتُ حمارٍ، وكذلك "له حَيْنٌ حَيْنٌ نَكَلَى" و:

له صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْرِ^(١) بالمَسَدِ

أي: يَصْرِفُ صَرِيفاً فما كان من هذا نكرةً فنصبه على وجهين: على المصدر، وتقديره: يَصْرِفُ صَرِيفاً مثلَ صَرِيفِ القَعْرِ، وإن شئتَ جعلته حالاً، وتقديره: يُخْرِجُهُ في هذه الحال، وما كان معرفةً لم يكن حالاً؛ ولكن على المصدر، فإن كان الأولُ في غير معنى الفعل لم يكن النصبُ البتة، ولم يَصْلُحْ إلا الرفعُ على البدل، تقول: "له رأسُ رأسُ ثورٍ"، و"له كفٌ كفٌ أسدٍ" فالمرتفعُ الثاني إذا كان نكرةً كان بدلاً أو نعتاً، وإذا كان معرفةً كان بدلاً ولم يكن نعتاً؛ لأن النكرة لا تُنعتُ بالمعرفة، وكذلك إذا كان الأولُ ابتداءً لم يَجْزُ إلا الرفعُ؛ لأن الكلامَ غيرُ مُستغنٍ، وإنما يجوزُ الإضمارُ بعد الاستغناء، تقول: "صوتهُ صوتُ الحمارِ" و"غناؤُهُ غِنَاءُ المُجِيدِينَ"، وكذلك إن خبرتَ عنه بأمرٍ مُستقرٍّ فيه اختيرَ الرفعُ، تقول: "له عِلْمٌ عِلْمُ الفقهاءِ" و"له رأيٌ رأيُ القضاةِ" لأنك إنما تمدحُه بأن هذا قد استقرَّ له، وليس الأبلغُ في مدحه أن تُخبرَ بأنك رأيته في حال تعلُّمٍ ويجوزُ النصبُ على أنك رأيته في حال تعلُّمٍ فاستدللتَ بذلك على علمه، فهذا يَصْلُحُ، والأجودُ الرفعُ. فإذا قلتَ: "له صوتٌ صوتُ حمارٍ" فلإنما أخبرتَ أنه يُصَوْتُ، فهذا سوى ذلك المعنى.

ومما يُختارُ فيه الرفعُ قولك: "عليه نَوْحٌ نَوْحُ الحَمَامِ" وإنما اختيرَ الرفعُ؛ لأن الهاءَ في "عليه" اسمُ المفعول، والهاءُ في "له" اسمُ الفاعل، ويجوزُ النصبُ على أنك إذا قلتَ: "عليه نَوْحٌ" دَلَّ النَوْحُ على نائِحٍ معه، فكأنك قلتَ: يَنُوحُونَ نَوْحَ الحَمَامِ، فهذا تفسيرٌ لجميع هذه الأبواب.

وقال ابنُ الحَيَّاطِ المَدِينِيُّ، يعني مالكَ بن أنسٍ:

يَأْبَى الجَوَابَ فما يُرَاجَعُ هَيْبَةً والسَّائِلُونَ نَوَاكِسُ الأَذْقَانِ
هَذي التَّقِيَّ وعِزُّ سُلْطَانِ النُّهَى فهو العَزِيزُ وليس ذا سُلْطَانِ
أراد: له هدىً التَّقِيَّ، أو: معه هدىً التَّقِيَّ.

باب

قال أبو العباس : نَذَكُرُ في هذا الباب من كل شيء شيئاً ؛ لتكون فيه استراحة للقارئ ، وانتقالٌ ينفي الملل ، لحسن موقع الاستطراف ، ونخلط ما فيه من الجِدِّ بشيء يسير من الهزل ، ليستريح إليه القلب ، وتسكن إليه النفس .
قال أبو الدرداء رحمه الله : إِنِّي لَأَسْتَجِمُ نفسي بالشيء من الباطل ؛ ليكون أقوى لها على الحق .

وقال عليُّ بنُ أبي طالب رحمه الله : القلبُ إذا أُكْرِهَ عَمِيَ .
وقال ابنُ مسعودٍ رحمه الله : القلوبُ تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدان ، فابْتَغُوا لها طرائفَ الحكمة .

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنه : العِلْمُ أَكْثَرُ من أَنْ يُؤْتَى على آخِرِهِ ، فَحُذُوا من كل شيءٍ أَحْسَنَهُ .

وليس هذا الحديث من الباب الذي ذكرنا ، ولكن نذكر الشيء بالشيء ، إمّا لاجتماعهما في لفظ ، وإمّا لاشتراكهما في معنى .

وقال الحسن - وليس من هذا الباب - : حَادِثُوا هذه القلوبَ ، فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدُّوْرِ ، وَاقْدَعُوا هذه الأنفُسَ ، فَإِنَّهَا طُلَعَةٌ ، وَإِنَّكُمْ إِلَّا تَزَعُّوْهَا تَزَعُّ بِكُمْ إِلَى شَرٍّ غَايَةٍ . وقد مَضَى تفسيرُ هذا الكلام .

وقال أَرْدَشِيرُ بنُ بَابِلَ : إِنْ لِلْأَذَانِ مَجَّةٌ ، وَلِلْقُلُوبِ مَلَأٌ ، فَفَرَّقُوا بَيْنَ الْحِكْمَتَيْنِ يَكُنْ ذَلِكَ اسْتِجْمَامًا .

وكان أَنُوشِروَانُ يقول : القلوبُ تحتاجُ إلى أَقْوَاتِهَا من الحكمة ، كاحتياج الأبدانِ إلى أَقْوَاتِهَا من الغذاء .

ويُروى أَنه أَصِيبَ في حِكْمَةِ آلِ داود : لا يَنْبَغِي للعاقل أَنْ يُخْلِى نَفْسَهُ من واحدةٍ من أربع : من عُدَّةٍ لِمَعَادٍ ، أو إِصْلَاحٍ لِمَعَاشٍ ، أو فِكْرٍ يَقِفُ به على ما يُصْلِحُهُ مما يُفْسِدُهُ ، أو لَذَّةٍ في غير مُحَرَّمٍ يَسْتَعِينُ بها على الحَالَاتِ الثلاثِ .

وقال عبدُ الملك بنُ عمر بن عبد العزيز لأبيه يوماً : يا أبة ! إنك تنامُ نومَ القائلة ، وذو الحاجة على بابك غيرُ نائمٍ ؟ فقال له : يا بُني ! إنَّ نفسي مطيَّتي ، فإن حَمَلْتُ عليها في التَّعبِ حَسَرْتُهَا .

تأويلُ قوله : " حَسَرْتُهَا " يقول : بَلَغْتُ بها أَقصى غَايةِ الإغْياء ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ ^(١) وَأَنْشَدَ أَبُو عُبَيْدَةَ :
 إِنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَاءٌ مُخَامِرُهَا فَشَطَرَهَا نَظَرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُورٌ ^(٢)

قوله : " فَشَطَرَهَا " يريد : قَصَدَهَا وَنَحَوَهَا ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ قَوْلٌ وَجْهَكَ لِهُنَّ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ^(٣) وقال الشاعرُ :
 لَهُنَّ الْوَجَى لَمْ كُنْ عَوْنًا عَلَى النَّوَى وَلَا زَالَ مِنْهَا ظَالِعٌ وَحْسِيرٌ ^(٤)
 يعني الإبلَ ، يقول : هي الْمُفَرَّقَةُ ؛ كما قال الآخرُ :

مَا فَرَّقَ الْأَلْفَ بَعْدَ _____ دَ اللَّهُ إِلَّا الْإِبِلُ
 وَلَا إِذَا صَاحَ غُرًّا _____ بَ فِي الدِّيَارِ احْتِمَالُ
 وَمَا غُرَابُ الْبَيْنِ إِلَى _____ لَا نَاقَةَ أَوْ جَمَلُ

[قال أبو الحسن : وزادني غيرُ أبي العباس :

وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ غُرًّا _____ بَ الْبَيْنِ لِمَا جَهَلُوا
 وَالْبَائِسُ الْمَسْكِينُ مَا _____ تُطَوَّى عَلَيْهِ الرَّحْلُ

ويقالُ : إنه لأبي الشَّيْصِ [.

قال أبو العباس : فَمَنْ قال " أَلِفٌ " للواحد قال للجميع " أَلَفٌ " كـ " عامِلٌ وعَمَّالٌ " وـ " شاربٍ وشُرَّابٍ " وـ " جاهلٍ وجُهَّالٌ " . ومن قال للواحد : " إلفٌ " قال للجميع : " أَلَفٌ " وتقديرُهُ " عِدْلٌ وأَعْدَالٌ " وـ " حِمْلٌ وأَحْمَالٌ " وـ " ثِقْلٌ وأَثْقَالٌ " .

(١) سورة الملك : ٤

(٢) تقدم تخريجه

(٣) سورة البقرة : ١٤٤ و ١٤٩ و ١٥٠ .

(٤) البيت في الأغاني ٢٨٣/١ لجميل وروايته " وكسير " إلا أنه في بعض أصول الأغاني " وحسير " كما أنشده المبرد . والوجه مصدر وجى البعير إذا حفى وظالع من ظلع أي غمز في مشيه

وقد أنصفَ الإبلَ الذي يقولُ :

أَلَا فَرَعَى اللهُ الرَّوَاحِلَ إِنَّمَا مَطَايَا قُلُوبِ الْعَاشِقِينَ الرَّوَاحِلُ
على أَنهِنَّ الْوَاصِلَاتُ عُرَى النَّوَى إِذَا مَا نَأَى بِالْأَلْفَيْنِ التَّوَاصُلُ

وقال الآخر :

أَقُولُ وَهُوَ جَاءَ تَمْشِي وَالْفُضْلُ : قَطَعَتِ الْأَخْدَاجُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ^(١)

" الهَوْجَاءُ " الَّتِي تُجَدُّ فِي السَّيْرِ وَتَرْكَبُ رَأْسَهَا ، كَأَنَّ بِهَا هَوْجًا ، كَمَا قَالَ :

لِلَّهِ دَرُّ الْيَعْمَلَاتِ الْهُوجُ

وكما قال الأعشى^(٢) :

وَفِيهَا إِذَا مَا هَجَّرَتْ^(٣) عَجْرَفِيَّةٌ إِذَا خِلَتْ حِرْبَاءَ الْوَدِيقَةِ أَصِيدًا^(٤)

(١) قال الشيخ المرسفي : " كَانَ أَبَا الْعَبَّاسِ لَمْ يَدْرِ سَبَبَ هَذَا الرَّجْزِ وَلَا رَوَاتِهِ الْحَقَّةَ فَغَيَّرَ وَحَرَّفَ وَبَدَلَ وَأَسْقَطَ شَطْرًا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ تَفْسِيرُهُ كَلِمَةُ الْفُضْلِ . وَقَدْ رَوَاهُ الصَّاعَانِيُّ فِي تَكْمِلَتِهِ وَذَكَرَ سَبَبَهُ ، قَالَ : قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : يُقَالُ لَأَقْطَعَنَّ عُنُقَ دَابَّتِي أَى لَأَبِيعَنَّهَا ، وَأَنْشَدَ لِأَعْرَابِي تَزْوِجَ امْرَأَةً وَسَاقَ مَهْرَهَا إِبِلًا :

أَقُولُ وَالْعِيسَاءُ تَمْشِي وَالْفُضْلُ فِي جِلَّةٍ مِنْهَا عِرَامِيسُ غُطْلُ

قَطَعَتْ بِالْأَحْرَاحِ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ

والعيساء : الناقة البيضاء مع شقرة يسيرة ... وجلة الإبل مسانها ... وعراميس .. هى النوق الصلاب .. وعطل بضمين يقع على الواحد والجميع : التى لا قلائد عليها ولا أرسان لها ، وقطعت مخفف الطاء مسندًا إلى تاء المتكلم ، والباء فى قوله بالأحراح داخله على الثمن يريد بعت أعناق الإبل بالأحراح . عن رغبة الأمل ٦٨/٦ - ٦٩ . وانظر التكملة واللسان (قطع) ، وحرر .

(٢) ديوانه ق ١٧/١٠ ص ١٧١ .

(٣) عجرفية : وهى أخت الهوج وهى التى لا تقصد فى السير من نشاطها وقال الجوهري جمل فيه تعجرف وعجرفية كأن فيه خرقًا وقلة مبالاة لسرعته وهجرت : وقت الهاجرة

(٤) قال الشيخ المرسفي : " ليس فى بيته هوجاء ، ولكن فيه عجرفية وهى أخت الهوج وهى التى لا تقصد فى السير من نشاطها ... وهجرت : سارت وقت الهاجرة ... " رغبة الأمل ٦٩/٦ .

و" والفُضْلُ " مِشْيَةٌ فِيهَا اخْتِيَالٌ كَأَنَّ مِشْيَتَهَا تَخْرُجُ عَنْ حِطَامِهَا فَتَفْضُلُ عَلَيْهِ ،
والأصلُ في ذلك : أن يَمْشِيَ الرَّجُلُ وَقَدْ أَفْضَلَ مِنْ إِزَارِهِ ، وَتَمْشِي الْمَرْأَةُ وَقَدْ أَفْضَلَتْ مِنْ
ذَيْلِهَا ، وَإِنَّمَا يُفْعَلُ ذَلِكَ مِنَ الْخِيَلِ ، وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : " فَضْلُ الْإِزَارِ فِي النَّارِ "^(١) .
وقال رسول الله ﷺ لِأَبِي تَمِيمَةَ الْهَجِيمِيِّ : " وَإِيَّاكَ وَالْمَخِيلَةَ ، فَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَحْنُ قَوْمٌ عَرَبٌ ، فَمَا الْمَخِيلَةُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " سَبَلُ الْإِزَارِ "^(٢) .
وقال الشاعرُ :

وَلَا يُنْسِينِي الْحَدَثَانِ عِرْضِي وَلَا أَرْخِي مِنَ الْمَرْحِ الْإِزَارَا

وقال أبو قيس بنِ الْأَسَلْتِ الْأَنْصَارِيُّ :

تَمْشِي الْهُوَيْنَا إِذَا مَشَتْ فَضْلًا كَأَنَّهَا خُوطٌ بَانَةٌ قَصْرَفُ

[قال أبو الحسن علي بنُ سليمانَ : ما نعرفُ هذا البيتَ إِلَّا لَقَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ
الْأَنْصَارِيِّ ، يَعْنِي " تَمْشِي الْهُوَيْنَا "] .

قال أبو العباس : وقال الوليد بنُ يزيد :

أَنَا الْوَلِيدُ الْإِمَامُ مُفْتَخِرًا أَنْعِمُ بِأَلِي وَأَتَّبِعُ الْعَزَلَ

أَنْقُلُ رَجُلِي إِلَى مَجَالِسِهَا وَلَا أَبَالِي مَقَالَ مَنْ عَذَلَ

غَرَاءُ فِرْعَاءُ بَسْتِضَاءُ بِهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا إِذَا مَشَتْ فَضْلًا

* * *

ثم نعود إلى الباب ، قال الراجزُ يعني إبلاً ونوقاً :

(١) لم أجده بهذا اللفظ ، وإنما أتى في معناه قوله (ص) : " ما أسفل من الكعبين ففي النار " أخرجه
البخاري في " اللباس " ، باب " ما أسفل الكعبين فهو في النار " ، (٢٦٨/١٠) (ح ٥٧٨٧) ، وكذا
النسائي ، كلاهما من حديث أبي هريرة ، وفي المعنى أحاديث كثيرة ، انظر " الترغيب " (٩٧/٣) -
(١٠٠)

(٢) الحديث " صحيح " أخرجه بنحوه أحمد في " المسند " (٦٣/٥) من حديث جابر بن سليم الهجيمي ،
وفي أوله : " اتق الله ، ولا تحقرن من المعروف شيئاً ... إلى أن قال : " وإياك وإسبال الإزار ، فإن
إسبال الإزار من المخيلة ... الحديث . وكذلك رواه أبو داود مطولاً عن رواية أحمد ، من حديث أبي
جري بن جابر بن سليم ، وفيه " وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة ، وإن الله لا يحب المخيلة ... "
وانظر صحيح أبي داود (ح ٣٤٤٢) ، وصحيح الجامع (ح ٩٨) ، وزاد نسبته إلى ابن حبان والطيالسي .
وراجع الصحيحة ، (ح ٧٧٠ و ١٣٥٢) .

إِنَّ هَا لَسَانِقًا خَدَلَجَا لَمْ يُدْلَجِ اللَّيْلَةَ فِيمَنْ أَذْلَجَا

" الخَدَلَجُ " : المَدْمَجُ السَّاقِينِ ، وَإِنَّمَا عَنَى الْمَرْأَةَ الَّتِي سَاقَهُ حُبُّهُ إِلَيْهَا .

وَالْكَلَامُ يَجْرِي عَلَى ضَرْبٍ : فَمِنْهُ مَا يَكُونُ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُ مَا يُكْنَى عَنْهُ بِغَيْرِهِ ، وَمِنْهُ مَا يَقَعُ مَثَلًا ، فَيَكُونُ أَبْلَغَ فِي الْوَصْفِ .

وَالكِنَايَةُ تَقَعُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَابٍ :

أَحَدُهَا : التَّعْمِيَّةُ وَالتَّغْطِيَةُ ، كَقَوْلِهِ :

أَكْنِي بِغَيْرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ أَلْ لَهُ خَفِيَّاتٍ كُلُّ مُكْتَمٍ

وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ اسْتِرَاحَةً إِلَى التَّصْرِيحِ مِنَ الْكِنَايَةِ :

أُحِبُّ الْمَكَانَ الْقَفَرَ مِنْ أَجْلِ أَنَّنِي بِهِ أَتَغْنَى بِاسْمِهَا غَيْرَ مُعْجَمٍ^(١)

وَقَالَ أَحَدُ الْقَرَشِيِّينَ :

وَقَدْ أَرْسَلْتُ فِي السَّرِّ أَنْ قَدْ فَضَحْتَنِي وَقَدْ بَحَثَ بِاسْمِي فِي النَّسِيبِ وَمَا تَكَلَّنِي

وَيُرْوَى^(٢) أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ قَالَ شِعْرًا وَكَتَبَ بِهِ بِحَضْرَةِ ابْنِ أَبِي

عَتِيقٍ إِلَى امْرَأَةٍ مُحَرَّمَةٍ ، وَهُوَ :

أَلْمَا بِذَاتِ الْخَالِ فَاسْتَطَلَعْنَا لَنَا عَلَى الْعَهْدِ بَاقٍ وَدَهَا أَنْ تَصْرَمَا؟

وَقُولَا لَهَا : إِنْ النُّوَى أَجْنِيئَةً بِنَا وَيَكُمُ قَدْ خَفَتْ أَنْ تَتَمَمَّا

قَالَ : فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : مَاذَا تَرِيدُ إِلَى امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ مُحَرَّمَةٍ تَكْتُبُ إِلَيْهَا بِمِثْلِ

هَذَا الشَّعْرِ ؟ قَالَ : فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ مَدِيدَةِ قَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ : أَعْلَمْتَ أَنَّ الْجَوَابَ جَاءَ

مِنْ عِنْدِ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : كَتَبْتُ :

أَضْحَى قَرِيبُكَ بِأَهْوَى ثَمَامَا فَأَقْصِدْ هَدَيْتَ وَكُنْ لَهُ كِتَامَا

وَأَعْلَمَ بِأَنَّ الْخَالَ ذَكَرَتْهُ قَعْدَ الْعَدُوِّ بِهِ عَلَيْكَ وَقَامَا

وَيَكُونُ مِنَ الْكِنَايَةِ - وَذَلِكَ أَحْسَنُهَا - : الرِّغْبَةُ عَنِ اللفظِ الْخَسِيسِ الْمُفْجَشِ إِلَى مَا يَدُلُّ

عَلَى مَعْنَاهُ مِنْ غَيْرِهِ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾^(٣)

وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ أَوْ لَا تَمْسُتُمْ النِّسَاءَ ﴾^(٤) وَ " الْمَلَامَسَةُ " فِي قَوْلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ - مَا لَكَ

(١) سبق البيت

(٢) الخبر في الأغاني ٢٣٩/٩ - ٢٤١ .

(٣) سورة البقرة : ١٨٧

(٤) سورة النساء : ٤٣ ، وسورة المائدة : ٦ .

وأصحابه - غير كِنَايَةٍ ، وإنما هو اللَّمسُ بعينه ، يقولونَ في الرجلِ تَقَعُ يدهُ على امرأته أو على جاريتِهِ بشهوةٍ : إِنَّ وضوءَهُ قد انتَقَضَ ^(١) ، وكذلك المرأةُ .
ومن ذلك قولُهُم : " جاءَ فلانٌ من الغائطِ " كنايةً عن الحدث ، وإنما " الغائطُ "

الوادي ، قال عمرو بن مَعْلِي كَرَبَ :

وَكَمْ مِنْ غَائِطٍ مِنْ دُونِ سَلَمَى قَلِيلِ الْإِنْسِ لَيْسَ بِهِ كِتْيَعُ

وقال الله جلَّ وعزَّ في المسيح ابن مريمَ وأُمِّهِ صلى الله عليهما ^(٢) : ﴿ كَانَ يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ ^(٣) ، وإنما هو كنايةٌ عن قضاء الحاجة ، وقال : ﴿ وَقَالُوا لِيَجْلُو ذَهَبُ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ ^(٤) ، وإنما هي كناية عن الفروج . وهذا كثير .

والضرب الثالث من الكناية : التّفخيم والتّعظيم ، ومنه اشتقت " الكنية " وهو أن يعظم الرجل أن يدعى باسمه ووقعت في الكلام على ضربين : وقعت في الصَّبِيّ على جهة التّفاؤُل بأن يكون له ولد فيدعى بولده كناية عن اسمه ، وفي الكبير أن ينادى باسم ولده صيانة لاسمه وإنما يقال : " كنى عن كذا بكذا " ، أى ترك كذا إلى كذا ، لبعض ما ذكرنا .

وكان خالد بن عبد الله القسرى لعنه الله يلعن على بن أبى طالب رحمة الله عليه ورضوانه على المنبر ، فيقول : فعل على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله ﷺ . وزوج ابنته فاطمة وأبا الحسن والحسين ! ثم يقبل على الناس فيقول : أكنيت !؟ فهذا تأويل هذا .

ونرجع إلى الباب الذي قَصَدْنَا له .

وقال أعرابي ^(٥) :

وَحُقَّةٌ مِسْكٍ مِنْ نِسَاءٍ لِبِسْتَهَا شَبَابِي وَكَأْسٌ بَاكَرْتَنِي شَمُوهَا ^(٦)

(١) انظر ما سبق

(٢) قوله (صلى الله عليهما) قد يوهم أن مريم نبيه ، لكن الراجح أنها صديقه ، كما قال تعالى : " ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . وأُمُّهُ صديقةٌ كانا يأكلان الطعام " المائدة : ٧٥ .

(٣) سورة المائدة : ٧٥ .

(٤) سورة فصلت : ٢١ .

(٥) هو عبد الله بن العجلان النهدي كما في ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ١٢٥٩/٣ ، والتبريزي ١٢٩/٣ وانظر ترجمته في الأغاني ٢٣٧/٢٢ .

(٦) قوله وحقة مسك كناية عن امرأة جعلها لطيب رياها كظرف مسك ، ومعنى لبستها : تمتعت بها ، وموضع قوله شبابي نصب على الظرف ، والمعنى زمن شبابي - عن المرزوقي .

جديدة سربال الشباب كأنها أباء بردى سقتها غيولها
 حملة باللحم من دون خصرها تطول القصار والطوال تطولها
 قوله " باكرتنى شمولها زعم الأصمعى أن الخمر إنما سميت " شمولاً " لأن لها عصفه
 كعصفه الريح الشمال .
 قوله " أباء بردى " " الأباءة " : القصبة ، وجمعها " الأباء " يا فتى ! قال كعب بن
 مالك^(١) :

من سره ضرب يرعبل بعضه بعضاً كمعمعة الأباء المحرق^(٢)
 وإنما شبه المرأة بالبردية والقصبة لنقاء اللون ورقته ، قال حميد بن ثور :
 لم ألق عُمرة بعد إذ هى ناشئٌ خرجت معطفة عليها منزر
 " العطف " الرشاح من النساء .

برزت عقيلة أربع هادينها بيض الوجوه كأنهن العنقر
 "العنقر" أصول القصب وفى هذا الشعر :
 ذهبت بعقلك ربطة مطوية وهى التى تهذى بها تنشر
 [قال أبو الحسن : أنشدنيه ثعلب فى قوله " لو تنشر " : لو تنشر "
 فَهَمَمْتُ أَنْ أَغْشَى إِلَيْهَا مَخْجَرًا ولمثلها يغشى إليه الحجر
 وقوله : «سقتها غيولها» "الغيل " ههنا : الأجمة ، ومن هذا قولهم " أسد غيل "
 قال طرفة :

أَسَدُ غَيْلٍ فَإِذَا مَا شَرِبُوا وَهَبُوا كُلُّ أُمُونٍ وَطَمَرٍ

وقد أملينا جميع ما فى " الْغَيْلِ " و " الْغَيْلِ " .
 وقوله : تَطُولُ الْقِصَارَ وَالطَّوَالَ تَطُولُهَا
 " طال " يكون على ضَرَّين : أحدهما تقديره " فَعَلَ " وهو ما يقع فى نفسه
 انتقالاً ، لا يتعدى إلى مفعول ، نحو : ما كان كريماً ولقد كُرم ، وما كان ضيعاً ولقد

(١) من كلمة له فى السيرة النبوية ٣ / ٢٧٣ . وفى بعض النسخ : كعب بن مالك الأنصارى .

(٢) يرعبل أى يمزق ويقطع .

وَضَع ، وما كان شريفاً ولقد شَرُفَ ، وكان الشيءُ صغيراً فَكَبُرَ ، وكذلك : ما كان طويلاً فطالَ ، وأصله " طَوَّلَ " . وقد أَخْبَرْنَا بقصةِ الياءِ والواوِ إذا انفتح ما قبلهما وهما مُتَحَرِّكَتان .

وعلى ذلك يقال في الفاعل " فَعِيلٌ " نحو " شَرِيفٌ " و " كَرِيمٌ " و " طَوِيلٌ " . فإذا قلتَ " طَاوَلَنِي فَطُلْتُهُ " أي : فَعَلَوْتُهُ طَوَّلاً ، فتقديره على " فَعَلَ " نحو " خَاصَمَنِي فَخَصَمْتُهُ " و " ضَارَبَنِي فَضَرَبْتُهُ " و فاعله " طَائِلٌ " كقولك " ضَارِبٌ " و " خَاصِمٌ " . وفي الحديث ^(١) " كان رسولُ اللَّهِ ﷺ فوقَ الرَّبْعَةِ ، وإذا مَشَى مع الطَّوَالِ طَالَهُمْ " . وقال رياحُ بنُ سُنَيْحٍ الزَّنْجِيُّ مولى بني نَاجِيَةَ ، وكان فصيحاً ، يُجِيبُ جَرِيرًا ، لما قال جريرٌ :

لَا تَطْلُبَنَّ خُزُولَةَ فِي تَغْلِبِ فَالزَّنْجُ أَكْرَمُ مِنْهُمْ أَخْوَالَا

فتحركَ رِيَا حُ فَذَكَرَ أَكْثَرَ مَنْ وَلَدَتْهُ الزَّنْجُ من أشرافِ العربِ في قصيدة مشهورة

معروفة ، يقول فيها :

فَالزَّنْجُ لَوْ لَا قَيْتُهُمْ فِي صَفِّهِمْ لَا قَيْتَ لَمْ جَحَاجِحًا أَبْطَالَا

مَا بَالُ كُلِّبِ بَنِي كُلِّبٍ سَبْنَا أَنْ لَمْ يُوَازِنَ حَاجِبًا وَعَقَالَا

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ صَخْرَةً عَادِيَّةً طَالَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَجْبَالَا

يريدُ : طَالَتْ الْأَجْبَالُ رَعَلَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا .

* * *

(١) ورد الحديث بلفظ : " كان النبي ﷺ) ربعة من القوم ، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ، أزهَر اللون ... الحديث وهو متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه .

ثم نعود إلى ذكر الباب :

وقال مروان بن أبي حفصة ، وهو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ،
واسم أبي حفصة يزيد :

إن الغواني طالما قتلنا	بعيونهن ولا يدين قتيلا
من كل آنسة كأن حجالها	ضمن أحور في الكناس كحبال ^(١)
أردين عروة والمرقش قبله	كل أصيب وما أطاق ذهولا
ولقد تركن أبا ذؤيب هائما	ولقد تلبن كثيرا وجهيلا
وتركن لابن أبي ربيعة منطقا	فيهن أصبح سائرا محمولا
إلا أكن ممن قتلن فإني	ممن تركن فؤاده مغبولا

قوله " ولا يدين قتيلا " يقال " وَدَى يَدِي " . وكل ما كان من " فَعَلَ " مما فاءؤه واو ومضارعهُ " يَفْعَلُ " فالواو فيه محذوفة ، لوقوعها بين ياء وكسرة وكذلك ما كان منه على " فَعِلْ يَفْعِلُ " ، لأنَّ العلة في سقوط الواو كسرة العين بعدها ، وقد مضى تفسيرُ هذا^(٢) .

ولكن في " يَدِين " عِلَّةٌ أخرى ، وهي أنَّ الياء التي هي لام الفعل بعد كسرة ، فهي تَعْتَلُّ اعتلال آخر " يَرْمِي " ، وأوَّلُهُ يعتلُّ اعتلال واو " يَعِدُّ " ، واحتَمَلَ عَلَتَيْن ؛ لأنَّ بينهما حاجزا ، ومثْلُ ذلك " وَعَى يَعِي " و " وَفَى يَقِي " و " وَفَى يَقِي " و " وَشَى يَشِي " و " وَنَى فِي أَمْرِهِ يَنِي " ، وما أشَبَهَ ذلك ، وَيَقَعُ فِي " فَعِلَ " نحو " وَلِيَّ الْأَمِيرُ يَلِي " .

فإذا أمرتَ كان الفعلُ على حرفٍ واحدٍ في الوصلِ لاتِّصاله بما بعده ، تقولُ : " يا زَيْدُ عَ كَلَامًا " و " شِ ثَوْبًا " وتقولُ : " لَ عَمْرًا يا زَيْدُ " من " وَلَيْتُ " فإذا وَقَفْتَ عليه قلتَ : " لَهُ " و " شَيْءٌ " و " قَه " ، لا يكونُ إِلَّا ذلك ؛ لأنَّ الواوَ تَسْقُطُ تَبْتَدِيءُ بِمُتَحَرِّكِ ، فلا تحتاجُ إلى ألفٍ وصل ، فإذا وَقَفْتَ احتجتَ إلى ساكنٍ تَقِفُ عليه فأدخلتَ الهاءَ لبيان حركة الأول ، ولم يَجْزُ إِلَّا ذلك . وَمَنْ قال : الْفِظُ " لِي " بحرفٍ واحدٍ غير مَوْصُولٍ فقد سَأَلَ مُحَالًا ؛ لأنَّكَ لا تَبْتَدِيءُ إِلَّا بِمُتَحَرِّكِ ولا تقفُ إِلَّا على ساكنٍ ، فقد قال الْفِظُ " لِي " بساكنٍ متحركٍ في حالٍ .

(١) الحجال جمع حجلة (بالتحريك) وهي بيت كالقبة يستر بالثياب وتجمع على حجل .

(٢) انظر ما سبق

وقوله " ضُمَّنَ " يقال : " ضُمَّنَ القبرُ زيدًا " و " ضُمَّنَ القبرَ زيد " كلُّ صحيح ،
فمن قال " ضُمَّنَ القبرُ زيدًا " فإنما أراد : جُعِلَ القبرُ ضَمِينَ زيدٍ ، ومن قال " ضُمَّنَ زيدُ
القبرَ " فإنما أراد : جُعِلَ زيد في ضَمْنِ القبر ، ويُشَدُّ هذا البيتُ على وجهين :

وَمَا غَائِبٌ مَنْ غَابَ يُرْجَى إِيَابُهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ ضُمِّنَ اللَّحْدَ غَائِبٌ
و " مَنْ ضُمِّنَ اللَّحْدَ " يريد : مَنْ ضُمِّنَهُ اللَّحْدُ " وَحَذَفَ الْهَاءَ مِنْ صِلَةٍ " مَنْ " ؛

وهذا من الواضح الذي لا يحتاج إلى تفسير .

وقوله " أَحْوَرَ " يعني ظَبْيًا . وأهلُ الغريب يذهبون إلى أنَّ " الْحَوْرَ " في العين :
شِدَّةُ سَوَادٍ سَوَادِهَا وَشِدَّةُ بَيَاضٍ بَيَاضُهَا ، والذي عليه العربُ إنما هو : نَقَاءُ الْبَيَاضِ ، فعندَ
ذلك يَضِيحُ السَّوَادُ ^(١) . وقد فَسَّرْنَا " الْحَوْرَ " و " الْحَوَارَى " ^(٢) .

و " الْكِئَاسُ " حيثُ تَكْنِسُ الْبَقَرَةُ وَالطَّيْبَةُ ، وهو أَنْ تَتَّخِذَ فِي الشَّجَرَةِ الْعَادِيَةِ
كَالْبَيْتِ تَأْوِي إِلَيْهِ وَتَبْعُرُ فِيهِ ، فيقال : إِنَّ رَائِحَتَهُ أَطْيَبُ رَائِحَةٍ ، لِطَيْبِ مَا تَرْتَعِي . قال ذو
الرُّمَّة ^(٣) :

إِذَا اسْتَهَلَّتْ عَلَيْهِ غَبِيَّةٌ أَرَجَتْ مَرَابِضُ الْعَيْنِ حَتَّى يَأْرَجَ الْحَشَبُ
كَأَنَّهُ بَيْتٌ عَطَّارٌ يُضْمِنُهُ لَطَائِمُ الْمِسْكِ يَخْوِيهَا وَتُنْتَهَبُ

قوله " غَبِيَّةٌ " : هِيَ الدَّفْعَةُ مِنَ الْمَطَرِ ، وعند ذلك تَتَحَرَّكُ الرَّائِحَةُ .

و " الْأَرْجُ " : تَوَهُّجُ الرِّيحِ ، وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي الرِّيحِ الطَّيْبَةِ .

و " الْعَيْنُ " جمعُ " عَيْنَاءٍ " يَعْنِي الْبَقَرَةَ الْوَحْشِيَّةَ ، وَبِهَا شُبُهَتُ الْمَرْأَةِ ، فَقِيلَ " حَوْرٌ عَيْنٌ " .

و " اللَّطِيْمَةُ " : الْإِبِلُ تَحْمِلُ الْعِطْرَ وَالْبَزَّ وَالذَّهَبَ ، لَا تَكُونُ لغير ذلك .

فيقول : ضُمِّنَ ظَبْيًا أَحْوَرَ أَكْحَلَ ، وَجَعَلَ الْحِجَالَ كَالْكِئَاسِ .

(١) وفي بعض النسخ : يتضح

(٢) قال محقق س : أما الحور فقد فسر ههنا ، وأما الحواري فلم يفسره بل جاء في تفسيره للسبائك

قال : " يريد ما يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصه يريد الحواري ... "

(٣) ديوانه ق ٧٢، ٧٣/١ ج ٨٥/١-٨٦.

وقال ابن عباس في قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنَسِ . الْجَوَارِ الْكُنَسِ﴾ (١)
 قال : أَقْسَمَ بِتَقَرُّ الْوَحْشِ ؛ لأنها خُنُسُ الْأَنْوَفِ (٢) ، و " الْكُنَسُ " : التي تَلْزَمُ الْكِنَاسَ .
 وقال غيره : أَقْسَمَ بِالنُّجُومِ التي تَحْرِي بالليل وَتَخُنُسُ بالنهار ، وهو الْأَكْثَرُ (٣) .
 " أَرْدَيْنَ " يقولُ : أَهْلَكُنْ ، و " الرَّدَى " الموتُ مِنْ ذَا .
 و " الذُّهُولُ " : الانصرافُ ، يقال " ذَهَلَ " عن كذا وكذا : إذا انصرف عنه إلى
 غيره ، قال كُثَيِّرٌ :

صَحَا قَلْبُهُ يَا عَزْ أَوْ كَاذَ يَذْهَلُ وَأَضْحَى يُرِيدُ الصَّرْمَ أَوْ يَتَذَلُّ

وقوله : ولقد تَبَلَّنْ كَثِيرًا وَجَمِيلًا
 أصلُ " التَّبَلِّ " التَّرَّةُ ، يقال : " تَبَلَّى عِنْدَ فُلَانٍ " ، قال حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

تَبَلَّتْ فُؤَادَكَ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةً تَشْفِي الضُّجِيعَ بِيَارِدِ بَسَامِ
 و " الْخَرِيدَةُ " : الْحَيَّةُ .

وقوله : مَمْنُ تَرَكْنَ فُؤَادَهُ مَحْبُولًا
 يريدُ " الْحَبْلَ " وهو الْجَنُونُ ، ولو قال " مَحْبُولًا " لكان حَسَنًا ، يريدُ : مَصِيدًا
 واقِعًا فِي الْحَبَالَةِ ، كما قال الْأَعَشَى :

فَكُلُّنَا هَائِمٌ فِي إِثْرِ صَاحِبِهِ ذَانِ وَنَاءٍ وَمَحْبُولٌ وَمُخْتَبِلٌ

وَحَبَّرْتُ أَنْ رَجُلًا جَافِيًا عَشِقَ قَيْنَةَ حَضْرِيَّةَ ، فَكَلَمَهَا يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ فَلَمْ
 تَكَلِّمْهُ ، فَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ حَيَاءٌ مِنْهَا ، فَقَالَ : يَا خَرِيدَةَ ، قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُكَ عَرُوبًا ، مَا
 بِالنَّائِمِ قُلُوقُ وَتَشْتَنِينَا ؟! : يَا بِنَ الْحَيِّثَةِ ، أَتَجْمَشُنِي بِالْهَمْزِ (٤) ؟!

(١) سورة التكويد : ١٥-١٦ .

(٢) الخنس في الأنف : تأخره إلى الرأس وارتفاعه عن الشفة وليس بطويل ولا مشرف . اللسان : خنس

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٣٥٩/٨ - ٣٦٠ ، والقرطبي ٢٣٦/١٩ - ٢٣٨ .

(٤) التجميش المغازلة والملاعبة . قال الشيخ المصفي : " كأنها تعرض به أنه من أنطاع بني تميم وهم ينطقون
 بالهمز ، تعيب عليه الهمز في قوله وتشتنيننا . فأما قريش وهذيل فلا ينثرون الحروف ، بل يستنكرونه... " رغبة
 الآمل ٨٨/٦ .

"الخريدة" الحية ، و"العروب": الحسنة التبعل ، وفسر فى القرآن على ذلك فى قوله : ﴿عروباً أتراباً﴾^(١) . فقيل : هن الحبات [١/١٧٦] لأزواجهن ، قال أوس بن حجر :

..... تصبى الحليم عروب غير مكلاح

وذكر الليثى [قال أبو الحسن : الليثى يعنى الجاحظ] أن رجلاً كان يحب جارية ولم يكن يحسن مما يتوصل به إلى النساء شيئاً ، إلا أنه كان يحفظ القرآن ، فكان يتوصل إليها بالآية بعد الآية ، فكان إن وعدته فأخلفته تحين وقت مرورها ، فقال: ﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾^(٢) ، وإن خرجت خرجة ولم يعلم بها فينتظرها تحينها فى أخرى فتلا: ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾^(٣) ، وإن وشى به واش إليها كتب إليها ﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾^(٤) وذكروا أن أبا القمقام بن بحر السقاء عشق مدينية ، فبعث إليها: إن إخوانا لى زارونى ، فابعثى إلى برؤوس حتى تنغذى ونصطبح على ذكرك ، ففعلت ، فلما كان فى اليوم الثانى بعث إليها : إنا نفترق فابعثى إلى بسنبوسك حتى نصطحب اليوم على ذكرك ، فلما كان فى اليوم الثالث بعث إليها : إن أصحابى مقيمون فابعثى إلى بقرية قدية وجزورينة شهية حتى نأكلها ونصطبح على ذكرك^(٥) فقالت لرسوله : إنى رأيت الحب يحل فى القلب ، ويفيض إلى الكبد والأحشاء ، وإن حب صاحبنا هذا ليس يجاوز المعدة !

وخبرت أن أبا العتاهية كان قد استأذن فى أن يطلق له أن يهدى إلى أمير المؤمنين المهدي فى الثيروز والمهرجان ، فأهدى فى أحدهما برنية^(٦) ضخمة ، فيها ثوب ناعم مطيب ، قد كتب فى حواشيه :

(١) سورة الواقعة : ٣٧ ، وانظر تفسير ابن كثير ٩/٨ ، والقرطبي ٢١١/١٧ وتفسير غريب القرآن ٤٤٩ .

(٢) سورة الصف : ٢ .

(٣) سورة الأعراف : ١٨٨ .

(٤) سورة الحجرات : ٦ .

(٥) البقرية قطعة من لحوم البقر ، وقدية طيبة الطعم طيبة الريح . والسنبوسك طعام من رقاق محشو . بلحم مفروم ، وهو من العرب . عن رغبة الأمل ٨٩ / ٦ .

(٦) البرنية : إناء من خزف .

نفسى بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها^(١)

إنى لأياس منها ثم يطمعنى فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهم بدفع عتبة^(٢) إليه ، فجزعت ، وقالت : يا أمير المؤمنين ، حرمتى وخدمتى ! أتدفعنى إلى رجل قبيح المنظر بائع جرار ومكتسب بالعشق؟! فأعفاها ، وقال: املؤوا له هذه البرنية مالا ، فقال للكتاب : أمر لى بدنانيير ، فقالوا : ما ندفع ذلك ، ولكن إن شئت أعطيناك دراهم إلى أن يفصح بما أراد ، فاختلف فى ذلك حولا ، فقالت عتبة : لو كان عاشقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول فى التمييز بين الدراهم والدنانير وقد أعرض عن ذكرى صفحا!!.

ودعت أبا الحارث جميئا واحدة كان يحبها ، فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام ، فلما طال ذلك به قال : جعلنى الله فداك ! أسمع للغداء ذكرا؟! قالت : أما تستحى؟! أما فى وجهى ما يشغلك عن هذا؟ قال لها : جعلنى الله فداك؟ لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان شيئا لبزق كل واحد منهما فى وجه صاحبة وافترقا!!

(١) البيتان فى تكملة ديوان أبى العتاهية ص ٦٦٨ .

(٢) جارية المهدي كان أبو العتاهية يتعشقها وله فيها أشعار كثيرة . عن رغبة الأمل ٦ / ٩٠ .

وأنشدته لأعرابي :

وقد رابني من زهدم أن زهدمًا يشد على خبزي ويكي على جل
فلو كنت عذرى العلاقة لم تكن سمينًا وأنساك الهوى كثرة الأكل
وقال أعرابي :

ذكرتك ذكرة فاصطدت ضبا وكنيت إذا ذكرتك لا أخيب
وقال ذو الرمة :

ألم تعلمي يأمي أنا وبيننا مهاو لطرف العين فيهن مطرح
ذكرتك أن مرت بنا أم شادن أمام المطايا تشرئب وتسبح
من المؤلفات الرمل أدماء حرة شعاع الضحى فى لونها يتوضح
هى الشبه أعطافًا وجيدًا ومقلة ومية أبهى بعد منها وأملح
كان البرى والعاج عيجت متونه على عشر نهى به السيل أبطح
لئن كانت الدنيا على كما أرى تباريح من ذكراك للموت أروح
قوله " مهاو " واحدتها " مَهَوَاة " وهو الهواء بين الشيتين .

ويقال : لفلان في داره " مَطْرَحٌ " : إذا وصفها بالسَّعة ، يقول : يَطْرَحُ بَصْرَهُ
كذا مرَّةً وكذا مرَّةً ؛ وأنشد سيبويه :

نَظَارَةٌ حِينَ تَغْلُو الشَّمْسُ رَاكِبَهَا طَرَحًا بَعَيْنِي لِيَا ح فِيهِ تَخْدِيدُ
" اللَّيَا ح " من البياض ، و " اللَّوْحُ " العطش " واللُّوْحُ " الهواء .

و " الشَّادِنُ " الذي قد شَدَنَ ، أي تَحَرَّكَ .

وقوله " تَشْرَبُ " يقال : إذا وَقَفَ يَنْظُرُ كَالْمَتَحَيِّرِ : قد اشْرَأَبَ نَحْوِي ، ويقال
هو يَسْرَحُ فِي الْمَرْعَى ^(١) .

وقوله " مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ " يقال : " أَلَفْتُ الْمَكَانَ أُولُفُهُ إِيلَافًا " ويقال " أَلَفْتُه إِلفًا "
وفي القرآن : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ ﴾ ^(٢) وَقرءُوا : ﴿ إِنْفِهِمْ ﴾ على أَلَفْتِ ^(٣) .

(١) قال الشيخ المصنفى : " كذا وقع فى نسخ الكتاب ، وكان بها سقطا وهو : " ويقال للبعير وهو
يسرح فى المرعى " : اشْرَأَبَ : إذا امتد عنقه إليه " رغبة الأمل ٩٢/٦ .

(٢) سورة قريش ١-٢ . و﴿ إِيلَافِهِمْ ﴾ لم يرد فى غير هامش نسخة .

(٣) هى رواية عن ابن كثير وأبى جعفر ، انظر البحر ٥١٤/٨ ، والنشر ، ٤٠٣/٢-٤٠٤ . وفى
نسخة : " على القصر " بدل " على ألفت " وقراءة الجمهور ﴿ إِيلَافِهِمْ ﴾ .

وقوله " الرَّمْلَ " النصب فيه أجودُ بالفعلِ ، ويجوز الخفضُ على شيءٍ نذكره بعد الفراغ من هذا الباب ، إن شاء الله .
وأصل " الهِجَان " الأبيضُ .

و " العِطْفُ " : ما أنتنى من العُنُقِ ، قال تعالى : ﴿ ثَانِي عِطْفِهِ ﴾ ^(١) . ويقالُ للأردية " العُطْفُ " ؛ لأنها تقعُ على ذلك الموضع .

وفي الحديث أن قومًا يزعمون أنهم من قريش أتوا عمرَ بنَ الخطابِ رحمه الله ، وكان قائمًا ، ليثبتهم في قريش ، فقال : اخرجوا بنا إلى البقيع ، فنظرَ إلى أكفهم ، ثم قال : اطرخوا العُطْفَ - واحدها " عِطافٌ " - ثم أمرهم فأقبلوا وأدبروا ، ثم أقبل عليهم فقال : ليست بأكف قريش ولا شمائلها ، فأعطاهم فيمنهم هُم منه .
و " الجيدُ " العُنُقُ .

و " البرى " الخلاخيلُ ، واحدها " بُرَّةٌ " وهي من الناقة : التي تقعُ في مارِن الأنف ^(٢) ، والذي يقعُ في العظم يُقالُ له " الخشاشُ " .
و " العاجُ " كان يُتخذُ كالأسورة ، قال جرير :

تَرَى الْعَبَسَ الْحَوْلِيَّ جَوْنَا بِكُوعِهَا لَهَا مَسَكًا مِنْ غَيْرِ عَاجٍ وَلَا ذَبْلِ
" العَبَسُ : ما تعلقَ من البولِ والأبغارِ بأذنابِ الإبل ، و " الوذحُ " ما تعلقَ بإلاءِ الشاء ^(٣) .

و " الجَوْنُ " ههنا الأسودُ ، وهو الأغلبُ فيه ^(٤) . و " الكُوعُ " رأسُ الزُند الذي يلي الإبهامَ ، و " الكُرسُوعُ " رأسه الذي يلي الخنصرَ ، و " المَسَكَةُ " السَّوَارُ . و " الذَبْلُ " شيءٌ يُتخذُ من القرون ، كالأسورة ^(٥) ، ويقالُ " سِوَارٌ " و " سَوَارٌ " بالكسر والضم و " إِسْوَارٌ " ، قالت الخنساء :

(١) سورة الحج : ٩ . وقد سلف تفسيره .

(٢) مارن الأنف : طرفه أو مالان منه .

(٣) قال علي بن حمزة في التنبهات ١٥٤ : " وقال أبو العباس : الوذح ما يتعلق بأطراف إلاء الشاء . وقد أساء في هذا ؛ لأنه جمع آلية على إلاء ، وإنما جمع آلية آليات ... " اهـ .

(٤) الجون يطلق أيضًا على الأبيض وعلى الأحمر الخالص ، وهو معدود في الأضداد

(٥) قال علي بن حمزة في التنبهات ١٥٤ : " هذا غلط إنما الذبل قشر ظهر دابة من دواب البحر معروف أو صدف له ، وقد قيل إن الذبل جلود سلاحف البر حكاه ابن دريد (في الجمهرة [٢٢٦/٣] وغيره " .

كَأَنَّهُ تَحْتَ طَيِّ الْبُرْدِ إِسْوَارٌ

و " الْعُشْرُ " شَجَرٌ بَعِيْنُهُ .

و " الْأَبْطَحُ " : ما انبطح من الوادي ، يقال " أَبْطَحُ وَبَطْحَاءُ " يا فتى ! و " أَبْرَقُ وَبَرَقَاءُ " و " أَمْعَزُ وَمَعْرَاءُ " وهذا كثيرٌ .

و " التَّبَارِيخُ " : الشدائدُ ، يقال " بَرَحَ بِي " ، ويقال : لَقِيتُ مِنْكَ " بَرَحًا " يا فتى ، وفي الحديث : " فَأَيْنَ أَهْلُ النَّهْرِ؟ قال : لَقُوا بَرَحًا ^(١) " ، والعربُ لا تعرفه إلا ساكنَ الرَّاءِ ، قال جريرٌ ^(٢) :

مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَشْغُوفٍ أَضْرَبَهُ بَرَحُ الْهَوَى وَعَذَابُ غَيْرِ تَفْتِيرِ

[قال أبو الحسن : وقد سمعنا من غير أبي العباس : يقال : "لَقِيتُ مِنْكَ بَرَحًا" بالفتح ، ويقال " لَقِمِي مِنْهُ الْبَرَحِينَ " أي الدَّوَاهِي الشَّدَادَ التي تُبْرَحُ به] .
* * *

قال أبو العباس : في المثل السائر : قِيلَ لِرَجُلٍ : مَا خَفِيَ؟ قال : ما لم يكن .
وفي تفسير هذه الآية : ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ ^(٣) قال : ما حَدَّثْتُ بِهِ نَفْسَكَ كما قال : ﴿ أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ ^(٤) وتقديره في العربية : وأخفى منه .
والعربُ تحذفُ مثلَ هذا ، فيقولُ القائلُ : مررتُ بالقبيلِ أو أعْظَمَ ، وإنه كالْبَقْعَةِ أو أَصْغَرُ ، ولو قال : رأيتُ زيدًا أو شَبِيهَا لجازَ ؛ لأن في الكلام دليلًا ولو قال : رأيتُ الجمَلَ

(١) جاء في " النهاية " (١١٣/١) : " وحديث أهل النهروان "لقوا برحاً" ضبط فيه بإسكان الراء. وبتحوه هذا المعنى جاء في حديث سلمة بن الأكوع - الطويل - الذي أخرجه مسلم في صحيحه وفيه قال سلمة: ".... وجلس على رأس قرن، قال الفزاري: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح والله ما فارقنا منذ غلَسَ يرمينا، حتى انتزع كل شيء في أيدينا.. الحديث .

وقال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث : قوله : (لقينا من هذا البرح) هو بفتح الباء وإسكان الراء أي : الشدة . والحديث أخرجه مسلم في " الجهاد " ، باب غزوة ذي قرد وغيرها . (٥٦١/٤) ط .

الشعب

(٢) ديوانه ق ١٣/٩ ج ١٤٥/١ .

(٣) سورة طه : ٧

(٤) سورة البقرة : ٢٣٥

أو راکباً ، وهو يريدُ " عليه " لم یَجْزَ ؛ لأنه لا دلیلَ فیهِ ، والأوّلُ إنّما قَرَّبَ شیئاً من شیءٍ ، وههنا إنّما ذَکَرُ شیئاً لیس من شَکْلِ ما قبله .

فأما قوله جلّ ثناؤه : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ ^(١) ففیهِ قولان : أحدهما - وهو المرصّي عندنا - : إنّما هو : وهو علیه هینٌ ؛ لأن الله جلّ وعزّ لا یكونُ شیءٌ أهْوَنَ علیه من شیءٍ آخرَ ، وقال معنُ بن أوس ^(٢) :

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى أَيْنَا تَعْدُو الْمَيْئَةُ أَوَّلُ

أراد: وإنّی لَوَجِلُ، وكذلك يُتَأَوَّلُ ما فی الأذان " الله أكبرُ الله أكبرُ " لأنه إنّما یُفاضَلُ بین الشیئین إذا كانا من جنس واحدٍ ، فیقول : هذا أكبرُ من هذا : إذا شاکله فی بابٍ .
فأما " الله أجودُ من فلان " و " الله أعلمُ بذلك منك " فوجههُ یبینُ ؛ لأنه من طریق العلمِ والمعرفةِ والبذلِّ والإعطاءِ .

وقومٌ ^(٣) یقولون " الله أكبرُ من کلِّ شیءٍ " و لیس یقع هذا على مَحْضِ الرُّویةِ ؛ لأنه تبارک وتعالی لیس کمثله شیءٌ ، وكذلك قول الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا يَتَنَا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

جائزٌ أن یكونَ قال للذي یخاطبه " مِنْ بَيْتِكَ " ^(٤) فاستغنی عن ذکرِ ذلك بما جَرَى من المخاطبةِ والمفاخرَةِ ، وجائزٌ أن تكونَ دَعَائِمُهُ عَزِيزَةً طَوِيلَةً ، كما قال :

فَبَحْتُمُ يَا آلَ زَيْدٍ نَفَرًا أَلَأَمْ قَوْمُ أَصْغَرَا وَأَكْبَرَا

یریدُ : صِغَارًا وَكِبَارًا .

فأما قولُ مالک بن نويرةٍ فی ذَوَابِ بن ربيعةٍ حيث قَتَلَ عُتَيْبَةَ بن الحارث بن شهابٍ ، وفخرَ بني أسدٍ بذلك ، مع كثرةٍ من قَتَلَتْ بنو یربوعٍ منهم :

فَخَرَّتْ بَنُو أَسَدٍ بِمَقْتَلِ وَاحِدٍ صَدَقَتْ بَنُو أَسَدٍ عُتَيْبَةَ أَفْضَلُ

فإنما معناه : أفضلُ من قَتَلُوا ، على ذلك يَدُلُّ الكلامُ ، وقد أبانَ ما قلنا فی بيته

الثاني بقوله :

(١) سورة الروم : ٢٧.

(٢) سلف البيت

(٣) منهم سيبويه ، انظر الكتاب ١/ ٢٣٣.

(٤) أى بيتنا دعائمه أعز وأطول من بيتك .

فَحَرُّوا بِمَقْتَلِهِ وَلَا يُوفِي بِهِ مَشَى سَرَائِهِمُ الَّذِينَ نَقَلُوا
والقول الثاني في الآية : وهو أهونٌ عليه عندكم ؛ لأن إعادة الشيء عند الناس
أهونٌ من ابتدائه حتى يُجْعَلَ شيءٌ من غير شيء .
* * *

ثم نعوذُ إلى الباب .

قال زهيرٌ :

ومَهْمَا تَكُنْ عند امرئٍ من خَلِيقَةٍ ولو ^(١) خَالَهَا تَخْفَى علي الناس تُعْلَمُ

فهذا مثلُ المثل الذي ذكرناه .

وقال عمرو بن العاصي : إذا أنا أَفْشَيْتُ سِرِّي إلى صَدِيقِي فَأَذَاعَهُ فهو في جِلٍّ ،
فَقِيلَ لَهُ : وكيف ؟ قال : أنا كُنْتُ أَحَقَّ بِصِيَانَتِهِ .

وقال امرؤ القيس :

إذا المرءُ لم يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَانٍ

وأَحْسَنُ مَا سَمِعَ فِي هَذَا مَا يُعْزَى إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَقَائِلٌ يَقُولُ : هُوَ
لَهُ ، وَيَقُولُ آخَرُونَ : قَالَهُ مُتَمَثِّلًا ، وَلَمْ يُخْتَلَفْ فِي أَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ إِنْشَادَهُ :

فَلَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا

فإِنِّي رَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّجَا لَ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا ^(٢)

وَذَكَرَ الْعُتْبِيُّ أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ أَسْرَّ إِلَى عَثْمَانَ بْنِ عُنْبَسَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ
حَدِيثًا ، قَالَ عَثْمَانُ : فَجِئْتُ إِلَى أَبِي ، فَقُلْتُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا ، أَفَأَحَدُكَ
بِهِ ؟ قَالَ : لَا ، إِنَّهُ مَنْ كَتَمَ حَدِيثَهُ كَانَ الْخِيَارُ إِلَيْهِ ، وَمَنْ أَظْهَرَهُ كَانَ الْخِيَارُ عَلَيْهِ ، فَلَا
تَجْعَلْ نَفْسَكَ مَمْلُوكًا بَعْدَ أَنْ كُنْتَ مَالِكًا ، فَقُلْتُ : أَوْ يَدْخُلُ هَذَا بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَبِيهِ !؟

(١) في بعض النسخ وبعض رواياته (وإن)

(٢) قال علي بن حمزة في التنبهات ١٥٥ : " البيت الثاني قبل الأول وروايته : ألم تر أن وشاة الرجال
وهو في الثابت من شعر علي رضي الله عنه ، وقد أتينا به في ديوان شعره " . انظر الشعر المنسوب
إلى علي رضي الله عنه ، وتعليق العلامة الميمني في التنبهات .

قال : لا ، ولكني أكره أن تُذللَ لسانك بإفشاء السرِّ ، قال : فرجعت إلى معاوية فذكرتُ ذلك له ، فقال : أَعْتَقَكَ أَخِي مِنْ رِقِّ الْخَطَا .

وقال معاوية : أَعِنْتُ عَلَى عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِأَرْبَعٍ : كُنْتُ رَجُلًا أَكْثَمُ سِرِّي ، وكان رَجُلًا ظُهُرَهُ ^(١) ، وكنْتُ في أَطْوَعِ جُنْدٍ وَأَصْلَحِهِ ، وكان في أَحَبِّ جُنْدٍ وَأَعْصَاهُ ، وتركته وأصحابَ الجَمَلِ ، وقلتُ : إِنَّ ظَفِيرُوا بِهِ كَانُوا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْهُ ، وإن ظَفِيرَ بِهِمِ اعْتَدَدْتُ بِهَا عَلَيْهِ فِي دِينِهِ ، وكنْتُ أَحَبَّ إِلَى قُرَيْشٍ مِنْهُ ، فَيَالِكَ مِنْ جَامِعٍ إِلَيَّ وَمُفَرِّقٍ عَنْهُ ، وَعَوْنٍ لِي وَعَوْنٍ عَلَيْهِ .

وقال أَرْدَشِيرُ : الدَّاءُ فِي كُلِّ مَكْتُومٍ .
وقال الأَخْطَلُ ^(٢) :

إِنَّ الْعَدَاوَةَ تَلْقَاهَا وَإِنْ قَدُمْتُ كَالْعُرِّ يَكْمُنُ حِينًا ثُمَّ يَنْتَشِرُ ^(٣)
وقال جَمِيلٌ :

وَلَا يَسْمَعَنَّ سِرِّي وَسِرِّكَ ثَالِثٌ أَلَّا كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ شَائِعٌ
وَفَتَيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ أَطْلِعُ بَعْضَهُمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرِ أَنِّي جَمَاعُهُمَا
يَظْلُمُونَ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءَ وَسِرَّهُمْ إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرِّجَالَ انْصِدَاعُهُمَا

وقال آخر :

سَأَكْتُمُهُ سِرِّي وَأَخْفَظُ سِرَّهُ وَلَا غَرْنِي أَنِّي عَلَيْهِ كَرِيمٌ
حَلِيمٌ فَيَنْسَى أَوْ جَهَوْلٌ يُضِيعُهُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا جَاهِلٌ وَحَلِيمٌ
وكان يقال : أَصْبَرُ النَّاسِ مَنْ صَبَرَ عَلَى كَيْتَمَانِ سِرِّهِ ، فلم يُبْدِهِ لصديقه ، فيوشكُ أَنْ يَصِيرَ عَدُوًّا فَيُذِيعَهُ .
وقال العُتْبِيُّ :

وَلِي صَاحِبٌ سِرِّي الْمَكْتُمُ عِنْدَهُ مَخَارِيقُ ^(٤) نِيرَانٍ بَلِيلٌ تُحَرِّقُ

(١) على وزن فعلة مبالغة في إظهاره أمره وإفشائه بين الناس

(٢) ديوانه ق ٥٠/١٩ ج ٢٠٣/١ .

(٣) العر : الجرب .

(٤) (مخاريق) جمع مخراق "بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة" وهو ما تلعب به الصبيان من الخرقِ المفتولة يضرب بها بعضهم بعضًا ، وكنى بتحريقها عن إذاعة سره .

عَظَفْتُ عَلَى أَسْرَارِهِ فَكَسَوْتُهَا ثِيَابًا مِنَ الْكِتْمَانِ لَا تَتَخَرَّقُ^(١)
فَمَنْ تَكُنْ الْأَسْرَارُ تَطْفُؤْ بِصَدْرِهِ فَأَسْرَارُ صَدْرِي بِالْأَحَادِيثِ تَفَرِّقُ^(٢)
فَلَا تُودِعَنَّ الدَّهْرَ سِرَّكَ أَحَقًّا فَإِنَّكَ إِنْ أَوْدَعْتَهُ مِنْهُ أَخْمَقُ
وَحَسْبُكَ فِي سِرِّ الْأَحَادِيثِ وَاعْظًا مِنَ الْقَوْلِ مَا قَالَ الْأَرَبُ الْمُؤَفَّقُ :
"إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَصْبِقُ
وَقَالَ كَعْبُ بْنُ سَعْدٍ الْغَنَوِيُّ :

وَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلرِّجَالِ سَرِيرَتِي وَمَا أَنَا عَنْ أَسْرَارِهِمْ بِسَّئُولٍ

وقد ذكرنا قولَ العباس بن عبد المطلب رحمه الله لا يَنيه عبد الله : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ
قَدْ اخْتَصَّكَ دُونَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَاحْفَظْ عَنِّي ثَلَاثًا : لَا يُجْرِبَنَّ عَلَيْكَ كَذِبًا ، وَلَا
تُفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا ، وَلَا تَغْتَبِ عِنْدَهُ أَحَدًا . فَقِيلَ لَابْنِ عَبَّاسٍ : كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ ،
فَقَالَ : كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ خَيْرٌ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

لِي حِيلَةٌ فِيمَنْ يَنُمُ ————— ثُمَّ وَلَيْسَ فِي الْكَذَّابِ حِيلَةٌ
مَنْ كَانَ يَكْذِبُ مَا يَرِي ————— لَدُ فَحِيلَتِي فِيهِ قَلِيلَةٌ

وَقَالَ آخَرُ [قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : هُوَ لِأَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدِ] :

إِنَّ النَّمُومَ أَعْطَى دُونَهُ خَبْرِي وَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ فِي مُفْتَرِي الْكَذِبِ

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

كَتَمْتُ الْهَوَى حَتَّى إِذَا نَطَقْتُ بِهِ بَوَادِرُ مِنْ دَمْعٍ تَسِيلُ عَلَى خَدَيَّ

(١) فِي الْبَيْتِ صُورَةٌ رَائِعَةٌ تَجَسَّدُ الْأَسْرَارُ فِي صُورَةِ الشَّيْءِ الْحَسِيِّ الَّذِي يَلْفُ فِي أَثْوَابِ مِنَ الْكِتْمَانِ ،
وَتَتَفَاعَلُ فِي الْبَيْتِ الْاسْتِعَارَتَانِ الْمَكْنِيَّةُ فِي كَسْوَةِ الْأَسْرَارِ وَالتَّصْرِيجِيَّةُ فِي أَثْوَابِ الْكِتْمَانِ لِتَشْكِيلِ تِلْكَ
الصُّورَةِ الرَّائِعَةِ .

(٢) تَظْهَرُ بَرَاعَةُ الشَّاعِرِ فِي هَذَا الْبَيْتِ فِي جَمْعِهِ بَيْنَ صَوْرَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ يَكْشِفُ بِهِمَا عَنْ مَدَى الْفَارَقِ
بَيْنَ حَالِهِ وَحَالِ صَدِيقِهِ فِي حِفْظِ الْأَسْرَارِ ، فَجَعَلَ صَدْرِيهِمَا بِحَرِينِ ، وَجَعَلَ الْأَحَادِيثَ تَفَرِّقُ بِصَدْرِهِ ،
بَيْنَمَا تَطْفُؤُ بِصَدْرِ خَلِيلِهِ ، وَفِي تَطْفُؤِ وَتَفَرَّقِ اسْتِعَارَتَانِ بِالْكُنَايَةِ عَنْ إِفْشَاءِ الْأَحَادِيثِ وَحِفْظِهَا .

وشاع الذي أضمرت من غير منطق كأن ضمير القلب يرشح من جلدي

* * *

وقال جميل بن عبد الله بن معمر العُدري^(١) :
إذا جاوزَ الخَلَيْنَ سِرًّا فَإِنَّهُ بَنَتْ^(٢) وإفشاء الحديثِ قَمِينُ
وتأويلُ "قَمِين" و "حَقِيق" و "جَدِير" و "خَلِيق" واحدٌ ، أي قريبٌ من ذلك ، هذه
حقيقته ، ويقال "قَمِينٌ" و "قَمِينٌ" في معنى ، قال الحارث بن خالد المخزومي^(٣) :
مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَنْزِلُنَا فَلَا تُفْحَوَانَهُ مِنَّا مَنْزِلٌ قَمِينُ
وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : " من باع دارًا أو عقارًا فلم يردُّدْ ثمنه في
مثله فذلك مالٌ قَمِينٌ أَلَا يُبَارِكُ فِيهِ " ^(٤) .
وقال الرقاشي^(٥) :

إذا نَحْنُ خِفْنَا الكَاشِحِينَ فَلَمْ نُطِقْ كَلَامًا تَكَلَّمْنَا بِأَعْيُنِنَا سِرًّا
فَنَقْضِي وَلَمْ يُغْلَمْ بِنَا كُلِّ حَاجَةٍ وَلَمْ نَكْشِفِ النَّجْوَى وَلَمْ نَهْتِكِ السُّتْرَا
وقال معاويةُ لِعَيَّاشِ بْنِ صَحَّارِ الْعَبْدِيِّ: ما أَقْرَبُ الاختصارِ ؟ قَالَ : لَمْحَةٌ دَالَّةٌ .
وقيل : خيرُ الكلامِ ما أَغْنَى اختصارُهُ عن إكثارِهِ .

(١) قال محقق س كذا اوهو وهم منه . والصواب أنه لقيس بن الخطيم ، ديوانه ق ١/١٣ ص ١٠٥ .
وقد سلف بيت جميل

(٢) النث : نشر الحديث وإنشاؤه

(٣) شعره ق ١/٤٠ ص ١٠٣ .

(٤) الحديث "حسن" أخرجه بنحوه أحمد في "المسند" (٤٦٧/٣) ، وابن ماجه في سننه ، والبيهقي في "الكبرى" (٣٣/٦ ، ٣٤) ، وابن عدى ، والضياء في "المنتقى" من حديث سعيد بن حريث ولفظه : "من باع منكم دارًا أو عقارًا ، فليعلم أنه مال قمن ألا يبارك له فيه ، إلا أن يجعله في مثله " وأخرجه البخاري في تاريخه ، والطيالسي ، لكن بلفظ مغاير من حديث حذيفة ، وانظر صحيح الجامع (٦١١٩ ، ٦١٢٠) ، وصحيح ابن ماجه (٢٠١٩) ، (خ ٢٠٢٠) ، وراجع الصحيحة (ح ٢٣٢٧)

(٥) هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش وهم حى من ربيعة نسبوا إلى أهمهم وكان منقطعًا إلى البرامكة . عن رغبة الآمل ١٠٣/٦ ، وانظر ذيل سمط اللآلى ٢٣ .

وقيل : النَّمَامُ سَهْمٌ قَاتِلٌ .

وقال بعضُ المُحدِّثِينَ :

لَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أَنْهَاهَا وَلَا أَدْعُ الْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَى قَلْبِي
وَأَنْ أَحَقَّ النَّاسُ بِالسُّخْفِ لَا مَرُوءٍ تُقْلِبُهُ الْأَسْرَارُ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ

وقال آخرُ :

وَأَمْنَعُ جَارَتِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَأَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ بَيْنَ صَحْبِي

ويقالُ لِلنَّمَامِ " الْقَتَاتُ " .

وفي الحديث ^(١) : " لَا يَرَا حُ الْقَتَاتُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ " .

وفي الحديث عن النبي ﷺ : " لَعَنَ اللَّهُ الْمُثَلَّثَ . فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَنِ الْمُثَلَّثُ ؟

فَقَالَ : الَّذِي يَسْنَعِي بِصَاحِبِهِ إِلَى سُلْطَانِهِ ، فَيُهْلِكُ نَفْسَهُ وَصَاحِبَهُ وَسُلْطَانَهُ " .

وقال معاويةُ لِلأُحْنَفِ فِي شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ ، فَأَنْكَرَ الْأُحْنَفُ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : بَلَّغْنِي

عَنْكَ الثَّقَةَ ، فَقَالَ الْأُحْنَفُ : إِنَّ الثَّقَةَ لَا يُبْلَغُ !!

وقال أحدُ المَاضِينَ وَهُوَ طَرِيعُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الثَّقَفِيُّ :

إِنْ يَسْمَعُوا الْخَيْرَ يُخْفُوهُ وَإِنْ سَمِعُوا شَرًّا أُذِيعَ ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا

وقال المُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ : أَدْنَى أَخْلَاقِ الشَّرِيفِ كِتْمَانُ السِّرِّ ، وَأَعْلَى أَخْلَاقِهِ

نَسْيَانُ مَا أُسِرَ إِلَيْهِ .

ويقالُ لِلنِّكَاحِ " السِّرُّ " عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ ، وَهَذَا لَيْسَ مِنَ الْبَابِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ ،

وَلَكِنْ يُذَكَّرُ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ ، وَهَذَا حَرْفٌ يُغْلَطُ فِيهِ ؛ لِأَن قَوْمًا يُجْعَلُونَ " السِّرَّ " الزَّنَا ،

وَقَوْمٌ يُجْعَلُونَ الْغِشْيَانُ ، وَكَلَامُ الْقَوْلَيْنِ خَطَأٌ ^(٢) ، إِنَّمَا هُوَ الْغِشْيَانُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ ، وَقَالَ اللَّهُ

(١) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ، وإنما أتى بلفظ : " لا يدخل الجنة قتات " أخرجه البخاري في " الأدب " ،

باب : ما يكره من النَمِيمَةِ ، (٤٨٧ / ١٠) ، ح ٦٠٥٦ ، ومسلم في " الإيمان " ، باب : بيان غلظ تحريم

النميمة (ح ١٠٥) ، كلاهما من حديث حذيفة رضى الله عنه .

(٢) قال علي بن حمزة في التنبيهات ١٥٦-١٥٧ : " السر النكاح ، والسر أيضًا اسم للذكر . وأبو

العباس مخطئ في رد أقوال المصبيين . وقال أبو عبيدة : السر الإفضاء بالإيلاج ... وقال غيره : كأن

السر كناية عن الجماع ، كما أن الغائط كناية عن الموضع ، قال الزجاج : وهذا القول عندى صحيح

وقال أبو يوسف وقال الأصمعي وقولهم تسريت أصلها من السر وهو النكاح ، والذي استشهد به

من قول الأعشى شاهد عليه واضح ، وقد قال الفرزدق :

جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ ^(١) ، فليس هذا موضع الزَّنا ^(٢) .
وقال الحطَّيئة :

وَيَخْرُمُ سِرُّ جَارِهِمْ عَلَيْهِمْ وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقِصَاعِ

وقال الأعشى ^(٣) لسلامة ذي فائش الحميري :

وَقَوْمُكَ إِنْ يَضْمُنُوا جَارَةً وَكَانُوا بِمَوْضِعِ أَنْضَادِهَا ^(٤)

فَلَنْ يَطْلُوا سِرَّهَا لِلْغَنَى وَلَنْ يُسْلِمُوها لِزَهَادِهَا

وفي هذا قولان : أحدهما : أنهم لا يطلبون اجتراحها إليهم على رَغَمِ أوليائها من أجل مالها غَضَبًا لِلْجَوَارِ ، ولا يُسْلِمونها إذا انقطع رجاؤهم من الثواب والمكافأة . والآخر : أنهم لا يرغبون في ذوات الأموال ، وإنما يرغبون في ذوات الأحساب اختياراً للأولاد وصيانة للأصهار أن يطمع فيهم مَنْ لا حَسَبَ له .

وَقَوْلُ الْحَطِيئَةِ وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقِصَاعِ

إنما يريدُ المُستأنف الذي لم يُؤْكَلْ قَبْلُ منه شيء ، يقال : " رَوْضَةُ أَنْفٍ " إذا لم تُرْعَ ، و " كَأْسُ أَنْفٍ " إذا لم يُشْرَبْ منها شيء قبل ؛ قال لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ :

إِنَّ الشُّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّغْفَ وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأَنْفَ

لِلطَّاعِنِينَ الْحَيْلَ وَالْحَيْلُ خُنْفٌ ^(٥)

موانع للأسرار إلا لأهلها ويخلفن ما ظن الغيور المشفشف

وأوضح من هذا وما أنشده أبو عمرو فرت لأبي الشداد من سره سهلا

وروى بعضهم بيت امرئ القيس وأن لا يحسن السر أمثالي .

وقد شرحنا هذا في كتاب أسماء النكاح من كتاب المناكحات بأكثر من هذا وفي الذي أوردناه ههنا كفاية إن شاء الله . اهـ .

(١) سورة البقرة : ٢٣٥ .

(٢) قد فسر السر في الآية بالزنا ، الحسن وقتادة والضحاك وغيرهم واختاره الطبري وفسره بالنكاح ابن عباس وابن جبير ومجاهد وعكرمة وغيرهم . انظر تفسير ابن كثير ٤٢٢/١ ، والقرطبي ١٩٠/٣ ، وتفسير غريب القرآن ٩٠ .

(٣) ديوانه ق ٨ ، ٥٤ ، ٥٥ ص ١١١ . الرواية في الأول : يكونوا بموضع .

(٤) الأنضاد : الأعمام والأخوال المتقدمون في الشرف ، الواحد نضد . عن رغبة الأمل ١٠٦/٦ .

(٥) النشيل : لحم يطبخ بلا توابل ، وعن أبي حاتم : النشيل ما انتشلت بيدك من لحم القدر بلا مغرفة ولا يكون من الشواء نشيل . والخنف جمع خنوف من خنفت الفرس إذا لوى حافره إلى وحشيه أو أحضر وثنى رأسه ويده في شق من نشاطه . عن رغبة الأمل ١٠٧/٦ .

باب

قال أبو العباس : وهذا باب اشترطنا أن نخرج فيه من حزن إلى سهل ، ومن جد إلى هزل ، ليستريح إليه القارئ ، ويدفع عن مستمعيه الملل ، ونحن ذاكرون ذلك إن شاء الله تعالى .

قال بكر بن النطاح في كلمة له يمدح فيها مالك بن علي الخزاعي :

عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنَ الْمَنَى لَتَرْضَى لِقَالَتِ : قُمْ فَجَنَّا بِكُوكَبِ
فَقُلْتُ لَهَا هَذَا التَّغْنُتُ كُلُّهُ كَمَنْ يَتَشَهَّى لَحْمَ عَنَقَاءِ مَغْرَبِ
فَلَوْ أَنَّنِي أَصْبَحْتُ فِي جُودِ مَالِكِ وَعِزَّتِهِ مَا نَالَ ذَلِكَ مَطْلَبِي
فَتَى شَقِيتْ أَمْوَالُهُ بِسَمَاحِهِ كَمَا شَقِيتْ قَيْسٌ بِأَرْمَاحِ تَغْلِبِ

وقال الخليل في كلمة له يمدح فيها عاصم الغساني :

أَقُولُ وَنَفْسِي بَيْنَ شَوْقٍ وَحَسْرَةٍ وَقَدْ شَخَصَتْ عَيْنِي وَدَمَعِي عَلَى خَدِي
أَرِيحِي بِقَتْلِ مَنْ تَرَكْتَ فُرَادَهُ بِلَحْظَتِهِ بَيْنَ التَّأْسُفِ وَالْجَهْدِ
فَقَالَتْ : عَذَابُ بَاهُوٍ قَبْلَ مِيتِهِ وَمَوْتُ إِذَا أَفْرَحْتَ قَلْبَكَ مِنْ بَعْدِي
لَقَدْ فَطَنْتَ لِلْحُورِ فَطْنَةَ عَاصِمٍ لَصْنَعِ الْأَيْدَى الْغُرَى فِي طَلَبِ الْحَمْدِ
مَا شَكُوكَ فِي الْأَشْعَارِ غَيْرَ مَقْصَرٍ إِلَى عَاصِمِ ذِي الْمَكْرَمَاتِ وَذِي الْجَمْدِ
لَعَلَّ فَتَى غَسَّانٍ يَجْمَعُ بَيْنَنَا لِتَأْمِنَ نَفْسِي مِنْكُمْ لَوْعَةُ الصَّد

وقال إسماعيل بن القاسم :

إِنَّ السَّلَامَ وَإِنَّ الْبَشَرَ مِنْ رَجُلٍ فِي مِثْلِ مَا أَنْتَ فِيهِ لَيْسَ يَكْفِينِي
هَذَا زَمَانُ أَلَحِّ النَّاسِ فِيهِ عَلَى زَمَنِ الْمُلُوكِ وَأَخْلَاقِ الْمَسَاكِينِ
أَمَّا عَلِمْتَ جِزَاكَ اللَّهُ صَاحِلَةً عَنِّي وَزَادَكَ خَيْرًا يَا بَنَ يَقُطِينِ
أَنِّي أُرِيدُكَ لِلدُّنْيَا وَعَاجِلِهَا وَلَا أُرِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ لِلدِّينِ

وقال يزيد بن محمد بن المهلب المهلب في كلمة له يمدح بها إسحاق بن إبراهيم:
 إن أكن مهدياً لك الشغراً أني لأنن يئت تهدي له الأشعار
 غير أنني أراك من أهل يئت ما على الحر أن يسودوه عار
 وقال أيضاً في كلمة أخرى :

وإذا جددت فكل شيء نافع وإذا حددت فكل شيء ضائر^(١)
 وإذا أتاك مهلب في الوغى والسيف في يده فيغم الناصر

* * *

وقال عبد الله بن الزبير لما أتاه قتل مصعب بن الزبير : أشهده المهلب بن أبي
 صفرة ؟ قالوا : لا ، كان المهلب في وجوه الخوارج ، قال : أفشده عباد بن الحصين
 الحيطي ؟ قالوا : لا ، قال : أفشده عبد الله بن حازم السلمي ؟ قالوا : لا ، فتمثل
 عبد الله بن الزبير :

فقلت لها : عيشي جعار^(٢) وجري بلخم امرئ لم يشهد اليوم ناصرة^(٣)

" جعار " اسم من أسماء الضبع ، وهي صفة غالبية ، لأنه يقال لها " جاعرة " فهذا
 في بابه كـ " فساق " و " لكاع " و " حلاق " للمنية . وقد فسرنا هذا الباب مستقصى
 على وجوهه الأربعة^(٤) .

* * *

ويروى^(٥) : أن جارية لهمام بن مرة بن ذهل بن شيان قالت له يوماً :
 أهمام بن مرة حن قلبي إلى اللاتي يكن مع الرجال

(١) جددت : رزقت الجد وهو الحظ ، وحددت : منعت . عن رغبة الآمل ١٠٩/٦ .

(٢) (فقلت لها : عيشي جعار إلخ) : هذا البيت أنشده سيويوه للناطقة الجعدى والعيث : الفساد
 (جعار اسم إلخ) ويقال لها أيضاً أم جعار وجعير

(٣) البيت من شواهد الكتاب ٣٨/٢ ، والمقتضب ٣٧٥/٣ . ونسب في مطبوعة الكتاب للناطقة
 الجعدى ، وانظر شعره _ الملحق ٢٢٠ .

(٤) انظر ما سبق

(٥) الخبر حكاه المرزباني في أشعار النساء ١٩٢ عن محمد بن أبي الأزهر عن المبرد . وهو
 باختلاف في أمالي القالي ١٠٥/٢ ، ١٠٦ . وفي نسخة : أن ابنة جارية ، وفي نسخة : أن ابنة
 لهمام .

فقال : يا فَسَّاق ! أردتِ صَفِيحَةً ماضيةً ! قالت :
 أَهْمَامُ بْنُ مُرَّةَ حَنَّ قَلْبِي إِلَى صَلْعَاءَ مُشْرِفَةِ الْقَذَالِ
 قال : يا فَجَار ! أردتِ بَيْضَةَ حَصِينَةَ ! فقالت :
 أَهْمَامُ بْنُ مُرَّةَ حَنَّ قَلْبِي إِلَى أَيَّرَ أُسْدُ بِهِ مَبَالِي !
 قال : فقتلها .

* * *

قال أبو العباس : قال أبو الشَّعْمَقِ - وهو مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَزَعَمَ التَّوْزِي عَنْ
 أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : أَبُو الشَّعْمَقِ وَمَنْصُورُ بْنُ زِيَادٍ وَيَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ الْكَاتِبُ مِنْ أَهْلِ
 خِرَاسَانَ ، مِنْ بُخَارِيَّةٍ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ ^(١) ، وَكَانَ أَبُو الشَّعْمَقِ رُبَّمَا لَحَنَ ، وَيَهْزُلُ
 كَثِيرًا وَيَجِدُّ ، فَيَكْثُرُ صَوَابُهُ - قَالَ يَمْدَحُ مَالِكَ بْنَ عَلِيٍّ الْخُرَاعِيَّ وَيَذُمُّ سَعِيدَ بْنَ سَلَمٍ
 الْبَاهِلِيَّ :

قَدْ مَرَزْنَا بِمَالِكٍ فَوَجَدْنَا	هُ جَوَادًا إِلَى الْمَكَارِمِ يَنْمِي
مَا يُسَالِي أَتَاهُ ضَيْفٌ مُخِفٌ	أَمْ أَتَاهُ يَأْجُوجُ مِنْ خَلْفٍ رَذَمِ
فَارْتَحَلْنَا إِلَى سَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ	فَإِذَا ضَيْفُهُ مِنَ الْجُوعِ يَرْمِي
وَإِذَا خُبْرُهُ عَلَيْهِ " سَيَكْفِي -	كَهْمُ اللَّهِ " مَا بَدَأَ ضَوْءُ نَجْمِ
وَإِذَا خَاتَمَ النَّبِيُّ سُلَيْمًا	نَ بْنَ دَاوُدَ قَدْ عَلَاةَ بَخْتَمِ
فَارْتَحَلْنَا مِنْ عِنْدِ هَذَا بِحَمْدِ	وَارْتَحَلْنَا مِنْ عِنْدِ هَذَا بِذَمِّ

وَقَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمَعْدَلِ يَرِثِي سَعِيدَ بْنَ سَلَمٍ :
 كَمْ يَتِيمَ جَبَرْتُهُ بَعْدَ يُتَمِ وَقَفِيرَ نَعَشَتَهُ بَعْدَ عُذَمِ
 كُلَّمَا عَضَّتِ الْحَوَادِثُ نَادَى : رَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ : عَرَضَ لِي أَعْرَابِيٌّ فَمَدَحَنِي فَبَلَغَ ، فَقَالَ :
 أَلَا قُلْ لِسَارِي اللَّيْلِ : لَا تَخْشِ ضَلَّةَ سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ ضَوْءُ كُلِّ بِلَادِ
 لَنَا سَيِّدُ أَرْبَى عَلَى كُلِّ سَيِّدٍ جَوَادُ حَفَا فِي وَجْهِ كُلِّ جَوَادِ

(١) انظر معجم البلدان ١/ ٣٥٦ .

قال : فتأخَّرتُ عن برِّه قليلاً ، فهجاني فَبَلَغَ ، فقال :

لِكُلِّ أَخِي مَذْحُ ثَوَابٍ يُعَدُّهُ وليس لِمَذْحِ الْبَاهِلِيِّ ثَوَابُ
مَدَحْتُ ابْنَ سَلَمٍ وَالْمَدِيحُ مَهْزَةٌ فكانَ كَصَفْوَانَ عَلَيْهِ ثَرَابُ
وقال أبو الشَّمَقَمَقِ :

قال لي الناسُ : زُرْ سَعِيدَ بْنِ سَلَمٍ قلتُ للناسِ : لا أَزُورُ سَعِيداً
وَأُمِيرِي فَتَى خِزَاعَةٍ بِالْبَصْنِ رَءً قَدْ عَمَّهَا سَمَاحٌ وَجُوداً
وَلِنِعَمِ الْفَتَى سَعِيدٌ وَلَكِنْ مَالِكٌ أَكْرَمُ الْبَرِيَّةِ عُوداً
فقال سعيدٌ : لَوَدِدْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَكَرَنِي مَعَ مَالِكٍ ، وَأَنَّهُ أَخَذَ مِنِّي أُمْنِيَّتَهُ .
وقال أبو الشَّمَقَمَقِ :

هِيَهَاتَ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ إِنَّ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي نَوَالِ سَعِيدٍ
وَاللَّهِ لَوْ مَلَكَ الْبُحُورَ بِأَسْرَهَا وَأَتَاهُ سَلَمٌ فِي زَمَانِ مُدُودٍ
يَبْغِيهِ مِنْهَا شَرِبَةٌ لَطَهُورِهِ لِأَبَى وَقَالَ : تَيْمَمَنْ بِصَعِيدٍ
ومثله قول الآخر :

لو أن قصرَك يابن يوسف ممتلئ إبراً يضيق بها فضاء المنزل
وأناك يوسف يستعيرك إبرة ليخيط قد قميصه لم تفعل
وقال مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

ذُبُونُكَ لَا يُقْضَى الزَّمانُ غَرْمُهَا وَبُخْلُكَ بُخْلُ الْبَاهِلِيِّ سَعِيدٍ
سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ أَلَامُ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَمَا قَوْمُهُ مِنْ لُؤْمِهِ بَعِيدٍ
يُرِيدُ لَهُ فَضْلٌ وَلَكِنْ مَزِيدًا تَدَارَكَ فِينَا مَجْدُهُ بِيَزِيدٍ
خِزِيمَةٌ لَا بَأْسَ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَمَطْبَخِهِ قُفْلٌ وَبَابُ حَدِيدٍ
وقال عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمُعَذَّلِ يَرْثِي عَمْرَو بْنَ سَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ - وَكَانَ عَمْرُو هَلَكًا
بُعِيدَ سَعِيدٍ بَيْسِيرَ - :

رُزْنَا أَبَا عَمْرُو فَقَلْنَا : لَنَا عَمْرُو سَيَكْفِيكَ ضَوْءُ الْبَذْرِ غَيُوبَةُ الْبَذْرِ
وَكَانَ أَبُو عَمْرُو مُعَارَا حَيَاتُهُ بَعَمْرُو فَلَمَّا مَاتَ مَاتَ أَبُو عَمْرُو

* * *

وقال أمير المؤمنين الرشيد يوماً لسعيد بن سلم : يا سعيد ، مَنْ بَيْتُ قَيْسٍ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، بنو فزارة ، قال : فَمَنْ بَيْتُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ؟ قال : يا أمير
المؤمنين ، الشَّرِيفُ مَنْ شَرَّفْتُمُوهُ ، قال : صدقت ، أَنْتَ وَقَوْمُكَ .

وحدثني عليُّ بنُ القاسمِ بنِ عليٍّ بنِ سليمان الهاشميُّ قال : حدثني رجلٌ من أهل
مكة قال : رأيتُ في مَنامي سعيدَ بنَ سلمٍ ، في حياته ونعمته ، وكثرةِ عَدَدِ وَلَدِهِ ، وَحُسْنِ
مَذْهَبِهِ ، وَكَمالِ مُرُوءَتِهِ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا أَجَلَ مَا أُعْطِيَهُ سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ ! فَقَالَ لِي
قَائِلٌ : وَمَا ذَخَرَ اللَّهُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ أَكْثَرُ .

وَكَانَ سَعِيدٌ إِذَا اسْتَقْبَلَ السَّنَةَ الَّتِي يَسْتَقْبِلُ فِيهَا عَدَدَ سِنِيهِ أَعْتَقَ نَسَمَةً وَتَصَدَّقَ
بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَقِيلَ لِمَدِينِي : إِنَّ سَعِيدَ بْنَ سَلَمٍ اشْتَرَى نَفْسَهُ مِنْ رَبِّهِ بِعَشْرَةِ آلَافِ
دِرْهَمٍ ، فَقَالَ : إِذَا لَا يَبِيعُهُ .

* * *

وقال أحمدُ بنُ يوسفَ الكاتبُ لولدِ سعيدٍ :

أَبْنِي سَعِيدُ إِنَّكُمْ مِنْ مَعْشَرِ	لَا يَعْرِفُونَ كِرَامَةَ الْأَضْيَافِ
قَوْمٌ لِبَاهِلَةٍ بَنَ يَعْصُرَ إِنْ هُمْ	نُسِبُوا حَسِبْتَهُمْ لِعَبْدٍ مَنَافِ
قَرُّنُوا الْغَدَاءَ إِلَى الْعِشَاءِ وَقَرَّبُوا	زَادًا لَعَمْرُ أَيْكَ لَيْسَ بِكَافِ
وَكَأَنِّي لَمَّا حَطَطْتُ إِلَيْهِمْ	رَحَلِي نَزَلْتُ بِأَبْرَقِ الْعِزَافِ ^(١)
بَيْنَا كَذَاكَ أَتَاهُمْ كُبْرَاؤُهُمْ	يَلْحَوْنَ فِي التَّبْذِيرِ وَالْإِسْرَافِ

وَأَنْشَدَنِي الْمَازِنِيُّ :

سَلِ اللَّهَ ذَا الْمَنِّ مِنْ فَضْلِهِ	وَلَا تَسْأَلَنَّ أَبَا وَائِلَةَ
فَمَا سَأَلَ اللَّهَ عَبْدٌ لَهُ	فَخَابَ وَلَوْ كَانَ مِنْ بَاهِلَةَ

[قال أبو الحسن : وزادني بعضُ أصحابنا :

تَرَى الْبَاهِلِيَّ عَلَى خَبْرِهِ	إِذَا رَامَهُ أَكَلَ أَكْلَهُ
------------------------------------	-------------------------------

وَأَنْشَدَنِي رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ :

(١) أبرق العزاف: ماء لبني أسد بن خزيمه في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة . عن معجم البلدان

(٢) في ذراه : بفتح الذال أى في كنفه وستره ودفنته .

أَبَاهِلَ يَنْبُحْنِي كَلْبُكُمْ وَأَسَدُكُمْ كِكِلَابِ الْعَرَبِ
ولو قيلَ للكلبِ يا باهلي عَوَى الكلبُ من لؤمِ هذا النّسبِ

* * *

وحدثني عليُّ بنُ القاسمِ قال: حدثني أبو قلابَةَ الجرَميُّ قال: حَجَجْنَا مع أَبِي جَزْءِ بنِ عَمْرٍو بنِ سَعِيدٍ ، قال: وَكُنَّا فِي ذِرَاهُ (٢)، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ بَهِيٌّ وَضِيٌّ ، فَجَلَسْنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى أَقْوَامٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، لَمْ نَرَ أَفْصَحَ مِنْهُمْ ، فَرَأَوْا هَيْئَةَ أَبِي جَزْءٍ وَإِعْظَامَنَا إِيَّاهُ مَعَ جَمَالِهِ ، فَقَالَ قَاتِلٌ مِنْهُمْ لَهُ: أَمِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْخَلِيفَةِ أَنْتَ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ ، قَالَ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ مُضَرَ ، قَالَ : أَعْرَضَ ثَوْبُ الْمَلْبَسِ [قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : يَقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ فَأَجَابَ عَنْ غَيْرِهِ : أَعْرَضَ ثَوْبُ الْمَلْبَسِ ، أَي : أَبَدَى لِي غَيْرَ مَا أُريدُ مِنْهُ] ! مِنْ أَيِّهَا عَافَاكَ اللَّهُ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ ، قَالَ : أَيْنَ يُرَادُ بِكَ ، صِرَ إِلَى فَصِيلَتِكَ الَّتِي تُؤْوِيكَ ! قَالَ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ قَيْسٍ ، قَالَ : اللَّهُمَّ غَفِرًا ! مِنْ أَيِّهَا عَافَاكَ اللَّهُ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَعْصَرَ ، قَالَ : وَمِنْ أَيِّهَا ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةَ ، قَالَ : قُمْ عَنَّا !! قَالَ أَبُو قَلَابَةَ : فَأَقْبَلْتُ عَلَى الْحَارِثِيِّ فَقُلْتُ : أَتَعْرِفُ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : ذَكَرَ أَنَّهُ بَاهِلِيٌّ ! فَقُلْتُ : هَذَا أَمِيرُ ابْنِ أَمِيرِ ابْنِ أَمِيرِ ابْنِ أَمِيرٍ ، قَالَ : حَتَّى عَدَدْتُ خَمْسَةً ، ثُمَّ قُلْتُ : هَذَا أَبُو جَزْءِ أَمِيرٌ ، ابْنُ عَمْرٍو ، وَكَانَ أَمِيرًا ، ابْنُ سَعِيدٍ ، وَكَانَ أَمِيرًا ، ابْنُ سَلَمٍ ، وَكَانَ أَمِيرًا ، ابْنُ قَتَيْبَةَ ، وَكَانَ أَمِيرًا ، فَقَالَ الْحَارِثِيُّ : الْأَمِيرُ أَعْظَمُ أَمِ الْخَلِيفَةُ ؟ قُلْتُ : بَلِ الْخَلِيفَةُ ، قَالَ أَفَالْخَلِيفَةُ أَعْظَمُ أَمِ النَّبِيُّ ؟ قُلْتُ : بَلِ النَّبِيُّ ، قَالَ فَوَاللَّهِ لَوْ عَدَدْتُ لَهُ فِي النَّبُوَّةِ أضعافَ مَا عَدَدْتُ لَهُ فِي الْإِمْرَةِ ثُمَّ كَانَ بَاهِلِيًّا مَا عَبَأَ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا !! قَالَ : فَكَادَتْ نَفْسُ أَبِي جَزْءٍ تَخْرُجُ ، فَقُلْتُ لَهُ : انْهَضْ بِنَا ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَسْوَأَ النَّاسِ آدَابًا .

* * *

وَحَدَّثْتُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا لَقِيَ رَجُلًا مِنَ الْحَاجِّ ، فَقَالَ لَهُ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قَالَ بَاهِلِيٌّ ، قَالَ : أُعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ! قَالَ : إِي وَاللَّهِ ، وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ مَوْلَى لَهُمْ ! فَأَقْبَلَ الْأَعْرَابِيُّ يُقْبَلُ يَدَيْهِ وَيَتَمَسَّحُ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : لِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَتَقَى بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَتَّكِلْ بِهَذَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَأَنْتَ فِي الْجَنَّةِ !!

وَتَزَعُمُ الرُّوَاةُ أَنَّ قُتَيْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ لَمَّا فَتَحَ سَمَرْقَنْدَ ^(١) أَفْضَى إِلَى أَثَاثٍ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ ،
وإلى آلات لم يُرَ مِثْلُهَا ، فَأَرَادَ أَنْ يُرِيَ النَّاسَ عَظِيمَ مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَيُعَرِّفَهُمْ أَقْدَارَ الْقَوْمِ
الَّذِينَ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ ، فَأَمَرَ بِدَارٍ فَفَرَشَتْ ، وَفِي صَحْفِهَا قُدُورٌ تُرْتَقَى بِالسَّلَالِمِ ، فَإِذَا بِالْحَضِيِّينَ
ابن المنذر بن الحارث بن وَغْلَةَ الرَّقَاشِيِّ قَدْ أَقْبَلَ ، وَالنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ، وَالْحَضِيِّينَ
شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَلَمَّا رَأَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ لِقُتَيْبَةَ : ائْذَنْ لِي فِي مُعَابَتِهِ ، قَالَ : لَا تُرْذُهُ فَإِنَّهُ
خَبِيثُ الْجَوَابِ ، فَأَبَى عَبْدُ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُضَعِّفُ ، وَكَانَ قَدْ تَسَوَّرَ
حَائِطًا إِلَى امْرَأَةٍ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَأَقْبَلَ عَلَى الْحَضِيِّينَ ابْنِ الْمُنْذِرِ فَقَالَ : أَمِنَ الْبَابَ دَخَلْتَ يَا أَبَا
سَاسَانَ ؟ قَالَ : أَجَلٌ ، أَسَنَّ عَمَّكَ عَنْ تَسَوَّرِ الْحَيْطَانِ ! قَالَ : أَرَأَيْتَ هَذِهِ الْقُدُورَ ؟ قَالَ :
هِيَ أَعْظَمُ مِنْ أَلَّا تُرَى ! قَالَ : مَا أَحْسِبُ بَكَرَ بْنَ وَائِلٍ رَأَى مِثْلَهَا ! قَالَ : أَجَلٌ ، وَلَا
عَيْلَانَ ، وَلَوْ كَانَ رَأَاهَا سُمِّيَ شَبْعَانَ وَلَمْ يُسَمَّ عَيْلَانَ ! قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : يَا أَبَا سَاسَانَ ،
أَتَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ :

عَزَلْنَا وَأَمَرْنَا ^(٢) وَبَكَرُ بْنُ وَائِلٍ تَجَرُّ خَصَاهَا تَبَغْيِي مَنْ تُحَالِفُ ^(٣)

قال : أَعْرِفُهُ ، وَأَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ :

وَخَيْسَةَ مَنْ يَخِيبُ عَلَى غَنِيٍّ وَبَاهِلَةَ بْنِ يَعْصُرَ وَالرَّكَابِ

قال له : أَتَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ :

كَأَنَّ فِجَاحَ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ إِذَا عَرِقَتْ أَفْوَاهُ بَكَرِ بْنِ وَائِلٍ ؟

قال : نَعَمْ ، وَأَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ :

(١) قال محقق (س) : بهامش الأصل ما نصه : "الذي فتح سمرقند سعيد بن عثمان في خلافة معاوية .

والذي ذكر أبو العباس وهم لا شك فيه " اهـ .

قلت : كذا قال ، وأبو العباس مصيب غير واهم . فسعيد بن عثمان ولي خراسان في خلافة معاوية
ففتح سمرقند ، ثم نقضوا وارتدوا ، ففتحها قتيبة بن مسلم وكان ولي خراسان أيام الوليد بن عبد الملك
انظر أنساب الأشراف ٦١٤/١/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٤/٤١٠ ، ومعجم البلدان ٣/٢٤٦ (سمرقند) .

(٢) (عزلنا) رواية غيره نزعنا وولينا رغبة الآمل ١١٧/٦ .

(٣) بهامش نسخة ما نصه : "هو لحارثة بن بدر الغداني بقوله في مالك بن مسمع وكان حالف

الأزد على تميم عند اختلاف بكر وقيم بعد موت يزيد بن معاوية . وبعده :

ومابات بكرى من الدهر ليلة فيصبح إلا وهو للذل عارف " اهـ

وانظر النقاوض ١١٢ ، ٧٢٩ ، ورغبة الآمل ١١٧/٦ .

قَوْمٌ قُتِيْبَةٌ أُمُهُمْ وَأَبُوهُمْ لَوْلا قُتِيْبَةٌ أَصْبَحُوا فِي مَجْهَلٍ^(١)

قال : أما الشعرُ فأراك ترويه ، فهل تقرأ من القرآن شيئاً ؟ قال : أقرأ منه الأكثر الأُطيبَ^(٢) : «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً»^(٣) قال : فأغضبه ، فقال^(٤) : والله لقد بلغني أنَّ امرأةَ الحُضَيْنِ حُمِلَتْ إليه وهي حُبْلَى من غيره ! قال : فما تحرَّكَ الشَّيْخُ عن هَيْئَتِهِ الأُولَى ! ثم قال على رِسلِهِ : وما يكونُ ! تَلِدُ غلاماً على فِرَاشِي فيقالُ " فلانُ بنُ الحُضَيْنِ " كما يقالُ " عبدُ الله بنُ مسلمٍ " !! فأقبلَ قُتِيْبَةٌ على عبد الله فقال : لا يُعْبِدُ اللهَ غيرَكَ ! هذا الحُضَيْنُ بنُ المنذرِ بنِ الحارثِ بنِ وُعَلَةَ . وكان الحُضَيْنُ بيده لواءُ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رحمه الله على ربيعة ، وله يقولُ القائلُ :
لِمَنْ رَايَةَ سَوْدَاءَ يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدَمُهَا حُضَيْنُ تَقْدَمًا^(٥)

* * *

وللحارثِ بنِ وُعَلَةَ يقولُ الأعشى ، وكان قصده فلم يُحمِده ، فعَرَّجَ عنه إلى هَوْدَةَ بنِ عليٍّ ذِي النَّاجِ . وهودَةُ من بني حَنِيْفَةَ بنِ لُجَيْمٍ بنِ صَعْبٍ بنِ عَلِيٍّ بنِ بَكْرِ بنِ وائلٍ ، والحارثِ بنِ وُعَلَةَ من بني رَقَاشٍ ، وهي امرأةٌ ، وأبوهم مالكُ^(٦) بنُ شَيْبَانَ بنِ ذُهَلٍ ابنِ ثُعَلْبَةَ بنِ عُكَّابَةَ بنِ صَعْبٍ بنِ عَلِيٍّ بنِ بَكْرِ بنِ وائلٍ ، فقال الأعشى^(٧) يَذْكُرُ الحارثِ بنِ وُعَلَةَ وهَوْدَةَ بنَ عليٍّ :

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زَائِرًا عَنْ جَنَابَةٍ فَكَانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِي جَامِداً
إِذَا مَا رَأَى ذَا حَاجَةٍ فَكَانَا يَرَى أَسَدًا فِي بَيْتِهِ وَأَسَاوِدًا

(١) البيت من الكامل ، وهو بلا نسبة في المخصص ١٧٣/١٣ .

(٢) بهامش الأصل : " الطيب وعليه " ع" يريد رواية أبي علي .

(٣) سورة الإنسان : ١ .

(٤) في نسخة : فقال له .

(٥) البيت من الطويل ، وهو لعلي بن أبي طالب في ديوانه ١٧٠ ولسان العرب ٤١٥/٧ (غيظ) ،

١٢٤ / ١٣ (حَض) ، ٢٦٩ / ١٤ (دَمَى) ، وزهر الآداب ٤٥ / ١ ، وتاج العروس (ودق) (حَضَن)

(٦) بهامش الأصل ما نصه : " رقاش هذه أم مالك هذا وزيد مناة أخيه ، فبنوها هم بنو رقاش يعرفون بها ، وهي رقاش بنت ضبيعة بن قيس بن ثعلبة " اهـ وهو كما قال ، انظر جمهرة أنساب العرب ٣١٧ ، واللباب ٣٣/٢ . واكتفى المبرد في نسب عدنان وقحطان ١٦ بالقول إن بني رقاش من بطون ذهل بن ثعلبة .

(٧) ديوانه ق ١٦٠ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٩٠ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠ . وفي الرواية اختلاف .

لَعَمْرُكَ مَا أَشْبَهَتْ وَغَلَّةً فِي النَّدَى شَمَانِلُهُ وَلَا أَبَاهُ مُجَالِدًا
فَإِنَّ أَمْرًا قَدْ زُرْتَهُ بَعْدَ هَذِهِ بَجَوٍّ لَخَيْرٍ مِنْكَ نَفْسًا وَوَالِدًا
تَضَيَّفْتُهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَجْلِسِي وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمانَةِ قَائِدًا
وَأَمْتَعَنِي عَلَى الْعَشَا يَوْلِيدَةً فَأَبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا هَوْدَا حَامِدًا
فَتَى لَوْ يَبَارِي الشَّمْسَ أَلْقَتْ خِمَارَهَا أَوِ الْقَمَرَ السَّارِي لَأَلْقَى الْمَقَالِدَا
يَرَى جَمْعَ مَا دُونَ الثَّلَاثِينَ قُصْرَةً وَيَعْدُو عَلَى جَمْعِ الثَّلَاثِينَ وَاحِدًا
وهي كلمة .

قوله " أَتَيْتُ حُرَيْنًا " يريدُ " الحارثَ " وتصغيرُهُ عَلَى اللفظ " حَوَيْرِثٌ " . وهذا التصغيرُ الآخرُ يقال له " تصغيرُ التَّرحِيمِ " وهو أنْ تَحْذِفَ الزَّوائِدَ مِنَ الاسمِ ثُمَّ تُصَغِّرَ حُرُوفَهُ الْأَصْلِيَّةَ ، فتَقُولُ فِي تصغيرِ " أَحْمَدَ " : " حُمَيْدٌ " ؛ لِأَنَّهُ مِنْ " الْحَمْدِ " ، وَفِي " الْحَارِثِ " : " حُرَيْثٌ " ؛ لِأَنَّهُ مِنْ " الْحَرْثِ " ، وَفِي " غَضْبَانَ " : " غُضْبِيْبٌ " ؛ لِأَنَّهُ مِنْ " الْغُضْبِ " ؛ لِأَنَّ الْأَلْفَ وَالنُّونَ زَائِدَتَانِ . وَكَذَلِكَ ذَوَاتُ الْأَرْبَعَةِ ، تَقُولُ فِي تصغيرِ " قُنْدِيلٍ " " قُنْدِيلٌ " عَلَى لَفْظِهِ " قُنْدِيلٌ " ، فَإِنْ صَغَّرْتَهُ مُرَحِّمًا حَذَفْتَ الْيَاءَ فَقُلْتَ " قُنْدِيلٌ " فَعَلَى هَذَا مَجْرَى الْبَابِ .

وقوله " عَنْ جَنَابَةٍ " يَقُولُ : عَنْ غُرْبَةٍ وَبُعْدٍ . يُقَالُ " هُمْ نِعَمَ الْحَيِّ لِجَارِهِمْ جَارِ الْجَنَابَةِ " أَيِ الْغُرْبَةِ ، يُقَالُ : " رَجُلٌ جُنُبٌ " وَ " رَجُلٌ جَانِبٌ " أَيِ غَرِيبٌ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ (١) ، وَقَالَ الْحُطَيْئَةُ (٢) :

وَاللَّهُ مَا مَعَشَرَ لَا مُوَأَمِرًا جُنُبًا فِي آلِ لَأَيِ بْنِ شَمَّاسٍ بِأَكْيَاسٍ
وَقَالَ عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِ (٣) :

فَلَا تَحْرَمَنِي نَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ فَإِنِّي أَمْرٌ وَسَطُ الْقَبَابِ غَرِيبُ

فَمِنْ قَالَ لِلوَاحِدِ " جُنُبٌ " قَالَ لِلْجَمِيعِ " أَجْنَابٌ " كَقَوْلِكَ " عُنُقٌ " وَ " أَعْنَاقٌ " وَ " طُنْبٌ " وَ " أَطْنَابٌ " . وَمَنْ قَالَ لِلوَاحِدِ " جَانِبٌ " قَالَ لِلْجَمِيعِ " جُنَابٌ " كَقَوْلِكَ : " رَاكِبٌ " وَ " رُكَّابٌ " وَ " ضَارِبٌ " وَ " ضُرَّابٌ " قَالَتِ الْخَنَسَاءُ :

(١) سورة النساء : ٣٦ .

(٢) ديوانه ق ١/٧١ ص ٢٨٣ .

(٣) ديوانه ق ٣٩/١ ص ٤٨ . وَالْكَلِمَةُ هِيَ الْمَفْضُلِيَّةُ رَقْم ١١٩ ، وَهِيَ فِي الْاِخْتِيَارَيْنِ بِرَقْم ١٠٢ .

ابْكِي أَخَاكَ لِأَيْتَامٍ وَأَرْمَلَةٍ وابْكِي أَخَاكَ إِذَا جَاوَزْتَ أَجْنَابًا^(١)

وإن كان من " الجَنَابَةِ " التي تُصيب الرجلَ قلتَ " رجلٌ جُنُبٌ " و " رجلانِ جُنُبٌ " وكذلك المرأةُ ، والجميعُ . وقد يجوزُ - وليس بالوَجْه - : " رجلانِ جُنُبَانِ " و " امرأةٌ جُنُبَةٌ " و " قومٌ أَجْنَابٌ " .

وقوله : يَرَى أَسَدًا فِي بَيْتِهِ وَأَسَاوِدًا

يريد " جَمَعَ " أَسُودَ " سالخ و " أَسُودَ " ههنا نعتٌ غالبٌ ، فلذلك جَرَى مَجْرَى الأسماء ؛ لأنه يَدُلُّ على الحَيَّةِ . و " أَفْعَلُ " إذا كان نعتًا بنفسه فجمعُه " فُفْعَلُ " نحو " أَحْمَرُ " و " حُمْرٌ " و " أَسُودَ " وسوِدَ " وإذا كان نعتًا بنفسه وجرى مجرى الأسماء فجمعُه " أَفَاعِلُ " نحو " أَسَاوِدَ " و " أَجَادِلَ " و " أَذَاهَمَ " إذا أَرَتِ القَيْدَ ؛ لأنه نعتٌ غالبٌ يَجْرِي^(٢) مَجْرَى الأسماء ؛ وإن أَرَدْتَ " أَذْهَمَ " الذي هو نعتٌ محضٌ قلتَ : " ذُهِمَ " قال الأشهبُ بنُ رُمَيْلَةَ^(٣) :

أَسُودُ شَرَى لَأَقْتَ أَسُودَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الْأَسَاوِدِ^(٤)

فأجراه مُجْرَى الأسماء ، نحو " الأصَاغِرِ " و " الأكَابِرِ " و " الأَحَامِدِ " .
وقوله :

لِعَمْرُكَ مَا أَشْبَهْتَ وَعِلَّةً فِي النَّدَى شمائله

فإنه جعل " شمائله " بدلًا مِنْ " وَعِلَّةٍ " والتقديرُ : ما أَشْبَهْتَ شمائلَ وَعِلَّةٍ .
والبدلُ على أربعةِ أَضْرُبٍ :

(١) ديوانها ص ٧ .

(٢) في الأصل : فيجرى .

(٣) سلف البيت .

(٤) البيت من الطويل ، وهو للأشهب بن ربيعة في أمالي القالي ٨/١ ، والحماسة البصرية ١/ ٢٦٩ ، وخزانة الأدب ٢٧/٦ وسمط اللآلئ ٣٥ ، وشرح شواهد المغنى ٢/ ٥١٧ ، ولسان العرب ٣/ ١٤٦ (حرد) ، ٢٣٧/١٤ (خفا) ، ومعجم ما استعجم ٢، ٥٠٦ ، والمقاصد النحوية ١/ ٤٨٣ ، والمنصف ١/ ٦٧ وبلا نسبة في الحيوان ٤/ ٢٤٥ ، والمقتضب ٢/ ٢٢٨ .

ورواية البيت :-

أَسُودُ شَرَى لَأَقْتَ أَسُودَ خَفِيَّةٍ تساقَت على لوح دماء الأساود

فواحدٌ منها : أن تُبَدِّلَ أَحَدَ الاسْمَيْنِ مِنَ الْآخِرِ إِذَا رَجَعَا إِلَى وَاحِدٍ ، وَلَا تُبَالِي أَمْعَرْتَيْنِ كَانَا أَمْ مَعْرِفَةً وَنَكْرَةً ، تقولُ : مررتُ بِأَخِيكَ زَيْدٍ ؛ لِأَنَّ زَيْدًا هُوَ الْأَخُ وَكَذَلِكَ : مررتُ بِرَجُلٍ عَبْدٍ لِلَّهِ ، فهذا واحدٌ .

وَالْآخَرُ : أن تُبَدِّلَ بَعْضَ الشَّيْءِ مِنْهُ ، نحو : ضربتُ زَيْدًا رَأْسَهُ ، لَمَّا قُلْتُ " ضَرَبْتُ زَيْدًا " أَرَدْتُ أَنْ تُبَيِّنَ مَوْضِعَ الضَّرْبِ مِنْهُ .

فَمِثْلُ الْأَوَّلِ : قولُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(١) وَقَوْلُهُ : ﴿ وَإِنَّكَ لَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) وَ﴿ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ . نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ ^(٣) .

وَمِثْلُ الْبَدَلِ الثَّانِي : قولُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ^(٤) " مَنْ " فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ ، لِأَنَّهَا بَدَلٌ مِنْ " النَّاسِ " وَمِثْلُهُ إِلَّا أَنَّهُ أُعِيدَ حَرْفُ الْخَفْضِ : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾ ^(٥) .

وَالْبَدَلُ الثَّلَاثُ : مِثْلُ مَا ذَكَرْنَا فِي الْبَيْتِ ، أَبْدَلُ " شَمَائِلُهُ " مِنْهُ ، وَهِيَ غَيْرُهُ ، لِاشْتِمَالِ الْمَعْنَى عَلَيْهَا . وَنَظِيرُ ذَلِكَ : أَسْأَلُكَ عَنْ زَيْدٍ أَمْرُهُ ؛ لِأَنَّ السُّؤَالَ عَنِ الْأَمْرِ . وَتَقُولُ عَلَى هَذَا : سُلِبَ زَيْدٌ ثَوْبُهُ ، فَالثَّوْبُ غَيْرُهُ : وَلَكِنْ بِهِ وَقَعَ السَّلْبُ ، كَمَا وَقَعَتِ الْمَسْأَلَةُ عَنْ خَيْرِ زَيْدٍ . وَنَظِيرُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ ^(٦) ؛ لِأَنَّ الْمَسْأَلَةَ إِنَّمَا كَانَتْ عَنِ الْقِتَالِ : أَهْوَ يَكُونُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ؟ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِنَّ السُّيُوفَ غَدَوْهَا وَرَوَّاحَهَا تَرَكْتَ هَوَازَنَ مِثْلِ قَرْنِ الْأَعْظَبِ ^(٧)

(١) سورة الفاتحة : ٧، ٦ .

(٢) سورة الشورى : ٥٢، ٥٣ .

(٣) سورة العلق : ١٦، ١٥ .

(٤) سورة آل عمران : ٩٧ . و"حِجٌّ" كَذَا ضَبَطَ فِي نَسْخَةِ بَفَتْحِ الْحَاءِ وَهِيَ قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو وَابْنِ كَثِيرٍ وَنَافِعٍ وَأَبِي بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ مِنَ السَّبْعَةِ ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ " حِجْ " بِكَسْرِ الْحَاءِ . انظر السبعة لابن مجاهد ٢١٤ . وحجة القراءات ١٧٠ ، والكشف لمكي ٣٥٣/١ .

(٥) سورة الأعراف : ٧٥ . ووقع اضطراب في جميع النسخ في هذه الآية .

(٦) سورة البقرة : ٢١٧ .

(٧) بعده في بعض النسخ : " وهو الأخطل " . والبيت له ، ديوانه ق ١١/٨ ج ٩٠/١ ، والخزانة ٣٧٢ / ٢ (الأعضب) : الكبش المكسور القرن ، وقد عضب قرنه " بالكسر " عضبًا انكسر فهو أعضب

وهو عضباء رغبة الأمل ١٢٣/٦ .

وَبَدَلٌ رَابِعٌ ، لَا يَكُونُ مِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي الشَّعْرِ ، وَهُوَ أَنْ يَغْلُطَ الْمُتَكَلِّمُ فَيَسْتَدْرِكُ غَلْطَهُ ، أَوْ يَنْسَى فَيَذْكُرَ فَيَرْجِعَ إِلَى حَقِيقَةٍ مَا يَقْصِدُ لَهُ ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ : مَرَرْتُ بِالْمَسْجِدِ دَارِ زَيْدٍ ، أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : مَرَرْتُ بِدَارِ زَيْدٍ ، فَإِمَّا نَسِيَ ، وَإِمَّا غَلِطَ ، فَاسْتَدْرَكَ فَوَضَعَ الَّذِي قَصَدَ لَهُ فِي مَوْضِعِ الَّذِي غَلِطَ فِيهِ .

وقوله " بَحْوٌ " فهي قَصْبَةُ الْيَمَامَةِ .
 وَقَوْلُهُ " تَضَيَّفْتَهُ يَوْمًا " إِنَّمَا هُوَ " تَفَعَّلْتَهُ " مِنْ " الضَّيَافَةِ " يُقَالُ " ضَيَّفْتُ الرَّجُلَ " إِذَا نَزَلَتْ بِهِ ، وَ " أَضَافَنِي " أَيِ أَنْزَلَنِي .
 وَقَوْلُهُ " وَأَصْفَدَنِي " أَيِ : أَعْطَانِي ، وَهُوَ " الْإِصْفَادُ " وَ " الصَّفْدُ " الْأِسْمُ ، وَ " الْإِصْفَادُ " الْمَصْدَرُ ، قَالَ النَّابِغَةُ ^(١) :

فَلَمْ أُعْرِضْ - أَبَيْتَ اللَّغْنَ - بِالْصَّفْدِ ^(٢)

وَيُقَالُ " صَفَدْتُ الرَّجُلَ فَهُوَ مَصْفُودٌ " مِنَ الْقَيْدِ ، وَلَا يُقَالُ فِي الْقَيْدِ " أَصَفَدْتُ " وَلَكِنْ " صَفَدْتُهُ صَفْدًا " وَاسْمُ الْقَيْدِ " الصَّفْدُ " قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿مُفْرَسِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ^(٣) ، كَقَوْلِكَ " جَمَلٌ وَأَجْمَالٌ " وَ " صَنَمٌ وَأَصْنَامٌ " .

وقوله " فَتَى لَوْ يُبَارِي الشَّمْسَ " يَقُولُ : يُعَارِضُ ، يُقَالُ " انْبَرَى لِي فَلَانٌ " أَيِ اعْتَرَضَ لِي ، وَبَرَى لِي فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَ " فَلَانٌ يُبَارِي الرِّيحَ " مِنْ هَذَا ، أَيِ يَعَارِضُ الرِّيحَ بِجُودِهِ ، فَهَذَا غَيْرُ مَهْمُوزٍ .

فَأَمَّا " بَارَأْتُ " الْكَرَى " فَهُوَ مَهْمُوزٌ ^(٤) ؛ لِأَنَّهُ مِنْ " أَبْرَأَنِي وَأَبْرَأْتُهُ " . وَيُقَالُ " بَرَأَ فَلَانٌ مِنْ مَرَضِهِ " وَ " بَرِيءٌ " يَا فَتَى ! وَالْمَصْدَرُ مِنْهُمَا " الْبَرَاءُ " فَاعْلَمْ . وَ " بَرَيْتُ الْقَلَمَ " غَيْرُ مَهْمُوزٍ . وَيُقَالُ " مَا بَرَأَ اللَّهُ مِثْلَ فَلَانٍ " ، وَهُوَ الْبَارِئُ الْمَصُورُ ، وَقَوْلُهُ " الْبَرِيَّةُ " أَصْلُهُ مِنَ الْهَمْزِ ، وَيُخْتَارُ فِيهِ تَخْفِيفُ الْهَمْزِ ، وَلَفْظُ التَّخْفِيفِ وَالْبَدَلُ وَاحِدٌ . وَكَذَلِكَ يُخْتَارُ فِي " النَّبِيِّ " التَّخْفِيفُ ، فَمِنْ جَعَلَ التَّخْفِيفَ لَازِمًا قَالَ فِي جَمْعِهِ " أَنْبِيَاءٌ " كَمَا يُفْعَلُ بِذَوَاتِ الْبَاءِ وَالْوَاوِ ، تَقُولُ " وَصِيٌّ وَأَوْصِيَاءُ " وَ " تَقِيٌّ وَأَتَقِيَاءُ " وَ " شَقِيٌّ

(١) ديوانه ق ١ / ٤٨ ص ٢٤ .

(٢) صدره : هذا الشاء فإن تسمع لقائله

(٣) سورة ص : ٣٨ .

(٤) الكرى : الذى يكرى دابته .

وأشقياء " وَمَنْ هَمَزَ الْوَاحِدَ قَالَ فِي الْجَمْعِ " نُبَاءٌ " لِأَنَّهُ غَيْرُ مُعْتَلٍّ، كَمَا تَقُولُ " حُكَمَاءُ " وَ " أَنْبِيَاءُ " لُغَةُ الْقُرْآنِ وَالرَّسُولُ ﷺ . وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ :

يَا خَاتِمَ النَّبَاءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ كُلُّ هُدَى السَّبِيلِ هَذَاكَ^(١)

وقوله: أَوِ الْقَمَرِ السَّارِي لِأَلْقَى الْمَقَالِدَا

إِنَّمَا أُسْكِنَ الْيَاءَ ضَرُورَةً ، وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ ؛ لِأَن هَذِهِ الْيَاءَ تَسْكُنُ فِي الرِّفْعِ وَالْخَفْضِ ، فَإِذَا احتَاجَ الشَّاعِرُ إِلَى إِسْكَانِهَا فِي النِّصْبِ قَاسَ هَذِهِ الْحَرَكَةَ عَلَى الْحَرَكَتَيْنِ : الضَّمَّةِ وَالْكَسْرَةِ ، السَّاقِطَتَيْنِ ، فَشَبَّهَهَا بِهِمَا ، فَجَعَلَهَا كَالْأَلِفِ الَّتِي فِي " مُنْتَى " عَلَى هَيْئَةٍ وَاحِدَةٍ فِي جَمِيعِ الْإِعْرَابِ ، قَالَ النَّابِغَةُ :

رَدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَّدَهُ ضَرْبُ الْوَلِيدَةِ بِالسَّحَابَةِ فِي الثَّأْدِ^(٢)

فَأُسْكِنَ الْيَاءَ فِي " أَقَاصِيهِ " ، وَقَالَ رُؤْبَةُ :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرَقُ [أَيْدَى جَوَارٍ يَتَعَاطِينَ الْوَرَقَ]^(٣)

وقال : سَوَّى مَسَاحِيَهُنَّ^(٤) تَقْطِيطَ الْحَقِّقِ^(٥)

وقال الْآخَرُ^(٦) :

(١) البيت من الكامل ، وهو لعباس بن مرداس في ديوانه ٩٥ ، والكتاب ٣ / ٤٦٠ ، ولسان العرب ١ / ١٦٢ (نبأ) وبلا نسبة في جمهرة اللغة ١٠٢٨ ، والمقتضب ١ / ١٦٢ .

(٢) البيت من البسيط ، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ١٥ ، وخزانة الأدب ٤ / ٥ ، وبلا نسبة في المقتضب ٤ / ٢١ ، وكتاب العين ٨ / ٥٦ .
(٣) زيادة من نسخة .

(٤) حوافرهن على التشبيه بالمساحي جمع المسحاة في صلابتها وقشرها الأرض ، وتقطيط الحقيق قطعها وتسويتها . يريد حقق الطيب ويسمى صانع ذلك بالقطاط وهو الخراط . رغبة الآمل ١٢٧/٦ .

(٥) البيت من الوافر ، وهو لبشر بن أبي خازم في ديوانه ١٤٢ ، وخزانة الأدب ٤ / ٤٣٩ ، ١٠ / ٤٧٧ ، ٤٨٢ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٩٤ ، ولأبي حية النميري في لسان العرب ١٥ / ١٩٥ (قفا) ، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٨ / ٤٨ ، ١١٢ وتخليص الشواهد ٢٩٩ ، وخزانة الأدب ٣ / ٤٤٣ ، ٦ / ٣٩٧ ، والخصائص ٢ / ٢٦٨ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٩٧٠ ، وشرح المفصل ٦ / ١٥ ، ١٠ / ١٠٣ ، والصاحبي في فقه اللغة ٣٥ ، والمقتضب ٤ / ٢٢ ، والنصف ٢ / ١١٥ .

(٦) بهامش الأصل : " هو بشر بن أبي خازم " ديوانه ق ٢٩ / ١ ص ١٤٢ ، وهو من شواهد المقتضب ٤ / ٢٢ والخزانة ٢ / ٢٦١ .

كَفَى بِالنَّاسِ مِنْ أَسْمَاءٍ كَافٍ وَلَيْسَ لِحُبِّهَا مَا عِشْتُ شَافٍ
وَأَمَّا قَوْلُهُ :

وَأَمْتَعَنِي عَلَى الْعَشَا بُولِيدَةٍ فَأُبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا هَوْدَ حَامِدًا

فإنه كان يتحدث عنه ، ثم أقبل عليه يخاطبه ، وترك تلك المخاطبة .
والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب؛ قال الله
جلَّ وعزَّ: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾^(١) كانتِ الْمُخَاطَبَةُ لِلْأُمَّةِ ،
ثم صُرِفَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ إِنْجَارًا عَنْهُمْ^(٢) . وَقَالَ عَتْرَةُ^(٣) :

شَطَطُ مَزَارِ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِيرًا عَلَيَّ طِلَابُكَ^(٤) ابْنَةُ مَخْرَمٍ

كَانَ يُحَدِّثُ عَنْهَا ثُمَّ خَاطَبَهَا . وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ جَرِيرٍ^(٥) :

وَتَرَى الْعَوَازِلَ يَتَلَدِرْنَ مَلَامَتِي فَإِذَا أَرَدَنْ سِوَى هَوَاكِ عُصِينَا

وَقَالَ آخَرُ :

فِدَى لَكَ وَالِدِي وَسِرَاةُ قَوْمِي وَمَالِي إِنَّهُ مِنْهُ أَتَانِي

وَهَذَا كَثِيرٌ جَدًّا .

وَقَوْلُهُ :

يَرَى جَمَعَ مَا دُونَ الثَّلَاثِينَ قُصْرَةً
أَي قَلِيلًا ، مِنْ " الْاِقْتِصَارِ " . وَيُرْوَى " وَيَعْدُو " وَ " يَعْدُو " جَمِيعًا .

وَكَانَ هَوْدَةُ بْنُ عَلِيٍّ ذَا قَدْرِ عَالٍ ، وَكَانَتْ لَهُ خَرَزَاتٌ تُنْظَمُ فَتُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ ، تَشَبُّهُهَا
بِالْمُلُوكِ .

وَحَدَّثَنِي^(٦) التَّوْزِيُّ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، قَالَ : مَا تَتَوَجَّعُ مَعْدِي قَطُّ ، إِنَّمَا كَانَتْ التَّيْجَانُ
لِلْيَمَنِ . قَالَ : فَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ الْأَعَشِيِّ :

(١) سورة يونس : ٢٢ .

(٢) سبق التنبيه على هذا اللون من البديع ، وهو فن معروف مشهور بالالتفات .

(٣) سلف البيت .

(٤) طلابك : يروى طلابها .

(٥) سلف البيت مع آخر .

(٦) انظر ما سلف . وقد أعاد ههنا ما قاله ثمة .

مَنْ يَرِ هَوْدَةَ يَسْجُدُ غَيْرَ مُتَّيِّبٍ إِذَا تَعَمَّمَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا ؟

قال : إِنَّمَا كَانَتْ خَرَزَاتٌ تُنَظَّمُ لَهُ .

وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى هَوْدَةَ كَمَا كَتَبَ إِلَى الْمَلُوكِ .

وكانت بنو حنيفة بن لُحَيْمٍ أصحابَ اليمامة ، ويقولُ بعضُ النِّسَّابِينَ : إِنَّ عُبَيْدَ ابن حنيفة كان أتى اليمامة وهي صحراء ، فاختطها ، فجعل يركضُ حوالَيْهَا وَيَخْطُ بِرَمَحِهِ فِي الْأَرْضِ عَلَى مَا أَصَابَ مِنَ النَّخْلِ ، وَإِنَّهُمْ أَكَلُوا مَا أَصَابُوا تَحْتَهُ مِنَ التَّمْرِ ، فَلَمَّا طَلَعَ لَهُمُ التَّمَرُ بَعْدَ لَمْ يَهْتَدُوا لِصُغُودِ النَّخْلِ ، فَأَقْبَلُوا يَجِدُونَهُ ، حَتَّى فَكَّرُوا فَأَعَدُّوا لَهُ السَّلَاحَ ، فَلَمَّا عَمِرَتِ اليمامة جَعَلَتِ الْعَرَبُ تَنْتَجِعُهُمْ لِمَوْضِعِ التَّمْرِ فَيَجَاوِرُونَ الْعَزِيزَ مِنْهُمْ وَكَانَ يُقَالُ لِمَنْ دَخَلَهَا مِنْ هَؤُلَاءِ " السَّوَاقِطُ " مِمَّنْ كَانُوا .

ويقال : إِنَّ اليمامةَ وَالْبَحْرَيْنِ وَالْقَرَيْتَيْنِ وَمَوَاضِعَ هُنَاكَ كَانَتْ لِطُسَمٍ وَجَدِيسَ ، وَالْخَيْرِ فِي ذَلِكَ مَشْهُورٌ بِزُرْقَاءِ اليمامة ، وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ الْأَعْمَشِيُّ فِي قَوْلِهِ (١) :

قَالَتْ : أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كِتْفٌ أَوْ يَخْصِفُ النِّعْلَ لَهْفِي آيَةً صَنَعَا

فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ ذُو آلِ حَسَّانٍ يُزْجِي الْمَوْتَ وَالشَّرْعَا

وحدثني التَّوَزِيُّ عَنْ أَبِي عُيَيْدَةَ وَالْأَضْمَعِيِّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو قَالَ : قَالَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرَيْتَيْنِ : أَصَبْتُ هُنَا دِرَاهِمَ وَزَنُ الدِّرْهَمِ سِتَّةَ دِرَاهِمَ وَأَرْبَعَةَ دَوَانِيقَ (٢) ، مِنْ بَقَايَا طُسَمٍ وَجَدِيسَ ، فَخِفْتُ السُّلْطَانَ فَأَخْفَيْتُهَا .

وقد ذكر ذلك زُهَيْرٌ فِي قَوْلِهِ :

عَهْدِي بِهِمْ (٣) يَوْمَ بَابِ الْقَرَيْتَيْنِ عَقْدَ وَقَدْ زَالَ الْهَمَالِيجُ بِالْفُرْسَانِ وَاللُّجُمِ (٤)

(١) ديوانه ق ١٩/١٣ / ٢٠ ص ١٣٩ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : دَوَانِقُ .

(٣) فِي نَسْخَةٍ كَمَا فِي سَائِرِ النُّسخِ " بِهِمْ " نَاسِخٌ نَسَخَ نَسْخَةً كَتَبَ عَلَيْهَا " بِهَا " مَعَ " صَح " فَأَثْبَتَهَا رَايَتِ " بِهَا " وَفِي هَذَا مُخَالَفَةٌ لِمَا أَطْبَقَتْ عَلَيْهِ النُّسخُ ، وَرَوَاهُ الدِّيَوَانُ كَمَا فِي الْمَتْنِ .

(٤) الْهَمَالِيجُ عَلَيْهِ : وَهِيَ الدَّابَّةُ فِي سِيرِهَا سُرْعَةٌ وَبَخْتَرَةٌ ، أَرَادَ بِهَا الْخَيْلَ ، وَقِيلَ الْإِبِلُ . عَنْ رَغْبَةِ الْأَمَلِ ١٣٢/٦ وَالِدِيَوَانِ .

فَاسْتَبَدَّلْتُ بَعْدَنَا دَارًا يَمَانِيَّةً تَرَعَى الْخَرِيفَ فَأَذْنَى دَارَهَا ظَلِمٌ^(١)

وقال جريرٌ يَهْجُو بني حَنِيفَةَ:
هَجَانِي النَّاسُ مِلَّ الْأَقْوَامِ^(٢) كُلِّهِمْ
أَصْحَابُ نَخْلٍ وَحِيطَانٍ وَمَزْرَعَةٍ
سُيُوفُهُمْ خُشْبٌ فِيهَا مَسَاحِيهَا
ذَلْتُ فَأَعْطْتُ يَدًا لِلسُّلَمِ صَاغِرَةً
مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ سَيْفُ اللَّهِ يُفْنِيهَا
صَارَتْ حَنِيفَةً أَثْلَاثًا فَثَلَّثَهُمْ^(٣)

قوله في "مناحيها" "المنحاة" : مقامُ السَّانِيَةِ على الحوض ، و "الحائط" : البستان .
وقوله : " مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ سَيْفُ اللَّهِ يُفْنِيهَا "

يعني خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، في وَقَعَتِهِ مُسَيِّلَمَةً ،
وَلِلنِّسَائِيِّينَ بَعْدَ هَذَا قَوْلٌ مُنْكَرٌ .
وقال جريرٌ^(٤) :

أَبْنِي حَنِيفَةً نَهْنَهُوا سُفْهَاءَ كُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا^(٥)
أَبْنِي حَنِيفَةً إِنِّي إِنْ أَهْجَيْتُكُمْ أَدْعُ الْيَمَامَةَ لَا تُوَارِي^(٦) أَرْؤُبَا^(٧)

(١) البيت من البسيط ، وهو لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ١٥٠ ولسان العرب ٣٩٤/٢ (همليج) ،
وبلا نسبة في تاج العروس (زول) .

(٢) في نسختين : "الناس والأقوام" ، وفي نسخة : "مل أحياء" ، وفي بعض النسخ : من الأقوام ،
وهو خطأ ، وفي نسخة : الأقوام ، وهو تحريف .

(٣) بهامش نسخة ما نصه : " هذا مما عيب على جرير ؛ لأنه لم يذكر الثالث . قال الأمدى : لما قال
جرير هذا البيت قيل لرجل من بني حنيفة : من أى الأثلاث أنت ؟ قال : من الثلث الملقى " اهـ .
وهذا القول بنصه نقله البغدادي عن ابن السيد ثم قال البغدادي : " أراد جرير بالثلث المتروك أشرفهم
، وترك الثالث عمداً ؛ لأنه فى مقام الذم لا يثبت لهم أشرفاً صراحة " الخزاعة ٣٠٠/٢ .

(٤) ديوانه ق ١/١٠٩ - ٢٠١ ج ٤٦٦/١ . فى د : وقال جرير أيضاً .

(٥) بهامش نسخة ما نصه : ((قال ابن الأعرابى : يقال حكم فلان عن الأمر : إذا رجع عنه ،
وأحكم ، وأنشد : ابني حنيفة أحكموا)) اهـ .

(٦) فى نسخة : " لا توازى " وتحتة : " بالزأى أى توازن " .

(٧) البيت من الكامل ، وهو لجرير فى ديوانه ٤٦٦ ، ولسان العرب ١٢ / ١٤٤ (حكم) ، ومقاييس
اللغة ٢ / ٩١ ، وبجمل اللغة ٢ / ٩٤ وتهذيب اللغة ٤ / ١٢٢ ، وأساس البلاغة ٩١ (حكم) وتاج العروس
(حكم) ، وبلا نسبة فى كتاب العين ٣ / ٦٧ .

ورواية البيت : أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

وقال عُمَارَةُ بْنُ عَقِيلٍ :

بَلْ أَثِيهَا الرَّاكِبُ الْمَاضِي لِطَيْتِهِ^(١) بَلِّغْ حَنيفَةَ وَأَنْشُرْ فِيهِمُ الْخَبْرَا
أَكَانَ مَسْلَمَةً الْكَذَّابُ قَالَ لَكُمْ لَنْ تُذَكِّرُوا الْمَجْدَ حَتَّى تُفْضِبُوا مُضَرَا
مَهْلًا حَنيفَةَ إِنَّ الْحَرْبَ إِنْ طَرَحَتْ عَلَيْكُمْ بَرَكَهَا أَسْرَعْتُمُ الضُّجَرَا
" الْبَرُّكَ " الصَّدْرُ ، إِذَا فَتَحْتَ الْبَاءَ ذَكَرْتَ ، وَإِنْ أَرَدْتَ التَّائِيثَ قُلْتَ " بَرْمَكُ " فَكَسَرْتَ الْبَاءَ^(٢) ، قَالَ الْجَعْدِيُّ^(٣) :

وَلَوْحًا ذَرَاعَيْنِ فِي بَرْمَكَةٍ إِلَى جَوْجُوٍّ^(٤) رَهْلِ الْمَنْكَبِ^(٥)

وزعم الأصمعيُّ أن زيادًا كان يقالُ له " أَشْعَرُ بَرْمَكًا^(٦) " ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَشْعَرَ الصَّدْرِ .
وغير الأصمعيِّ زعم أنَّ هذا كان يقال للوليدِ بنِ عُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيْطٍ بنِ أَبِي عَمْرٍو
بنِ أُمَيَّةَ^(٧) .

وذكروا أن عَدِيَّ بنَ حَاتِمٍ بنِ عَبْدِ اللَّهِ الطَّائِي قال يومًا : أَلَا تَعْجَبُونَ لِهَذَا أَشْعَرَ
بَرْمَكًا يُوَلِّى مِثْلَ هَذَا الْمَصْرِ ! وَاللَّهِ مَا يُحْسِنُ أَنْ يَقْضِيَّ فِي تَمَرَتَيْنِ !! فَبَلَغَ ذَلِكَ الْوَلِيدَ فَقَالَ
عَلَى الْمَنِيرِ : أَنْشُدْ اللَّهَ رَجُلًا سَمَّانِي أَشْعَرَ بَرْمَكًا إِلَّا قَامَ ؟ فَقَامَ عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ فَقَالَ : أَثِيهَا

(١) (لطيته) لوجهه الذى يريده والطية أيضًا الحاجة . رغبة الآمل ١٣٣/٦ .

(٢) فى نسخة : "... التائيث كسرت الباء قلت بركة " وفى بعض النسخ : قلت بركة بكسر الباء .
وفى نسخة : فكسرت الباء فقلت .

(٣) ديوانه ق ٢٧/٢ ص ٢١ ، وأدب الكاتب ٥١٨ .

(٤) الجوجو : الصدر أو مجتمع رؤوس عظام الصدر

(٥) البيت من المتقارب ، وهو للناطقة الحصدى فى ديوانه ٢١ ، وبلا نسبة فى لسان العرب

٤ / ٣٢٦ (زفر) ، وتهذيب اللغة ١٣ / ١٩٤ ، وتاج العروس ١١ / ٤٣٥ (زفر) .

ورواية البيت : ولوجا ذراعين فى بركة إلى جوجو حسن المزدفره

(٦) بهامش نسخة ما نصه : "قال أبو زيد: يقال إنه لكثير شعر البرك : إذا كان كثير شعر القصص ،
وهو الصدر ، وإنما يقال هذا للئيس إذا كثر شعر قصصه ، وهو القصص من الشاة والكرة من البعير
والصد من الإنسان اهـ .

(٧) زاد فى نسخة : " بن عبد شمس " . وانظر أنساب الأشراف ٤ / ٥١٧ .

الأمير : إِنَّ الذي يَقُومُ فيقولُ أَنَا سَمَيْتُكَ أَشْعَرَ بَرَكًا لَجَرِيءٍ ! فقال : اجلسْ يا أبا طَرِيفٍ
فقد بَرَأَكَ اللهُ منها ، فجلسَ وهو يقولُ : والله ما بَرَأَنِي اللهُ منها !!
وكانت أُمُّ الوليدِ بنِ عُقْبَةَ أُمُّ عثمانَ بنِ عَفَّانَ ، وهي أَرْوَى بنتُ كُرَيْزِ بنِ حَبِيبِ
بنِ رَبِيعَةَ بنِ عبدِ شمسٍ ^(١) بنِ عبدِ منافٍ ، وأُمُّها الْبَيْضَاءُ بنتُ عبدِ الْمُطَّلِبِ بنِ هاشمٍ ،
ومن ثَمَّ قالَ الوليدُ لعلِّي بنِ أبي طالبٍ رحمه الله : أَنَا أَلْقَى رسولَ اللهِ ﷺ بِأُمِّي من
حيثُ تَلَقَّاهُ بِأبيك .

وكان يقال للْبَيْضَاءِ بنتِ عبدِ المطلب " قُبَّةُ الدِّيَّاجِ " واسمُها أُمُّ حَكِيمٍ ، ولذلك
قيل لعثمانَ وللوليدِ ، يا بَنَ أَرْوَى ، ويا بَنَ أُمِّ حَكِيمٍ .

وقال الوليدُ لبني هاشمٍ لهذا السببِ حين قُتِلَ عثمانُ رحمه الله :

بني هاشمِ رُدُّو سِلَاحَ ابنِ أختكم ولا تُنْهَبُوهُ لا تَحِلُّ مَنَاهِبُهُ
بني هاشمِ كيفِ الْهَوَادَّةُ بيننا وعندَ عليٍّ دِرْعُهُ وَنَجَائِبُهُ
هُم قَتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ كما غَدَرَتْ يَوْمًا بِكُسْرَى ^(٢) مَرَازِبُهُ ^(٣)

وهذا القول باطلٌ . وكان عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ إذا ذَكَرَ مَقْتَلَ عثمانَ يقولُ : كان عليٌّ
أَتَقَى لِلَّهِ مِنْ أَنْ يَقْتَلَ عثمانَ ، وكانَ عثمانُ أَتَقَى لِلَّهِ مِنْ أَنْ يَقْتُلَهُ عليٌّ .
وقال الوليدُ بنُ عُقْبَةَ :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ قَتِيلِ التُّجَيْبِيِّ الذي جاء من مِصْرَ
وما لي لا أَبْكِي وَتَبْكِي أَقَارِبِي وقد حُجِبَتْ عَنَّا فُضُولُ أَبِي عَمْرٍو ^(٤)

(١) كذا وقع ، والصواب : " . كُرَيْزِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ حَبِيبِ بنِ عبدِ شمس " . انظر جمهرة أنساب العرب
٧٤-٧٥ ، وأنساب الأشراف ٤٨٠/١/٤ أفاده محقق (س) .

(٢) يذكر ما كان من قتل شيرويه أباه أبرويز بن هرمز وأعاناه عليه مرازبته وهم الفرسان المقدمون ،
رغبة الآمل ١٣٦/٦ .

(٣) الأبيات في الأغاني ١٣٢/٥ .

(٤) البيت من الطويل ، وهو للوليد بن عقبة في ديوانه ٦٢ ولسان العرب ١/٢٨٧ ، ٢٨٨ (جوب) ،
والنبتة والإيضاح ٥٦/١ ، وتاج العروس ٥٩/٢ (تجب) ، وللكميت في لسان العرب ١/٢٨٧
جول) وليس في ديوانه ، وبلا نسبة في مجمل اللغة ١/٣٢٢ . وينسبان لنائلة بنت الفرافصة زوج
عثمان كذا في رغبة الآمل ١٣٧/٦ .

[قال أبو الحسن: قَاتِلْ عَلِيَّ تَجُوبِي، وَقَاتِلْ عُثْمَانَ تَجِيبِي، وكلاهما من مُرَاد^(١).
وقالت الأَخِيلِيَّةُ^(٢)، أَنشَدَنِيهِ الرِّيَاشِيُّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ :

أَبْعَدَ عُثْمَانَ تَرْجُو الْخَيْرَ أُمُّهُ وَكَانَ آمَنَ مَنْ يَمِشِي عَلَى سَاقِ
خَلِيفَةُ اللَّهِ أَعْطَاهُمْ وَخَوَّلَهُمْ مَا كَانَ مِنْ ذَهَبِ حَوْمٍ وَأُورَاقِ
فَلَا تُكَذِّبْ بوعْدِ اللَّهِ وَارْضَ بِهِ وَلَا تَوَكَّلْ عَلَى شَيْءٍ يَاشْفَاقِ
وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ سَوْفَ أَفْعَلُهُ قَدْ قَدَّرَ اللَّهُ مَا كُلُّ أَمْرٍ لَاقِ
وقال آخرُ :

أَلَا قُلْ لِقَوْمِ شَارِبِي كَأْسِ عُلْقَمِ بَقْتُلْ إِمَامَ الْمَدِينَةِ مُحْرِمِ
قَتَلْتُمْ أَمِينَ^(٣) اللَّهَ فِي غَيْرِ رِدَّةٍ وَلَا حَدَّ إِحْصَانٍ وَلَا قَتْلِ مُسْلِمِ
تَعَالَوْا فَفَاتُونَا فَإِنْ كَانَ قَتْلُهُ لَوَاحِدَةٍ مِنْهَا فَجِلٌّ لَكُمْ دَمِي
وَالَا فَاغْظُمُ بِالَّذِي قَدْ أَتَيْتُمْ وَمَنْ يَأْتِ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللَّهُ يَظْلِمِ
فَلَا يَهْنِئَنَّ الشَّامِتِينَ مُصَابُهُ فَحَظُّكُمْ مِنْ قَتْلِهِ حَرْبُ جُرْهُمِ

(١) قال الشيخ المصنفى: "التجيبى نسبة إلى تجيب اسم امرأة بلفظ المضارع من أجاب إجابة وهى تجيب ابنة ثوبان بن سليم أم عدى وسعد ابني أشرس بن شبيب-كأمي - بن السكون- بفتح السين- المذحجى منهم قاتل عثمان رضى الله عنه، وهو كنانة بن بشر بن عتاب بن عوف بن حارثة التجيبى فأما التجوبى فممنسوب إلى تجوب بلفظ المضارع من جاب البلاد قطعها وهو لقب كلدة الحميرية الجد الأكبر لعبد الرحمن بن يحيى بن عمرو بن ملجم قاتل على رضى الله عنه ، وإنما لقب به لأنه أصاب دماً فى قومه فهرب فأتى مراد بن مالك بن أدد فى الزمن الأول فقال : أتيتكم أجوب الأرض فسمى تجوب ذكر ذلك كله سوى اليسير ياقوت فى مقتضبه" رغبة الأمل ١٣٧/٦ .

(٢) ديوانها ق ١/٢٧-٤ ص ٩٢ .

(٣) أخذه من قول عثمان وقد اشتد به الحصار مهلاً مهلاً لا تقتلونى وإنه لا يحل إلا قتل ثلاثة زان بعد إحصان وكافر بعد إيمان أو قاتل نفس بغير حق أما إنكم قتلتمونى وضم السيف على رقابكم ثم لا يرفعه الله عنكم أبداً (ففاتونا) حاكمونا وفى الحديث أن قوما ما تفاتوا إليه معناه تحاكموا إليه وقال الطرماح أنج بفناء أشدق من عدى ومن جرم وهم أهل التفافى .

وأنشدني الرياشيُّ عن الأصمعيِّ في مثله، [قال أبو الحسن : هذا الشعر لابن الغريزة الضبيُّ] :

لَعَمْرُ أَيْبِكَ فَلَا تَذْهَلَنَّ لَقَدْ ذَهَبَ الْخَيْرُ إِلَّا قَلِيلًا^(١)
وَقَدْ فُتِنَ النَّاسُ فِي دِينِهِمْ وَخَلَّى ابْنُ عَفَّانٍ شَرًّا طَوِيلًا
ومثله قولُ الراعي :

قَتَلُوا ابْنَ عَفَّانَ الْخَلِيفَةَ مُحْرَمًا وَدَعَا فَلَمْ أَرْ مِثْلَهُ مَخْذُولًا
فَتَفَرَّقَتْ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ عَصَاهُمْ شِقَاقًا وَأَصْبَحَ سَيْفُهُمْ مَسْلُولًا^(٢)
قوله " مُحْرَمًا " يريد في الشهر الحرام ، وكان قُتِلَ في أيام التَّشْرِيقِ رحمه الله .
وقال أَيْمَنُ بْنُ خُرَيْمٍ بْنِ فَاتِلِ بْنِ الْأَسَدِيِّ ، وكانت له صُحْبَةٌ :

تَفَاقَدَ الذَّابِحُوعُ عُثْمَانُ ضَاحِيَةً أَيَّ قَتِيلٍ حَرَامٍ ذُبِحُوا ذَبَحُوا^(٣)
ضَحَّوْا بِعُثْمَانَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَلَمْ يَخْشَوْا عَلَى مَطْمَحِ الْكَفِّ الَّذِي طَمَحُوا
فَأَيُّ سُنَّةٍ جَوْرٍ سَنَ أَوْفَهُمْ وَبَابِ جَوْرٍ عَلَى سُلْطَانِهِمْ فَتَحُوا
مَاذَا أَرَادُوا أَضَلَّ اللَّهُ سَعْيَهُمْ مِنْ سَفَحِ ذَاكَ الدِّمِّ الزَّاكِي الَّذِي سَفَحُوا
فَاسْتَوْرَدَتْهُمْ سُيُوفُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى تَمَامِ ظِمْمِهِ كَمَا يُسْتَوْرَدُ النَّضْحُ

(١) بهامش نسخة ما نصه : " قال القتيبي " هو لهمام [كذا ، والصواب : لميم] بن صعصعة [عم] الفرزدق الذي سمي الفرزدق باسمه " اهـ . انظر الشعر والشعراء ٤٧٢ ، والبرصان للحاحظ ١٢١ - ١٢٢ ، ونسب في أنساب الأشراف ٥٩٩/١/٤ لإهاب بن همام بن صعصعة ؟ ولابن الغريزة ولعلي بن الغدير بن المضرس الغنوي . ونسب إلى الحتات بن يزيد المجاشعي عم الفرزدق . انظر رغبة الأمل ١٣٩/٦ . وفي الأصل : فلا تعجلان .

(٢) البيتان من الكامل ، وهما للراعي النميري في ديوانه ٢٣١ ، وجمهرة اللغة ٥٢٢ ، وتهذيب اللغة ٤٥ / ٥ ، وأساس البلاغة (حرم) ولسان العرب ١٢ / ١٢٣ (حرم) ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٧٥١ ، وتاج العروس (حرم) ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤٥/٢ ، وبجمل اللغة ٤٩ / ٢ ، والمختص ٣٠٠ / ١٢ ، وراجع المزيد من مصادر البيت في ديوانه ٢٣١ - ٢٣٢ .

ورواية البيت

قتلوا ابن عفان الخليفة محرمًا ودعا فلم أر مثله مقتولا

(٣) في الأصل : ويلهم ذبحوا .

إِنَّ الذِّينَ تَوَلَّوْا قَتْلَهُ سَفَهًا لَقُوا أَثَامًا وَخُسْرَانًا وَمَا رَبِحُوا

قوله " ضَحَّوْا بعثمان " إنما أصله فَعَلَ في الضَحَى ، وقال زهير :

ضَحَّوْا قَلِيلًا قَلْبًا كُثْبَانٍ أَسْنَمَةٍ وَمِنْهُمْ بِالْقُسُومِيَّاتِ مُعْتَرِكٌ^(١)

أي نزلوه ضَحَى ، ويقال " يَبْتَوِ ذَاكَ " أي فَعَلُوهُ لَيْلًا ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ﴾^(٢) ، وأنشد أبو عبيدة^(٣) :

أَتَوْنِي فَلَمْ أَرْضَ مَا يَبْتَوِ وَكَانُوا أَتَوْنِي بِأَمْرِ نُكْرٍ

لَأُنْكِحَ أَيْمَهُمْ مُنْذِرًا وَهَلْ يُنْكِحُ الْعَبْدُ حُرًّا لِحُرٍّ^(٤)

وقوله : في سَفَحِ ذَاكَ الدِّمِ الزَّاكِي الذي سَفَحُوا

أي في صَبِّ ذَاكَ الدِّمِ^(٥) ، يقال : " سَفَحْتُ دَمًا وَسَفَكْتُ دَمًا " ، قال الله تعالى :

﴿ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾^(٦) .

وقوله " على تَمَامِ ظِمٍّ " ، فهذا مَثَلٌ ، وأصلُ " الظِّمِّ " : أَنْ تَشْرَبَ الْإِبِلُ يَوْمًا

ثُمَّ تَغْبَّ يَوْمًا^(٧) لَا تَرُدُّ ، فما بَيْنَ الشَّرْبَتَيْنِ ؟ " ظِمٌّ " ، ثُمَّ يَكُونُ الظِّمُّ يَوْمِينَ ، فيقال له " الرَّبْعُ " كما يقال في الْحُمَّى ؛ لأنَّهُمْ يَعْتَدُونَ يَوْمِي شَرْبِهَا ، و " الْخُمْسُ " أَنْ تَظْمَأَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . و " النَّضْحُ " الْحَوْضُ .

(١) ديوانه ق ٤/٩ ص ١٢٨ . ويروى : وعرسوا ساعة في كتب أسنمة .

(٢) سورة النساء : ١٠٨ .

(٣) في مجاز القرآن ١٣٣/١ ونسبهما لعبيدة بن همام أحد بني العدوية . وسيأتي البيتان .

(٤) البيت من المتقارب ، وهو للأسود بن يعفر في ديوانه ٦٧ ولسان العرب ٥/ ٢٣٤ (نكر) ، والتنبيه

والإيضاح ٢/ ٢١٨ وتاج العروس ١٤/ ٢٨٧ (نكر) ، وبلا نسبة في كتاب العين ١٣٧: ٨ ،

والمخصص ١٧/ ١٢ ، وديوان الأدب ١/ ٢٦١ ، ٣/ ٤٣٥ ، والكامل ٩٢٠ ، ١٠٧٧ .

ورواية البيت :-

أتوني فلم أرضَ ما يبتوا وكانوا أتوني بشيء نكر

(٥) في نسخة : الدم الزاكي .

(٦) سورة الأنعام : ١٤٥

(٧) قال الشيخ المرفعي : " كان الأجود أن يقول : ثم يوماً ، وذلك أن الغب بالكسر ورد يوم

وظم آخر وليس معناه ترك الشرب فقط .. " رغبة الأمل ١٤١/٦ .

والْأَثَامُ " : الْهَلَاكُ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ ^(١) . ثُمَّ
 فَسَّرَ فَقَالَ : ﴿ يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴾ ^(٢) فَجَزَمَ " يُضَاعَفُ " ؛
 لِأَنَّهُ بَدَّلَ مِنْ قَوْلِهِ ﴿ يَلْقَى أَثَامًا ﴾ إِذْ كَانَ إِيَّاهُ فِي الْمَعْنَى ، وَأَنْشَدَ أَبُو عُبَيْدَةَ :
 جَزَى اللَّهُ ابْنَ عُرْوَةَ إِذْ لَحِقْنَا عُقُوقًا ^(٣) وَالْعُقُوقُ مِنَ الْأَثَامِ ^(٤)
 وَقَوْلُهُ " عَلَى مَطْمَحِ الْكَفِّ " يَقُولُ : عَلَى رَفْعِهَا وَإِبْعَادِهَا ، يُقَالُ " طَمَحَ بَصَرُهُ "
 إِذَا ارْتَفَعَ وَأَبْعَدَ النَّظَرَ ، قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :
 لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَاخُ ^(٥) مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ لِيُلْبَسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا ^(٦)

* * *

(١) سورة الفرقان ٦٩ .

(٢) (عقوقاً) : (بفتح العين) يريد ولدًا يعقه . رغبة الأمل .

(٣) البيت من الوافر ، وهو لشافع الليثي في لسان العرب ١٢ / ٦ (أثم) ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١٥ / ١٦١ ورواية البيت :-

جزى الله ابن عروة حيث أمسى عقوقاً ، والعقوق له أثام

(٤) الطماخ : ذكر ياقوت أنه ابن قيس بن طريف بن عمرو بن قعين بالتصغير ابن الحرث بن ثعلبة ابن دودان بن أسد بن خزيمة وكان امرؤ القيس قتل أخاه فذهب وراءه لما علم أنه يريد أن يستنجد بقيصر على قتله أبيه فأقام مستخفياً حتى سار بجيش قيصر الذي ضمه إليه فاحتال حتى وصل إلى قيصر فقال له إن امرأ القيس غوى عاهر وإنه لما انتصرف ذكر أنه كان يرأسل ابتسك ويواصلها وهو قائل في ذلك أشعاراً يشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك فبعث إليه بحله منسوجه بالذهب مسمومة وقال لرسوله قل له إنني أرسلت إليك بجلتي التي كنت ألبسها تكريماً لك فسر بها ولبسها فأسرع فيه السم فتساقط جلده ولذلك سمي بذى القروح .

(٥) ديوانه ص ٨٧ .

باب

قال أبو العباس : وهذا بابٌ طريفٌ نَصلُ به هذا البابَ الجامعَ الذي ذكرناه ، وهو بعضُ ما مرَّ للعربِ من التشبيهِ المُصِيبِ ، وللمُحَدِّثِينَ بعدهم .

فأَحْسَنُ ذلك ما جاء بإجماعِ الرُّوَاةِ : ما مرَّ لامرئِ القيسِ في كلام مختصرٍ ، في بيتٍ واحدٍ ، من تشبيه شيءٍ في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين ، وهو قوله :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكَرْهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي^(١)

فهذا مفهومُ المعنى ، فإن اعترضَ معترضٌ فقال : فَهَلَا فَصَلَ فقال : كَأَنَّهُ رَطْبًا الْعُنَابُ وَكَأَنَّهُ يَابَسًا الْحَشَفُ ؟ قِيلَ له : العربيُّ الفصيحُ اللَّقْنُ الْفَطِنُ يَرْمِي بالقولِ مفهومًا ، وَيَرَى ما بعدَ ذلك من التكريرِ عيبًا ، قال الله جلَّ وعزَّ ، وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾^(٢) عَلِمًا بِأَنَّ الْمُخَاطَبِينَ يَعْلَمُونَ وَقْتَ السُّكُونِ وَقْتَ الْاِكْتِسَابِ^(٣) .

ومن تمثيلِ امرئِ القيسِ العجيبِ قوله^(٤) :

كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِيَانِنَا وَأَرْحُلُنَا الْجَزَعِ الَّذِي لَمْ يُثْقَبِ^(٥)

ومن ذلك قوله :

إِذَا مَا الثَّرَيَا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمُفْصَلِ^(٦)

(١) البيت من الطويل ، وهو لامرئِ القيسِ في ديوانه ٣٨ ، وشرح التصريح ١ / ٣٨٢ ، وشرح شواهد المغني ١ / ٣٤٢ ، ٢ / ٥٩٥ ، ٨١٩ ، والصاحبي في فقه اللغة ٢٤٤ ، ولسان العرب ١ / ٢٠٦ (أدب) والمقاصد النحوية ٣ / ٢١٦ ، والمنصف ٢ / ١١٧ ، وتاج العروس (بال) ، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٦٤ / ٧ وأوضح المسالك ٢ / ٣٢٩ ، ومغني اللبيب ١ / ٢١٨ ، ٢ / ٣٩٢ ، ٤٣٩ .
(٢) سورة القصص : ٧٣ .

(٣) في بيت امرئِ القيسِ وفي الآية فن من البديع معروف يقال له اللف والنشر ، وله أقسام معروفة بالنظر إلى كونه مرتبًا أو غير مرتب . انظر البديع وفن الفصاحة للطبيعي وهو القسم الثاني من كتاب التبيان له بتحقيق ط المكتبة التجارية بمكة المكرمة .

(٤) والجزع : خرز أسود مجزَّع بياض . عن الديوان .

(٥) البيت من الطويل ، وهو لامرئِ القيسِ في ديوانه ٥٣ ، ولسان العرب ٨ / ٤٨ (جزع) ، وأساس البلاغة ٥٨ (جزع) ، وكتاب العين ١ / ٢١٦ ، وتاج العروس ٢٠ / ٤٣٤ (جزع) .

(٦) البيت من الطويل ، وهو لامرئِ القيسِ في ديوانه ١٤ ، ص ٩٢٣ ، ولسان العرب ٧ / ١٦٩ (عرض) ، وتهذيب اللغة ١ / ٤٢٦ ، ١٥٠ / ١٣٦ ، وتاج العروس ١٨ / ٤١٩ (عرض) ، وأساس البلاغة (ثنى) وبلا نسبة في لسان العرب ١٤ / ١١٥ (ثنى) ، وتاج العروس (ثنى) .

وقد أَكْثَرُوا فِي الثَّرِيَّا فَلَمْ يَأْتُوا بِمَا يَقَارِبُ هَذَا الْمَعْنَى، وَلَا بِمَا يَقَارِبُ سُهولةَ هَذِهِ الْأَفَاضِ.
وَمِنْ أَعْجَبِ التَّشْبِيهِ قَوْلُ النَّابِغَةِ:

فإنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذَرِّكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ^(١)
وقوله :

خَطَاطِيفُ حُجْنٍ^(٢) فِي جِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ^(٣)
وقوله :

فإنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبٌ^(٤)
وَمِنْ عَجِيبِ التَّشْبِيهِ قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ :

وَرَدْتُ اغْتِسَافًا^(٥) وَالثَّرِيَّا كَأَنَّهَا عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُخَلَّقٌ^(٦)
وقوله :

فَجَاءَتْ بِنَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ عَلَى عَصَوَيْهَا سَابِرِيٌّ مُشْبِرَقٌ^(٧)
وَتَأْوِيلُهُ أَنَّهُ يَصِفُ مَاءً قَدِيمًا لَا عَهْدَ لَهُ بِالْوَارِدَةِ ، فَقَدْ اصْفَرَّ وَاسْوَدَّ ، فَقَالَ :

(١) البيت من الطويل ، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٣٨ ولسان العرب ٥٠٧/٤ (طور) ،
٣٠٠/١٥ (نأني) ، وكتاب العين ٣٩٣/٨ ، وتاج العروس (نأى) ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٥/٣٧٨ ،
وبجمل اللغة ٤/٣٦٨

(٢) الخطاطيف جمع خطاف وهو حديدة حجناء معطوفة الرأس ونوازع جواذب يقول لك خطاطيف أجز بها
إليك فليس عنك مهر ، رغبة الآمل ١٤٦/٦ .

(٣) البيت من الطويل ، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٣٨ ولسان العرب ٧٧/٩ (خطف) ،
١٩١/١٥ (قعا) ، وجمهرة اللغة ص ٦٠٩ ، ١٢٣١ ، وتهذيب اللغة ٧/٢٤٤ ، وتاج العروس ٢٣/٢٢٨
(خطف) ، (حبيل) .

(٤) ديوانه ص ٢٨ .

(٥) (اعتسافًا) : السير على غير هدى رغبة الآمل ١٤٧/٦ .

(٦) البيت من الطويل ، وهو لذى الرمة في ديوانه ص ٤٩٠ ، وأدب الكاتب ١٩٢ ، الأضداد ١٥٤ ، وجمهرة
اللغة ١٦٤ ، ٩٧٨ ، وخزانة الأدب ١١/٤٩ ، وشرح أبيات سيوييه ١/٤٨٩ ، والكتاب ٢/٩٩ ، ولسان
العرب ٩/٢٤٥ (عسف) ، ١٠/٦٤ (حلق) وبلا نسبة في لسان العرب ١٢/٤٩٤ (قمم) ، والمقتضب
٤/٧٤ ، وتاج العروس (قمم) .

(٧) البيت من الطويل ، وهو لذى الرمة في ديوانه ٤٩٦ ولسان العرب ٤/٣٤١ (سير) ،
١٧١/١٠ (شبرق) ١٥/٦٧ (عصا) ، وتهذيب اللغة ٩/٣٨١ ، وكتاب العين ٢/١٩٧ وبلا نسبة في
مقاييس اللغة ٤/٣٣٥ ، والمختص ٤/٦٤ .

وماء قديم العهد بالناس آجن كَأَنَّ الدَّبِي ماء الغصا فيه يَنْصُقُ^(١)

وقد أجاد علقمة بن عبدة في وصف الماء الآجن ، حيث يقول:

إذا وردت ماء كأن جمامه من الأجن حناء معاً وصيب^(٢)

وقال ذو الرمة في وصف هذا الماء ، فقرن بتغيره بعد مطلبه ، فقال :

فأدلى غلامي دلوهُ يَتَغَيُّ بها شفاء الصدى واللَّيلُ أذهم أبلق^(٣)

يريد أن الفجر قد نجم فيه . فجاءت - يعني الدلو - " بنسج العنكبوت كأنه على عَصَوَيْهَا سَابِرِي مُشْبَرَقٌ " ^(٤) . و " السَّابِرِي " : الرقيق من الثياب والدُّرُوع .
و " المُشْبَرَقُ " الممزق ، وأنشد أبو زيد :

لَهُونا بِسِرْبَالِ الشَّبابِ مَلَاوَةٌ^(٥) فَأَصْبَحَ سِرْبَالُ الشَّبابِ شَبَارِقًا^(٦)

(١) سبق البيت وفي نسخة : بالإنس آجن . وفي بعض النسخ " تبصق " . آجن من آجن الماء إذا تغير واصفر أو اخضر ، والدبي : الجراد ، يقول : كأن الجراد بصق في هذا الماء مما أكل من الغضى وماء الغضى أخضر أسود عن الديوان . ورسم في النسخ " الدبا " .

(٢) البيت في ديوانه ق ٢١/١ ص ٤٢ وله رواية

فأوردتها ماء كأن جمامة من الأجن حناء معاً وصيب

البيت من الطويل ، وهو لعلقمة بن عبدة في ديوانه ٤٢ ، ولسان العرب ٥١٨/١ (صيب) ، ٨/١٣ (أجن) وكتاب العين ١٨٣/٦ ، وديوان الأدب ٧٣/٣ ، وشرح اختيارات المفضل ١٥٨٥ ، وتاج العروس ٣ / ١٨٠ (صيب) ، (أجن) وتهذيب اللغة ١١٢/١٢ ، وبلا نسبة في كتاب العين ٧ / ٩٠ ، ومجمل اللغة ٢٢١/٣ ، ومقاييس اللغة ٢٨٠/٣ .

(٣) البيت من الطويل ، وهو لذى الرمة في ديوانه ٤٩٥ ، وأساس البلاغة (شفي) .

(٤) أورد في نسخة البيتين بتمامهما وجاء عقبهما " فجاءت يعني الدلو . والسابري .. " ، ولم يرد فيه " يريد ... فيه " .

(٥) (ملاوة) : مثلث الميم وهي البرهة والحين من الدهر . رغبة الآمل ١٤٨/٦ .

(٦) البيت من الطويل ، وهو للأسود بن يعفر في ديوانه ٥٢ ، ولسان العرب ١٧١/١٠ (شبرق) ، وتاج العروس ٤٧٨/٢٥ (شبرق) .

وله رواية :

فوت بسربال الشباب ملاوة فأصبح سربال الشباب شبارقا

ومن التشبيه العجيب قولُ ذي الرُّمَّةِ في صفة الظِّلِّيمِ ^(١) :
 شَخْتُ الْجُزَارَةِ مِثْلُ الْبَيْتِ سَائِرُهُ مِنْ الْمُسُوحِ خَدَبٌ شَوْقَبٌ خَشِبٌ ^(٢)
 " الشَّخْتُ " الضَّئِيلُ الْيَابِسُ الضَّعِيفُ ، و " الْجُزَارَةُ " الْقَوَائِمُ . وقوله " مِثْلُ الْبَيْتِ سَائِرُهُ مِنْ الْمُسُوحِ " يعني ^(٣) : إذا مَدَّ جَنَاحَيْهِ ، وَإِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ عُلُقَمَةَ بْنِ عَبْدِةَ :
 صَعْلٌ كَأَنَّ جَنَاحَيْهِ وَجُجُؤُهُ ^(٤) بَيْتٌ أَطَافَتْ بِهِ خَرْقَاءُ مَهْجُومٌ ^(٥)
 " الصَّعْلُ " الصَّغِيرُ الرَّأْسِ : و " الْخَرْقَاءُ " : الَّتِي لَا تُحْسِنُ شَيْئًا ، فَهِيَ تُفْسِدُ مَا عَرَضَتْ لَهُ ؛ قَالَ الْخَطِيبَةُ ^(٦) :
 هُمْ صَنَعُوا لِجَارِهِمْ وَلَيْسَتْ يَدُ الْخَرْقَاءِ مِثْلُ يَدِ الصَّنَاعِ ^(٧)
 و " الْمَهْجُومُ " الْمَهُدُومُ . وفي الخبر أَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ بِسَطَّامُ بْنُ قَيْسٍ لَمْ يَبْقَ فِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ بَيْتٌ إِلَّا هُجِمَ ، أَيِ هُدِمَ . و " الْخَدَبُ " : الضَّخْمُ . و " الشَّوْقَبُ " . الطَّوِيلُ . و " الْخَشِبُ " الَّذِي لَيْسَ بِلَيِّنٍ .
 ومن التشبيه المصيب قولُهُ في صفة رَوْضَةٍ :
 قَرْحَاءُ حَوَاءُ أَشْرَاطِيَّةٌ وَكَفَسَتْ فِيهَا الدَّهَابُ وَحَفَّتْهَا الْبَرَاعِيمُ ^(٨)

(١) في الأصل : ظليم .

(٢) البيت من البسيط ، وهو لذى الرمة في ديوانه ١١٥ ، ولسان العرب ٥١ / ٢ (شخت) ، ١٣٥ / ٤ (جزر) وتهذيب اللغة ٤٠٦ / ٥ ، ٧٧ / ٧ ، ١٠ / ٦٠٤ ، وكتاب العين ١٣ / ٣٧٠ ، ٥ / ٤٦ ، ٦ / ٦٢ ، وتاج العروس ٤ / ٥٨٠ (شخت) وجمهرة اللغة ٢٩٠ ، وجمهرة أشعار العرب ٩٦٢ وسطم الآلى ٤٥٤ ، وبلا نسبة في لسان العرب ١ / ٧٨٦ (شقب) وكتاب العين ٤ / ١٦٧ ، وجمهرة اللغة ٣٨٨ ، وتاج العروس ٤ / ٣٩٨ (شقب) .

(٣) في الأصل : " يقول " وبهامشه : " وعليه " ع " يعنى رواية أبى على .

(٤) الجوجو : مرّ تفسيره وهو الصدر أو مجتمع رؤوس عظامه .

(٥) البيت من البسيط ، وهو لعقمة بن عبدة في ديوانه ٦٣ ، وكتاب العين ٣ / ٣٩٥ ، ولسان العرب ١٢ / ٦٠١ (هجم) ، وتاج العروس (هجم) ، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٤٩٦ ، والمخصص ٩ / ٨٧ ، وكتاب العين ٤ / ١٥٠ وديوان الأدب ٢ / ١٣٥ ، ولذى الرمة في ملحقات ديوانه ١٩١١ ، ولسان العرب ١ / ٧٥ (خرق) ، وتهذيب اللغة ٧ / ٢٣ ، وتاج العروس (خرق) .

(٦) ديوانه ق ١٨ / ٥ ص ٦٢ . وفيه : " هم صنع لجارهم " .

(٧) في نسخة : لجارتهم .

(٨) ديوانه ق ١٢ / ٢٦ ج ١ / ٣٩٩ .

"قَرَحَاءُ" يريدُ الأنوارَ^(١). وقوله " حَوَاءُ " يقولُ : تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ لَشِدَّةِ رِيِّهَا وَخُضْرَتِهَا وكذلك المفسرون يقولون في قول الله جلَّ وعزَّ : ﴿ مُدْهَامَتَانِ ﴾ : (٢) تَضْرِبَانِ إِلَى الدُّهْمَةِ ، لَشِدَّةِ خُضْرَتِهِمَا وَرِيِّهِمَا .
وقوله " أَشْرَاطِيَّةٌ " : ليس مِمَّا قَصَدْنَا لَه (٣) ، وَلَكِنَّهُ مِمَّا يَجْرِي ، فَتَفْسَرُهُ ، وَمَعْنَاهُ : مُطِرَتْ بِنُوءِ الشَّرَاطِينِ (٤) .

وحدثني الزِّيَادِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ ، وَسُئِلَ بِخُضْرَتِي ، أَوْ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ " أَشْرَاطِيَّةٌ " ؟ فَقَالَ : بَاسْتِهِ وَاسْتِ عِرْسِهِ ! وَذَاكَ أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ كَانَ لَا يُنْشِدُ وَلَا يُفَسِّرُ مَا كَانَ فِيهِ ذِكْرُ الْأَنْوَاءِ ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : " إِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا " (٥) ؛ لِأَنَّ الْخَبَرَ فِي هَذَا بَعِينُهُ ، " مُطِرْنَا بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا " (٦) . وَكَانَ لَا يُفَسِّرُ وَلَا يُنْشِدُ شِعْرًا فِيهِ هِجَاءُ

(١) أنوار جمع نُور .

(٢) سورة الرحمن : ٦٤ . وانظر تفسير ابن كثير ٤٨١/٧ - ٤٨٢ ، والقرطبي ١٧/١٨٤ - ١٨٥ ، وتفسير غريب القرآن ٤٤٢ .

(٣) ليس في الأصل .

(٤) مثني شرط " بالتحريك " وهما من الحمل قرناه وبعض العرب يعد معهما كوكبا صغيرا في جانب الشمال منهما ، ويسميها الأشرط . عن رغبة الأمل ١٥١/٦ .

(٥) الحديث " صحيح " أخرجه الطبراني في " الكبير " ، وأبو نعيم " في الحلية " كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود ، وأخرجه ابن عدي من حديث ثوبان ، وأخرجه ابن عدي أيضا من حديث ابن عمر وللحديث شاهد أخرجه عبد الرزاق في " الأمالي " عن طاوس عن أبيه مرفوعا به ، وأورده السيوطي في " الجامع الصغير " وعزاه لابن عدي عن عمر ، وقال الشيخ الألباني : " لم أره عنده عن عمر ، بل عن ابنه عبد الله بن عمر ، فلعله سقط من قلم السيوطي أو بعض النسخ كلمة (ابن) . وانظر صحيح الجامع (ح ٥٤٥) ، وراجع الصحيحة (ح ٣٤) .

(٦) أخرجه مسلم في صحيح (كتاب الإيمان) ، باب : كفر من قال مطرنا بالنوء برقم (٧١) من حديث زيد بن خالد الجهني قال : " صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل . فلما انصرف أقبل على الناس فقال : " هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب " .

وأخرج بتحوه البخاري برقم (٨٤٦) في كتاب " الأذان " - باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم وبرقم (١٠٣٨) في كتاب " الاستسقاء " : باب قول الله تعالى ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ ﴾ وبرقم (٣١٤٧) في " كتاب المغازی " - باب غزوة الحديبية - وقول الله تعالى ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ .

وكان لا يفسر شعراً يوافق تفسيره شيئاً من القرآن وسئل عن قول الشماخ :
طوى ظمأها في بَيضة القَيْظِ بعدما جَرى في عِنان الشَّعْرَيْنِ الأَمَاعِزِ^(١)

فأبى أن يفسر " في عِنان الشَّعْرَيْنِ " .
وقوله: " الذَّهَابُ " فهي الأمطارُ اللينةُ الدائمة ، ويقالُ إنها أنجَعُ المطرِ في النَّبْتِ ،
وكذلك " العِهاد " وأنشد الأصمعي :

أَمِيرٌ عَمَّ بِالْمَعْرُوفِ حَتَّى كَأَنَّ الْأَرْضَ جَلَّلَهَا الْعِهَادُ
و " البراعيم " واحدها " بُرْعُومَةٌ " وهي أَكِمَّةُ الرَّوْضِ قَبْلَ أَنْ تَفْتَقَ ، يقال لواحدتها " كُمٌ " و " كِمَامٌ " ، فمن قال : " كِمَامٌ " فجمعُه " أَكِمَّةٌ " مثل " صِمَامٌ وَأَصِمَّةٌ " و " زِمَامٌ وَأَزَمَّةٌ " ومن قال : " كُمٌ " فالجماعُ " أَكْمَامٌ " ، قال الله عزَّ وجلَّ :
﴿وَالنَّحْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾^(٢)

ومن ذلك قول الآخر ، أَحْسِبُهُ تَوْبَةً بَنَ الْحُمَيْرِ [قال أبو الحسن : يقالُ إنه لمجنون
بني عامر ، وهو الصواب] :

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى بَلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قَطَاةٌ عَزَّهَا^(٣) شَرَكُ فَبَاتَتْ تُجَادِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ^(٤)

(فهذا غاية الاضطراب) وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار .

وقال الشَّيْبَانِيُّ لِلْحَجَّاجِ :

هَلَّا بَرَزْتَ إِلَى غَزَاةٍ فِي الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ^(٥)
فهذا يجوزُ أن يكونَ في الحَفَقَانِ وفي الذَّهَابِ الْبَيْتَةُ .

* * *

(١) البيت من الطويل ، وهو للشماخ في ديوانه ١٧٥ ، ولسان العرب ١٢٧/٧ (بيض) ، وكتاب العين ٩٠/١ ومقاييس اللغة ١٩/٤ ، وأساس البلاغة ٣٤ (بيض) ، وجمهرة اللغة ٨٢٥ ، وتاج العروس ٢٦٩/١٨ (بيض) ، (عن) وبلا نسبة في لسان العرب ١٣/ ٢٩١ (عن) ، وتهذيب اللغة ١/ ١١٠ ، ١٢/ ٨٩ .

(٢) سورة الرحمن : ١١

(٣) (عزها) : غلبها وقهرها . رغبة الآمل .

(٤) البيت الأول والثاني في الأغاني ٢/ ٤٥ . وهذا النوع من التشبيه يقال له التشبيه التمثيلي وهو تشبيه صورة

بصورة ، وحالة بحالة ، وهيئة بهيئة ؛ وهو من أجود أنواع التشبيه وأروعها

(٥) بهامش نسخة ما نصه : " غزاة هذه امرأة شبيب الخارجي ، لما قتل قامت مقامه في عسكرها . وقيل البيت :

أسد على وفي الحروب نعامه ربداء تنفر من صفيير الصافر

هلا برزت ... البيت

ومن التشبيه الحمود قول الشاعر :

طَلِيقُ اللَّهِ لَمْ يَمْنُنْ عَلَيْهِ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي كَثِيرٍ
وَلَا الْحَبَّاجُ عَيْنِي بِنْتِ مَاءٍ تُقَلِّبُ طَرْفَهَا حَذَرَ الصُّقُورِ^(١)

وهذا غاية في صفة الجبان .

وَنَصَبَ " عَيْنِي بِنْتِ مَاءٍ " عَلَى الدَّمِّ ، وَتَأْوِيلُهُ : أَنَّهُ إِذَا قَالَ : " جَاءَنِي عَبْدُ اللَّهِ الْفَاسِقُ الْخَبِيثُ " فَلَيْسَ يَقُولُهُ إِلَّا وَقَدْ عَرَفَهُ بِالْفِسْقِ وَالْخُبْثِ ، فَنَصَبَهُ " بِأَعْيُنِي " ^(٢) وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ ، نَحْوُ " أَذْكَرُ " وَهَذَا أَبْلَغُ فِي الدَّمِّ ، أَنْ تُقِيمَ الصِّفَةَ مَقَامَ الْأَسْمِ ، وَكَذَلِكَ الْمَدْحُ ، وَقَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ بَعْدَ قَوْلِهِ : ﴿ لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ ^(٣) إِنَّمَا هُوَ عَلَى هَذَا ^(٤) . وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَرَادَ " وَمِنَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ " فَمَخْطُئٌ فِي قَوْلِ الْبَصْرِيِّينَ ؟ لَأَنْتَهُمْ لَا يَعْطِفُونَ الظَّاهِرَ عَلَى الْمُضْمَرِ الْمُخْفُوضِ ، مِنْ أَجَازِهِ مِنْ غَيْرِهِمْ فَعَلَى قُبْحٍ ، كَالضَّرُورَةِ ، وَالْقِرَاءَانُ إِنَّمَا يُحْمَلُ عَلَى أَشْرَفِ الْمَذَاهِبِ ، وَقَرَأَ حَمْزَةً : ﴿ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ ^(٥) . وَهَذَا مِمَّا لَا يَجُوزُ عِنْدَنَا ^(٦) ، إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ إِلَيْهِ شَاعِرٌ ، كَمَا قَالَ ^(٧) :

(١) البيتان من الوافر ، وهما لإمام بن أقرم النميري في البيان والتبيين ١ / ٣٨٦ ، وشرح أبيات سيوييه ٧ / ٢ وبلا نسبة في الكتاب ٢ / ٧٣ ، ولسان العرب ١٠ / ٢٢٧ (طلق) (البيت الأول فقط) ، (وفيه " كبير " مكان " كثير ") .

(٢) في الأصل : بإضمار أعني .

(٣) سورة النساء : ١٦٢

(٤) انظر الكتاب ١ / ٢٤٨-٢٤٩ ، والبحر ٣ / ٣٩٥-٣٩٦ . وانظر ما سلف .

(٥) سورة النساء : ١ . وقراءة والأرحام بالجر هي قراءة حمزة من السبعة وهي أيضًا قراءة النخعي وقناة والأعمش وقرأ الجمهور ﴿ والأرحام ﴾ بالنصب . انظر السبعة لابن مجاهد ٢٢٦ ، وحجة القراءات ١٨٨ ، والكشف لمكي ١ / ٣٧٥ ، والبحر ٣ / ١٥٧ ، وتفسير القرطبي ٥ / ٢ وتفسير غريب القرآن ١١٨ . وفي بعض النسخ بعد الآية : " بالجر " .

(٦) حكى الفارسي أن أبا العباس المبرد قال: لو صليت خلف إمام يقرأ ﴿ والأرحام ﴾ أى بالكسر لأخذت نعلي ومضيت. وقال القرطبي: "فأما البصريون فقال رؤساؤهم: هو لحن لا تحل القراءة به . وأما الكوفيون فقالوا : هو قبيح ولم يزيدوا على هذا ولم يذكروا علة قبحه" . وانظر تفصيل ذلك في تفسير القرطبي والبحر . قلت : ولا معنى لاستقبحه وقد صحت القراءة به ، فالقرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه .

(٧) البيت من شواهد الكتاب ١ / ٣٩٢ ، والخزانة ٢ / ٣٣٨ ، ولم يعرف له قائل . وانظر المصادر السالفة .

فَالْيَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونََا وَتَشْتِمُنَا فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامِ مِنْ عَجَبٍ

وقرأ عيسى بن عُمر : ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ ^(١) أراد : وامرأته ﴿ في جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾ فنصب " حَمَّالَةَ " عَلَى الذَّمِّ . ومن قال إنما " امرأته " مرتفعة بقوله : ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ فهو يجوز ، وليس بالوجه أن يُعْطَفَ الْمُظْهَرُ الْمَرْفُوعُ عَلَى الْمَضْمَرِ حَتَّى يُؤَكَّدَ ، نحو ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ﴾ : و : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ . فأما قوله : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ فإنه لما طال الكلام وزيدت فيه " لا " احْتَمَلَ الحذف ^(٢) . وهذا على قُبْحِهِ ^(٣) جائز في الكلام ، أعني : ذهبت وزيدٌ وأذهب وعمرؤ قال جرير :

وَرَجَا الْأَخِيْطُلُ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبٌ لَهُ لِيْنَالَا ^(٤)

وقال ابن أبي ربيعة :

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ وَزُهْرٌ تَهَادَى كِنَعَاكِ الْمَلَا تَعْسَفْنَ رَمَلَا ^(٥)

ومِمَّا يُنْصَبُ عَلَى الذَّمِّ قَوْلُ النَابِغَةِ الذُّيَّانِي :

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهِيْنِ لَقَدْ نَطَقْتَ بُطْلًا عَلَيَّ الْأَقَارِغُ

(١) سورة المسد: ٤ . وسلف التعليق على القراءة .

(٢) أنظر الكتاب ٣٩٠/١ .

(٣) يقصد المبرد استقباح العرب لذلك بمعنى ندرته في لغتهم وقلة شيوعه لديهم ، ولكن مهما اعتذرنا له ، فاللوم طائله لاحتمال ؛ إذ أى قبح فيه وقد جاء به القرآن الكريم وذكر شاهده فيه ، أفلا يكون ذلك كافيا لاستحسانه؟!

(٤) البيت من الكامل ، وهو لجرير في ديوانه ٧٥ ، والدرر ٤٩/٦ وشرح التصريح ١٥١/٢ ، والمقاصد النحوية ٤/ ١٦٠ ، وبلا نسبة في الإنصاف ٤٧٦/٢ ، وأوضح المسالك ٣/ ٣٩٠ ، وشرح الأشموني ٢/ ٤٢٩ ، والمقرب ١/ ٢٣٤ ، وجمع الهوامع ٢/ ١٣٨ .

(٥) البيت من الخفيف ، وهو لعمر بن أبي ربيعة في ملحقات ديوانه ٤٩٨ ، وشرح أبيات سيبويه ١٠١/٢ ، وشرح عمدة الحفاظ ٦٥٨ ، وشرح المفصل ٨٦/٣ ، واللمع ١٨٤ ، والمقاصد النحوية ٤/ ١٦١ ، وبلا نسبة في الإنصاف ٧٩/٢ ، والخصائص ٣٨٦/٢ ، وشرح الأشموني ٢/ ٤٢٩ ، وشرح ابن عقيل ٥٠١ والكتاب ٢/ ٣٧٩ .

وله رواية :-

قلت إذ أقبلت وزهر تهادى كنعاج الفلا تعسفن رملا

أَقَارُغُ عَوَفٍ لَا أَحَاوِلُ غَيْرَهَا وَجُوءَ قُرُودٍ تَبْتَغِي مَن تَجَادِعُ^(١)
 وقال عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ الْعَبْسِيُّ:
 سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكْفُونِي عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ^(٢)
 والعربُ تُنشدُ قولَ حاتمِ الطائيِّ رفعاً ونصباً:
 إِنْ كُنْتَ كَارِهَةً مَعِيشَتَنَا هَاتَا^(٣) فَحَلِّي فِي بَنِي بَدْرٍ
 الضَّارِبِينَ لَدَى أَعْيَتِهِمْ وَالطَّاعِينَ وَخَيْلَهُمْ تَجْرِي^(٤)
 وإنما خَفَضُوهُمَا عَلَى النَعْتِ^(٥) ، وربما رفعوهما عَلَى الْقَطْعِ وَالِابْتِدَاءِ .
 وكذلك قولُ الْخُرْنَقِ بِنْتِ هِفَانِ الْقَيْسِيَّةِ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ:
 لَا يَنْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزُرِ
 النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأُزُرِ^(٦)
 وكلُّ ما كان من هذا فعلى هذا الوجه .

وإن لم يُرِدْ مَدْحًا وَلَا ذَمًّا قَدْ اسْتَقَرَّ لَهُ فَوَجْهُهُ النَعْتُ . وقرأ بعضُ القُرَّاءِ :

(١) البيتان من الطويل ، وهما للناطقة الذيباني في ديوانه ٣٤ ، ٣٥ ، وخزانة الأدب ٢ / ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، وشرح أبيات سيبويه ١ / ٤٤٦ ، والكتاب ٢ / ٧٠ ، ٧١ ولسان العرب ٨ / ٤٢ (جدع) وبلا نسبة في شرح أبيات سيبويه ١ / ١٩٧ .

(٢) البيت من الوافر ، وهو لعروة بن الورد في ديوانه ٥٨ ، والأغاني ٣ / ٣٦ ، ٣٨ ، والكتاب ٢ / ٧٠ ، ولسان العرب ١ / ١٧٠ (نساء) ، ٣٠١ / ٥ (يستعر) ، وبلا نسبة في أمالي المرتضى ١ / ٢٠٦ ، ولسان العرب ١٥ / ٣٢٥ (نساء) ، ومجالس ثعلب ٢ / ٤١٧ .

(٣) (هاتا) تا اسم إشارة يريد ياهذه . رغبة الآمل ٦ / ١٥٧ .

(٤) البيت من الكامل ، وهو لحاتم الطائي في ديوانه ٢٠٤ ولسان العرب ٥ / ٢١٤ (نضر) . وله رواية :-

إِنْ كُنْتَ كَارِهَةً لَعِيشَتَنَا هَاتَا فَحَلِّي فِي بَنِي بَدْرٍ

(٥) قوله : " والعرب تُنشد بيت حاتم الطائي رفعاً ونصباً ... وإنما خَفَضُوهُمَا عَلَى النَعْتِ " ظاهره أن " الضارين " و " الطاعين " ليست الياء فيهما بعلامة النصب وإنما هي علامة الخفض على النعت .

(٦) البيتان من الكامل ، وهما للخرنق بنت بدر بن هفان في ديوانها ٤٣ ، والأشبه والنظائر ٦ / ٢٣١ ، وأمالي المرتضى ١ / ٢٠٥ ، والإنصاف ٢ / ٤٦٨ ، وأوضح المسالك ٣ / ٣١٤ والحامسة البصرية ١ / ٢٢٧ وخزانة الأدب ٥ / ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ والدرر ٦ / ١٤ ، وسمط اللآلئ ٥٤٨ ، وشرح أبيات سيبويه ٢ / ١٦ ، وشرح التصريح ٢ / ١١٦ ، والكتاب ١ / ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ولسان العرب ٥ / ٢١٤ (نضر) ، والمحتسب ٢ / ١٩٨ والمقاصد النحوية ٣ / ٦٠٢ ، ٧٢ / ٤ ، وأساس البلاغة (أزر) ، وبلا نسبة في رصف المبانى ٤١٦ ، وشرح الأشموني ٣٩٩ / ٢ .

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾^(١) .

وأكثر ما تُنشد العرب بيتَ ذي الرُّمَّةِ نصبًا ؛ لأنه لما ذكر ما يحنُّ إليه ويصُّو إلى
قربه أشادَ بذكر ما قد كان يبغي ، فقال :

دِيَارُ مَيْةَ إِذْ مَيُّ تُسَاعِفُنَا وَلَا يَرَى مِثْلَهَا عُجْمٌ وَلَا عَرَبٌ^(٢)

وفي هذه القصيدة من التشبيه المصيب قوله :

يَبْضَاءُ فِي دَعَجٍ صَفْرَاءُ فِي نَعَجٍ كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ^(٣)

وفيها من التشبيه المصيب قوله :

تَشْكُو الْخِشَاشَ وَمَجْرَى النَّسْعَتَيْنِ كَمَا أَنَّ الْمَرِيضَ إِلَى عُوَادِهِ الْوَصْبُ^(٤)

و " الْخِشَاشُ " : ما كان في عَظْمِ الْأَنْفِ ، وما كان في الْمَارِنِ فهو " بُرَّةٌ " يقالُ " أَبرَيْتُ " الناقةَ ، فهي " مُبراةٌ " .

قال الشَّمَاخُ^(٥) ، وهذا من التشبيه العجيب :

فَقَرَّبْتُ مُبراةً تَخَالُ ضُلُوعَهَا مِنَ الْمَاسِخِيَّاتِ الْقِسِيِّ الْمُوتَرِ^(٦)

و " مَاسِخَةٌ " من بني نَصْرِ بْنِ الْأَزْدِ ، وإليهم تُنسَبُ الْقِسِيُّ الْمَاسِخِيَّةُ .

وأحسن ما قيل في صفة الضُّلُوعِ واشتباكها :

والبيت الثاني له رواية :-

النازلون بكل معزك والطيون معاقد الأزر

(١) سورة المؤمنون : ١٤ .

ولا أعلم بينهم اختلافًا في قراءة ﴿أحسن﴾ بالرفع ، ولم أجد قراءة النصب . وقد سلف الاستشهاد بها ص ١٤٧ .

(٢) البيت من البسيط ، وهو لذى الرمة في ديوانه ٢٣ وخزانة الأدب ٢ / ٣٦٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ،
والدرر ٧ / ٣ وشرح أبيات سيبويه ١ / ٥٤٨ ، والكتاب ١ / ٢٨٠ ، ٢ / ٢٤٧ ولسان العرب
١٢ / ٣٨٦ (عجم) ، ونوادر أبي زيد ٣٢ وجمع الهوامع ١ / ١٦٨

(٣) البيت ٢٠ ص ٣٣ . ورواية الديوان : " كحلأ في برج .. " والدعج سواد العين . والنعج البياض .

(٤) البيت ٢٨ ص ٤٢ . ومجرى النسعتين هو موضع التصدير والحقب ، وأن من الأنين ، والوصب : الوجع

(٥) ديوانه ق ١٢ / ٥ ص ١٣٣

(٦) الموتَر : المشدود الوتر . قال قدامة بن جعفر : " شبه أضلاع الناقة وبرى السير إياها بالقسي
الموترة ... من قبل اجتماع الأضلاع والقسي الموترة في الشكل والتوتر بالأعصاب والأوتار ، ولم يرد
إلا الشكل فقط ، وقد أتى على ما فيه " نقد الشعر ١١١ - ١١٢ .

وَكَاثِمًا انْتَطَحَتْ عَلَى أَثْبَاجِهَا^(١) فُدِّرْ بِشَابَةَ قَدْ تَمَنَّيَ وَغُولًا^(٢)
" الْفَادِرُ " الْمُسِينُ مِنَ الْوُغُولِ .

وذو الرُّمَّةِ أخذ ذلك المعنى من الْمُثَقَّبِ الْعَبْدِيِّ ، قال الْمُثَقَّبُ :
إِذَا مَا قُمْتُ أَخْدِجُهَا بِلَيْلٍ تَأْوُهُ آهَةٌ الرَّجُلِ الْخَزِينِ^(٣)
ومن التَّشْبِيهِ الْمُسْتَحْسَنِ قَوْلُ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدَةَ :
كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَنِّي عَلَى شَرَفٍ مُقَدِّمٍ بِسَبَا الْكَتَّانِ مَلْثُومٍ^(٤)
فهذا حسنٌ جدًا .

وقال أبو الْهِنْدِيِّ - وهو عَبْدُ الْمُؤْمِنِ^(٥) - بَنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ بْنِ شَبَثِ بْنِ رُبَيْعٍ

(١) (أثباجها) جمع ثَبَج " بالتحريك " وهو معظم الظهر وفيه محاني الضلوع رغبة الأمل ١٦١/٦ .
(٢) البيت من الكامل ، وهو للرأعي النميري في ديوانه ٢١٩ ولسان العرب ٥٠/٥ (فدر)
وجمهرة اللغة ٦٣٤ ، وتهذيب اللغة ١٤ / ١٠٢ ، وكتاب العين ٨ / ٢٦ ، وتاج العروس
١٣ / ٣٠٩ (فدر) ، ومعجم ما استعجم ٧٧٤ ، وسمط اللآلئ ٦٧٨ ، وبلا نسبة في جمهرة اللغة
١٢٧٥ ، وانظر المزيد من مصادر البيت في ديوانه ٢١٩ .
وله رواية :-

وَكَاثِمًا انْبَطَحَتْ عَلَى أَثْبَاجِهَا فدر تشابه قديمين وعولا

(٣) البيت من الوافر ، وهو للمثقب العبدى في ديوانه ١٩٤ وإصلاح المنطق ٣٢١ والخصائص
٣ / ٣٨ ، ولسان العرب ١١ / ٢٧٦ (رجل) ، ١٣ / ٤٧٣ (أوه) وبلا نسبة في شرح المفضل
٤ / ٣٩ ، ولسان العرب ١٣ / ٥٥١ (هوه) ، ١٤ / ٥٣ (أوا) وتاج العروس (أوه) .
(٤) البيت من البسيط ، وهو لعقمة بن عبدة في ديوانه ٧٠ ولسان العرب ١ / ٤٥٧ (سبب)
١٠٤ / ١٨ (برق) ، وتاج العروس ٣ / ٣٧ (سبب) ، ٢٥ / ٤٣ (برق) ، والمخصص ١٥ / ١٦٧ .
(٥) وقيل عبد السلام وقيل عبد الملك وقيل غالب . انظر الشعر والشعراء ٢ / ٦٨٢ ، والأغاني
٢٠ / ٣٢٩ ، وسمط اللآلئ ١٦٨ ، ٢٠٨ ، وهامش الاشتقاق ٢٢٣ .

الرَّيَاحِيُّ ، من بني رِيَّاحِ بْنِ يَرْبُوعِ :

مُفَدِّمَةٌ قَزَا كَانَ رِقَابُهَا رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ أَفْرَعَهَا الرُّعْدُ^(١)

وكان أبو الهندي قد غلبَ عليه الشرابُ ، على كرم مَنْصِبِهِ ، وشرفِ أُسْرَتِهِ ،
حتى كاد يُنْطِلُهُ .

وكان عَجِيبَ الجوابِ ؛ فجلس إليه رجلٌ مرَّةً يُعرِّفُ بِبَرَزِينِ المَنَاقِيرِ ، وكان
أبوه صُلْبٌ في خِرَابَةٍ - و " الخِرَابَةُ " عندهم سَرَقُ الإِبِلِ خاصَّةً - فأقبلَ يُعرِّضُ لأبي
الهنديِّ بالشرابِ ، فلما أَكْثَرَ عليه قال أبو الهنديُّ : أَحَدُهُم يَرَى القَذَاةَ في عينِ أخيه ،
ولا يَرَى الجِدْعَ في اسْتِ أبيه !!

وفي الخِرَابَةِ يقولُ الراجزُ :

وَالْخَارِبُ اللَّصُّ يُحِبُّ الْخَارِبَا وَتِلْكَ قُرْبَى مِثْلُ أَنْ تُنَاسِبَا

أَنْ تُشَبِّهَ الضَّرَائِبُ الضَّرَائِبَا^(٢)

وقال آخرُ:

اَيْتِ الطَّرِيقَ وَاجْتَنِبْ أَرْمَامَا^(٣) إِنَّ بِهَا أَكْثَلَ أَوْ رِزَامَا

(١) البيت من الطويل ، وهو لأبي عطاء السندی في الكتاب ٩٨/٢ ، ولأبي الهندي الرياحي ،
وهو مؤمن بن عبد القدوس ، في لسان العرب ٥ / ٢٨٤ (وضر) ، ١٨/١٠ (برق) ،
٤٥١/١٢ (قدم) ، والمعاني الكبير. ٤٥ ، وبلا نسبة في شرح المفصل ١ / ٣٥ ، والمقتضب ٤ /
٣٢٠ ، ٤٦

والبيت :

مقدمة فرا كان رقابها رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ أَفْرَعَهَا الرُّعْدُ

(٢) الضرائب جمع ضريبة وهي السجية والطبيعة . عن رغبة الأمل ١٦٣/٦ .

(٣) (أرماما) : "يفتح فسكون " ذكر ياقوت أنه اسم جبل في ديار باهلة بن أعصر أو واد يصب
الثلوث من ديار بني أسد . رغبة الأمل ١٦٤/٦ .

خَوَيْرِئَيْنِ يَنْقَفَانِ الْهَامَا^(١)

[زاد أبو الحسن: لم يتركَا لمُسْلِمٍ طَعَامًا] نَصَبَ " خَوَيْرِئَيْنِ " على " أَغْنِي " لا يكون غيرُ ذلك ؛ لأنه إنما أُثْبِتَ أحدهما بقوله " أو " ^(٢) .

وَمَرَّ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ اللَّيْثِيُّ بِأَبِي الْهِنْدِيِّ وَهُوَ يَمِيلُ سُكْرًا ، فَقَالَ لَهُ : أَفْسَدْتَ شَرْفَكَ ! فَقَالَ لَهُ أَبُو الْهِنْدِيِّ : لَوْ لَمْ أَفْسِدْ شَرَفِي لَمْ تَكُنْ أَنْتَ وَالْيَ خِرَاسَانُ !!

وَحَجَّ ^(٣) بِهِ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ مَرَّةً ، فَلَمَّا وَرَدَ الْحَرَمَ قَالَ لَهُ نَصْرٌ : إِنَّكَ بِفِنَاءِ بَيْتِ اللَّهِ وَمَحَلِّ حَرَمِهِ ، فَدَعَى لِي الشَّرَابَ حَتَّى يَنْفِرَ النَّاسُ ، وَاحْتَكِمْ عَلَيَّ ، فَفَعَلَ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ النَّفْرِ أَخَذَ الشَّرَابَ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَقْبَلَ يَشْرِبُ وَيَكِي ! وَيَقُولُ :

رَضِيعُ مُدَامٍ فَارَقَ الرَّاحَ رُوحُهُ فَظَلَّ عَلَيْهَا مُسْتَهْلُ الْمَدَامِيعِ
أَدِيرَا عَلَيَّ الْكَاسَ إِنِّي فَقَدْتُهَا كَمَا فَقَدَ الْمَفْطُومُ دَرَّ الْمَرَاضِعِ

وَكَانَ يَشْرَبُ مَعَ قَيْسِ بْنِ أَبِي الْوَلِيدِ الْكِنَانِيِّ ، وَكَانَ أَبُو الْوَلِيدِ نَاسِكًا ، فَاسْتَعَدَّى عَلَيْهِ وَعَلَى ابْنِهِ ، فَهَرَبَا مِنْهُ ^(٤) ، وَقَالَ أَبُو الْهِنْدِيِّ :

قُلْ لِلْسَّرِيِّ أَبِي قَيْسٍ أَتَوَعَدُنَا وَدَارُنَا أَصْبَحَتْ مِنْ دَارِكُمْ صَدَدًا ^(٥)

(١) هو رجل أسدى . والأبيات فى أمالى ابن الشجرى ٣١٨/٢ ، والجمهرة ٢٣٣/١ ، وشرح أبيات مغنى اللبيب ٣٧/٢ - ٤٥ ، والثانى والثالث فى الكتاب ٢٨٧/١ ، واللسان (خرب) . والبيت الذى زاده أبو الحسن فى شرح أبيات مغنى اللبيب وفى نسخة : وقال الآخر .
(٢) انظر المصادر التى أحلنا عليها فى الحاشية السابقة . وزعم الكوفيون أن " أو " هنا بمعنى الواو .

(٣) الخير والبيتان فى الأغاني ٣٣٢/٢٠ - ٣٣٣ .

(٤) زاد فى بعض النسخ : " معًا " .

(٥) يقال دارى صدد داره - بالنصب على الظرف - وعلى صدد داره وبصدد داره : إذا كانت قبالتها وعن ابن السكيت : الصدد والصقب : القرب . عن رغبة الأمل ١٦٥/٦ ، وانظر اللسان (صدد) .

أبا الوليد أما والله لو عملت فيك الشَّمُولُ لما حرَّمتها أبداً
ولا نسيت حميَّها ولذَّتْها ولا عدلت بها مالا ولا ولداً

ثم نرجع إلى التشبيه . وربما عرَضَ الشيءُ والمقصودُ غيره ، فيذكرُ للفائدة تقعُ فيه ، ثم يُعادُ إلى أصلِ البابِ .

وقال عروة بن جَزَامِ العُدْرِيُّ^(١) :

كَأَنَّ قَطَاةً غُلِقَتْ بِجَنَاحِهَا على كبدي من شِدَّةِ الحَفَقَانِ

ويقال إنَّ المرأةَ إذا كانت مُبْغِضَةً لزوجها فأيةُ ذلك أن تكونَ عند قُرْبِهِ منها مُرْتَدَّةَ النظرِ عنه ، كأنما تنظرُ إلى إنسانٍ وراءه ، وإذا كانت مُحِبَّةً له لا تُقْلِعُ عن النظرِ إليه ، فإذا نَهَضَ نظرتُ من ورائه إلى شخصه حتى يزُولَ عنها . فقال رجلٌ [قال أبو الحسن : قال المبردُ . هذا الرَّجُلُ قاسمُ التَّمَارِ، حدثني الجاحظُ عنه بهذا ، وكان مُغْفَلاً] أردتُ أن أعلمَ كيفَ حالي عند امرأتي ، فالتفتُ وقد نَهَضْتُ من بين يديها فإذا هي تَكَلِّحُ^(٢) في قَفَايَ .

وقال الفرَزْدَقُ في هذا المعنى ، والنَّوَارُ تخاصمُهُ عند عبد الله بن الزُّبَيْرِ :

فَدُونَكُهَا يَا بَنَ الزُّبَيْرِ فَإِنَّهَا مُوَلَّعَةٌ يُوهِي الحِجَارَةَ قِيلُهَا

(١) البيت من كلمة له طويلة . انظر الشعر والشعراء ٢/٦٢٤ ، والأغاني ٢٤/١٥٨ ، وذيل

الأمالى ١٥٩ ، وانظر كلام العلامة الميمنى فى ذيل سمط اللآلى ٧٣-٧٤ .

(٢) يقال كَلَحَ كَمَنَعَ وأَكْلَحَ إذا تَكَشَّرَ فى عبوس .

إذا جلست عند الإمام كأنما ترى رُفْقَةً مِنْ خَلْفِهَا تَسْتَحِيلُهَا^(١)

قوله " مولعة " يقول : كأنها مولعة بالنظر مرة هاهنا ومرة هاهنا

وقوله " تَرَى رُفْقَةً " يقال " رُفْقَةً " و " رُفْقَةً " . ومعنى " تَسْتَحِيلُهَا " : تتبين حالاتها ، قال حميد بن ثور الهلالي :

إذا خَرَجْتَ تَسْتَحِيلُ الشُّخُوصَ مِنْ الْخَوْفِ تَسْمَعُ مَا لَا تَرَى

ومن عَجِيبِ التَّشْبِيهِ قَوْلُ جَرِيرٍ فِيمَا يُكْنَى عَنْهُ :

تَرَى بَرَصًا بِمَجْمَعِ أَسْكَنِيهَا كَعَنْفَةِ الْفَرَزْدَقِ حِينَ شَابَا

ويقال : إن الفرزدق حين أنشد النصف الأول ضرب بيده إلى عَنْفَتِهِ ، تَوَقُّعًا لِعَجْزِ الْبَيْتِ .

ومن التشبيه الحسن قول جرير^(٢) في صفة الخيل :

يَشْتَفَنَ لِلنَّظَرِ الْبَعِيدِ كَأَنَّمَا إِرْنَانُهَا^(٣) بِبَوَائِنِ الْأَشْطَانِ^(٤)

(١) ديوانه ٦٢/٢ .

(٢) كذا والصواب " قول الفرزدق " ، وروايته " يسهلن بالنظر البعيد " .

(٣) إرنانها : الإرنان : الصياح الشديد . رغبة الآمل ١٦٨/٦ .

(٤) البيت من الكامل ، وهو للفرزدق في ديوانه ٣٤٤ / ٢ ، ولسان العرب ٦٤/١٣ (بين) ، وتاج العروس ٥٢٩/٢٣ (شنف) ، (بين) ، ولجرير في تهذيب اللغة ٥٠١/١٥ ، ولجرير أو للفرزدق في لسان العرب ١٨٣/٩ (شنف) ، وبلا نسبة في لسان العرب ٧١٥/٩ (شوف) ، وتاج العروس ٥٣٣/٢٣ (شوف) .

وله رواية

يشنفن للنظر البعيد كأنما إرنانها ببوائن الأشطان

قوله " يَشْتَفَنَ " و " يَتَشَوَّقَنَ " بمعنى واحد . وقوله " كأنما إرْنَانُهَا بِبَوَائِنِ
الْأَشْطَانِ " أراد شدة صهيلها ، يقول : كأنما يصْهَلْنَ في آبارٍ واسعةٍ تَبِينُ أَشْطَانُهَا عَنْ
نَوَاحِيهَا .

ونظير ذلك قولُ النابغة الجعديّ :

وَيَصْهَلُ فِي مِثْلِ جَوْفِ الطَّوِيِّ صَهِيلًا تَبِينُ لِلْمُعْرَبِ^(١)

" الْمُعْرَبُ " العالمُ بالخيلِ الْعِرَابِ .

ومن حَسَنِ التشبيه قولُ عَنزَةَ :

غَادَرْنَ نَضْلَةً فِي مَعْرَكٍ يَجْرُ الْأَسِنَّةُ كَالْمُخْطَبِ^(٢)

يقول : طَعِنَ وَغَوْدِرَتِ الرِّمَاحُ فِيهِ ، فَظَلَّ يَجْرُهَا ، كأنه حاملُ حطَبٍ .

ومن التشبيه المفرط المتجاوز قولُ الخنساء :

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ^(٣)

(١) البيت من المتقارب ، وهو للنابغة الجعدي في ديوانه ٢٣ ، ولسان العرب ٥٩٠/١ (عرب) ،
وتهذيب اللغة ٣٦٥/٢ ، وكتاب الجيم ٢٤٧/٢ ، وسمط اللآلئ ٤١٤ ، وتاج العروس ٣٣٦/٣
(عرب) ، وبلانسة في المخصص ١٧٧/٦ ، وجمهرة اللغة ٣١٩ .
وله رواية :

ويصهل في مثل جوف الطوي صهيلًا تبين للمعرب

(٢) في بعض النسخ : عنزة العبسي ، والبيت من المتقارب ، وهو لعنزة في ديوانه ص ٢٩٣ ،
وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٤٢٠ ، وبلانسة في مقاييس اللغة ٤١٢/١ .
(٣) سلف البيت .

فَجَعَلَتِ الْمَهْتَدِيَّ يَأْتُمُّ بِهِ ، وَجَعَلَتْهُ كَنَارٍ فِي رَأْسِ عِلْمٍ ، وَ " الْعَلَمُ " : الْجَبَلُ ،
قال جرير^(١) :

إِذَا قَطَعْنَا عِلْمًا بَدَا عِلْمٌ

وقال الله جل ثناؤه : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾^(٢) .

ومن هذا الضرب من التشبيه قولُ العجاج^(٣) :

تَقْضِي الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرَ

و " التَّقْضِي " : الْإِنْقِضَاضُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ سَرْعَتَهَا ، وَالْعَرَبُ تُبْدِلُ الْيَاءَ مِنْ أَحَدِ
التَّضْعِيفَيْنِ ، فَيَقُولُونَ " تَطْنَيْتُ " وَالْأَصْلُ " تَطَنَنْتُ " لِأَنَّهُ " تَفَعَّلْتُ " مِنْ " الظَّنِّ " ،
وَكَذَلِكَ " تَقْضَيْتُ " مِنْ " الْإِنْقِضَاضِ " أَيْ " تَقْضَضْتُ " ، وَكَذَلِكَ " تَسَرَّيْتُ " ،
ومثلُ هذا كثيرٌ .

* * *

ومن تشبيه المحدثين المستطرف قولُ بشار :

كَأَنَّ فُؤَادَهُ كُرَّةٌ تَنْزَى حِذَارَ الْيَنَنِ إِنْ نَفَعَ الْحِذَارُ^(٤)

وفي هذه القصيدة :

جَفْتُ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ
أَقُولُ وَلَيْلَتِي تَزْدَادُ طَوْلًا : أَمَا لِلَّيْلِ بَعْدَهُمْ نَهَارُ !
وقال الحسن بن هانئ^(٥) فِي صِفَةِ^(٦) الْخَمْرِ :

(١) سلف البيت

(٢) سورة الرحمن : ٢٤ .

(٣) سلف البيت وروايته هناك " تجلى البازي " .

(٤) ديوانه ٣ / ٢٤٨-٢٤٩ ، والشعر والشعراء ٧٥٩-٧٦٠ ، وسمط اللآلئ ٦٩٥ .

(٥) سلف البيتان . وضبط في نسخة : " المتاح " و " الرياح " .

(٦) في نسخة : في وصف .

وَإِذَا مَا لَمَسْتَهَا فَهَبَاءٌ تَمْنَعُ اللَّمَسَ مَا تُبِيحُ الْعُيُونَا
 دَرَسَ الدَّهْرُ مَا تَجَسَّمُ مِنْهَا وَتَبْقَى لُبَابُهَا الْمَكُونَا
 فِي كُؤُوسٍ كَأَنَّهُنَّ نُجُومٌ جَارِيَاتٌ بُرُوجُهَا أَيْدِينَا
 طَالِعَاتٌ مَعَ السُّقَاةِ عَلَيْنَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

[وزاد أبو الحسن :

فَهِيَ بِكَرٍّ كَأَنَّهَا كُلُّ شَيْءٍ يَتَمَنَّى مُخَوِّرٌ أَنْ يَكُونَا]
 فهذه قطعة من التشبيه غاية ، على سُخْفٍ كلامِ المُحَدِّثِينَ .
 وقال الحَنَفِيُّ ، وهو إِسْحَاقُ بْنُ خَلْفٍ ، في صِفَةِ السِّيفِ :
 أَلْقَى بِجَانِبِ خَصْمِهِ أَمْضَى مِنَ الْأَجَلِ الْمُتَاخِ
 وَكَأَنَّهَا ذَرٌّ أَهْبَا ءَ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيحِ ^(١)
 وقال مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ ^(٢) في مَدْحِهِ يَزِيدَ بْنَ مَرْيَدٍ :

تَمْضِي الْمَنَايَا كَمَا تَمْضِي أَسِنَّتُهُ كَأَنَّ فِي سَرَجِهِ بَذْرًا وَضِرْغَامَا
 وقال دِغْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ فِي صِفَةِ مَصْلُوبٍ :
 لَمْ أَرْ صَفًّا مِثْلَ صَفِّ الزُّطِّ ^(٣) تَسْعِينَ مِنْهُمْ صُلْبُوا فِي خَطِّ
 مِنْ كُلِّ عَالٍ جَذْعُهُ بِالشُّطِّ كَأَنَّهُ فِي جَذْعِهِ الْمُشْتَطِّ ^(٤)
 أَخُو نَعَاسٍ جَدٌّ فِي التَّمْطِطِي قَدْ خَامَرَ النَّوْمَ وَلَمْ يَغِطِّ ^(٥)
 وقال آخَرُ فِي صِفَةِ مَصْلُوبٍ ، وَهُوَ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ :

قَامَ وَلَمَّا يَسْتَعِنُ بِسَاقِهِ أَلْفَ مَثْوَاهُ عَلَى فِرَاقِهِ
 كَأَنَّهَا يَضْحَكُ فِي أَشْدَاقِهِ

(١) شعره ق ٣٢/٢ ص ٢٣.

(٢) ديوانه ق ١٩/٦ ص ٦٥ .

(٣) هو جبل أسود من السند أو الهند (بالشط) بجانب النهر و(المشتط): الذي جاوز في الطول حده. رغبة الأمل .

(٤) المشتط : الطويل الذي جاوز في الطول حده.

(٥) الأبيات في ديوانه ص ١٠٠ .

أراد بياض الشَّرِيطِ فِي فِيهِ .

وقال آخرُ في صفةِ مصلوبٍ وهو الأَخْطَلُ [قال أبو الحسن : الأَخْطَلُ الَّذِي يَعْنِيهِ رَجُلٌ مُحَدَّثٌ بَصْرِيٌّ وَيَعْرِفُ بِالْأَخْطِلِ ، وَهُوَ يُعْرَفُ بِرُتُوقَا] ، [وَذَكَرَ أَبُو الْحَسَنِ أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ كَانَ يُدَلِّسُ بِهِ] :

كَانَهُ عَاشِقٌ قَدْ مَدَّ صَفْحَتَهُ يَوْمَ الْفِرَاقِ إِلَى تَوْدِيعِ مُرْتَجِلِ
أَوْ قَائِمٍ مِنْ نِعَاسٍ فِيهِ لُوثَتُهُ مُوَاصِلٍ لَتَمَطِّيه مِنَ الْكَسَلِ^(١)

وقال حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ : [قال أبو الحسن : يَعْنِي بِهِ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الطَّاهِرِيِّ] .

قَدْ قَلَصَتْ شَفَاةُ مِنْ حَفِيطَتِهِ فَخِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّغْيِيسِ مُتَبَسِّمًا^(٢)
وقال أيضًا فِي رَجُلٍ يَنْسُبُهُ إِلَى الدَّعْوَةِ^(٣) :

وَتَنَقَّلَ مِنْ مَغْشَرٍ فِي مَغْشَرٍ فَكَأَنَّ أَمَّكَ أَوْ أَبَاكَ الزُّبُقُ
يَقَالُ " زُبُقٌ " وَ " زُبَيْرٌ " ^(٤) مَهْمُوزَانِ ، وَ " دَرَهْمٌ مُزَابِقٌ " وَ " ثَوْبٌ مُزَابِرٌ "

وَمِنْ إِفْرَاطِ التَّشْبِيهِ قَوْلُ أَبِي خِرَاشٍ الْهَذَلِيِّ^(٥) يَصِفُ سُرْعَةَ ابْنِهِ فِي الْعَدُوِّ :
كَأَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ فِي إِثْرِ طَائِرٍ خَفِيفِ الْمَشَاشِ عَظْمُهُ غَيْرُ ذِينَ نَحْضِ نَحْضِ
يُادِرُ جُنْحَ اللَّيْلِ فَهُوَ مُهَابِدٌ يَحُثُّ الْجَنَاحَ بِالتَّبْسُطِ وَالْقَبْضِ
وقال أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ^(٦) [قال أبو الحسن : أَهْلُ الْكُوفَةِ يَرَوْنَهَا لَعَبِيدَ بْنِ الْأَبْرَصِ] :

(١) الْبَيْتَانِ فِي سِمَطِ اللَّأَلَى ٥٩٥ .

(٢) دِيَوَانُهُ ق ١٣٥ / ١٨ ج ٣ / ١٧٠ .

(٣) الرَّجُلُ الَّذِي يَعْنِيهِ أَبُو تَمَامٍ هُوَ عَتَبَةُ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ شَاعِرُ أَهْلِ حِمَصٍ وَالْبَيْتِ فِي دِيَوَانِهِ ق ٣٩٧ / ١٧ ج ٤ / ٣٩٦ ، رَغْبَةُ الْأَمَلِ ١٧٣ / ٦ . وَالدَّعْوَةُ : بِكَسْرِ الدَّالِ هِيَ ادْعَاءُ الْوَلَدِ الدَّعَى غَيْرَ أَبِيهِ كَالدَّعَاوَةِ . رَغْبَةُ الْأَمَلِ ١٧٣ / ٦ . وَاللِّسَانُ (دَعْوَةٌ) .

(٤) الزُّبَيْرُ : مَا يَعْلُو الثَّوْبَ الْجَدِيدَ مِثْلَ مَا يَعْلُو الْخَزَّ .

(٥) سَلَفُ الْبَيْتَانِ مَعَ أَبْيَاتٍ أُخْرَى .

(٦) قَالَ مُحَقِّقُ (س) : لَمْ أَجِدِ الْبَيْتَيْنِ فِي كَلِمَةِ عَبِيدَ . وَانْظُرْ كَلَامَ مُحَقِّقِ دِيَوَانِ أَوْسٍ فِي تَدَاخُلِ الْكَلِمَتَيْنِ .

كَانَ رِيْقَتَهَا بَعْدَ الْكَرَى اعْتَبَقَتْ مِنْ مَاءٍ أَذْكَنَ فِي الْحَانُوتِ نَضَّاحٍ
أَوْ مِنْ مُعْتَقَةٍ وَرَهَاءَ نَشْوُوتِهَا أَوْ مِنْ أَنْيَابِ رُمَّانٍ وَتَفَّاحٍ^(١)

وقال ابنُ عَبْدِ^(٢) يهجو رجلاً بالبحر :

نَكِهْتُ عَلَيَّ نَكْهَةً أَخْذَرِي شَتِيمَ شَابِكِ الْأَنْيَابِ وَرَدِي^(٣)
وفي هذا الشُّعْرُ :

فَمَا يَذْنُو إِلَى فِيهِ ذُبَابٌ وَلَوْ طَلَيْتَ مَشَافِرُهُ بِقَنْدٍ^(٤)
يَرَيْنَ حَالَاوَةً وَيَخْفَنَ مَوْتَا وَشَيْكَاً إِنْ هَمَمَنْ لَهُ بَوْرَدٍ

"الذُّبَابُ" الواحد من "الذُّبَابِ" وأدنى العدَدِ فيه "أَذْبَةٌ" والكثيرُ "الذُّبَابُ" .
ولكنه ذكر واحدًا ثم خبرَ عن سائر الجنس . والأسدُ أَتَنُ السَّبَاعِ فَمَا ، كما أَنَّ الصَّقْرَ
أَتَنُ الطَّيْرِ فَمَا .

قال بعضُ المحدثين في رجل يهجوهُ - وهو داوُدُ بْنُ بَكْرٍ -^(٥):

قَدْ وَلَسِي فَسَارِمَ وَالْأَهْمَ سَوَارَ دَاوُدَ بِسْنِ بَكْرٍ
وَلَهُ لِحْيَةٌ تَيْسٌ وَلَهُ مِنْقَارٌ نَسْرٍ
وَلَهُ نَكْهَةٌ لَيْثٌ خَالَطَتْ نَكْهَةً صَقْرٍ

وقال عبدُ الرحمن بنُ أَبِي عبد الرحمن بنِ عائِشَةَ :

(١) صدر البيت لخراشة بن عمرو العبسي أو لعنزة في الاقتضاب وليس في ديوان عنزة ، وبلا
نسبة في جمهرة اللغة ١٣١٥ .

(٢) من كلمة له أنشدها الجاحظ في الحيوان ٢٥٠/١ - ٢٥٣ ، وأنشد بعضها صاحب الأغاني
٤١٢/٢ - ٤١٣ .

(٣) نكهت على : تنفست على أنفي . وأخدرى قال الشيخ المرصفي : "غلط الشاعر فجعل
نعت الحمار الوحشي نعتاً للأسد وكان الصواب أن يقول : (تخدر أو خادر) وهو الأسد في
عربيه . فلما لم يستقم له غير بأخدرى غلطا " رغبة الأمل ١٧٦/٦ . والشتيم : الأسد العابس .
والورد من أسماء الأسد الأسد ، سمي تشبيهاً له بلون الورد .

(٤) القند : عصارة قصب السكر .

(٥) في (ن) زيادة [وكان ولي الأهواز وفارس ، والشعر لأبي الشمقمق] .

مِنْ يَكُنْ إِنْطُهُ كَابَاطِ ذَا الْخَلِّ قِي فَإِنْطَايَ فِي عِدَادِ الْفَقَاحِ ^(١)
 لِي إِنْطَانِ يَرْمِيَانِ جَلِيسِي بِشَبِيهِ السُّلَاحِ أَوْ بِالسُّلَاحِ ^(٢)
 فَكَأَنِّي مِنْ نَتْنِ هَذَا وَهَذَا جَالِسٌ بَيْنَ مُضْعَبٍ وَصَبَاحٍ
 يعني مُضْعَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيِّ ، وَصَبَاحَ بْنَ خَاقَانَ الْمُنْقَرِيِّ ، وَكَانَا
 جَلِيسِينَ ، لَا يَكَادَانِ يَفْتَرِقَانِ ، وَصَدِيقَيْنِ مُتَوَاصِلَيْنِ ، لَا يَكَادَانِ يَتَصَارِمَانِ .
 فَحَدَّثْتُ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ هِشَامٍ لَقِيَهِمَا يَوْمًا ، فَقَالَ : أَمَّا سَمِعْتَمَا مَا قَالَ فَيَكُمَا هَذَا؟
 يعني إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوَصِّلِيِّ ، فَقَالَا : مَا قَالَ إِلَّا خَيْرًا ، قَالَ :
 لَا مَ فِيهِمَا مُضْعَبٌ وَصَبَاحٌ فَعَصَيْنَا مُضْعَبًا وَصَبَاحًا ^(٣)
 وَلَكِنَّ الْمَكْرُوهَ مَا قَالَ فِيكَ ، إِذْ يَقُولُ :
 وَصَافِيَةٌ تَغْشَى الْعُيُونَ رَقِيقَةً رَهْنَةً عَامٍ فِي الدُّنْيَانِ وَعَامٍ
 أَذْرُنَا بِهَا الْكَأْسَ الرَّوِيَّةَ مَوْهِنَا مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى أَنْجَابَ كُلَّ ظَلَامٍ
 فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى كَانَا مِنَ الْعِيِّ نَحْكِي أَحْمَدَ بْنَ هِشَامٍ ^(٤)

* * *

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلتَّشْبِيهِ حَدًّا ؛ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ تَشَابَهَ مِنْ وَجْهِهِ ، وَتَبَايَنَ مِنْ وَجْهِهِ .
 فَإِنَّمَا يُنْظَرُ إِلَى التَّشْبِيهِ مِنْ أَيْنَ وَقَعَ . فَإِذَا شَبَّهَ الْوَجْهَ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ
 الضِّيَاءُ وَالرَّوْنَقُ ، وَلَا يُرَادُ بِهِ الْعِظَمُ وَالْإِحْرَاقُ . قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ
 مَكْتُونٌ ﴾ ^(٥) وَالْعَرَبُ تُشَبِّهُ النِّسَاءَ بَبَيْضِ النَّعَامِ ، تَرِيدُ نَقَاءَهُ وَرِقَّةَ لَوْنِهِ ؛ قَالَ الرَّاعِي :

(١) الْآيَاتُ فِي الْأَغَانِي ١١٩/١٧ وَالْفَقَاحُ جَمْعُ فَحْصَةٍ وَهِيَ الدَّبَرُ أَوْ حَلَقَتُهُ . عَنْ رَغْبَةِ الْآمَلِ ١٧٦/٦ .

(٢) السُّلَاحُ : مَا تَلْقِيهِ مِنَ الْعَذْرَةِ رَغْبَةُ الْآمَلِ ١٧٦/٦ .

(٣) الْبَيْتُ فِي الْأَغَانِي ١١٨/١٧ .

فَعَصَيْنَا مُضْعَبًا وَصَبَاحًا

قَدْ نَهَانَا مُضْعَبٌ وَصَبَاحٌ

(٤) الْآيَاتُ فِي الْأَغَانِي ١١٨/١٧ ، ١١٩ .

(٥) سُورَةُ الصَّافَّاتِ : ٤٩ .

كَأَن يَبْضُ نَعَامٍ فِي مَلَا حِفْهَها ^(١) إِذَا اجْتَلَاهُنَّ قَيْظٌ لَيْلُهُ وَمِدُّ ^(٢)

وقيل للأوسية - وهي امرأة حكيمة من العرب ، بحضرة عمر بن الخطاب رحمه الله - : أي منظر أحسن ؟ فقالت : قُصُورُ بَيْضٍ فِي حَدَائِقِ حُضْرٍ ، فَأَنْشَدَ عُمَرُ ابْنَ الْخَطَّابِ لِعَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ :

كَدُمَى الْعَاجِ فِي الْمَحَارِبِ أَوْ كَالْـ
بَيْضِ فِي الرُّوضِ زَهْرُهُ مُسْتَتِيرٌ ^(٣)

وقال آخر :

كَالْبَيْضِ فِي الْأُدْحَى يَلْمَعُ بِالصُّحَى
فَالْحُسْنُ حُسْنٌ وَالنَّعِيمُ نَعِيمٌ ^(٤)

وقال جرير :

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ مِنْ شَيْءٍ يَرُوقُهُمْ
إِلَّا رَأَوْا أَمْ نُوحٍ فَوْقَ مَا وَصَفُوا

كَأَنَّهَا مُزْنَةٌ غَرَاءُ رَائِحَةٌ
أَوْ دُرَّةٌ لَا يُوَارِي صَوْنَهَا الصَّدْفُ ^(٥)

و" المُرْنَةُ " : السحابة البيضاء خاصة ، وجمعها " مُرْنٌ " ؛ قال الله جلَّ وعزَّ :

﴿ أَلَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ﴾ ^(٦) . والمرأة تُشَبَّهُ بِالسَّحَابَةِ لِتَهَادِيهَا وَسُهولةِ مَرِّهَا ؛ قال

الأعشى :

كَأَن مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتٍ جَارَتْهَا
مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلٌ ^(٧)

(١) ملاحفها : جمع ملحف كمطر ، وقد يقال ملحفة وهي الملاءة السمط دون المبطنة وكل ما تغطيت به فهو لحاف وملحف وملحفه رغبة الآمل ١٧٨ / ٦ . والومد : ندي يحى فى صميم الحر من قبل البحر مع سكون الريح .

(٢) البيت من البسيط ، وهو للراعى النميرى فى ديوانه ص ٥٥ ولسان العرب ٤٧٠ / ٣ (ومد) ، وتهذيب اللغة ٢١٨ / ١٤ ، وتاج العروس ٣٣٠ / ٩ (ومد) .

(٣) ديوانه ق ٤ / ١٦ ص ٨٤ .

(٤) الأدحى : مبيض النعام تدحوه برجلها ثم تبيض فيه ، رغبة الآمل ١٧٩ / ٦ .

(٥) البيت فى شرح ديوان جرير (مهدي محمد ناصر الدين) ص ٢٩٠ .

(٦) سورة الواقعة : ٦٩ .

(٧) البيت من البسيط ، وهو للأعشى فى ديوانه ص ١٠٥ ، ولسان العرب ١٨٦ / ٥ (مور) ،

وتهذيب اللغة ٣٧٢ / ١ ، ٢٥٦ / ٢ ، وتاج العروس ١٥٢ / ١٤ (مور) .

وله رواية :

كَأَن مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتٍ جَارَتْهَا
مُورُ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلٌ

"الرَّيْثُ" : الإِبْطَاءُ ؛ فهذا ما تَلَحُّقُهُ الْعَيْنُ مِنْهَا، فَأَمَّا الْخِفَةُ فَهِيَ كَأَسْرَعِ مَارٍ ،
وإن خَفِيَ ذلك على البَصَرِ ، قال الله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً
وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ (١).

والعربُ تُشَبِّهُ المرأةَ بالشمس ، والقمر ، والغصن ، والكَيْسِبِ ، والغزال ،
والبقرة الوحشية ، والسحابة البيضاء ، والدُّرَّة ، والبيضة . وإنما تَقْصِدُ من كلِّ شيءٍ
إلى شيءٍ .

قال ذو الرُّمَّة :

وَمِثَّةٌ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ جِدًّا وَمَالِفَةٌ وَأَخْسَنُهُمْ (٢) قَدْ ذَلَا
فَلَمْ أَرْ مِثْلَهَا نَظَرًا وَعَيْنًا وَلَا أُمَّ الْغَزَالِ وَلَا الْغَزَالَا
تُورِكَ بِيَاضَ غُرَّتِهَا وَوَجْهَهَا كَقَرْنِ الشَّمْسِ أَفْتَقَ ثُمَّ زَالَا
أَصَابَ خِصَاصَةً فَبَدَا كَلِيلَا كَلَا وَانْغَلَّ مَائِرُهُ انْغِلَالَا (٣)
"الجيدُ" : العُنُقُ . و "السَّالِفَةُ" : ناحية العُنُقِ . و "القَدْالَانِ" : ناحيتَا
القَفَا والنُّقْرَةِ بينهما .

وقوله "أَفْتَقَ ثُمَّ زَالَا" يقال "أَفْتَقَ السَّحَابُ" : إذا انكشفَ انكشافًا فكانت
منه فُرْجَةٌ يسيرةٌ بين السَّحَابِ . تقول العربُ : دَامَ عَلَيْنَا الْعَيْمُ ثُمَّ أَفْتَقْنَا . وإذا نُظِرَ إلى
الشمس والقمر من فَتَقِ السَّحَابِ فهو أَحْسَنُ ما يكونُ وأشدُّه استنارةً .
وقوله "كَلَا" يريدُ في سرعةٍ ما بَدَأَ ثُمَّ غَابَ (٤).

(١) سورة النمل : ٨٨.

(٢) بهامش نسخة : "وأحسنه" وهي رواية الديوان .

(٣) البيت من الوافر ، وهو لذى الرمة فى ديوانه ص ١٥٢١ ، والأشباه والنظائر ١٠٦/٢ ،
وخزانة الأدب ٣٩٣/٩ ، والخصائص ٤١٩/٢ ، والدرر ١٨٣/١ ، وشرح المفصل ٩٦/٦ ، ولسان
العرب ٨٨ / ١١ (نقل) ، وبلا نسبة فى أمالى ابن الحاجب ٣٤٩/١ ، ووصف المباني ١٦٨ ، وشرح
شدور الذهب ٥٣٦ ، وجمع الهوامع ٥٩ / ١ .

(٤) قال الشيخ المرفصى : "العرب إذا أرادت تقليل مدة فعل أو ظهور شيء خفى قالت كان
فعله أو ظهوره كلا . وربما كرروا فقالوا كلا ولا " رغبة الأمل ١٨٠/٦ ، وانظر اللسان (لا) .

وقال الله عز وجل : ﴿ كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾^(١) وقال تبارك وتعالى :
﴿ كَأَمْثَالِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾^(٢).

و " المكنون " : المصنوع ، يقال : " كُنْتُ الشيء " : إذا صُنِّعَ ، و " أَكُنْتُه " :
إذا أخفيتُه ، فهذا المعروف ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾^(٣)
وقد يقال " كُنْتُه " : أخفيتُه .

وقال جرير في يزيد بن عبد الملوك - وأُمُّه عاتكة بنتُ يزيد بن معاوية - :
الحَزْمُ والجُودُ والإيمانُ قد نَزَلُوا على يزيدَ أمينِ الله فاختَلَفُوا^(٤)
صَخْمُ الدَّسِيعَةِ والإيمانُ ، غُرَّتْهُ كالبدْر ليلةَ كاذِ الشهرِ يَنْتَصِفُ^(٥)
وقال ذو الرُّمَّة :

فيا ظَيِّفَ الوَغَساءِ بَيْنَ جُلَاجِلِ وَيَنَّ النِّقَا آأَلْتِ أَمْ أَمْ سَالِمٍ؟^(٦)
[قال أبو الحسن ؛ ويروى : بين حُلَاجِلِ^(٧)]

وقال ابنُ أبي ربيعة^(٨) :

-
- (١) سورة الرحمن : ٥٨ .
(٢) سورة الواقعة : ٢٣ .
(٣) سورة البقرة : ٢٣٥ .
(٤) لم أجد هذا البيت في كلمة جرير . وانظر تذييل ديوانه ١٠٦٤/٢ .
(٥) ديوانه ق ٤٢/١٦ ج ١٧٥/١ . والرواية " الدسيعة والأبيات " .
(٦) البيت من الطويل ، وهو لذي الرمة في ديوانه ٧٦٧ ، وأدب الكاتب ٢٢٤ ، والأزهية ٣٦ ،
والأغاني ١٧/٣٠٩ ، والخصائص ٤٥٨/٢ ، والدرر ١٧/٣ ، وسر صناعة الإعراب ٧٢٣/٢
وشرح أبيات سيبويه ٢/٢٥٧ ، وشرح شواهد الشافعية ٣٤٧ ، وشرح المفصل ١/٩٤ ، ٩/١١٩ ،
والكتاب ٣/٥٥١ ، ولسان العرب ١١/١٢٣ (جلل) / ١٥/٤٣٠ (أ) ، ٤٩١ (يا) ، واللمع ١٩٣ ،
٢٧٧ ، ومعجم ما استعجم ٣٨٨ (جلاجل) والمقتضب ١/١٦٣ ، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب
١/٤٥٧ ، ٢/٦٧٧ ، والإنصاف ٢/٤٨٢ ، وجمهرة اللغة ١٢١٠ ، والجنى الداني ١٧٨ ، ٤١٩ ،
وخزانة الأدب ٥/٢٤٧ ، ١١/٦٧ ، ورصف المباني ٢٦/١٣٦ ، وشرح شافعية ابن الحاجب ٣/٦٤
وهمع الهوامع ١/١٧٢ .
(٧) انظر معجم البلدان (جلاجل) ٢/١٤٩ ، و(حلاجل) ٢/٢٨٠ .
(٨) سلف البيتان .

أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنَسَوْتُهَا يَمْشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ

يَرْفُلْنَ^(١) فِي الرِّيطِ وَالْمُرُوطِ كَمَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا سَوَاكِنُ الْبَقَرِ
فهذه تشبيهاتٌ عربيّةٌ مفهومةٌ .

وقال أحدُ شعراء المتكلمين من المُحدّثين : [قال أبو الحسن : هو أبو عبد
الرحمن العَطَوِيُّ] .

قَدْ رَأَيْنَا الْغَزَالَ وَالْغُصْنَ وَالنَّجْمَ حَمِينَ شَمْسَ الضُّحَى وَبَذَرَ الظَّلَامَ
فَوَحَقَّ الْبَيَانَ يَغْضُذُهُ الْبُرُ هَانٌ فِي مَاقِطٍ أَلَدَّ الْخِصَامِ
مَا رَأَيْنَا سِوَى الْحَبِيبَةِ شَيْئًا جَمَعَ الْحُسْنَ كُلَّهُ فِي نِظَامِ
فَهِيَ تَجْرِي مَجْرَى الْأَصَالَةِ فِي الرَّأْيِ يَوْمَجَرَى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَامِ

" البرهان " : الحجة ، قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٢) أي حُجَّتْكُمْ ، و " الْمَاقِطُ " : موضعُ الحربِ ، فضربه مثلاً لموضعِ المناظرةِ والمُحاجةِ . و " الْأَلَدُ " : الشدائدُ الخصومةُ ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾^(٣) وقال : ﴿ وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ ﴾^(٤) .

* * *

وَقَالَتْ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ^(٥) :
كَأَنَّ فَتَى الْفَتَيَانِ تَوْبَةً لَمْ يَبْتَ بَنَجْدٍ وَلَمْ يَطْلُعْ مَعَ الْمَغُورِ
وَلَمْ يَقْدَعْ الْخِصْمَ الْأَلَدُ وَيَمْلَأِ الْـ جَفَانَ سَدِيفًا يَوْمَ نَكْبَاءِ صَرْصَرِ
" السَّدِيفُ " : شِقَقُ السَّامِ .

(١) يرفلن : " بضم الفاء " من رفلت في ثيابها رفلًا جرت ذيلها رغبة الآمل ١٨٢/٦ .

(٢) سورة البقرة : ١١١ ، وسورة النمل : ٦٤ .

(٣) سورة مريم : ٩٧ . ووقع في جميع نسخ الكتاب عدا (ن) و (س) " لتنذر " وهو سهو مخالف للتلاوة .

(٤) سورة البقرة : ٢٠٤ .

(٥) ديوانها ق ١٨/٤ ، ٦ ، ٧٢ باختلاف في الرواية . وسيأتيان في أبيات .

و " النُكْبَاءُ " : الرِّيحُ بين الرِّيحَيْنِ ؛ لأنَّ الرِّيحَ أَرْبَعٌ ، وما بين كُلِّ رِيحَيْنِ نكْبَاءٌ ، فهي ثَمَانٌ فِي الْمَعْنَى :
فما بين مَطْلَعِ سُهَيْلٍ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ " جَنُوبٌ " وإنما تَأْتِي الْجَنُوبُ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ ، قال جرير :

وَجَبْدًا نَفَحَاتٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ تَأْتِيكَ مِنْ جَبَلِ الرِّيَّانِ أَخْيَانًا^(١)
وَإِذَا هَبَّتْ مِنْ تَلْقَاءِ الْفَجْرِ فَهِيَ " الصَّبَا " تُقَابِلُ الْقِبْلَةَ ، فالعرب تسميها "القبول" قال الشاعر :

إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُو يَشُوقُنِي نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ الْفَجْرُ^(٢)
وَإِذَا أَتَتْ مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَهِيَ " شَمَالٌ " قال الفرزدق :

مُسْتَقْبِلِينَ شِمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ الْقُطْنِ مَثُورِ^(٣)
وهي تقابل الجنوب ، وكذلك قال امرؤ القيس :

لَمَّا نَسَجْتَهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ^(٤)

(١) قبله بيت وهو :

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

والبيتان من البسيط ، وهما لجرير في ديوانه ١٦٥ ، والدرر ٥ / ٢٢٠ وشرح شواهد المغنى ٢ / ٧١٣ ، ولسان العرب ١ / ٢٩١ (حب) ومعجم ما استعجم ٦٩٠ ، ٨٦٧ ، والمقرب ١ / ٧٠ ، وبلا نسبة في جمع الهوامع ٢ / ٨٨ ، والأول منهما بلا نسبة في أسرار العربية ١١١ والجنى الدانى ٣٥٧ ، وخزانة الأدب ١١ / ١٩٧ ، ١٩٩ ، وشرح المفصل ٧ / ١٤٠ ، والثاني منهما مع نسبته إلى جرير في شرح شواهد المغنى ٢ / ٨٩٨ ، وبلا نسبة في الدرر ٥ / ٢٢٢ ، ومغنى اللبيب ٢ / ٥٥٨ (٢) البيت من الطويل ، وهو لأبي صخر الهذلي في أشعار الهذليين ٢ / ٩٤٧ ، وشرح شواهد المغنى ١ / ١٦٩ وبلا نسبة في شرح شواهد المغنى ٢ / ٨٨٥ ، ولسان العرب ٨ / ٣٣٥ (طلع) ، ومغنى اللبيب ٢ / ٥١٨

(٣) البيت من البسيط ، وهو للفرزدق في ديوانه ١ / ٢١٣ ، ولسان العرب ٩ / ١٣٠ (زحف) ، وتاج العروس ٢٣ / ٣٧١ (زحف) .

(٤) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس في ديوانه ٨ ، والأضداد ٩٣ ، وخزانة الأدب ١١ / ٦ ، والدرر ١ / ٢٨٥ ، وشرح شواهد المغنى ١ / ٤٦٣ ، ٢ / ٧٤٣ ، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٩ / ٢٧ ، ومغنى اللبيب ١ / ٣٣١ ، والنصف ٣ / ٢٥ ، وجمع الهوامع ١ / ٨٨ .

وصدره : فتوضح فالمقراة لم تعف رسمها .

وهو ثابت في بعض النسخ .

فإذا جاءت من دُبُرِ البيتِ الحرامِ فهي " الدُّبُورُ " وهي تَهْبُ بِشِدَّةٍ ، والعربُ تَسْمِيها " مَحْوَةً " عن أبي زيد ؛ لأنها تَمْحُو السَّحَابَ ، و " مَحْوَةٌ " معرفةٌ لا تنصرفُ ؛ فأما الأصمعيُّ فزَعَمَ أنَّ " مَحْوَةً " من أسماءِ الشَّمالِ ، وأنشدًا جميعًا :
قَد بَكَرَتْ مَحْوَةٌ بِالْعَجَاجِ قَدَمَرَتْ بِقِيَّةِ الرَّجَاجِ (١)
" الرَّجَاجُ " : حاشيةُ الإِبِلِ وضعافُها (٢) .

(١) البيت في لسان العرب ٣/ ١٥٨٥ بلا نسبة .

(٢) قال "محقق (س) : نقل دى غويه عن نسخة ليدن من التنبيهات ذات الرقم ٤٤٦ ما نصه -وانظر التنبيهات بتحقيق الشيخ الميمنى ٣١٩-٣٢٠ و١٦٦-١٧٠ :
" وقال أبو يوسف : " و " السدوس " الطيلسان قال الأصمعي واسم الرجل "سدوس" بالضم . وهذا من أغلاط الأصمعي مشهور ، ودال [على] أنه سمع الضم في "سدوس" فلم يضبطه . قال أبو جعفر محمد بن حبيب : وفي تميم "سدوس" بن دارم بن مالك بن حنظله ، وفي ربيعة "سدوس" بن [ذهل بن] ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . فكل "سدوس" في العرب فهو مفتوح السين إلا "سدوس" بن أصمعي بن أبي بن عبيد بن ربيعة بن نصر بن سعد بن نبهان ، وسمعت أبا ريش رضي الله عنه يقول : فاجتزت في بني سدوس : فقلت له : أنيجور الضم في "سدوس" ؟ فقال لي : إذا أردت "سدوس" تميم [فافتح] وإذا أردت "سدوس" نبهان فضم . وقال أبو يوسف : وكذلك هبَّتْ مَحْوَةٌ [اسم للشمال وهي معرفة ، قال الراجز :

قد بكرت محوة بالعجاج

وهذا غلط : إنما " محوة " اسم للدُّبُورِ ، وأبو يوسف في هذا القول متبع للأصمعي . وأبو زيد وغيره يقول ما قلناه . وسنوضح فساد قول الأصمعي في ذلك فيما تنبه عليه من أغلاط الكتاب الكامل ، إذا انتهينا إليه ، إن شاء الله . وأما ما وعد به من التنبيه على الغلط في تسمية الشمال " محوة " فقد قال في التنبيهات على أغلاط أبي العباس المبرد في كتابه الكامل ما صورته : فسر أبو العباس قول أوس بن حجر :

وعزت الشمال الرياح وقد أمسى كَمِيعَ الفتاة مُلتَفِعَا

فقال يقول غَلَبَتْها ، وتلك علامة الجذب وذهاب الأمطار . وهذا غلط منه ، على أنه تبع فيه الأصمعي في تسمية الشمال " محوة " . وقد ضمنا لك فيما تقدم أنا نبين صحيح قول أبي زيد من سقيم قول الأصمعي في ذلك ، واعلم أن غلبة الشمال علامة البرد والقر ، فأما قوله علامة الجذب وذهاب الأمطار ففاسد ؛ لأن الشمال مع بردها من شأنها استدرار السحاب ، قال الشاعر :

مرته الصَّبَا وَرَهْتَه الجنو ب وانتجفته الشمال انتجافا

وقال الآخر في وصف سحابة :

لتلقيحها هيج الجنوب وتقبل الشَّ شمال نتاجًا والصبا حالب يمرى

وقال رجل من مازن :

وتفرعه هزّة الشمال

ليلةً هاجها الشمال دُرُورًا

لُ عذب المذاقة نضر الحضر

نطوف أمرها بيد الشمال

إلى دفتها من آخر الليل مُعْرِسُ

ريح شاميةً هبت بامطار

قطار وبلتها بنافحة شمل

حلت عزاليه الشمال

=تكرّره خضخضات الجنوب

وقال آخر وصف ثور وحش :

أخرجته من الليالى رجوس

وقال آخر :

فجاء وقد فصّلتُه الشما

وقال لبید :

أضلل صواره وتَصَيَّفْتُه

وقال المتلمس أيضًا :

لبات إلى أرطاة حقف كأنه

ثم قال الأخطل :

بات إلى دَفءِ أرطاة تكفئه

وقال عمرو بن شأس :

وأفراسنا مثل السعالى أصابها

وقال آخر :

مرته الجنوب فلما اكفهـرُ

وقال عدي بن زيد :

شمال كما يزجى الكسيرُ

وجبى بعد الهدو تهاديـ

فتأمل ما أحضرناه من شعر العرب تجد الشمال عندهم محمودة موصوفة بالأمطار والاستدرار ،
وليست كما زعم الأصمعي أنها تمحو السحاب ، ولا كما قال أبو العباس أنها علامة الجذب وذهاب
الأمطار ، وكل ريح ، شمالاً كانت أو جنوباً أو غيرهما فهي تمحو السحاب الجهم الذى قد هراق
ماؤه . قال بشر :

كما تستخفُّ الجنوب الجهاما

بنا كيف نقتص آثارهم

وقال الأعشى :

مر كما نقشع الجنوب الجهاما

ثم فاءوا على الكريهة والصبـ

مور الجهام إذا زفته الأريب

وقال أيضًا :

والأريب : الجنوب ، فنسبه الأصمعي إلى محو السحاب ، فتركه نصّ ذلك إلى الجنوب ، مع ما جاء فى
أشعارهم من ذلك جهل منه بكلامهم ! وأنا أظن أنه إنما قال هذا القول ، وذهب فى الشمال هذا
المذهب لما سمع قول الراجز :

فلم يبت فى بلد أمحاله

كان كفيث ربطت شماله

ولم يعلم ما السبب فى ذلك ، فاعتقد ما اعتقد. وإنما هذا الرجز حجازى ، والجنوب ريمهم ، وأهل
نجد بخلاف ذلك ، ريح نجد الصبا ، والصبأ إذا هبت بالحجاز قلت الألبان وطوى الناس الرطاب ، كما
أن الجنوب إذا انفجرت من الحجاز على أهل مصر أضرت بهم ، فإن دامت عليهم أهلكتهم ، وهم
يسمون المريسية . وأما الأصمعي والميرد غير معنورين فى أن لا يضبطوا مثل هذه المواضع . و " محوة " -

وقال الأعشى:

لَهَا زَجَلٌ كَحَفِيفِ الْحَصَا دِ صَادَفَ بِاللَّيْلِ رِيحًا دُبُورًا^(١)

* * *

ولهذه الرياح أسماء كثيرة ، وأحكام في العريضة ؛ لأن بعضهم يجعلها نعوتاً ، وبعضهم يجعلها أسماء ، وكذلك مصادرها تحتاج إلى الشرح والتفسير ، ونحن ذاكرون ذلك في عَقِبِ هذا الباب ، إن شاء الله .

يقالُ : " جَنَبَتِ الرِّيحُ جُنُوبًا " و " شَمَلَتْ شُمُولًا " و " دَبَّرَتْ دُبُورًا "

= اسم للدبور ، لا للشمال ، وهذه العلة سميت الدبور " العقيم " ؛ لأنها تهلك النبات إذا هبت ، وتمنع الغيث ، قال الشاعر :

فَلَا مَخْلَفَاتُ رُحْنٍ ثُمَّ تَهِيْجَتُ عَلَيْهِنَ وَرَهَاءُ الْهَبُوبِ عَقِيمِ

وقال الله تعالى في عاد : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴿ [سورة الذاريات : ٤١-٤٢] ، وليس بين أهل العلم خلاف في أنها الدبور . وأكثر الأرياح ضرراً بعد الدبور لهذا الخلق الجنوب . قال أبو حنيفة : الجنوب في نفسها أسقم من الشمال ومن الصبا ، وأقل موافقة للأبدان ، وإن كانت أوفق للشجر والعشب ، من أجل نداها ودفتها ، وهما اللذان يدرجان [كذا] كل شيء وهي بموافقتها العشب وحسن إنباتها له أسرع الرياح في تخفيفه عنها . وعن الدبور يكون هَيِجُ النبات ، هما الهيفان اللتان سمع بهما في هبوبها ، فهي ثم ضاحية من علوه وضاحي الأرض ، وإن لم تشرف لها صكاء تثير به ما في قرار الماء . وهي متى اشدت هبوبها كدرت الهواء والماء ، وأثقلت الحواس كلها وبلدتها ، وفورت الأبدان وأرختها ، وأخفت الأذهان ، وأورثت الكسل . فالجنوب في عسرة ضررها كالأخت للدبور ، وليست موافقة أهل بلد غير أهل الحجاز ، كما أنبأتك ، فإنها لهم موافقة ، وهم مستطيون [لها] في كل الأوقات . والشمال بريئة من هذه الصفات ، وهي عند العرب للروح ، والجنوب للأنداء والغسق ، والصبا لإلقاح الشجر ، والدبور للبلاء ، والدبور أقل الرياح هبوباً ، ثم والله الحمد " اهـ .

وقد صححت بعض ما كان فيما قرأه دى غويه من مطبوعة الشيخ الميمنى ، وما بين حاصرتين منها أو من الشيخ الميمنى .

وكان الناسخ قد اختصر في موضعين : الأول قوله : " وقال أبو يوسف هبت محوة ، إلى : بالعجاج " والثاني قوله " وقال الله تعالى في عاد : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ ﴾ الآيتين " فأنتمته .

(١) البيت من المتقارب ، وهو للأعشى في ديوانه ١٤٩ ، وشرح أبيات سيويه ٢ / ٢٣٧ ، ٢٥٦ ، والكتاب ٣ / ٢٣٨ ، ولسان العرب ٤ / ٢٧٢ (دبر) ، وما ينصرف ومالا ينصرف ص ٥٦ .

و" صَبَتْ صُبُوءًا " و " سَمَتْ سُمُومًا " و " حَرَّتْ حُرُورًا " مضمومات الأوائيل ، فإذا أردت الأسماء فتحت أوائلها فقلت " جَنُوبٌ " و " شَمُولٌ " و " سَمُومٌ " و " دَبُورٌ " و " حَرُورٌ " .

ولم يأت من المصادر شيء مفتوح الأول إلا أشياء يسيرة ، قالوا : توضأت " وَضُوءًا " حسناً ، وتظهرت " طَهُورًا " ، وأولعتُ بالشيء " وَلُوعًا " وإنَّ عليه لـ " قَبُولًا " ، ووقدت النار " وَقُودًا " ، وأكثرهم يجعل " الْوُقُودَ " الحطب ، و " الْوُقُودَ " المصدر .

ويقال " الشَّمَالُ " على لغاتٍ سِتْ ، يقال : " شَمَالَ " و " شَامَلَ " و " شَمَلَّ " و " شَمَلٌ " و " شَمْلٌ " غير مهموز .

ويقال للشَّمال " الجَرَبِيَاءُ " قال ابنُ أَحْمَرَ :

بَجَوِ مِنْ قَسَى ذِفَرِ الْخَزَامَى تَدَاعَى الْجَرَبِيَاءُ بِهِ الْجَنِينَا ^(١)

ويقال للجنوب " الْأَرْزَبُ " .

ويقال للصِّبَا " الْقَبُولُ " - وبعضهم يجعله للجنوب ، وهو في الصِّبَا أشهر ، بل هو القولُ الصحيح - و " الْإَيْرُ " و " الْهَيْرُ " و " الْأَيْرُ " و " الْهَيْرُ " قال الشاعر :

مَطَاعِيمُ أَيْسَارٍ إِذَا الْهَيْرُ هَبَّتْ ^(٢)

فهذا يدلُّ على أَنَّهُ الصِّبَا ، وذلك أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَمَدَّحُونَ بِالْإِطْعَامِ فِي الْمَشْتَاةِ وَشِدَّةِ الزَّمَانِ ، كما قال طَرْفَةُ :

(١) البيت من الوافر ، وهو لا بن أَحْمَرَ فِي دِيوانه ١٥٩ ، ولسان العرب ٤ / ٣٠٧ (ذفر) ، ١٥ / ١٨٢ (قسا) ، وتاج العروس ١ / ٣٧٤ (قسا) ٢ / ١٥٢ (جرب) ١١ / ٣٧٤ (ذفر) (مجل) . وله رواية :

تَهَادَى الْجَرَبِيَاءُ بِهِ الْجَنِينَا

بَجَوِ مِنْ قَسَى ذِفَرِ الْخَزَامَى

(٢) بهامش نسخة :

مَلَاوِيثُ أَجْوَادٍ إِذَا الْهَيْرُ هَبَّتْ

مَطَاعِيمُ أَيْسَارٍ إِذَا مَا تَنَكَّبَتْ

كَذَا أَنشده أَبُو حَنِيفَةَ فِي كِتَابِ النَّبَاتِ " اهـ .

وَأَنشده يَعْقُوبُ :

وَأَنَا لِأَيْسَارٍ إِذَا الْإَيْرُ هَبَّتْ

وَأَنَا مَسَامِيحٍ إِذَا هَبَّتِ الصِّبَا

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر^(١)

" الجفلى " العامة ، و " النقرى " الخاصة . و " الآدب " صاحب المأدبة ، يقال : " مأدبة " و " مأدبة " للدعوة ، وفي الحديث^(٢) : " إن القرآن مأدبة الله " . قال أهل العلم : معناه مدعاة الله ، وليس من " الآدب " . وأكثر المفسرين قالوا القول الأول ، وكلاهما في العربية جائز ، ويدل على القول الأول قول رسول الله ﷺ : " أنا الجفنة الغراء " ^(٣) أي التي يجتمع الناس عليها ويدعون إليها ، ويقال في الدعوة " أدبه يأدبه "

(١) البيت من الرمل ، وهو لطرفة بن العبد في ديوانه ٥٥ ، وآدب الكاتب ١٦٣ ، وإصلاح المنطق ٣٨١ ، وخزانة الأدب ١٩٠/٨ ، ٣٧٩/٩ ، ٤٣٢ ، ولسان العرب ٢٠٧/١ (آدب) ٢٣٠/٥ (نقر) ١١٤/١١ (جفل) ، ونوادير أبي زيد ٨٤ ، وأساس البلاغة (شتو) ، وبلا نسبة في جهرة اللغة ٧٩٥ ، والمنصف ١١٠/٣ . وله رواية :

نحن في المشتاة ندعو الأجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في " المستدرک (٥٥٥/١) بلفظ : " إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم ... " الحديث . وقال : " صحيح الإسناد ولم يخرجاه بصالح بن عمر ورده الذهبي بقوله : " صالح ثقة خرج له مسلم ؛ لكن إبراهيم بن مسلم ضعيف " ، وأورده الحافظ الهيثمي في " المجمع " (١٦٤/٧) وقال : " رواه الطبراني ، وفيه إبراهيم بن مسلم المجرى وهو مزكوك " . وذكر الذهبي في " الميزان " أن ابن حبان رواه أيضاً من طريق ابن فضيل وابن الأجلح عن المجرى . وقال الشيخ الألباني في " الصحيحة " (٢١٥/٢) : وهذا إسناد لا بأس به في المتابعات ، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير المجرى ، واسمه إبراهيم بن مسلم ، وهو لين الحديث . وله متابع آخر أخرجه الحاكم (٥٦٦/١) عن عاصم بن أبي النجود عن أبي الأحوص به نحو حديث عطاء ، وقال : " صحيح " وأقره الذهبي . وانظر ضعيف الجامع (ح ٢٠٢٢) .

(٣) قوله : " أنا الجفنة الغراء " ، ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم كما زعم أبو العباس رحمه الله ، لما رواه أحمد في " مسنده " (١٥٣/٣) عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه أنه وفد إلى النبي ﷺ في رهط من بني عامر ، قال : فأتيناه فسلمنا عليه فقلنا : أنت ولينا وأنت سيدنا ، وأنت أطول علينا ، قال يونس : وأنت أطول علينا طويلاً ، وأنت أفضلنا علينا فضلاً وأنت الجفنة الغراء ، فقال قولوا قولكم ولا يستحرنكم الشيطان ، قال : ورعاً قال ولا يستهوينكم " فعلى هذا قوله : " أنا الجفنة الغراء " ليس من كلامه ﷺ . والحديث إسناده صحيح كما قال الشيخ الألباني في تعليقه على المشكاة (ح ٤٩٠٠) ، ورواه بنحوه أبو داود وانظر صحيح سننه (ح ٤٠٢١) ، وصحيح الجامع (ح ٤٤١٨) ، وعزاه إلى أحمد وأبي داود عن والد مطرف .

أدباً": إذا دعاه ، قال الشاعر :

وما أصبح الضحك إلا كخالع عصانا فأرسلنا النية تأدبنا

وقولنا في الرياح " إنها تكون أسماء ونعوتاً " نفسه إن شاء الله :
تقول العرب أكثر ما تقول : هذه ريح جنوب وريح شمال وريح دبور ،
فتجعل " جنوباً " و " شمالاً " و " دبوراً " وسائر الرياح نعوتاً ، قال الأعشى ^(١) :
ها زجل ^(٢) كحفيف الحصى د صادف بالليل ريحا دبوراً
وقال زهير :

مكَلَّل بأصول النبت تنسجُه رِيحُ شَمالٍ لصاحي مائه حُبك ^(٣)
وقال جرير ^(٤) :

ريح خريق شمال أو يمانية

فهذا يكون على النعت أجود ؛ لأنه أوضحه يمانية ، ولا تكون اليمانية إلا
نعناً ؛ لأنها منسوبة . فأما " الخريق " فهي الشديدة من كل ريح ، قال حميد بن ثور :
بمشوى حرام والمطي كأنه قنا مُسند هبت لهن خريق ^(٥)
و " البليل " الباردة من كل ريح ، وأصل ذلك الشمال ، قال جرير يُعير بني
مُجاشيع بخذلانهم الزبير بن العوام في كلمة يقول فيها :

(١) سلف البيت .

(٢) والرجل صوت ذى طرب وليس مراداً هنا . رغبة الأمل ١٩٢/٦ .

(٣) من البسيط ، وهو لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ١٧٦ ، ولسان العرب ٣٧٦/٢ (نسج) ،

٧٤/١٠ (خرق) ، ٤٠٨/١٠ (حبك) ، ٥٦٩/١٢ (نجم) ، وجهرة اللغة ٢٨٣ ، وأساس البلاغة

(حبك) ، وتاج العروس ٢٣٩/٦ (نسج) ، (حبك) ، (نجم) ، وبلا نسبة في المخصص ١٤٩/٩ .

وله رواية :

مكَلَّل بأصول النبت تنسجُه رِيحُ خريف لصاحي مائه حبك

تعتاده مثل سوف الرائم الجلدا

(٤) عجزه :

والبيت من البسيط لجرير في ديوانه ص ١٢١ ط . دار الكتب العلمية .

(٥) البيت من الطويل ، وهو لحميد بن ثور في ديوانه ٣٥ ولسان العرب ٧٤/١٠ (خرق) .

إِنِّي تُذَكِّرُنِي الزُّبَيْرَ حَمَامَةً تَدْعُو بِأَعْلَى الْأَيْكَتَيْنِ هَدِيلاً
يَا لَهْفَ نَفْسِي إِذْ يَفْرُكُ حَبْلَهُمْ هَلَا اتَّخَذَتْ عَلَى الْقَيْونِ كَفِيلاً
قَالَتْ قَرِيشٌ مَا أَذَلُّ مُجَاشِعًا جَارًا وَاتَّكِرَ مَا ذَا الْقَيْلِ قَتِيلاً
أَفْبَعْدَ مَنُوكِكُمْ خَلِيلَ مُحَمَّدٍ تَرْجُو الْقَيْونَ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً
أَفْتَى النَّدَى وَفَتَى الطَّعَانِ غَرَزْتُمْ وَأَخَا الشَّمَالِ إِذْ تَهَبُّ بِلَيْلًا^(١)

ويُروى أنَّ أُمِّ حَيْحَةَ بِنَ الْجَلَّاحِ الْأَنْصَارِيَّ - وَكَانَ يُخَلِّ - كَانَ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا
طَلَعَ مِنْ أُطْمِهِ^(٢)، فَنَظَرَ إِلَى نَاحِيَةِ هُبُوبِهَا ، ثُمَّ يَقُولُ : هُبِّي هُبُوبَكَ ، قَدْ أَعَدَدْتُ لَكَ
ثَلَاثًا وَسِتِينَ صَاعًا مِنْ عَجْوَةٍ ، أَذْفَعُ إِلَى الْوَلِيدِ مِنْهَا خَمْسَ تَمْرَاتٍ ، فَيَرُدُّ عَلَيَّ مِنْهَا
ثَلَاثًا ، أَيْ لَصَلَابَتِهَا ، بَعْدَ جَهْدٍ مَا يَلُوكُ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ !! .

وَكَانَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ شَرِيفًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ
قَدْ نَذَرَ أَلَّا تَهَبُّ الصَّبَا إِلَّا نَحَرَ وَأَطْعَمَ ، حَتَّى تَنْقَضِيَ ، فَهَبَتْ فِي الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ
بِالْكُوفَةِ مُقْتَرِّ مُمْلِقٌ ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ بْنُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ
بْنَ عَبْدِ شَمْسٍ بْنَ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَكَانَ وَالِيَهَا لِعِثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، وَكَانَ أَخَاهُ لِأُمِّهِ ،
وَأُمُّهُمَا أَرْوَى بِنْتُ كُرَيْزٍ بِنْتُ حَبِيبِ بْنِ رَبِيعَةَ^(٣) بْنَ عَبْدِ شَمْسٍ فَخَطَبَ النَّاسَ ، فَقَالَ :
إِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ نَذْرَ أَبِي عَقِيلٍ ، وَمَا وَكَدَّ عَلَى نَفْسِهِ ، فَأَعِينُوا أَخَاكُمْ . ثُمَّ نَزَلَ فَبَعَثَ
إِلَيْهِ بِمِائَةِ نَاقَةٍ وَبَعَثَ النَّاسَ ، فَقَضَى نَذْرَهُ ، فَفِي ذَلِكَ تَقُولُ ابْنَةُ لَبِيدٍ :

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَلِيدَا

* * *

وَمَنْ جَعَلَ " الشَّمَالُ " وَ " الْجَنُوبُ " أَسْمَاءً لَمْ يَصْرِفْهَا إِذَا سُمِّيَ بِشَيْءٍ مِنْهَا
رَجُلًا لِأَنَّكَ إِذَا سَمِيتَ مَذْكُرًا بِاسْمٍ مُؤنَّثٍ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْرَفٍ فَصَاعِدًا لَا عِلَامَةَ لِلتَّأْنِيثِ
فِيهِ لَمْ تَصْرِفْهُ فِي الْمَعْرِفَةِ وَصَرَفْتَهُ فِي النِّكَرَةِ ، نَحْوُ " عَنَاقٍ " وَ " أَتَانٍ " وَ " عَقْرَبٍ " . وَإِنْ

(١) الأبيات في شرح ديوان جرير (مهدي محمد ناصر الدين) ص ٣٤٢

(٢) الأطم : الحصن يبنى بالحجارة .

(٣) كذا : والصواب : كُرَيْزُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ حَبِيبٍ . انظر ما سلف .

كان نعتاً انصرف ؛ لأنك إذا سميتَ مذكراً بنعت مؤنثٍ لا علامة فيه صرفته ؛ لأنه مذكراً نعتٌ به المؤنث ، نحو " حائضٍ " و " طالقٍ " و " مُتِّمٍ " و " مُرْضِعٍ " .
وإذا ذكرنا من الباب شيئاً فما لم نذكره منه فعلى مجراه ومنهاجه ، قال الشاعر ، فجعل ما وصَفنا أسماءَ :

حالتٌ وحيلٌ بها وغيرُ آيها طولُ البلى تجري به الرِّيحان
ريحُ الشمالِ معَ الجنوبِ وتارةً رهمُ الربيعِ وصائبُ التَّهتان^(١)

وقد أنشدوا بيتَ زهير^(٢) :

ريحُ الجنوبِ لصاحي مائه حُبْلُ

وقولنا " لا علامةٌ للتأنيث فيه " لتعرفَ كيفَ حكمَ العلامات علاماتِ التأنيثِ ؛ لأنَّ ذلك يكونُ على ضربينَ :

فما كانت فيه ألفُ التأنيثِ مقصورةً أو ممدودةً فغيرُ منصرفٍ في معرفةٍ ولا نكرةٍ ، لمذكَّر كان أو لمؤنثٍ . فالمقصورُ نحو " حُبْلَى " و " سَكْرَى " وما أشبهه ، والممدودُ نحو " حمراء " و " صفراء " و ما أشبه ذلك . وإن كانت ممدودةً لغيرِ التأنيثِ انصرفتْ إذا كان لمذكَّر ، في المعرفة والنكرة ، زائداً كان أو أصلياً ، فالأصليُّ نحو " سِقَاء " و " غِذَاء " و " حِذَاء " و " رِذَاء " ، والزائدةُ نحو " عِلْبَاء " و " حِرْبَاء " و " قُوبَاء " . ومن قال " قُوبَاء " يا فتى ، أنثَ ولم يصرفْ ؛ لأنَّ الأولى مُلْحَقَةٌ ، وهذه للتأنيثِ ، فأما الألفُ المقصورةُ التي لغيرِ التأنيثِ فإن كانت أصليةً انصرفتْ في المذكرِ ، نحو " مَلْهَى " و " مَغْزَى " و " مُشْتَرَى " ، وإن كانت زائدةً لغيرِ التأنيثِ انصرفتْ في النكرة ، ولم تنصرفْ في المعرفة ، نحو " أَرطَى " و " عَلَقَى " فيمن جعل الواحدة

(١) البيتان من الكامل ، وهما بلا نسبة في شرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٢٧ ، والكتاب ٣/ ٢٣٨ ، والثاني منهما لرجل من باهلة في لسان العرب ٤/ ٢٧٢ (دبر) ، وبلا نسبة في لسان العرب ١/ ٢٨٢ (جنب).

ولهما رواية :

حالتٌ وحيلٌ بها وغيرُ آيها صرفُ البلى تجرى به الرِّيحان
ريحُ الجنوبِ معَ الشمالِ وتارةً رهمُ الربيعِ وصائبُ التَّهتان

(٢) سبق البيت

"عَلَقَاءٌ" و "أَرْطَاءٌ" .

وأما ما كانت فيه هاء التأنيث فهو منصرفٌ في النكرة ، وغيرُ منصرفٍ في المعرفة ، لمذكرٍ كان أو لمؤنثٍ ، عريباً كان أو أعجمياً .
فهذه جملة هذا الباب ، فأما قياسه وشرحه فقد أتينا عليه في الكتاب المقتضب^(١) .

ويقال في أكثر الكلام "هَبْتُ جَنُوبًا" و "هَبْتُ شِمَالًا" فَيُسْتَعْنَى عَنْ ذِكْرِ الرِّيحِ ، وهذا مما يؤكد أنها نعوتٌ ؛ لأن الحال إنما بآبِهَا أَنْ تَقَعَ^(٢) فيما يكون وصفًا ، قال جَرِيرٌ :

هَبْتُ شِمَالًا فَلَذِكْرِي مَا ذَكَرْتُكُمْ عِنْدَ الصَّفَاةِ الَّتِي شَرَقِي حَوْرَانَا^(٣)

وقال آخر :

فَأَيُّ حَيٍّ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَّةٌ وَاسْتَدْفَأَ الْكَلْبُ بِالْمَأْسُورِ ذِي الذَّنْبِ^(٤)

"المأسور" يعني قتبًا ، وإنما "الأسر" الشَّدُّ بِالْقِدِّ حَتَّى يُحْكَمَ ، وإنما قيل "الأسير" مِنْ ذَا ، لأنه كَانَ يُشَدُّ بِالْقِدِّ . ثم قالت العربُ لِكُلِّ مُحْكَمٍ : "شَدِيدُ الْأَسْرِ" . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾^(٥) .

وقوله : "ذِي الذَّنْبِ" يعنى الفضول التى وسعته وأسبغته ، يقال : "غبيط مذأب" أى ذو ذئب ، أى موسع ، و"الغبيط" مركبٌ من مراكب النساءِ

(١) انظر المقتضب ٢/٢٦٨ و ٣/٨٧-٨٨ و ٤/٨-٦ .

(٢) فى الأصل : تكون .

(٣) البيت من البسيط ، وهو لجرير فى ديوانه ١٦٥ ، وشرح أبيات سيبويه ٩٣/١ ، وشرح شواهد المغنى ٢/٧١٣ والكتاب ١/٢٢٢ ، ٤٠٤ . ويروى :

هبت جنوباً فذكرى ما ذكرتكم عند الصفاة التى شرقى حورانا

(٤) البيت فى ديوان الكميت ١/١٢٧ ولسان العرب ١٣/٥٣٧ (كهكه) ، وأساس البلاغة ٤٠٠ (كهكه) وتاج العروس (كهكه) .

وله رواية :

وكهكه الصرد المقرر فى يده واستدفا الكلب فى المأسور

(٥) سورة الإنسان : ٢٨ .

وقال أوس بن حجر ، في شدة البرد وغلبة الشمال ، يرثي ^(١) فضالة بن كلفة الأسدي :

والحافظُ الناسَ في تحوطٍ إذا لم يُرسلوا خلفَ عائذِ ربِّعا
[قال أبو الحسن ^(٢) : وقع في كتابي بالفتح ، وحفظي بالضم تحوط ، وكلاهما جائز في العربية]

وعزَّتِ الشَّمَالُ الرِّيحَ وَقَدْ أَمْسَى كَمِيعُ الْفَتَاةِ مُلْتَفِعَا
وكانتِ الكاعِبُ المنعمَةُ الـ حسناء في زادِ أهلها سَبْعَا
[قال أبو الحسن : في روايتنا : " المُخْبَأَةُ " وهو أجودُ مِنَ الْمُنْعَةِ] " تحوط " و " قحوط " و " كحل " و " جخرة " أسماءٌ للسَّنةِ المُجْدِبَةِ . و " العائذُ " : الحديثةُ النَّتَاجُ ، فَتَنْحَرُ أولادُها في السَّنةِ المُجْدِبَةِ إبقاءً على ألبانِها وشحومِها . و " الرُّبْعُ " : الذي يُنتَجُ في الربيع ، و " الهُبْعُ " : الذي يُنتَجُ في الصيف ، يقالُ : " ماله هُبْعٌ ولا رُبْعٌ " . وإنما سُمِّيَ " هُبْعًا " ؛ لأنَّ الرُّبْعَ أَسْنُّ منه فيمشي مع أمهاتِهِ ، ولا يلحقهنَّ الهُبْعُ إلا باجتهادٍ ، فيستعينُ بعُنُقِهِ في المشي ، يقالُ إذا فعل ذلك " هَبَعَ يَهْبَعُ " .

* * *

ويقال للريح الشمال : " نِسْعٌ " و " مِسْعٌ " ، قال الهذلي :
قد حال دون دريسيه مؤوبة نسع لها بعضاه الأرض تهزير ^(٣)

(١) ديوانه ق ٧٠٥/٩ ، ص ٥٤-٥٥ والتعازي والمراثي : ٣٠ وستأتي مع أبيات أخرى .
(٢) قوله " تحوط " لعله ضم للإتباع ويقال تحوط وتحيط بفتح التاء وتحيط بضمها وتكسر للإتباع .

(٣) البيت من البسيط ، وهو للمتنخل الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٢٦٤ ، ولسان العرب ٢٢١/١ (أوب) ٤٢٣/٥ (هز) ، ٧٩/٦ (درس) ، ٣٣٦/٨ (مسع) ، ٣٥٣ (نسع) ، ٥٢/١٤ (أو) ، وتاج العروس ٣٧/٢ (أوب) ، ٣٨٥/١٥ (هز) ، ٦٧/١٦ (درس) ، ١٩٩/٢٢ (مسع) وللهمذلي في المخصص ٨٥/٩ ، ٣/١٧ ، والمذكر والمؤنث للأنباري ص ٤٠٤ ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٢ / ١٠٥ ، ٣٢٧/٧ ، وجمهرة اللغة ٨٤٣ ، وتاج العروس ٤٠٥/٩ (خند) .
وله رواية :

قد حال بين دريسيه مؤوبة نسع لها بعضاه الأرض تهزير

"الدَّرِيسَان" : ثوبان خَلَقَان : و "مُؤَوِّبَة" : "مُفَعَّلَة" من "التأويب" وهو سَيْرُ النَّهَارِ ، وَإِنَّمَا يَعْنِي رِيحاً . وقوله "نَبَسْعَ" أي شَمَالٌ . و "العِضَاءُ" شَجَرٌ ضِيحَامٌ ، فبعضُ العربِ يقول للواحدة "عِضَاءَة" وللجميع "عِضَاءَة" على وَزْن "دجاجة ودجاج" وبعضهم يقول في الواحدة "عِضَة" فيقول في الجميع "عِضَوَات" و "عِضَهَات" فتكون من الواو ومن الهاء ، قال الشاعرُ :

هَذَا طَرِيقٌ يَأْزِمُ الْمَآزِمَا ^(١) وَعِضَوَاتٌ تَقْطَعُ اللَّهَازِمَا ^(٢)

ونظيرُ "عِضَة" على أَنَّ الساقطَ الهاءُ في قول بعض ، والواوُ في قول بعض "سَنَة" ، فَإِنَّ بعضَهم يقولُ : "سَنَهَاتٌ" وَاكْتَرَبْتُهُ : مُسَانَهَةٌ " ، وهذا الحرفُ في القرآن يُقْرَأُ على ضَرْوبٍ : فمن قرأ : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ ﴾ ^(٣) فوصلَ بالهاء فهو مأخوذٌ من "سَانَهَتْ" وَمَنْ جعله من الواوِ قال في الوصلِ : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّ وَانْظُرْ ﴾ فإذا وقفَ قال : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ فكانت الهاءُ زائدةً لبيان الحركة ، بمنزلة الهاء في قوله : ﴿ فَبَهْدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ ^(٤) و ﴿ كِتَابِيَّةً ﴾ ^(٥) و ﴿ حِسَابِيَّةً ﴾ ^(٦) ، والمعنى واحدٌ ، وتأويلُه : لَمْ تَغْيِرْهُ

(١) المآزما : هو الضيق بين جبلين ، يريد أن المضايق بالنسبة إلى ضيقه لا تذكر .

(٢) الرجز بلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٢٨٩ ، وجواهر الأدب ص ٩٦ ، وخزانة الأدب ٤٤٢/٦ ، والخصائص ١٧٢/١ ، وشرح المفصل ٣٨/٥ ، والكتاب ٣٦٠/٣ ، ولسان العرب (أزم) ، (عضه) ، وبجالس ثعلب ٤٤/١ ، والمتع في التصريف ٦٢٥/٢ ، والمنصف ٥٩/١ ، ٣٨/٣ ، ١٢٧ ، والمخصص ٧/١٤ ، وتاج العروس (أزم) ، (عضه) .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٩ ، ويتسنه بإثبات الهاء في الوصل قراءة ابن كثير ونافع وعاصم وأبى عمرو وابن عامر ، ويتسن بحذف الهاء في الوصل على أنها هاء السكت قراءة حمزة والكسائي من السبعة ، وكلهم يقف على الهاء . انظر السبعة ١٨٩ ، وحجة القراءات ١٤٢ ، والكشف لمكي ٣٠٧/١ ، والبحر ٢٩٢/٢ .

(٤) سورة الأنعام : ٩٠ ﴿ واقْتَدِهْ ﴾ بإثبات الهاء في الوصل ساكنة قراءة ابن كثير وأهل مكة ونافع وأهل المدينة ، وأبى عمرو وعاصم . وقرأ حمزة والكسائي ﴿ اقْتَدِهْ قُلْ ﴾ بغير هاء في الوصل وكلهم يقف بالهاء ساكنة وقرأ ابن عامر ﴿ اقْتَدِهْ قُلْ ﴾ بكسر الدال ويشم الهاء الكسر من غير بلوغ ياء .

انظر السبعة ٢٦٢ ، وحجة القراءات ٢٦٠ ، والكشف لمكي ٤٣٨/١ - ٤٣٩ ، والبحر ١٧٦/٤ .
(٥) سورة الحاقة : ٢٥١٩ .

(٦) سورة الحاقة : ٢٦٢٠ . وكتايبه وحسابيه بإثبات هاء السكت وفقاً ووصلاً قراءة الجمهور . وقرأ ابن محيصن بحذفها وفقاً ووصلاً ، وقرأ ابن أبي إسحاق والأعمش بطرح الهاء فيهما في الوصل لا في الوقف . انظر البحر ٣٢٥/٨ .

السُّنُونُ^(١) ، ومن لم يَقْصِدْ إِلَى السَّنَةِ قَالَ : لَمْ يَتَأَسَّنْ ، و "الْأَسِنَّ" : التَّغْيِيرُ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾^(٢) وَيُقَالُ : " آسِنَّ " فِي هَذَا الْمَعْنَى ، كَمَا يُقَالُ رَجُلٌ " حَاذِرٌ " وَ " حَذِرٌ " .

* * *

وَيُقَالُ لِلرَّيْحِ الْجَنُوبِ " النُّعَامَى " قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ^(٣) :
مَرَّتُهُ النُّعَامَى فَلَمْ يَعْتَرِفْ خِلَافَ النُّعَامَى مِنَ الشَّأْمِ رِيحًا
وَمَعْنَى " مَرَّتُهُ " اسْتَدْرَجَتْهُ . وَفِي الْحَدِيثِ : " مَا هَبَّتِ الرِّيحُ الْجَنُوبُ إِلَّا أَسْأَلَ اللَّهُ بِهَا وَادِيًا "^(٤) .

وَقَالَ رَجُلٌ يَمْدَحُ رَجُلًا :
فَتَى خَلَقْتَ أَحْلَافَهُ مُطْمَئِنَّةً لَهُ نَفَحَاتٌ رِيحُهُنَّ جُنُوبُ^(٥)
يُرِيدُ أَنَّ الْجَنُوبَ تَأْتِي بِالْمَطَرِ وَالنَّدَى .
وَالْعَرَبُ تَكْرَهُ الدُّبُورَ ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " نَصَرْتُ
بِالصَّبَا ، وَأَهْلَكَتُ عَادًا بِالدُّبُورِ "^(٦) .

(١) نَقَلَ عَلَى بْنِ حَمْزَةَ فِي التَّنْبِيهَاتِ ١٥٧ مَقَالَةً لِلزَّجَاجِ فِي " لَمْ يَتَسَنَّ " قَالَ : " وَقَدْ قَالَ الزَّجَاجُ : مَنْ قَالَ فِي السَّنَةِ سَانِهَتْ فَالْهَاءُ مِنْ أَصْلِ الْكَلِمَةِ ، وَمَنْ قَالَ فِي السَّنَةِ سَانَيْتَ فَالْهَاءُ زَيْدَتْ لِبَيَانِ الْحَرَكَةِ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّهُ مِنَ التَّغْيِيرِ فَخَطَأٌ ، وَالْقَوْلُ قَوْلُ أَبِي إِسْحَاقَ " اهـ .
(٢) سُورَةُ مُحَمَّدٍ : ١٥ .

(٣) وَفِي نَسَخَةٍ : قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ يَصِفُ غَيْمًا وَالبَيْتَ مِنَ التَّقَارِبِ ، وَهُوَ لِأَبِي ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيِّ فِي شَرْحِ أَشْعَارِ الْهَذَلِيِّينَ ص ١٩٩ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (عَرَفَ) ، (نَعِمَ) ، وَكِتَابُ الْعَيْنِ ١٦٢/٢ ، وَجُمْهُرَةُ اللُّغَةِ ص ٩٥٣ ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (عَرَفَ) ، (نَعِمَ) ، وَالْأَزْمَنَةُ وَالْأَمَكْنَةُ ٧٧/٢ ، ٣٤٣ .

(٤) الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ فِي " الْكِبَرِيِّ " ، (٣/٣٦٤) ، وَلَفْظُهُ : " قَالَ الشَّافِعِيُّ : وَبَلَّغْنِي أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا هَبَّتْ جَنُوبٌ إِلَّا أَسْأَلْتُ وَادِيًا " قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهَا تَهْبٍ بَشَرِي بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ مِنَ الْمَطَرِ .

(٥) الْبَيْتُ مِنَ التَّقَارِبِ ، وَهُوَ لِأَبِي ذُوَيْبٍ فِي شَرْحِ أَشْعَارِ الْهَذَلِيِّينَ ١٩٩ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ ٢٣٦/٩ (عَرَفَ) ١٢/٥٨٦ (نَعِمَ) ، وَكِتَابُ الْعَيْنِ ١٦٢/٢ ، وَجُمْهُرَةُ اللُّغَةِ ٩٥٣ ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ ٢٤٩/٢٤ (عَرَفَ) ، (نَعِمَ) ، وَالْأَزْمَنَةُ وَالْأَمَكْنَةُ ٧٧/٢ ، وَلِلْهَذَلِيِّ فِي الْأَزْمَنَةِ وَالْأَمَكْنَةِ ٣٤٣/٢ .

(٦) الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي " الْاسْتِسْقَاءِ " ، بَابُ : قَوْلِ النَّبِيِّ " نَصَرْتُ بِالصَّبَا " ، (٦٠٤/٢) ، (ح ١٠٣٥) ، وَفِي " الْأَنْبِيَاءِ " ، (ح ٣٣٤٣) ، وَفِي " الْمَغَازِي " (ح ٤١٠٥) ، وَمُسْلِمٌ فِي " الْاسْتِسْقَاءِ " أَيْضًا ، بَابُ فِي رِيحِ الصَّبَا وَالدُّبُورِ ، (ح ٩٠٠) .

وَقَلَّ مَا يَكُونُ بِالذَّبُورِ الْمَطَرُ ، لَأَنهَا تَحْفِلُ ^(١) السَّحَابَ ، وَيَكُونُ فِيهَا الرَّهَجُ
وَالْغَبْرَةُ ، وَلَا تَهْبُ إِلَّا أَقَلَّ ذَلِكَ إِلَّا بِشِدَّةٍ ، فَتَكَادُ تَقْلَعُ الْبُيُوتَ وَتَأْتِي عَلَى الزُّرُوعِ .
وَقَالَ رَجُلٌ يَهْجُو رَجُلًا :

لَوْ كُنْتُ رِيحًا كَانَتِ الذَّبُورَا أَوْ كُنْتُ غَيْمًا لَمْ تَكُنْ مَطِيرَا
أَوْ كُنْتُ مَاءً لَمْ تَكُنْ طَهُورَا أَوْ كُنْتُ مُخًا كُنْتُ مُخًا رِيرَا ^(٢)

أَوْ كُنْتُ بَرْدًا كُنْتُ زَمْهَرِيرَا

"الرَّيْرُ" : الْمَخُ الرَّقِيقُ ، يُقَالُ : مُخٌّ "رِيرٌ" وَ "رَارٌ" فِي مَعْنَى وَاحِدٍ ، قَالَ
السُّلَيْكُ ^(٣) :

يَصِيدُكَ قَافِلًا وَالْمَخُ رَارٌ ^(٤)

(١) أَيْ تَسْتَخَفُّهُ فَتَمْضِي فِيهِ .

(٢) الرَّجَزُ بِلَا نِسْبَةٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (٣٣٧٢/٥ ط دار المعارف) (كسر) ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ ١١ / ٢٢ (ضمجر) ، ١٤ / ٣٩ (كسر) .

وَلَهُ رَوَايَةٌ أُخْرَى :

لَوْ كُنْتُ مَاءً كُنْتُ قَمْطِيرَا أَوْ كُنْتُ رِيحًا كَانَتِ الذَّبُورَا
أَوْ كَانَتْ فُخَانَتْ مَخَارِيرَا

الْأَبْيَاتُ ٤، ٣، ١ ، فِي الْكُوكَبِيَّاتِ (مَجْلَةُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدِمَشْقِ ٦٠ ج ٢ ص ٢٤٨) ،
وَالْأَبْيَاتُ ٤ ، ١٠ ، ٥ ، فِي الْأَغَانِي ١٠٣/٣ .

(٣) بِهَامِشِ نَسْخَةٍ مَا نَصَّهُ : "قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : قَالَ بَشَرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ ، وَيُقَالُ السُّلَيْكُ بْنُ
السُّلَيْكَةِ :

نَقُودُ الْخَيْلِ دَامِيَةٌ كَلَاهَا إِذَا مَا الطَّعْنُ كَانَ لَهُ اسْتِعَارُ

نَقْدُمُ كُلِّ مَظْلَمَةٍ طَحُونُ إِذَا سَرْنَا عَلَى حَقِّ وَسَارُوا

كَانَ قَوَائِمُ الْبَيْتُ

بِكُلِّ قَرَارَةٍ مِنْ حَيْثُ جَالَيْتُ رَكِيَّةَ سَنَبِكِ فِيهَا أَنْهِيَارُ

أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : رَكِيَّةٌ حَافِرٌ فَقَالَ سَنَبِكُ" اهـ .

(٤) عَجَزَ بَيْتٌ مِنَ الْوَافِرِ ، وَصَدَرَهُ : وَيَحْضُرُ فَوْقَ جَهْدِ الْحَضَرِ نَصًّا . وَهُوَ لِلْسُّلَيْكِ بْنِ السُّلَيْكَةِ
فِي دِيْوَانِهِ ص ٥٣ ، وَبِلَا نِسْبَةٍ فِي جُمُوهَرَةِ اللُّغَةِ ص ١٣١٧ ، وَسَيَأْتِي بَعْدَ عِدَّةِ أُسْطُرٍ .
وَلَهُ رَوَايَةٌ أُخْرَى :

لَوْ كُنْتُ مَاءً كُنْتُ قَمْطِيرَا أَوْ كُنْتُ رِيحًا كَانَتِ الذَّبُورَا

أَوْ كَانَتْ فُخَانَتْ مَخَارِيرَا

الْأَبْيَاتُ ٤، ٣، ١ ، فِي الْكُوكَبِيَّاتِ (مَجْلَةُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدِمَشْقِ ٦٠ ج ٢ ص ٢٤٨) ،
وَالْأَبْيَاتُ ٤ ، ١٠ ، ٥ ، فِي الْأَغَانِي ١٠٣/٣ .

والشيء يُذكر بالشيء ، وقال آخر :

لو كنت ماءً لم تكن بعذب أو كنت سيفاً كنت غير غضب
أو كنت لحماً كنت لحم كلب أو كنت غيراً كنت غير نذب^(١)

فأما قول السُّلَيْك فإنه يرثي فرسه ، وكان يقال له " النِّحَام " فقال :
كَأَنَّ قَوَائِمَ النَّحَامِ لَمَّا تَحَمَّلَ صُحْبَتِي أَصْلًا مَحَارُ
عَلَى قَرَمَاءَ عَالِيَةِ شَوَاهِ كَأَنَّ بَيَاضَ غُرَّتِهِ خِمَارُ
وَمَا يُذْرِيكَ مَا فَقَّرِي إِلَيْهِ إِذَا مَا الْقَوْمُ وَلَوْ أَوَّارُوا
وَيُخْضِرُ فَوْقَ جُهْدِ الْحُضِرِ نَصًّا يَصِيدُكَ قَافِلًا وَالْمَخُ رَارُ^(٢)

قوله " كَأَنَّ قَوَائِمَ النَّحَامِ ... مَحَارُ " " المحارة " الصَّدْفَة ، يريد المَلَا سَة ، وأنه قد ارتفعت قوائمه للموت . و " الأَصْل " جمع " أَصِيل " و " الأَصِيل " : العَشي ، يقال " أَصِيلٌ وَأَصْلٌ " مثل " قُضِبٍ وَقُضْبٍ " وجمع " أَصْل " " أَصَالٌ " وهو جمع الجمع ، وتقديره " غُنْقٌ وَأَغْنَقٌ " و " طُنْبٌ وَأَطْنَابٌ " ويقال في جمع " أَصِيلَةٍ " أَصَائِلُ " مثل " خَلِيفَةٍ وَخَلَائِفٌ " . قال الأعشى :

(١) النذب : الخفيف السريع ، والرحز بنحوه في الأغاني (٩٩/٣) .

(٢) الأبيات من الوافر ، والأول للسليك بن السلعة في ديوانه ١٨ ، ولسان العرب ٤ / ٢٢ (حور) ٤٥٢ / ١٢ (حرم) ٥٧٢ / ١٢ (نجم) ، وجمهرة ٥٧٣ ، وتاج العروس ١٠٥ / ١١ (حور) (نجم) ، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٦٦٣ .

وله رواية أخرى :

كَأَنَّ قَوَائِمَ النَّحَامِ لَمَّا تَرَحَّلَ صُحْبَتِي أَصْلًا مَحَارُ

والثاني لبشر بن أبي حازم في ديوانه ص ٧٧ ، وللسليك بن السلعة في الكتاب ٤ / ٢٥٨ ، ولسان العرب (تأد) ، (فرم) ، ولتأبط شراً في معجم ما استعجم ٤٩١ / ٢ ، وليس في ديوانه . وبلا نسبة في أدب الكاتب ص ٥٩١ ، وجمهرة اللغة ص ١٢٣٣ ، وشرح أبيات سيبويه ٤٣١ / ٢ ، ولسان العرب (قرم) . ويروى : " فرماء " .

والثالث للسليك بن السلعة في ديوانه ص ٥٣ ، ولسان العرب (ركب) ، وتاج العروس (ركب) . ويرى عجزه :

إِذَا مَا الرِّكْبُ فِي نَهَبِ أَغَارُوا

والرابع سبق تخريجه .

... ٥٠٠ ولا بأحسن منها إذ ذنا الأصل^(١)

وقال أبو ذؤيب :

لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأقعد في أفياه بالأصائل^(٢)

و " قَرَمَاء " ممدية^(٣) اسم موضع . و " شَوَاه " قوائمه ، وقد فسرناه قبل هذا .
وقوله " وَلَوْ أَوْ أَعَارُوا " إذا طَلَبُوا أَوْ هَرَّبُوا . وقوله " يَصِيدُكَ " أي يَصِيدُ
لك ، يقال : " صِدْتُكَ ظِيًّا " قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ وَرَزَقُونَهُمْ يُدْخِلُونَ ﴾^(٤) أي كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ ، يقال : " كِلْتُكَ " و " وَزَنْتُكَ " لأنه قد
قال تعالى أَمْ لَ : ﴿ إِذَا اكْبَأُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾^(٥) .

فأما ما جاء في الحديث من قول رسول الله ﷺ عند الهبوب : " اللهم
اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا " ^(٦) فإنَّ العرب تقول : لا تَلْقَحُ السحابُ إلا من رياح

(١) البيت من البسيط ، وهو للأعشى في ديوانه ١٠٧ وتاج العروس (أصل) ، والصبح المنير في
شعر أبي بصير ص ٤٣ .
وصدره :

يوما بأطيب منها نشر رائحة

(٢) البيت من الطويل ، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في إصلاح المنطق ٣٢٠ ، وخزانة الأدب ٥ /
٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٩١ ، ٤٩٧ ، والدرر ١ / ٢٧٣ ، وشرح أشعار الهذليين ١ / ١٤٢ ، ولسان العرب
١٦ / ١١ (أصل) ، وتاج العروس (أصل) ، وبلا نسية في الأزمنة والأمكنة ٢ / ٢٥٩ ، والإنصاف
٢ / ٧٢٣ ، وخزانة الأدب ٦ / ١٦٦ ، ولسان العرب ١ / ١٢٤ (فياً) وجمع الهوامع ١ / ٨٥ .
وله رواية أخرى :

لعمري لأنت البيت أكرم أهله فأقعد في أفياه بالأصائل

(٣) نص ياقوت على أنها بالقصر ثم حكى أنها قد جاءت ممدودة ونقل عن ابن كيسان أنه
قال : أحسبها مقصورة مدها الشاعر ضرورة .

(٤) سورة المطففين : ٣ .

(٥) سورة المطففين : ٢ .

(٦) الحديث أورده الحافظ الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١٣٥ / ١٠) مطولاً من حديث ابن عباس
وقال : رواه الطبراني ، وفيه حسين بن قيس الملقب بجنش ، وهو متروك ، وقد وثقه حصين بن
غمر ، وبقية رجاله رجال الصحيح والحسين بن قيس هذا ذكره الحافظ في "التقريب"
(١٧٨ / ١) ، وقال : " متروك من السادسة " .

. ويصدق ذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُبَثِّرُ سَحَابًا﴾^(١) وقولُ النبي ﷺ: " إِذَا هَبَّتْ بَحْرِيَّةٌ ثُمَّ تَذَاءَبَتْ " ^(٢)، وقال الشاعرُ :

تَسُحُّ إِذَا تَذَاءَبَتْ الرِّيَّاحُ

يقول : إِذَا تَقَابَلَتْ ، يقال " تَذَاءَبَتْ " و " تَنَافَحَتْ " أي تَقَابَلَتْ ^(٣)، و "تَنَافَحَ" الشجرُ : إِذَا قَابَلَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وإنما سُمِيت النَّائِحَةُ ؛ لأنها تُقَابِلُ صاحبَتها .

فإِذَا خَلَصَتِ الرِّيحُ دُبُورًا فَهِيَ عِنْدَهُمْ مِنْ جِنْسِ الْبَوَارِ ، وَإِذَا خَلَصَتْ شَمَالًا شَتَوِيَّةٌ فَهِيَ بَابُ الْجَذْبِ ، وَمِنْ ثَمَّ تَقُولُ الْعَرَبُ : يُطْعِمُ فِي الشَّمَالِ ، كَمَا تَقُولُ : يُطْعِمُ فِي الْمَحَلِّ .

قال أَوْسُ بْنُ حَجَرَ ^(٤): " وَعَزَّتْ الشَّمَالُ الرِّيَّاحُ " أَي غَلَبَتْهَا ، فَكَانَتْ أَقْوَى مِنْهَا ، فَلَمْ تَدْعُ لَهَا مَوْضِعًا . وقوله تعالى : ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ﴾ ^(٥) أَي غَلَبَنِي فِي الْمُخَاطَبَةِ وَالْخُصُومَةِ ^(٦) ، وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ ^(٧): " مَنْ عَزَّ بَزٌّ " أَي ؛ مَنْ غَلَبَ اسْتَلَبَ ، قَالَتِ الْخَنَسَاءُ ^(٨):

كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا حِمَى يُتَّقَى إِذِ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مَنِ عَزَّ بَزًّا

(١) سورة الروم : ٤٨ .

(٢) الحديث رواه مالك في الموطأ (١٩٩/١) تنوير الحوالك . ط. الفكر ، ولفظه : "إِذَا أَنْشَأَتْ بِحْرِيَّةٌ ثُمَّ تَشَاءَمَتْ فَتَلُكُ عَيْنُ غَدِيقَةٍ . ، وقد قال الحافظ السيوطي في شرحه للموطأ عند هذا الحديث : " قال ابن عبد البر : هذا الحديث لا أعرفه بوجه من الوجوه في غير الموطأ ، إلا ما ذكره الشافعي في الأم عن إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى عن إسحاق بن عبد الله ، أن النبي ﷺ قال : " إِذَا أَنْشَأَتْ بِحْرِيَّةٌ ثُمَّ اسْتَحَالَتْ شَامِيَّةٌ فَهُوَ أَمْطَرُهَا " .

(٣) قال الشيخ المرفصفي : " الذي في اللغة : تَذَابَتْ الرِّيحُ وَتَذَاءَبَتْ اخْتَلَفَتْ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا ... " رغبة الأمل ٢١٣/٦ . وانظر اللسان (ذ أ ب) .

(٤) سلف .

(٥) سورة ص : ٢٣ .

(٦) في نسخة : في الخصومة .

(٧) سلف وسيأتى أيضاً .

(٨) ديوانها ص ٨١ ، والفاضل ٤٧ . وسيأتى مع أبيات أحر .

قال أبو العباس : وحدثني عمرو بن بحر الجاحظ قال : رأيت رجلاً من غنيّ
يُفاخِرُ رجلاً من بني فزارة ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي بَذْرِ بْنِ عمرو ، وكان الغنويُّ مُتَمَكِّنًا من
لسانه ، وكان الفزاريُّ بَكِيًّا ، فقال الغنويُّ : ماؤنا ما بين الرِّقْمِ ^(١) إلى كذا ، وهم
جيراننا فيه ، فنحن أقصرُ منهم رِشَاءً ، وأعذبُ منهم ماءً ، لَنَا رِيفُ السُّهُولِ ومعاقلُ
الجبال ، وأرضُهم سَبِخَةٌ ، ومياهُهم أَمْلَاحٌ ، وأَرْضِيَّتُهُمْ طَوَالٌ ، والعربُ إِذْ ذاكَ مَنْ عَزَّ
بَزٌّ ، فَبِعِزَّتِنَا ما قَدَرْنَا عَلَيْهِمْ ، وبِذَلَّتِهِمْ ما رَضُوا مِنَّا بِالضَّيِّمِ .

قوله " كان بَكِيًّا " يقول : غير قادر على الكلام ، وأصلُ ذلك في الحَلَبِ ،
يقالُ : ناقةٌ غَزِيرَةٌ وناقَةٌ " بَكِيٌّ " ، وهي ضدُّ الغزيرة ، أي قليلة اللبن ، و " ذَهِيْنٌ "
و " صِمْرَدٌ " في معنى ويقالُ " بَكَاتِ " الناقةُ و " بَكُوْتُ " ، وقال سلامةُ بنُ جندلٍ :
يقولُ : مَحْبُسُها أَذْنى لِمَرْتَعِها وَلَوْ تَداعَى بِبُكَاءٍ كُلِّ مَحْلُوبٍ ^(٢)

يقولُ : أن تُحْبَسَ الإبلُ على ضَرْ يُقاتَلُ عنها فهو أَذْنى أن تَرْتَعَ فيما تَسْتَقْبِلُ
وإن ذهبَ ألبانُها ، لأنَّنا إِن أَطَرَدْنَاها وَهَرَبْنَا طَمِعَ فِينا واسْتَذَلَّنا ، ويقالُ في الكلامِ ،
رجلٌ عَيْيٌ بَكِيٌّ .

قال أبو العباس : وهذا الغنويُّ إِذا قابلَ بقبيلته آلَ بَذْرِ فقد أعْظَمَ الفِرْيَةَ ، وبلغ
في البَهْتِ ، وأَشْمَتَ العَدُوَّ بِجُمُهورِ قَيْسٍ ، وصارَ بهم إلى قولِ الأَخْطَلِ ^(٣) :
وقد سَرَّني مِن قَيْسِ عَيْلانَ أَنِّي رأيتُ بني العَجْلانِ سادُّوا بني بَذْرِ

* * *

(١) بهامش نسخة ما نصه : " الرقم بفتح أوله وثانيه موضع بالحجاز قبل ياجج قريب من وادي
القرى كانت فيه وقعة لغطفان على عامر ، قال الراجز :

يا لعنة الله على أهل الرقم أهل الوقير والحميز والحرم

(٢) البيت من البسيط ، وهو لسلامة بن جندل في ديوانه ١٢٨ ، ولسان العرب ١ / ٣٥ (بكاء)
١٥ / ٤٢ (عدا) والمعاني الكبير ٩٤٤ ، والمذكر والمؤنث للأنباري ٤٥٣ ، وتاج العروس ١ / ٥١
(بكاء) ، وشرح اختيارات المفضل ٥٨٩ ، وسمط اللآلئ ٤٧ ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ١ /
٢٨٦ .

وله رواية أخرى :

يكون محبسها أدنى لمرتعتها ولو تعارى ببكاء كل محلوب

(٣) البيت من الطويل له في ديوانه ص ١١١ ط . دار الكتب العلمية .

وكان زيادٌ يقولُ - وهو الغايةُ في السياسة - : أوصيكم بثلاثة : العالم والشَّيخ
والشَّريف ، فوالله لا أُوتى بوضيغٍ سَبَّ شريفاً أو شاباً وَتَبَّ بشيخٍ أو جاهلٍ اِمتَهَنَ
علماً إلا عاقبتُ وبالغتُ .

وقال عُمارةُ لِنبي أسدٍ بن خزيمة :

يا أيُّها السَّائِلِي عَمْدًا لأخْبِرُهُ بذاتِ نَفْسِي وأَيْدِي اللهِ فوقَ يَدَيِ
إِنْ تَسْتَقِمَّ أَسَدٌ تَرْشُدْ وَإِنْ شَغَبْتَ فَلَا يَلُمُّ لائِمٌ إِلَّا بِنِي أَسَدِ
إِنِّي رَأَيْتُكُمْ يُغْصَى كَبِيرُكُمْ وَتَكْنَعُونَ إِلَى ذِي الْفَجْرَةِ النَّكِدِ
فَبَاعَدَ اللهُ كُلَّ الْبُعْدِ دَارَكُمْ وَلَا شَفَاكُم مِنَ الْأَضْغَانِ وَالْحَسَدِ

فراى عصيانهم الكبير من أقبح العيب ، وأدله على ضيغٍ بعضهم لبعض ،
وحسدٍ بعضهم بعضاً ، والوضيغُ يَتَفَلَّتُ إلى الشريف ، لأنه يَرى مُقاولته فخرًا ،
والاجترأ عليه ربحاً ، كما أنَّ مُقاولَةَ الشريفِ لِلْيَمِّ ذُلٌّ وَضَعَةٌ .

وقال الشاعرُ :

إِذَا أَنْتَ قَاوَلْتَ اللَّيْمَ فَإِنَّمَا يَكُونُ عَلَيْكَ الْفَضْلُ حِينَ تَقَاوَلُهُ
وَلَسْتَ كَمَنْ يَرْضَى بِمَا غَيْرُهُ الرُّضَا وَيَمْسَحُ رَأْسَ الدُّثْبِ وَالدُّثْبُ آكِلُهُ
وَسُنْشُبُ هَذَا الْمَعْنَى إِنْ شَاءَ اللهُ .

وفي هذا الشعر بيتٌ يُقَدَّمُ في بابِ الْفَتَكِ ، وهو :

فَلَا تَقْرَبَنَّ أَمْرَ الصَّرِيمَةِ بِأَمْرِي إِذَا رَامَ أَمْرًا عَوَّقَتْهُ عَوَاذِلُهُ
" الصَّرِيمَةُ " : الْعَزِيمَةُ .

* * *

وقد امتنع قومٌ من الجواب تَبَّلاً ، ومواضعهم تُنبئُ عن ذلك ، وامتنع قومٌ عِيًّا
بلا اعتلال ، وامتنع قومٌ عَجْزاً واعتلوا بِكَرَاهَةِ السَّقَةِ ، وبعضُهم مُعْتَلٌّ برفعَةِ نَفْسِهِ عن
خصمه ، وبعضُهم كان يَسُبُّه الرجلُ الرَّكِيكُ مِنَ الْعَشِيرَةِ فَيُعْرِضُ عنه وَيَسُبُّ سَيِّدَ
قومه ، وكذلك كانت الجاهليةُ ، وربما فعلته في الدُّحُولِ (١) ، قال الراجزُ :

إِنْ بَجِيلاً كُلَّمَا هَجَانِي مِلْتُ عَلَى الْأَغْطَشِ أَوْ أَبَانَ

(١) جمع ذحل وهو النار .

أُولَئِكَ قَوْمٌ شَأْنُهُمْ كَشَأْنِي أَوْ طَلَحَةِ الْخَيْرِ فَتَى الْفَتِيَانِ
وَأِنْ سَكَتُ عَرَفُوا إِحْسَانِي مَا نِلْتُ مِنْ أَغْرَاضِهِمْ كَفَانِي
وقال أحدُ المُحدِّثينَ :

إِنِّي إِذَا هَرَّ كَلْبُ الْحَيِّ قُلْتُ لَهُ اسْلَمْ وَرُبُّكَ مَخْتُوقٌ عَلَى الْجَرَرِ^(١)

قوله " اسْلَمْ " فاستأنفَ بألف الوصل ؛ لأنَّ النصفَ الأولَ موقوفٌ عليه ،
قال الشاعرُ :

وَلَا يُيَادِرُ فِي الشِّتَاءِ وَلِيدُنَا الْقِدْرُ يُنْزِلُهَا بِغَيْرِ جَعَالِ^(٢)

" الْجَعَالُ " : الذي تُنْزَلُ به البُرْمَةُ ، وربما تُوقِيَتْ به حرارتُها . وقال الآخرُ :
لَا نَسَبَ الْيَوْمَ وَلَا خُلَّةً اتَّسَعَ الْحَرَقُ عَلَى الرَّاقِعِ^(٣)

وهذا كثيرٌ غيرُ معيَّبٍ .

(١) بهامش نسخة ما نصه : جمع جرة بكسر الجيم ، وهى اللقمة يتعلل بها البعير إلى وقت
علفه . وبالفصح الخبزة أو خاص بالتي فى الملة . قاموس . الملة : الرماد ، قاموس "أهـ .

(٢) البيت من الكامل ، وهو للبيد العامرى فى شرح شواهد الشافية ١٨٧ ، وليس فى ديوانه ،
ولحاجب بن حبيب الأسدى فى شرح أبيات سيويه ٢ / ٣٧٤ ، وبلا نسبة فى الدرر ، ٦ / ٣١٣
وشرح شافية ابن الحاجب ٢ / ٢٦٦ ، والكتاب ٤ / ١٥٠ ، ولسان العرب ٦ / ١٩٠ (كأس)
١١٢ / ١١ (جعل) .

(٣) البيت من السريع ، وهو لأنس بن عباس بن مرداس فى تخليص الشواهد ٤٠٥ ، والدرر
٦ / ١٧٥ ، ٣١٧ ، وشرح التصريح ١ / ٢٤١ ، وشرح شواهد المغنى ٢ / ٦١ ، والكتاب ٢ / ٢٨٥ ،
٣٠٩ ، ولسان العرب ٥ / ١١٥ (قمر) ١٠ / ٢٣٨ (عتق) والمقاصد النحوية ٢ / ٣٥١ ، وله أو سلمان
ابن قضاة فى شرح أبيات سيويه ١ / ٥٨٣ ، ٥٨٧ ، ولأبى عامر جد العباس بن مرداس فى ذيل
سمط اللآلى ٣٧ ، وبلا نسبة فى أمالى ابن الحاجب ١ / ٤٢١ ، وأوضح المسالك ٢ / ٢٠ ، وشرح
الأشمونى ١ / ١٥١ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٧٥ ، ٩٦٧ وشرح شنور الذهب ١١٢ ،
وشرح ابن عقيل ٢٠٢ ، وشرح المفصل ٢ / ١٠١ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، واللمع فى العربية ١٢٨ ،
ومغنى اللبيب ١ / ٢٢٦ ، وجمع الهوامع ٢ / ١٤٤ ، ٢١١ .

وفي مثل اختيار النبل لتكافؤ الأغراض قول الأخطل^(١) :
 شفى النفس قتلى من سليم وعامر
 ولم تشفها قتلى غني ولا جسر
 ولا جشم شر القبائل إنها^(٢)
 كيض القطا ليسوا بسود ولا خمر
 ولو بيني ذبيان بلت رماخنا
 لقرت بهم عيني وباء بهم وتري
 وقال رجل من المحدثين ، وهو حمدان بن أبان اللاحقي :
 أليس من الكبائر أن وغدا
 لآل معذل يهجو سدوسا
 هجا عرضا لهم غضا جديدا
 وأهدف عرض والده اللبسا

وقال آخر :
 اللؤم أكرم من وبر ووالده
 واللؤم داء لوبر يقتلون به
 واللؤم إذا جر جاني قومهم أمنا
 وقال آخر من المحدثين :
 اللؤم أكرم من وبر وما ولد
 لا يقتلون بداء غيره أبدا
 من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وقال آخر من المحدثين :
 أما الهجاء فدق عرضك دونه
 فاذهب فانت طليق عرضك إنه
 وقال آخر :
 خؤولته بنو عبد المدان
 تعالي فانظري بمن ابتلاني

فلو أنني بليت بهاشمي
 صبرت على عدواته ولكن

ووقف رجل عليه مقطعات على الأحنف بن قيس يسبه ، وكان عمرو بن الأهتم
 جعل له ألف درهم على أن يسفه الأحنف ، فجعل لا يألو أن يسبه سباً يغضب والأحنف
 مطرق صامت لا يكلمه ، فلما رآه لا يكلمه أقبل الرجل يعض إبهامه ويقول : يا سواتاه !
 والله ما يمنعني من جوابي إلا هواني عليه !

(١) ديوانه ق ١٣/١٨ ، ١٤ ، ١٢ ج ١/ ١٨١ .

(٢) في الأصل : إنهم .

(٣) في الأصل : فيك . وبهامشه كما في المتن .

وَفَعَلَ ذَلِكَ آخِرُ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ الْأَحْنَفُ ، وَأَكْثَرَ الرَّجُلُ ، إِلَى أَنْ أَرَادَ الْأَحْنَفُ الْقِيَامَ لِلْغَدَاءِ فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ ، فَقَالَ : يَا هَذَا ، إِنَّ غَدَاءَنَا قَدْ حَضَرَ ، فَانْهَضْ بِنَا إِلَيْهِ إِنْ شِئْتَ ، فَإِنَّكَ مِنْذُ الْيَوْمِ تَحْدُو بِجَمَلٍ تَقَالَ !!

و" الثَّفَالُ " من الإبل : البَطِيءُ الثَّقِيلُ الذي لَا يَكَادُ يَنْبَعِثُ .

وَعُدَّتْ عَلَى الْأَحْنَفِ سَقَطَةٌ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَهُوَ أَنَّ عَمْرَوَ بْنَ الْأَهْتَمِ دَسَّ إِلَيْهِ رَجُلًا لِيُسَفِّهَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا بَحْرٍ ، مَا كَانَ أَبُوكَ فِي قَوْمِهِ ؟ قَالَ : كَانَ مِنْ أَوْسَطِهِمْ ، لَمْ يَسُدُّهُمْ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُمْ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ ثَانِيَةً ، فَقَطِنَ الْأَحْنَفُ أَنَّهُ مِنْ قَبْلِ عَمْرَوِ ، فَقَالَ (١) : مَا كَانَ مَالُ أَبِيكَ ؟ فَقَالَ : كَانَتْ لَهُ صِرْمَةٌ يَمْنَحُ مِنْهَا وَيَقْرِي ، وَلَمْ يَكُنْ أَهْتَمَ سَلَاخًا (٢) .

وَجُعِلَ لِرَجُلٍ أَلْفُ دَرَاهِمٍ عَلَى أَنْ يَسْأَلَ عَمْرَوَ بْنَ الْعَاصِي عَنْ أُمِّهِ ، وَلَمْ تَكُنْ فِي مَوْضِعٍ مَرْضِيٍّ ، إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ عَنَزَةٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي جَلَانٍ ، فَأَتَاهُ الرَّجُلُ ، وَهُوَ بِمَصْرٍ أَمِيرًا عَلَيْهَا ، فَقَالَ : أَرَدْتُ أَنْ أَعْرِفَ أُمَّ الْأَمِيرِ ؟! فَقَالَ : كَانَتْ امْرَأَةً مِنْ عَنَزَةٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي جَلَانٍ ، تُسَمَّى لَيْلَى ، وَتَلَقَّبُ النَّابِغَةُ ، اذْهَبْ فَخُذْ مَا جُعِلَ لَكَ !! .

وَقَالَ لَهُ مَرَّةً الْمُنْذَرُ بْنُ الْجَارُودِ : أَيُّ رَجُلٍ أَنْتَ لَوْلَا أَنَّ أُمَّكَ أُمَّكَ ؟! قَالَ : فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهِ إِلَيْكَ ، إِنِّي فَكَّرْتُ فِيهَا الْبَارِحَةَ ، فَأَقْبَلْتُ أَنْقَلُهَا فِي قِبَائِلِ الْعَرَبِ ، فَمَا خَطَرْتُ (٣) لِي عَبْدُ الْقَيْسِ بِيَالٍ !! .

وَدَخَلَ عَمْرَوُ مَكَّةَ فَرَأَى قَوْمًا مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ جَلَسُوا حَلْقَةً ، فَلَمَّا رَأَوْهُ رَمَوْهُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَعَدَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : أَحْسِبُكُمْ كُنْتُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذِكْرِي ؟ قَالُوا : أَجَلٌ ، كُنَّا نَمِيلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَخِيكَ هِشَامٍ أَكْبَمًا أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ عَمْرَوُ : إِنَّ هِشَامَ عَلَيَّ أَرْبَعَةَ : أُمُّهُ ابْنَةُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَأُمِّي مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ ، وَكَانَ أَحَبَّ إِلَى أَبِيهِ مِنِّي ، وَقَدْ عَرَفْتُمْ مَعْرِفَةَ الْوَالِدِ بِالْوَلَدِ ، وَأَسْلَمَ قَبْلِي ، وَاسْتَشْهَدَ وَبَقِيْتُ .

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي الْبَابِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، وَإِنَّمَا نَذَكُرُ مِنَ الشَّيْءِ وَجْوهَهُ وَنَوَادِرَهُ .

(١) فِي نَسْخَةٍ : فَقَالَ لَهُ .

(٢) السَّلَاحُ : كَثِيرُ السَّلَاحِ .

(٣) فِي نَسْخَةٍ : فَلَمْ تَخْطُرْ . وَبِهَامِشِهِ كَمَا فِي الْمَتْنِ .

قال رجلٌ لرجلٍ من آل الزبيرِ كلامًا أقدَعَ له فيه ، فأعرضَ الزبيرِيُّ عنه ، ثم دار كلامٌ ففسبَّ الزبيرِيُّ عليَّ بنَ الحسين ، فأعرضَ عنه ، فقال له الزبيرِيُّ : ما يمنعُك من جوابي ؟ فقال عليٌّ : ما منعُك من جوابِ الرجلِ ! .
وقد رُوِيَ قولُ القائلِ لرجلٍ : لو قلتَ واحدةً لسمعتَ عشرًا ، فقال له الرجلُ : ولكنك لو قلتَ عشرًا ما سمعتَ واحدةً .

وقال الشاعرُ :

ولقد أمرُّ على اللثيمِ يسُبُّني فأجوزُ ثم أقولُ لا يعنيني^(١)
وقال رجلٌ لرجلٍ ، وسبَّه فلم يلتفتْ إليه^(٢) ، فقال : إياك أعنِّي ، فقال له الرجلُ : وعنك أعرِضُ .

فأما قولُ الشَّعْبِيِّ للرجلِ ما قال فَمِنْ غَيْرِ هذا الباب ، إِنَّمَا مَخْرَجُهُ الدِّيَانَةُ ، وذلك أَنَّ رجلاً سبَّ الشَّعْبِيَّ بأمورٍ قبيحةٍ نسبها إليها ، فقال له الشَّعْبِيُّ : إِنْ كُنْتَ كاذبًا فغفر الله لك ، وَإِنْ كُنْتَ صادقًا فغفر الله لي .
وقال رجلٌ للصديقِ رحمه الله : لَأُسَبِّحَنَّكَ سَبًّا يَدْخُلُ معَكَ قَبْرُكَ ! فقال : معَكَ

(١) البيت من الكامل ، وهو لرجلٍ من سلول في الدرر ٧٨ / ١ وشرح التصريح ١١ / ٢ ، وشرح شواهد المغنى ٣١٠ / ١ ، والكتاب ٢٤ / ٣ والمقاصد النحوية ٥٨ / ٤ ، ولشمر بن عمرو الحنفى فى الأصمعيات ١٢٦ ، ولعميرة بن جابر الحنفى فى حماسة البحترى ١٧١ ، وبلا نسبة فى الأزهية ٢٦٣ ، والأشباه والنظائر ٩٠ / ٣ ، والأضداد ١٣٢ ، وأمالى ابن الحاجب ٦٣١ ، وأوضح المسالك ٢٠٦ / ٣ ، وجواهر الأدب ٣٠٧ وخزانة الأدب ١ / ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣ / ٢٠١ ، ٤ / ٢٠٧ ، ٥ / ٢٣ ، ٥٠٣ ، ١٩٧ / ٧ ، ١١٩ / ٩ ، ٣٨٣ ، والخصائص ٢ / ٣٣٨ ، ٣ / ٣٣٠ والدرر ١٥٤ / ٦ ، وشرح شواهد الإيضاح ٢٢١ ، وشرح شواهد المغنى ٢ / ٨٣١ ، وشرح ابن عقيل ٤٧٥ ، والصاحبى فى فقه اللغة ٢١٩ ، ولسان العرب ١٢ / ٨١ (ثم) ، ١٥ / ٢٩٦ (منى) ، ومغنى اللبيب ١ / ١٠٢ ، ٢ / ٤٢٩ ، ٦٤٥ ، وجمع الهوامع ١ / ٩ ، ٢ / ١٤٠ .

وله رواية أخرى مشهورة :

ولقد أمر على اللثيم يسبني فمضيت ثم قلت لا يعنيني

(٢) فى الأصل : فأعرض عنه ، وبهامشه كما فى المتن .

والله يدخل لا معي .

قال أبو العباس : ويتصل بهذا الباب ذِكْرُ مَنْ رَغِبَ بِرَجُلٍ عَنْ إِرْثِ رَجُلٍ لَا يُشَاكِلُهُ ، وَوَلَايَةِ رَجُلٍ لَا يُشَابِهُهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ ^(١) :

بَكَتْ دَارُ بَشِيرٍ شَجْوَهَا أَنْ تَبَدَّلَتْ هَلَالَ بْنَ قَعْقَاعٍ بِبَشِيرِ بْنِ غَالِبٍ ^(٢)

وَمَا هِيَ إِلَّا كَالْعُرُوسِ تَنْقَلَّتْ عَلَى رَغْمِهَا مِنْ هَاشِمٍ فِي مُحَارِبٍ ^(٣)

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ ^(٤) حِينَ وَلِيَ الْعِرَاقَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيُّ بِعَقِيبِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ الْبَغَالُ عَشِيَّةً فَارْعَى فِزَارَةً لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعُ

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا فِزَارَةً أُمِرْتُ أَنْ سَوْفَ تَطْمَعُ فِي الْإِمَارَةِ أَشْجَعُ

فَأَرَى الْأُمُورَ تَنْكَرَتْ أَعْلَامُهَا حَتَّى أُمِيَّةٌ عَنْ فِزَارَةٍ تُنَزَعُ ^(٥)

عُزْلَ ابْنِ بَشِيرٍ وَابْنُ عَمْرٍو قَبْلَهُ وَأَخُو هَرَاةٍ لَمْثُهَا يَتَوَقَّعُ

فَلَمَّا وَلِيَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ عَلَى عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُسْدٍ ^(٦)

يُجِيبُ الْفَرَزْدَقُ :

عَجِبَ الْفَرَزْدَقُ مِنْ فِزَارَةٍ أَنْ رَأَى عَنْهَا أُمِيَّةٌ بِالْمِشَارِقِ تُنَزَعُ

فَلَقَدْ رَأَى عَجَبًا وَأُخْدِثَ بَعْدَهُ أَمْرٌ تَضِجُ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَفْزَعُ

بَكَتِ الْمَنَابِرُ مِنْ فِزَارَةٍ شَجْوَهَا فَالْيَوْمَ مِنْ قَسْرِ تَذُوبٍ وَتَجْزَعُ

وَمَلُوكُ خِنْدِفٍ أَسْلَمُونَا لِلْعَدَى اللَّهُ دَرُّ مَلُوكِنَا مَا تَصْنَعُ

كَانُوا كَتَارِكَةً بَيْنَهَا جَانِبَا سَفَهَا وَغَيْرَهُمْ تَصُونُ وَتُرْضِعُ ^(٧)

(١) هو إسماعيل بن عمار ، وقيل الوليد بن كعب . انظر ديوان الحماسة بشرح المازوقي ١٥١٣ ، والتبريزي ٤٠/٤ .

(٢) رواية الحماسة : هلال بن مرزوق .

(٣) الأبيات في الأغاني ٣١٣/٢١ ، ٣١٤

(٤) سلفت الأبيات .

(٥) انظر ما سلف من التعليق على ضبطه .

(٦) هو إسماعيل بن عمار والأبيات في الأغاني ٣٧٩/١١ . وسلف الثالث والرابع .

(٧) الأبيات في الأغاني ٣٨١/١١

قال أبو العباس : وكان الفرزدقُ هَجَاءَ لِعَمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ عند ولايته العراقَ ، وفي ذلك يقول ليزيدُ بن عبد الملك :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ بَرٌّ أَمِينٌ لَسْتُ بِالطَّبْعِ الْحَرِيصِ^(١)
أَطْعَمْتَ الْعِرَاقَ وَرَأْفَذِيهِ فَرَارِيًّا أَحَذُّ يَدَ الْقَمِيصِ
تَفَهَّقَ بِالْعِرَاقِ أَبُو الْمُثَنَّى وَعَلَّمَ قَوْمَهُ أَكْلَ الْخَيْصِ
وَلَمْ يَكُ قَبْلَهَا رَاعِي مَخَاضٍ لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرَكِّي قُلُوصِ

قوله : " لست بالطَّبع الحريص " فـ " الطَّبعُ " : الشديذُ الطَّمَعِ الذي لا يفهمُ لَشِدَّةِ طَمَعِهِ ، وإنما أُخِذَ هذا من " طَبَعَ السيفُ " يقال " طَبَعَ السيفُ " ، و " هو سيفٌ طَبَعٌ " إذا ركبه الصَّدَأُ فغَطَّى عليه . والمثلُ من هذا في الذي طَبَعَ على قلبه إنما هو تَغْطِيَةٌ وحجابٌ ، يقال " طَبَعَ اللهُ على قلب فلان " ومثله^(٢) : ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ هذا الوقفُ ، ثم قال : ﴿ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾^(٣) وكذلك " رَيْنَ عَلَى قلبه " و " غَيْنَ عَلَى قلبه " فـ " الرَيْنُ " يكونُ من أشياء تَأَلَّفُ عليه فتغْطِيه ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٤) وأما " غَيْنَ عَلَى قلبه " فهي غِشَاوَةٌ تعَتَرِيه ، و " الغِنَةُ " : القطعةُ من الشجر الملتفُّ تُغْطِي ما تحتها ، قال الشاعر :

كَأَنِّي بَيْنَ خَافِتَيِ عُقَابٍ أَصَابَ حَمَامَةً فِي يَوْمِ غَيْنِ^(٥)

وقال بعضهم : أَرَادَ في التَّفَافٍ مِنَ الظُّلْمَةِ ، وقال آخرونَ : أَرَادَ في يومِ غيمٍ ، فأبدل من الميم نوناً ، لاجتماع الميم والنون في الغِنَةِ ، كما يقالُ لِلْحَيَّةِ " أَيْمٌ " و " أَيْنٌ " . واستجازت الشعراءُ أَنْ تَجْمَعَ الميم والنونُ في القوفي ، لما ذكرتُ لك من اجتماعهما في الغِنَةِ ، قال الراجزُ :

(١) الأبيات في ديوانه ٣٨٩/١ والفاضل ١١١ ، وطبقات فحول الشعراء ٣٤٢/١ .

(٢) في الأصل : ومنه . وبهامشه كما في المتن .

(٣) سورة البقرة : ٧ .

(٤) سورة المطففين : ١٤ .

(٥) البيت من الوافر ، وهو بلا نسبة في أمالي القالي ٨٧ / ٢ ورصف المبانى ٢٨٧ ، ولسان العرب

٣١٦/١٣ (غين) ، و المحتسب ٨٨ / ١ ، والمنصف ٤٨/٣ .

بُنِيَ إِنَّ الْبِرَّ شَيْءٌ هَيْنٌ الْمَنْطِقُ اللَّيْنُ وَالطُّعْمُ^(١)

وقال آخرُ :

مَا تَنْقِمُ الْحَرْبُ الْعَوَانَ مِنِّي بَازِلُ عَامَيْنِ حَدِيثُ سِنِّي

لِمِثْلِ هَذَا وَلَدْتُني أُمِّي^(٢)

[قال أبو الحسن : بلغني أَنَّ عَلِيًّا رضوان الله عليه قاله للحسن ابنه] .

و " الْعِرَاقَان " : البصرة والكوفة . و " الرَّفْدَان " : دِجْلَةُ والفُراتُ .

وقوله : " أَحَذُّ يَدَ الْقَمِيصِ " يريد الخفيف ، قَالَ طَرَفَةُ :

وَأَتْلَعُ نَهَّاضٌ أَحَدُ مُلْمَلَمٍ^(٣)

وإنما نسبه بالخفة في يده إلى السرقة

وقوله " تَفَهَّقُ " أي امتلاً مالا ، يقال : بثر " تَفَهَّقُ " وغدير " يَفَهَّقُ : إذا امتلاً

ماءً ، قال الراجزُ :

لَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ لِلْقَوْمِ اسْتَقُوا وَالْقَوْمُ فِي غُرْضِ غَدِيرٍ يَفَهَّقُ

وقال الأعشى في مدحه المخلوق بن حنتم أحد بني أبي بكر بن كلاب :

نَفَى الدَّمَ عَنْ رَهْطِ الْمُحَلَّقِ جَفَنَةً كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفَهَّقُ^(٤)

كذا رواية أبي عبيدة^(٥) .

(١) الرجز لامرأة قالته لابنها في نوادر أبي زيد ١٣٤ ولجده سفيان في تهذيب اللغة ٣٧٠/١٥ ، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ١٩٠ / ٢ ، وخزانة الأدب ٣٢٥ / ١١ ، وسمط اللآلئ ٧٢ ، وشرح شواهد الشافية ٣٤٢ ، ولسان العرب ٣٩٤ / ١٣ (لين) ، والمقتضب ٢١٧ / ١ ، والمنصف ٦١ / ٣ ، وتاج العروس ٣٩٣ / ١ (كفا) .

(٢) الأبيات في المقتضب ٢١٨/١ ، وشرح أبيات مغنى اللبيب ٢٥٤/١ . وتنسب للإمام علي كرم الله وجهه (باختلاف في رواية الأول) ولأبى جهل ، ولكليب بن عهمة السلمى (باختلاف في الأول) ، انظر شرح أبيات مغنى اللبيب ، والسيرة النبوية ٢٨٧/٢ ، وشرح أشعار الهذليين ٧٧٠/٢ .

(٣) البيت من الطويل ، وهو لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٢٨ ، وأساس البلاغة (حذ)

(٤) البيت من الطويل ، وهو للأعشى في ديوانه ص ٢٧٥ ، ولسان العرب ٦٤/١٠ (حلق) ، ٣١٤ .

(فهق) ١٢٩/١٤ جى ، وتهذيب اللغة ٤٠٤ / ٥ ، ومقاييس اللغة ٥٠٣ / ١ ، ٤٥٦ ، ومجمل اللغة ٤ /

٦٧ ، وتاج العروس (فهق) ، (جى) ، وبلا نسبة في المخصص ٥٠/١٠ .

(٥) ويروى : " كجابية السبخ " . انظر ما سلف .

وقوله :

وَلَمْ يَكْ قَبْلَهَا رَاعِي مَخَاضٍ لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرَكِي قُلُوصٍ^(١)

كانت بنو فزارة تُرَمَى بِغُشْيَانِ الْإِبِلِ ، ولذلك قال ابنُ دارة^(٢) :

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قُلُوصِكَ وَاكْتُبَهَا بِأَسْيَارٍ^(٣)

فلما غَزَلَ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَحَبَسَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ ، قال الفرزدق^(٤) :

لِعَمْرِي لَيْسَ نَابِتٌ فَزَارَةً نَوْبَةً لِمَنْ حَدَثَ الْأَيَّامُ تَحْبِسُهَا قَسْرُ

لَقَدْ حَبَسَ الْقَسْرِيُّ فِي سَجْنٍ وَاسِطٍ فَتَى شَيْظَمِيًّا مَا يُنْهِنُهُ الزَّجْرُ

فَتَى لَمْ تُرَبِّهِ النَّصَارَى وَلَمْ يَكُنْ غِذَاءً لَهُ لَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَالْخَمْرُ

قوله " فتى شَيْظَمِيًّا " الشَّيْظَمُ " الطويل " ، قال ذو الرُّمَّةِ :

إِذَا مَا رَمَيْنَ رَمِيَّةً فِي مَفَازَةٍ عَرَّاقِيهَا بِالشَّيْظَمِيِّ الْمَوَاشِكِ^(٥)

يريدُ : حَادِيًا يَسُوقُهَا .

" مَا يُنْهِنُهُ الزَّجْرُ " : يقول : مَا يُحَرِّكُهُ .

وقوله " فتى لَمْ تُرَبِّهِ النَّصَارَى " يُنْبِئُهُ بِهِ عَلَى أُمِّ خَالِدٍ ، وكانت نصرانيةً روميَّةً ،

(١) كذا أنشده ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٤٠١ والبكري في السمط . والرواية كما في شرح ديوان الحماسة والخزانة :

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًا خَلَوْتَ بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا امْتَلَأَ أَيْرُ الْعَيْرِ فِي النَّارِ
وَإِنْ خَلَوْتَ بِهِ فِي الْأَرْضِ وَحْدَكُمَا فَاحْفَظْ قُلُوصَكَ وَاكْتُبَهَا بِأَسْيَارِ
فهو على هذا مركب من بيتين .

(٢) من أبيات في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢٠٥/١ ، والخزانة ٥٥٧/١ ، وانظر سمط اللآلئ ٨٦٢ .

(٣) البيت من البسيط ، وهو لسالك بن دارة في لسان العرب ١٦٣/٥ (مدر) ٣٧/٩ (جوف) ، وتهذيب اللغة ٢١١/١١ وتاج العروس ٩٨/١٤ (مدر) ، ١١٢/٢٣ (جوف) ، وبلا نسبة في لسان العرب ٧٠١/١ (كتب) ، وجمهرة اللغة ٢٤٠، ٢٥٦ ، ٧٢٤ ومقاييس اللغة ١٥٨/٥ ، وكتاب العين ٣٤١/٥ ، وتاج العروس ١٠٣/٤ (كتب) ، وأساس البلاغة (كتب) .
وله رواية أخرى :-

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًا يَخْلُوتُ بِهِ عَلَى بَعِيرِكَ وَاكْتُبَهَا بِأَسْيَارِ

(٤) لم أجد الأبيات في ديوانه (ط: دار صادر) .

(٥) البيت من الطويل ، وهو لذى الرمة في ديوانه ١٧٣٧ ، وتاج العروس (وشك)

وكان أبوه استلبها في يوم عيد للروم ، فأولدها خالداً وأسداً، ولذلك يقول الفرزدق:
 أَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ ظَهْرَ مَطِيَّةٍ أَتَنَّا تَهَادَى مِنْ دِمَشْقَ بِخَالِدِ
 وكيف يؤمُّ الناسَ مَنْ كانت أمُّه تَدِينُ بَأَنَّ اللهَ ليس بواحدٍ
 بَنَى بَيْعَةً فِيهَا النَّصَارَى لِأُمِّهِ وَيَهْدِمُ مِنْ كُفْرِ مَنَارِ الْمَسَاجِدِ^(١)
 وقال^(٢) :

عليك أمير المؤمنين بخالدٍ وأصحابِهِ لَا طَهْرَ اللهُ خَالِدًا
 بَنَى بَيْعَةً^(٣) فِيهَا الصَّلِيبُ لِأُمِّهِ وَيَهْدِمُ مِنْ بُغْضِ الصَّلَاةِ الْمَسَاجِدَ^(٤)
 وكان سببُ هَدمِ خالِدٍ مَنَارَ المساجِدِ ، حتى حَطَّهَا عَنْ دُورِ النَّاسِ أَنَّهُ بَلَغَهُ شَعْرٌ
 لِرَجُلٍ مِنَ الْمَوَالِي ، مَوَالِي الْأَنْصَارِ ، وَهُوَ :
 لَيْتَنِي فِي الْمُؤَذِّنِينَ حَيَاتِي إِنَّهُمْ يُبْصِرُونَ مَنْ فِي السُّطُوحِ
 فَيُشِيرُونَ أَوْ تُشِيرُ إِلَيْهِمْ بِأَهْوَى كُلِّ ذَاتٍ دَلٌّ مَلِيحٌ
 فحَطَّهَا عَنْ دُورِ النَّاسِ^(٥) .

وَرَوَوْا عَنْهُ فِيمَا رَوَوْا مِنْ عُتُوِّهِ أَنَّهُ اسْتَعْفَى مِنْ بَيْعَةٍ بَنَاهَا لِأُمِّهِ ، فَقَالَ لِمَاءُ مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ : قَبِّحَ اللهُ دِينَهُمْ إِنْ كَانَ شَرًّا مِنْ دِينِكُمْ .
 وقال الفرزدق^(٦) لابن هُبَيْرَةَ حِينَ نُقِبَ لَهُ السِّجْنُ فَسَارَ تَحْتَ الْأَرْضِ هُوَ وَابْنُهُ
 حَتَّى نَفَذَا بَطْنَهَا :
 لَمَّا رَأَيْتِ الْأَرْضَ قَدْ سُدَّ ظَهْرُهَا وَلَمْ يَنْقُ إِلَّا بَطْنُهَا لَكَ مَخْرَجًا

(١) لم أجد الأبيات في ديوانه : (ط: دار صادر) . وهي في الأغاني ٣١٣/٢١ .

(٢) ديوانه ١٦٠/١ باختلاف في رواية الأول .

(٣) بيعة: يروى أنه بناها في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة وكان يضرب لها الناقوس إذا أذن المؤذن .

(٤) البيتان في الأغاني ٢٧/٢٢

ولهما رواية أخرى :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة فعجل هداك الله نزعك خالدا
 بنى بيعة فيها الصليب لأمه ويهدم من بغض الإله المساجدا

(٥) في نسخة: المسلمين .

(٦) ديوانه ١١٧/١ ، والفاضل ١١٢ ، والأغاني ٣١٢/٢١ .

دَعَوْتُ الَّذِي نَادَاهُ يُونُسُ بَعْدَمَا ثَوَى فِي ثَلَاثِ مُظْلَمَاتٍ فَفَرَّجَا
فَأَصْبَحَتْ تَحْتَ الْأَرْضِ قَدْ سِرَتْ سَيْرَةً وَمَا سَارَ سَارٍ مِثْلَهَا حِينَ أَدْلَجَا
خَرَجْتَ وَلَمْ يَمْنَنَّ عَلَيْكَ طَلَاقَةٌ سَوَى رَبِّهِ التَّقْرِيبِ مِنْ آلِ أَعْوَجَا^(١)
فَقَالَ ابْنُ هُبَيْرٍ : مَا رَأَيْتُ أَشْرَفَ مِنَ الْفَرَزْدَقِ ، هَجَانِي أَمِيرًا ، وَمَدَحَنِي أَسِيرًا .
قَوْلُهُ " حِينَ أَدْلَجَا " يُقَالُ " أَدْلَجْتُ " : إِذَا سَرْتَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ ، وَ " أَدْلَجْتُ " :
إِذَا سَرْتَ فِي السَّحَرِ ، قَالَ زُهَيْرٌ :

بَكْرَنَ بُكُورًا وَادْلَجَنَ بِسُحْرَةٍ فَهَنَّ لَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ^(٢)
وَ " أَعْوَجُ " فَرَسٌ كَانَ لِعَنِي ، وَقَالُوا : كَانَ لِبَنِي كِلَابٍ ، وَلَا يُنْكَرُ هَذَا ، لِأَنَّ
خَبِيَّةَ بِنْتَ رِيَّاحِ الْغَنَوِيَّةِ وَلَدَتْ بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، فَلَعَلَهُ أَنْ يَكُونَ صَارَ إِلَى بَنِي جَعْفَرِ
ابْنِ^(٣) كِلَابٍ مِنْ غَنِي .
وَالْعَرَبُ تَنْسُبُ الْخَيْلَ الْجَيَادَ إِلَى " أَعْوَدَ " وَإِلَى " الْوَجِيهِ " وَ " لَاحِقِ " وَالْغُرَابِ
وَ " الْيَحْمُومِ " وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْخَيْلَ مِنَ الْمُتَقَدِّمَاتِ ؛ قَالَ زَيْدُ الْخَيْلِ :
جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَا وَسَلَمَى تَخَبُّ نَزَائِعًا خَبَبَ الذَّنَابِ
جَلَبْنَا كُلَّ طَرْفٍ أَعْوَجِي وَسَلَهَمَةٍ كَخَافِيَةِ الْعُقَابِ^(٤)
ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى التَّشْبِيهِ الْمَصِيبِ . قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ فِي طَوْلِ اللَّيْلِ :

(١) الأبيات في الأغاني ٣١٥/٢١

(٢) البيت من الطويل ، وهو لزهير في ديوانه ١٠ ، ولسان العرب ٤ / ٣٥٠ (سحر) ٩٨/٦ (رسم) ،
٢٨٢٠ (عجس) . ط: دار المعارف والتنبيه والإيضاح ٢ / ٢٧٧ ، مجمل اللغة ٢ / ٣٥٧ ومقاييس
اللغة ٢ / ٣٧٣ ، وتاج العروس ٥ / ٥٧٠ (دلج) ١١ / ٥١٩ (سحر) ، ١٢٥ / ١٦ (رطس) ٢٣١ (عجس)
وله رواية :-

بكرن بكورا واستحرن بسحرة فهن لوادي الرس كاليد في الفم

(٣) في نسخة: لبني .

(٤) البيت من الوافر ، وهو لزيد بن مهلهل الطائي في ديوانه ٧٣ ، وتاج العروس ١ / ١٢٩ (أجا)
وله رواية أخرى:

جلبنا الخليل من أجاء وسلمى تخب نزائعا خيب الركاب

كَأَنَّ الثُّرَيَّا غُلِّقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسٍ كَثَانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ^(١)
 فهذا في ثبات الليل وإقامته . و " المَصَامُ " المَقَامُ ، وقيل لِلْمُنْسِيكِ عن الطعام " صائم " لثباته على ذلك ، ويقال : " صامَ النهارُ " : إذا قامت الشمسُ ، قال امرؤ القيس :

فَدَعَهَا وَسَلُّ اِهْمَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ^(٢) ذَمُولٍ^(٣) إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا^(٤)
 وقال النابغة :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلِكُ اللَّجْمَا^(٥)
 و " الأمراسُ " جمعُ " مَرَّاسٍ " وهو الحبلُ ، قال أبو زَيْدٍ^(٦) يرثي غلامه ويذكر تَعْرِضُهُ للحرب :

إِنَّمَا تَقَارَنَ بِكَ الرُّمَاحُ فَلَا أَبْكَيَكَ إِلَّا لِلذَّلْوِ وَالْمَرَسِ^(٧)

(١) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس من معلقته في ديوانه ١٩ ولسان العرب ١١/١٣٦ (حبل) ، ١٢/٣٥١ (صوم) ، وتهذيب اللغة ٥/٧٩ ، وتاج العروس (جدل) ، (صوم) . وله رواية أخرى : كَانَ نَحْمَا عُلِقَتْ فِي مَصَامِهِ .

(٢) الجسرة الناقة النشيطة ، والذمول التي تسير سير الذمول وهو سير سريع . عن الديوان . (٣) ذمول : من ذملت الناقة وكذلك البعير تذمل بالكسر والضم " ذملا وذميلا وذملنا سارت سريعاً لنا .

(٤) في رواية (فدع ذا) ، البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس في ديوانه ص ٦٣ ، ولسان العرب ٥/٢٥٥ (هجر) ١٢/٣٥١ (صوم) ، وتهذيب اللغة ١٢/٢٥٩ ، وأساس البلاغة (جسر) ، وتاج العروس ١٤/٤٠٢ (هجر) ، (صام) وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣/٣٢٣

(٥) البيت من البسيط ، وهو للنابغة الذبياني في ملحق ديوانه ص ٢٤٠ ولسان العرب ١٠/٤٧٠ (علك) ، ١٢/٣٥١ (صوم) وتهذيب اللغة ١/٣١٣ ، ١٢/٢٥٩ ، وجمهرة اللغة ص ٨٩٩ وكتاب العين ١/٢٠٢ ، ومقاييس اللغة ٣/٣٢٣ ، ٤/١٣٢ ، وبجمل اللغة ٣/٢٥١ ، والمخصص ١٣/٩ ، والمعاني الكبير ص ٩١٥ وله رواية أخرى :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَأُخْرَى تَعْلِكُ اللَّجْمَا

وتاج العروس (علك) ، (وصوم) ، وبلا نسبة في المخصص ٦/١٨٤ .

(٦) شعره ق ١٢/٣٥ ص ١١٢ .

(٧) في رواية (إما تقرش بك الصلاح فلا) البيت من المنسرح ، وهو لأبي زيد الطائي في ديوانه ص ١٠٥ ، ولسان العرب ٦/٣٣٤ (قرش) وجمهرة اللغة ص ٧٢١ ، ٧٣٢ ، وطبقات فحول الشعراء ص ٦١٠ ، والشعر والشعراء ص ٣٠٨ ، والكامل ص ٩٩٢ ، والأغاني ١٢/١٦٠

وقال في ثبات الليل :

فَيَاكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْقَتْلُ شَدَّتْ يَذْبُلُ^(١)
" الْمَغَارُ " : الشديذُ القتلِ ، يقالُ : " أَغْرَتُ الحَبْلَ " : إذا شددتَ قَتْلَهُ
و " يَذْبُلُ " جبُلٌ بعينه^(٢) .
وقال أيضاً :

كَأَنَّ أَبَانَا فِي أَفَانِينَ وَذَقِيهِ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ^(٣)
" أَبَانٌ " جَبَلٌ ، وهما أَبَانَان : أَبَانُ الْأَسْوَدُ ، وَأَبَانُ الْأَبْيَضِ^(٤) ، قال المَهْلَهُلُ ،
وكان نَزَلَ فِي آخِرِ حَرْبِهِمْ ، حَرْبِ الْبَسُوسِ ، فِي جَنْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُلَّةَ^(٥) بْنِ جَلْدِ بْنِ
مَالِكٍ ، وَهُوَ مَذْحِجٌ ، وَ " جَنْبٌ " حَيٌّ مِنْ أَحْيَائِهِمْ وَضَيْعٌ ، فَخَطَبَتْ ابْنَتُهُ مُهَرَّتٌ أَدَمًا ،
فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْامْتِنَاعِ ، فَزَوَّجَهَا^(٦) ، وقال :

(١) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس في ديوانه ص ١٩ ، وخزانة الأدب ٢ / ٤١٢ ، ٣ / ٢٦٩ ،
والدرر ٤ / ١٦٦ ، وشرح شواهد المغنى ٢ / ٥٤٧ ، وشرح عمدة الحفاظ ص ٣٠٣ ، والمقاصد النحوية
٤ / ٢٦٩ ، وتاج العروس (ذبل) ، وبلا نسبة في رصف المباني ص ٢٢٠ وشرح الأشموني ٢ / ٢٩١ ،
ومغنى اللبيب ١ / ٢١٥ ، وهمع الهوامع ٢ / ٣٢
(٢) في طريق نجد . انظر معجم البلدان ٥ / ٤٣٣ .

(٣) في رواية (كأن ثبيراً في عرائن وبله) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس في ديوانه ص ٢٥ ،
وتذكرة النحاة ص ٣٠٨ ، ٣٤٦ ، وخزانة الأدب ٥ / ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ٩ / ٣٧ ، وشرح
شواهد المغنى ٢ / ٨٨٣ ، ولسان العرب ١٠ / ٢٥ (عقق) ١١ / ٣١١ (زمل) ، ١٢ / ١٧٧ (خزم) ، ١٣ / ٦
(أبن) ، ومغنى اللبيب ٢ / ٥١٥ وتاج العروس (خزم) ، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر
٢ / ١٠ والمحتسب ٢ / ١٣٥ .

(٤) انظر معجم البلدان ١ / ٦٢ .

(٥) كذا ، والصواب : " في جنب بن يزيد بن حرب بن علة " . وجنب اسم يقال لمنبه والحارث والغلى
وسنحان وهفان وشمران أبناء يزيد بن حرب . انظر جمهرة أنساب العرب ٤١٣ .

(٦) زوجها هو معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن منبه بن يزيد بن حرب بن علة . انظر
جمهرة أنساب العرب ٤١٣ .

أُنْكَحَهَا فَقَدَّهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ وَكَانَ الْحَبَاءُ مِنْ أَدَمَ^(١)

لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا ضُرَجَ مَا أَنْفُ خَاطِبِ بَدَمَ^(٢)

وقوله " في أَفَانَيْنِ وَذَقِي " يريد : ضُرُوبًا مِنْ وَدَقِهِ ، و " الْوَذَقُ " الْمَطَرُ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَتَرَى الْوَذَقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾^(٣) .

وَقَالَ عَامِرُ بْنُ جُوَيْنٍ الطَّائِيُّ :

فَلَا مُزْنَةَ وَذَقْتَ وَذَقَهَا وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِنْقَالَهَا^(٤)

وقوله : كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ^(٥)

(١) الحباء في الأصل : العطاء ، أَرَادَ بِهِ الْمَهْرَ . عَنْ رَغَبَةِ الْآمِلِ ٢٣٥/٦ .

(٢) البيتَانِ مِنَ الْمُنْسَرَحِ ، وَهُمَا لِلْمَهْلِكِ فِي دِيَوَانِهِ ص ١٧٩ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ ١٣/٥ (أَبْنِ) ، وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ ١/٢٨٣ ، (جَنْبِ) ، ١٢/٢٥٠ (رَقْمِ) ١٦٣/١٤ (حَبَا) ، وَتَهْذِيبُ اللُّغَةِ ٥/٢٦٦ ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ ٢/١٩٧ (جَنْبِ) ، (رَقْمِ) حَبَا / (مَا) وَرَوَايَةُ صَدْرِهِ : " زَوْجَهَا فَقَدَّهَا . " وَالْبَيْتُ الثَّانِي لَهُ فِي شُعْرَاءِ النَّصْرَانِيَّةِ ص ١٧٩ وَالْأَغَانِي ٥/٤٣ ، وَالْدَّرَرُ ٦/٢٥٤ ، وَشَرْحُ شَوَاهِدِ الْمَغْنَى ٢/٧٢٤ ، ٧٢٥ ، وَالشَّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ١/٣٠٥ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ ٢/٣١٣ (ضَرْجِ) ، وَمَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١/٦٤ (أَبَانَانِ) وَمَغْنَى اللَّيْبِ ١/٣١٢ ، وَلَعُصْمُ بْنُ النُّعْمَانِ فِي مَعْجَمِ الشُّعْرَاءِ ص ٢٧٥ ، وَبَلَا نِسْبَةٍ فِي جُمُوهَرَةِ اللُّغَةِ ص ١٠٢٨ ، وَسِرُّ صِنَاعَةِ الْإِعْرَابِ ٢/٤٦٢ ، وَشَرْحُ الْمَفْصَلِ ١/٤٦ وَهَمْعُ الْهَوَامِعِ ٢/١٥٨ .

(٣) سُورَةُ النُّورِ ٤٣ وَسُورَةُ الرُّومِ ٤٨ .

(٤) الْبَيْتُ مِنَ الْمُتَقَارِبِ ، وَهُوَ لِعَامِرِ بْنِ جُوَيْنٍ فِي تَخْلِيصِ الشُّوَاهِدِ ص ٤٨٣ ، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ١/٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، وَالْدَّرَرُ ٦/٢٦٨ ، وَشَرْحُ التَّصْرِيحِ ١/٢٧٨ ، وَشَرْحُ شَوَاهِدِ الْإِيضَاحِ ص ٣٣٩ ، ٤٦٠ ، وَشَرْحُ شَوَاهِدِ الْمَغْنَى ٢/٩٤٣ ، وَالْكِتَابُ ٢/٤٦ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ ٧/١١١ (أَرْضِ) ، ١١/٦٠ (بَقْلِ) ، وَالْمَقَاصِدُ النَّحْوِيَّةُ ٢/٤٦٤ ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (وَدَقِ) ، (بَقْلِ) ، وَبَلَا نِسْبَةٍ فِي أَمَالِي ابْنِ الْحَاجِبِ ١/٣٥٢ ، وَأَوْضَحُ الْمَسَالِكِ ٢/١٠٨ ، وَجَوَاهِرُ الْأَدَبِ ص ١١٣ ، وَالْخَصَائِصُ ٢/٤١١ ، وَشَرْحُ الْأَشْمُونِيِّ ١/١٧٤ ، وَالرَّدُّ عَلَى النَّحَاةِ ص ٩١ ، وَرِصْفُ الْمِبَانِي ص ١٦٦ ، وَشَرْحُ أَيْيَاتِ سَيِّبُوهِ ١/٥٥٧ ، وَشَرْحُ ابْنِ عَقِيلٍ ص ٢٤٤ ، وَشَرْحُ الْمَفْصَلِ ٥/٩٤ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ ١/٣٥٧ (خَضْبِ) ، وَالْمُحْتَسِبُ ٢/١١٢ ، وَمَغْنَى اللَّيْبِ ٢/٥٦ ، وَالْمُقَرَّبُ ١/٣٠٣ ، وَهَمْعُ الْهَوَامِعِ ٢/١٧١ (٥) عَجَزَ الْبَيْتُ :-

كَانَ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبَلَهُ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ

الْبَيْتُ مِنَ الطُّوِيلِ ، وَهُوَ لِامْرِئِ الْقَيْسِ فِي دِيَوَانِهِ ٢٥ ، وَتَذَكُّرَةُ النَّحَاةِ ٨٠٣ ، ٣٤٦ ، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ٥/٩٩ ، ٩٨ ، ١٠٠/١٠٢/٩/٣٧ وَشَرْحُ شَوَاهِدِ الْمَغْنَى ٢/٨٨٣ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ ١٠/٢٢٥ (عَقَقِ) ١١/٣١١ (زَمَلِ) ، ١٢/١٧٧ (خَزَمِ) ، ١٣/٦ (أَبْنِ) ، وَمَغْنَى اللَّيْبِ ٢/٥١٥ ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (خَزَمِ) ، وَبَلَا نِسْبَةٍ فِي الْأَشْبَاهِ وَالنِّظَائِرِ ٢/١٠ ، وَالْمُحْتَسِبُ ٢/١٣٥ .

يريدُ : مُزْمَلًا بثيابه ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(١) ، وهو " الْمُتَزَمِّلُ " بثيابه ، والتاء مدغمة في الزاي . وإنما وَصَفَ امرؤ القيس الغيث ، فقال قومٌ : أراد أنَّ المطر قد خَنَقَ الجبلَ فصار له كاللباس على الشيخ المتزَّمِّل ، وقال آخرون : إنما أراد ما كَسَاهُ المطرُ من خضرة النَّبْتِ . وكلاهما حسنٌ ، وذكرَ الرَّدَقُ لأنَّ تلك الخضرة من عمله .

وقال الراجزُ يصفُ غيمًا :

أَقْبَلَ فِي الْمُسْتَنْ مِنْ رَبَابِهِ أَسْنِمَةَ الْإِبَالِ فِي سَحَابِهِ

أراد أنَّ ذلك السحابَ يُنْبِتُ ما تأكله الإبل ، فيصيرُ شحومًا في أسنمتها .

و " الرَّبَابُ " : سحابٌ دُوْنِ المعظم من السحاب ، قال المازني ^(٢) :

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُوْنِ السَّحَابِ نَعَامٌ يَغْلِقُ بِالْأَرْجُلِ ^(٣)

وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ ^(٤) أي أعصر عنبًا فيصيرُ إلى هذه الحال . وقال زُهَيْرٌ :

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحْطَمْ ^(٥)

" الْفَنَاءُ " : شجرٌ بعينه ، يُثْمِرُ ثمرًا أحمرَ ، ويتفرَّقُ في هيئة النَّبَقِ الصَّغَارِ . فهذا من

أحسن التشبيه ، وإنما وصفَ ما يسقطُ من أغصانِهِ إِذَا نَزَلْنَ . و " الْعِهْنُ " : الصُّوفُ

(١) سورة المزمل : ١-٢ .

(٢) هو زهير بن عروة بن جلهمة الملقب بالسُّكْبِ .

وبهامش نسخة ما نصه : قبله :

إذا الله لم يسق إلا الكرام فأسقى وجوه بني حنظل
أحبش ملثًا غزير السحاب هزيم الصلاصل والأزمل

ويروى لعبد الرحمن بن حسان " اهـ .

(٣) البيت من المقارِب ، وهو لعبد الرحمن بن حسان ، أو لعروة بن جلهمة المازني في تاج العروس

٢ / ٤٧٢ (رب) ، ولسان العرب ١ / ٤٠٢ (رب) ، والتنبيه والإيضاح ١ / ٨٠ . والبيت من أبيات

لعروة في الأغاني ٢٢ / ٢٧٠-٢٧١ ، ومخط اللآلي ٤٤١ . وسيأتى البيت

(٤) سورة يوسف : ٣٦ .

(٥) البيت من الطويل ، وهو لزهير بن أبي سلمى من معلقته في ديوانه ١٢ ولسان العرب ٢ / ١٦٥

(فتت) ، ١٥ / ١٦٥ (فتى) ، والمقاصد النحوية ٣ / ١٩٤ ، وبلا نسبة في شرح الأشموني

١ / ٢٥٩ .

هذا قول أكثر أهل اللغة ، وأما الأصمعيُّ فقال : كلُّ صوفٍ عهنٌ . وكذلك قال أهلُ اللغة : الحَتَمُ : الخَزَفُ الأخضرُ ، وقال الأصمعيُّ : كلُّ خَزَفٍ حَتَمٌ ، وأنشد :
مَنْ مُبْلِغُ الْحَسَنَاءِ أَنْ حَلِيلَهَا بِمَيْسَانَ يُسْقَى فِي زُجَاجٍ وَحَتَمٍ^(١)
 وقال جريرٌ :

ما في مقامِ ديارِ تَغْلِبَ مَسْجِدٌ وبها كنائسُ حَتَمٍ وِدْنانٍ^(٢)

قال أبو العباس : والتشبيهُ جارٍ كثيرٌ في الكلام ، أعني كلامَ العربِ ، حتى لو قال قائلٌ : هو أكثرُ كلامِهِمْ لم يُعَيِّدْ .
 قال الله عزَّ وجلَّ وله المثلُ الأعلى : ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾^(٣) ، وقال : ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾^(٤) . وقد اعترضَ معترضٌ من الجهلةِ المُلْحِدينِ في هذه الآية : فقال : إنما يُمَثَّلُ الغائبُ بالحاضرِ ، ورؤُوسُ الشَّيَاطِينِ لم نَرَهَا ، فكيف يَقَعُ التمثيلُ ؟ فهؤلاء في هذا القول كما قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾^(٥) . وهذه الآية قد جاء تفسيرُها على ضربين : أحدهما أنَّ شَجَرًا يقال له " الأَسْتَنْ " منكَرُ الصورةِ يقالُ لثمره " رؤُوسُ الشَّيَاطِينِ " وهو الذي ذكره النابغة في قوله :

تَحِيدُ مِنْ أَسْتَنْ سُدُودٍ أَسَافِلُهُ^(٦)

(١) البيت من الطويل ، وهو للنعمان بن نضلة العدوي في لسان العرب ١٣٦/١٤ (جذا) ، وللنعمان ابن عدى في لسان العرب ١٦١/١٢ (حتتم) ، وتاج العروس (حتتم) ، وبلا نسبة في لسان العرب ١٠٧/١٠ (دهق) .
 وله رواية أخرى :

ألا أبلغا الحسناء أن حليلها بميسان ، يسقى من زجاج وحتتم

(٢) البيت في شرح ديوان جرير ص ٤٣٧ .

(٣) سورة النور : ٣٥ .

(٤) سورة الصافات : ٦٥ .

(٥) سورة يونس : ٣٩ .

(٦) البيت من البسيط ، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ٦٥ ، ولسان العرب ٢٠٣/١٣ (سن) ، ٢٦٥/١٤ (دلا) ، ومقاييس اللغة ٣/١٣٣ ، ومجمل اللغة ٣/١١٨ ، وتاج العروس (ستن) ، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٣٩٩ .
 وله رواية أخرى :

تحيد عن أستن سود أسافله مثل الإماء الغوادي تحمل الحزما

وزعم الأصمعي أن هذا الشجر يسمى " الصَّوْمُ " . والقول الآخر - وهو الذي يسبق إلى القلب - أن الله جلّ ذكره شنع صورة الشياطين في قلوب العباد ، فكان ذلك أبلغ من المعاينة ، ثم مثل هذه الشجرة بما تنفر منه كل نفس .

قال أبو العباس : وحُدثت في إسناده متصل أن أبا النجم العجلي أنشد هشامًا :
والشمس قد صارت كعين الأخول^(١)

لما ذهب به الروي عن الفكر في عين هشام ، فأغضبه ، فأمر به فطرد فأمل أبو النجم رجعتُه ، فكان يأوي المسجد . فأرق هشام ذات ليلة ، فقال لحاجبه ، أبغني رجلاً عربياً فصيحاً يحادثني ويُشيدني ، فطلب له ما طلب فرقف على أبي النجم ، فأتى ، فلما دُخل به إليه قال : أين تكون منذ أقصيناك ؟ قال : بحيث ألفتني رُسُلكَ ، قال : فمن كان أبا مثواك ؟ قال : رجلين : كلياً وتغلياً أتغدى عند أحدهما ، وأتعشى عند الآخر ، فقال له : مالك من الولد ؟ قال : ابنتان ، قال : أزوجتهما ؟ قال : زوجت إحداهما ، قال : فبم أوصيتها ؟ قال : قلت لها ليلة أهديتها :

سُبي الحماة وابهتي عليها وإن أبت فازدلي إليها
ثم أفرعي بالود مرفقيها وجددي الحلف به عليها
لا تخبري الدهر بذاك ابنيها^(٢)

قال : أفأوصيتها بغير هذا ؟ قال : نعم ، قلت :
أوصيت من برّة قلباً حراً بالكلب خيراً والحماة شراً
لا تسأمني نهكاً لها وضراً والحسي غمّيهم بشر طراً
وإن كسوك ذهباً وذراً حتى يروا حلو الحياة مُراً^(٣)

(١) من لاميته في الطرائف الأدبية ٦٩ . وروايته

فهى على الأفق كعين الأخول .

(٢) الرجز لأبى النجم فى لسان العرب ٢ / ١٢ (بهت) ، ١٣ / ٤٨٨ (درة) ، وتاج العروس ٤ / ٤٥٥ (بهت) ، وديوان الأدب ٢ / ١٩٢ ، وبلا نسبة فى لسان العرب ١٤ / ١٩٨ (حما) وتاج العروس (حما)

وله رواية :-

وسى الحماة وابهتي عليها ثم اضربى بالود مرفقيها

(٣) الأبيات فى الأغاني ١٠ / ١٩٢ وهى لأبى النجم العجلي

قال هشام : ما هكذا أوصى يعقوب ولده ، قال أبو النجم : ولا أنا كييعقوب ،
ولا بني كولدِه !! قال : فما حال الأخرى ؟ قال : قد درجت بين بيوت الحي وتنفعا في
الرسالة والحاجة ، قال : فما قلت فيها ؟ قال : قلت :

كَأَنَّ ظَلَامَةَ أُخْتِ شَيْبَانَ يَتِيمَةً وَوَالِدَاهَا حَيَّانَ
الرَّأْسُ قَمَلٌ كُلُّهُ وَصَبَّانَ وليس في الرَّجْلَيْنِ إِلَّا خَيْطَانُ
فهى التي يُذْعَرُ منها الشيطان^(١)

قال : فقال هشام : يا غلام ، ما فعلت الدنانير المختومة التي أمرتك بقبضها ؟
قال : ها هي عندي ، ووزنُها خمس مائة ، قال فاذفعها إلى أبي النجم ليجعلها في رجلي
ظلامَة مكان الخيطين .

أفلا تراه^(٢) قال : " فهى التي يُذْعَرُ منها الشيطان " وإن لم يره ، ولما قرّر في
القلوب من نكارتِه وشناعته . وقال آخر :

وفي البقل إن لم يذفع الله شره شياطين ينزوا بفضهن على بعض

وزعم أهل اللغة أن كل متمرّد من جن أو إنس أو سبي أو حيّة يقال له
" شيطان " ، وأن قولهم " تشيطان " إنما معناه : تحبّ وتتكبر ، وقد قال الله جلّ وعزّ :
﴿ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾^(٣) ، وقال الراجز :

أَبْصَرْتُهَا تَلْتَهُمُ الثُّغْبَانَا شَيْطَانَةٌ تَزَوَّجَتْ شَيْطَانَا

وقال امرؤ القيس :

أَيُّوعِدْنِي وَالْمُشْرِفِي مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةَ زُرْقٍ كَأَيَّابِ أَغْوَالِ^(٤)

و " الغول " لم يُخبر صادق قط أنه رآها .

ثم نرجع إلى تفسير شعر أبي النجم :

قوله : سبي الحماة وابهتي عليها

إنما يريد : ابهتيها ، فوضع " ابهتي " في موضع " اكذبي " فمن ثم وصلها : بـ " على "

(١) البيتان لأبي النجم العجلي في الأغاني ١٠ / ١٩٣

(٢) كتب تحته في الأصل : " من كلام المؤلف " .

(٣) سورة الأنعام : ١١٢ .

(٤) البيت في ديوان امرئ القيس ١٢٥ .

والذي يُسْتَعْمَلُ في صِلَةِ الفعل اللام ، لأنها لامُ الإضافة ، تقول: "لِزَيْدٍ ضَرَبْتُ" و "لعمرو أكرمتُ" وإنما تقديره: إكرامي لعمرو ، وضربي لزيد ، فأَجْرِي الفعلُ مَجْرَى المصدر . وأحسنُ ما يكون ذلك إذا تقدَّم المفعولُ ، لأن الفعلَ إنما يجيء وقد عَمِلَتِ اللامُ ، كما قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(١) وإنْ أَخْرَجَ المفعولُ فهو عَرَبِيٌّ حسنٌ . والقرآنُ محيِّطٌ بجميع اللغاتِ الفصيحةِ ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَأَمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢) والنحويون يقولون في قوله جلَّ ثناؤه: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾^(٣) إنما هو: رَدِفَكُمْ . وقال كثيرٌ :

أَرِيدُ أَنْ نَسِيَ ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تُمَثِّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ^(٤)

وحروفُ الخفضِ يُبدَلُ بعضها من بعض ، إذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضع ، قال الله جلَّ ذكره: ﴿وَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جَذُوعِ النَّخْلِ﴾^(٥) أي " عَلَى " ، ولكنَّ الجذوعَ إذا أحاطتْ دخلتْ " في " لأنها للوعاء ، يقال : " فلانٌ في النَّخْلِ " أي قد أحاطَ به ؛ قال الشاعر^(٦) :

هُمُ صَلَبُوا الْعَبْدِيَّ فِي جَذَعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا

(١) سورة يوسف : ٤٣ .

(٢) سورة الزمر : ١٢ .

(٣) سورة النمل : ٧٢ .

(٤) البيت من الطويل ، وهو لكثير عزة في ديوانه ١٠٨ ، والأغاني ٤ / ٢٦٧ ، ٢٦٨
٢٦٩ ، ٣٣٦ / ٣٣٥ / ٩ ، وأمالى القالى ٢ / ٦٣ ، وخزانة الأدب ١٠ / ٣٢٩ ، وشرح ديوان الحماسة
للمرزوقي ١٢٣٧ ، وشرح شواهد المغنى ١ / ٦٥ ، ٢ / ٥٨٠ ، ولسان العرب ٣ / ١١٨ (رود) ، والمقاصد
النحوية ٢ / ٢٤٩ ، ٣ / ٤٠٣ ، وبلا نسبة في الجنى الدانى ١٢ ، ورصف المباني ٢٤٦ ، واللامات
١٣٨ ، والمحتسب ٢ / ٣٢ ، ومغنى اللبيب ١ / ٢١٦ .

(٥) سورة طه : ٧١ .

(٦) هو سويد بن أبي كاهل اليشكري . والبيت من كلمة له في منتهى الطلب كما ذكر البغدادى
في شرح أبيات مغنى اللبيب ٤ / ٦٢-٦٥ . ونسب لقراد بن حنش الصاردى في الحماسة البصرية
٨٠ / ١ . وانظر أدب الكاتب ٥٠٦ وهو من شواهد المقتضب ٢ / ٣١٩ .

وقال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ ﴾^(١) أي " عليه " وقال تبارك وتعالى : ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾^(٢) ، أي : بأمر الله . وقال ابن الطَّثَرِيَّةِ :

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ تَنْفُضُ الطَّلَّ بَعْدَمَا رَأَتْ حَاجِبَ الشَّمْسِ اسْتَوَى فَتَرَفَعَا
وقال الآخرُ :

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَّ خِمْسُهَا تَصِلُ وَعَنْ قَيْضٍ بَزِيْزٍ مَجْهَلٍ^(٣)
أي : من عنده . وقال العامريُّ^(٤) :

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قَشِيرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجِزِي رِضَاهَا

(١) سورة الطور : ٣٨ .

(٢) سورة الرعد : ١١ .

(٣) البيت من الطويل ، وهو لمزاحم العقيلي في ديوانه ١١ ، وأدب الكاتب ٥٠٤ ، والأزهية ١٩٤ ، وخزانة الأدب ١٠ / ١٤٧ ، ١٥٠ ، والدرر ٤ / ١٨٧ ، وشرح التصريح ٢ / ١٩ ، وشرح شواهد الإيضاح ٢٣٠ ، وشرح شواهد المغنى ١ / ٤٢٥ ، وشرح المفصل ٨ / ٨٣ ، ولسان العرب ١١ / ٣٨٣ (صلل) ، ١٥ / ٨٨ (علا) ، والمقاصد النحوية ٣ / ١٠٣ ونوادر أبي زيد ١٦٣ ، وتاج العروس (صلل) ، (علا) ، وبلا نسبة في أسرار العربية ١٠٣ ، والأشباه والنظائر ٣ / ١٢ ، وأوضح المسالك ٣ / ٥٨ ، وجمهرة اللغة ١٣١٤ ، والجنى الدانى ٤٧٠ ، وجواهر الأدب ٣٧٥ ، وخزانة الأدب ٦ / ٥٣٥ ، ورصف المباني ٣٧١ ، وشرح الأشموني ٢ / ٢٩٦ ، وشرح ابن عقيل ٦٧ ، والكتاب ٤ / ٢٣١ ، ومجالس ثعلب ٣٠٤ ، ومغنى اللبيب ١ / ١٤٦ ، ٢ / ٥٣٢ ، والمقتضب ٣ / ٥٣ ، والمقرب ١ / ١٩٦ ، وجمع الهوامع ٢ / ٣٦ وله رواية أخرى :-

غدت من عليه بعد ما تم خمسها تصل وعن قيس بيداء مجهل

(٤) بهامش نسخة مانصه : " هو القحيف العقيلي . وزاد أبو زيد بعده .

ولا تنبو سيوف بني قشير ولا تمضى الأسنة في صفاها " اهـ .

انظر النوادر ١٧٦ ، والمقتضب ٢ / ٣٢٠ ، والخزانة ٤ / ٢٤٧ . وسلف البيت ص ٧٢٢ .

وهذا كثيرٌ جدا .

وقوله : **وَإِنْ أَبَتْ فَازْدَلْفِي إِلَيْهَا**

يقول : **تَقَرَّبِي ، وَمِنْ ذَا سُمِّيَتْ " الْمَزْدَلْفَةُ "** . قال العجاج^(١) :

نَاجٍ طَوَاهُ الْأَيْنُ مِمَّا وَجَفَا طَيِّئِ اللَّيَالِي زُلْفًا فَرُلْفَا^(٢)

سَمَاوَةَ الْهَلَالِ حَتَّى احْقَوْقَفَا

يقال : **" زُلْفَةٌ " و " زُلْفٌ " كقولك " غُرْفَةٌ " و " غُرْفٌ " .**

وقوله : **بِالْكَلْبِ خَيْرًا وَالْحَمَامَةِ شَرًّا^(٣)**

كَلَامٌ مَعِيبٌ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ ، وَبَعْضُهُمْ لَا يُجِيزُهُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ عَطَفَ عَلَى عَامِلَيْنِ : عَلَى الْبَاءِ وَعَلَى الْفِعْلِ ، وَمَنْ قَالَ هَذَا قَالَ : ضَرَبْتُ زَيْدًا فِي الدَّارِ وَالْحُجْرَةِ عَمْرًا . وَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ يَرَاهُ^(٤) ، وَيَقْرَأُ ﴿ وَاختِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ ﴾^(٥) فَعَطَفَ عَلَى " إِنَّ " وَعَلَى " فِي " . وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ^(٦) :

أَكُلُّ أَمْرِئٍ تَحْسَبِينَ أَمْرًا وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارًا^(٧)

(١) سلفت الأبيات .

(٢) الرجز للعجاج في ديوانه ٢/ ٢٣٢ ، ولسان العرب ٩/ ٥٢ (حقف) ، ١٣٨ (زلف) ، ٣٥٢ (وجف) ، ١٤/ ٤٠٠ (سما) ، وشرح أبيات سيويه ١/ ٣١٩ ، والكتاب ١/ ٣٥٩ ، وتهذيب اللغة ١٣/ ٢١٤ ، وديوان الأدب ٢/ ٤٩٢ ، وتاج العروس ٢٣/ ١٥٧ (حقف) ، ٤٠٠ (زلف) ٢٤/ ٤٤٧ (وجف) ، (سما) ومجمل اللغة ٢/ ٩٣ ، وكتاب العين ٧/ ٣١٩ ، وأساس البلاغة (حقف) ، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٥٥٣ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٩٠ والمخصص ١٠/ ١٣٧ ، وديوان الأدب ٤/ ٤٩ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٦٨ ، ١٣/ ١١٦ .

(٣) البيت سبق تخريجه .

(٤) بهامش نسخة : "يجيزه" .

(٥) سورة الجاثية : ٥ : وقد سلف تخريج القراءة .

(٦) سلف البيت . وانظر ما علقناه على نسبته ثمة .

(٧) البيت من المتقارب ، وهو لأبي دؤاد في ديوانه ٣٥٣ ، والأصمعيات ١٩١ وأمالى ابن الحاجب ١/ ١٣٤ ، ٢٩٧ ، وخزانة الأدب ٩/ ٥٩٢ ، ١٠/ ٤٨١ ، والدرر ٥/ ٣٩ ، وشرح التصريح ٢/ ٥٦ ، وشرح شواهد الإيضاح ٢٩٩ ، وشرح شواهد المغنى ٢/ ٧٠٠ ، وشرح عمدة الحافظ ٥٠٠ ، وشرح المفصل ٣/ ٢٦ ، والكتاب ١/ ٦٦ ، والمقاصد النحوية ٣/ ٤٤٥ ، ولعدى بن زيد في ملحق ديوانه ١٩٩ ، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٨/ ٤٩ ، والإنصاف ٢/ ٤٧٣ ، وأوضح المسالك ٣/ ١٦٩ وخزانة الأدب ٤/ ٤١٧ ، ٧/ ١٨٠ ، وورصف المباني ٣٤٨ ، وشرح الأشموني ٢/ ٣٢٥ ، وشرح

فَعَطَفَ عَلَى " كَلَّ " وَعَلَى الْفَعْلِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ غَذَّتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَّ خِمْسُهَا^(١)

فَ " الْخِمْسُ " : ظِمَّةٌ مِنْ أَظْمَائِهَا ، وَهُوَ أَنْ تَرَدَّ ثُمَّ تَغْبُ ثَلَاثًا^(٢) ثُمَّ تَرَدَّ ، فَيَعْتَدُّ يَوْمِي وَرِدَّهَا مَعَ ظِمَّتِهَا ، فَيَقَالُ " خِمْسٌ " ، وَ " الرَّبْعُ " كَحُمَّى الرَّبْعِ . وَقَوْلُهُ " تَصِلُ " أَي : تَسْمَعُ لِأَجْوَاهِهَا صَلِيلًا مِنْ يُنْسِ الْعَطَشِ ، يَقَالُ : الْمَسْمَارُ " يَصِلُ " فِي الْبَابِ : إِذَا أَكْرَهَ فِيهِ ، قَالَ جَرِيرٌ^(٣) يَخَاطَبُ الزُّبَيْرَ بَمَرِئِيَّتِهِ فِي هِجَائِهِ الْفَرَزْدَقُ :

لَوْ كُنْتُ حِينَ غُرِرْتَ بَيْنَ بُيُوتِنَا لَسَمِعْتَ مِنْ وَقَعِ الْحَدِيدِ صَلِيلًا^(٤)

وَيَقَالُ لِلْحِمَارِ : " الْمُصْلَصِلُ " : إِذَا أَخْرَجَ صَوْتَهُ مِنْ جَوْفِهِ حَادًّا ، قَالَ الْأَعَشَى^(٥) :

عَنْتَرِيسْ تَعْدُو إِذَا حُرِّكَ السَّوْ طُ كَعْدُو الْمُصْلَصِلِ الْجَوَالِ^(٦)

وَقَالَ الْمَفْسُرُونَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾^(٧) قَالُوا : هُوَ الطِّينُ الَّذِي قَدْ جَفَّ ، فَإِذَا قَرَعَهُ شَيْءٌ كَانَ لَهُ صَلِيلٌ ، وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ عِنْدَ الْعَرَبِ التَّقْنُ^(٨) الَّذِي يَذْهَبُ عَنْهُ الْمَاءُ فِي الْغَدْرَانِ فَيَتَشَقَّقُ ثُمَّ يَنْبَسُ .

وَ " الْقَيْضُ " : قَشْرُ الْبَيْضَةِ الْأَعْلَى ، وَالَّذِي يَلْبَسُ الْبَيْضَةَ فَيَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ قَشْرِهَا الْأَعْلَى يَقَالُ لَهُ " الْغِرْقِيُّ " يَقَالُ : ثَوْبٌ كَأَنَّهُ غِرْقِيُّ الْبَيْضَةِ .

ابن عقيل ٣٩٩ ، وشرح المفصل ٣ / ٧٩ ، ١٤٢ ، ٨ / ٥٢ ، ٩ / ١٠٥ ، والمختضب ١ / ٢٨١ ، ومغنى اللبيب ١ / ٢٩٠ ، والمقرب ١ / ٢٣٧ ، وجمع الهوامع ٢ / ٥٢ .

(١) البيت سبق تخريجه .

(٢) انظر ما سلف .

(٣) ديوانه ق ١٩ / ٦ ج ١٩ / ١ .

(٤) البيت في شرح ديوان جرير ص ٣٤٢ .

(٥) ديوانه ق ٢٧ / ١ ص ٤٣ . والعنتريس الناقة الصلبة الشديدة .

(٦) البيت من الخفيف ، وهو للأعشى في ديوانه ٥٧ ، ولسان العرب ١١ / ٣٨١ (صلل) ، وتاج العروس (صلل) . وله رواية أخرى :-

عنتريس تعدو ، إذ مسها الصو ت كعدو المصلصل الجوال

(٧) سورة الحجر : ٢٦ و ٢٨ و ٣٣ . وانظر مجاز القرآن ١ / ٣٥٠ تفسير غريب القرآن ٢٣٧ -

٢٣٨ ، وتفسير ابن كثير ٤ / ٤٥١ ، والقرطبي ١٠ / ٢١ .

(٨) التقن اسم للطين الذي يذهب عنه الماء .

و " الرِّزَاءُ " ما ارتفع من الأرض ، وهو ممدودٌ منصرفٌ في المعرفة والتكررة ، إذا كان لمذكر ، كالإلباء والحرباء ، وسنذكر هذا في غير هذا الموضع مُفسِّراً إن شاء الله ، على أَنَّا قد استقصيناهُ في الكتاب المُقتَضَبُ (١) .

و " المَجْهَلُ " : الصحراءُ التي يُجْهَلُ فيها ، ولا يُهْتَدَى لِسَبِيلِهَا .
ويقال للشيء إذا غَبَّ فتغيرت رائحته : " صَلَّ " و " أَصَلَ " فهو " صالٌ " و " مُصِلٌ " ، ويقال " تَنَنَ " و " أَتَنَنَ " ، ويقال " حَمَّ " و " أَحَمَّ " ، وذلك إذا كان مستوراً حتى يَفْسُدَ . ويقال إذا عَتَقَ اللحمُ فتغير : " خَنَزَ " و " خَزَنَ " . وبيت طَرْفَةَ أحسن ما يُنْشَدُ :

ثَم لا يَخْنَزُ فِينَا لَحْمُهَا إِنَّمَا يَخْنَزُ لَحْمُ الْمُدْخِرِ (٢)

ويقال لرب البيت وَرَبُّ البيت اللذين ينزلُ بهما الضيفُ " هي أُمُّ مَثْوَاهُ " و " هو أَبُو مَثْوَاهُ " ، وأنشد أبو عبيدة :

مِنْ أُمِّ مَثْوَى كَرِيمٍ قَدْ نَزَلْتُ بِهَا إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى عِلَاتِهِ يَسَعُ

وفي كتاب الله جلَّ وعزَّ : ﴿ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ ﴾ (٣) معناه عند العرب : إضافته .
ومن التشبيه المُطَرَّد على أَلْسِنَةِ العرب ما ذكروا في سَيْرِ الناقَةِ وحركة قوائمها ، قال الراجز :

كَأَنَّهَا لَيْلَةٌ غِيبٌ الْأَزْرَقُ وَقَدْ مَدَدْنَا بِأَعْهَاا لِلسُّوْقِ

خَرَقَاءُ بَيْنَ السُّلَمَيْنِ تَرْتَقِي

قوله " لَيْلَةٌ غِيبٌ الْأَزْرَقِ " فَإِنَّمَا يعني موضعاً ، وأَحْسِبُهُ ماءً (٤) ، لأنَّهُم يقولون :

(١) انظر المقتضب ٢/٢٦٨ و ٣/٣٨٦ . وانظر الكتاب ٢/١٠ ، والمخصص ١٦/٦٣-٦٧ .

(٢) البيت من الرمل ، وهو لطرفة في ديوانه ٥٦ ، ولسان العرب ١٣/١٤٠ (خزن) ، وجمهرة اللغة ٥٩٦ ، ومقاييس اللغة ٢/١٧٩ ، ومجمل اللغة ٢/١٨٣ وتاج العروس (خزن) ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٧/٢٠٩ ، وجمهرة اللغة ١٢٥٥ وكتاب العين ٤/٢٠٩ ، والمخصص ٤/١٣١ ، وأساس البلاغة (خزن) وله رواية أخرى :

ثَم لا يَخْنَزُ فِينَا لَحْمُهَا إِنَّمَا يَخْنَزُ لَحْمُ الْمُدْخِرِ

(٣) سورة يوسف : ٢١ .

(٤) وهو في طريق حاج الشام دون تيماء . انظر معجم البلدان ١/١٦٨ .

" نُطْفَةُ زَرْقَاءَ " وهي الصافية ، قال زهير :

فَلَمَّا وَرَدْنَا الْمَاءَ زُرْقًا جِئْنَا
وَضَعْنَا عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ ^(١)

وقال الآخر :

فَأَلْقَتْ عَصَا التَّسْيَارِ عَنْهَا وَخَيَّمَتْ
بَارْجَاءَ عَذْبِ الْمَاءِ زُرْقٍ مَحَافِرُهُ ^(٢)

وقوله : وقد مَدَدْنَا بِاعِهَا لِلسُّوقِ

يقول : استفرغنا ما عندها في السَّير ، يقال : " تَبَوَّعْتُ " و " اُنْبَاعْتُ " : إذا

مَدَّتْ بِاعَهَا .

وقوله : خَرَقَاءَ بَيْنَ السُّلَمَيْنِ تَرْتَقِي

يقول : لكثرة حركة الخرقاء وقلة حذقها بالصعود .

وقال الآخر :

كَأَنَّهَا نَائِحَةٌ تَفْجَّعُ
تَبْكِي لِشَجْوٍ وَسِوَاهَا الْمَوْجَعُ ^(٣)

وقال الشَّماخُ :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا مُدْلَةٍ
بُعِيدَ السَّبَابِ حَاوَلْتُ أَنْ تَعْدِرَا

مِنْ الْبَيْضِ أَعْطَافًا إِذَا اتَّصَلَتْ دَعَتْ
فِرَاسَ بَنِ غَنَمٍ أَوْ لَقِيطَ بَنِ يَغْمَرَا

(١) البيت من الطويل ، وهو لزهير بن أبي سلمى فى ديوانه ١٣ ، ولسان العرب ٣ / ٤٥٧ (ورد)

١٠ / ١٣٩ (زرق) ، ١٠٥ / ١٢ (جم) ، وتهذيب اللغة ٧ / ٦٠٨ ، ٨ / ٤٢٩ ، ٤ / ١٦٥ ، وتاج العروس

٩ / ٢٨٩ (ورد) ٢٥ / ٤٠٠ (زرق) ، وأساس البلاغة (خيم) ، (زرق) ، وبلا نسبة فى لسان العرب

١٢ / ١٩٤ (خيم) ١٥ / ٦٥ (عصا) ، وجمهرة اللغة ٤٩٥ ، والمخصص ١٢ / ٦٢ .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لمضر فى تاج العروس (جى) ، ولسان العرب ١٤ / ١٢٩ (جى) ،

وبلا نسبة فى لسان العرب ٤ / ٣٨٩ (سير) ، ١٥ / ٦٥ (عصا) وتاج العروس ١٢ / ١١٥ (سير)

وله رواية أخرى :

فَأَلْقَتْ عَصَا التَّسْيَارِ عَنْهَا وَخَيَّمَتْ
بَأَجْبَاءِ عَذْبِ الْمَاءِ بَيْضَ مُحَافِرِهِ

(٣) قال ابن السيد فيما كتبه على الكامل : " سواها ها هنا : نفسها مثل قول الآخر فى النبي صلى الله

عليه وسلم :

أَتَانَا فَلَمْ نَعْدِلْ سِوَاهُ بَغِيرِهِ
شَهَابٌ لَنَا فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ سَاطِعٌ

وقال ابن الأعرابي : سواه : قصده " عن شرح أبيات مغني اللبيب ٤ / ١٧ .

بها شَرَقَ مِنْ زَغْفَرَانٍ وَعَنْبَرٍ أطارت من الحُسن الرِّداءَ المحبِّراً
تقولُ وقد بَلَّ الدَّمُوعُ خِمارَها أبى عِفَّتِي وَمَنْصِبِي أنْ أُعِيرَا
كَأنْ بذِفْراها مَنادِيلَ قارفتَ أكفُّ رجالَ يَعْصِرُونَ الصَّنُوبِرا
كَأنْ ابنَ آوى مُوثِقٌ تحتَ غَرْضِها إذا هو لم يَكَلِّمْ بَنائِيهِ ظَفِّراً^(١)

شَبَّهَ يديها بيدي مُدِلَّةٍ بِجمالٍ وَمَنْصِبٍ قد ساءَتْ وأقبلتْ تَعْتَذِرُ وتشيرُ بيديها .
فوصَفَ جمالَها الذي به تُدِلُّ ، وَمَنْصِبُها المتصلُ بِمَنْ ذَكَرَتْهُ .

وقوله : أطارت من الحُسن الرِّداءَ المحبِّراً
يقول : هي مُدِلَّةٌ بِجمالِها ، فلا تَحْتَمِرُ فَتَسْتُرَ شَيْئاً عن الناظر ، لأنَّها تبتَهجُ بِكُلِّ
ما في وجهِها ورأسِها .

وقد كشف هذا المعنى عمرُ بنُ أبي ربيعة المخزوميُّ حيثُ قال :
فلما تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ^(٢) وجُوهُ زَهاها الحُسنُ أنْ تَتَقَنَّعا
تَبالَهَنَ بِالْعِرْفانِ لَمَّا عَرَفَنِي وَقُلْنَ امْرُؤٌ باغٌ أَكَلْ فَأَوْضَعَا
وَقَرَّبْنَ أَسبابَ الهَوَى لِمُقْتَلٍ يَقيسُ ذراعاً كُلِّما قَسَنَ إصْبَعَا
قوله :

كَأنْ بذِفْراها مَنادِيلَ قارفتَ أكفُّ رجالَ يَعْصِرُونَ الصَّنُوبِرا^(٣)
يقول : لِسَوادِ الذِّفْرِى ، وهذا من كرمِها ، قال أوسُ بنُ حَجَرٍ :
كَأنْ كُحَيْلاً مُعَقِّداً أو عَيْنَةً على رَجْعِ ذِفْراها مِنَ اللَّيْتِ وإِكْفِ^(٤)

(١) البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة فى لسان العرب ٥ / ٢٥٤ (هجر) والنبية والإيضاح ٥٢٥ / ٢ .

(٢) فى بعض النسخ : "أقبلت" .

(٣) البيت من الطويل ، وهو للشماخ فى ديوانه ١٣٧ ، ولسان العرب ٥ / ١٠٥ (قطر) وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ٣١٣ .
وله رواية :

كَأنْ بذِفْراتِ مَنادِيلَ فارقتَ أكفُّ رجالَ يَعْصِرُونَ الصَّنُوبِرا
(٤) البيت من الطويل ، وهو لأوس بن حجر فى ديوانه ٦٧ ، ولسان العرب ١٥ / ١٠٣ (عنا) ،
وأساس البلاغة (رجع) ، ومقاييس اللغة ٤ / ١٤٨ ، وبلا نسبة فى كتاب العين ٢ / ٢٥٣ .

وهذا معنى يُسألُ عنه ؛ لأنَّ اللَّيْتَيْنِ صفحتا العُنُقِ ، و" الذَّفْرَى " في أعلى القَفَا فكيف يَكِفُّ على الذفري من اللَّيْتِ ؟ والمعنى إنما هو : كَأَنَّ كُحْيَلًا مُعَقَّدًا أو عَيْنِيَّةً وَاكْفٌ على رَجْعِ ذِفْرَاهَا . وقوله " من اللَّيْتِ وَاكْفٌ " كقولك : كموضع دِجْلَةٍ من بَغْدَادِ إِنَّمَا هو لِلْحَدِّ بَيْنَهُمَا ، لا أَنَّهُ وَاكِفٌ من شيء على شيء .
وأما قوله :

كَأَنَّ ابْنَ آوَى مُوَلِّقٌ تَحْتَ غَرْضِهَا إِذَا هُوَ لَمْ يَكْلِمْ بَنَاتِيهِ ظَفَرًا^(١)
فإنه يقول : لَيْسَتْ تَسْتَقِرُّ ، فَكَأَنَّ ابْنَ آوَى يَعْضُّهَا بَنَاتِيهِ وَيَحْلِبُّهَا بِظَفَرِهِ ، فَهِيَ لا تَسْتَقِرُّ . وقال أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ^(٢) :
كَأَنَّ هِرًّا جَلِيًّا تَحْتَ غَرْضِهَا وَالتَّفُّ دِيكٌ بَرَجْلِيهَا وَخِنْزِيرٌ
و" الغَرْضُ " و" الغَرْضَةُ " واحدٌ ، وهو حِزَامُ الرَّحْلِ .
* * *

وقال آخر :
كَأَنَّ ذِرَاعِيهَا ذِرَاعَا بَذِيَّةٍ مُفَجَّعَةٌ لَأَقْتَ خَلَائِلَ عَنْ غُفْرِ
سَمِعْنَهَا وَاسْتَفْرَعَتْ فِي حَدِيثِهَا فَلَا شَيْءَ يَفْرِي بِالْيَدَيْنِ كَمَا تَفْرِي^(٣)

ولو قيل : إن هذا من أبلغ ما قيل في هذا الوصفِ ما كان ذلك بعيدًا . وَصَفَهَا بأنها بَذِيَّةٌ وَقَدْ فَجَّعَتْ بِمَا أُسْمِعَتْ وَنِيلَ مِنْهَا ، وَلَقِيَتْ خَلَائِلَهَا بَعْدَ زَمَانٍ ، وَتِلْكَ الشَّكْوَى كَامِنَةٌ فِيهَا ، وَأَصْغَيْنَ إِلَيْهَا يَتَسَمَّعْنَ .

و" الْفَرْيُ " : الشَّقُّ ، يُقَالُ " فَرَى أَوْذَاجَهُ " : أَيِ قَطَعَ ، و" فَرَيْتُ الْأَدِيمَ . وَإِذَا قُلْتُ " أَفْرَيْتُ " فَمَعْنَاهُ أَصْلَحْتُ . وَقَوْلُ الْحَجَّاجِ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَهْمُ إِلَّا مَضِيَّتُ وَلَا أَخْلَقُ إِلَّا فَرَيْتُ ، يَقُولُ : إِذَا قَدَّرْتُ قَطْعَهُ . يُقَالُ " فَرَيْتُ الْقَرِيبَةَ وَالْمَزَادَةَ ، فَهِيَ مَفْرِيَّتَانِ ، قَالَ ذُو الرِّمَةِ :

(١) ديوانه ق ٢١/١٧ ص ٤٢ .

(٢) ديوانه ٢١/ ١٧ ص ٤٢ .

(٣) في بعض النسخ : بذية . والخلائل جمع خلية ، والغفر طول العهد . عن رغبة الأمل ٢٥٣/٦ وفي بعض النسخ : قال أبو العباس : أنشدنيها عبد الصمد بن المعدل . وأنشدنيها سعيد بن سلم .

كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِئَةٍ سَرَبٌ^(١)

.....

وقال امرؤ القيس:

إِذَا نَجَلَّتْهُ رِجْلُهَا خَذَفُ أَعْسَرَا

كَأَنَّ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا

صَلِيلُ زَيْوْفٍ يُتَّقَدَنْ بِعَقْرَا^(٢)

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرْوِ حِينَ تُشَدُّهُ

قوله : " حَذَفُ " أَعْسَر " يريد أنه يذهب على غير قصد ، وقوله "صَلِيلُ زَيْوْفٍ "

يقال : إِنَّ الزَّائِفَ " شديد الصوت صافيه .

وقال آخر :

لِخَمْسٍ أَتَى يَوْمَ وَرْدٍ زُرُودَا

كَأَنَّ يَدَيْهَا يَدَا مَاتِحٍ

إِذَا هُوَ أَنهَلْ أَلَّا يَعُودَا

يَخَافُ الْعِقَابَ وَفِي نَفْسِهِ

يقول : هذا الساقى يخاف العقاب إن قصر ، ولا عودة له إليه ثانية ، فهو يَسْتَقِي.

سَقِيَهُ فِي مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ .

وقد أكثروا في هذا . فمن الإفراط في السرعة قولُ ذي الرُّمَّة:

مُسَوِّمٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبٌ^(٣)

كَأَنَّهُ كَوَكَبٌ فِي إِنْثَرِ عِفْرِيةٍ

يقال " عِفْرِيتٌ " و " عِفْرِيةٌ " في معنى ، والتاء في " عِفْرِيتٌ " زائدة ، وهو

ملحق بـ " قنديل " ، يقال: فلانٌ " عِفْرِيةٌ زِينةٌ " و " الزَّيْنَةُ " المنكرُ ، وجمعه " زَبَانِيَّةٌ " ،

وأصله من الحركة ، يقال : " زَبْنُهُ " : إِذَا دَفَعَهُ . ويقال: " عِفْرِيةٌ نَفْرِيةٌ " على التوكيد ،

و " عِفْرِيتٌ نَفْرِيتٌ " ، ويقال : عِفَارِيَّةٌ " ولم يُتَّبَعْ بِنَفَارِيَّةٍ " .

و من الإفراط قولُ الحُطَيْمَةِ :

(١) البيت لذى الرمة فى لسان العرب ١٩٨٢ / ٣ (سرب) و صدره : ما بال عينك منها الماء ينسكب

(٢) البيت من الطويل ، وهو لامرؤ القيس فى ديوانه ٦٤ ، وشرح عمدة الحفاظ ٦٤٧ ، ولسان

العرب ٩ / ٦١ (حذف) ١١٠ / ٦٤٧ (نجل) ، والمقاصد النحوية ٤ / ١٦٩ .

(٣) البيت من البسيط ، وهو لذى الرمة فى ديوانه ص ١١١ ، ولسان العرب ١ / ٦٧٨ (قضب) ،

٤ / ٥٨٦ (عفر) ، وتهذيب اللغة ٨ / ٣٤٨ ، ومقاييس اللغة ٥ / ١٠٠ ، وجممل اللغة ٤ / ١٧١ ،

وأساس البلاغة ص ٣٦٩ (قضب) وجمهرة أشعار العرب ص ٩٦١ وتاج العروس ٤ / ٤٨ (قضب) ١٣ /

٨٧ (عفر) .

وإن نظرت يوماً بمؤخر عينها إلى علم بالغور قالت له ابعدي^(١)

ومن الإفراط قوله^(٢) :

بأرض ترى فرخ الحبارى كأنه بها راكبٌ موفٍ على ظهر قرد^(٣)

ومن ذلك قوله^(٤) :

وكادت على الأطواء أطواء خارج ضارج تساقطني والرخل من صوت هذند

وقال آخر :

مروح برجلينها إذا هي هجرت ومنعها من أن تطير زمامها

وقال الشماخ :

تكاد تطير من رأي القطيع^(٥)

.....

وكذلك الأعرابي الذي يقول^(٦) :

لو ترسل الريح لجئنا قبلها

(١) بهامش نسخة ما نصّه : " قبله " :

وأنى اهتدت والدو بينى وبينها وما خلت سارى الليل بالدو يهتدى

وإن نظرت ... البيت

يقول : إذا نظرت إلى علم قالت له : ابعدي ، يهون عليها بعده لنشاطها .

وبعده :

وبالت بى العوجاء تخدى صعودها إليك ابن شماس تروح وتغتدى

انظر الديوان ص ١٤٨ ، ١٦٠ - ١٦١ وفى ترتيب الأبيات خلاف . قوله " تخدى صعودها " كذا! وفى الديوان " تجرى صفورها " .

(٢) البيت ١٥ ص ١٤٨ .

(٣) القرد : ما غلظ من الأرض وارتفع .

(٤) البيت ٢٥ ص ١٥٥ .

(٥) البيت له رواية أخرى (مرح تغتلى بالبيد) البيت من الوافر ، وهو للشماخ فى ديوانه ص ٢٢٦ ،

ومجمل اللغة ٤ ، ٥٣٠ ، وأساس البلاغة (قطع) ، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ص ٩١٥

وصدره :

مروح تغتلى فى البيد حرف

(٦) فى نسخة : وكذلك قول الأعرابي . وبهامشها كما فى المتن .

وقد مضى ^(١)خَبْرُهُ .

وَأَمْلَحُ مَا قِيلَ فِي هَذَا وَأَجْوَدُهُ مَعْنَى قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

وَقَدْ اغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بَمَنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ ^(٢)
فَجَعَلَهُ لِلوَحْشِ كَالْقَيْدِ .

وَحَدَّثْتُ أَنَّ رَجُلًا نَظَرَ إِلَى ظَبْيَةٍ ، فَقَالَ لَهُ أَعْرَابِيٌّ : أَتَحِبُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ ؟ قَالَ :
نَعَمْ ، قَالَ : فَأَعْطَنِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ حَتَّى أَرُدَّهَا إِلَيْكَ ، فَفَعَلَ ، فَنَخَرَ جَ يَمَحَصُ فِي إِثْرِهَا ،
فَجَدَّتْ وَجَدًّا ، حَتَّى أَخَذَ بِقَرْنَيْهَا ، فَجَاءَ بِهَا وَهُوَ يَقُولُ :

وَهَيَّ عَلَى الْبُعْدِ تُلَوِّي خَدَّهَا تُرِيغُ شَدَى وَأُرِيغُ شَدَّهَا
كَيْفَ تَرَى عَذْوَ غَلَامٍ رَدَّهَا

* * *

قال أبو العباس : ومن حُلُوِّ التشبيه وقَرِيْبِهِ ، وصريح الكلام وبليغه قولُ ذي
الرُّمَّةِ :

وَرَمَلٍ كَأَوْرَاكِ الْعَذَارَى قَطَعْتُهُ وَقَدْ جَلَّلَتْهُ الْمُظْلِمَاتُ الْحَنَادِسُ ^(٣)
" الْحِنْدِسُ " : الشَّدِيدُ الظُّلْمَةُ ، وهو توكيدٌ لها ، يقال لَيْلٌ حِنْدِسٌ ، وَلَيْلٌ أَلِيلٌ ،
وَيَوْمٌ يَمٌ ، كما يقال : لَيْلٌ مُظْلِمٌ .

(١) كَذَا ، ولم يَمُضْ فيما أعلم .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس في ديوانه ص ١٩ ، وإصلاح المنطق ص ٣٧٧ ، وخزانة
الأدب ٣ / ١٥٦ ، ٢٤٣ ، وشرح الفصل ٢ / ٦٦ ، ٦٨ ، ٣ / ٥١ ، ولسان العرب ٣ / ٣٧٢ (قيده) ،
١١ / ٧٠٠ (هكل) وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢ / ٤١٠ ، ٣ / ٤١ ، وخزانة الأدب ٤ / ٢٥٠
والخصائص ٢ / ٢٢٠ ، ورصف المباني ص ٣٩٢ ، وشرح شواهد المغنى ٢ / ٨٦٢ ، وشرح عمدة
الحافظ ص ٤٨٧ ، والمختضب ١ / ١٦٨ ، ٢ / ٢٤٣ ومغنى اللبيب ٢ / ٤٦٦ .

(٣) وفي رواية " إذا ألبسته....." البيت من الطويل ، وهو لذى الرمة في ديوانه ص ١١٣١ ، ولسان
العرب ١٠ / ٥٠٩ (ورك) ، ١١ / ١٢٥ (جمل) ، وتاج العروس (ورك) وانظر قافية " الركائك " .

وقال الشَّماخُ في صفة الفرس^(١) :

مُفِجُ الحَوَامِي عَنْ نُسُورِ كَانِهَا نَوَى الْقَسْبِ تَرْتُ عَنْ جَرِيمٍ مُلْجَلَجٍ^(٢)

قوله : " مُفِجُ الحَوَامِي " يريد مُتَفَرِّقًا ، والحوامي : نواحي الحافر ، و "النُّسُور" واحدُها " نَسْرٌ " وهي نُكْتَةٌ في داخل الحافر ، وَيُحَمَّدُ الفرسُ إذا صَلَبَ ذلك منه ، ولذلك شَبَّهَ بنَوَى الْقَسْبِ^(٣) " تَرْتُ " : سقطت و " الجَرِيمُ " : المَصْرُومُ و " الملْجَلَجُ " الذي قد لُجِلَجَ مَضْغًا في الفم ثم قُذِفَ لصلابته .

وقوله " مُفِجٌ " ليس يريدُ الذي هو شديدُ التفرقة ، ولكن الانفصالَ عن النَّسْرِ ، فإنه إن اتسع واستوى أسفلُه فذلك " الرَّحْحُ " ، وهو مَذْمُومٌ في الخيل ، وكذلك إن ضاق وصَغُرَ قيل له " مُصْطَرٌّ " وكان عيبًا قبيحًا ، قال حُمَيْدُ الأَرْقَطُ :

لَا رَحَّحَ فِيهَا وَلَا اصْطَرَّارُ وَلَمْ يُقَلِّبْ أَرْضَهَا الْبَيْطَارُ^(٤)

ض

(١) كذا قال ، وقال المِرْصَفِيُّ : "... وإنما يصف حافر أنان تدفع به حمار الوحش الذي شبه به ناقته في قوله :

كأني كسوت الرجل أحقب ناشطاً من اللاء ما بين الجنب وأجج

[ثمانية أبيات]

إذا خاف يوماً أن يفارق عانة أضرب بملساء العجيزة سمحج

إذا ساف منها موضع الردف ذبيت بأسم لام لا أرح ولا وجي

مفج الحوامي البيت

رغبة الامل ٢/٧ - ٣ .

(٢) البيت من الطويل ، وهو للشماخ في ديوانه ص ٩٢ ، ولسان العرب ١٢ / ٩٠ (جرم) ، وتاج

العروس (جرم) ، وتهذيب اللغة ١١ / ٨٦ ، وبلا نسبة في المخصص ١٢٢ / ٢ ، وأما القالي

٢ / ٢٥٢ ، والمعاني الكبير ص ١٦٨ .

(٣) القسب: التمر اليابس .

(٤) الرجز لحميد الأرقط في جمهرة اللغة ٩٧ ، وسمط اللآلي ٩١٥ ، وشرح شواهد الإيضاح ٤٨٩

ولسان العرب ١ / ٦٨٧ (قلب) ، ١٥٩ / ٤ (جر) ١٢٢ / ١٧ (أرض) ، والمعاني الكبير ١٥٥ ، وتاج

العروس ٤ / ٧٤ (قلب) ٥٠٧ / ١٠ (حبر) ، وبلا نسبة في إصلاح المنطق ٧٣ ، وجمهرة اللغة ٢٧٥ ،

٣٤٩ ، ١٠٢٩ ولسان العرب ٢ / ٤٤٦ (رحج) ، وتهذيب اللغة ٩ / ١٧٥ ، ١٢ / ٦٢ ، وتاج العروس

٦ / ٣٨٧ (رحج) ، ومجمل اللغة ٢ / ١٣٠ ، ومقاييس اللغة ٢ / ١٢٧ ، ٥ / ١٧ والمخصص

٧ / ١٧٦ ، وكتاب العين ٧ / ٥٦ .

وروي في لسان العرب مادة (أرض) رواية أخرى :

ولم يقلب أرضها البيطار ولا طبلية بها جبار

وَيُرَوَّى " وَلَمْ يُقَلِّمْ " . وتَأْوِيل ذلك : أن حوافرها لا تَتَشَعَّثُ فَيُقَلِّمُهَا الْبَيْطَارُ ،
لأنها إذا كانت كذلك ذهب منها شيءٌ بعد شيءٍ فَمَحَقَهَا ، قال عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِ (١) :
لا في شَظَاهَا وَلَا أَرْسَاعِهَا عَنَتٌ وَلَا السَّنَابِكُ أَفْهَانٌ تَقْلِيمٌ

وإنما يُحَمَّدُ الحافرُ الْمُقْعَبُ ، وهو الذي هيئته كهَيْئَةِ الْقَعْبِ ، وإن كان كذلك قيلَ
" حَافِرٌ وَأَبٌ " قال ابنُ الْخَرِّعِ (٢) :

لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيِّ لِدِ يَتَّخِذُ الْفَأْرُ فِيهِ مَغَارًا

يريدُ : لو دخل الفأرُ فيه لَصَلَحَ ، كقول القائل : " أَتَى بَجْفَنَةٍ يَقَعْدُ عَلَيْهَا عَشْرَةٌ "
أي : لو قَعَدُوا عَلَيْهَا لَصَلَحَ . وقال الراجز (٣) :

وَأَبٌ حَمَتُ نُسُورُهُ الْأَوْقَارَا

وفي كُلِّ حَافِرٍ حَامِيَتَانِ ، وهما حرفاهُ مِنْ عَنِ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، ومُقَدَّمُهُ السُّنْبُكُ ،
ومُؤَخَّرُهُ الدَّائِرَةُ .

ومثل قوله : " عن جَرِيمٍ ملجلج " قولُ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِ (٤) :
سَلَاءَةٌ كَعَصَا النَّهْدِيِّ غُلٌّ بِهَا ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانٍ مَعْجُومٌ

قوله " سَلَاءَةٌ " شَبَّهَهَا بِالشَّوْكَةِ مِنْ شَوْكِ النَّخْلِ ، لأنَّ الْفَرَسَ الْأَنْثَى يُحَمَّدُ مِنْهَا
أَن يَلِيقَ صَدْرُهَا ثُمَّ يَنْخَرِطُ عَلَى امْتِلَاءٍ إِلَى مُؤَخَّرِهَا ، وَالْحَمَامُ يُحَمَّدُ مِنْهُ أَن يَعْرِضَ الصَّدْرُ

(١) البيت من البسيط ، وهو لعقمة بن عبدة في ديوانه ص ٧٣ ، ولسان العرب ١ / ٥٧٧ عتب ،
وتهذيب اللغة ٢ / ٢٧٩ ، وتاج العروس ٣ / ٣٠٨ (عتب) وفي رواية (.....عتب) .

(٢) هو عوف بن عطية بن الخرع . والبيت من مفضليته ، المفضليات ق ١٢٤ / ١٦ ص ١٤١ . وانظر
أدب الكاتب ١٢٠ . وفي رواية (.... ركب فيه وظيف عجر) والبيت من الرمل وعزاه لعبد الرحمن
ابن حسان في لسان العرب ١٤ / ٧٣ (يزا) وتاج العروس (يزا) .

(٣) في رواية (.... وأبا) " الرجز للعجاج في ديوانه ٢ / ٩٨ ، ٩٩ ، ولسان العرب ٥ / ٢٩١ (وقر) ،
وتاج العروس ١٤ / ٣٧٨ (وقر) وبلا نسبة في لسان العرب ٤ / ٦٢٣ (عير) وتهذيب اللغة ٣ / ١٦٩ .

(٤) البيت من البسيط ، وهو لعقمة بن عبدة في ديوانه ص ٧٤ ، ولسان العرب ١ / ٩٥ (سلا) ،
٩٠ / ٥ ، ٣٤٢ / ١١ (سلا) ٥٥٠ (غلل) ، ١٢ / ٣٨٩ (عجم) ، وتهذيب اللغة ١٣ / ٣٩٨ قرر (سلا) ،
غلل) والمخصص ٦ / ٥٩ ، ١٦٢ / ٣٨ ، بلا نسبة في تهذيب اللغة ٨ / ٢٨٢ ، ١٣ / ٧٠ ، وتاج
العروس ١ / ٢٧٠ سلا ، ٣٦٠ فياً ١ / ٣٩٢ ، وجمهرة اللغة ص ١٠٧ ، ومقاييس اللغة ٤ / ٣٧٧ ، وبحمل
اللغة ٤ / ٣٧٧ ، وكتاب العين ٥ / ٢٣ .

ثم ينخرط إلى ذنبه ضُمًّا ، فيقال في صفته " كأنه جَلَمٌ " .
وقوله " كَعَصَا النُّهْدِي " يريدُ في الصلابة ، كما قال :

وَكُلُّ كَمَيْتٍ كَاهِرَاوَةٍ صُلْدِمٍ

وقوله " ذو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانٍ " يقول : ذُو رَجْعَةٍ ، يقالُ : مَضَعْتُهُ فَلَمْ تَكْسِرْهُ
ثُمَّ بَعَرْتُهُ صَحَاحًا ، و " معجومٌ " مَمْضُوعٌ ، يقالُ : " عَجَمْتُهُ أَعَجَمْتُهُ عَجْمًا " : إذا مضغته ،
ف " العَجْمُ " : المَضْغُ ، ويقال للنوى من كل شيء " العَجْمُ " متحرُّكُ الجِيمِ ، قال
الأعشى (١) :

وَجُذْعَانِهَا كَلْقِيطِ الْعَجْمِ

وقال النابغة :

فَلْظُلٌّ يَعْجُمُ أَعْلَى الرُّوقِ مُنْقَبَضًا فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدَقَ غَيْرُ ذِي أَوْدٍ (٢)

ومثل البيت الأول قولُ عَقْبَةَ بنِ سَابِقٍ :
لَهُ يَنْبَنُ حَوَامِيهِ نُسُورٌ كَنَوَى الْقَسْبِ (٣)

فهذا تشبيهه بمقاربٍ جدًا .

* * *

ومن التشبيه الحسن قولُ الشاعر :

كَأَنَّ الْمَتْنَ وَالشُّرْحَيْنِ مِنْهُ خِلَافَ النَّصْلِ سَيْطَ بِهِ مَشِيحٌ (٤)

(١) البيت صدره * مقادك بالخيال أرض الغدو *

البيت من المتقارب ، وهو للأعشى في ديوانه ٨٧ ، وبلا نسبة في جهرة اللغة ٤٨٤ ، ٩٣٢ .

(٢) البيت من البسيط ، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٢٠ ولسان العرب ١٠ / ١٩٦ (صدق) ،
٣٩٠ / ١٢ (عجم) .

(٣) البيت من الهزج ، وهو لأبى دؤاد الإيادي في ديوانه ص ٢٨٩ ، ولسان العرب ١٠ / ٢٠٦
(صلق) ١٤ / ٢٠٢ (حما) ، وتهذيب اللغة ٥ / ٢٧٣ ، والمعاني الكبير ص ١٦٨ ، ولعقبة بن سابق في
الأصمعيات ص ١٤١ وتاج العروس (سكن) .

(٤) وله رواية أخرى : كَانَ النَّصْلُ وَالْقَوْفَيْنِ مِنْهُ خِلَالِ الرِّيشِ... " البيت من الوافر ، وهو للداخل بن
حرام الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٦١٩ ، ولسان العرب ٢ / ٣٦٨ (مشج) ، وتاج العروس
٦ / ٢١٥ (مشج) ، والتنبيه والإيضاح ١ / ٢١٩ ، ولأبى ذؤيب الهذلي في كتاب العين ٦ / ٤١ ،
وأساس البلاغة ص ٤٣٠ (مشج) وبلا نسبة في لسان العرب ٣ / ٢٩ (شرح) ، ١٠ / ٣١٩
(فوق) ، وكتاب العين ٥ / ٢٢٥ ، وتهذيب اللغة ٩ / ٣٣٨ ، وجمهرة اللغة ص ٤٧٨ ومقاييس اللغة
٥ / ٣٢٦ ، ومجمل اللغة ٤ / ٣٢٩ ، وتاج العروس ٧ / ٢٨٠ (شرح) ، انظر الشاهد التالي .

يصف سهماً رُمِيَ به فَأَنْفَذَ الرَّمِيَّةَ فَقَدْ اتَّصَلَ بِهِ دَمُهَا . و " الْمَتْنُ " متن السهم .
و " شَرَّخُ " كلُّ شيءٍ : حَدُّهُ ، فَأَرَادَ شَرَّخِي الفُوقِ ، وهما حرفاه . و " الْمَشِيحُ " اختلاطُ الدَّمِ بالنُّطْفَةِ ، هَذَا أَصْلُهُ ، قال الشَّمَّاخُ ^(١) :

طَوَتْ أَحْشَاءَ مُرْتَجَةٍ لَوْقَتٍ عَلَى مَشَاحِ سُلَالَتِهِ مَهِينٍ

والله جلَّ وعزَّ يقول : ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ ^(٢) . وفي الحديث : " اَقْتُلُوا مَسَانَّ الْمُشْرِكِينَ وَاسْتَحْيُوا شَرَّحَهُمْ " ^(٣) أي الشَّبَابَ ، لأنَّ الشَّرَّخَ الحَدُّ ؛ قال حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

إِنَّ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّعَرَ الْأَسَدِ وَدَّ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا ^(٤)

قال أبو العباس : وَأَنْشَدَنَا عَمْرُو بْنُ مَرْزُوقٍ عَنْ شُعْبَةَ قَالَ : أَنْشَدَنَا سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ :

إِنَّ شَرَّخَ الشَّبَابِ تَأْلَفَهُ الْبِي— ضُ وَشَيْبُ الْقَدَالِ شَيْءٌ زَهِيدٌ ^(٥)

فأما قولُ الشَّنْفَرِيِّ ^(٦) :

(١) البيت من الوافر ، وهو للشماخ في ديوانه ص ٣٢٨ ، ولسان العرب ٣٦٧/٢ (مشج) ، ٣٣٩/١١ (سلل) ، وتهذيب اللغة ١٠ ، ٥٥١ ، وتاج العروس (سلل) .
(٢) سورة الإنسان : ٢ .

(٣) الحديث ضعيف ، أخرجه أحمد في " المسند " (١٢/٥) ، وأبو داود في الجهاد ، والترمذي في " السير " ، والبيهقي في " الكبرى " (٩٢/٩) ، والبغوى في " شرح السنة " ، (٤٨/١١) كلهم من حديث سمرة بن جندب ، وفيه عنعنة الحسن ، وهو موصوف بالتدليس ، لذلك أورده الشيخ الألباني في " ضعيف الجامع " (ح ١١٦١) . وقال : ضعيف .

(٤) البيت من الخفيف ، وهو لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٢٨٢ ، ولسان العرب ٢٩ / ٣ (شرح) ، وتهذيب اللغة ٨١/٧ ، وجمهرة اللغة ص ٩٢ ، ٥٨٥ وتاج العروس ٧ / ٢٨١ (شرح) ، وديوان الأدب ١٠١/١ وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣ / ٢٦٩ ، والمخصص ٣٨ / ١ .

(٥) البيت من الخفيف ، وهو بلا نسبة في لسان العرب ٢٩ / ٣ (شرح) - ٢٣١ - وله رواية أخرى : .. تخاطبك... .

(٦) البيت من الطويل ، وهو للشنفرى في ديوانه ص ٣٣ ، ولسان العرب ٢ / ١١ ، ١٢ (بليت) ، ٣٢٤/١٥ (نسا) ، وجمهرة اللغة ص ٢٥٦ ، ومقاييس اللغة ١ / ٢٩٩ ، ٤٢٢ ، وجملة اللغة ٢٨٩/١ ، والمخصص ٢٧/١٤ ، وتهذيب اللغة ٨١ / ١٣ ، ١٤ / ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، وأدب الكاتب ص ٤٩٣ ، والأغاني ٢١ / ٢١٠ ، والخصائص ٢٨ / ١ ، وديوان المفضليات ص ٢٠١ ، وشرح اختيارات المفضل ١ / ٥١٧ ، وشرح أدب الكاتب ص ٣٣٨ ، وتاج العروس ٤ / ٤٤٧ (بليت) ، (نسي) ، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٢ / ١٤٦ .

كَانَ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًا تَقْصُّهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تُحَدِّثْكَ تَبْلُتِ

فإنما أراد شدة استحيائها ، يقول : لا ترفع رأسها ، كأنها تطلب شيئاً في الأرض . و " النسي " على ضربين : أحدهما : ما تقدم عهدُهُ حتى ينسى ، والآخر : ما أضله أهله فيطلب ويطمع فيه . و " تقصُّهُ " : تتبعه ، قال الله جل وعز : ﴿ وَأَخِيهِ قُصِيهٖ ﴾ ^(١) أي اتبعني أثره . و " الأم " القصْد . وقوله : " وَإِنْ تُحَدِّثْكَ تَبْلُتِ " يقول : تقطع الحديث لاستحيائها .

وَأُنشِدَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ الْأَعْمَى قَوْلَ كَثِيرٍ ^(٢) :

أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْزُرَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ

قال : فقال : لله أبو صخر ! جعلها عصا ، ثم يعتذر لها !؟ والله لو جعلها عصا مُخٌ أو زُبْدٌ لكان قد هجَّنها بالعصا ، ألا قال كما قلت :

وَيُبِضُّ الْمَحَاجِرِ مِنْ مَعْدٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا قِطْعُ الْجِنَانِ

إِذَا قَامَتْ لِسُبْحَتِهَا تَثْنَتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْزُرَانِ

و " الخيزُرانة " كلُّ غُصْنٍ لَيْنٍ يَتَشَنَّى ، ويقال للمرديِّ خيزُرانة إذا كان يتشنى إذا اعتمدَ عليه . [قال أبو الحسن : المردي والحردِي : العود الطويل الذي تُدْفَعُ به السفينة] قال النابغة :

يَظُلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَاخُ مُعْتَصِمًا بِالْخَيْزُرَانَةِ بَعْدَ الْأَيْنِ وَالنَّجْدِ ^(٣)

" الْأَيْنُ " : الإغْيَاء . و " النَّجْدُ " : العَرَقُ .
* * *

وبهامش الأصل ما نصه : " أنشد يعقوب هذا البيت مكان " أمها " وجهها " . قال أبو الحسن بن كيسان : نسيًا بكسر النون : الاسم ، وهو أجود ، ونسيًا هو المصدر وقد قرئ بهما في القرآن جميعاً ﴿ وَكَنتَ نَسِيًّا نَسِيًّا ﴾ ويقال بليت وأليت بمعنى ، وقوله تبت أى تقطع الكلام وتؤخره . وقبله : تحل بمنجاة من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالمدينة حلت اهـ .

(١) سورة القصص : ١١

(٢) انظر ديوانه ص ١٧٥-١٧٦ . والخبر فى الأغاني ١٥٤/٣ وبيتا بشار فيه .

(٣) البيت من البسيط ، وهو للنابغة الذبياني فى ديوانه ص ٢٧ ، ولسان العرب ٣/ ٤١٨ (نجد) ،

٢٣٨/٤ هجر ، وجمهرة اللغة ص ٥٦٩ ، وتهذيب اللغة ٢٠١/٧ ، وتاج العروس ٢٠٥/٩ (نجد)

١٦٩/١١ (خزر) والمعاني الكبير ص ٢٢٣ ، ٢٠٥/٩ (نجد) ١٥٩/١١ (خزر) والمعاني الكبير ص

٢٢٣ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٣٢١ ، وبلا نسبة فى مقاييس اللغة ٣٩١/٥ ، وجمهرة اللغة ص ٤٥١ .

وقد عاب بعضُ الناس قولَ كثيرٍ :

فما رَوْضَةٌ بِالْحَزْنِ طَيِّبَةُ الشَّرِّ

بِمُنْخَرَقٍ مِنْ بَطْنٍ وَإِ كَانَمَا

بِأَطْيَبٍ مِنْ أَرْدَانٍ عَزَّةٌ مَوْهِنَا

وقد أوقدتْ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبِ نَارَهَا ^(١)

وحكى الزبيريون : أنَّ امرأةَ عَرَضَتْ لكَثِيرٍ فقالت : أأنتَ القائلُ هذين البيتين ؟

قال : نعم ، قالت : فضَّ الله فاك ! أرايتَ لو أنَّ زَنْجِيَّةً بَخَرَتْ أَرْدَانَهَا بِمَنْدَلٍ رَطْبٍ أَمَا

كانتَ تَطْيِبُ ؟! ألا قلتَ كما قال سَيِّدُكَ امرؤُ القيس :

ألم تَرَيَانِي كَلَّمَا جَنَّتْ طَارِقًا

وَجَدْتُ بِهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيِبِ ^(٢)

قوله " جَنَّتْهَا وَعَرَّارُهَا " " الْجَنَجَاتُ " : رِيحَانَةٌ طَيِّبَةُ الرِّيحِ بَرِيَّةٌ مِنْ أَحْرَارِ

الْبَقْلِ . قال جرير ^(٣) يهجو خُلَيْدَ عَيْنِينَ الْعَبْدِيِّ :

كَمْ عَمَّةٍ لَكَ يَا خُلَيْدُ وَخَالَةٍ

خُضِرَ نَوَاجِدُهَا مِنَ الْكُرَّاثِ

نَبَتَتْ بِمَنْبِتِهِ فَطَابَ لِرِيحِهَا

وَنَأَتْ عَنِ الْقَيْصُومِ وَالْجَنَجَاتِ

وإنما هجاه بالْكُرَّاثِ ، لأنَّ عبدَ القيس يسكنون الْبَحْرَيْنِ ، وَالْكُرَّاثُ مِنْ أَطْعِمَتِهِمْ

الْعَامَّةُ وَيُسَمُّونَهُ " الرَّكْلُ " و [بآئعه] " الرَّكَّالُ " قال أحدُ الْعَبْدِيِّينَ :

أَلَا حَبْدًا الْأَخْسَاءُ طَيِّبُ تَرَابِهَا

وَرَكَّالُهَا غَادٍ عَلَيْنَا وَرَائِحُ ^(٤)

وقولُ كثيرٍ " وَعَرَّارُهَا " فالعَرَّارُ الْبَهَارُ الْبَرِّيُّ ، وهو حَسَنُ الصُّفْرَةِ طَيِّبُ الرِّيحِ .

(١) البيت من الطويل ، وهو لكثير عزة في ديوانه ٤٢٩ ، وجمهرة اللغة ١١١٨ والخصائص

٢٨١/٣ ، والأغاني ١٥ / ٢٧٤ ، وبلا نسبة في لسان العرب ١٢٨ / ٢ (جثث) ، وتاج العروس

١٩٥/٥ (جثث) .

(٢) وقبله بيت وهو :

خليلي مرا بى على أم جندب لأقضى حاجات الفؤاد المعذب

والبيتان من الطويل ، وهما لامرئ القيس في ديوانه ٤١ ، والأشبه والنظائر ٨٥/٨ ، ولسان العرب

٦٥٥/١١ (ندل) ، ٥١٨ ، (محل)

(٣) تذييل ديوانه . القسم الثانى ج ١٠٢٤/٢ . وزد عليه النبات لأبى حنيفة ٢٠٥ .

(٤) البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة في لسان العرب ٢٩٤/١١ (ركل) ، وتاج العروس (ركل) .

وله رواية أخرى :

ألا حبذا الأحسار وطيب ترابها وركالها غادٍ علينا ورَائِحُ

قال الأعشى:

بَيْضَاءُ ضُخُوتِهَا وَصَفٌ — رَاءُ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَارَةِ^(١)

وقوله "مَوْهِنًا" يريد: بعدَ هَذِهِ من الليل، يقالُ: أَنَا بَعْدَ هَذِهِ من الليلِ وبعدَ وَهْنٍ من الليل، أي: بعدَ دخولنا في الليلِ. وأنشدَ أبو زيد^(٢):

هَبَّتْ تَلَوْمُكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى بَسَلٌ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعِثَابِي

و "الْمَنْدَلُ": العُودُ يقالُ له "الْمَنْدَلُ" و "الْمَنْدَلِي"^(٣)، قال الشاعرُ:
أَمِنْ زَيْنَبَ ذِي النَّارِ قُبِيلَ الصُّبْحِ مَا تَخْبُو
إِذَا مَا خَمَدَتْ يُلْقَى عَلَيْهَا الْمَنْدَلُ الرُّطْبُ^(٤)

قال أبو العباس: "ذِي" معناه "ذو" يقال: ذَا عَبْدُ اللَّهِ، وَذِي أُمّةُ اللَّهِ، وَذِهِ أُمّةُ اللَّهِ، وَتِهِ أُمّةُ اللَّهِ، وَتَا أُمّةُ اللَّهِ. فإذا قلتَ: هذا عبدُ اللَّهِ فالاسمُ "ذا" و"ها" للتنبيه. وعلى هذا تقول: هَذِي أُمّةُ اللَّهِ، وهذه أُمّةُ اللَّهِ. وإن شئتَ أَسَكَنْتَ في الوصلِ فقلتَ: هَذِهِ أُمّةُ اللَّهِ. فإذا قلتَ: هَذِي أُمّةُ اللَّهِ فالياءُ زائدةٌ، لأنَّ هذه الهاءُ لما كانت في لفظِ المضمرِ شَبَّهَها به في زيادةِ الياءِ، نحو: مررتُ بهيَ يا فتى، ولا يجوزُ أن تَضُمَّ الهاءُ في "هذه" على قول مَنْ قال: مررتُ بهو، لأنَّ هاءَ الإضمارِ أصلُها الضَّمُّ، تقولُ: رَأَيْتُهُ يا فتى، ورَأَيْتُهُمْ يا فتى، وهذه الهاءُ من "هذه" إنما هي مشبَّهةٌ. وتقولُ: هذه هندُ

(١) البيت من مجزوء الكامل، وهو للأعشى في ديوانه ٢٠٣، ولسان العرب ٤/ ٥٦٠ (عر). وله رواية أخرى:

بَيْضَاءُ غَدُوتِهَا وَصَفٌ رَاءُ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَارِ

(٢) لضمرة بن ضمرة النهشلي، انظر النوادر ص ٢. وانظر الزهراء ١/ ٤٥٢-٤٥٣، وأمالى القالى ٢/ ٢٧٩، وسمط اللآلئ ٦٣١، ٦٦٦، ٩٢٢ ونسبت في الوحشيات ٢٥٦ لابنه حرى.

(٣) بهامش نسخة مانصه: "قال أبو حنيفة: مندل بلد فيه العود، وكثر استعماله فسمى العود مندلاً، والمندلي على أصله نسب إلى الموضع" اهـ. وانظر التنبيهات ١٥٨-١٦٠.

(٤) البيت من الهزج، وهو بلا نسبة في لسان العرب ١٥/ ٤٥٢ (ذا)، وتهذيب اللغة ١٥/ ٣٣، وتاج العروس (ذا)، والبيتان لعمر ابن أبي ربيعة في ديوانه ٤٨٦.

وهاتا هندا ، على زيادة " ها " للتنبيه ؛ قال جرير^(١) :
هذي التي جدعتَ تيمًا معاطسها ثم أقعدي بعدها يا تيم أو قومي
وقال عمران بن حطان^(٢) :

وليس لعيشنا هذا مهاة وليست دارنا هاتا بدار^(٣)

قال أبو العباس : النحويون يُثبتون الهاء في الوصل ، فيقولون " مهاة " وتقديرها " فعَالٌ " ومعناه اللُّمْعُ والصفاء ، يقال : وَجَّهْ لَهُ مَهَاةً يَا فَتَى ! والأصمعيّ يقولُ " مهاة " تقديرها " حَصَاةٌ " ، يجعلُ الهاءَ زائدةً ، وتقديرها في قوله " فعلةٌ " و " المهاةُ " : البلوزةُ ، و " المهاةُ " : البقرةُ وجمعها " المَهَا " .

فإذا صغرتَ " ذه " قلتَ " تَيَا " ، كأنك صغرتَ " تَا " ، ولا تُصغِرُ " ذه " على لفظها ، لأنك إذا صغرتَ " ذَا " قلتَ " ذَيَا " ، فلو صغرتَ " ذِي " فقلتَ " ذَيَا " لالتبسَ المؤنثُ بالمذكر ، فصغروا ما يخالفُ فيه المؤنثُ المذكرَ .

وهذه المبهمةُ يخالفُ تصغيرُها تصغيرَ سائرِ الأسماءِ وسنذكر ذلك في بابِ نُفَرِّدُهُ له إن شاء الله^(٤) .

عاد القولُ إلى التشبيه .

أنشدتني أمُّ الهيثمِ في صِفَةِ جَمَلٍ :

كَأَنَّ صَوْتَ نَابِهِ بِنَابِهِ صريرُ خُطَافٍ عَلَى كَلَابِهِ

أراد الصريفَ ، وهو أن يَحْكُ أَحَدُ نَائِيهِ بِالْآخِرِ . وقوله " صريرُ خطافٍ على كَلَابِهِ " ف " الخطَافُ " : ما تدورُ عليه البُكَرَةُ ، و " الكَلَابُ " ما وَلِيَهُ .

(١) ديوانه ق ٢٦/٥٨ ج ١/٣٦٠ .

(٢) انظر شعر الخوارج ص ١٥٣ .

(٣) البيت من الوافر ، وهو لعمران بن حطان في ديوانه ١١٢ ، والمخصص ١٥/١٠٧ ، وأساس البلاغة (مهمه) ، وتاج العروس (مهمه) وتخليص الشواهد ١٢١ ، وخزانة الأدب ٥/٣٦١ ، ٢/٣٦٢ ، وشرح أبيات سيويه ٢/ ٢٧٠ ، وشرح شواهد الإيضاح ٦٠٤ ، وشرح شواهد المغنى ٢/ ٩٢٦ ، والكتاب ٣/ ٤٨٨ ، ولسان العرب ١٣/ ٤٢ . (مهمه) ، والمقتضب ٢/ ٢٨٨ ، ٤/ ٢٧٧ ، وبلا نسبة في مغنى اللبيب ٢/ ٦٢٧ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٢٦٨ ، ومجمل اللغة ٤/ ٢٩١ .

(٤) انظر باب تحقير الأسماء المبهمة في المقتضب ٢/ ٢٨٧-٢٩١ .

وقد قال النابغة^(١):

مقدوفة بدخيس النخض بازلهما له صريف صريف القغو بالمسد^(٢)

القغو " : ما تدور عليه البكرة إذا كان من خشب ، فإن كان من حديد فهو " خطاف " ، وإذا دارت على جبل فذلك الجبل يسمى " الدرك " .
وقوله " مقدوفة " يقول : مرمية باللحم . و " الدخيس " : الذي قد ركب بعضه بعضاً . و " النخض " : اللحم . و " بازلهما " : نابها ، ومعنى " بزل " و " فطر " واحد ، وهو أن ينشق الناب ، قال ذو الرمة^(٣) :

كأن على أنيابها كل سذفة صياح البوازي من صريف اللوائك

يقول : مما تلوكه . ويقال في الغضب : تركت فلاناً يصرف نابيه عليك ، ويحرق ويحرق ، ورأيت يعض عليك الأرم^(٤) . قال زهير في مدحه حصن بن حذيفة ابن بدر الفزاري :

أبي الضيم والنعمان يحرق نابيه عليه فأفضى والسيف معاقلة^(٥)

وقال آخر :

(١) سلف عجز البيت .

(٢) البيت من البسيط ، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ١٦ ، وجمهرة اللغة ٥٧٨ ، ٧١٤ ، ٩٤٤ ، والدرر ٣ / ٧٦ ، شرح أبيات سيويه ١ / ٣١ ، وشرح الأشموني ٢ / ٥٠٧ ، والكتاب ١ / ٣٥٥ ، ولسان العرب ٩ / ١٩١ (صرف) ، ٢٧٧ (قذف) ، ١١ / ٥٢ (بزل) ١٥ / ١٩١ (قعا) ، وبلا نسبة في لسان العرب ٦ / ٧٧ (دخس) ، ومجالس نعلب ٣٢٠ ، وجمع الهوامع ١ / ١٩٣ .

(٣) ديوانه ق ١٧ / ٦٨ ج ٣ / ١٧١٩ . وصواب الرواية : " على أنيابه " يصف بعيراً وبهامش أ . : " أنيابه " مع " صح " .

(٤) قال ابن منظور في اللسان (١ / ٦٥) ط . المعارف (أرم) : " الأرم : الأضراس ، قال الجوهري : كأنه جمع أرم . ويقال : فلان يحرق عليك الأرم إذا تغيظ فحك أضراسه بعضها ببعض ، وقيل : الأرم أطراف الأصابع . ابن سيده : وقالوا هو يعلك عليه الأرم أي يصرف بأنيابه عليه حنقا ... وقال أبو رياش : الأرم الأنياب ... قال الجوهري : حرق نابيه يحرقه ويحرقه إذا سحقه حتى يسمع له صريف " . اهـ . بتصرف .

(٥) البيت من الطويل ، وهو لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ١٤٣ ، وتاج العروس ٢٥ / ١٤٩ (حرق) ، وكتاب العين ٣ / ٤٤ ، وبلا نسبة في لسان العرب ١٠ / ٤٣ (حرق) ، وتهذيب اللغة ٤ / ٤٤ ومقاييس اللغة ١ / ٨٦ .

نَبَيْتُ أَحْمَاءَ سُلَيْمَى إِنَّمَا ظَلُّوا غَضَابًا يَغْلُكُونَ الْأَرَمًا^(١)

وقال بعض النحويين : يعني الشَّفَاةَ ، وقال بعضهم : يعني الأصابع .
فأما قولهم " عَضُّ عَلَى نَاجِيهِ " ^(٢) - وهو آخرُ الأسنان - فيكونُ على وجهين :
أحدهما : أنه قد احتنك وبلغ ، والآخر : أن يكون للإطراق والتشدُّد . ويروى عن
علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كان يقول : إذا لقيتم القومَ فاجمعوا القلوبَ وعَضُّوا على
النَّواجِدِ ، فإنَّ ذلك يُنبِي السيفَ عَنِ الهَامِ .
* * *

ثم نعود إلى التشبيه

قال الراجز :

كَأَنَّهُا حِينَ تَنَاهَى الْبَاسُ	جَنِيَّةٌ فِي رَأْسِهَا أَمْرَاسُ
بِهَا سُكُونٌ وَبِهَا شِمَاسُ	يَخْرُجُ مِنْهَا الْحَجَرُ الْكُبَاسُ
يَمُرُّ لَا يَخْبُسُهُ حَبَّاسُ	لَا نَافِذُ الطَّعْنِ وَلَا تَرَّاسُ

يصفُ الْمُنَجْنِقَ . و " الأمراسُ " : الحبالُ ، الواحدُ " مَرَسٌ " . و " الكُبَّاسُ " :
الضخم ، يقال : هامةٌ " كَبَسَاءٌ " يا فتى ؛ ورأسٌ " أَكْبَسُ " . و " الحَبَّاسُ " : الذي من
شأنه أن يَحْبِسَ ، يقال : ضاربٌ ، للذي يَضْرِبُ ، كثيراً كان ذلك منه أو قليلاً ، فإذا
قلت " ضَرَّابٌ " و " قَتَّالٌ " فإنما تَكثِّرُ الفعلَ ، ولا يكونُ للقليل .

قال الراجز :

أَخْضَرُ مِنْ مَعْدِنِ ذِي قَسَّاسٍ كَأَنَّهُ فِي الْحَيْدِ ذِي الْأَضْرَاسِ

يُزَمَّى بِهِ فِي الْبَلَدِ الدَّهَّاسُ^(٣)

يصفُ مغولاً . و " ذو قَسَّاسٍ " : مَعْدِنٌ للحديد الجيد ، وهو يقربُ من بلاد بني
أَسَدٍ . " والحَيْدُ " : ما أشرفَ من الجبلِ أو غير ذلك ، يقال للطَّنْفِ " حَيْدٌ " وهو الذي
يسميه أهلُ الحَضَرِ " الْإِفْرِيزَ " يقال : طَنَفَ حَائِطُكَ ، ويقالُ للنَّاتِي فِي وَسْطِ الْكَتِفِ

(١) البيتان بلا نسبة في النوادر ٨٩ ، وتهذيب الألفاظ ٨١ ، واللسان (أرم) .

(٢) في الأصل : نواجهه .

(٣) الرجز بلا نسبة في تاج العروس ١٦ / ٣٧٥ (قسس) ، ومعجم البلدان ٤ / ٣٤٥ (قساس) ،

والفاضل ١٨ .

"حَيْدٌ" و "عير" وكذلك الناتِي في القَدَم . وقوله " ذي الأضراس " يريدُ الموضع الضَّرْسَ الحَشِينَ ذا الحِجَارَةِ ، فيقولُ : هذا المِعْوَلُ لِحِدَّتِهِ يَقَعُ في الحَشُونَةِ فَيَهْدِمُهَا كما يَهْدِمُ الدَّهَّاسُ . و "الدَّهَّاسُ" : ما لَانَ من الرَّمْلِ . قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ في يوم حُنَيْنٍ : أَيْنَ مُجْتَلِدُ الْقَوْمِ ؟ فقالوا : بأوطاس^(١) ، فقال : نَعَمْ مَجَالُ الْخَيْلِ ، لا حَزَنٌ ضَرِسٌ ، ولا لَيْنٌ دَهِسٌ .

وقال العَجَّاجُ^(٢) يصفُ حمارة :

كَأَنَّ فِي فِيهِ إِذَا مَا شَحَجَا عُوْدًا دُوَيْنَ اللَّهَوَاتِ مُوَلَجَا

هذا يَصِفُ الْعَيْرَ الْوَحْشِيَّ الَّذِي قَدْ أَسَنَّ ، تَرَاهُ لَا يَشْتَدُّ نَهْيَهُ ، وكأنه يعالجه علاجًا . قال الشَّمَّاخُ^(٣) :

إِذَا رَجَعَ التَّغْشِيرَ عَجًّا كَأَنَّهُ بِنَاجِيهِ مِنْ خَلْفِ قَارِحِهِ شَجِي

فأما قولُ عَنترَةَ :

بَرَكَتْ عَلَى مَاءِ الرَّدَاعِ كَأَنَّمَا بَرَكَتْ عَلَى قَصَبِ أَجَشٍّ مُهْضَمٍ^(٤)

فإنما يصفُ الناقَةَ ويذكر حنينها ، يقالُ إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا كَأَشَجَى صَوْتٍ ، وإنما شَبَّهه بِالزَّمِيرِ ، وأراد القَصَبَ الَّذِي يُزْمَرُ بِهِ ، قال الأصمعيُّ : هو الَّذِي يَقَالُ لَهُ بِالْفَارْسِيَّةِ " نَرْمَنَائِي " ، قال الراعي يصفُ الحَادِيَّ :

زَجَلِ الْحَدَاءِ كَأَنَّ فِي حَيْزُومِهِ قَصَبًا وَمُقْنَعَةً الْحَيْنِ عَجُولًا^(٥)

" الْمُقْنِعُ " الرَّافِعُ رَأْسَهُ ، في هذا الموضع ، ويقالُ في غيره : الَّذِي يَحْطُ رَأْسَهُ ، استخذاءً وندماً ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾^(٦) ومن قال : هو الرَّافِعُ

(١) أوطاس واد في ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين . معجم البلدان ٢٨١/١ .

(٢) سلف البیتان .

(٣) ديوانه ق ٤٢/٢ ص ٨٨

(٤) البيت من الكامل ، وهو لعنترَةَ في ديوانه ٢٠٣ ، ولسان العرب ١٢٣/٨ (ردع) ٦١٥/١٢ ،

(هضم) ، وتاج العروس ٢١/٨٥ . (ردع) (هضم) ، ومعجم البلدان ٣/٣٩ (رداع)

(٥) البيت من الكامل ، وهو للراعي النميري في ديوانه ٢٢١ ، ولسان العرب ٨/٣٠٠ (قنع) ،

وتهذيب اللغة ١/٣٦٠ ، وأساس البلاغة (قنع) ، وتاج العروس ٢٢/٦٩ (قنع) ، وبلا نسبة في

المختصص ٢/١٤٣ ، ١٥٩ .

(٦) سورة إبراهيم : ٤٣ .

رأسه فتأويله عندنا : أنه يتناولُ فينظرُ ثم يطأطئُ رأسه ، فهو بعدُ يرجعُ إلى الإغضاء والانكسار .

* * *

والبعيرُ يحنُّ كأشدَّ الحنينِ إلى ألافِهِ إذا أُحِذَ من القطيع . قال ^(١) : وأكثرُ ما يحنُّ عند العطش ، قال الشاعرُ :

لا تَصْبِرُ الإِبِلُ الجِلَادُ تَفَرَّقَتْ بعدَ الجميعِ وَيَصْبِرُ الإنسانُ ^(٢)
وقال آخر ^(٣) :

وهل رِيَّةٌ في أن تَحَنُّ نَجِيَّةٌ إلى إلفِها أو أن يَحَنُّ نَجِيبُ
وإذا رَجَعَتِ الحنينُ كان ذلك أحسنَ صوتٍ يهتاجُ له المَفَارِقُونَ ، كما يهتاجون لَنُوحِ الحمام ، ولإتياحِ البُرُوقِ .

وقال عَوْفُ بْنُ مُحَلَّمٍ وسمع نُوْحَ حمامةٍ ^(٤) :
ألا يا حَمَامَ الأَيْلِكَ إلفُكَ حاضِرٌ وَغَضُنُكَ مَيَّادُ فَقِيمِ تَنُوحُ
أفِقْ لا تَنُخْ مِنْ غيرِ شيءٍ فإِنِّي بَكَيْتُ زَمَانًا والفؤادُ صَحيحُ
وَلَوْعًا فَشَطَطَتْ غَرَبَةً دَارُ زَيْنَبَ فها أنا أَبْكِي والفؤادُ قَرِيبُ
وكلُّ مُطَوِّقَةٍ عند العربِ حمامةٌ ، كالدُّبْسِيِّ والقُمْرِيِّ والوَرَشَانِ وما أشبه ذلك .
قال حُمَيْدُ بْنُ تَوْرٍ ^(٥) :

وما هاجَ هذا الشُّوقَ إلا حمامةٌ دَعَتْ ساقَ حُرٍّ في حَمَامٍ تَرَنَّمَا

(١) كذا ، والوجه حذفها .

(٢) لعروة بن أذينة في الموثلف والمختلف ٥٤ ، وهما بلا نسبة في الوحشيات ١٨٩ ، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢٥٦ ، وفرحة الأديب ٧١ ، والعقد ٤١٤/٥ .

(٣) وهو ابن الدمينية . ديوانه ق ٢٧/٥٠ ص ١٠٤ . وينسب لغيره ، انظر تعليق العلامة أحمد راتب النفاخ في ديوان ابن الدمينية ص ٢٣٨ .

(٤) الأبيات من الطويل له في سمط اللآلى ٣٧٢ وتخريجها ثمة .
وزعم الموصفي أن " الشعر لأبي كبير الهذلي لا لعوف وإنما ذكره لعبد الله بن طاهر لما سمع صوت عندليب فالتفت إلى ابن محلم ، وقال : هل سمعت بأشجى من هذا ؟ فقال : لا والله قاتل الله أبو كبير [كذا] حيث يقول : وذكر هذه الأبيات " رغبة الأمل ٢٦/٧ .

(٥) ديوانه ٢٧ . وفي الرواية اختلاف . انظر رغبة الأمل ٢٧/٧ - ٢٨ .

إذا شئتُ غَتَّتني بأجزاء بيْشةٍ أو النخل من ثَلِيثٍ أو مِنْ يَمَبَمَا
مُطَوِّقَةٌ خَطْبَاءُ تَسْجَعُ كُلَّمَا دَنَا الصَّيْفُ وَأَنْجَالَ الرِّيعِ فَأَنْجَمَا
مُحَلَاةٌ طَوَّقَ لَمْ يَكُنْ مِنْ تَمِيمَةٍ وَلَا ضَرْبِ صَوَاغٍ بِكَفَيْهِ دِرْهَمًا
تَغْتَنِّي عَلَى غُصْنٍ عِشَاءَ فَلَمْ تَدْعُ لِنَائِحَةٍ فِي نَوْحِهَا مُتَلَوِّمًا
إِذَا حَرَكْتَهُ الرِّيحُ أَوْ مَالِ مَيْلَةٍ تَغْتَنِّي عَلَيْهِ مَاثِلًا وَمُقَوِّمًا
عَجِبْتُ لَهَا أَنِّي يَكُونُ غِنَاؤُهَا فَصِيحًا وَلَمْ تَفْغَرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا
فَلَمْ أَرِ مَثْلِي شَاقَّةُ صَوْتٍ مِثْلُهَا وَلَا عَرِيًّا شَاقَّةُ صَوْتٍ^(١) أَعْجَمًا^(٢)

وقال ابن الرِّقَاعِ وذكرَ حمامةً [قال أبو الحسن : الصحيح أنه لِنَصِيبٍ] :
فلو قَبْلَ مَبْكَاهَا بِكَيْتُ صَبَابَةٍ بَلِيلِي شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّسَدُّمِ
ولكنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَاجَ لِي الْبُكَاءُ بُكَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ^(٣)

أما قولُ حميدٍ " دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ " فَإِنَّمَا حَكَى صَوْتَهَا . ويقالُ للوَاحِدِ ذَكَرًا كَانَ
أَوْ أُنْثَى " حَمَامَةٌ " وَالْجَمْعُ " الْحَمَامُ " وَالْحَمَامَاتُ " . فَإِذَا كَانَ ذَكَرًا قُلْتُ : " هَذَا حَمَامَةٌ " .
وَإِذَا كَانَتْ أُنْثَى قُلْتُ : " هَذِهِ حَمَامَةٌ " . وَكَذَلِكَ " هَذَا بَطَّةٌ " وَ " هَذِهِ بَطَّةٌ " وَيُقَالُ "
بَقْرَةٌ " لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ، وَ " دَجَاجَةٌ " لهُمَا ، فَإِذَا قُلْتُ " ثَوْرٌ " أَوْ " دِيكٌ " بَيَّنْتُ الذَّكَرَ
وَاسْتَغْنَيْتَ عَنِ تَقْدِيمِ التَّذْكِيرِ .

ويقالُ لِلْحَمَامَةِ : تَغْتَنِّي وَنَاحَتْ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ صَوْتُ حَسَنٌ غَيْرُ مَفْهُومٍ ، فَيُشَبِّهُ مَرَّةً
بِهَذَا وَمَرَّةً بِهَذَا ؛ وَقَالَ قَيْسُ بْنُ مُعَاذٍ^(٤) :

وَلَوْ لَمْ يَشْفُقْنِي الظَّاعِنُونَ لَشَاقَنِي حَمَائِمُ وَرُقٍ فِي الدِّيارِ وَقُوعُ
تَجَاوَبْنَ فَاسْتَبَكَيْنَ مَنْ كَانَ ذَا هَوًى نَوَائِحُ مَا تَجْرِي لَهْنٌ دَمُوعُ

وقوله " وَأَنْجَالَ الرِّيعِ " يَقَالُ : " أَنْجَالَ الرِّيعَ عَنَّا " أَيِ أَقْلَعَ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ

(١) بهامش نسخة : "نوح" .

(٢) هذا البيت لحميد بن ثور في ديوانه ٢٤ ، والأشباه والنظائر ٨ / ٤٣٠ ، ٤٤ ، ولسان العرب ٣٥٤/٧ (علط) ، ١٥٧/٨ (سفع) .

(٣) البيتان ينسبان لعدي ولنصيب ، انظر الحماسة البصرية ١٤٢/٢ ، وشعر نصيب ١٣٠ ، ٢٠٠ .

(٤) هو المجنون . ديوانه ص ١٩١ .

"أُنْجَمَ عَنَّا" فإذا قلتَ "أُنْجَمَ" فمعناه وقع ولزم ، فهو خلافُ "أُنْجَمَ" . فإذا قلتَ :
 "أُنْجَابَ" فمعناه انشقَّ ، يقال "المَجُوبُ" للحديدة التي يُثْقَبُ بها العَسِيبُ ، ويقال :
 "جُبَّتِ البلادُ" أي دخلتها وطوّفتها . وفي القرآن : ﴿ وَتُؤَدُّ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ
 بِالْوَادِ ﴾ (١) أي شقُّوه .

وقوله " لم يَكُنْ من تَمِيمَةٍ " التَمِيمَةُ : المعادةُ وقد مضى هذا . وقوله " ولم
 تَغْفَرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا " يقولُ : " لم تَفْتَحْ " ، يقال " فَعَرَفَاهُ " : إذا فَتَحَهُ .
 وقوله : ولا عَرِيًّا شَافَهُ صَوْتُ أَعْجَمَا

يقولُ : لم أفهم ما قالت ، ولكنِّي اسْتَحْسَنْتُ صَوْتَهَا واسْتَحَزَنْتُهُ ، فَحَنَنْتُ لَهُ .
 وَيُرْوَى أَنَّ بعضَ الصَّالِحِينَ كان يسمَعُ الفارسيَّةَ تَنُوحُ ولا يدري ما تقولُ ،
 فَيُكَيِّه ذلكَ وَيُرَفِّقُهُ ، وَيَذْكُرُ به غيرَ ما قَصَدَتْ لَهُ .

قال أبو العباس : وَحَدَّثْتُ أَنَّ بعضَ المُحَدِّثِينَ سمِعَ غِنَاءً بِخَرَّاسَانَ بِالْفَارِسيَّةِ فلم يَدْرِ
 ما هو ، غيرَ أَنَّهُ شَوَّقَهُ (٢) لِشَجَاهُ وَحُسْنِهِ ، فقال في ذلك : [قال أبو الحسن : هو لأبي
 تَمَام]

حَمْدُكَ لَيْلَةً شَرُفَتْ وَطَابَتْ أَقَامَ سُهَادُهَا وَمَضَى كَرَاهَا
 سَمِعْتُ بِهَا غِنَاءً كَانَ أَوْلَى بِأَنْ يَقْتَادَ نَفْسِي مِنْ غِنَاهَا (٣)

" الغِنَاءُ " الأولُ ممدودٌ من الصوت ، والذي ذكره بعدُ في القافية من المالِ
 مقصورٌ .

وَمُسْمِعَةٌ يَحَارُ السَّمْعُ فِيهَا وَلَمْ تُصْنِفْهُ لَا يَصْنَمُ صَدَاهَا
 وَلَمْ أَفْهَمْ مَعَانِيَهَا وَلَكِنْ وَرَتْ كَبْدِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَجَاهَا
 فَكُنْتُ كَأَنِّي أَغْمَى مُعْنَى بِحُبِّ الْغَايَاتِ وَمَا رَأَاهَا (٣)

قال أبو العباس : والشَّيْءُ يُذَكَّرُ بِالشَّيْءِ ، لاحتواءِ البابِ عليهما .
 وفي شِعْرِ حُمَيْدٍ هَذَا ما هُوَ أَحْكَمُ مِمَّا ذَكَرْنَا وَأَوْعَظُ ، وَأُخْرَى أَنْ يَتِمَّ لِلْبَيْتِ بِهِ

(١) سورة الفجر ٩ .

(٢) في الأصل : شاقه .

(٣) من الوافر لأبي تمام في ديوانه ص ٤٧٤ ط . دار الكتب العلمية .

الأشرافُ ، وتُسَوَّدُ به الصُّحُفُ ، وهو قوله ^(١) :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتُ بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
وَلَا يَلْبَثُ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَمَا تَيْمَمَا
وَيُرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءٌ " ^(٢) .

* * *

ثم نرجعُ إلى التشبيه :

قال أبو العباس : والعربُ تُشَبَّهُ على أربعةِ أضربٍ : فتشبيهُ مُفْرِطٍ ، وتشبيهُ مُصِيبٍ ، وتشبيهُ مُقَارِبٍ ، وتشبيهُ بعيدٍ يَحْتَاجُ إلى التفسير ولا يقوم بنفسه ، وهو أَخْشَنُ الكلام .

فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسَّخِيَّ : هو كالبَحْرِ ، وللشجاع : هو كالأسدِ ، وللشريف : سَمًا حتى بَلَغَ النجم . ثم زَادُوا في ذلك ، فمنه قولُ بعضهم [قال أبو الحسن : وهو بَكْرُ بن النُّطَّاح يقول لأبي دُلْفٍ القاسمِ بن عيسى] :

لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِغْشَارَ جُودِهَا عَلَى الْبَرِّ صَارَ الْبَرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ
وَلَوْ أَنَّ خَلْقَ اللَّهِ فِي مَسْكِ فَارِسٍ وَبَارَزَهُ كَانَ الْخَلِيٌّ مِنَ الْعُمَرِ ^(٣)

وقد قيل ^(٤) : إِنَّ امْرَأَةَ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ قَالَتْ لَهُ : أَمَا زَعَمْتَ أَنَّكَ لَمْ تَكْذِبْ فِي شَعْرٍ قَطُّ ؟ قَالَ : أَوْ فَعَلْتُ ؟ قَالَتْ : أَنْتَ الْقَائِلُ :

فَهُنَاكَ مَجْرَأَةٌ بَنُ ثَوْرٍ رِ كَانِ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ ^(٥)

أَفِيكُونُ رَجُلٌ أَشْجَعُ مِنَ الْأَسَدِ ؟ قَالَ : أَنَا رَأَيْتُ مَجْرَأَةَ بَنِ ثَوْرٍ فَتَحَ مَدِينَةً ،

(١) سلف البيتان .

(٢) "ضعيف" أخرجه الديلمي في مسند الفردوس " من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وأورده

الشيخ الألباني في "ضعيف" الجامع " (ح ٤١٧٨) ، وقال : ضعيف

(٣) الأبيات من الطويل ، والثاني والثالث لبكر في الأغاني (١١٧/١٩) بتقديم وتأخير واختلاف في بعض الألفاظ .

(٤) سلف الخبر .

(٥) سبق .

والأسدُ لا يفتحُ مدينةً .

ومن عجيب التشبيه في إفراطٍ غير أنه خرَجَ في كلامٍ جيدٍ ، وعنى به رجلٌ جليلٌ
فخرَجَ من باب الاحتمال إلى باب الاستحسان ، ثم جعلَ لجودة ألفاظه وحسنِ رصفه
واستواء نظمه في غاية ما يُستحسنُ قولُ النابغة^(١) يعني حصنَ بنَ حذيفةَ بنَ بدرِ بنِ عمرو
الفزاريّ :

يقولون حصنٌ ثم تأبى نفوسُهُم وكيف بحصنٍ والجبالُ جنوحُ
ولم تَلْفِظِ الموتى القبورُ ولم تزلُ نجومُ السماءِ والأديمُ صحيحُ
فعمّا قليلٍ ثم جاء نعيُّه فظلَّ نديُّ الحَيِّ^(٢) وهو يَنوحُ^(٣)

ومن تشبيههم المتجاوزِ الجيدِ النظم ما قد ذكرناه ، وهو قولُ أبي الطمّحانِ
القينيّ :

أضاءت لهم أحسابُهُم ووجوهُهُم دجى الليلِ حتى نَظَمَ الجزعُ ثاقبُه^(٤)
ويروى عن الأصمعيّ أنه رأى رجلاً يختالُ في أزيّرٍ في يومٍ قُرٍّ ، فقال له : ممّن
أنت يا مَقْرورُ ؟ فقال : أنا ابنُ الوحيدِ ، أمشي الخيزلَى^(٥) ، ويُدفُئني حَسبي !!
وقيل لآخرٍ في هذه الحالِ : أَمَا يُوجِعُكَ البرْدُ ؟ فقال : بلى ، ولكني أذكرُ حَسبي
فَأَدْفَأُ !!

وأصوبُ منهما قولُ العُريّان الذي سئلَ في يومٍ قُرٍّ عما يجدُ ؟ فقال : ما عليّ منه
كبيرُ مَثُونَةٍ ، فقليل : وكيف ؟ فقال : دَامَ العُريُّ ، فاعتادَ بدني ما ألفتُهُ وجوهُكم !

(١) ديوانه ق ١/٥٠ - ٣ ص ٢١٣ .

(٢) بهامش نسخة : " القوم " رواية الديوان .

(٣) البيت من الطويل ، وهو للنابغة في ديوانه ١٩٠ ، وأساس البلاغة ٦٦ (جنح) .

(٤) بعده بيت وهو :

نجوم سماء كلما غار كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه

والبيتان من الطويل ، وهما لأبي الطمّحان القيني في الأغاني ٩ / ١٣ ، وأمالى المرتضى ١ / ٢٥٧ ،
وتخليص الشواهد ٢٠٢ ، وخزانة الأدب ٨ / ٩٥ ، ٩٦ ، وديوان المعاني ١ / ٢٢ ، وشرح ديوان الحماسة
للمرزوقي ١٥٩٨ ، ولسان العرب ٧ / ١٤٣ (خضض) والمقاصد النحوية ١ / ٥٦٧ ، وهما للقيط بن
زرارة في الحيوان ٣ / ٩٣ والشعر والشعراء ٧١٥ .

(٥) الخيزلى : مشية فى تناقل .

ومن التشبيه القاصد الصحيح قولُ النابغة :

وَعَيْدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَنَانِي وَذُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَّاجِعُ^(١)^(٢)
فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَبِيلَةً مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ^(٣)
يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لِحَلْيِ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقُعُ
تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّهَا تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِعُ

فهذه صفة الخائف المهموم . ومثل ذلك قولُ الآخر :

تَبِيتُ الْهُمُومُ الطَّارِقَاتُ يَعِدُنِي كَمَا تَغْتَرِي الْأَوْصَابُ رَأْسَ الْمُطَلَّقِ^(٤)

و " المُطلق " هو الذي ذكره النابغة في قوله :

تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِعُ

وذلك أنَّ المنهوشَ إذا أَلَحَّ الوجعُ به تارةً وأَمْسَكَ عنه تارةً فقد قارب أن يُؤَنَسَ
بِرؤُوه .

وإنما ذَكَرَ خوفَه من النعمان وما يَغْتَرِيهِ من لَوَعَةٍ في إِثْرِ فِتْرَةٍ ، والفِتْرَةُ سيما
الخائفِ ، ولا يَنَامُ إِلَّا غِرَارًا ، فلذلك شَبَّهَ بِالْمَلْدُوغِ الْمَسْهَدِ .
وقال الآخرُ :

(١) راكس : واد ، والضواجع : موضع . انظر معجم البلدان (راكس) ١٦/٣ و(الضواجع) ٤٦٤/٣ .
(٢) البيت من الطويل ، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ٣٢ ، ولسان العرب ١٠١/٦ (ركس) ،
٢٢١/٨ (ضجع) ، والتنبيه والإيضاح ٢/٢٧٨ ، وديوان الأدب ٢/١٥٨ ، وتاج العروس
١٣١/١٦ (ركس) ٤٠٢/٢١ (ضجع) ، ومعجم البلدان ٣/٤٥٤ (الضجوع) ٤٦٤ (الضواجع) ،
وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣/٣٩٠ ، ومجمل اللغة ٣/٣٠٥ .

(٣) ساورتني : واثبتني والضبيلة : الحية الدقيقة القليلة اللحم ، والرقش جمع رقصاء وهي النقطة ،
وناقع : ثابت عتيد كامن . عن الديوان .

(٤) البيت من الطويل ، وهو للمزق العبدى في الأصمعيات ١٦٤ وبلا نسبة في لسان العرب
٢٣١/١٠ (طلق) ، وتهذيب اللغة ١٦/٢٦١ ، وديوان الأدب ٢/٣٦٩ ، وجمهرة اللغة ٩٢٢ ،
ومقاييس اللغة ٣/٤٢١ .

وله رواية :

تبيت الهموم الطارقات يعدنني كما تعزى الأهوال رأس المطلق

كَأَنَّ فِجَاجَ الْأَرْضِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كُفَّةُ حَابِلٍ
يُؤْتَى إِلَيْهِ أَنْ كُلُّ ثَنِيَّةٍ تَيَمَّمَهَا تَرْمِي إِلَيْهِ بِقَاتِلٍ^(١)

يقال لكل مستطيل "كُفَّة" يقال "كُفَّة الثوب" لحاشيته ، و "كُفَّة الحابل" إذا كانت مستطيلة. ويقال لكل مستدير "كُفَّة" ويقال "ضَعُهُ فِي كُفَّةِ الْمِيزَان" فهذا جملة هذا . وكُفَّةُ الحابل : الْحِبَالَةُ الَّتِي يَنْصُبُهَا لِلصَّيْدِ .

وَأَمَّا التَّشْبِيهُ الْبَعِيدُ الَّذِي لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ فَكَقَوْلِهِ:
بَلْ لَوْ رَأَتْنِي أَخْتُ جِيرَانِنَا إِذْ أَنَا فِي الدَّارِ كَأَنِّي هَمَزَانٌ

فإنما أراد الصحة ! فهذا بعيد ، لأن السامع إنما يستدل عليه بغيره ، وقال الله جلَّ وعزَّ - وهذا البين الواضح - ﴿ كَمَثَلِ الْخِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾^(٢) و "السَّفَرُ" الكتاب ، يقول : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ في أنهم قد تعاموا عنها ، وأضربوا عن حدودها وأمرها ونهيها ، حتى صاروا كالخمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها . [قال أبو الحسن : الصحيح الفصيح : ضربت عن كذا ، وبه نزل القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا ﴾^(٣) لأنه من ضَرَبْتُ ، وأضربت لغة جيدة أيضًا] .
قال أبو العباس : وهجا مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة قومًا من رواة الشعر ، بأنهم لا يعلمون ما هو ، على كثرة استنكارهم من روايته ، فقال :

زَامِلٌ لِلْأَشْعَارِ لَا عِلْمَ عَنْدَهُمْ بِجَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ
لَعَمْرُكَ مَا يَذْرَى الْبَعِيرُ إِذَا غَدَا بِأَوْسَاقِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِي الْغَرَائِرِ

قال أبو العباس : والتشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس . وقد وقع على ألسن الناس من التشبيه المستحسن عندهم - وعن أصل أخذوه - أَنْ يُشَبِّهُهُ عَيْنَ الْمَرَاةِ وَالرَّجُلِ بِعَيْنِ الظُّبَيْرِ أَوْ الْبَقْرَةِ الْوَحْشِيَّةِ ، وَالْأَنْفَ بِحَدِّ السَّيْفِ ، وَالْفَمَ بِالْخَاتَمِ ، وَالشَّعْرَ بِالْعُنَاقِيدِ ، وَالْعُنُقَ بِإِبْرِيْقِ فُضَّةٍ ، وَالسَّاقَ بِالْجُمَارَةِ . فهذا كلام جارٍ على الألسن .

(١) البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة في لسان العرب ٣٠٤/٩ (الخفف) وتهذيب اللغة ٤/ ١٣٩ ،

وتاج العروس ٣٢٤/٢٤ (الخفيف) .

(٢) سورة الجامعة : ٥ .

(٣) سورة الزخرف : ٥ .

وقد قال سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ جُعْشُمٍ : " فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسَاقَاهُ بَادِيَتَانِ فِي غَزَرِهِ كَأَنَّهُمَا جُمَارَتَانِ ، فَأَرَدْتُهِ فَوَقَعْتُ فِي مِقْنَبٍ ^(١) مِنْ خَيْلِ الْأَنْصَارِ ، فَفَرَعُونِي بِالرَّمَاخِ ، وَقَالُوا : أَيْنَ تُرِيدُ " ^(٢) .

وقال كعبُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ : " وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ تَبَلَّجَ وَجْهَهُ فَصَارَ كَأَنَّهُ الْبَذْرُ " ^(٣)

وعَيْنُ الْإِنْسَانِ مُشَبَّهَةٌ بِعَيْنِ الظُّلِيِّ وَالْبَقَرَةِ فِي كَلَامِهِمُ الْمُنْثَوِرِ ، وَشَعْرِهِمُ الْمَنْظُومِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَجِيدُكِ جِيدُهَا وَلَكِنْ عَظَمَ السَّاقِ مِنْكَ دَقِيقُ ^(٤)

وقال الآخرُ :

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ خَرَجَنَ عَلَيْنَا مِنْ رُقَاقِ ابْنِ وَاقِفٍ

طَلَعْنَ بِأَعْنَاقِ الطَّبَّاءِ وَأَعْيُنَ الْ جَاذِرِ وَأَمَدَّتْ بِهِنَّ الرُّوَادِفُ ^(٥)

ويقالُ لِلْخَطِيبِ : كَأَنَّ لِسَانَهُ مِبْرَدٌ . فهذا الجَارِي فِي الْكَلَامِ ، كَمَا يُقَالُ لِلطَّوِيلِ : كَأَنَّهُ رُمُجٌ . وَيُقَالُ لِلْمُهْتَزِّ لِلْكَرَمِ : كَأَنَّهُ غَصْنٌ تَحْتَ بَارِحٍ .

(١) المِقْنَبُ : جَمَاعَةُ الْخَيْلِ وَالْفَرَسَانِ .

(٢) الْحَدِيثُ فِي سِيَرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١٣٥/٢ .

(٣) هذه الفقرة وردت في حديث توبة كعب بن مالك الطويل ، وقد أخرجه البخاري في مواضع كثيرة من صحيحة ، من بين هذه المواضع ، أخرجه في " المغازي " ، باب : حديث كعب بن مالك ، (٧١٧/٧) ، (ح ٤٤١٨) ، ومسلم في " التوبة " ، باب حديث كعب بن مالك ، (٥/٦١٤) ط الشعب .

(٤) البيت من الطويل ، وهو للمجنون في ديوانه ١٦٣ ، وجمهرة اللغة ٤٣ ، وخزانة الأدب ١١ / ٤٦٤ ، ٥٦٧ ، ٤٦٨ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ٢٠٦ ، ولسان العرب ١٣٦/٨ (روغ) ، ولرجل من أهل اليمامة في جمهرة اللغة ٢٩٢ ، وبلا نسبة في الخصائص ٢ / ٤٢٠ وشرح المفصل ٨ / ٧٩ ، ٩ / ٤٨ ، ولسان العرب ١٠ / ١٦٨ (سوق) والمقرب ٢ / ١٨٢ ، والمتع في التصريف ٤١١ . وله رواية

فَعَيْنَاشَ عَيْنَاهَا وَحِيدُشَ جِيدُهَا سَوَى أَنْ عَظَمَ السَّاقِ فَشَ دَقِيقِ

(٥) البيت من الطويل ، وهو لهدبة بن خشرم العذري في ديوانه ١١٦ ، ومعجم البلدان ٣ / ١٤٥ (زقاق ابن واقف) ، وبلا نسبة في لسان العرب ١٠ / ١٤٤ (زقق) ، وتاج العروس ٢٥ / ٤٠٩ (زقق) .

ومن عجيب التشبيه قولُ القائل^(١) :

لَعَيْنُكَ يَوْمَ الْيَنِّ أَسْرَعُ وَاكِفًا من الفَنِّ الْمَمْطُور وهو مَرْوُحُ
وذلك أَنَّ الْغُصْنَ يَقَعُ الْمَطَرُ فِي وَرَقِهِ فَيَصِيرُ مِنْهَا فِي مِثْلِ الْمَدَاهِنِ ، فإِذَا هَبَّتْ لَهُ
الرَّيْحُ لَمْ تَلْبَثْهُ أَنْ تُقَطِّرَهُ .

ثم نذكرُ بعدَ هذا طرائفَ من تشبيه المحدثين وملاحاتهم ، فقد شرطناه في أول
الباب .

قال أبو العباس : ومن أكثرهم تشبيهاً ؛ لاتساعه في القول ، وكثرة تفننه ،
واتساع مذاهبه الحسنُ بنُ هانئ ، قال في مدحه الفضلُ بنُ يحيى بن خالد بن برمك :
وَكُنَّا إِذَا مَا الْحَائِنُ الْجَدَّ غَرَّهُ سَنَا بَرَقَ غَادٍ أَوْ ضَجِيجُ رَعَادٍ^(٢)
تَرَدَّى لَهُ الْفَضْلُ بْنُ يُحْيَى بْنِ خَالِدٍ بِمَاضِي الظُّبَا أَزْهَاهُ طُولُ نِجَادٍ
أَمَامَ خَمِيسٍ أَرْجُوانٍ كَأَنَّهُ قَمِيصٌ مَحْوُوكٌ مِنْ قَنَّا وَجِيَادٍ
فَمَا هُوَ إِلَّا الدَّهْرُ يَأْتِي بِصَرْفِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ يَشْقَى بِهِ وَيُعَادِي

قوله : " الحائِنُ الجَدُّ " يقال : " حَانَ الرَّجُلُ " : إِذَا دَنَا مَوْتُهُ ، وَيُقَالُ : " رَجُلٌ
حَائِنٌ " وَالْمَصْدَرُ " الْحَيْنُ " .

و " الْجَدُّ " الْحِظُّ ، و " الْجَدُّ " و " الْجَدَّةُ " مَفْتُوحَان ، فَإِذَا أُرِدَتْ الْمَصْدَرُ مِنْ
" جَدَدْتُ " فِي الْأَمْرِ قُلْتُ : " أَجَدُّ جَدًّا " مَكْسُورٌ الْجِيم ، وَيُقَالُ : " جَدَدْتُ النَّخْلَ جَدًّا " :
إِذَا صَرَّمْتَهُ وَيُقَالُ : جَدَدْتُهُ جَدًّا وَتَرَكْتُ الشَّيْءَ جُدَادًا " إِذَا قَطَعْتَهُ قِطْعًا . وَيُرْوَى هَذَا
الْبَيْتُ لَجَرِيرٍ عَلَى وَجْهَيْنِ^(٣) :

آلُ الْمُهْلَبِ جَدُّ اللَّهِ دَابِرُهُمْ أَضْحَوْا رَمَادًا فَلَا أَصْلَ وَلَا طَرَفُ

(١) هو أبوحية النميري . شعره ق ١٧/٢٦ ص ١٣٠ .

والبيت من الطويل ، وهو بلا نسبة في أساس البلاغة ١٨٣ (روح) .

(٢) ديوان أبي نواس ص ٤٧٢-٤٧٣ .

(٣) البيت من البسيط ، وهو لجرير في ديوانه ١٧٦ ، ولسان العرب ٢/٦٠٠ (ملخ) وجميع الأمثال ١/

ويروى " جَدَّ " . وقرأ بعضُ القُرَّاءِ : ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴾^(١) . فأما قوله : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جَذَازًا ﴾^(٢) فلم يُقرأ بغيره . ويقالُ : كَمْ جَذَاذُ نَحْلِكَ ، أي : كم تَصْرُمُ منها . ويروى في قول الله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ﴾ عن أنس بن مالك :^(٣) غِنَى رَبَّنَا . وقرأ سعيدُ بن جبیر^(٤) : " جَدًّا رَبَّنَا " . وهذا الشعر يُنشَدُ بالكسر :

أَجْدَكَ لَمْ تَغْتَمِضْ لَيْلَةً فَرَقْدَهَا مَعَ رُقَادِهَا^(٥)
ومثله قولُ الأعشى :

أَجْدَكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الْإِلَهِ حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَا^(٦)

لأن المعنى : أَجْدًا مِنْكَ ، تَوْقِيفًا ، وتقديره في النصب " أَتَجَدُّ جَدًّا " ويقال : امرأة " جَدَّاءُ " : إِذَا كَانَتْ لَا تَذِي لَهَا ، فكأنه قُطِعَ منها ، لأنَّ أَصْلَ " الْجَدُّ " الْقَطْعُ ، ويقال : " بِلَدَةِ جَدَّاءُ " : إِذَا لَمْ تَكُنْ بِهَا مَيَاةً ، قال الشاعر :

وَجَدَّاءُ مَا يُرْجَى بِهَا ذُو هَوَادَةٍ لِعُرْفٍ وَلَا يَخْشَى السَّمَاءَ رَبِّيْهَا^(٧)

[قال أبو الحسن : " السَّمَاءُ " هم الصَّادَةُ نصفَ النهار ، ورُويَ عن^(٨) بعض أصحابنا عن المازنيِّ قال : إِنَّمَا سُمِّيَ " سَامِيًّا " بِالسَّمَاءِ ، وهو خَفٌّ يَلْبَسُهُ لِفَلَا يَسْمَعَ الوحشُ وَطَأْتُهُ ، وهو عندي مِنْ " سَمًا لِلصَّيْدِ " أي : ارتفع] . قال أبو العباس : وَيُنْشَدُ

(١) سورة هود : ١٠٨ . ولم أجد القراءة التي حكاها . ولا اختلاف بينهم في أنه مجذوذ بذالين معجمتين .

(٢) سورة الأنبياء : ٥٨ .

(٣) والحسن . وقال ابن عباس : فعله وأمره وقدرته ، وقال مجاهد : جلاله . انظر تفسير ابن كثير ٢٦٥/٨ ، والبحر ٣٤٧/٨ .

(٤) عزا صاحب البحر ٣٤٨/٨ هذه القراءة لعكرمة .

(٥) البيت للأعشى . ديوانه ق ١/٨ ص ١٠٥ .

(٦) البيت من الطويل ، وهو للأعشى في ديوانه ١٨٧ ، ومقاييس اللغة ٤٠٧/١ ، ومجمل اللغة ١/٣٨٤ .

(٧) البيت من الطويل ، وهو للغبري في الكتاب ١٦٣/٢ ، وبلا نسبة في الكتاب ٤٩٨/٣ ، ولسان العرب ١١٠/٣ (جذد) ١٤٠/١ (سما) .

وله رواية :

وجداء ما يرجى بها ذو قرابة لعطف ، وما يخشى السماء ربيها

(٨) في نسخة : ويروى لى عن .

هذا البيت^(١):

أَبَى حُبِّي سُلَيْمَى أَنْ يَبِيدَا وَأَصْبَحَ حَبْلُهَا خَلْقًا جَدِيدًا^(٢)

يقول: أَصْبَحَ خَلْقًا مَقْطُوعًا ؛ لأن "جديدًا" في معنى "مَجْدُود" أي مقطوع ، كما تقول : " قَتِيلٌ ومَقْتُولٌ " و " جَرِيحٌ ومَجْرُوحٌ " . ويقال في غير هذا المعنى : رجلٌ " مَجْدُودٌ " : إذا كان ذا خَطَرٍ وَحَظٍّ . وفي الدعاء " وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ^(٣) " أي : مَنْ كان له حظ في دنياه لم يَنْفَعْ ذلك عنه ما يريد الله به . ولو قال قائلٌ : ولا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ - يريدُ الاجتهادَ - لكان وجهًا .

وقوله : " سَنَا بَرَقَ غَايٌ " و " السَّنَا " من الضياء مقصورٌ ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَكَاذُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾^(٤) . و " السَّنَاءُ " من المَجْدِ ممدودٌ ، قال الشاعرُ :
وهم قومٌ كرامٌ الحَيِّ طَرًّا لهم خَوْلٌ إذا ذُكِرَ السَّنَاءُ^(٥)

وضربه الحسنُ^(٦) مَثَلًا . وَجَمَعَ " الرَّعْدُ " فقال : " رِعَادٌ " كقولك : " كَلْبٌ وَكِلابٌ " و " كَعْبٌ وَكِعَابٌ " .
وقوله : " بِمَاضِي الطُّبَا " " ظُبَّةٌ " كلُّ شَيْءٍ : حَدُّهُ ، يقال : وَخَزَهُ بِظُبَّةِ السِّيفِ ، يَرَادُ بذلك ، حَدُّ طَرَفِهِ .

وقوله : " أَرْهَاهُ طَوْلُ نِجَادٍ " " النِّجَادُ " : حَمَائِلُ السِّيفِ ، و " أَرْهَاهُ " : رَفَعَهُ وَأَعْلَاهُ ، وَالرَّجُلُ يُمَدِّحُ بِالطُّوْلِ ؛ فَلِذَلِكَ يُذَكِّرُ طَوْلُ حَمَائِلِهِ ، قَالَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي

(١) البيت للوليد بن يزيد كما في أضداد ابن الأنباري ٣٥٢ ، وانظر تخريجه في أدب الكاتب ٢٩٢ .
(٢) البيت من الوافر ، وهو للوليد بن يزيد في أضداد بن الأنباري ٣٥٢ ، وليس في ديوانه ، وبلا نسبة في لسان العرب ١١١/٣ (جدد) ، ومقاييس اللغة ١/ ٤٠٧ وتاج العروس ٧ ، ٤٧٥ (جدد) ، ومجمل اللغة ١/ ٣٨٤ ، والاشتقاق ٥٠١ .

وله رواية : أبى صبي سليمى أن يبيدا وأمسى حبليها خلقا جديدا
(٣) هذا الدعاء جزء من حديث المغيرة بن شعبة في كتابه إلى معاوية " أن النبي ﷺ) ، كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... إلى قوله : ولا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ " أخرجه البخاري في " الأذان " ، باب : الذكر بعد الصلاة ، (٣٧٨/٢) ، (ح ٨٤) ، وفي مواضع كثيرة ، ومسلم في " المساجد " ، باب : استحباب الذكر بعد الصلاة ، وبيان صفته (ح ٥٩٣) .

(٤) سورة النور : ٤٣ .

(٥) البيت من الوافر ، وهو بلا نسبة في لسان العرب ١٤/ ٤٠٣ (سنا)

(٦) فوقه في نسخة : " أى ابن هانئ " .

حَفْصَةُ^(١) يمدحُ المَهْدِيَّ :

قَصُرَتْ هَائِلُهُ عَلَيْهِ فَقَلَّصَتْ ولقد تَأَنَّقَ فَيْنُهَا فَاطْلَهَا

وقال الحسنُ بنُ هانئٍ^(٢) يمدحُ محمدًا الأَمِينَ^(٣) :

سَبَطُ الْبَنَانِ إِذَا اخْتَبَى بِنَجَادِهِ غَمَرَ الْجَمَاجِمَ وَالسَّمَاطُ قِيَامُ

وقال جريرٌ^(٤) للفرزدق :

تَعَالَوْا ففَاتُونَا فِي الْحُكْمِ مَقْنَعٌ إِلَى الْغُرِّ مِنْ أَهْلِ الْبَطَاحِ الْأَكَارِمِ

فإِنِّي لَأَرْضَى عَبْدَ شَمْسٍ وَمَا قَضَتْ وَأَرْضَى الطَّوَالَ الْبَيْضَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

وقال آخر :

وَلَمَّا اتَّقَى الصَّفَّانِ وَاخْتَلَفَ الْقَنَّا نِهَالًا وَأَسْبَابُ الْمَنَايَا نِهَالَهَا

تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْقَمَاءَةَ ذِلَّةٌ وَأَنَّ أَشِدَّاءَ الرِّجَالِ طَوَالَهَا

وقوله : " أَمَامَ حَمِيسٍ " " الْخَمِيسُ " : الجيشُ ، وكذلك قال ربيعةُ أَهْلَ خَيْرٍ لَمَّا

أَظَلَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ^(٥) ، أَي : الجيشُ . وقال الشاعرُ ، وهو طَرْفَةٌ^(٦) :

وَأَيُّ حَمِيسٍ لَا أَفَانَا نَهَابَهُ وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ كَبْشِهِ دَمًا

" أَفَانَا " : رَدَدْنَا ، يقال : " أَفَاءَهُ " أَي رَدَّهُ . و " الْأَرْجُؤَانُ " : الأحمرُ ، قال

الشاعرُ :

(١) شعره ص ٩٨ . وسيأتى البيت .

(٢) ديوانه ص ٤٠٩ . وسيأتى البيت

(٣) البيتان فى شرح ديوان جرير ص ٤٢١

ولهما رواية : تعالوا نحاكمكم ، وفى الحق مقنع إلى الغر من آل البطاح الأكارم

فإنى لراضٍ عبد شمس وماقضت وراضٍ بحكم العبد من آل هاشم

(٤) سلف البيتان . وسيأتى الثانى .

(٥) هذه الفقرة جزء أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب " الأذان " باب : ما يحقن بالأذان من

الدماء ، (١٠٧/٢) ، (٦١٠٩) ، وفى " صلاة الخوف " ، فى " الجهاد " ، والمناقب ، والمغازى ، ومسلم

فى " الجهاد " ، باب : غزوة خيبر ، (٤٤٨/٤) ط . الشعب كلاهما من حديث أنس رضى الله عنه .

(٦) ديوانه ق ٩/٨٣ ص ١٩٥ .

عَشِيَّةً غَادَرَتْ خَيْلِي حُمَيْدًا كَأَنَّ عَلَيْهِ حُلَّةَ أَرْجُونَ
و " الجياد " : الخيل ، وفي القرآن : ﴿ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ
الْجِيَادُ ﴾ (١).

ومن تشبيهه الجيد في هذا الشعر الذي ذكرناه قوله (٢):

تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى بَابِ دَارِهِ كَأَنَّهُمْ رِجَالًا دَبَّاءَ وَجَرَادِ
فَيَوْمٌ لِلْحَاقِ الْفَقِيرِ بِذِي الْغِنَى وَيَوْمٌ رِقَابِ بُوكِرَتْ بِحَصَادِ
ومن التشبيه الجيد قوله :
فَكَأَنِّي بِمَا أَزَيَّنُ مِنْهَا قَعْدِي يُزَيِّنُ التَّحْكِيمَا

وكان سببُ هذا الشعر أنَّ الخليفة تشدَّدَ عليه في شربِ الخمر ، وحَبَسَه من أجل ذلك حبسًا طويلًا ، فقال (٣):

أَيْهَا الرَّائِحَانِ بِاللَّوْمِ لَوْمَا لَا أَذُوقُ الْمَدَامَ إِلَّا شَمِيمَا
نَالِنِي بِالْمَلَامِ فِيهَا إِمَامٌ لَا أَرَى لِي خِلَافَةً مُسْتَقِيمَا
فَاصْرِفَاهَا إِلَى سِوَايَ فَإِنِّي لَسْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمَا
فَكَأَنِّي بِمَا أَزَيَّنُ مِنْهَا أَنْ أَرَاهَا وَأَنْ أَشَمَّ النَّسِيمَا
لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ السَّلَاحَ إِلَى الْحَرْزِ قَعْدِي يُزَيِّنُ التَّحْكِيمَا
بِ فَأَوْصِي الْمَطِيقَ إِلَّا يُقِيمَا
فهذا المعنى لم يسبقه إليه أحد .

قال : وَحَدَّثْتُ أَنَّ الْعُمَانِي (٤) الرَّاجِزَ أَنَشَدَ الرَّشِيدَ فِي نَعْتِ فَرَسٍ :
كَأَنَّ أَذْنِيهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا

(١) سورة ص : ٣١ .

(٢) ديوانه ص ٤٧٢ .

(٣) ديوان أبي نواس ص ٢٩ .

(٤) هو محمد بن ذؤيب الفيمى ، وقيل له العماني لأنه كان شديد صفرة اللون ، وأهل عمان مصفرة وجوههم ، وليس هو ولا أبوه من أهل عمان . انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ٧٥٥ ، والأغاني ٣١١/١٨ .

فَعَلِمَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ أَنَّهُ قَدْ لَحَنَ ، وَلَمْ يَهْتَدِ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِإِصْلَاحِ الْبَيْتِ إِلَّا الرَّشِيدُ ،
فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ : قُلْ : " تَحَالُ أُذُنِي إِذَا تَشَوَّفَا " . وَالرَّاجِزُ وَإِنْ كَانَ قَدْ لَحَنَ فَقَدْ أَحْسَنَ
التَّشْبِيهِ .

وَيُرَوَّى أَنَّ جَرِيرًا دَخَلَ إِلَى الْوَلِيدِ وَابْنِ الرَّقَّاعِ الْعَامِلِيَّ عِنْدَهُ يُنَشِّدُهُ الْقَصِيدَةَ^(١)
الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

غَلَبَ الْمَسَامِيحَ الْوَلِيدُ سَمَاحَةً وَكَفَى قُرَيْشَ الْمُغْضَلَاتِ وَسَادَهَا

قال جرير : فحسدته على أبيات منها ، حتى أنشد في صفة الظبية :

تُرْجَى أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

قال : فقلت في نفسي : وَقَعَ وَاللَّهِ ، مَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ أَوْ يُشَبِّهَ بِهِ ، قَالَ : فَقَالَ :

قَلَمُ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

قال : فَمَا قَدَرْتُ حَسَدًا لَهُ أَنْ أُقِيمَ حَتَّى انصرفت .

وَمِنَ التَّشْبِيهِ الْحَسَنِ الَّذِي نَسْطَرِفُهُ قَوْلُهُ^(٢) :

تُعَاطِيكُهَا كَفَّ كَأَنَّ بَنَانَهَا إِذَا اغْتَرَضَتْهَا الْعَيْنُ صَفٌّ مَدَارِي

وَمِنَ التَّشْبِيهِ الْمَلِيحِ قَوْلُهُ^(٣) :

وَكَأَنَّ سُغْدَى إِذْ تُودَعُنَا وَقَدْ اشْرَبَّ الدَّمْعُ أَنْ يَكْفَا

رَشَاءُ تَوَاصِيْنِ الْقِيَانِ بِهِ حَتَّى عَقَدَنْ بِأُذُنِهِ شَنْفَا

وَفِي هَذَا الشَّعْرِ مِنَ التَّشْبِيهِ قَوْلُهُ :

خَبِرْتُ فُؤَادَكَ أَوْ سَتَخْبِرُهُ قَسَمَا لَيَنْتَهِيَنَّ أَوْ حَلِفَا^(٤)

الْحُبُّ ظَهَرَ أَنْتَ رَاكِبُهُ فَإِذَا صَرَفْتَ عِنَانَهُ انصَرَفَا

(١) انظر القصيدة في الطرائف الأدبية ٨٧-٩١ ، وبعضها في رغبة الأمل ٤٨/٧-٤٩ . وسلف البيت الثاني ص ٧٦٩ .

(٢) ديوان أبي نواس ص ٤٣٥ .

(٣) ديوانه ص ٤٣٢

(٤) ديوانه ص ٤٣٢ . ورواية البيت فيه :

فازجر فؤادك أو سنزجره قسما لينتهين أو حلفا

وله من التشبيه الجيد قوله^(١):

إِلَيْكَ رَمَتْ بِالْقَوْمِ خُوصٌ كَأَنَّمَا

جَمَاجِمُهَا فَوْقَ الْحِجَاجِ قُبُورُ

وله أيضًا^(٢) :

سَأَرْحَلُ مِنْ قُودِ الْمَهَارِي شِمْلَةً

مُسَخَّرَةً مَا تُسْتَحَثُّ بِحَادِي

مَعَ الرِّيحِ مَارَاحَتٍ فَإِنْ هِيَ أَغْصَفَتْ

نَهْؤُزُ بِرَأْسِ كَالْعَلَاةِ وَهَادِي^(٣)

" العَلَاةُ " : السُّنْدَانُ^(٤) ، قال جرير^(٥) :

أَيْفَخَرُ بِالْمُحَمِّمِ قَيْنٌ لَيْلَى

وَبَالِكِيرِ الْمَرْقَعِ وَالْعَلَاةِ

وقال الحسن بن هانئ^(٦) في صفة السفينة :

بُنِيَتْ عَلَى قَدَرٍ وَلَا عَمَّ يَنْهَهَا

طَبَقَانِ مِنْ قِيرٍ وَمِنْ أَلْوَحِ

فَكَأَنَّهَا وَالْمَاءُ يَنْطَحُ صَدْرَهَا

وَالْخِيزْرَانَةُ فِي يَدِ الْمَلَّاحِ

جَوْنٌ مِنَ الْعُقْبَانِ يَتَدِيرُ الدُّجَى

يَهْوِي بِصَوْتٍ وَاضْطِفَاقٍ جَنَاحِ

وقال^(٧) في شعر آخر ، يصف الخمر ، ويذكر صفاءها ورقتها ، وضياءها

وإشراقها:

إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خِلْتُهُ

يُقَبِّلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكْبَا

وأما قوله :

بَنَيْنَا عَلَى كِسْرَى سَمَاءَ مُدَامَةٍ

جَوَانِبُهَا مَخْفُوفَةٌ بَنُجُومِ

فَلَوْ رُدَّ فِي كِسْرَى بَنِ سَاسَانَ رُوحَهُ

إِذَا لَاصْطَفَانِي دُونَ كُلِّ نَدِيمِ^(٨)

(١) ديوانه ص ٤٨٢

(٢) ديوانه ص ٤٧٢ .

(٣) نهوز صيغة مبالغة من النهز وهو الدفع . عن رغبة الآمل .

(٤) كذا ضبط في جميع النسخ بكسر السين . وقد نص القاموس على أنه بفتحها .

(٥) تذييل ديوانه ق ١١/٥ ج ٢/٨٢٧ .

(٦) لم أجد الأبيات في ديوانه . وهي في المصون ٥٤ . والثاني والثالث في الحماسة الشجرية ٩١٤/٢ ،

ونضرة الإغريض ١٨٠ .

(٧) ديوانه ص ٢٢ .

(٨) لم أجد البيتين في الديوان .

فإنما كانت صورة كِسْرَى في الإِنَاءِ . وقوله " جوانبها مخوفةٌ بنجومٍ " فإنما يريد ما تَطَوَّقَ به من الزُّبْدِ .

وقال في أخرى :

أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَلَيْلَةً وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَحُّلِ خَامِسُ
تَدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجَدِيَّةٍ حَبَّتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ
قَرَارُتْهَا كِسْرَى وَفِي جَبَاتِهَا مَهَا تَدْرِيهِ بِالْقِسِيِّ الْفَوَارِسُ
فَلِلْخَمْرِ مَارَزَتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ
" العسجدية " منسوبةٌ إلى " العَسْجَدِ " وهو الذَّهَبُ . وقال الْمُتَقَبُّ الْعَبْدِيُّ :
قَالَتْ أَلَا لَا يُشْتَرَى ذَاكُمُ إِلَّا بِمَا شِئْنَا وَلَمْ يُوجَدِ
إِلَّا بِبَذَرِي ذَهَبٍ خَالِصٍ كُلُّ صَبَاحٍ آخِرَ الْمُسْنَدِ
مِنْ مَالٍ مَنْ يَجِبِي وَيُجِبِي لَهُ سَبْعُونَ قِنْطَارًا مِنَ الْعَسْجَدِ^(١)

وقوله " تَدْرِيهِ " يقول : تَحْتِلُهُ ، يقال " دَرَيْتُ " الصَّيْدَ : إِذَا خَتَلْتَهُ ، قال الأَخْطَلُ^(٢) :

وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَفْصَدْتَنِي إِذْ رَمَيْتَنِي بِسَهْمَيْكَ وَالرَّامِي يَصِيدُ وَمَا يَذْرِي
وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ^(٣) :
مَا حَطَّكَ الْوَاشُونَ مِنْ رُبَّةٍ عِنْدِي وَلَا ضَرَّكَ مُغْتَابُ
كَأَنَّمَا أَتْنُوا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا

وهذا المعنى مأخوذٌ من قول النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ لِحَجَلِ بْنِ نَضْلَةَ ، وقد ذَكَرَ معاويةُ بْنُ شَكَلٍ ، فقال : آيَتِ اللَّعْنِ ، إِنَّهُ لَقَعَوُ الْأَلْيَتَيْنِ ، مُقْبِلُ النَّعْلَيْنِ أَفْحَجُ الْفَخِذَيْنِ ، مَشَاءُ بِأَقْرَاءٍ ، تَبَاغُ إِمَاءٍ ، قَتَالُ ظِبَاءٍ ، فقال النُّعْمَانُ : أَرَدْتُ أَنْ تَذِيئَهُ فَمَدَّهَتْهُ .
قوله " مُقْبِلُ النَّعْلَيْنِ " يقول : لنعله قِبَالَ ، يَنْسِبُهُ إِلَى التَّرَفَةِ ، و " تَبَاغُ إِمَاءٍ " قَتَالُ ظِبَاءٍ " من ذلك . و " الْقَعْوُ " : ما تدور فيه الْبَكْرَةُ إِذَا كَانَ مِنْ خَشَبٍ . وقوله " تَذِيئُهُ "

(١) ديوانه ق ١/٣-٥ ص ١٢-١٣ .

(٢) ديوانه ق ١٨/٢ ج ١/١٧٩ ، ونقائض جرير والأخطل ٢٨ .

(٣) ديوانه ص ٣٢٤ .

معناه تذمه ، يقال " ذَمَّهُ يَذُمُّهُ ذَمًّا " و " ذَامَهُ يَذِيعُهُ ذَيْمًا " و " ذَامَهُ يَذَامُهُ ذَامًا " والمعنى واحدٌ ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ اَخْرِجْ مِنْهَا مَذْذُوْمًا مَذْحُوْرًا ﴾ ^(١) وقال الحارثُ بنُ خَالِدٍ المخزومي ^(٢) لعبد الملك :

صَحْبَتُكَ إِذْ عَنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَعْتُ نَفْسِي أَذِيْمَهَا

وقوله " فَمَذَّهْتُهُ " يقول : فَمَذَحْتَهُ . وأبدلَ من الحاء هاءَ لقُرْبِ المَخْرَجِ وبنو سَعْدِ بنِ زَيْدٍ مَنَاقِبَ بنِ تَمِيمٍ كَذَلِكَ تَقُولُ ، وَلَحْمٌ وَمَنْ قَارِبَهَا . وقال رُؤْبَةُ :

لِلَّهِ دُرُ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّةِ سَبَّخْنَ وَاسْتَزَجَعْنَ مِنْ تَأْلِهِي ^(٣)

يريد : المُدَّح . وفي هذه الأَرْجُوزَةُ :

بَرَّاقُ أَصْلَادِ الْجَبِينِ الْأَجْلَه

يريد : الْأَجْلَح . والعربُ تقولُ : " جَلَحَ الرَّجُلُ يَجْلَحُ جَلْحًا " و " جَلِهَ يَجْلَهُ جَلْهًا " و " جَلِي يَجْلِي جَلًى " والمعنى واحدٌ ؛ قال العجاجُ :

مَعَ الْجَلَا وَلَا تَحِ الْقَتِيرِ ^(٤)

ومثلُ بيتِ الحسنِ وكلامِ النعمانِ قولُ عمرو بنِ مَعْدِي كَرَبَ :

كَأَنَّ مُعَرَّشًا فِي جَنْبِ سَعْدَى يَعْلُ بِعَيْنِهَا عِنْدِي شَفِيعُ ^(٥)

وفي قصيدةِ الحَسَنِ هذه :

إِنْ جِئْتُ لَمْ تَأْتِ وَإِنْ لَمْ أَجِئْ جِئْتَ فَهَذَا مِنْكَ لِي دَابُ

كَأَنَّمَا أَنْتَ وَإِنْ كُنْتَ لَا تَكْذِبُ فِي الْمِعَادِ كَذَابُ ^(٦)

وهذا كلامٌ طَرِيفٌ .

ومن حَسَنِ التَّشْبِيهِ قولُ بَشَّارٍ :

(١) سورة الأعراف : ١٨ .

(٢) شعره ق ٣٩/١ ص ١٠١ .

(٣) ديوانه ق ٧/٥٨ - ٨ ص ١٦٥ .

(٤) ديوانه ق ٧/١٩ ج ١ ص ٣٣٤ .

(٥) شعره ق ٤٤/٤ ص ١٢٨ .

(٦) ديوانه ص ٣٢٤ .

وَكأنْ تَحْتِ لسانِها هاروتَ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرًا
وَتَحالُ ما ضُمَّتْ عَلَيَّ هِ يَأْبَها ذَهَبًا وَعِطْرًا^(١)
وهذا التشبيهُ الجامعُ .

ونظيره في جمع شيئين لِمَعْنَيْنِ ما ذَكَرْتُ لَكَ من قول مُسْلِمِ بن الوليد:
كَأَنَّ في سَرَجِهِ بَدْرًا وَضِرْغامًا

ومن حَسَنِ التشبيه من قول المُحَدِّثين قولُ العباسِ بن الأحنف^(٢):
أُخْرِمُ مِنْكُمْ بما أَقولُ وَقَدْ نالَ به العاشِقُونَ مَنْ عَشِقُوا
صِرْتُ كَأَنِّي ذُبالةٌ نُصِبْتُ تُضِيءُ للناسِ وَهِيَ تَحترِقُ
فهذا حسنٌ في هذا جدًا .

ومن حَسَنِ ما قالوا في التشبيه قولُ إسماعيلَ بن القاسمِ أبي العتاهية^(٣) للرَّشِيدِ :
أَمِينَ اللهُ أَمْنُكَ خَيْرُ أَمْنٍ عَلَيْكَ مِنَ التَّقَى فِيهِ لِبَاسُ
تُساسُ مِنَ السَّماءِ بِكُلِّ بَرٍّ وَأَنْتَ به تُسوسُ كَمَا تُساسُ
كَأَنَّ الخَلْقَ رُكِبَ فِيهِ رُوحٌ لَهُ جَسَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَأْسُ
وقد أَخَذَ هذا المعنى عليّ بن جَبَلَةَ^(٤)، فقال في مَدْحِهِ حُمَيْدَ بنَ عبدِ الحميدِ ،
وزادَ في الشَّرْحِ والترتيب ، فقال^(٥):

يَرْتُقُ ما يَفْتُقُ أَعْدَاؤُهُ وَلَيْسَ يَأْسُو فَتَقَهُ آسِي
فالنَّاسُ جِسْمٌ وإمامُ الهَدَى رَأْسُ وَأَنْتَ العَيْنُ في الرِّاسِ
والعربُ تَخْتَصِرُ التشبيهَ ، وربما أومأتْ إليه إيماءً ، قال أحدُ الرُّجَّازِ :
بَتًا بِحَسَّانٍ وَمِعْزَاهُ تَبْطُ ما زِلْتُ أَسْعَى بَيْنَهُمَ وَأَلْتَبْطُ

(١) الأغاني ١٥٥/٣ ووسط الآلى ٢٧٥-٢٧٦ .

(٢) ديوانه ص ٢٢١ .

(٣) تكلمة الديوان ص ٥٦٥ .

(٤) وهو المعروف بالعكوك .

(٥) البيت الثاني في الأغاني ٤٠/٢٠ .

حتى إذا كاد الظلام يَخْلِطُ جَاءُوا بِمَذْقٍ هَل رَأَيْتِ الذَّنْبَ قَطُ^(١)

يقول في : لَوِ الذَّنْبُ . وَاللَّبَنُ إِذَا جُهِدَ^(٢) وَخِلِطَ بِالْمَاءِ ضَرَبَ إِلَى الْغُبْرِ وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ^(٣):

يَشْرَبُهُ مَخْضًا وَيَسْقِي عِيَالَهُ سَجَاجًا كَأَقْرَابِ الثَّعَالِبِ أَوْرَقًا

"السَّجَاجُ" : الرقيقُ المَذْقُ . و "الْقُرْبَانُ" الْجَنْبَانُ ، وَالوَاحِدُ "قُرْبٌ" ، وَالْجَمْعُ "أَقْرَابٌ" مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ شَاوَرَ فِي رَجُلٍ جَنَى جَنَائَةً ، وَجَاءَ بِقَوْمٍ يَشْفَعُونَ لَهُ ، فَشَفَعَ لَهُ آخَرُونَ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْ أَنْ تُوجَعَ قُرْبِيهِ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ لَنْ تَشْتَدَّ عَلَى أُمَّتِكَ بِقَوْلِ عُمَرَ . فَتَزَلُ إِلَيْهِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ ثَلَاثًا : يَا مُحَمَّدُ ، الْقَوْلُ قَوْلُ عُمَرَ ، شَدَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ . فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَرَبَ الرَّجُلَ . و "الْأَوْرَقُ" : لَوْنٌ بَيْنَ الْخَضِرَةِ وَالسَّوَادِ ، يُقَالُ "جَمَلٌ أَوْرَقٌ بَيْنَ الْوَرْقَةِ" وَهُوَ أَلْوَنُ الْإِبِلِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَأَطْيَبُهَا لَحْمًا .

وَمِنْ مَلِيحِ التَّشْبِيهِ لِلْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْدِلِ^(٤) فِي صِفَةِ الْعَقْرِ :

تُبْرِزُ كَالْقَرْنَيْنِ حِينَ تَطْلُعُ	تُزْجِلُهُ مَرًّا وَمَرًّا تَرْجِعُهُ
فِي مِثْلِ صَدْرِ السَّبْتِ خَلْقُ تَفْطُعُهُ	أَغْصَلُ خَطَارًا تَلَوْحُ شَنْعُهُ
أَسْوَدُ كَالسُّبْجَةِ فِيهِ مِبْضَعُهُ	لَا تَصْنَعُ الرِّقْشَاءَ مَا لَا يَصْنَعُهُ

وَفِي هَذِهِ الْأَرْجُوزَةِ :

بَاتَ بِهَا حَيْنٌ حُبِشٌ يَتْبَعُهُ	وَبَاتَ جَذْلَانٌ وَثِيرًا مَضْجَعُهُ
ذَا سَنَةٍ آمِنَ مَا يُرْوَعُهُ	حَتَّى دَنَتْ مِنْهُ لِحْفٌ تَزْمِعُهُ
فَاطَتْ تَجُمُّ سُمْهَا وَتَجْمَعُهُ	يَا بُؤْسَ لِلْمُودَعَةِ مَا تُودِعُهُ
فَشَرَعَتْ أُمُّ الْحِمَامِ إَصْبَعُهُ	أَنْحَتْ عَلَيْهِ كَالشَّهَابِ تَلْدَعُهُ

(١) قِيلَ : هُوَ لِلْعَجَاجِ انْظُرْ مَلْحَقَ دِيْوَانِهِ ق ٤٦/١-٦٤/٢ ، وَالْأَيَّاتُ ٢-٤ فِي الْخَزَانَةِ

٤٨٢/٢ ، وَالْمَقَاصِدُ النُّحْوِيَّةُ ٦٢/٤

(٢) أَيْ أَخْرَجَ زَيْدُهُ كُلَّهُ .

(٣) فِي الْإِبِلِ لَهُ (الْكَنْزُ اللَّغَوِيُّ ٩٥) ، وَالْبَيْتُ فِي الْخِيَوَانِ ٣١١/٦ .

(٤) الْأَيَّاتُ ٤٠٢، ٤٠٦-١٢، ١٤، ١٧، فِي الْمَصُونِ ٥٢ .

عَطَّكَ مِرْبَالٍ حَرِيرٍ تَخْلَعُهُ وَكُلُّ خِلٍّ ظَاهِرٍ تَفْجَعُهُ
يَزْدَادُ مِنْ بَغْتِ الْحِمَامِ جَزَعُهُ وَالْيَأْسُ مِنْ تَيْسِيرِهِ تَوْقَعُهُ

وكذلك قال يزيد بن ضبَّة [قال أبو الحسن : شك أبو العباس في هذا البيت أهو
ليزيد بن ضبَّة أم للعرجي] .

ولكنهم بآنوا ولم أذر بغتة وأفظع شيء حين يفجؤك البغت

ومن حسن التشبيه ومليحه قول رجلٍ يَهْجُو رَجُلًا بَرْنَانَةً الحَال فيقول :
يَأْتِيكَ فِي جُبَّةٍ مُخْرَقَةٍ أَطْوَلُ أَعْمَارٍ مِثْلَهَا يَوْمُ
وَطَيْلَسَانَ كَالْأَلِّ يَلْبَسُهُ عَلَى قَمِيصٍ كَأَنَّهُ غَيْمٌ^(١)

قال أبو العباس : والتشبيه باب كأنه لا آخر له وإنما ذكرنا منه شيئاً لئلا يخلو هذا
الكتاب من شيء من المعاني .

ونَحِيتُمْ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَشْعَارِ الْمُحَدِّثِينَ بِيَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ مِنَ الشَّعْرِ الْجَدِيدِ ، ثُمَّ نَأْخُذُ فِي
غَيْرِ هَذَا الْبَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
قال طفيل^(٢) :

تَقْرِئُهُ الْمِرْطَى وَالْجَوْزُ مُعْتَدِلٌ كَأَنَّهُ سُبْدٌ بِالماءِ مَغْسُولٌ

" السُّبْدُ " : طائرٌ بعينه . وقد قالوا : الخَصْفَةُ التي تُوضَعُ عِنْدَ البِئْرِ ، وهو بالطائر
أَشْبَهُ ، وإنما أراد العَرَقَ في هذا الوقت ، وخيرُ الخيل ما لم يُسْرَغْ عَرَقُهُ وَلَمْ يُنْطِىءَ ، فإذا
جاء في وقته شَمِلَهُ .

قال الرَّاجِزُ :

كَأَنَّهُ وَالطَّرْفُ مِنْهُ سَامِي مُشْتَمِلٌ جَاءَ مِنَ الْحَمَامِ

وقال الأَعَشَى^(٣) :

يُيَارِي النَّحُوصَ وَمِنْحَلَهَا وَعِفْوُهُمَا قَبْلَ أَنْ يَسْتَجِمَ

" النَّحُوصُ " : جماعُها " نُحُصٌ " وهي التي لم تحمِلْ في عامِها .

(١) البيتان في المصون ٥٣، ونسبا مجموعة المعاني ٢١٩ لابن الرومي وليس في ديوانه

(٢) ديوانه ص ٥٧ . وروايته تقريبا ... كأنها .

(٣) ديوانه ق ٤٣/٤ ص ٧٥ .

و " الْمِسْحَلُ " : الْعَيْرُ . و " الْعَفْوُ " : الْوَلَدُ ، وجمعه " عَفَاءٌ " فاعلم . وهو
أسمى له إذا لم يكن لعائمه . و " يَسْتَجِمُّ " : يَغْرَقُ .

وفي حديث أم زرع^(١) : " مَضَجَعُهُ كَمَسَلِ الشَّطْبَةِ ، وَتَكْفِيهِ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ " (٢) " أي :
أنه خَمِصُ البطنِ . فَهَذَا تَمَدُّحٌ بِهِ الْعَرَبُ وَتَسْتَحْسِنُهُ . فَأَمَّا قَوْلُ مُتَمِّمِ بْنِ نُؤَيْرَةَ (٣) :
فَتَى غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا

فإنما أراد أنه لا يَسْتَعَجِلُ بِالْعِشَاءِ ، لانتظاره الضيف ؛ كما قال (٤) :
وَضَيْفٌ إِذَا أَرْغَى طُرُوقًا بَعِيرَهُ وَعَانَ نَأَهُ الْوَفْدُ حَتَّى تَكْنَعَا
وقالوا في قول الخنساء :

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ (٥)

قالوا : أَرَادَتْ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ وَقْتَ الْغَارَةِ ، وَبِغُرُوبِ الشَّمْسِ وَقْتَ الْأَضْيَافِ (٦) .
وقال رجلٌ لبعض أهله : وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِعَظِيمِ الرَّأْسِ فَتَكُونُ سَيِّدًا ، وَلَا بِأَرْسَحَ (٧)
فَتَكُونُ فَارِسًا ، وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُدَيْلٍ [قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : حِفْظِي جُدَيْدٌ بِالْدَالِ]
لرَجُلٍ مِنْ قَيْسٍ : وَاللَّهِ مَا فَتَقَتْ فَتَقَ السَّادَةِ ، وَلَا مُطَلَّتْ مَطَلَ الْفُرْسَانِ .
فهذه كُلُّهَا نَعُوتٌ قَدْ عُرِفَتْ لِقَوْمٍ حَتَّى كَانَتْهَا سِمَاتٍ لَهُمْ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ :
يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْفَارِسُ مُهَفِّهَ الْخَصْرَيْنِ ، مُتَوَقِّدَ الْعَيْنَيْنِ ، حَمَشَ الذَّرَاعَيْنِ ، وَأَنْشَدَ
الْأَصْمَعِيُّ :

كَأَنَّمَا سَاعِدَاهُ سَاعِدَا ذَيْبٍ

(١) هذه الفقرة جزء من حديث أم زرع الطويل ، أخرجه البخارى فى " النكاح " ، باب : حسن
المعاشرة مع الأهل ، (١٦٣/٩) ، (ح ٥١٨٩) ، ومسلم فى " الفضائل " ، باب : ذكر حديث أم
زرع ، (ح ٢٤٤٨) .

(٢) الشطبة أصلها ما شطب من جريد النخل ، وقيل : السيف . والجفرة : الأنثى من أولاد الشاء .

(٣) المفضليات ق ٢/٦٧ ص ٢٦٥ . وسيأتى فى كلمة ص ١٤٤٠ وصدر البيت :

لقد كفن المنهال تحت رداءه

(٤) سبق البيت .

(٥) سبق البيت وتخريجه ثمة

(٦) فى نسخة : الضيفان . وبهامشها كما فى المتن .

(٧) الأرسح من الرسح وهو قلة لحم الفخذين والأليتين .

وقالوا : ومن نعت السيد أن يكون لحيماً ، ضخم الهامة ، جهير الصوت ، إذا خطأ أبعد ، وإذا تؤمل ملأ العين ؛ لأنَّ حقّه أن يكون في صدر مجلس ، أو ذروة منبر ، أو منفرداً في موكب .

وكانوا يقولون في نعت السيد : يملأ العين جمالاً ، والسَّمع مقالاً .
وقال أبو علي دُعبل في رجل ينسبهُ إلى السُّودد ، يقوله لمعاذ بن سعيد الحميري ، وهو من ولد حميد بن عبد الرحمن الفقيه :

فإذا جالسته صدرته	وتحيت له في الحاشية
وإذا سائرتَه قدَمته	وتأخرت مع المستأنية
وإذا ياسرته صادفته	سلس الخلق سليم الناحية
وإذا عاسرته صادفته	شرس الرأي أيّأ داهية
فاحمد الله على صحبتِه	واسأل الرحمن منه العافية
وهذا المعنى أجملهُ جرير في قوله :	
بشرّ أبو مروان إن عاسرته	عسرّ وعند يساره ميسور

* * *

فهرس المحتويات

٣١ - باب في الخطابة

- ١ خطبة علي بن أبي طالب
٣ خطبة الحجاج في أهل العراق
١١ حديث أبي شجرة السلمي لعمر بن الخطاب
١٤ في أقوال عمر بن الخطاب
١٧ للحطيئة في أيام رده

٣٢ - باب في أشعار المولدين

- ٢٤ حلم الحسن بن علي بن أبي طالب
٤٢ من أشعار إسحق بن خلف البهراني
٤٥ من أقوال أبي دلف العجلي
٤٨ بما يحكم بالنبل والاستصغار
٥٠ في سؤال كسرى لهوذة بن علي عن بنيهِ
٥١ في هجاء أبي عيينة
٥٦ عتاب أبي عيينة لذي اليمينين

٣٣ - باب في كلام الحكماء

- ٦٧ حديث خالد بن صفوان مع بلال بن أبي بردة
٧٠ في الدهاء والاحتياال والمكر
٧٣ حلم سوار بن عبدالله
٧٥ في الرثاء

٣٤ - باب في بعض هجاء جرير

- ٩١ هجاء يحيى بن نوفل للعريان بن الهيثم

٩٥ المؤنث الذي يصاغ على وزن فعال
١٠٠ من كلام امرأة زوجت في طيء
١١١ جرير يعير الفرزدق
١١٢ غارة النعمان بن المنذر على تميم
١١٤ صعصعة بن ناجية بين يدي الرسول
١٢١ لهو النعمان بن المنذر

٣٥ - باب

١٢٤ من كلام الموالي
١٢٧ هروب العدیل بن الفرخ العجلي من الحجاج
١٢٩ أقوال عبد الرحمن بن حسان في عبد الرحمن بن الحكم
١٣٠ سوار بن المضرب يهرب من الحجاج
١٣٠ حديث محمد بن عبدالله وقد هرب من الحجاج
١٣٢ الحجاج عند دخول مكة
١٣٣ الحجاج يفقد ابنه وأخاه
١٣٦ كتاب الحجاج إلى الوليد لما مات أخوه
١٣٩ فعل معاوية إزاء كيد البطريق
١٤٠ كتاب معاوية إلى قيس بن سعد ورد قيس عليه

٣٦ - باب

١٤٤ اتصال أم بلال بجرير
١٤٦ كياسة أولاد السراي

٣٧ - باب في طول اللحية

١٥٢ في تفسير لفظة النكاح
١٥٥ طلاق عمرو بن عثمان ابنة السائب
١٥٦ في مدح عبدالله بن الزبير
١٦٠ جواب علي بن الحسين عن سبب إخفاء نسبه عند السفر
١٦١ جرير يمدح هشام بن عبدالملك
١٦٦ عمر بن الخطاب أول المؤرخين
١٦٧ في مدح أبي البختری

٣٨ - باب في حضرة عبد الملك بن مروان

١٧٠	بنات ذي الأصبع العدواني
١٧٣	مدح الحجاج للمهلب
١٧٨	كثير عزة ينقد أشعار العرب
١٨٣	ما قالته عائشة لما رأت رجلاً متمواتاً
١٨٨	حديث سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب مع هشام بن عبد الملك
١٨٩	مدح أبي الأسود الدؤولي لعبد الله بن زياد
١٩٣	لنصر بن الحجاج

٣٩ - باب قيس بن عاصم يخاطب زوجته

١٩٨	قيس بن عاصم يقسم الصدقات
٢٠٠	في الهجاء
٢٠١	حديث الحطيئة مع الزبرقان
٢٠٥	حديث الحطيئة لأبناء عم الزبرقان
٢١٠	استعطاف الحطيئة لعمر
٢١٢	الحجاج والخوارج

٤٠ - باب في تكذيب الأعراب

٢١٨	ليلى بنت عروة تنشده لأبيها
٢٢١	غارة بكر بن وائل على بني تميم
٢٢٢	أكاذيب المهلهل في شعره
٢٢٣	فخر أبي ربيع
٢٢٥	حديث ابن حطان للفرزدق
٢٢٦	كذب عمرو بن معدي كرب
٢٢٧	من كذب أحدهم على رسول الله
٢٢٨	عبدالله بن الزبير يدعي الشعر

٤١ - باب ما يجوز فيه يفعل فيما ماضيه فَعَلَ مفتوح العين

٤٢ - باب في عيوب النطق

٢٣٣	حديث عبدالله بن العباس
٢٣٨	أحاديث معاوية في الفصاحة

٤٣ - باب في أشعار العرب

٢٤٥	من أشعار عمر بن أبي ربيعة
٢٤٦	للحرث بن عباد في مقتل ابنه
٢٤٨	جواب النميري لجريير
٢٤٨	من أشعار عمر بن أبي ربيعة
٢٥١	من طرائف «أبي عتيق»
٢٥٢	من أشعار ابن نمير الثقفي
٢٥٤	من أشعار عمر بن أبي ربيعة

٤٤ - باب في الغناء عند العرب

٢٧٥	إتهام سعد بن مصعب بن الزبير
٢٧٩	الشماخ يمدح غرابة بن أوس
٢٨٠	مدح لعبدالله بن قيس الرقيات في مصعب بن الزبير
٢٨٠	قيس يمدح عبدالله بن جعفر
٢٨٠	قيس يمدح عبدالملك
٢٨١	مدح موسى شهوات لحمزة بن الزبير

٤٥ - باب في المدح والشكوى والثناء مدح عمر بن العزيز

٢٨٣	شكوى جريير من سعد الأزدي
٢٨٣	في نعي عمر بن عبد العزيز
٢٨٦	شكوى أحدهم إلى عمر بن عبد العزيز
٢٨٧	في رثاء عمر بن عبد العزيز
٢٨٨	عوييف القوافي يرثي سليمان بن عبد الملك

٤٦ - باب في ما يريح القارىء ويصرف عنه الملل

٢٩٦	الوليد بن يزيد يفتخر
٢٩٧	ضروب الكناية
٢٩٨	متابعة ضروب الكناية
٣٠٠	جواب رياح بن سنج لجريير
٣٠١	من غزل مروان بن أبي حفصة
٣٠١	في الساكن والمتحرك

٣٠٢	من غزل ذي الرمة
٣٠٣	من طرائف العشاق
٣٠٤	هدية أبي العتاهية إلى أمير المؤمنين
٣٠٦	من نسيب ذي الرمة
٣٠٧	من أحاديث عمر بن الخطاب
٣٠٩	في صفات الله
٣١٢	بين الكذب وإفشاء السر
٣١٦	بكر بن النطاح يمدح مالكا الخزاعي
٣١٦	مدح الخليل لعاصم الغساني
٣١٨	من الأشعار التي قيلت في سعيد بن سلم
٣١٨	في رثاء سعيد بن سلم
٣٢٠	مبلغ احتقار العرب لباهلة
٣٢١	في مجلس قتبية بن مسلم
٣٢٣	مدح للأعشى
٣٢٤	شرح هذا الشعر
٣٣٢	عمارة بن عقيل يهجو بني حنيفة
٣٣٢	لوليد بن عقبة
٣٣٥	في رثاء عثمان

٤٧ - باب من تشابه العرب

٣٣٩	من شعر ذي الرمة
٣٤٥	في المدح والذم
٣٤٧	من أعاجيب التشابه
٣٥٤	مما قيل في الخمرات
٣٥٥	من مدح يزيد بن مزيد
٣٥٧	من أشعار الهجاء
٣٥٨	مما يستعمل عند العرب لتشابه النساء
٣٦٢	من وصف العرب للرياح
٣٧٠	نذر لبيد بن ربيعة
٣٧٤	في وصف البرد
٣٧٧	للسليك يرثي فرسه

٣٨١ من وصايا العرب
٣٨١ ما قيل في الترفع عن الوضع
٣٨٣ حلم الأحنف
٣٨٩ في غزل ابن هبيرة
٣٩١ شرح الأبيات
٣٩٣ للمهلهل
٣٩٥ الراجز يصف غيماً
٣٩٦ بعض ما قيل في الآيات القرآنية
٣٩٧ حديث العجلي مع هشام بن عبد الملك
٤٠٥ من مدح عمر بن أبي ربيعة
٤٠٩ من التشايبه
٤٢١ في نوح الحمام
٤٢٣ في الغناء
٤٢٤ عودة إلى التشبيه
٤٢٧ من تشايبه العرب
٤٣٢ من مدح المهدي
٤٣٣ من خمريات أبي نواس
٤٣٣ في وصف الفرس
٤٣٥ في وصف الخمر
٤٤٠ في الهجاء



الكتاب في اللغة والأدب

تأليف
الإمام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد
المتوفى سنة ٢٨٥ هـ

تحقيق
د. عبد الحميد رهنماوي
المدرس بطنية دار المعلمين - جامعة القاهرة

المجلد الثاني

من إصدارات
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
الملك محمد بن عبد العزيز آل سعود